شكرا لمن رفع الكتاب على الشبكة، قمنا بتنسيق الكتاب وتخفيض حجمه
مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

سلسلة "كتب فلسطينية" ـ ٢١

الفكرة الصهيونية
النصوص الأساسية

إشراف : الدكتور أنيس صايغ
ترجمة : لطفي العابد وموسى عنز
تعريف : الدكتور أسعد رزوق
مراجعة : هلا شعبان صايغ وابراهيم العابد

منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث
بيروت

The Zionist Idea : Basic Writings,
Palestine Books No. 21,
Palestine Liberation Organization,
Research Center,
Colombani St. off Sadat St.,
Beirut, Lebanon.

محتويات الكتاب

الصفحة

تمهيد	٧
الحاخام يهودا القالي (١٧٩٨ ــ ١٨٧٨)	٩
الحاخام زفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ ــ ١٨٧٤)	١٣
موسى هس (١٨١٢ ــ ١٨٧٥)	١٩
بيريتز سمولنسكين (١٨٤٢ ــ ١٨٨٥)	٤٣
اليعازر بن يهوذا (١٨٥٨ ــ ١٩٢٣)	٥٩
موشيه لايب ليلينبلوم (١٨٤٣ ــ ١٩١٠)	٦٧
يهوذا لايب (ليو) بنسكر (١٨٢١ ــ ١٨٩١)	٧٩
ثيودور هرتزل (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤)	٩٧
ماكس نوردو (١٨٤٩ ــ ١٩٢٣)	١٢٩
احد هاعام (١٨٥٦ ــ ١٩٢٧)	١٤١
حاييم نخمن بيالك (١٨٧٣ ــ ١٩٣٤)	١٧١
ميخا جوزف بيرديشفسكي (١٨٦٥ ــ ١٩٢١)	١٨١
جوزيف حاييم برنر (١٨٨١ ــ ١٩٢١)	١٩٣
جاكوب كلاتزكين (١٨٨٢ ــ ١٩٤٨)	٢٠١
نحمن سيركين (١٨٦٧ ــ ١٩٢٤)	٢١٥

الصفحة

دوف بير بوروشوف (١٨٨١ ــ ١٩١٧)	٢٣٩
آرون دافيد غوردون (١٨٥٦ ــ ١٩٢٢)	٢٥٣
بيرل كاتزنيلسون (١٨٨٧ ــ ١٩٤٤)	٢٧١
الحاخام صموئيل موهيليفر (١٨٢٤ ــ ١٨٩٨)	٢٧٩
يحيل ميخائيل باينس (١٨٤٢ ــ ١٩١٢)	٢٨٥
الحاخام ابراهام اسحق كوك (١٨٦٥ ــ ١٩٣٥)	٢٩٣
صموئيل حاييم لانداو (١٨٩٢ ــ ١٩٢٨)	٣٠٧
الحاخام يهوذا ليون ماغنس (١٨٧٧ ــ ١٩٤٨)	٣١٥
مارتن بوبر (١٨٧٨ ــ ١٩٦٥)	٣٢٧
برنارد لازار (١٨٦٥ ــ ١٩٠٣)	٣٤٣
ادموند نليغ (فليغهايم) (١٨٧٤ ــ ١٩٦٣)	٣٥١
اودفيغ ليفيسون (١٨٨٣ ــ ١٩٥٥)	٣٥٩
ريتشارد جيمس هوراشيو غوتهيل (١٨٦٢ ــ ١٩٣٦)	٣٦٥
الحاخام سولومون شيختر (١٨٤٧ ــ ١٩١٥)	٣٧٣
لويس دمبيتز براندايس (١٨٥٦ ــ ١٩٤١)	٣٨٥
هوراس ماير كالن (١٨٨٣ ــ)	٣٩٥
مناحيم موردخاي كابلان (١٨٨١ ــ)	٤٠٥
ماير بار ايلان (١٨٨٠ ــ ١٩٤٩)	٤١٧
فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠ ــ ١٩٤٠)	٤٢٧
حاييم وايزمن (١٨٧٤ ــ ١٩٥٢)	٤٤٣
ابا هيلل سيلفر (١٨٩٣ ــ ١٩٦٣)	٤٦١
دافيد بن جوريون (١٨٨٦ ــ)	٤٧٣

تمهيد

يشعر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ان من واجبه ان يعرّف القارىء العربي على النصوص الاساسية للفكرة الصهيونية ؛ اذ قد انشىء منذ خمس سنوات لغرض جمع الوثائق والكتابات في القضية الفلسطينية ولنشر الدراسات حولها ، ولزيادة معرفة المواطن العربي لاساسيات القضية وظروفها وكتاباتها ، ولزيادة معرفته ، بشكل خاص ، على العدو ، وعلى تفكيره ونتاجه . ولذلك يصدر المركز هذا الكتاب الذي يقدم فيه اهم ما كتبه اشهر الصهيونيين في حوالي قرن من الزمان (من منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين)، وهي ٧٣ مقالا او خطابا وضعها ٣٧ زعيما ومفكرا صهيونيا رئيسيا . وقد ترجمت هذه المقالات والخطب بالذات لان الصهيونيين عادة ينظرون اليها انها هي اكثر ما يعبّر عن تفكيرهم السياسي . واضاف المركز الى ترجمات هذه النصوص معلومات مختصرة عن اصحابها .

هذا واود ان اشير الى ان المركز اصدر ، منذ سنتين تقريبا ، كتابا يكمّل كتابنا الحالي ، وهو « من الفكر الصهيوني المعاصر » . وبينما يتخصص كتابنا الحالي في النصوص الرئيسية القديمة قدّم كتابنا الآخر الكتابات الحديثة للحركة الصهيونية بفروعها ومفاهيمها المختلفة .

ولعل القارىء يجد في كتاب آخر صدر عن المركز منذ حوالي السنة « دليل القضية الفلسطينية » اجوبة على معظم الحجج والمزاعم التي يثيرها الصهيونيون في كتاباتهم عموما وفي النصوص التي وردت في هذين الكتابين .

انيس صايغ
المدير العام لمركز الابحاث

الحاخام يهودا القالي (١٧٩٨–١٨٧٨) Rabbi Yehudah Alkalai

ولد في سراجيفو وكان ابوه من الزعماء الروحيين بين يهود الصرب . قضى صباه في القدس ، حيث خضع لتاثير نزعات القبّاله Kabbalah في صوفيتها وميلها الشديد الى الحلولية وتفسيرها الرمزي لجميع الاعداد والحروف في التلمود . وما لبث ان دعي ليكون حاخام سملين ، عاصمة الصرب آنذاك ، عام ١٨٢٥ . عاش في البلقان خلال تلك الفترة التي تلت حرب التحرر اليوناني وتميزت بيقظة الشعور القومي المناوىء لحكم سلاطين آل عثمان . منذ عام ١٨٣٤ راح يعبّر في كتاباته عن ضرورة القيام بمجهود انساني خاص لتحقيق خلاص اليهود . فنشر كراسا بعنوان « اسمعي يا اسرائيل » واقترح فيه اقامة مستعمرات يهودية في فلسطين، لكي تكون بدورها مقدمة ضرورية «للخلاص المنتظر». لكن الفكرة التي دعا لها كانت مغايرة للمفهوم الديني الشائع ، فراح يبحث عن تلك النصوص التي تبرهن على فكرة الخلاص الذاتي وتبررها . واستند في ذلك الى اسطورة يهودية كان الصوفيون قد غالوا في زخرفتها والزيادة عليها . وهي تقول بان المسيح الاول سوف يسبق مجيء المسيح المنتظر ويقود اليهود « في حروب ياجوج وماجوج » لفتح فلسطين بحد السيف .

تصور الخطوط الكبرى لبرنامج العمل على تحقيق ما اسماه ب « الخلاص الذاتي » على الشكل التالي : أ) الدعوة لعقد جمعية عامة كبرى . ب) ايجاد صندوق قومي لشراء الاراضي . ج) اقامة صندوق مماثل لجباية الضرائب . د) والسعي لتعويم قرض قومي . وهي الافكار التي تبنّاها هرتزل فيما بعد وراحت الحركة الصهيونية تعمل على وضعها موضع التنفيذ . وكان جدّ هرتزل ، سيمون لوب ، من تلامذته والمعجبين به .

ادرك ضرورة الاعتماد على التاييد المالي والنفوذ السياسي لمشاريعه ، فراح يسافر الى العواصم الاوروبية ويوجه النداءات الى كبار المتمولين اليهود ، امثال مونتيفيوري وادولف كريميو ، محاولا استنهاض الهمم في صليبية يهودية تسعى لخلاص الارض المقدسة وافتدائها عن طريق كسب عطف السلطان العثماني . فقد كتب في عام ١٨٤٣ كتابه عن « الخلاص الثالث » وفسر الخلاص الجديد على اساس تشجيع الاستيطان في فلسطين بقصد تعمير « الارض الخراب » واعدادها بصورة تدريجية . واعتبر « العودة الجماعية » بمثابة بداية للخلاص الذي وعد به جميع الانبياء . وهي متممة لتلك العودة الفردية التي ينص عليها التقليد الديني في التوبة والصلاة . لا بل هي « الامنية الكبرى » . وقد طلب في احدى نداءاته « من اخوتنا ان يؤسسوا شركة ، على غرار شركات التامين ضد الحريق او شركات السكك الحديدية . لكي تتوسل هذه الشركة الى السلطان ليعيد الينا ارض اجدادنا لقاء اجار سنوي . وما ان يطلق اسم « اسرائيل » من جديد على « ارضنا »

حتى يعمد كل اليهود الى مساعدة هذه الشركة بكل ما ملكت ايديهم من وسائل » .

هاجر الى فلسطين في عامه السبعين وانهى آخر ايام عمره في القدس ، حيث توفي عام ١٨٧٨ . وكانت اولى كتاباته في العبرية عام ١٨٤٥ بعنوان « منحة يهوذا » . وحين تحدث عن المغامرة « الصهيونية » اشار الى بدايتها المتواضعة ولكنه تنبأ لها بمستقبل عظيم جدا . وحين تاسس الصندوق القومي اليهودي عام ١٩٠١ جرى السير في خطى النهج الذي كان القالي قد رسمه للعمل الصهيوني . وقد قام بعض اتباعه المخلصين بعد وفاته مباشرة بشراء ارض بتاح تكفا حيث اقيمت اول مستعمرة يهودية زراعية في فلسطين.

الخلاص الثالث (١٨٤٣)

مكتوب في التوراة : « ارجع يا رب الى ربوات الوف اسرائيل » (١) وقد علّق الحاخامون على هذه الآية في التلمود (٢) بما يلي : انها تبرهن بأن الشعور بالحضور الالهي يتم فقط اذا تم وجود اثنين وعشرين الفا من اليهود معا . ومع هذا نصلي كل يوم : « دع عيوننا تشاهد عودتك برحمة الى صهيون » (٣) . فعلى من سيقع الحضور الالهي ؟ على العصي والحجارة؟ اذن كخطوة اولى لخلاص نفوسنا يجب ان نعمل على اعادة اثنين وعشرين الفا الى الارض المقدسة . فهذه تهيئة ضرورية لحلول دلالات اخرى من معروفه .

« ثم اتى يعقوب سالما الى مدينة شكيم ... وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته » (٤) . يجب ان نسأل : لماذا ، اشترى يعقوب قطعة الارض هذه طالما ، كان في طريقه الى والده اسحق ولم يكن في نيته السكن هناك ؟ انه قام بهذا العمل كي يعلم نسله انه يجب شراء تربة الارض المقدسة من مالكيها غير اليهود .

نحن كشعب ، يليق بنا ان نلقّب باسرائيل فقط اذا كنا في ارض اسرائيل .

ذكر في الفتح الاول ان الله احضر بني اسرائيل تحت امرة يشوع للارض التي كانت معدّة لهم ، كانت بيوتها عندئذ مليئة بالاشياء المفيدة فآبارها كانت تعطي الماء ، وكرومها وغابات زيتونها كانت محملة بالاثمار .

---

١ ــ العدد ١٠ : ٣٦ .
٢ ــ يباموت ٦٤ أ .
٣ ــ صلاة العميدة (العبادة الصامتة) تصلى ثلاث مرات يوميا .
٤ ــ التكوين ٣٣ : ١٨ ــ ١٩ .

واحسرتاه هذا الخلاص سيكون مختلفا بسبب خطايانا ، ارضنا خربة ومقفرة ، ويتوجب علينا بناء البيوت وحفر الآبار . وزرع اشجار الكرمة والزيتون . اذا علينا الا نذهب جميعنا الى الارض المقدسة معا وفي وقت واحد . ومن المهم والضروري ليهود عديدين ان يبقوا في ارض التشتت لبعض الوقت وذلك لمساعدة المستوطنين الاوائل في فلسطين ، والذين سيكونون هناك فقراء دون شك . ثانيا ، الرب يرغب في ان نخلص بعزة نفس ، اذ اننا لا نستطيع الهجرة بشكل جماعي ، لاننا سنعيش بالنتيجة مثل البدو ، مبعثرين في خيام على حقول الارض المقدسة . الخلاص يجب ان يتم بأناة والارض ستبنى وتعمّر وتحضر بالتدريج .

هناك نوعان من العودة : العودة الفردية والعودة الجماعية . العودة بشكل فردي تعني انه على الانسان ان يبتعد عن طرقه الشريرة الشخصية ويتوب ، التوبة بهذه الطريقة مشروحة في كتب العبادة المتعلقة بتقاليدنا الدينية . هذا النوع من العودة يسمى العودة الفردية لانه نسبي حسب حاجة الفرد . وتعني العودة الجماعية ان اسرائيل كلها يجب ان تعود الى الارض التي هي ارث آبائنا ، لاستلام الامر الالهي ولقبول نير السماء . وقد تنبأ بهذه العودة الجماعية كل الانبياء ، وبالرغم من عدم ، استحقاقنا ، فالسماء ستساعدنا من اجل اسلافنا المقدسين .

امنيتنا الكبرى دون شك هي لمّ شمل منفيّينا من اطراف العالم الاربعة كي يصيروا كتلة واحدة . نحن اليوم ، واحسرتاه ، مبعثرون ومنقسمون لان كل جالية يهودية تتكلم لغة تختلف عن الاخرى ولكل منها عادات مختلفة . هذه الانقسامات هي عائق للخلاص . اود ان اقر بالالم الذي كنت اشعر به دائما لارتكاب اجدادنا الخطأ حين سمحوا للغتنا المقدسة بأن تنسى الى هذه الدرجة . بسبب هذا انقسم شعبنا الى سبعين شعبا، ولغتنا الواحدة حل محلها سبعون لغة وهذه هي لغات اراضي المنفى . اذا اراد الله ان يرينا فضله العجيب وان يجمعنا في ارضنا فسوف لا نستطيع التكلم مع بعضنا بعضا ، فمجتمع من هذا الشكل لا يمكنه النجاح . لا تدعوا احدا « يحل » هذه المشكلة بقوله ان الله سيبعث الملاك وقت الخلاص كي يعلّمنا لغات العالم السبعين كلها ، لان هذه الفكرة مغلوطة . هذا النوع من الاشياء لا يتم تحقيقه بمعجزة ويكاد يكون من غير المعقول ان نتخيل بان البعث الحقيقي للغتنا العبرية سيتم بالوسائل الطبيعية . لكنه يجب ان يكون عندنا الايمان بأن البعث سيتم لان يوئيل تنبأ ، « اني اسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم » (٥) . اذا

٥ ــ يوئيل ٢ : ٢٨ .

تنبأ النبي بان ابناء وبنات عهد الخلاص سيتنبأون بلغة عامة يعرفونها ويستطيعون استعمالها . فيجب علينا ان لا نيأس. يجب علينا ان نضاعف جهودنا لنحافظ على اللغة العبرية ولنقوي مركزها . العبرية يجب ان تكون اساس عملنا التعليمي .

سيبدأ الخلاص بجهود اليهود انفسهم ، يجب عليهم ان ينتظموا ويتحدوا وان يختاروا القادة ، ويغادروا ارض المنفى . وبما انه لا يوجد مجتمع دون جسم حاكم ، فان أول قضاء سيتم بتعيين حكماء كل مقاطعة من رجال ورع وحكمة ، كي يرعوا شؤون المجتمع . اقترح بتواضع بان يكون هذا المجلس ـ مجلس حكماء ـ الشيء الذي ينطوي عليه الوعد الذي اعطانا اياه المسيح المنتظر ابن يوسف . يجب ان يتم اختيار هؤلاء الشيوخ على يد الذين نعتمد عليهم من قادتنا . فتنظيم جسم يهودي عالمي هو في حد ذاته خطوة اولى للخلاص، لانه من هذا التنظيم سيتكون مجلس حكماء معتمد، ومن مجلس الحكماء هذا سيظهر المسيح المنتظر ابن يوسف. هذا ومن الضروري لنجاح منظمة يهودية عالمية ولنجاح مجلس حكماء ان يكون هؤلاء الحكماء من نوعية جيدة يكون باستطاعتهم فرض احترامهم وطاعتهم وذلك حتى لا يبقى شعب الله كالقطيع دون راع . ان الخلاص يعتمد على هذا . ومما لا شك فيه ان لدينا بعض العادات القبيحة كما ان هناك عوامل تضعف ديننا . سوف لا يكتسب ايماننا قوته ثانية الا بتعيين هؤلاء الحكماء . وحتى قبل عودتنا الى الارض المقدسة، التي اليها وبعون الله سنعود، يجب علينا اولا تعيين حكماء كي يعملوا على مراقبة الوصايا التي ستطبق، وخاصة في الارض المقدسة ، مثل قانون ترك الارض بورا في السنة السابعة ، لان النعم التي ستحل علينا من الارض تعتمد على ايماننا الذي يلازم هذه القوانين . انه ليس من المستحيل ان نطبق هذه الوصايا للعودة الى الارض المقدسة . السلطان لن يعارض ، لان جلالته يعرف ان اليهود هم رعاياه المخلصون ويجب الا يكون الفرق في الدين عائقا لان كل امة تعبد الهها ونحن سوف نطيع الرب الهنا الى الابد .

اني اسأل اخوتنا ان ينظموا شركة، على غرار شركات التأمين وشركات السكك الحديدية . دعوا هذه الشركة ترفع الامر الى السلطان كي يعيد الينا ارض اجدادنا مقابل ايجار سنوي . وعند اعادة تطبيق اسم اسرائيل على ارضنا سيتحمس اليهود اجمعين لمساعدة هذه الشركة بكل وسيلة يملكونها . مع ان هذه المجازفة ستبدأ متواضعة انما مستقبلها سيكون عظيما .

الحاخام زفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤)

Rabbi Zvi Hirsch Kalischer

ولد في بوزن وكانت المقاطعة الغربية من بولونيه آنذاك خاضعة للسيطرة البروسية منذ ١٧٩٣ . اتمّ دراسته الدينية التقليدية في مدارس السكان اليهود ثم استقر في بلدة ثورن ، حيث بقي حاخاما طيلة اربعين سنة . جاءت حياته العملية الباكرة معاصرة لقيام الحركة الاصلاحية في الدين اليهودي فراح يدافع عن صحة التقليد المتوارث ويشدد على ابراز العلاقة بين اليهودي والارض المقدسة وقرب تحقيق الايمان بالمسيح الموعود . كتب مقالة دافع فيها عن موسى بن ميمون ثم ما لبث ان عبّر عن صهيونيته في رسالة بعث بها ١٨٣٦ الى كبير فرع عائلة روتشيلد في برلين . وقد ورد فيها : « ان بداية الخلاص سوف تاتي عن طريق اسباب طبيعية نتيجة للجهد الانساني وعن طريق ارادة الحكومات لجمع شمل اسرائيل المبعثرة في الارض المقدسة » . وحين تاسست جمعية رعايةالاستيطان اليهودي في فلسطين ١٨٦٠ في فرانكفورت على نهر الاودر انضم اليها واستمد من اهدافها بواعث كتابه الصهيوني « السعي لصهيون »(Derishat Zion) الذي ظهر عام ١٨٦٢ . وقد استشهد موسى هس بمقاطع من هذا الكتاب في كتابه « رومه والقدس » الذي ظهر في العام نفسه . تطرف في مفهومه للخلاص الذاتي وبالغ في تصوير حالة اليهود في اوروبه الشرقية لدرجة استنباط العذاب والتشرد والنفي واعتبار ذلك بمثابة امتحان للايمان وبداية لحدوث الخلاص الطبيعي عن طريق التطوع للذهاب الى فلسطين بقصد الاستيطان والاقامة الدائمة . نشات معارضة قوية لدعوته المتطرفة في اوساط الاتقياء والمتدينين ، فانتقد الذين رفضوا مجاراة افكاره حول تشجيع الاستيطان وشراء الاراضي والتحدث عن قداسة العمل في الارض معتبرا حجتهم من عمل الشيطان . لكنه اصر على ان الفلاحة والزراعة هي السبيل الدنيوية والحافز الاول لحصول الخلاص المرتقب والاخير . فراح يتنقل في البلدان الاوروبية محرضا سكانها اليهود على وضع افكاره موضع التنفيذ ، مما حمل جماعة من اليهود على شراء ارض في ضواحي يافا ١٨٦٦ ، حيث قامت جمعية الاليانس الاسرائيلية ، التي تاسست في فرنسه ١٨٦٠ ، بانشاء المدرسة الزراعية (Mikveh Israel Agricultural School) لتشجيع شراء الارض واقامة المستوطنات الزراعية. وهو فيكلذلك يرميالىحصر الجهود والطاقاتاليهودية فيالسعي وراء تثبيتدعائم الاستعمار الصهيوني الذيكان يصفه بمثابة الامتحان الصحيحوالبداية الطبيعيةللخلاص. وقد وعد اليهود بان الخالق سوف يعجّل بيوم الخلاص المرتقب حين يرى اقبالهم على الذهاب الى فلسطين وتطوعهم للاستيطان هناك وبالتالي سوف يبارك حماسهم . وما استعمار فلسطين سوى ذلك العمل الذي « يتيح لنا فرصة مراعاة الوصايا الدينية المتعلقة بالعمل في الارض هناك » .

بداية طبيعية للخلاص

خلاص اسرائيل ، الذي نسعى اليه ، يجب الا يصور بانه معجزة فجائية . لن يهبط القدير ، تبارك اسمه ، فجأة ويأمر شعبه بالتقدم . ولن يبعث الرب المسيح المنتظر من السماء بلمحة عين لينفخ بالبوق لاسرائيل المبعثرة ويجمعها في القدس ، ولن يطوق الله المدينة المقدسة بسور من نار ولن يدع الهيكل المقدس يهبط من السماء . سوف يتحقق النعيم والعجائب التي وعدنا بها خدامه الانبياء ، لكن علينا الا نركض جزعا وهروبا لان خلاص اسرائيل سيأتي بأناة ، ونور النجاة سيشع تدريجيا .

(عزيزي القارىء ! الق جانبا الفكرة التقليدية القائلة بأن المسيح المنتظر سينفخ بالبوق العظيم فترتعد منه كل الارض . بل على العكس ، فالخلاص سيبدأ بمساندة المحسنين وبكسب موافقة الامم على لمّ شمل بعض الاسرائيليين في الارض المقدسة) .

عبّر النبي اشعيا (٢٧ : ٦ و ١٢ ــ ١٣) عن هذا الرأي ، قال : « في المستقبل يتأصل يعقوب . يزهر ويفرع اسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثمارا ... ويكون في ذلك اليوم ان الرب يجني من مجرى النهر الى وادي مصر . وانتم تلقطون واحدا واحدا يا بني اسرائيل . ويكون في ذلك اليوم انه يضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون فيارض اشور والمنفيون في ارض مصر ويسجدون للرب في الجبل المقدس في اورشليم » . اذن هكذا يبيّن لنا الله ان بني اسرائيل سوف لا يصعدون من المنفى كلهم معا، انما سيجتمعون بالتدريج ، تماما كما تجمع حبات القمح من السنابل . ومعنى هذا « في المستقبل يتأصل يعقوب » في الآية المذكورة اعلاه ان الله القدير سيجعل هؤلاء الذين جاءوا اولا ــ في بداية الخلاص ــ بمثابة الجذور التي تزرع في الارض لتنتج اغصانا كثيرة . ومن ثم ستزهر اسرائيل في الارض المقدسة ، وتتحول هذه الازهار الى براعم ومن ثم الى ثمار وتتكاثر الى ان تملأ وجه البسيطة . هذا المفهوم نفسه مشار اليه في قول اشعيا (١١ : ١١) « يكون في ذلك اليوم ان السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من اشور ومن مصر ... » يظهر بوضوح ان تجمعا اولا وتجمعا ثانيا هو الشيء المقصود : سيكون التجمع الاول بمثابة استكشاف للارض ومن ثم يلي هذا ازدهار اسرائيل الى درجة عظيمة .

هل نستطيع ان نفسر منطقيا لماذا سيبدأ الخلاص بطريقة طبيعية ، ولماذا الله ، حبا بشعبه ، لا يرسل المسيح المنتظر بمعجزة واضحة ؟ نستطيع طبعا . نعلم جميعا ان طريقة عبادتنا لله تتم بتجارب يمتحننا الله بها . فعندما خلق الله الانسان زرع بجانبه شجرة المعرفة وامره بالا يتذوقها . فلماذا وضع الله الشجرة في الفردوس اذا لم تكن للتجربة ؟ ولماذا سمح الله للافعى ان تدخل الفردوس وتختبر الانسان لو لم يقصد الله تجربةالانسان؟ وعندما غادرتاسرائيل بلاد مصر امتحنها الله بالجوع والعطش . هذا والشرائع المعطاة لنا في التوراة (١) والمتعلقة بالحيوانات النجسة هي ايضا الاختبارات المستمرة ـ اذا لم يكن هذا المقصود منها فلماذا خلق الله هذه الحيوانات غضة مغرية ؟ منذ ان تشتتنا ونحن نستشهد في سبيل الله . لقد شردنا من ارض الىارض وتحملنا نير النفي عبر العصور من اجل توراته ومن اجل اختبار ايماننا .

اذا ظهر الله في المستقبل فجأة ، بمعجزة لا يمكن انكارها ، فهذا ليس باختبار . ما الشيء الذي سيضعف ايماننا في وجه المعجزات والعجائب التي تتعلق بالامر السماوي الذي يأمرنا ان نذهب ونرث الارض وننعم بخيراتها ؟ ومن لا يذهبتحت هذه الظروف عن محبة الله فسيذهب محبة بنفسه . البداية الطبيعية للخلاص هي منذ الاختبار الحقيقي للذين يبداون في عملية الخلاص ويجب تركيز الجهود ونبذ البيت والثروة للعيش في صهيون قبل سماع « صوت الفرح » و « صوت الغبطة » انه لا يوجد فضيلة او اختبار اعظم من هذا .

لقد وجدت مؤازرة لهذا الرأي في كتاب دروب الايمان (٢) : «عندما يتطوع يهود كثيرون ، ورعون ومتعمقون في التوراة ، للذهاب الى ارض اسرائيل والسكن في القدس ، بدافع الرغبة للخدمة ، ولروح الطهارة والقدسية ، وعندما يذهب هؤلاء.افرادا وازواجا من اطراف الدنيا الاربعة ، وعندما يسكن هناك الكثيرون منهم وتتزايد صلواتهم على جبال القدس ـ عندها فقط يسمع الله لهم ويسرع في يوم خلاصهم » . وحتى يتحقق كل هذا يجب ان يتمم الاستيطان اليهودي في الارض المقدسة ، اذ

---

١ ـ كتب موسى الخمسة، وبمعنىاوسع الاسفار المقدسة. الاشارة هنا الى سفر اللاويين .

٢ ـ في العبري كتاب « شيفيلي ايمونه » وهو كتاب عبادة كتبه سنة ١٣٦٠. الحاخام مئير ابن الدابي اليهودي الاسباني . هذا الكتاب الفلسفي والعلمي والديني كان محببا لدى العلماء لوقت طويل .

كيف سيتم جمع الشمل دون هذا الاستيطان ؟

قدسية العمل في الارض

هناك الكثير ممن يرفضون مساندة فقراء الارض المقدسة بقولهم : « لماذا يتوجب علينا ان نساعد اناسا خاملين كسالى يفضلون الاعتماد على يهود الشتات (٣) لاعالتهم ؟ » ان هذا جدل يقدمه الشيطان ، لان الناس الساكنين في فلسطين هم علماء في التوراة ، ومنذ صغرهم اعتادوا على الا يعملوا . الكثير منهم حضروا من بلاد بعيدة معرّضين حياتهم للخطر مقابل السكن في الارض المقدسة . كيف يستطيع هؤلاء في هذه الارض الغريبة ان يعملوا بينما لم يمارسوا عملا طيلة حياتهم ؟ لذا فهم يلتفتون الى اخوانهم المحسنين سائلينهم التبرع فقط بما يستطيع حفظ الجسم والروح معا وذلك حتى يسكنوا الارض التي هي نصيبهم من الله .

لذا فانني اقترح لاسكات هذه المجادلة نهائيا بان تؤسس منظمة هدفها تشجيع الاستيطان في الارض المقدسة وذلك بشراء المزارع والكروم وجني ثمارها . هذه الخطة ستبدأ بارق امل لخلاص هؤلاء الذين يسكنون الآن بالجوع والفقر في الارض المقدسة . ان التبرعات الزهيدة التي يجمعها اليهود في العالم لاعالة هؤلاء وسد حاجاتهم هي غير كافية وكثير من هؤلاء الاتقياء يقعون مغمى عليهم في شوارع القدس من شدة جوعهم .

ستكون الحالة مختلفة لو تحمسنا للعمل في الارض بأيدينا . سيبارك الله عملنا بكل تاكيد وهكذا سوف لا نحتاج لاستيراد القمح من مصر او من البلاد المجاورة لان محصولنا سيكون كثيرا . سيتمكن يهود الارض المقدسة من الاستغناء عن مساعدة يهود الشتات حالما يبدأون بأكل انتاجهم .

هناك فائدة اخرى للاستيطان الزراعي الا وهي فائدة تطبيق الوصايا الدينية المتعلقة بالعمل في تربة الارض المقدسة (٤) .

---

٣ ــ شتات اليهود في بلدان خارج فلسطين .

٤ ــ الاشارة هنا الى الشرائع الموجودة في التوراة والتي تصف لليهود طريقة الاستفادة من الارض . على سبيل المثال الوصية القائلة بوجوب عدم زرع الارض في السنة السابعة (اللاويين ٢٥ : ٣ــ٤).

كذلك فاليهود الذين يراقبون العمال الذين يعملـون في الارض يتممون بهذه المساعدة الوصايا الدينية المتعلقة بالارض وكأنهم قاموا بها هم انفسهم.

لكن علاوة على هذا كله سيؤدي العمل الزراعي اليهودي للوصول الى الخلاص ، الخلاص الذي وعد به المسيح المنتظر . واذا ما قدمنا الخلاص للارض بهذه الطريقة الدنيوية ، فستظهر لنا علامات الخلاص تدريجيا . يجب ان لا يكون هناك ادنى شك للخصم العنيد بان هؤلاء الذين يعملـون ليل نهار سيعزفون عن دراسة التوراة والعبادة الروحيـة لانشغالهم في الاشياء العلمانية . ان هذه المجادلة عقيمة وقصيرة النظر . ذلك ان العكس هو الصحيح . فهذه السياسة التي نفترضها ستزيد الاحترام للتوراة . « اذا لم يوجد خبز فسوف لا يوجد دراسة ». فاذا وجد الخبز في ارض فهذا يعني ان الناس يستطيعون الدراسة وهم في راحة عقلية ، وعلاوة على ذلك فنحن متأكدون ان هناك الكثير من الناس في الارض المقدسة من غير علماء التوراة يحبون العمل في الارض . اولئـك الناس سيساعدون العلماء العجزة الذين لا يجرؤ احد ان يقول لهم ان يعملوا في الارض بـل يشجعهم الجميع ان يكرسوا اوقاتهم لخدمة الله .

هذه السياسة ايضا ستعمل على كسب احترام الامم الاخرى اذ انهم سيقولون ان بني اسرائيـل لديهم الارادة ان ينقـذوا ارض اجـدادهم التي هي قاحلة ومتروكة .

لماذا يضحي شعب ايطاليه وشعوب البلاد الاخرى بحياتهم فـداء لارض آبائهم . بينما نحن وكأننا عديمو القوة والشجاعة ، لا نعمل شيئا ؟ هل نحن اقل شأنا من الشعوب الاخرى التي لا يقاس حبها لبلادها بالعيش او بالثروة ؟ لنقتد بالايطاليين والبولونيين والمجريين الذين ضحوا بكل ما لديهم للكفاح من اجل الاستقلال بينما نحـن بني اسرائيل وارثي اقـدس ارض لا نحرك ساكنا . يجب ان نخجل من انفسنا ! كافحت الامم الاخرى من اجل شرف بلادها فقط أفلا يجدر بنا نحن ان نكافح اكثر لان واجبنا هو ليس العمل على احياء مجد اسلافنا فحسب بل العمل على احياء مجد الله الذي اختار صهيون !.

موسى هس (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) Moses Hess

مفكر اجتماعي الماني وصهيوني

ولد في بون ، المانيه ، من اب تاجر وام ابنة حاخام . انتقل اهله وهو في التاسعة من عمره الى مدينة كولونيه ، حيث كان ينوي ابوه الاشتغال بتكرير السكر ، فبقي في عهدة جده الذي علّمه العبرية وبعض اصول الدين وتوسم فيه حاخام المستقبل . لكن هس ما لبث ان انصرف الى تثقيف نفسه حين بلغ سن الرشد وبطل عن ممارسة التقاليد الدينية في العشرين من عمره . اهتم بدراسة الفلسفة والعهد الجديد والتاريخ وكان شديد الاعجاب بالفيزياء والادب الفرنسي . توفيت والدته ١٨٢٥ فاعتراه الحزن والغم وخيبة الامل . وكان حلمه ان يصبح فيلسوفا في مستقبل الايام . فدخل جامعة بون ١٨٣٥ . وكان كارل ماركس طالبا فيها . خضع لتاثير روسو وسبينوزا وتبنّى الكثير من افكارهما في كتابه الاول الذي صدر بدون اسم المؤلف ، وعنوانه : « تاريخ الانسانية المقدس ، اعلان للحرية باسم الروح القدس » بقلم شاب من اتباع الفيلسوف سبينوزا . ويدل ظاهر الكتاب على مسيحيته وورومنطيقيته اكثر من يهوديته وعقلانيته . فقد قلّد فيه كثيرا وعيّن للشعب اليهودي مكانة ثانوية وانتقالية في التاريخ . والحق ان كتابه يبدا بالخلق وينتهي بالثورة الفرنسية ، اذ كانت فرنسه بادبها وتاريخها تمارس سحرا غريبا على نفسه . والكتاب بمثابة تقليد اعمى وتكرار للنظرة الهيغلية التي كانت في اوج انتشارها ونشاطها آنذاك . ولا توجد فيه اية اشارة الى تفحص بنّاء للوضع اليهودي . بل على العكس نجد مؤلفه قد باح في مذكراته بان الدين اليهودي والشرع الموسوي قد ماتا . وبان المسيحية هي دين العصر الذي يسعى لتوحيد جميع بني البشر ، بينما اليهودية تسعى لتوحيد شعب واحد . ففي الثامنة والعشرين من عمره كان هس يتصور لنفسه القيام بدور عظيم ويعي رسالته في تحرير الانسان سياسيا ، اذ يقول : « لقد دعيت على غرار التلميذ يوحنا الى انارة الطريق . ابن الله خلّصهم من عبوديتهم ؟ وانا سوف اخلصهم من عبوديتهم السياسية » . وهنا يبرز اهتمامه السياسي واعتناقه لتلك الإفكار الاشتراكية التي نادى بها على غرار دعوة سان سيمون في فرنسه . هذا السعي اليائس من طرفه لاصلاح اخطاء البشرية جمعاء يتعارض مع صهيونيته اللاحقة واعتقاده بدور اليهود المميز في التاريخ . ويجعله شخصية مزدوجة الى ابعد حدود الازدواجية . فقد عاش بعد ١٨٤٠ في باريس محروما من الاستقرار والاطمئنان وقطع علاقاته باهله ، اذ خرج على العرف والتقليد حين تزوج فتاة شبه امية تصغره بثماني سنوات وكانت مومسا . لكنه اقدم على هذا الزواج تحدوه الرغبة بالتكفير الشخصي عن خطايا الانسان التي تدفع بالنساء الفقيرات الى تعاطي « اقدم مهنة في التاريخ » . وقد عاش وإياها سعيدين ، لكنه اجّل

الزواج الى ما بعد وفاة والده بعام واحد ، ١٨٥٢ ، لكي يضمن حقه بالوراثة . عمل ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣ كمراسل لصحيفة راينيشه تزايتونغ المتطرفة والتي كان يرأس تحريرها كارل ماركس . اشترك في الثورة الالمانية عام ١٨٤٨ وحكم عليه بالموت . وما لبث ان انفصل عن ماركس وانجلز بعد صدور البيان الشيوعي ، لان اشتراكيته لم تتفق في حبها الرومنطيقي للانسان مع النزعة التي تبنّاها ماركس . وقد وصفه ماركس بالسذاجة طيلةحياته، بينما كان الصحافي الالمانياليساري ارنولد روغه يمازحه ناعتا اياه بـ «الحاخام الاحمر » . وكان هس متقلب الشخصية حتى انه عمد الى تنويع كتابة اسمه حسبالظروف والمواقف . فتارة هو موزيس وطورا موريتز وطورا موريس ! وقد عاد الى المانيه ١٨٦١ بعد اعلان العفو السياسي العام حين تبوأ غليوم الاول العرش . وعزّ عليه ان يرىالحركة الاصلاحية واسعة الانتشار في المانيه واقبال اليهود الالمان على الاندماج في تيار الحياة والانصهار في بوتقة الثقافة الالمانية ، فأعلن ان العداء للسامية لا يمكن ان يزول من الوجود على هذه الصورة . وكانت توبته التي اعترف فيها باخطاء حياته الماضية وعبّر عنها في كتابه الشهير « رومه والقدس » الذي نشره ١٨٦٢ . والكتاب كناية عن ١٢ رسالة الىسيدة محزونة علىفقد انسان تحبه . يقدم حلا للمشكلة اليهودية على اساس توطين اليهود في فلسطين . وقد لقي معارضة شديدة من جانب الاصلاحيين اليهود في المانيه ولم يهتم به الاشتراكيون مطلقا . فقد اعتبره ابراهام غايغر « ليس ولادة عهد جديد ، بل القبر المفتوح لعهد مضى » . بينما نجد مارتن بوبر يعتبر هس بادىء الحركة الصهيونية . ويقول عنه هرتزل « كل شيء حاولناه يمكن العثور عليه في آثاره » . اما الدعوة الرئيسية في الكتاب فهي الى قومية يهودية تحرر القدس وتكون بداية عصر الانبثاق الجديد ، على غرار تحرير المدينة الخالدة رومه في التاريخ القديم . وعندما يحين « سبت التاريخ » سوف تفوق القدس الجديدة رومه القديمة في النفوذ والعظمة !! فالشعب اليهودي حين يعي رسالته التاريخية ويشعر بقوميته ويستولي على فلسطين سوف يدشن ثورة الاجناس المضطهدة ضد سلطان الشعوب المستبدة . والدين اليهودي هو المبرر الاول لولادة القومية اليهودية . كما وان تاريخ تطور الانسانية العام والوضع الدولي الراهن يدعمانه . وقد انتهى هس الى القول بان « الوضع العالمي الحاضر يجب ان يشجع اقامة المستعمرات اليهودية في الحال عند قناة السويس وعلى ضفتي الاردن » . ونظر الى مسالتي الحرية والقومية من زاوية عرقية وعنصرية . فالعرق هو الذي يخلق المؤسسات الاجتماعية والمواقف الروحية . وصراع الاجناس في التاريخ يأتي قبل صراع الطبقات . فحين يزول العداء بين الاجناس يتوقف الصراع الطبقي وتعمّ المساواة بين جميع طبقات المجتمع ، هذه المساواة التي تصبح في نهاية المطاف مسالة سوسيولوجية مجردة. ويبدو ان هس كان يتصور عالم المستقبل بمثابة سمفونية رومنطيقية من الثقافات القومية . سافر الى باريس ١٨٦٣ فرحب به يهود فرنسه واشترك في تحقيق مشروع المدرسة الزراعية قرب يافا الذي تبنته الاليانس الاسرائيلية آنذاك . وقد توفي ١٨٧٥ بعد ان اوصى بدفنه في المقبرة اليهودية خارج مدينة كولونيه . وكانت له آراء علمية مقتبسة عن النظرة الحيوية نشرتها زوجته بعد وفاته في كتاب بعنوان «المادية الدينامية» ١٨٧٧ . وعمد خلفاؤه في الصهيونية الى نقل رفاته مخالفين بذلك وصيته !

طريقتي في العودة

عدت الى شعبي بعد عشرين سنة من الابتعاد وها أنذا اشارك شعبي مرة اخرى في افراحه واتراحه وآماله وامانيه . انني اشارك بيت اسرائيل وشعبي والاغيار في الكفاح الروحي والفكري المعاصر . عاش اليهود وكافحوا في بلدان العالم مدة الفي سنة دون ان يختلطوا معهم حتى الصميم . لقد تبين لي ان العاطفة التي ظننت بأني قد كبتها عادت الى الحياة من جديد . انها التفكير في وطنيتي التي ترتبط بتراث اسلافي وبالارض المقدسة وبالمدينة الخالدة. ان منبع الايمان المقدس هو في وحدة الحياة وموطن الامل وفي الاخاء العالمي لكل الناس .

تأججت هذه العاطفة نصف المخنوقة في صدري محاولة التعبير لكن لم تكن لدي الجرأة في ان احيد عن السبيل الذي بدا بعيدا عن اليهودية الى سبيل آخر لم يكن باستطاعتي رسم معالمه بوضوح .

عندما كانت الاخبار تصل قبل عشرين سنة من دمشق الي اوروبه بان هناك تهم باطلة موجهة ضد اليهود (١) . كان اليهود جميعهم يشعرون بالمرارة القصوى ازاء هذا الامر . ولقد واجهنا مرة اخرى جهل الرعاع في آسيه واوروبه وسرعة تصديقهم لهذه التهم بالطريقة عينها التي كانوا يصدقون بها كل وشاية وجهت ضد اليهود خلال الفي العام الماضية . لقد تذكرت متألما ولأول مرة منذ سنين عديدة بأنني انتمي الى شعب تعيس، منبوذ ومحتقر ومشتت . شعب لم يفلح العالم كله في تحطيمه . اردت ان ابكي بحرقة لاعبّر عن وطنيتي اليهودية لكن عاطفتي هذه كانت تكبت رأسا بألم اعظم كان ينتابني الا وهو عذاب الطبقة الكادحة في اوروبه .

---

١ ــ اتهم يهود دمشق في حادثة مشهورة في زمنها في عام ١٨٤٠ بقتل راهب كبوشي هو الاب توماس الذي اختفى . نشر اصدقاؤه الرواية بأن اليهود قد ذبحوه كي يستعملوا دمه في خبز عجينة الفطير (خبز غير مخمّر) في عيد الفصح . وقد قامت السلطات التركية المحلية بالتحقيق « بتهمة الدم » هذه بقسوة بالغة . وقد قام اليهود في العالم بمحاولات اجبرت السلطات التركية عن اطلاق سراح المتهمين .

« طبيعة الالماني الانسانية البحتة » هي في الحقيقة طبيعة العرق الالماني الصرف التي قد تصل الى مفهوم الانسانية نظريا ، اما عمليا فهي لم تتخط بعد الاحاسيس والتنافرات التي تنطوي عليها فطرتها العريقة .

هناك سببان لاصل العداوة الالمانية الموجهة ضد طموحنا اليهودي القومي يعكسان طبيعة الانسان المزدوجة ، ناحيته الروحية والطبيعية وناحيته النظرية والعملية ، المتميزتان والمتناقضتان عند الالمانيين اكثر من اي شعب آخر .

تتناقض فكرة الطموح القومي ككل مع نظرية الالمان الدولية . وعلاوة على هذا فان الالمان يعارضون الطموح القومي اليهودي بسبب نفورهم العرقي الذي لم تستطع حتى انبل المشاعر عندهم التغلب عليه . ان الالماني الذي ثارت « طبيعته الانسانية البحتة » على نشر كتاب ينادي باحياء القومية اليهودية ، هو ذاته الذي لا يعارض نشر كتاب مناوىء لليهود واليهودية رغم ان طبيعة هذا الكتاب تعارض فكرة «الطبيعة الانسانية البحتة اصلا » (٢) . يمكن تفسير هذه العداوة فقط على انها غريزة عرقية لكن يبدو انه لا يوجد لدى الالماني وعي واضح لتعصبه العرقي فهو لا يفرق بين عمله الناجم عن الشعور بالذات وعمله الروحي ويعتبر ان الاثنين يكافحان ليس لقيم الجنس التوتوني «Teutonic» فقط وانما للقيم «الانسانية» الحقيقية . على ان الالماني لا يعرف انه في الواقع ينادي بالقيم الانسانية اسما بينما هو في الحقيقة يتشبث بافكار الشعور بالذات .

ان اليهود التقدميين في المانيه يظنون بان لديهم الحجة الكافية للعدول عن فكرة التعبير عن قومية يهودية . خاب ظن زميلي القديم بيرثولد اويرباخ (٣) ، تماما كخيبة امل ناشر لي سابق ، مع ان هذه الخيبة ليست ناجمة عن فكرة « طبيعة انسانية بحتة » . يتذمر صديقي هذا بمرارة ثم يقول : « من وضعك اميرا علينا لتديننا ؟ » .

---

٢ ــ الناشر الذي رفض الكتاب هو اوثو ويجاند ، كتب الى هيس : « لا اريد ان ترتبط شركتي مع معتقداتك وافكارك ، فالكتاب يعارض كل ما في طبيعتي الانسانية ». (ثيودور زلوسيستي) ، «موزيز هيس» برلين ١٢٢١ ، ص ٢٨١ .

٣ ــ بيرثولد اويرباخ (١٨١٢ ــ ١٨٨٢) كاتب يهودي الماني معروف وهو كاتب رواية وقصة قصيرة . صوّر في كتاباته الحياة اليهودية في المانيه .

يقبل اليهودي في المانيه بان ينكر كل شيء يدل على يهوديته وعرقه وذلك بسبب البغض الذي يحيط به من كل جانب ، ولا يعتقد اليهودي الالماني المثقف ان اية حركة اصلاح راديكالية للدين اليهودي كافية ، على انه حتى اعتناق اليهودي لدين آخر لا يخفف من وطأة كره السامية التي لدى الالمان. ان كره الالمان للدين اليهودي هو اقل من كرههم للعرق اليهودي، ان كرههم للايمان اليهودي الغريب هو اقل من كرههم لشكل الانف اليهودي الغريب . ليس باستطاعة الاصلاح او التنصر او الثقافة او الانعتاق ان تكون كافية لتفتح المجال امام اليهودي الالماني ابواب المجتمع ، لذا تقوده هذه الاشياء للرغبة في ان ينكر اصله. (يشرح مولشوت في كتابه « وصف مختصر لعلم النفس » ص ٢٥٧ ، كيف ان ابن اليهودي المتنصر كان يقضي ساعات امام المرآة محاولا تسريح شعره الاجعد كي يظهر انه من العرق التوتوني) . انه ليس بمقدور حركة الاصلاح «الراديكالية» (٤) ـ وهو اللقب الذي يناسبها تماما لانها تحاول استئصال اليهودية من جذورها ـ ان تنجح ، كما ان تنكر اليهود للصفات القومية والعرقية سيفشل ايضا . ان الانوف اليهودية لا يمكن استصلاحها كما ان الشعر الاسود المجعد لا يمكن تحويله الى شعر اشقر املس. ان العرق اليهودي من العروق الرئيسية في الجنس البشري . وقد حافظ هذ العرق على وحدته رغم التأثيرات المناخية عليه ، كما حافظت السمة اليهودية على نقاوتها عبر العصور .

يقظة الامم الثانية

اذا ما استمر اليهودي في انكار قوميته واذا ما استمر في انكار كونه ينتمي الى شعب غير محظوظ ومضطهد ومنبوذ فان موقفه سيصبح غير محتمل . فلقد اعتبرت الشعوب الاوروبية بان وجود اليهود بينها هو شذوذ . سوف نبقى دائما غرباء بين الامم . قد تدفع الانسانية بعض الامم لاعتاقنا لكنهم سوف لا يحترموننا مطلقا اذا ظل مبدأنا هو ان « موطن المرء حيث ينتفع » . واذا بقينا نؤمن بان يكون هذا هو

٤ ـ بدات « حركة الاصلاح اليهودية » الرسمية في حوالي ١٨٤٠ (ظهرت بعض الحركات قبل جيل تقريبا) نادى دعاتها المتطرفون لمحو كل الآثار التي تعود الى الشعور القومي اليهودي . بما فيها تغيير لغة العبادة الدينية من العبرية الى لغة البلد الذي تتم فيه الصلاة ، واستئصال كلمة صهيون والقدس من كل الصلوات .

مبدأنا الرئيسي نعتبره دينا اعظم من كل ذكرياتنا القومية . قد يتوقف التعصب الديني الذي هو سبب كره اليهود في البلدان المتقدمة حضاريا، لكن اذا ظل اليهودي ينكر قوميته ، رغم النهضة الفكرية والانعتاق ، فسوف لا يكتسب احترام الامم التي يعيش بينها ، قد يصبح هذا اليهودي مواطنا في بلد يأخذ جنسيته لكنه لن يقنع الاغيار ابدا بانفصاله عن قوميته.

اما اليهودي عديم الشرف ، فهو ليس ذلك المحافظ التقي الذي يفضل قطع لسانه على ان يتفوه بكلمة ضد قوميته ، انما هو اليهودي العصري ، مثل يهود المانيه المنبوذين في البلدان الاجنبية ، الذي يخجل من قوميته لان القدر وقف ضد شعبه . وسوف لا تحمي هذا اليهودي جمله المنمقة عن الانسانية والتنور التي يستعملها كي يغطي على خيانته خوفا من ان تنكشف حقيقة امره كاخوته الآخرين ، كما لن تحميه من حكم الرأي العام عليه في النهاية . يختبىء هؤلاء اليهود العصريون عن مسرح جريمتهم وراء مواقعهم الجغرافية او وراء آرائهم الفلسفية عبثا . قد تقنع نفسك تحت الف قناع وقد تغير اسمك ودينك وطباعك وقد تسافر حول العالم متخفيا وذلك كي لا يكتشف الناس بانك يهودي ، لكن هذا كله سيزيد من خزيك واحتقارك اكثر من الخزي والاحتقار الذي ينال ذلك الرجل المخلص ليهوديته والمدافع في سبيل شرف الاسم اليهودي .

هكذا كانت ارائي عندما كنت منهمكا للعمل من اجل البروليتاريا الاوروبية ، كانت معتقداتي ذلك الحين هي نفسها التي اؤمن بها اليوم الا وهي الايمان ببعث تلك الشعوب صانعة التاريخ والحضارة وذلك برفع الادنى الى درجة الاسمى . ما زلت اؤمن الآن كما كنت اؤمن عند نشر كتابي ، بان المسيحية كانت خطوة للتقدم الى الهدف العظيم الذي يسميه الانبياء « عصر المسيح المنتظر » . كذلك ما زلت اعتقد ان الدور التاريخي العالمي قد تجلى اولا بالحياة الروحية للانسان مع ظهور سبينوزا. لم اعتقد يوما كما لم احاول ان اثبت بان المسيحية هي الخطوة النهائية في تاريخ الانسان المقدس او ان التاريخ المقدس قد وصل اوج قمته بسبينوزا . وانه من المؤكد (انا شخصيا لم اشك مطلقا) ان كفاحنا الحاضر للخلاص له معالم اعظم من ان تكون قد تصورتها ، او تستطيع المسيحية تصورها ، كانت المسيحية ، نجما في الظلام ليحقق للشعوب العزاء بعد غياب شمس الحضارة القديمة ، وشعت ببصيص النور على قبور الامم القديمة . وبما ان المسيحية هي دين الموت ، فان مهمتها انتهت ببدء

يقظة الشعوب على حياة ثانية .

يبين تاريخ الامم الاوروبيـــة في السنين الثلاثمئة الماضية ، هـــذه الحقيقةبوضوح، انما اود ان الفتانتباهكم لما يجري الآن في ايطاليه (٦). ينبعث الآن شعب جديد على اشلاء رومه المسيحية . وقـــد علم الاسلام كالمسيحية في الغرب ، فضيلة الاستكانة والاذعان . لذا اتبعت تركيه في فلسطين السياسة نفسها التي اتبعتها النمسه في ايطاليه. وما المسيحية والاسلام الا نقوشا على حجارة قبور الامم التي شيدها الظلم البربري...

لكن جنود الحضارة الحديثة وهم الفرنسيون، آخذون الآن بتحطيم ظلم البرابرة ، ودحرجة حجارة قبور هؤلاء الهاجعين في التراب بسواعد هرقلية . وستبعث الامم الى الحياة مرة اخرى . هناك في تلـــك البلاد التي تؤلف الخط الفاصل بين الغـــرب والشرق اي روسيه ، بولنده ، بروسيه ، النمسه وتركيه ، الملايين من اخواننا الذين يتضرعون الى الله بحماس كي يعيد المملكة اليهودية . ولقد حافظ هؤلاء اليهود على بـــذرة الحياة اليهودية ، التي فيها معنى القومية اليهـــودية باخلاص اكثر مـــن اخوتنا في الغرب . انني اتوجه الى الملايينمن اخوتي المخلصين واقول : « حافظ يا شعبيعلى مستواكعاليا ! فان النواة الحية موجودة فيك مثلما توجد الحياة في حبةالقمح التي كانت مخزونة داخل قبور المومياء المصرية التي تحافظ على قوة تأثرها بعد ان انقطعت عن الحياة لمدة آلاف السنين. وستعمل هذه الحبات جذورا وتعود الى الحياة في حالة زرعها وفيحالة اعطائها الهواء والنور والمطر الكافي ! » .

تستطيع النماذج الارثوذكسية المتصلبة ، والتي كانت قائمة قبـــل بدء هذا القرن ، ان تسترخي الآن وتعود للابداع ثانية . وحتى يكون هذا الابداع شرعيا يجب ان يأتي من قلب افكار القومية اليهودية الحية ومـــن ديننا التاريخي . وليس هناك ما يستطيع اعادة العبقرية الدينية الـــى اليهود الا نهضة قومية تماما مثل العملاق الاسطوري الذي اعاد الحيـــاة الى الارض من جديد ورفع بلمسة منه روحها الى مستوى الوحي النبوي.

٦ ــ كان توحيد ايطاليه اهم حدث خـــلال حياة هيس . اول نتيجـــة عملية للنهضة الايطالية كانت في العام ١٨٤٨ عندما حصل بيدمونت على دستور متحرر (ينص على مساواة اليهود) . وصلتالاحداث قمتها في العام ١٨٧٠ اي عند سقوط نابوليون الثالث في الحرب الفرنسية ــ البروسية والتي انهت الدولة البابوية .

حاول «المتنورون» ان يعرضوا المسرح اليهودي الى ضوء الثقافة الحديثة وذلك بخرق القوقعة الصلبة التي سلح الحاخامات اليهودية بها. لا يستطيع احد حتى مندلسون(٧) العظيم ان يفعل هذا الشيء دون ان يخرب لب اليهودية الداخلي او دينها التاريخي القومي لانه بعمل كهذا سيقود الحياة المقدسة الى الموت.

ما هي اليهودية ؟

ينجم الخطر الرئيسي على اليهودية فقط من هؤلاء المُصلحين الدينيين (لحسن الحظ انقرضت هذه الجماعة الآن) الذين امتصوا خلاصة اليهودية باحتفالاتهم المبتدعة واناقتهم الفارغة وتركوا هيكلا ناحلا لأعظم ظاهرة تاريخية . هؤلاء المصلحون لم يكتفوا بالعمل على تطوير تعاليم اليهودية وفقا لخطوط علمية حديثة ، ولا عملوا على ابراز وتنظيم جمال تقاليد طقوسنا الدينية اليهودية القديمة . بل انهم نهجوا منهج اصلاح ديني قلدوا به الطراز المسيحي ، بشكل لم يتمش مع روح العصر ومتطلباته ولا مع الصفات القومية اليهودية .

انا لا انكر شرعية الاصلاح الديني المسيحي زمن لوثر او الاصلاح الديني اليهودي زمن مندلسون . وكان الاصلاح الديني اليهودي زمن مندلسون هذا اصلاحا ذوقيا اكثر منه اصلاحا دينيا وايديولوجيا . لم يحاول هؤلاء المصلحون ان يعبثوا بالاسس التاريخية الدينية لانهم عرفوا تماما ان هذه الاسس القديمة لا يمكن استبدالها بأسس جديدة . لكن مصلحينا المعاصرين يقترحون اصلاحا من هذا النوع الاخير. ان لاصلاحهم هذا هدف سلبي ـ اذا كان له اي هدف ـ ينادي « بعدم الايمان » بقوميتنا كأساس للدين اليهودي . فليس غريبا اذن ان لا تؤدي هذه الاصلاحات الا الى بلورة فكرة عدم الاكتراث باليهودية والتحول الى النصرانية .

ربما كانت اليهودية ، تماما كالنصرانية ، تتعرض للزوال امام التقدم الفكري لو لم تكن دين عقيدة ودين عبادة قومية . لا يوجد عند

٧ ـ موزيز مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) : فيلسوف وكاتب يهودي الماني شهير في عصر التنوير. وقد ترجم اسفار موسى الخمسة الى الالمانية املا في ان يتعلم اليهود ويؤقلموا انفسهم ثقافيا للحياة الجديدة . وقد كان يهوديا اورثوذكسيا لكن تأثير « تنويره » جعله مثال الاصلاح الديني .

هؤلاء المصلحين اليهود ـ الموجودين في بعض المجتمعات الالمانية ، والذين يعملون جاهدين للمحافظة على عرض اصلاحهم الديني ـ اي احترام للمقومات الاساسية للقومية اليهودية ، فهم يعانون مشقة عظيمة لخنق اي صدى او ذكريات لهذه المقومات من معتقداتهم وعباداتهم . يعتقد هؤلاء المصلحون ان وضع كتاب صلوات وترانيم دينية موسيقية جديدة تحتوي على فلسفة وجدانية تستطيع رفع المعنويات وتحقيق العزاء اكثر من الصلوات العبرية القديمة التي تعبّر عن اسى شعبنا لفقدان ارض اجداده . هذه الصلوات التي حافظت على وحدة ديننا ، هي التي ما زالت تربط بين كل اليهود في العالم .

اتجه المصلحون الدينيون اليهود عندنا في المانيه الى تحويل اليهودية، التي هي شيء قومي وعالمي ، الى نسخة ثانية عن المسيحية وفقا لنموذج عقلاني . كان هذا التقليد غير ضروري في وقت كان الاصل فيه مريضا وفانيا . لقد توجب على المسيحية ، التي خلقت على قبور الامم القديمة ، ان تنسحب من المساهمة في الحياة القومية . ستعاني المسيحية دائما من المعارضة التي لا مهادنة فيها بين التخصيص والتعميم ، بين المادي والروحي الى ان يحل محلها في النهاية دين يرتكز على القومية او التاريخ القومي . وسينظر في مثل هذا المستقبل الى اليهودية كنموذج وكمثال روحي . وسيكون «دين المستقبل» الذي حلم به فلاسفة القرن الثامن عشر واتباعهم الجدد ، لا هو بالتقليد لعبادة الطبيعة الوثنية القديمة ولا بالتقليد لهيكل الديانة المسيحية ـ الحديثة او الديانة اليهودية ـ الحديثة التي تشبه الشبح ، والموجودة في عقول مصلحينا الدينيين الجدد . وسيخلق كل شعب نظامه التاريخي وسيصبح كل شعب ، مثل الشعب اليهودي ، شعب الله .

لا يهدد الطموح القومي والانساني اليهودية ، كما يهدد المسيحية لان روح العصر تقترب في الحقيقة من مفاهيم اليهودية الاساسية التي تشدد على الحياة الحقيقية . الفكرة التي تقول بانه يمكن تاليف راي موحد حول حقيقة الحياة موروثة عن المسيحية . انا لا اوافق مع مندلسون بانه ليس هناك عقائد في اليهودية . انني اعتقد بان التعاليم السماوية اليهودية لم تتمم في اي وقت كان. ولقد حافظت اليهودية على التطور عبر العصور ممثلة بذلك العملية اليهودية التالية المتعلقة بانسجام وحدة الحياة مع روح الشعب اليهودي والانسانية . ان اقدس فرض في اليهودية هو التطور الحر لمعرفة الله بالدراسة المرهقة والبحث المخلص . لهذا السبب لم تقاطع

اليهودية الفكر الفلسفي وتقصيه قط ولهذا السبب ايضا لم يفكر اي يهودي قط في ان يصلح اليهودية على اي اساس فلسفي ، لذا لم يظهر اي نوع من الطائفية في اليهودية . وحتى في العهد الحديث لم تفتقر اليهودية الى العاطفة التي توجد عند اليهود الارثوذوكسيين وغير الارثوذوكسيين منهم لان قاعدة العقيدة اليهودية واسعة بحيث لا تسمح لاي طائفية او انشقاق . ولان هذه القاعدة واسعة فانها تتمكن من ان تحوي كل خلق روحي . لقد وجدت دائما اختلافات بين اليهود حول مفاهيم ميتافيزيقية . لكن اليهودية عرفت المارقين اي الذين اقصوا انفسهم عن مجتمعها . واضاف حاخام متعمق بالعلم ، وهو الذي صرحت امامه بهذا الرأي انه « حتى هؤلاء المارقين لم تنبذهم اليهودية » .

هناك حقبتان تاريخيتان ميزتا تطور الشرائع اليهودية : الاولى بعد الانعتاق من مصر والثانية بعد العودة من بابل . وستأتي الحقبة الثالثة مع الخلاص من المنفى الثالث . يسيء المصلحون فهم الاهمية التشريعية للحقبة الثانية (وهم الذين لا يوجد لديهم اي تصور عن المقدرة العبقرية الخلاقة التي لدى الامة اليهودية) اكثر من حاخامينا الذين يقدمون اهمية المشرعين في هذه الفترة على اهمية موسى لانهم يقولون « كان من الممكن ان تعطى التوراة بواسطة عزرا لو لم يسبقه موسى زمنيا » . لقد تسلمنا التوراة كما هي الآن من رجال هذه الحقبة الثانية . وقد جمع هؤلاء الرجال انفسهم الذين عاشوا في الفترة نفسها والذين لديهم التقاليد والروح ذاتها ، جمعوا القوانين المكتوبة وغير المكتوبة وقدموها للاجيال التي تلتهم . ولا يوجد هناك اي مبرر في ان نعزو القوانين المكتوبة الى اصل اقدس من القوانين غير المكتوبة ، بل على عكس ذلك لقد اعتبر التطور الحيوي للقوانين غير المكتوبة بعد العودة من المنفى البابلي اكثر اهمية من التشبث بالقوانين المكتوبة ، والسبب لهذا واضح جدا .

وربما كانت العبقرية التشريعية القومية انقرضت لو لم يشغل الحكماء انفسهم بالتطوير الحي للقانون . واليهودية مدينة الى هذا النشاط الذي ادى الى النهضة القومية بعد النفي البابلي والى استمرار بقائها في ارض الشتات . ولقد كان هذا التطور هو الذي دفع الابطال اليهود للقتال بشجاعة ضد اليونان والرومان اعداء الامة . وان تطور القانون غير المكتوب ذاته هو الذي حافظ على وجود اليهودية في المنفى لمدة الفي سنة ولهذا التطور ذاته سيدين الشعب اليهودي في بعثه القومي في المستقبل .

هذا ويمكن تبرير كفاح الحاخامات ضد كتابة القوانين. فلو استمروا في تعليم وتطوير القانون شفهيا في المدارس ، لما هددت اليهودية بضياع عقرية تشريعها القومي . لكنهم اجبروا على تقليل القوانين المكتوبة وذلك كي يتحاشوا خطرا اكبر الا وهو الخوف من ضياع القوانين بسبب شتات اليهود . لا يوجد اليوم اي سبب للتخوف من الخطر الثاني . لكننا نستطيع التخلص من الخطر الاول اذا انعشنا الروح النقدية لتجابه الشكليات واذا ايقظنا في افئدتنا ونفوسنا الروح الوطنية التي تحلى بها انبياؤنا وحكماؤنا كرادع للعقلانية الهدامة . وعلى شعبنا ان يعيد نفسه الى مجرى تاريخه الذي اهمله العقلانيون اليهود كثيرا ، وان يضيء في قلوب شبابه تلك الروح التي كانت منبع الحكمة والوحي لانبيائنا وحاخاماتنا . وسيكتسب علماؤنا التشريعيون سلطتهم التي تخلوا عنها منذ اللحظة التي اندفعوا فيها الى دوافع اخرى غير وطنية ، سيكتسبونها مرة اخرى لو بدأنا استمداد الهامنا من منابع اليهودية الرئيسية . هؤلاء العلماء تنكروا لليهودية وشغلوا انفسهم باصلاح القانون اليهودي. وسنبدأ عندها فقط نشارك بالروح المقدسة والتي هي وحدها لها الحق في تطوير القوانين اليهودية كي تتماشى مع حاجة الشعب . وعند انتهاء النفي الثالث سيجد بعث الدولة اليهودية باننا مستعدون بروح صحيحة .

رسالة اسرائيل

ان اليهود العقلانيين ، الذين لديهم سبب ضعيف في ان يبقوا تحت اسم اليهودية بقدر ضعف تشبث المسيحيين العقلانيين بالمسيحية يعملون مثل اصدقائهم المسيحيين على استنباط الحجج للقول بانه لا يوجد هناك داع لاستمرار هذا الدين وفقا لمنطقهم . يعتقد هؤلاء العقلانيون ان اليهود يجب ان يجدوا في تشتتهم حرفة ورسالة . وسلام على قائمة الاعمال السامية التي هيأها «اصدقاؤنا من حركة التنور» لليهود كي ينفذوها في ارض الشتات ! يتوجب عليهم اولا ان يمثلوا التاليه «المطلق» وذلك كي يتميزوا عن النصرانية . والخطوة الثانية هي ان تعلم اليهودية المتسامحة مبادىء الانسانية للمسيحية غير المتسامحة . وعلاوة على ذلك فمن وظائف اليهودية في الشتات ان تهتم بربط الاخلاق مع الحياة التي اقصيت بعضها عن بعض في العالم المسيحي . هل هذا كل شيء يطلبون؟ كلا ، فاليهود باجتهادهم الصناعي والتجاري اصبحوا مهمين للامم المتحضرة التي يعيش اليهود فيها . واصبحوا امرا لا يمكن الاستغناء عنه

لتقدم هذه الامم . حتى انني قد سمعت بان الجنس الهندي ـ الالماني قد تحسن بالاختلاط مع الجنس اليهودي !

لكن لا تنس بان احياء الدولة اليهودية سوف لا يحرم العالم من هذه الفوائد الحقيقية والمتخيلة التي يمنحها اليهود لمن يعيش معهم في ارض الشتات . فمثلا لم يذهب كل اليهود باعجوبة « المسيح المنتظر » الى فلسطين بعد العودة من النفي البابلي ، بل بقيت الاغلبية في ارض المنفى وكانت هناك مستوطنات يهودية بعد شتات اسرائيل واليهودية . لذلك لا يجب ان نتوقع اعجوبة مثل هذه ان تكون ميزة حتمية من ميزات لم شمل اليهود في المستقبل . هذا وانا ارى ان الفوائد المفروض ان يقدمها يهود المنفى للعالم قد بولغ فيها « من اجل القضية » . وانا اعتبر التاكيد على هذه الرسالة لليهود لانهم قاموا بها في الماضي ، وخاصة في نهاية الحقبة التاريخية الثانية ولدرجة ما في العصور الوسطى ، اعتبر هذا خطأ في تسلسل الحوادث التاريخية وليس من الضروري ان تكون لهم هذه الرسالة في الوقت الحاضر .

اما بالنسبة الى تحقيق الوحدة بين الاخلاق والحياة فلا يمكن تحقيقها الا في امة منظمة سياسيا ، حيث تستطيع هذه الامة تجسيدها في مؤسساتها الاجتماعية. ولاكمال البحث نتساءل، اي قسم من اليهود اليوم سيعلم المسيحيين التسامح الديني والانسانية ؟ بالطبع سيقال اليهود الغربيون « المتنورون » . لكن اليس للمسيحي المتنور الحق في ان يردد على اليهودي المتنور كلمات ليسينج (٨) «Lessing» التي وردت في كتابه « ناتان الحكيم » والتي قالها المسيحي المتحرر جوابا لليهودي المتحرر ! « ان الذي يعملني مسيحيا في عينيك هو الذي يعملك يهوديا في عيني».

او ، من جهة اخرى ، هل يتوجب على اليهودي المتحرر ان يقول للمسيحي الارثوذكسي : «ما معتقداتك الا خرافات وما دينك الا تعصبا ؟» الا يستطيع مسيحي متحرر ان يورد الملاحظة نفسها عن **اليهودي**

---

٨ ـ جوتتولد افرايم ليسنج (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) كاتب الماني دفعه تسامحه الديني لان يكتب الرواية الناجحة **« ناتان الحكيم »** (١٧٧٩) وقد اشاع مثل « الحلقات الثلاث » ليرى ان اليهودية والمسيحية والاسلام كلها طرق صحيحة للوصول الى الله . وقد كان صديق موزيز مندلسون . اثرت كتاباته على ايجاد شعور ايجابي لتفهم اليهود في الحلقات المسيحية .

الارثوذكسي ؟ ان تحليل اليهود المثقفين لموقف المسيحيين بان لديهم الغريزة في اضطهاد غيرهم هو خطأ مثل تحليل بيثمان هوليج (٩) الذي يتهم اليهود بالتهمة ذاتها . ان مثل هذه المهاترة لا تستطيع ان تفسر او تغير مجرى التاريخ .

ومن باب التنوير ، انا لا ارى اي سبب متين يدعو الى استمرار اليهودية او المسيحية . ان لليهودي الذي لا يؤمن ببعث قومية شعبه وظيفة واحدة الا وهي العمل ــ مثل المسيحي المتنور على انهاء دينه . استطيع ان افهم كيف يمكن للانسان ان يكوّن رايا كهذا . لكن الذي لا استطيع فهمه هو كيف يمكن الايمان بالتنور وفي الوقت نفسه « الايمان برسالة اليهود في ارض الشتات» ــ اي كيف يمكن الاعتقاد بتدمير اليهودية نهائيا وباستمرارها في آن واحد .

الامة كجزء من الانسانية

اعتقد ان صفات اليهودية القومية لا تستثني النظرة العالمية والحضارة الحديثة ، بل على العكس اذ ان هذه القيم هي النتيجة المنطقية لصفاتنا القومية . على اية حال اذا انا شددت على الاصول القومية لليهودية بدلا من التشديد على ثمارها العالمية فالسبب هو ان الناس في وقتنا الحاضر منهمكون بتزيين انفسهم بازهار التراث بدلا من استثمارها في التربة التي تنمو بها هذه الزهور . اليهودية هي اساس نظرتنا المعاصرة للحياة العالمية كلها . فلو نظرنا في التعاليم الخلقية المسيحية ، او في فلسفة العصور الوسطى العلمانية او في الحركة الانسانية الحديثة ــ حتى اذا اضفنا حركات اليهودية الحديثة وفلسفة سبينوزا ــ لوجدنا ان كل هذه الحركات تنبع من اليهودية ، حتى الفلسفة الحديثة . اذ لم يوجد حتى بدء الثورة الفرنسية ، اي شعب في العالم له دين ذو صفة قومية وعالمية في آن واحد الا الشعب اليهودي . اصبح تاريخ الانسانية مقدسا من خلال اليهودية ، واعني هنا ان التاريخ اصبح تطورا عضويا وموحدا يعود في اصله الى حب الاسرة . وسوف لا يتم هذا التطور الا اذا اصبحت الانسانية كلها اسرة واحدة يتحد اعضاؤها بالروح القدس

---

٩ ــ موريتز اوجست فون بيثمان هوليج (١٧٩٥ ــ ١٨٧٧) وهو عالم شريعة ورجل دولة بروسي وزعيم الحزب الليبرالي ــ المحافظ . عندما كان هس يكتب كان هوليج وزيرا للاديان في الحكومة البروسية (حفيده ثيوبالد كان السكرتير الاول في المانيه ١٩٠٩ ــ ١٩١٧) .

وبابداع التاريخ العبقري ، بقوة كاتحاد اعضاء الجسم بقوة ابداع الطبيعة المقدسة . وبما انه ليس هناك اي شعب غير اليهود له دين يربط العناصر القومية والعالمية والتاريخية معا فاليهود اذن هم وحدهم شعب الله . ومنذ الثورة الفرنسية اصبح الشعب الفرنسي والشعوب التي سارت على خطاه منافسينا الاشراف وحلفاءنا المخلصين .

سيتحقق الطموح العالمي ، والذي احترمه ، ويثمر بانتصار هذه الامم النهائي على ردة فعل العصور الوسطى ، بشرط ان تكون هذه الامم مخلصة بعيدة عن النفاق والكلمات المعسولة . ان فكرة النظرة العالمية المعادية للقومية هي غير مجدية كحركة العصور الوسطى القومية المعادية للفكرة العالمية . ارى في الحركة العالمية المعادية للقومية نظريا ـ وهنا سأحاول التعبير عن رأيي بألطف ما يمكن ـ ارى فيها احلاما مثالية اكثر من كونها افكارا واقعية . اننا مشبعون بعطر الحب الروحي وبمخدرات الحركة الانسانية حتى اصبحنا لا نتجاوب مع الاحزان التي تسببها العداوة الموجودة بين اعضاء الاسرة العالمية . ولا يمكن استئصال هذه العداوة بالوعظات التي تمتدح التنور بل بعملية التطور التاريخي التي تعتمد على قوانين ثابتة مثل قوانين الطبيعة .

لا تنتج الطبيعة ازهارا وثمارا ونباتات وحيوانات جميعها تتشابه لانها تمثل شيئا مشتركا . ان الطبيعة على عكس ذلك تنتج نباتات وحيوانات معينة ومحدودة . وتنتج القوة الخلاقة في التاريخ شعوبا بالطريقة ذاتها. المملكة النباتية والمملكة الحيوانية تريان في الانسان بلوغهما درجة الكمال . لكن لحياة الانسان ابعاد الاستقلال الفريدة ـ وهي مجال الحياة الاجتماعية ـ لذا فحياته ما زالت في عملية تطور . تبدأ حياة الانسان في المجتمع بتمييز رئيسي بين اقوام من الناس ، والتي هي في البدء كالنبات توجد جنبا الى جنب ومن ثم تحارب بعضها بعضا كالحيوانات وتحطم بعضها بعضا او تمتص الواحدة الاخرى . لكن سيعيش الناس في النهاية معا وذلك كي يحصلوا على الحرية المطلقة ويعيشوا بصداقة حتى يكون الانسان معينا لغيره ، هذا دون ان يفقد الفرد هويته المميزة .

لا تقوم الحركات المعاصرة لتحقيق الذات القومية فقط بعدم حجب الاهتمام بكل الانسانية ، انما تؤكد على هذا بقوة . فهي حركات منفردة ليست موجهة ضد الحركة العالمية انما هي ضد الاشياء التي تعتدي عليها وتسبب انحطاطها ، وضد ميول الصناعة والحضارة المتزايدة التي تهدد

كل اصل عضوي للقوة الحياتية بالموت ، وذلك بجعل الحياة ميكانيكية . كان وجود هذه الميول مقبولا عندما كانت موجهة ضد المؤسسات القديمة المحتضرة ، ولا يمكن ان يكون هناك اعتراضات على ميول الحركة العالمية اذا كانت هذه الميول تعمل جاهدة على تقريب امم العالم بعضها الى بعض. لكن لسوء الحظ ذهبت هذه الحركة العالمية الى حد اكثر من اللزوم ! ذهبت الى حد انكار الشيء المثالي والخلاّق في الحياة وفي العلم ، لذلك اصيبت الحياة العصريّة بالمرض من جراء غازات المثالية والعلم ومن جراء غبار الذرة . ولقد ازدادت هذه الاشياء الفتاكة كانها العفونة تركزت على القمح الاحمر فخنقت الحياة الموجودة في البراعم. وانه ضد هذه الاشياء المريضة التي تهاجم اقدس مبادىء الحياة الخلاقة ، تقف الميول القومية في عصرنا ، وانني لأتوسل الى قوى القومية اليهودية الاساسية للعمل ضد هذه القوى المخرّبة .

فكرة « سبت » التاريخ

يبدو انه لا يمكن الانكار بان الحقيقة لا تنقسم وان الحقيقة العلمية لا يمكن ان تكون مختلفة في طبيعتها على الحقيقة الفلسفية او الدينية . على كل فما دام هناك نزاع بين مجالات العلم المختلفة هذه فأنا لا استطيع بهذه الاسطر القليلة ان اوضح بان العلم والفلسفة والدين لا ينفصل الواحد منها عن الآخر ، وعلى اسوأ الاحتمالات قد تستمر مجالات المعرفة هذه في ان تتجاهل بعضها بعضا لكن في النهاية ستساند كل منها الاخرى الى ان تتحد هذه المجالات على صعيد حقيقة واحدة .

دعونا نبدأ اولا في تعريف مفهوم « الحرية » ومفهوم « التقدم » لان هذين المفهومين يستعملان الآن كثيرا دون تحديد .

ليس الاعتقاد بقانون مقدس عقلاني ومعروف كما هو ظاهر للانسانية من تعاليم وتاريخ اليهودية ــ هذا الاعتقاد بالعناية الالهية بترتيب الخلق ترتيبا عقلانيا ــ ليس اعتقادا اعمى ومميتا الى درجة ابعد من ان يتأثر بالانسان ، مع ان مفهوما من هذا النوع يستثني اية فكرة عشوائية واي ارادة الهية مخالفة للشريعة . انا لا اتفق مع الماديين بأن العالم العضوي الروحي معرّض للقوانين الميكانيكية ذاتها التي يتعرض لها العالم غير العضوي . اني اؤكد عكس ذلك . ان ظواهر الكون الميكانيكية المبانة ، لها الخطة ذاتها والهدف ذاته وتنبع هذه الظواهر جميعها من الحياة المقدسة نفسها التي تنبع منها الظواهر الروحية والعضوية، ان الطبيعة والانسانية

ناجمتان عن القانون الالهي ذاته . وما الفرق الا ان الطبيعة تتبع هذا القانون دون تفكير بينما الانسان ، عندما يكمل تطوره ، يخضع لهذا القانون بوعي وارادة منه . وهناك فرق آخر يؤدي جهله الى اساءة فهم معنى مفهوم « الحرية » ومفهوم « التقدم » ، وهو انه بينما اتمت الطبيعة تطورها في العالم الكوني والعالم العضوي ، اللذين هما اساس مجالنا الاجتماعي والانساني في الحياة ، فهي ما زالت في منتصف عملية خلق الحياة على الصعيد الانساني . وطالما ان المجتمع الانساني منهمك في خلق ترتيبه العضوي ، فالانسان الذي هو العامل الرئيسي في عملية الخلق هذه ، يبدو غير مسؤول وغير حر مع انه في مداره هو خلاق كالطبيعة الخلاقة في مدار قوانينها الالهية الخالدة . ويبدو هنا مفهوم الحرية الانسانية ظالما لاننا لا نعرف بعد القانون الذي ينظم حياتنا الاجتماعية ، اي هدفها النهائي ، لاننا لا نستطيع ان نعرف هذا القانون بالخبرة ونحن ما زلنا في منتصف حركة التطور .

وبينما ما يزال العلم صامتا عن هذه القوانين التي تطور حياتنا الاجتماعية ، فقد اكتشفها ديننا العبقري منذ زمن بعيد . فنحن اليهود دائما ومنذ بدء تاريخنا لدينا الايمان بحقبة « المسيح المنتظر » المقبلة . وقد عبرنا عن هذا الاعتقاد رمزيا في ديننا التاريخي باحتفالات ايام السبت . فاحتفالات يوم السبت هي تجسيد للفكرة العظيمة التي تبعث النشاط فينا دائما ، هذه الفكرة هي ان المستقبل سيحقق السبت التاريخي ، تماما كما اعطانا في الماضي السبت الطبيعي ـ وبعبارة اخرى ـ سيحقق التاريخ ، كالطبيعة ، حقبته المنسجمة الكمال .

ولقد جاءت قصة الخلق الموجودة في التوراة من اجل تبيان فكرة السبت . تخبرنا هذه القصة بلغة رمزية بانه عندما تم خلق الطبيعة وبعد خلق الانسان كأرقى مخلوق عضوي على وجه البسيطة ـ احتفل الخالق بسبته الطبيعي ومن هذه اللحظة بدأ عمل التاريخ . كما بدأ ايضا تاريخ خلق العالم الاجتماعي والذي سيحتفل بيوم سبته بعد انتهاء مهمة تاريخ العالم وذلك بقدوم « المسيح المنتظر » . نستطيع ان نرى هنا من هذا المفهوم القيمة الخلقية العالية لقصة الخلق الموسوية والتي هي قصة رمزية وليست نسقا علميا كما يعتقد بعض مفكري ما بعد الطبيعة الضيقي الافق . تلهمنا اذن شريعة السبت الموجودة في التوراة بشعور مؤكد على ان قانونا موحدا وخالدا يحكم عالم الطبيعة وعالم التاريخ على حد سواء . اما هؤلاء الذين لا يستطيعون ان يفهموا الرؤيا التي منحها الدين العبقري

اليهودي ، فيتخيلون ان « التقدم » التاريخي للانسانية هو غير شرعي وغير محدد ولا نهاية له ، وتظهر لهم حياة الطبيعة التي يقارنونها بالتاريخ، لانها وصلت نهاية التطور ، تظهر لهم وكأنها عالم مغلق ذو قوانين محددة معروفة . على انه يبدو الآن ان هذا الفرق الظاهر بين قوانين الطبيعة وقوانين التاريخ هو مجرد فرق ينجم عن تصور شخصي لا يستطيع ان يصل الى مستوى فهم القانون الالهي . ويجب ان لا تفهم الحرية الناجمة عن نشاط التاريخ الخلاق وكأنها نتيجة عشوائية لعمل الارادة . وبالمنطق نفسه يستنتج انها غير متناهية .

كل كائن حر ، بالمعنى الطبيعي ، ويستطيع تطوير مصيره وفقا لنداء من داخله ، ووفقا لميوله الطبيعية دون اي قيود خارجية . لكن الكائن حر من الناحية الخلقية في ان يقرر مصيره بوعي وارادة مطابقين للقانون الالهي او الارادة الالهية . واي نوع آخر من الارادة هو باطل ولا يأخذ قسما من فعل الارادة المقدسة وانما يعود وجوده الى بواعث انانية. لدى الانسان ميول لان يتبع غرائزه وعواطفه التي تدفعه لان يحيد عن طريق العقل والاخلاق اذا لم يكن كيانه الداخلي قد تطور بما فيه الكفاية. ولا يستطيع الانسان ان يفاخر بقدراته السلبية والتي هي مرض يدل على عدم التطور وهذه القدرات لا ترفعه اعلى من مستوى الحيوان انما تضعه في مستوى اقل من هذا لان حياة الحيوانات وحياة النباتات قد وصلت الى اعلى درجة تطور تستطيع تحقيقها .

نحو عودة يهودية

ألم تقرأ كلمات النبي اشعيا ؟ « عزوا عزوا شعبي يقول الهكم . طيبوا قلب اورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل ان اثمها قد عفي عنه انها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. . . اعدوا طريق الرب. قوّموا في القفر سبيلا لالهنا . كل وطاء يرتفع وكل جبل واكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا . فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعا لان فم الرب تكلم» (١٠) . الا تؤمن بكلمات نبوءات اشعيا الثاني الافتتاحية هذه . وبكلمات الآية الاخيرة من سفر عوبديا (١ : ٢١) (١١) بانها تصور ايامنا هذه ؟ الم يعمل كل شيء وحتى انه هيىء ؟ الم تعبّد

١٠ ــ اشعيا : ٤٠ : ١ ــ ٥ .

١١ ــ « ويصعد مخلصون على جبل صهيون ليدينوا جبل عيسو ويكون الملك للرب » .

طريق الحضارة في الصحراء بحفر قناة السويس وبمد الخطوط الحديدية التي تصل اوروبه بآسيه ؟ صحيح ان هذه الاشياء لا تعكس اي ملاحظة لبناء امتنا ثانية ، لكنك تعرف المثل القائل : الانسان يقترح والله ينفذ .

ولكي نبعث الامة اليهودية الى الحياة ثانية يتوجب علينا ان نبقي فكرة البعث السياسي لامتنا حية اولا ، وان نوقظ هذا الامل حيث بدأ يغط في سبات عميق ثانيا . وعندما تتهيأ الظروف السياسية في الشرق لدرجة تسمح لتنظيم عودة الدولة اليهودية للحياة ، ستكون هذه العودة بتأسيس مستعمرات في ارض اجدادنا ولا شك ان المساعي الفرنسية ستمد لنا يد العون . ستكون فرنسه ، صديقتنا الحبيبة ، المخلص الذي سيعيد لشعبنا مكانته في التاريخ العالمي .

وكما بحثنا مرة في الغرب عن طريق للهند وبطريق الصدفة اكتشفنا عالما جديدا ، كذلك ستكتشف بلاد اجدادنا ثانية على الطريق الى الهند او الصين التي تبنى الآن في الشرق . اما زلت تشك في ان فرنسه ستساعد اليهود على تأسيس مستعمرات قد تمتد من السويس الى القدس ومن ضفاف نهر الاردن الى البحر الابيض المتوسط ؟ واني لأرجوك ان تقرأ ما كتب لاهاران في كتاب اسمه «المسألة الشرقية الجديدة» ونشره دنتو، الناشر العظيم ، وقد ظهر الكتاب بعد المجزرة في سوريه (١٢) بوقت قصير . لا اظن ان الكاتب الف كتابه بطلب من الحكومة الفرنسية انما تصرف وفقا لروح الامة الفرنسية عندما حض اخواننا على ان يعيدوا دولتهم القديمة على اسس سياسية وانسانية وليس دينية .

لذا اقترح بأن يقرأ يهودنا المعاصرون الذين لهم شرف التمسك بالانسانية وهي تلك الشيمة التي اتخذوها من الشعب الفرنسي . وسأقتبس الآن بعض الصفحات من هذا الكتاب ، « المسألة الشرقية الجديدة » لمؤلفه ارنست لاهاران (١٣) .

---

١٢ ــ انظر الملاحظة الاولى .

١٣ ــ ارنست لاهاران كان السكرتير الخاص لنابوليون الثالث خلال فترة ازدهار نفوذ فرنسه في سوريه . نشر كتابه « الصهيوني » في باريس في العام ١٨٦٠ تحت عنوان « المسألة الشرقية ــ اعادة بناء الامة اليهودية » لم يأخذ احد هذا الموضوع جديا في ذلك الوقت غير هيس . اما لاهاران نفسه فكان شخصية شبه غامضة ولا نعرف الكثير عن حياته .

« لا يستطيع اي فرد من الجنس اليهودي بأن يتخلى عن حق شعبه الاساسي الذي لا ينكر ، في ملكية ارض اسلافه من غير ان ينكر ماضيه واجداده . ان عملا مثل هذا لا يمكن تصوره في وقت لا تعيقه فيه احوال اوروبه السياسية بل ستعمل على تحقيق هذا العمل .

اية قوة اوروبية ستمنع اليوم فكرة ان يشتري اليهود ، متحدين في مؤتمر ، ارض اجدادهم ثانية ؟

من سيعارض اليهود لو اعطوا حفنة من الذهب الى تركيه لتقوي من عزيمتها الواهنة وقالوا لها : ردي الينا وطننا واستعملي هذه الدراهم كي تحدّي من تداعي امبراطوريتك ؟

نداء عظيم يوجه لليهود : ستكونون مركز اتصال عظيم بين القارات الثلاث . ولسوف تكونون حملة الحضارة الى شعوب لا تعرفها وستكونون معلمينهم في العلوم الاوروبية التي ساهم اجدادكم فيها كثيرا . ولسوف تكونون الوسيط بين اوروبه وآسيه البعيدة وذلك كي تمهدوا الطرق التي تقود الى الهند والصين ــ تلك المناطق المعزولة التي يجب ان تعرض للحضارة . ولسوف تعودون الى ارض آبائكم متوّجين بتاج استشهادكم على مر العصور وستشفون من جميع امراضكم نهائيا .

وسيعيد راسمالكم الحياة للارض القاحلة وسيحوّل عملكم وصناعتكم التربة القديمة الى وديان مثمرة وستستخلصون الارض من براثن الصحراء ، ومن ثم ستعيد شعوب العالم الاحترام لاقدم امة بين الشعوب » .

تعليقات :

١ ــ الابداع اليهودي

انه « فقط بعد انطفاء شعلة الحياة القومية عند الشعب، الذي اذاب المعايير الدينية الى الدرجة ذاتها التي اذابت هذه المعايير الحياة القومية لدى ذاك الشعب » ان اقتبست هذه المعايير شكلا هاما ، لكن هذا الجفاف سيختفي عندما تستيقظ الحياة الوطنية المنطفئة وعندما يتغلغل تيار التطور القومي التاريخي الحر ثانية داخل تلك الشكليات الدينية المتزمتة.

ولقد هجرت الروح القدسية ، تلك العبقرية الخلاقة في الشعب ،

والتي منها نبعت الحياة والتعاليم اليهودية ، هجرت اسرائيل عندما بدأ بنوها يشعرون بالخجل من قوميتهم . وستنشط هذه الروح ثانية عندما يستيقظ هذا الشعب مجددا . وستخلق هذه الروح اشياء في المستقبل لا نستطيع حتى تصورها في الوقت الحاضر . لا يستطيع احد ان يخبر مسبقا كيف سيكون شكل الحياة الجديدة وروحها في الامة المنبعثة . اما بالنسبة الى تعبيرهم الديني وخاصة فيما يتعلق بالدين اليهودي ، فمن المؤكد انهم سيختلفون في تعبيرهم الديني عما هم عليه في الحاضر وعما كانوا عليه في الماضي .

٢ ـ التعصب والعقيدة والعودة

تعتقد ان الامم المسيحية سوف لا تعارض عودة الدولة اليهودية الى الحياة لانهم بهذه الطريقة سيتخلصون من شعب غريب بينهم كان شوكة في جنبهم . ويبدو لك ان هذه العواطف صادرة عن رغبة لطيفة عبرت عن نفسها في الماضي بطرق اكثر وحشية في ثورتها ضد اليهود . وتعتقد ان هذا « اللطف » الجديد سيكون راحة غير كاملة لاخواننا . ومن جهة اخرى ترى ان هذا النوع من المشاريع ضرب من الحماقة التي تقود في النهاية الى الجنون الديني او الدنيوي ، وعلاوة على هذا فاذا اتت هذه المشاريع من مسيحيين اتقياء فسيقاومها اليهود كلهم ، ومن الناحية الاخرى اذا جاءت هذه العودة اليهودية من قبل يهود اتقياء فهذا يعني معارضة المسيحيين كلهم . وكما يوافق اليهود على العودة الى فلسطين شريطة ان يعاد التقليد الديني للتضحية (١٤) الى القدس الجديدة ، كذلك سيساعدنا المسيحيون بمثل هذا المشروع شريطة ان نقدم ديننا كذبيحة فداء للمسيحية على مذبح كنيسة القيامة . وهكذا تستنتج ان كل آمال اليهود القومية ستؤسس على صخرة هذه الفروق الدينية .

انني اعتقد بانه اذا لم يوجد هناك حل للعقيدة المسيحية المتزمتة واليهودية الارثوذوكسية غير المرنة فان هذه الاشياء ستخلق حتما عائقا عظيما في طريق تحقيق املنا القومي . اذن فكرة استرجاع اراضي آبائنا يجب ان تدرس بصورة جدية فقط عند تحطيم هذا التزمت . ان هذه هي

---

١٤ ـ وهي العادة الموروثة عن التوراة والتي بها يضحى لله بذبائح من الحيوانات على المعبد في القدس . (راجع الاصحاحات الاولى من سفر اللاويين) .

المشكلة اليوم وهي ليست فقط بين المسيحيين واليهود الارثوذكسيين انما بين المتحررين منهم ايضا .

٣ ـ تغيير في الروح

ان المشكلة الرئيسية في الحركة اليهودية القومية ليست دينية في طبيعتها انما تتركز على نقطة واحدة وهي كيف يتم ايقاظ روح الوطنية المتأججة في قلوب اليهود التقدميين وكيف يتم تحرير الشعب اليهودي بهذه الروح الوطنية من الشكليات الميتة للروح. فاذا حققنا هذه الخطوة الرئيسية يمكننا التغلب على الصعوبات مهما بلغت وذلك بالخبرة نفسها. ستخيب آمالنا فقط اذا كان القلب اليهودي قد مات واذا خبا عند اليهود الالهام الوطني ، عندها ستخيب آمالنا ، وكأي مثالية تاريخية عظيمة لا يمكن تحقيق املنا دون كفاح مرير .

ان معارضة اليهود التقدميين لعودة الدولة اليهودية لا تعتمد في اساسها على ذلك النوع من الثقافة الروحية التي لا تنكمش على بعضها عند مواجهتها العوائق في طريق عمل عظيم ـ بل تعمد الى تقدير التضحية التي قد يحتاجها هدف تحقيق هذه العودة . انهم على عكس ذلك ذوو عقلية خلقية وفكرية ضيقة الافق لا ترتفع الى ذلك المستوى العالي الذي يستطيع الانسان من خلاله ان يتحسس مدى مصائب شعبنا ، او كيف يكمن خلاصه .

ان الدين اليهودي اصبح بالفعل ، كما ظن هاين ـ ومعه ظن اليهود « المتنورون » كلهم ـ مصيبة اكثر منه دينا خلال الفي العام الماضية. لكن يهودنا التقدميين هم مخطئون اذا ظنوا ان باستطاعتهم النجاة من هذه المصيبة بالتنور او التنصر . كل يهودي ، شاء أم أبى ، مربوط بالامة برباط وثيق ، وعندما يتخلص الشعب اليهودي من اعبائه التي حملها آلاف السنين ببطولة ، عندها سيزول عبء اليهودية عن كاهل اليهود « التقدميين » الذين هم دائما الاقلية المتلاشية . انه لمن واجبنا جميعا بأن نحمل « نير مملكة السماء » حتى النهاية .

٤ ـ البعث الاجتماعي

لا تتحرك جماهير الشعب الى الامام بمفاهيم مجردة ، لان منابع العمل تكمن في مكان اعمق من ان يتصوره حتى الثوريون الاشتراكيون .

يتوجب على الاستقلال القومي ان يسبق التقدم السياسي الاجتماعي وخاصة لليهود اكثر منه لاية امة اخرى عاشت ولو محكومة ، ولكن ، ان وجود ارض وطن مشتركة هو شرط اساسي لادخال علاقة صحيحة بين راس المال والعمل عند اليهود . والانسان الاجتماعي ، كالنبات الاجتماعي او الحيوان الاجتماعي ، يحتاج الى ارض حرة وفسيحة لنموه وتطوره . دون هذا الشرط يهبط الانسان الى رتبة الطفيليات التي تعتمد في غذائها على الغير . وقد لعبت طريقة العيش الطفيلية هذه دورا مهما في صنع التاريخ الانساني ولم تقتصر على اليهود فقط . وما دام العلم والصناعة لم يتطورا بما فيه الكفاية ، فان الارض التي في حوزة تلك الامة سوف لا تكفي السكان كلهم ، لذا اضطرت الامم على ان تحارب وتستعبد بعضها بعضا او ان تسمح لشعبها ان ينقسم الى طبقة حاكمة واخرى محكومة . لكن هذا النظام الاجتماعي الذي ينهش به الناس بعضهم والذي يعتمد على استغلال الافراد بعضهم لبعض قد توارى عندما تقدم العلم والصناعة واصبحا يسيطران على العالم .

تهيىء الامم المتقدمة الآن لاستغلال عام للطبيعة . سيتحقق هذا بطرق العمل المتركزة على الاكتشافات العلمية وبذا ستختفي الطفيليات الاجتماعية لانه لن يكون لها اي مكان في مثل هذا النظام . ان الامم تتهيأ لهذا العصر الجديد (الذي يجب ان لا يخلط بينه وبين العصر البروسي الجديد) (١٥) بالكفاح من اجل ارض حرة ، وبمحاولة الغاء خضوع عرق او طبقة لقوة داخلية او خارجية ، وذلك بالتعاضد الحر لكل القوى المنتجة والتي بها سيختفي هذا العداء بين النظرة الراسمالية والطبقة المنتجة وفي الوقت ذاته ستختفي مجالات الاختلاف بين النظرة الفلسفية والبحث العلمي .

انني اعرف جيدا بان اليهود يشعرون بالحاجة الملحة الى ظروف عمل عادلة وصحيحة تعتمد كليا على استغلال الانسان للطبيعة ، وانني اعرف جيدا بان اليهود يبذلون جهدهم لتدريب الجيل الجديد لان يكون افراده عمالا نافعين . وانني اعرف ايضا بان معظم اليهود في المنفى لا

---

١٥ ـ يتهكم هيس على الحالة الحاضرة . تتميز السنوات ١٨٥٩ ـ ١٨٦٢ بحكم وليم الاول على بروسيه الذي اختلف مع النظام الموجود على تأسيس نظام ليبرالي . انتهت سنين الاختلاف هذه في العام ١٨٦٢ بعودة القوات العسكرية الملكية المحافظة للحكم .

يستطيعون ان يتفرغوا بنجاح كي يكونوا قوة عمل منتجة : والسبب الاول هو انهم يفتقرون للشرط الاساسي وهو ارض موروثة عن الاجداد . ثانيا لان اليهود لا يستطيعون الذوبان في المجتمع الذي يعيشون فيه دون ان ينقضوا اخلاصهم لدينهم القومي وتقاليدهم . هذه الجهود المفروضة لتحسين احوال العمل اليهودي ستكون غير مثمرة على العموم ، تماما مثل جهود حركة الاضلاح التي قادت الى النتائج نفسها ، وستكون غير مثمرة لانها ستسبب تدمير الطقوس الدينيةاليهودية. لا يمكن بعث اليهود الذين في المنفى . ان الاصلاح والاحسان الىاليهود سيقودهم الى الجحود الديني ، ولن يستطيع اي مصلح او حتى اي طاغية ان ينجح في هذا .

سيساهم الشعب اليهودي في حركة التاريخ العظيمة في عصر الانسانية هذا فقط عندما يسترجع هذا الشعب ارض اجداده وليس لليهود اي بعث ما دامت جماهيرهم تعاني من عدم المساواة . حتى اولئك اليهود القلائل الذين تخلوا عن هويتهم اليهودية كليا كي ينجوا كافراد من مصير الشعب اليهودي سيتأثرون ويحتقرون اكثر من اولئك الذين لم يتخلوا عن دينهم فبقوا مضطهدين ولكنهم حافظوا على كرامتهم . لذلك لا يستطيع اي يهودي سواء كان ارثوذوكسيا ام لا ، ان لا يتعاون معالبقية لرفع مستوى اليهود كلهم . ان على كل يهودي حتى الذين انحازوا عن الدين ان يتمسكوا بقضيتهم وان يعملوا لبعث اسرائيل .

٥ ـ مركز روحي

اننا عندما نتكلم عن اقامة مستعمرات في الشرق لا نعني بأن يهاجر يهود الغرب كلهم الى فلسطين . ذلك ان اغلبية اليهود الذين يعيشون في بلدان متمدنة في الغرب لا بد ان يبقوا حيث هم حتى بعد تأسيس دولة يهودية .

سوف لا يتخلى اليهود الغربيون الذين استطاعوا ان يشقوا طريقهم الى الحضارة الغربية بجهد بالغ ويحققوا لانفسهم مركزا اجتماعيا ، سوف لا يتخلوا عن اي نجاح حققوه حتى لو كانت عودة اليهودية اكثر من امنية دينية . ان تضحية ذات نتيجة محدودة كهذه هي ضد طبيعة الانسان ولا يمكن توقعها حتى من يهودي متحمس ، فكيف نتوقعها من « متعلمينا » المحدثين الذين استطاعوا ان يفصموا علاقاتهم مع اسرتهم اليهودية ومع اخوتهم التعساء والذين يفاخرون بانهم تخلوا عن احزان شعبهم . على كل

فهذا سوف لا يمنع ذوي الطبائع النبيلة من اليهود ان يهتموا ثانية بالشعب اليهودي الذي لا يعرفونه فيساندونه في مهمته التاريخية وعندما تتوفر لديه الشجاعة كي يطالب بارض اجداده ليس من الله بالصلاة فقط كما هي الحال الآن انما ايضا من الانسان .

لقد كانت هناك وحدة اساسية بين اليهود حتى بين اولئك المشتتين في اصقاع الارض . حافظ اليهود على العلاقة مع مراكزهم الدينية حيثما كانت . وليس هناك امة تأثرت باي حركة روحية كما تأثر اليهود . حتى في القديم ، لم يمنع التشتت هذا الشعب المرموق من المشاركة بكل نشاط قومي سواء كان ذلك مشاركة في الافراح او في الاحزان . ان البعد ، في الوقت الحاضر ، لم يعد مشكلة ، لذلك فان عدد اليهود الذين سيسكنون داخل الدولة اليهودية او خارجها لم يعد مهما . عاش كثير من اليهود خارج وطنهم حتى في زمن الدولة اليهودية القديمة . وفي عصر الهيكل الثاني كان باستطاعة هامان ، الذي كان يكره اليهود ، ان يردد الكلمات التي يرددها اعداء اليهود اليوم وبصورة مستمرة وهي: « هناك امة مفرقة في الخارج ومشتتة بين الشعوب » . هذا ويكاد لا يكون هناك اية امة متحضرة ليس لها افراد في اراض اجنبية ، يعيشون كأجانب او كمواطنين متجنسين. وطالما انه ليس لليهود دولة مستقلة معترف بها في القانون الدولي كدولة متحضرة ، يجب على اليهود ان يحصلوا على الجنسية وعلى « التحرر » مع عدم التخلي عن فكرة اعادة الدولة اليهودية . ولن تحاول اية امة من الامم ، بعد الآن ولو لمدة لحظة ، خاصة بعد ان اصبحت لا تخضع الى اسياد حروب العصور الوسطى المسيحية، ان تنكر حقوق اليهود، لانهم متمسكون بدينهم القومي ؛ او ان ترفض هذه الامم تقديم الاحترام الذي يستحقونه على اخلاصهم هذا الذي لا مثيل له .

بيرينتز سمولنسكين (١٨٤٢ ـ ١٨٨٥) Peretz Smolenskin

روائي وداعية للاحياء الثقافي العبري

ولد في روسيه وفي مقاطعة من الامبراطورية القيصرية حيث كان يقيم قسم كبير من السكان اليهود آنذاك . فقد أباه وهو في العاشرة من عمره وعزّ عليه ان يرى اخاه يؤخذ للخدمة العسكرية في الجيش القيصري . درس في اليشيفا ، اكاديمية التلمود ، بمدينة شكلوف وتعلّم اللغة الروسية . كان يهتم بافكار عصر التنوير ويقرأ الكتب العلمانية . وخوفا من اضطهاد الاوساط الدينية المتشردة لجأ الى ممارسة النشاط الديني عن طريق انشاده في جوقات الكنيس واقامة المواعظ والصلوات . بينما كان ينتمي في الخفاء الى الجماعات التي اعتنقت افكار عصر التنوير . ترك مسقط رأسه وتجول في اماكن عديدة . ثم ما لبث ان هاجر في العشرين من عمره الى اوديسه ، حيث قضى خمس سنوات يدرّس الموسيقى واللغات ويكسب عيشه من تعليم اللغة العبرية . بدأ حياته الادبية هناك ثم انتقل الى فيينه عام ١٨٦٨ للاقامة النهائية ، حيث عمل بالاشتراك مع رفيق له على اصدار مجلة شهرية بعنوان «الفجر» (Hashahar) .وتوفي مسلولا في ميران ١٨٨٥ .

عبّر في كتاباته عن وضعه المتردد بين التمسك بثقافة الغيتو وتقليدها الديني وبين الرغبة في الانتقال الى افكار العصر الحديث ودعوتها الى التحرر والانعتاق . فقد وصف في اطول كتبه ، وهو كناية عن سيرته الذاتية ، مغامرات انسان يتيم راح يطوف عبر مختلف نواحي الحياة اليهودية المعاصرة في اوروبه ثم انتهى به طوافه الى الموت في الدفاع عن شعبه خلال مذبحة روسية . والكتاب عنوانه « المتجول في سبل الحياة » Ha-Toeh Be-Dareche وقد كان يهدف من وراء ذلك ان يفرض مصيره وحياته Ha - Hayim الخاصة على جيله من المعاصرين وان يدّعي النطق باسمهم * . اتخذ موقفا مناوئا للهاسكالا في السبعينات ، اي قبل حصول المذابح في مطلع الثمانينات . وراح يدعو اليهود الى الهجرة التامة عن اوروبه الشرقية معتبرا انتقالهم الى اي بلد آخر عدا فلسطين بمثابة تكرار للنفي والتشتيت . فالصهيونية في دعوتها الى الخروج الكلي هي الحل الاوحد . والحركة الاصلاحية والهاسكالا هي العدو المباشر للدعوة الصهيونية .

له مقالات نشرها في مجلته بين عامي ١٨٧٥ ـ ١٨٧٧ بعنوان « حان وقت الزرع » (It is Time to Plant) دعا فيها الى « جعل الشعور القومي اساس وجودنا » ثم انتهى الى اعتبار اليهود « امة بالمعنى الروحي فقط » . وفي مقالة اخرى كتبها عام ١٨٨١ بعنوان « دعونا نعيد النظر في وسائلنا » راح يدعو الى الهجرة الجماعية وينادي بضرورة

* نسج في روايته على منوال ديكنز في قصة ديفيد كوبرفيلد .

الاستيطان اليهودي في فلسطين التي يمكنها « ان تعيل ١٤ مليونا من الناس » ! ويحث على شراء الاراضي والاشتغال بالزراعة والتجارة والصناعة . ويقترح على المستوطنين تاسيس معامل للزجاج والمنتوجات المتصلة به « لان رمل البلاد هو من النوعية الجيدة » .وينادي بان « فكرة الاستيطان اليهودي في ارض اسرائيل هي موضوع التخاطب الرئيسي بين اولئك الذين يحبون شعبهم » . وفي مقالته عن « هاسكالا برلين » التي كتبها عام ١٨٨٣ نجده يتهم دعاة التحرر والتنوير بانهم كانوا يهدفون بالدرجة الاولى الى « تقليد الاجانب » والعمل على القضاء الكلي على التقليد والعادات والافكار اليهودية . وليس هجومه على تعاليم حركة التنوير هذه ـ والتي اختزلها الى « وصايا عشر » بعد تشويه مضمونها ـ الا لكون دعوتها التحريرية تقطع الطريق على مزاعم القومية اليهودية ونواياها الصهيونية، ولانها تشكل بالتالي حجة مقنعة وصحيحة ضد التهرب من واقع المشكلة ولصالح الديانة اليهودية كمذهب روحي. لكن سمولنسكين يريد تشويه افكار التنوير لكي يبرز الصهيونية كحل اوحد ويعلن استحالة التحرر دون الارتداد عن الدين اليهودي . لذلك نجده يحشر في كتاباته ما يطيب له من صور البؤس والاقتلاع والآلام ويتلذذ في التحدث عن التشرد والاضطهاد والتجوال كما اختارها لحياته الخاصة وحاول الصاقها بجيله ومعاصريه ، لا بل بجميع افراد الشعب الذي يدين باليهودية .

حان وقت الزرع (١٨٧٥ ـ ١٨٧٧)

عاش الشعب اليهودي اكثر من بقية الشعوب كلها لانه اعتبر نفسه ـ امة روحية . وقد نادى حكماء وكتّاب وانبياء ومؤلفو صلواته نادى جميعهم دون استثناء ، بهذه الامة على انها شعب . لذلك يبدو واضحا اذن ان هذا الاصطلاح له القدرة الكافية في ان يوحد هؤلاء المشتتين في ارجاء العالم . يحب اليهود بعضهم بعضا كأفراد شعب واحد لانهم يتذكرون بأن الروابط التي تربطهم لم تبدأ بالامس فقط ، انها روابط اربعة آلاف عام. اربعة آلاف عام ! هذا المفهوم التاريخي وحده يرفع الالهام والفكر الى درجة احترام هذه الروابط واعتبارها عزيزة . يجب ان يفهم كل انسان ذو شعور : بأننا كنا اخوة او اطفال شعب واحد لمدة اربعة آلاف عام . فكيف استطيع ان ارتكب معصية نحو مئات الاجيال وان اخون هذه الاخوة ؟

ان كل مأساة وكل فرحة ستجدد العهد وتقوي روابط اليهود نحو شعبهم . وكل فرد في وقت المحنة سيتذكر بان اخوته هم الذين يقاسون وانه يتوجب عليه مساعدتهم في حمل اعبائهم . وسيشاركهم في اوقات الفرح عندما يعرف بانهم مسرورون . ولقد صمد اليهود ضد كل عاصفة وكل شغب وذلك بمساعدة بعضهم بعضا في اوقات الشدائد، وبمحافظتهم على الشعور بأنهم قرب بعضهم رغم تشتتهم في بلاد مختلفة وبعدم

انقسامهم الروحي رغم اختلاف اللغات التي تعلّموها . ولم يكن اليهود وحدهم لانهم وجدوا في المنفى الكثير من اخوتهم ـ ابناء شعبهم ـ الذين رحبوا بهم في بيوتهم .

ان سر قوتنا ونشاطنا هو في التفكير بأن الشعب يفهم هذه الوحدة. ووحدة من هذا النوع هي نتيجة الشعور الاخوي والشعور القومي الذي يدفع كل يهودي ان يعلن عند ولادته : انني ابن هذا الشعب. وباستمرار هذه العاطفة فينا ، فان اخوتنا لا تضعف وقوة تماسك الشعب ككل ستبقى . اما هؤلاء الذين قد يهجرون بعض الطقوس الدينية، او حتى الكثير منها ، فسيظل لديهم على الاقل بعض الشيء من تراث اسرائيل . ومهما كانت خطيئتهم فهي خطيئة ضد الله وليست ضد شعبهم . واذا كان الشعور القومي هو اساس وجودنا فليس هناك اي داع للاختلاف على قوانين وعادات دينية سخيفة . وسوف لا يجرؤ المتعصبون في الدين او المنافقون على ان ينبذوا اي يهودي معروف بتحرره الديني من بين شعبنا.

مهما كانت خطايا اليهودي تجاه دينه فهي لا تهم لان كل يهودي ينتمي الى شعبه طالما انه لا يخونه ـ وهذا هو المبدأ الذي يجب ان نحققه ، وهذه هي النتيجة المنطقية التي نستطيع استخلاصها من القول باننا شعب .

دعونا نفترض جدلا بأن ما يجمع بيننا هو فقط اننا ابناء ايمان واحد نعمل بقوانين دين واحد ، اذا كان الدين فقط هو الذي يجعلنا شعبا واحدا اذن لماذا توجد في قلوبنا المحبة لليهود اجمعين ؟ هل يتوجب علينا ان نحب كل الناس بالتساوي لانهم جميعا يخضعون الى القوانين الخلقية ذاتها . هل يتوجب علي ان احب انسانا آخر لانه مثلي لا يسرق او يظلم ؟ أذن ما هو الشيء الذي يلهمني ان اعرف اخوتي واساعدهم ؟ صحيح ان هناك قوانين توحدنا مثل ، السبت ، الختان، يوم الكفارة وغيرها، وهذه الاشياء لها قوة فقط اذا كانت تعتمد على اساس متين وعلى وجدان عميق . فان عمل بهذه القوانين ضمن حقوقها وليس بموجب اعتمادها على اخلاص عاطفي اساسي ، فهي ليست الا اشلاء ميتة .

اذا بدأ عدد كبير بعدم طاعة قوانين الدين فكيف يمكن المحافظة على الوحدة اليهودية ؟ ذلك ان اليهود غير الارثوذوكسيين سيعلنون بأن علاقتهم مع بني اسرائيل قد انقطعت فاذا تخلص مثل هؤلاء من نير الدين فسيعتبرون انفسهم خارج مجتمع يوحده الدين فقط . وهذه هي الحالة في بلاد كثيرة حيث كثير من اليهود لا يخضعون للقوانين والعادات (هناك

دلائل كافية تشير الى عدم ممارسة هذه القوانين اليهودية خلال الاربعمائة سنة الماضية) (١) . فهل يتوجب علينا طرد هؤلاء الناس من مجتمعنا ؟ اذا اعتبرنا مثل هؤلاء اليهود غير الممارسين للدين منبوذين ، كم يهوديا يبقى ؟ هناك سبب للتخوف من ان الشريعة سترمى جانبا في النهاية وذلك لصالح الحياة العصرية ونحن نرى هذا الشيء يحدث امام اعيننا . واذا كنا صريحين مع انفسنا علينا الاعتراف بأن الجيل الجديد اقل محافظة على الشريعة من والديهم . لذلك فليس من المستبعد ان يؤدي الابتعاد عن القوانين الدينية بعد جيل او اثنين الى ضياع اسم اسرائيل وذكرياتها.

اعرف بان هناك مجادلة مضادة في القول بأن هناك قوة كافية في اسم اسرائيل تستطيع ابقاءنا امة واحدة ولكن هذه المجادلة سطحية . فهل يعتمد اسم اسرائيل على الدين ، او على الشريعة او على الممارسة ، او على التقليد ؟ ان هذا الاسم لا يعتمد الا على العاطفة القومية . وما دام بنو اسرائيل امة بين الامم فسيبقى لهذا الاسم تأثير سحري على شفاه ابناء اليهود . ذلك انه يذكرهم بأنهم ينتمون الى هذا الشعب. واذا اختفت هذه العاطفة فهذا الاسم ايضا سيخسر حيويته وقوته .

نعم نحن شعب . نحن شعب منذ البداية حتى الآن . لم ننقطع عن كوننا شعبا حتى بعد ان دمرت مملكتنا وشردنا من ارضنا ومهما سيحصل لنا في المستقبل سوف لا يستطيع شيء محو صفاتنا اليهودية . على اننا لسنا اليوم ، امة كبقية الامم ، نحن نختلف عن الامم اليوم كاختلافنا عن الامم عندما كنا نسكن في ارضنا . لم تتركز هويتنا القومية على تربة الارض المقدسة . كما اننا لم نخسر اسس قوميتنا عندما شردنا . كنا دائما امة روحية وكانت التوراة ركيزة دولتنا . آمن شعبنا منذ البداية ان التوراة اسبق من ارضنا ومن هويتنا السياسية . نحن شعب لاننا نعتبر انفسنا بالروح والفكر مرتبطين مع بعضنا بعضا بروابط الاخوة . وقد حفظت وحدتنا بطرق تختلف عن طرق كل الشعوب ، لكن هل هذا الشيء يؤخر في كوننا امة .

نظرنا الى انفسنا دائما كأمة مع علمنا بان التوراة هي الرابط الاساسي بيننا . ولم نتوقف ، حتى يومنا هذا ، من ان نكون شعبا ، وان نكون

---

١ ــ ربما كانت الاشارة هنا الى بعض شخصيات النهضة اليهودية مثل جاخام البندقية ليون دي هودينه (١٥٧١ ــ ١٦٤٨) ، وقيل ان هذه الشخصيات كانت غير متمسكة في طاعتها للقوانين اليهودية .

امة روحية ، ينتمي اليها الافراد على مستوى الروح والفكر وليس على اسس مادية ، من حيث الواقعية العملية ، كل يهودي هـو مواطن تلـك الدولة التي يقطن فيها ، ومن واجبه ان يكون مواطنا صالحا مطيعا لكل الواجبات التي يقوم بها مواطنو تلك البلد . موطننا هو البلد الذي نسكن فيه . كانت لنا ارض في يوم من الايام لكن لم يكن هذا هـو السبب في وحدتنا . توراتنا هي وطننا من الناحية الروحية ، لكننا فيحياتنا العملية الطبيعية كبقية الناس .

نحن امة روحية ـ هذه هي العقيدة الصحيحـة التي يجـب ان ننادي بها .

لنبحث عن طرقنا (١٨٨١)

١) نزلت المصيبة تلو المصيبة والكارثة تلو الاخرىعلى يهود روسيه. ولم يترك حجر على حجر في كثير من المجتمعات . لقـد نهبت متاجـر اخوتنا وحطم الرعاع كلشيء لا يستطيعون حمله، وقد قتل يهود كثيرون كما جرح عدد لا يحصى . وكان الرعاع المتوحشون كالذئاب التي تبحثعن فريستها، يعاملون اليهود بقسوة بالغة لا مثيل لها منذ العصور الوسطى. ولعل اسوا ما كان هو اشتراك اناس من المفروض ان يكونوا محترمين في تنفيذ هذه المذابح ، ولقد ذهبت هذه المحنة التي اصابت عشرات الالوف. الى حد بعيد .

حتى قبل هذا ، لم يستطـع يهود روسيه ان يؤسسوا انفسهـم ، كانت حياتهم هي حياة متاعب وحاجة وهضم حقوق . حتى في تلك المدن التي يسمح لليهود الاقامة فيها كانوا يسجنون ويتركون كي يموتوا جوعا، ولم يستطع اصحاب الصناعة منهم ان يكسبوا غير عيشة بؤس. على كل فقد عمل اليهود جهدهم للعيش بقدر المستطاع ولكنهم الآن ويد العدو فوقهم قد دمرت منازلهم ونهبت ملابسهم ولم يترك طعام حتى للاطفال والرضع منهم الذين في الشوارع . وما زالوا يعيشون في رعب ، فقد تبدأ المذابح (Pogroms) (٢) ثانية اما اولئك الذين تبقى معهم بعض الشيء فلا يجرؤون على القيام باعمال تجارية او صناعية جديدة . هذا الرزء المخيف قد ارعـب حتى اولئك الذين لم يهاجموا شخصيا : البعض يشعر بالحزن على اخوتهم

٢ ـ كلمة روسية تعني ثورة وكانت تستعمل كاصطلاح فنـي لتعني الهجمات الموجهة ضد اليهود في روسيه .

والبعض الآخر يعيش بهلع مسيطر يظنون ان الكارثة قد تصيبهم ايضا . ومن يعرف متى تعود الطمانينة الى هذه الارواح الخائفة . فكل شيء على ما يبدو يحدث على حين غرة ودونما انذار .

لكن الم توجد سحب منذرة في السماء من قبل ؟ هل نشأ الكره عند عشرات الالوف بين ليلة وضحاها فاشتركوا في اعمال الرعاع اعتباطا ومن تلقاء انفسهم ؟ كل شخص مدرك يعرف ان هذا الشيء لم يحدث هكذا ـ اذ لا يمكن القيام بهجوم من هذا النوع دونما تحضير طويل . على انه من حق الانسان ان يتساءل : لماذا كان اليهود هكذا مسالمين عندما لاح السيف في وجوههم-؟ لكن الحقيقة هي ان انبياءنا هداوا طويلا الى درجة اننا انقطعنا معها عن رؤية الشر وفشلنا في ان نحس به مقدما. فلو اخبر احد يهود روسيه عن الكارثة التي ستحل بهم مقدما لاعتبروه مجنونا . مع انه كان باستطاعة كل انسان ان يرى ان هذه المصيبة ستقع قريبا . (ومن المؤسف ان لا ينتبه احد الى كتاباتي واقوالي الشفهية التي تنبأت عن مدى الشر الذي كان منتظرا وقد قلت قبل ثلاثة اشهر من وقوع المذابح في مكاتب تحرير مجلة « راسويت » ومجلة « روسكي يفري » وفي اماكن اخرى بانهم ولا شك سيبدأون في اضطهاد اليهود . كما قلت بوضوح : قبل بدء البحث في حقوق اليهود : ابداوا اولا بالعمل على تامين حياتكم وممتلكاتكم . وكان جوابهم : يجب ان لا نهتم بهذا الشيء . فسوف لا تسمح الحكومة للمخربين ان يرفعوا رؤوسهم وغير ذلك . لكن الحوادث المؤسفة برهنت من الذي كان على حق) .

لقد بدأ الهجوم على اليهود مؤخرا ، لكنه كان يحضّر على مر السنين. يعود السبب الحقيقي في كل هذا الى ان الضغينة التي ملأت معظم الصحافة الروسية ضد اليهود خلال العشرين سنة الماضية القت علينا كل انواع الذنوب. القت علينا اشكالا من تهم المعاصي والخداع والشرور. وقد كتبت المقالات والكتب الكثيرة متهمة اليهود بشرب الدماء وذلك لاثبات ان اليهود يشربون دماء الاطفال المسيحيين . فهل يستغرب الامر بعد التحريض لمدة عشرين سنة على السلب والنهب وحتى القتل بأن تثمر هذه الكلمات في النهاية ؟

وقد انشغل المحسنون اليهود في روسيه في هذه الفترة بحركة التنوير (٣) ، وذلك تقليدا ليهود المانيه . كانوا هم ايضا اغبياء لاعتقادهم بأن طريق التنوير ستعود عليهم بالنجاح والشرف ، فاذا توصل هؤلاء اليهود الى درجة عالية من التنوير ، فان الاميين سيقبلونهم باحترام ومحبة اخوية ، وكنتيجة سيكف محبو الاذى عن ملاحقتهم . لم يقاس هؤلاء الذين بنقودهم توصلوا الى مراتب عالية ، ما قاساه اخوتهم، وخيّل اليهم بأنهم آمنون ولا يوجد اي داع لتخوفهم . حتى انهم قالوا مع المعادين للسامية : نعم ان اليهود يقرضون النقود بفوائد وانهم نهبوا الارض كما انهم غرباء عن شعب هذا البلد ، وان علينا ان نصحح طرقنا ومن ثم نستطيع ان ننعم بسلام . كانت كل تهمة وجهها الينا اولئك الذين يكرهون اليهود تعاد ثانية دون ان يتغير البعض من اخوتنا . اذن هل من الغريب ان لا يحاول اولئك اصحاب القلوب غير الطاهرة منع الكارثة من ان تقع وانهم لم يهبّوا الى تخليص شعبهم في اوقات الشدائد . بل على العكس، نستطيع التأكيد بأن امثالهم كانوا وسيكونون حجر عثرة ووباء على بيت اسرائيل كله .

٢) يجب ان نعترف بخزي واسى بانه لا توجد وحدة او سلام بيننا. فلقد كنا ضعفاء في داخلنا ـ لذلك كانت قوتنا في ايام الشدائد قليلة . فهل كان يحصل هذا الشر لو اعتقدنا في قلوبنا بان عشرة ملايين نفس يهودية تنتمي الى امة واحدة ؟ سيجيب كل انسان بكامل قواه العقلية : كلا ! لماذا نحن مهددون هكذا ؟ السبب هو اننا اصبحنا في الحضيض حيث احترامنا لانفسنا قد مات ـ لاننا اصبحنا نحب ان تلقى علينا الحسنات ، وقد استسلمنا للاحتقار والاذلال .

ليس لدينا اي احساس بالشرف القومي ، معاييرنا هي معايير اناس من الطبقة الثانية . نجد انفسنا مغتبطين عندما نمنح حسنة ومهللين عندما يتسامح معنا الغير ويصادقوننا . يتغنى الكتّاب اليهود عاليا عندما يكرّم يهودي ولا يتعبون من مدح عظمة الامي هذا او ذاك عندما يظهر عطفا على يهودي . فواسفاه على ذلك اللطف وذلك التسامح ! واسفاه على

---

٣ ـ حركة التنوير اليهودية هي حركة كتّاب ومفكرين حاولت تحطيم عقلية اليهود القديمة ودفعهم لتبني نظرة غريبة من الحياة . تعود هذه الحركة في القدم الى موزيز مندلسون . انظر ملاحظة هيس رقم ٧ .

كتابنا وشعرائنا وخطبائنا الذين يمدحون ذلك ! فما هو الشيء المحزن في حالتنا ؟ انه ليس الخطب الذي نلقاه من اعدائنا انما هو الجروح التي يسببها لنا اخوتنا . فاذا اردنا ان نخلّص ضحايا المذابح حقيقة ، يجب علينا ان نعلن دون تحفظ باننا نحن انفسنا مسؤولون عن ضعفنا الداخلي. يجب علينا العودة عن طريق الكارثة الذي اخترناه مرة، لانه ما زال بامكاننا الخلاص . حتى في هذه الساعة المتأخرة قد يأتي النور .

٣) يعبّر اعداؤنا في روسيه عن مدى ثورتهم ضدنا وذلك بالمطالبة بطرد اليهود من روسيه (٤) ، وهذا الشيء يخيف اخوتنا اكثر من اي كارثة حلت بنا من قبل . لكن هل من الخطأ ان يقول اليهودي : لماذا لا نهاجر اذا سمحت لنا الحكومة ؟ قد يكون لدى الفرد سبب وجيه لان يخاف الهجرة لكن ما الذي يجعل المجتمع يرفض فكرة الهجرة ؟

تكون سياسة انقاص عدد اليهود في البلدان التي يكرهون فيها ، ناجحة فقط اذا هاجر عدد لا بأس به من المجتمعات اليهودية. فهؤلاء الذين يهاجرون سيصلحون من امورهم، وهؤلاء الذين سيبقون سيكون اضطهادهم اقل . ونستطيع ان نجزم بان النقود ستتوفر لمشروع من هذا النوع . منذ سنين خلت تبرع الناس بسخاء عندما نودي بأن مستقبل اليهود يتعلق باقامة مستعمرات زراعية لهم في روسيه (٥) ، واغلب الظن ان الجميع سيتبرعون بقدر المستطاع لمشروع الهجرة الكبير والذي يبدو واضحا بانه الامل الوحيد .

ليس هناك ادنى شك بانه من المناسب لشعب يهاجر من بلد واحد ان يهاجر جميعه الى ارض واحدة جديدة لانهم بالطريقة هذه يفهمون بعضهم بعضا وبالتالي سيساعد كل منهم الآخر . واذا كانت موجة الهجرة ستتوجه الى ارض واحدة فمن المؤكد انه ليس هناك مكان في العالم يمكن التفكير فيه سوى ارض اسرائيل (٦) .

---

٤ ــ قام النظام القيصري في العام ١٨٨١ بوضع برنامج غايته « حل » المسالة اليهودية وذلك بقتلهم ، وتهجيرهم وتحويلهم الى النصرانية.

٥ ــ اصدر القيصر الكسندر الاول ونيكولاس الاول في النصف الاول من القرن التاسع عشر قوانين شجعت ، وحتى اجبرت اليهود ان يتخلوا عن المهن « غير المنتجة » ويتحولوا الى الزراعة .

٦ ــ ارتز اسرائيل = ارض اسرائيل .

٤) ارض اسرائيل ! كان يهزأ بهذا الاسم قبل سنوات جميع اليهود تقريبا ، ما عدا اولئك الذين كانوا يتمنون ان يدفنوا هناك . ولقد طرات فكرة اقامة مستعمرات زراعية في تلك الارض لبعض الافراد الذين اهتموا بمصلحة شعبهم . ورغب هؤلاء الافراد بان يثبتوا عمليا بانه يمكن لتلك الارض ان تكون مثمرة واملوا بأن يحول هؤلاء الفقراء الذين يعيشون في ارض الشتات انظارهم الى امكانية استثمار ارض اسرائيل . لكن هذا المشروع المهم كان دون نتائج من الناحية العملية . ذلك ان قليلين هم الذين آمنوا بهذا المشروع ، بينما بقي قلب الشعب اليهودي ساكنا، وحتى المؤمنون القلائل كان عليهم ان يناضلوا ضد رهط من الاعداء . وكان اكثر المناوئين مرارة اولئك الذين كانوا يعيشون في الارض المقدسة والذين تحكّموا باخوتهم وجاروا عليهم وذلك بادارتهم توزيع الصدقات . لقد خاف هؤلاء على ضياع سلطتهم اذا نجحت اية خطة تهدف الى مساعدة المزارعين اليهود لكسب قوتهم . وعرف هؤلاء ان كسلهم واعتمادهم على الصدقات سيأتي الى نهاية ، وبذلك تتحطم سلطتهم .

لذا مرت سنوات عديدة ولم يتحقق اي شيء . وقد اعتقد اعداء صهيون بأنه ليس هناك اي امل في استخراج الخبز من الارض التي لعنها الله فأصبحت قاحلة جرداء حتى آخر الايام . على كل ، رغم ان نتائج عملية لم تتحقق ، فان فكرة الاستيطان في ارض اسرائيل لم تختف لانها اثارت اهتماما وانعكاسات كثيرة في المدة الاخيرة. وهناك امل في ان تتطور هذه الفكرة الى شيء اكثر من امنية دينية . وعدد اولئك الذين يفهمون فائدة اقامة مستعمرات يهودية في ارض اسرائيل يزداد .

انه من العبث محاولة اقناع هؤلاء اليهود الذين يكرهون صهيون والذين لا امنية لديهم الا ان ننسى ذكريات اجدادنا ومعتقداتنا وحتى معنى قرابتنا . فلقد دمر هؤلاء تقاليدنا وسخروا من تراث اسرائيل كلها ، فليس غريبا ان يحقدوا على الارض المقدسة كما انه من العبث المجادلة مع اولئك الذين ينتظرون حلول يوم الخلاص بمعجزة ، والذين يخافون ان يذهبوا الى الارض المقدسة كي لا يعتبر قدومهم تجديفا . نود ان نخبر هؤلاء باننا لا ننوي ان نعجّل قدوم « المسيح المنتظر » كما لا ننوي تأسيس مملكتنا الآن ، نحن نسعى فقط لايجاد الرزق في ارض نأمل منها ان توفر الراحة للذين يعملون عليها .

اننا نخاطب الناس المتعقلين وغير المنتمين الى اي من الجماعتين

المتطرفتين ـ نخاطب اولئك الذين يشعرون مع اخوتهم والذين هم مستعدون ان يضحوا على مذبح محبة شعبهم . فمثل هؤلاء سيصغون ويفهمون ويعملون وينجحون . وسنخبرهم بانه لا توجد ارض تقبل المنفيين بمحبة الا ارض اسرائيل وفقط في هذه الارض سيجدون الحقيقة والسلام الدائم .

ولقد ذهب لدراسة هذه الارض الكثير من الخبراء ـ غير اليهود ـ وارسل بعض الباحثين البريطانيين المرموقين للتجوال في الارض ودراستها . وقال هؤلاء الخبراء ان الارض جيدة جدا واذا استثمرت بجد ومهارة فباستطاعتها ان تستوعب اربعة عشر مليونا . ولو افترضنا ان هذا الرقم مبالغ فيه (مع انه هو الحقيقة) وان باستطاعة الارض استيعاب نصف هذا الرقم فيعني هذا انه باستطاعة كل اليهود الراغبين في اللجوء الى ارض اسرائيل القدوم اليها . سوف لا يهاجر كل اليهود ـ انما يذهب اليها اولئك المعوزون والمضطهدون الذين يبحثون عن مكان يهاجرون اليه . ويكفي ان يهاجر مليون نسمة من اخوتنا اذ ان هذا سيخفف عنهم ويخفف عن اولئك الباقين في ارض الشتات .

هناك عدة ميزات لأرض اسرائيل ، بالنسبة الى هدفنا لا تتوفر في الهجرة الى اميركه الشمالية او الجنوبية .

١ ـ سيذهب اولئك الذين يحيون ذكريات اسلافهم عن طيب خاطر اذا تأكدوا من انهم سيكسبون معيشتهم هناك .

٢ ـ الارض المقدسة ليست بعيدة من مساكنهم القديمة .

٣ ـ يستطيع المهاجرون كلهم ان يسكنوا معا وفقا لتقاليدهم المرعية .

٤ ـ اولئك الذين يعيشون الآن بقنوط في ارض اسرائيل ستتغير روحهم تدريجيا الى حياة عمل منتجة ، وبالتالي سينجو الآلاف من الشرور التي تخلقها حياة الكسل .

٥ ـ لن يعمل الجميع في الارض ، اذ ان البعض سيتحول من الزراعة للعمل في التجارة وسينجحون . فكل انسان عاقل سيوافق انه لو كانت ارض اسرائيل بأيدي اليهود لكانت قد تحولت الى مركز تجاري يربط اوروبه بآسيه وافريقيه منذ زمن بعيد .

٦ ـ يستطيع المستوطنون ان يزدهروا باقامة المصانع للزجاج

والمنتوجات المشابهة لان رمال الارض المقدسة ذات نوعية عالية .

هذا ولن يكون هناك حاجة لحث الناس والقيام بدعاية كي يذهبوا الى ذلك البلد الذي تزدهر فيه الزراعة والتجارة والصناعة. لانه مع مرور الوقت فان الكثيرين سيرغبون في الذهاب والعمل في مكان يعيشون فيه بسلام وكرامة .

لذلك يتوجب على المحسنين اليهود ان لا يتأخروا اذا ارادوا ان يساعدوا اخوتهم التعساء . بل يبادروا الى شراء الاراضي والسماح لليهود بان يسكنوها وذلك لبدء حياة جديدة . ونستطيع ان نكون واثقين من ان النقود لن تنقص اذا وجد اناس بعيدو النظر لتنفيذ مثل هذا المشروع بروح صحيحة ، وبرغبة صادقة لمساعدة اخوتهم . هناك الكثيرون من اليهود الذين يكافحون لمساعدة شعبهم بكل ما اوتوا من قوة . انما ينقص هؤلاء شيء واحد ، وهو الهدف الموحد . وحال تحقيق الوحدة لهذا العمل العظيم ، فلن يمر وقت طويل قبل تحقيق نتائج مثمرة .

يجب ان يكون موضوع الحديث الوحيد بين اولئك الذين يحبون اخوتهم هو فكرة توطين اليهود في ارض اسرائيل . يجب عليهم اثارة اصدقائهم واقامة حملة دعائية في المجتمع اليهودي كله . وما زال الوقت مبكرا لشرح الخطوات التي يجب ان تؤخذ لتحقيق هذا المشروع وما ستكون نتائجه النهائية . انما الآن هو وقت نشر هذه الفكرة والبدء بجمع التبرعات لمساعدة اولئك الذين يرغبون في الذهاب الى ارض اسرائيل للاستيطان . دعونا الآن ألا نبقى ساكتين او هادئين من اجل حركة الاستيطان في صهيون الى ان يبزغ ضوء الفجر وتبدأ جراحنا بالالتئام .

حركة التنوير في برلين (١٨٨٣)

عندما اتكلم عن حركة التنوير في برلين فانني اشير الى تلك العقيدة الفاسدة الفارغة التي انبعثت من تلك المدنية . لم يكن هدف هذه الحركة طلب المعرفة من أجل ذاتها انما كان هدفها القاء اليهودية جانبا وتبديلها بحركة « تنوير » . وقد بدأ هذه الحركة مفكرو ومناصرو هذه العقيدة ـ اناس غير حكماء لم يعرفوا الماضي ولا المستقبل ، وهم لا يستوعبون معنى الحاضر . ولقد نادى هؤلاء بنظرية غريبة ومستحيلة وهي ان سبب كل عذابنا وشقائنا هو عدم تقبلنا حركة التنوير ، وما علينا الا ان نقبل الحضارة الغربية ونحييها ومن ثم تشرق علينا شمس العدالة . ولقد

فشل هؤلاء المتنورون ان يروا بأن اليهود لم يهربوا الى الكهوف والسراديب لان الاصدقاء مدوا لهم يد المساعدة ، بل على العكس لم تمد يد نحو اليهود الا لمهاجمتهم او لايقاع المصائب بهم او لزجهم بالسجون والزنزانات . لم يرفض اليهود قط ان يحرثوا الارض ويزرعوها ويجنوا ثمارها ـ لقد منعوا من القيام بهذه الاعمال بالقوة . لم تبدأ الكراهية عند اليهود ـ بل كانوا دائما هدفا لها .

لم يكن هدف برنامج حركة التنوير هذه ان يوقظ في شعبنا الرغبة في المعرفة والعلم . كان هدفه الرئيسي مختلفا تماما يتلخص في القول : « قلدوا الاميين » . نادت حركة التنوير في برلين : بأن نقلد الاميين وان نهجر تقاليدنا ، ونتخلى عن اخلاقنا وافكارنا وان نتصرف في منازلنا وخارجها ـ في المحافل الدينية ، بين افراد عائلاتنا وفي كل مكان ـ تماما كما يتصرف الغير . ويخبرنا هؤلاء المعلمون الحكماء بان مكافأتنا على هذا ستكون قبول ابناءنا او احفادنا او حتى ابنائهم هم في المجتمع وتساويهم مع الآخرين .

وكانت نتائج هذه العقيدة : اولا ، تحطيم الشعور الذي هو اقوى اساس لتوحيد بيت اسرائيل ـ الشعور باننا امة . ثانيا ، فقدان الامل بالخلاص ، وكانت فكرة الامة هي اكبر عائق لمفكري حركة التنوير في برلين ، ذلك ان وجود حركة تمسك وطني يهودية ، وذكرى الارض والدولة التي كانت لنا مرة واملنا في استرجاعها لتجعلنا امة ، ستكون عائقا للذوبان في المجتمعات الاخرى ، وطالما ان ذكرى الماضي وامل المستقبل ما زالا على قيد الحياة فكيف يستطيع هؤلاء ان يقولوا لليهود : اتركوا تقاليدكم وسيروا في دروب الاميين وعيونكم معصوبة ؟ اذن كان من الضروري قطع كل جذور الحياة هذه .

لقد استطاع هؤلاء تجريد اليهود من قوميتهم وعلموهم ان يقلدوا الحياة التي حولهم تقليدا اعمى ، لكن حلمهم لم يتحقق تماما . ولقد وصلت وقاحة انبياء حركة التنوير هذه لان يؤكدوا المرة تلو الاخرى بأن العار الذي يلحقهم لكونهم يهودا ناجم عن اصرار اخوانهم في البلاد المجاورة على رفض حركة التنوير . ومثل هذه التأكيدات زادت نار الكره بين يهود المانيه واخوتهم . واقتنع يهود المانيه كليا بانهم كانوا يقاسون من اجل خطايا يهود اوروبه الشرقية .

هكذا تزعزعت اقوى ركيزتين في بيت اسرائيل ، الا وهما الامل في

الخلاص ومحبة اليهود لبعضهم بعضا . وحلت محل هاتين الركيزتين عقيدة مغلوطة وهي ان الدين هو الحجر الاساسي في بيت اسرائيل . لكن هذا الاساس ذاته تحول الى تراب ايضا ، وهؤلاء الناس ذاتهم الذين خدموا الدين بلسانهم فقط احتقروا الدين ورفضوا كل التقاليد والقوانين الدينية لانهم اقتبسوا من عادات الاميين . لقد حاول هؤلاء المتنورون انجاز المعجزات ! وانهم بذلك يذكروننا بمعجزة عملها حاخام اشتهر بانه يقوم بالعجائب (٧) . فقد اتى عنده كسيح يطلب المساعدة .. فأمره صانع المعجزات « الق بعكازك الايمن » . وعمل الرجل الفقير ما قيل له وحاول بصعوبة ان يتكيء على عكازته الثانية . وامره صانع المعجزات ثانية « الق بعكازتك الاخرى جانبا » . وعمل الكسيح بما قيل له ، ولشد ما دهش الجمهور عندما وقع الكسيح على الارض ـ بعد ان القى بعكازتيه ـ ولم يستطع النهوض . ولقد قام بمثل هذه المعجزة بكل تفاصيلها هؤلاء القائمون على حركة التنوير . امرونا اولا ان نتخلى عن محبتنا لاخوتنا ، فكافح بيت اسرائيل بكل قوته ليتمالك نفسه على ركيزة الدين . لكنهم حطموا هذه الركيزة ايضا فتهدم بيت اسرائيل كليا ، ووصلت روحه الى الحضيض لانه لم يبق له شيء من ميزات بيت اسرائيل . وعندما تسقط الروح ينحل الجسد تدريجيا . فشل اليهود لانهم جدّوا في تقليد الاميين ، فشلوا في ان يروا بان العدو سيهاجمهم من الخلف ويلحق بهم الهلاك .

ليكن معلوما بأنه يتوجب علينا اعلان الحرب ليس ضد حركة التنوير على العموم لانها شيء حسن ، استقبلها قادة شعبنا بكل رضى حتى قبل نهوض زعماء حركة التنوير في برلين وما زال الناس الاذكياء يقبلونها . انما نحن ضد نوع معين من التنوير . ولنعرّف الآن هذه الحركة من التنوير كي لا نخلطها مع غيرها ، وذلك بذكر تعاليمها التي هي : (١) ان نتبنّى طرق الاميين . (٢) ان نبدّل كل شيء ورثناه عن اجدادنا الى حد يصعب التعرف عليه . (٣) ان نلقي جانبا كل روابط المحبة والوحدة التي تربطنا معا وذلك كي نذوب في المجتمعات الاخرى . (٤) ان نتخلى عن

---

٧ ـ قائد ساحر عظّمه اتباعه من الحركة الحاصدية واعتبروه قادرا على انجاز المعجزات . وبدأ هذه الحركة الدينية الحاخام اسرائيل بعل شيم ـ توف . توفي في القرن الثامن عشر وكانت هذه الحركة قوة رئيسية لمدة قرن وما زال اثرها ظاهرا حتى اليوم .

كل امل في العودة الى حياة الكرامة في ارضنا كبقية الامم . وان نظل بدون جذور نهيم على وجهنا في البراري والقفار الى الابد . (٥) يودون ان يمحوا اللغة العبرية كليا ، تلك اللغة التي بواسطتها نسمع شكوى بعضنا البعض حتى نهاية تشتتنا . (٦) ان نعمل على ارضاء الامم الاخرى والابتعاد عن كل عمل لا يرضي تلك الامم حتى ولو كان ذلك العمل يقود الى تقسيم اليهود الى جماعات واحزاب . (٧) بقبول حركة التنوير هذه سنكسب حب الامميين ومن خلال هذه الحركة سنرتفع الى درجات عالية وننعم بالمساواة . (٨) ان نخدع انفسنا بآمال كاذبة ونتكلم عن السلام بينما ليس هناك اي سلام . (٩) ان نتقبل كل الخطايا التي يتهمنا اعداؤنا بها ، وان نبرر اسباب اضطهادنا ، وبدلا من ان نبحث عن طرق لخلاصنا وان نسعى لكي نصلح من امورنا ، نتقبل اخطاء لم نرتكبها . (١٠) ان لا نجرؤ بالتكلم عن فضائلنا وذلك حتى لا يتهمنا اعداؤنا بأننا نفاخر بصفات لا نملكها . هذه هي « الوصايا العشر » التي تقدمها لنا حركة التنوير في برلين بدلا من التوراة او الحكمة التي سلبتنا اياها. هذه هي صفات حركة التنوير نعرضها كي يعرفها كل من يرغب ان يرفع حجار العثرة التي تضعها هذه الحركة في سبيلنا . . .

يسأل البعض السؤال السخيف : ماذا يجب ان نفعل بعد ان نشيح بوجوهنا عن حركة التنوير هل سنعود الى تعليم «الحارات اليهودية» Ghetto حيث ندع ابناءنا يتعفنون في مدارس التلمود (٨) ؟ ان هؤلاء السائلين لا يفهمون تماما ما نريد ، نحن لا نحارب حركة التنوير بمفهومها الصحيح انما نحارب العقيدة الفاسدة التي يعمل بعض رجال ديننا على نشرها . . .

نادى هؤلاء بوجوب تبنّي طرق الامميين ، ولكننا نقول بعدم العمل بهذا كليا . واختيار ما هو مناسب لنا : علينا ان نختار الطرق المؤدية الى وحدة وتماسك الجماعة . اذا كنا متحدين فستنمو قوتنا لان انقسامنا على انفسنا سيباعدنا عن بعضنا بعضا الى درجة لا نستطيع النهوض بعدها.

ولقد عملوا جاهدين لان يحطموا كل روابط الحب والوحدة التي توحد شعبنا وذلك كي يذوب هذا الشعب بين الامم الاخرى . ونحن نعلم

---

٨ ـ المرجع الكلاسيكي للقانون والشرع اليهوديين . للتلمود السلطة الدينية الثانية بعد التوراة في الديانة اليهودية . ويمكن تحليل التوراة شرعيا ضمن التقاليد اليهودية الدينية فقط اذا كان التحليل على ضوء تعاليم التلمود .

بأن الذوبان في المجتمع يعني اعتناق دين آخر . فليبتعدْ كل هؤلاء الذين يرفضون الذوبان في المجتمع عن مثل هذه السياسة الحمقاء التي لا تعمل الا على ابعاد شعبنا عن الروح الدينية ولا تساعد على قبولنا بين الاممين. كذلك اكدوا لنا باننا بهذا « التنوير » سنستطيع تأسيس بيوت لنا حيثما كنا ، ونادوا بأنه يجب علينا ان نتخلى عن كل بارقة امل في العودة الى ارضنا والعيش هناك بعزة مثل سائر الشعوب . ولقد رأينا ان كل هذا لم يثمر شيئا ولم يحقق لنا الحب الذي نطلبه ، لذلك نقول : ان الكلب فقط هو الذي لا يملك ولا يريد ان يملك بيتا . والانسان المتنقل طيلة حياته ولا يفكر ابدا في ان يؤسس بيتا لابنائه سيعتبر كالكلب . يجب علينا ان نسعى لتأسيس وطن بقلوبنا وارواحنا ونفوسنا . واذا نجحنا في بعث هذه الرغبة في قلوبنا جميعا عندها نأمل ان يقوم مع مرور الوقت ومن بين هؤلاء الراغبين ، رجال عمل يستطيعون تحقيق هذا الحلم . ويجب ان نرفع املنا عاليا كالعلم يعمل من اجله هؤلاء الذين سيبنون بيت اسرائيل.

اليعازر بن يهوذا (١٨٥٨ ـ ١٩٢٣) Eliezer Ben-Yehudah

لغوي ورائد من رواد النهضة العبرية الحديثة

ولد في لوشكي ببلاد ليتوانيه التي كانت تابعة للامبراطورية الروسية وتلقى التعليم الديني التقليدي في الغيتو ثم قضى بعض سني شبابه في اكاديمية التلمود في بولوتسك . سمي اليعازر برلمان ، لكنه ما لبث ان « عبرن » اسمه ١٨٧٩ حين وقّع على اولىمقالاته المنشورة باسم « بن يهوذا » . ترك مدرسة التلمود في الخامسة عشر من عمره ودخل في مدرسة علمية ثانوية في دفنيلتك ، حيث انقطع عن ماضيه واعتنق الافكار الثورية التي كانت سائدة لدى المثقفين الروس والعدميين منهم على الاخص . استهوته الاشتراكيةوتاثر بدعوة الحركة الروسية المعروفة بـ نارودينكي (اي العودة الى الشعب) . لكنه بقي يولي الادب العبري اهتماما كافيا وانضم الى قراء مجلة « الفجر » التي كان يصدرها سمولنسكين ، معتنقا نظرية القومية الثقافية التي عبّرت عنها مقالات المجلة . حاول تقليد فكرة القومية الروسية والحركة السلافية بالدعوة الى قومية يهودية على اساس علمانيوسياسي . هاجر (١٨٧٨) الى باريس في التاسعة عشرة من عمره لدراسة الطب، لكن مرضه بالسل حال دون اتخاذه الطب كمهنة . قضى فترة من الزمن في الجزائر ثم انتقل الى القدس ١٨٨١ . وقد بقيمقيما في القدس منذ ذلك الحين حتى موته ، باستثناء اربع سنوات قضاها في اميركه خلال الحرب العالمية الاولى .

عمل على احياء اللغة العبرية الحديثة وجعلها لغة التخاطب الوحيدة في بيته ، بدأ في نشر القاموس العبري القديم والحديث في عدة مجلدات (ظهر المجلدان السادس والسابع عشر عام ١٩٥٩) وبحث في الادب العبري الكلاسيكي عن تلك الالفاظ التي تصلحللاستعمال في الحياة اليومية ويمكنها التعبير عن تصورات التقنية والعلم الحديث. اشترك في تأسيس اكاديمية اللغة العبرية واصبح رئيسها الاول . حارب اللغة اليديشية (Yiddish) وسائر اللغات الاخرى ، لانه اصر على اعتبار العبرية لغة اليهودي الوحيدة. تقوم دعوته الصهيونية على اساس علماني وسياسي ، مما جلب عليه نقمة المتدينين اليهود وجعله يدخل معهم في مناظرات ومجادلات كثيرة . فقد هاجم نظام الصدقاتِ Halukkah وتوزيع المساعدات . وايّد البارون دي روتشيلد في نزاعه مع الفلاحين اليهود ، نادى بمشروع استعمار يوغنده فيما بعد . وهو يمثل على ناحية من نواحي الصراع الثقافي والسياسي الذي برز داخل اسرائيل على شكل صراع بين الدين والعلمانية .

عبّر عن آرائه في رسالة بعث بها ١٨٨٠ من الجزائر الى سمولنسكين ، رئيس تحرير مجلة « الفجر » . فراح يدافع عن اللغة العبرية ومقدرتها على استيعاب مصطلحات العلوم

والفنون الحديثة ويشدد على ضرورة احيائها واعتبارها لغة حية ومتطورة . واخذ على سمولنسكين حصره اليهودية في المجال الروحي وميله لاعتبار الهاسكالا بمثابة المسؤول الوحيد عن اوضاع اليهود . فالدعوة الى احياء اللغة العبرية والاصرار على التكلم بها لا يمكنها ان تتم الا « في بلد يفوق فيه عدد السكان اليهود عدد الغرباء » ... « لذلك دعنا نعمل على زيادة عدد اليهود في ارضنا المهجورة». واحياء اللغة لا يتم الا بعد احياء الامة. وبما ان العاطفة تحرك قلب الانسان اكثر من العقل ، فلنخاطب قلوب اليهود وندعوهم لاستعمار ارض اجدادهم التي تنتظرهم . ومتى تمت عودة الامة الى وطنها الام وتحقق خلاصنا الدائم يصبح بامكان اللغة العبرية ان تعيش وتبقى على قيد الحياة . ولم ينس بن يهوذا ان يذكر في رسالته بان « الدين اليهودي يمكنه ان يكيف نفسه لروح المكان والعصر والزمان » ، لكنه لا يلبث حتى يدعو للامة اليهودية التي « لا يمكنها العيش الا على ارضها » . وقد عمد الى ربط ذلك كله بمفهوم للخلاص يعتبر قيام الامة اليهودية بمثابة الاستعداد المسبق لحلول « ذلك اليوم العجائبي » في نهاية الايام وامتلاء الزمان .

رسالة بن يهوذا (١٨٨٠)

٢٩ كيسلف ، ٥٦٤١ ، الفزير

الى ناشر هاشاحار (١) : تحية وبعد !

سيدي ، ارجو السماح لي بتقديم بعض التعليقات على مقالتكم « المسألة اليهودية ـ مسألة حياة » . لا يوجد لدي ، سيدي ، اي فكرة عما ستضيفه على هذا الموضوع في العدد القادم من هاشاحار ، لكن هدف موضوعك يبدو واضحا من المقدمة التي قرأتها. لذا قررت ان احلل مقالتك وان ابعث لك نقدي لها ، واثق بانك سوف لا تستاء من آرائي المضادة وتنشرها في هاشاحار .

لقد هدمت في هذه المقالة سيدي ، ما كنت قد بنيته انت خلال العقد الماضي . لقد كنت يا سيدي ، حتى اليوم ، مخلصا بالنسبة الى عقيدة الخلاص وكانت المغزى الرئيسي الذي كنت تكرره في كتاباتك كلها ـ وحتى انه ـ في احد كتبك عبّرت عن هذا الاعتقاد بقولك ان كل من يتخلى عن هذا الامل فهو ليس بيهودي . ولقد جاهدت لبناء حطام شعبنا وقدحت في « حركة تنوير برلين » وفي مؤسسيها الذين اضاعوا امل خلاص شعبهم من قلوب اتباعهم . خلال عشر السنوات الماضية ، سيدي، كرست نفسك لهذه الوظيفة وبقيت صامدا في وجه كل الهجمات العنيفة،

١ ـ هاشاحار = « الفجر » مجلة عبرية شهرية كان ينشرها بيرتز سمولنسكين في فينه من ١٨٦٨ حتى ١٨٨٥ .

لكنك الآن وفي هذه المقالة الاخيرة تبدو متأثرا بالحاضر الى درجة من يئس من خلاص امته فاضاع ايمانه في المستقبل .

اذا كنا ما نزال نؤمن بالخلاص ولم نيأس بعد من ان نكون «امة حية»، فيجب ان نقود تفكيرنا وفقا لما نظن بان هذه الامة ستكون عليه في المستقبل وبعد ان تبعث الى الحياة . قد نكون اليوم في حالة نزاع انما غدا سنعود الى الحياة، قد نكون اليوم في ارض غريبة انما غدا سنسكن في ارض ابائنا، وقد نتكلم اليوم لغات غريبة انما غدا سنتكلم اللغة « العبرية » ، هذا هو معنى الامل في الخلاص، ولا اعرف معنى غيره. املنا هو في الخلاص بمعناه الصحيح الحرفي ، وليس في امل غير واضح او ببديل خبيث . واذا كان مثل هذا الامل هو الذي يهمك وكذلك ـ اذا كنت انت ايضا ـ تتصور املا كهذا لامتنا في المستقبل ، فلماذا اذن استخلصت بان اللغة اليهودية قد ماتت وانها لا تصلح للآداب والعلوم وانها مناسبة فقط للامور التي تتعلق « بتراث اسرائيل » ؟

لو لم اكن مؤمنا بخلاص الشعب اليهودي ، لاعتبرت اللغة اليهودية عائقا لا فائدة لها . ومن ثم كنت اوافق بان « مسكاليم » (٢) برلين كانوا صادقين بقولهم ان الفائدة منها هو عبور جسر التنوير فقط . وذلك لانهم فقدوا الامل في الخلاص ، ولم يجدوا اي فائدة اخرى لهذه اللغة. واسمح لي سيدي بأن اسألك ما هي اللغة العبرية لشخص لم يعد هو نفسه عبريا ؟ هل هي له اكثر من اللاتينية او اليونانية ؟ ولماذا يتوجب عليه تعلم اللغة العبرية او قراءة ادبها الحديث ؟ ولماذا يتوجب التعبير عن « علم اليهودية» باللغة العبرية ؟ ما هي فائدة علم كهذا ؟ وكيف يمكن ان يكون هناك علم لا يمكن دراسته الا بلغته الاصلية واذا كان كذلك فهل يستحق ان يسمى علما ؟ اين هو الشعب الذي لا يستطيع التعبير عن علمه وحكمته الا بلغته فقط ؟

انني اعرف بان دوافعك يا سيدي لتبنّي مثل هذا الموقف هي دوافع سامية . ولقد رايت الشباب يهجرون لغة اجدادهم لذا فكرت بمعالجة سريعة لوضع حد لهذا الشر . وناديت بطريقة جديدة ونظرية حديثة تتلخص في اننا امة روحية ، وان حياتنا مختلفة عن حياة الشعوب الاخرى لان حياة اسرائيل هي في روحها فقط ، وهذه الروح موجودة فقط في

---

٢ ـ « المتنورون » هم حركة افكار حركة التنوير اليهودية «الهاسكالا». انظر ملاحظة سمولنسكين الثالثة .

التوراة ، ولا يمكن التعبير عن هذه التوراة الا بلغة الناس نفسها ، ولذا اذا تخلينا عن لغتنا يعني اننا تخلينا عن روحنا ـ وبالتالي حكم علينا بالموت !

ولكي تصح نظريتك هذه يتوجب ان تكون كل هذه الافتراضات صحيحة : بأننا امة روحية وان روحنا موجودة في التوراة فقط وبأن التوراة لا يمكن التعبير عنها الا بلغتنا . لكن ، سيدي ، على ماذا ترتكز افتراضاتك هذه ؟ ان رغبتك في ان تنقذ امتك من خطر رجال التنوير في برلين ، جعلتك تخلق هذه الافتراضات في مخيلتك الثاقبة . لقد سمعت هؤلاء يقولون : لا يمكن لشعب ان يعيش دون ان تكون له ارض . ونحن نعيش على ارض اجنبية لذلك نحن لسنا بشعب . فاسرعت الى تكذيبهم وصرخت تقول : هذا افتراء ! ان الشعب اليهودي يختلف عن بقية الشعوب قد لا تستطيع الامم ان تستغني عن وحدة سياسية ولكن الشعب اليهودي يعيش على وحدة روحية . سيعيش الشعب اليهودي رغم نفيه من وطنه لان روح هذا الشعب في توراته ، وسيعيش هذا الشعب بقدر حياة هذه الروح ، ولقد دعمت وجهة نظرك بحجة اخرى قلت فيها : ان كنت انا مخطئا ، فيجب علينا ان نعتبر النبي ارمياء خائنا وكافرا لانه قلل من معنويات الجيش وحتى انه اراد ان يأخذه الاعداء اسيرا . وبعد ان دمر نبوخذ نصر ارض هذا النبي ، كتب لاهله من المنفى قائلا : « ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها ... لان خلاصكم ليس بقريب ... » (٣) . وقد وضحت بان عمل النبي هذا يكون صحيحا فقط اذا كانت اسرائيل شعب روح تعتمد حياتها القومية على روحها وليس على ارضها ، لان ارمياء عرف بأن هذه الروح ستقوى في المنفى وبأن قلوب الناس ستطهر وسيكفون بالتالي عن عبادة الهة غريبة .

سيدي ، ان مثل تفكيرك الثاقب فقط يستطيع ان يستوعب مثل هذه النظريات العجيبة . حتى لو اعترفنا بأن كل نقاط جدلك صحيحة ، فهل تعتبر حقيقة بان هذه النقاط ستساعد شعبك ؟ يبدو يا سيدي ان ليس واضحا لديك بانه لو انتشرت آراؤك هذه بين الشعب اليهودي كله ستؤذيه اكثر من اي شر حل باليهود حتى الآن ؟ وسوف لا اتردد بأن اعلن بصراحة بان ارمياء هو الذي دحر وطنه وسلّمه للغرباء ! قام بهذا العمل دون ترو ، لانه ربما فكر مثلك انت ، ولكن نتيجة عمله هذا واحدة مع انه كان بسبب عدم التروي وليس عن سابق قصد . وهل كان هناك فرق بين

---

٣ ـ ارمياء ٢٩ : ٥ .

الكارثة التي حلت عند دخول نبوخذ نصر ابواب القدس بسبب « خطأ » ارمياء وبين الكارثة التي حلت عند دخول تيطس ابواب هذه المدينة بسبب خيانة جوزيفس فلافيوس ؟ وهل فكر اشعيا الاول واشعيا الثاني كما فكر ارمياء ؟ وهل شاركه زربابل ونحميا آراءه ايضا ؟ وهل اتبع حكماء التلمود آراء ارمياء عندما قالوا : كل من يعيش خارج ارض اسرائيل فهو كرجل لا اله له (٤) ؟

لنترك هذه الايام القديمة جانبا لانه من الصعب جدا للانسان ان يقيّم احداثا حصلت قبل الفين وخمسمائة عام وخاصة انه لم يبق من تلك الايام غير كلام ارمياء ، لان كلام الانبياء الآخرين امثال شيمایاهو هانالامي، وآهاب بن كولياه ، وصدقياهو بن مسيا قد فقدت كليا .

كان هدفك من خلق هذه النظريات هو مساعدة شعبك وان تبعث في شبابنا الاخلاص لارض امتهم لكن هل ستنجح ؟ هل هذه الآراء والحجج متينة بحيث تحمينا من الامواج الصاخبة حولنا حتى لا تجتاحنا ؟ وسواء كنا شعب الروح ام لا ، ومهما كانت نظرياتنا واستنتاجاتنا ، فان احداث العالم ستستمر وتتطور على طريقتها الخاصة دونما اي اكتراث لآرائنا . الا نستطيع ان نرى بأن نهاية شعبنا قد اقتربت ؟ وهل ان حركة التنوير القائمة في برلين هي وحدها سبب هذه الشرور التي تقع بنا ؟ حتى في البلاد التي لم يسمع يهودها باسم موزيز مندلسون او بتعاليمه ، نلاحظ ان اليهود الشباب في هذه البلاد يقومون بالعمل نفسه وذلك بالتخلي عن شعبهم وعن لغة اجدادهم . لقد كتب زعماء حركة تنوير برلين الكتب الكثيرة وخلقوا النظريات الموسعة ليبرهنوا باننا لم نكن شعبا ، وان يهود البلاد الاخرى كلهم وفي كل ارض اشرقت حركة التنوير فيها عليهم ، يفكرون بالطريقة ذاتها ، مع فارق بسيط وهو انهم لا يجدون اي داع يدفعهم لاضاعة الكلام في تبرير اعمالهم .

فما الفائدة اذن يا سيدي ، من صنع هذه النظريات كلها ؟

من الواضح جليا للجميع يا سيدي ، بأن شبابنا يعزفون عن لغتهم ـ لكن لماذا ؟ لانها بنظرهم لغة ميتة لا امل فيها . سيكون كل جهدنا كي نجعلهم يقدّرون اهمية اللغة بالنسبة لنا نحن اليهود دون فائدة . اذ لا يستطيع فهم هذا الا عبراني ذو قلب عبراني . بل ان هذا النوع من الناس

---

٤ ـ التلمود ، كيتوبوث ، ١١ Ob .

ليسوا بحاجة لاقناع . ودعونا نعمل لاحياء اللغة ثانية ! ولنعلّم ابناءنا ان يتكلموها وعندها سوف لا يخونوها ابدا .

لكننا لا نستطيع تعليم اللغة العبرية الا في بلد عدد سكانه اليهود اكثر من عدد سكانه الاميين ، لذا دعونا نرفع عدد اليهود في ارضنا المقفرة ، ولتعد بقية شعبنا الى ارض الاجداد .

بموقف كهذا فقط نستطيع ان نحل كل « الاسئلة » وبذا نستطيع وضع حد لكل وجهات النظر هذه . ودعوة كهذه فقط ستلفت انتباه حتى اولئك الذين يهزأون منا الآن ويظنون باننا مشوشون . يتحرك قلب الانسان بالعاطفة وليس بالعقل . وقد نجادل ونصرخ طيلة اليوم باننا شعب مع اننا لا نملك وطنا ، دون فائدة او معنى ، لكننا نستطيع ان نوجه نداءنا الى قلوب اليهود ونقول : ارض آبائنا هي بانتظارنا ، فلنستعمرها، وعندما نصبح اسيادها ، نكون قد صرنا مثل بقية الشعوب . سيصغي الناس الى مثل هذه الكلمات بشغف لان قلب الانسان ، يا سيدي ، حتى قلوب زعماء حركة التنوير ، هي قلوب رقيقة يمكن التغلب عليها بمثل هذه العاطفة .

صحيح ان الامة اليهودية ولغتها ماتتا معا ، لكن هذا الموت لم ينجم عن اسباب طبيعية ، ولم يكن موتا بالارهاق مثل موت الامة الرومانية التي ماتت الى الابد ! لقد تم اغتيال الامة اليهودية مرتين ، وفي كلتا المرتين عندما كانت الامة في اوج عصرها . وكما عادت امتنا للحياة اثر النفي الاول من ارضها بعد موت الامة التي اغتالتها ، وارتفعت الى مستوى روحي ومادي اعلى مما كانت عليه كذلك فانها ستعود الآن ايضا بعد موت الامة الرومانية التي اغتالتها ، ستعود الامة اليهودية الى درجة اعلى مما كانت عليه قبل النفي الثاني ! كذلك اللغة العبرية لم تمت من الارهاق ، لقد ماتت مع الامة وعند احياء الامة ستعود اللغة الى الحياة ثانية . لكننا لا نستطيع يا سيدي ، ان نعيدها الى الحياة بالترجمات ، يجب علينا ان نجعلها لغة اطفالنا على الارض التي ازهرت يوما فيها واعطت ثمارا ناضجة !

لهذا الشعب طاقات لا تحصى ! ومنذ مجيء هذه الامة لهذا العالم حتى هذا اليوم وهي تصنع المعجزة تلو الاخرى . تاريخ هذه الامة وتوراتها ودينها وكذلك الشعب ، كلها معجزات . لذا فليس بمستحيل على هذا الشعب ان يقوم باحياء اللغة بعد ان ماتت كما حدث في ايام الملك سيروس.

صحيح يا سيدي بأن هذا الشيء عمل شاق لا يمكن تحقيقه بين

عشية وضحاها ولكنه من الاصعب في الظروف الحديثة ان يبقى شعبنا حيا لمدة طويلة في ارض اجنبية، اما سبب بقائنا حتى الآن بدون وطن ولا لغة ولا سيادة سياسية فلأن ديننا وطريقة معيشتنا تختلف كليا عن بقية الامم وهذا الاختلاف هو الذي كان بمثابة قلعةحصينة لحمايتنا. كانت لنا في الماضي حركة تنوير يهودية حقيقية ، وكانت لدينا لغتنا القومية، كانت حياتنا الفكرية تسيّر كلها بالعبرية . لكن الوقت الحاضر يختلف تماما . فلقد تخلينا الآن كليا عن حلينا الوطنية وانهمكنا في تزيين انفسنا بحلي الغربة . لقد كتب الفشل على جهودنا وحججنا لانه لا احد يسمع الينا .

لذا فأنا مقتنع ، سيدي ، بأننا قد ضللنا الطريق . ولا فائدة الآن لمناداتنا باحياء اللغة العبرية كي لا نفنى ! وسوف لا تحيا اللغة العبرية الا اذا بعثنا الامة الى الحياة وارجعناها الى وطن الآباء . هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الخلاص . ومن غير هذا الحل سنضيع الى الابد ! الا توافقني يا سيدي على هذا ؟ لا شك ان الدين اليهودي يستطيع البقاء حتى في البلدان الغريبة . فهو يستطيع ان يتأقلم وفقا لروح المكان والعصر وبالتالي سيوازي مصيره مصير الاديان كلها. لكن الامة لا تستطيع العيش الا في ارض وطنها . فقط في هذه الارض ستعود الامة الى الحياة وتثمر كثيرا كما كانت في القدم !

لذا يجب ان نحول انتباهنا الى ما سيصير اليه الشعب « في نهاية الايام » فلا تدعوا يوم المعجزة يأتي وانتم غير مهيأين له .

اختم رسالتي هذه يا سيدي بالملاحظة التالية: ان كل ما قلته يا سيدي، لم يكن الا من خلال روحك التي تتكلم فيّ ، لانك كنت اول زعيم من حركة التنوير رفع شراع الامل بالخلاص عاليا وبنشرك هذه العقيدة بين زعمائنا في حركة التنوير بشجاعة اذ لم تخف من يقول انك مجنون ومتعصب ، وجهودك لم تذهب هباء ، فلقد اثمرت كلماتك وزرعت في قلوب الكثير من ابنائنا نبتة مقدسة ، نبتة الحياة القومية ، وانا آمل يا سيدي ان ترضى عن رسالتي هذه ، التي هي في الحقيقة من ثمار كفاحك .

موشيه لايب ليلينبلوم (١٨٤٣ ـ ١٩١٠) Moshe Leib Lilienblum

مؤلف بالعبرانية وداعية صهيوني

ولد في كيداني ونشا على التعليم الديني فتثقف به وتمكن منه حتى صار من علماء التلمود وقضى مدة خمس سنوات (١٨٦٤ ـ ١٨٦٩) يدرّس في اكاديمية التلمود التابعة لبلدة فيلكومير . تزوج حسب التقليد الديني عندما بلغ السادسة عشرة من العمر . وما لبث ان خضع لتاثير الافكار التي نادت بها حركة التنوير آنذاك (الهاسكالا) واصبح لزاما عليه ان يوفق بين حرفية الشرع التلمودي والافكار التحررية والمجددة التي كانت منسجمة مع روح العصر . نادى بالاصلاح الديني المعتدل فاثار غضب المتدينين وتخلى عنه اهله واصدقاؤه . ولم يلق سوى التأييد المعنوي من امراة في البلدة نشات بينه وبينها علاقة حب رومانسية . مما زاد وضعه صعوبة وتعقيدا ، لانه كان متزوجا . هرب الى اوديسه ١٨٦٩ ، وهي مركز التجديد آنذاك ، وكان يامل في الحصول على ثقافة علمانية واسعة . تاثر هناك بآراء المفكرين الوضعيين الروس وفقد ايمانه الديني وكل اهتمام بالافكار المجردة . فانحصر اهتمامه بالفرد وحده من الوجهة العلمية الصرف واعتنق بعض الافكار الاشتراكية ثم راح في اواخر السبعينات ينادي باعتبار الصراع الطبقي بمثابةالامل الوحيد لتحقيق مستقبل افضل للانسانية جمعاء . وكرس نفسه للدراسات العلمانية ، اذ راح يستعد لدخول الجامعة . وفجاة نجده ينقطع عن ذلك كله بعد عام ١٨٨١ ويكرس بقية حياته للحركة الصهيونية . فقد اصبح من الاعضاء البارزين والعاملين في منظمة « احبّاء صهيون » التي قامت لتشجيع الاستعمار الصهيوني في فلسطين. ومع ظهور دعوة هرتزل صار من انشط مؤيديه في روسيه . ولا ندري ما اذا كان اعتناقه للدعوةالصهيونية قد جاء فقط نتيجة للصدمة التي احدثتها مذابح ١٨٨١ وادت الى ارتداده المفاجىء . فالكتابات التي بين ايدينا تمثل المرحلة الصهيونية من تفكيره وهي بمثابة سجل ليومياته في ظل تلك المذابح . وقد تنكر في صهيونيته لايمانه الليبرالي وآرائه التجديدية والتحررية.

كتب ١٨٨١ في يومياته بعنوان « طريق العودة » يلوم نفسه على انقطاعه عنالمشاركة « بما شعر به اجدادي طيلة ايام حياتهم » ، ويعبّر عن سروره لان الفرصة قد اتيحتله اخيرا للتعويض عما فاته . فتحدث عن اولئك الذين اسكرتهم الهاسكالا وسوف يذكّرونه بمواقفه السابقة عندما كان يسعى للحصول على الثقافة العليا والتعليم الجامعي. ونسب موقفه المتعطش لاستكمال اسباب الثقافةوالعلم الى ما اسماه بـ «الحياء النسائي» (!). وفجاة صارت حياته الماضية ملأى بالحزن : « حزنت طيلة حياتي على انحطاط القومية اليهودية وعلى مصير الامة اليهودية المحتوم ... والآن يمتد امامي الطريق المستقيم والاكيد لخلاص شعبنا ولقوميته » . وفي مقالة ثانية كتبها ١٨٨٢ بعنوان « دعونا من الخلط

بين القضايا » نجده يرد على يهوذا لايب غوردون ، الممثل الرئيسي لحركة التنوير بين يهود روسيه ، في مقاله الذي نشر في العام نفسه بعنوان « خلاصنا وخلاص حياتنا » ، لان غوردون لم يشأ التخلي عن افكار عصر التنوير الاصلاحية والتجديدية ، مع انه قبل بفكرة الاحياء اليهودي في فلسطين ، ولو بصورة معدلة . فيقول : « الامة ككل هي اعز علينا من كل الفروقات حول التدين المتزمت او التساهل الليبرالي في مراعاة الشعائر بأجمعها. حين تصبح الامة شغلنا الشاغل تزول الشيع والفرق، فلا مجددون ولا محافظون، ولا متدينون او هراطقة ، بل كلنا ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب». « كلنا يجب ان نعمل في سبيل صهيون » ! وفي مقالة تالية ١٨٨٣ بعنوان «مستقبل شعبنا» نجده يرد على معارضي القومية اليهودية والذين قد يتهمون اليهود بالخروج على قوانين البلاد في دعوتهم هذه بقوله : القومية هي الاتجاه التقدمي الذي سوف يضع حدا للحروب في نهاية المطاف ، مع انه يقر بالمجتمع البروليتاري الذي لا يعرف التفرقة في آن واحد . لذلك يقترح حملة تبرعات : « ادفع كوبك * في الاسبوع ، للاستيطان في ارض اسرائيل » . وحين تجتمع آلاف الروبلات يمكن الشروع في شراء الاراضي واستئجارها بقصد التعمير والاستثمار ! ولا ينسى في خاتمة مقاله ان يقول بان « الانسان شديد التعلق بكل ما يحاول الآخرون سرقته منه » . اما خوفه من الذوبان والانصهار في حياة المجتمعات التي يعيش فيها اليهود فهو خوفه على ذوبان اصولهم كليا بين الآريين !

طريق العودة (١٨٨١)

٢٠ آذار (مارس) : قالت المجلات المحلية بان جماهير الشعب تستعد لمهاجمة اليهود خلال عطلة عيد الفصح . ويبدو ان اعداء السامية غير مكتفين بالمجاعة التي تفتك باليهود في اماكن سكنهم « المخصصة » لهم Pale of Settlement (١) فهم يحرضون الجماهير على السلب والنهب . لكن جهود هؤلاء ستكون عبثا فسوف لا يستطيعون اعادة العصور الوسطى المحببة اليهم لان تلك العصور لن تعود ابدا !

١٠ نيسان (ابريل) : انتشرت الشائعات في سائر ارجاء البلاد بأن حركة قوية ستقوم ضد اليهود حتى ان الحاكم امر بوضع اعلانات في المدينة تنص بان اذا قام احد بمحاولة الاخلال بالامن فان الحاكم نفسه سيأمر بتوقيف كل الخدمات وبمحاكمة المخلين بمحكمة عسكرية .

١٧ نيسان (ابريل) : تقارير خطيرة من مدينة اليزابتجراد . تظاهرات ونهب وهلع يسيطر على القلوب . ما هذا ؟

---

* كوبك = بنس روسي .

١ ـ كانت سياسة القياصرة المتبعة ان تحدد سكن اليهود في المقاطعات الغربية ، من روسيه .

٢٨ نيسان (ابريل) : بدات الانباء السيئة ، مثل تلك التي وردت من اليزابتجراد تصل الآن من كييف ومن غيرها .

٥ ايار (مايو) : الحالة مخيفة ومزعجة ! نحن في الحقيقة محاصرون . احيطت الساحات بالقضبان وها نحن ننظر من خلال الحواجز لنرى ما اذا كان الرعاع سيبدأون بمهاجمتنا . خبئت المفروشات كلها في القبو ، ننام الآن في ملابسنا ودون غطاء لاننا وضعنا الاغطية كلها في القبو . وذلك حتى اذا هوجمنا يكون باستطاعتنا حمل الاطفال ، والذين ينامون بملابسهم ايضا ، والهرب بهم ، ماذا يخبيء المستقبل لنا ؟ هل سيشفقون على الصغار ـ والذين لا يعرفون بعد انهم يهود وانهم تعساء ـ فلا يؤذونهم؟ يا اله اسرائيل الى متى هذا الشقاء ؟...

٧ ايار (مايو) : انني مسرور لانني تعذبت . اقتربت التظاهرات من البيت الذي اعيش فيه . صرخت النساء ونحبن وهن يحتضن الاطفال الى صدورهن محاولات الاختباء ووقف الرجال جانبا مذهولين . وتصورنا باننا سيقضى علينا في لحظات . لكن ، والحمد لله استطاع رجال البوليس تهريب المتظاهرين فتفرقوا بدون ان يؤذونا . وانني لمسرور اذ تعذبت ، فكانت لي الفرصة على الاقل كي اشعر بما كان يشعر به اجدادي كل يوم . كانت حياتهم كلها رعب ، اذن ما المانع الذي يعيقني من ان اشعر بذلك الخوف الذي ملأ حياتهم ؟ انا ابنهم وعذابهم شيء عزيز لدي وانا اعتز بامجادهم .

غير مؤرخ : في ايلول (سبتمبر) انقطعت عن الدراسة في الجمينزيوم (٢) .

سيعيّرني اولئك السكارى بنشوة « حركة التنوير » ، والذين منهم الكثيرون بيننا ، سيعيّرونني على رسالتي المؤرخة في الرابع من آب (اغسطس) ١٨٧٧ والتي قلت فيها : « اقسم باخلاص والى آخر نقطة في دمي بانني سأنهي دراستي حتى لو قال لي الاطباء بأنني سأمرض بداء السل او انني سأموت بعد يومين من انهاء دراستي فلن اتوقف » ، والآن قد تخليت عن هدفي هذا دون سبب ظاهر وسيعزو « رجال التنوير » تقاعسي هذا الى « الحياء النسائي » . لكني اقول لهم : كنت في العام ١٨٧٧ اظن بأن : « حياتي لا معنى لها لانني لا استطيع العيش دون ثقافة عالية وتعلم

---

٢ ـ المدرسة الاوروبية الثانوية .

رسمي » . وفي نهاية العام ١٨٨١ اصبحت اسير بوحي هدف سام وصرت رجلا مختلفا وملبئا بشعور اكتفاء روحي حتى بدون الدراسة العلمانية .

وعندما اقتنعت بأن سبب مأساتنا هو ليس عدم توفر ثقافة عالية، لاننا منبوذون الآن وسنبقى كذلك مهما بلغنا من ثقافة ، وعندما تفتحت عيني على المثل الاعلى الجديد وارتفعت روحي لمستوى العمل الجديد الذي به يكمن خلاصنا الابدي اذا ما سار كل شيء على ما يرام ــ عند ذلك تركتني المثل القديمة بلمح البصر . فتخليت عن الدراسة بأباء واخذت بتحضير نفسي لأخدم المثل العليا رغم انني لم اكن اعرف كيف كنت سأخدمها . ولم يكن لدي في البدء اي عمل غير كتابة المقالات فكان لا بد للبئر التي تؤخذ منها المقالات ان تجف في النهاية . وما اعز هذه الفكرة علي واحلاها ! كنت طيلة حياتي اشعر بالالم على انحطاط القومية اليهودية وعلى فكرة ان وجود اليهود مكتوب له الفشل . ولكني الآن ارى امامي طريقا مستقيما ومؤكدا يقود الى الخلاص الابدي لشعبنا وقوميته ، طريقا قادتني اليه ضروريات الحياة ، فوقف الخلاص الذي لا اعرف كيف ومتى سيحل ، وقف امامي بكل مجده !

دعونا لا نخلط الامور (١٨٨٢)

كان كاتب مقالة « خلاصنا » (٣) ، والذي يتبع كلامه بحماس ، كل من يعرفه ، كان في هذا المجال بعيدا عن الصواب. فلقد التبس عليه الامر عندما تكلم عن الخروج من ارض الشتات والتجمع في ارض اسرائيل الذي هو املنا الوحيد في هذا الوقت العصيب ، فخلط هذا الامر ــ والذي هو بسهولة وبساطة مسألة حياة والذي بدونه لا خلاص لامتنا ــ خلطه بأمور

---

٣ ــ يجيب ليلينبلوم على مقالة كتبها يهوذا ليب غوردون (١٨٣٠ــ١٨٩٢) والتي نشرت في السنة ذاتها تحت العنوان (الكامل) « خلاصنا والابقاء على حياتنا » كان غوردون المتكلم الرئيسي بلسان حركة التنوير اليهودية الروسية (انظر ملاحظة سمولنسكين رقم ٣) . كانت مذابح العام ١٨٨١ قد انهت ذلك العهد . لكن غوردون فيما هو يقبل في هذه المقالة الى حد ، الفكرة الجديدة لاعادة اليهود الى فلسطين ، بقي مخلصا لتعاليم حركة التنوير الاساسية وهي ان اصلاح الدين اليهودي وتجديد اساليب الحياة هي الامور الاكثر حاجة وانسجاما مع هذا العصر .

اقل اهمية تتعلق بالاصلاح الديني . ومع ان هذه المشكلة مهمة الا انني لا استطيع ان اعتبر حلها لو لحظة واحدة شيئا لا يمكن الاستغناء عنه لحل مشكلة ارض اسرائيل والتي هي بعبارة اخرى : هل يحق لليهود ان يكونوا شعبا حيا ؟ جميع الاسئلة تصغر امام هذا السؤال لدرجة اللااهمية .

ان الامة ككل هي اعز علينا من كل التقسيمات المتصلبة المتعلقة بالامور الارثوذوكسية او الليبرالية في الدين . عندما يتعلق الامر بالامة يجب ان تختفي الطائفية فلا يكون هناك رجال من الطراز الحديث وآخرون من الطراز القديم ، ولا مؤمنون او كفار انما الجميع ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ! وكل من هو من اصل يهودي لا ينسى امته ، هو يهودي بكل معنى الكلمة . ولقد قيل ان الناس يختلفون في تفكيرهم عن بعضهم بعضا ، كاختلاف وجوههم عن بعضها بعضا . وليس هناك منطق في رغبة اليهود الذين سيستوطنون في ارض اجدادهم لان ينتموا جميعا الى الطائفة ذاتها. فليتبع اذن كل انسان ما يمليه عليه ضميره . وليضع الحاصديون (٤) تعويذتين(٥) وليكرر الليبراليون شهادة التوحيد(٦). وليرسل الارثوذوكسيون ابناءهم الى المدارس الدينية (٧) في ليتوانيه وبولنده ، وليؤسس زعماء حركة التنوير (٨) مدارسهم على النمط الاوروبي . لكن لا تدعوا اي انسان يظلم غيره وهكذا **سيجد كل شيء** مكانه ضمن اطار الحكم السياسي الذاتي.

نعم لا تدعوا اي انسان يظلم اخاه . وليعلم الارثوذوكسي **باننا كلنا مقدسون** كل واحد منا ـ سواء كنا غير مؤمنين او ارثوذوكسيين فلقد قدمنا حياتنا لمدة من الزمن من اجل تطهير الاسم ، ويبدو اننا سنواصل تقديم حياتنا لمدة طويلة في المستقبل ولن نستطيع ان نرى نهاية لهذا الشيء في الارض التي نعيش عليها الآن. كنا لمدة عام كالسمكة في البحر: ممتلكاتنا معرضة للنهب دون وازع ، غزيت بيوتنا كما اثلم شرفنا ، تعرضت نساؤنا واطفالنا للعار ووضعت حياتنا تحت رحمة الطغاة. تملكنا الخوف في كل يوم احد وفي كل يوم عطلة مسيحية . كنا نتساءل دائما :

---

٤ ـ انظر الى ملاحظة سمولنسكين رقم ٧ .
٥ ـ التعاويذ التي كان يلبسها اليهود خلال صلوات الاسبوع الصباحية.
٦ ـ الصلاة التي تعبّر عن وحدانية الله وهي « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد » (سفر التثنية ٦ : ٤) .
٧ ـ مدارس الدين الابتدائية .
٨ ـ انظر « بن يهوذا » ملاحظة رقم ٢ .

ماذا يخبيء لنا الغد ؟ نعيش بخوف عظيم في النهار وفي الليل ... حلت هذه الاشياء كلها بنا ، ارثوذوكسيين ومفكرين احرارا على السواء ، ومع هذا لم نخن اصلنا ، ولم تخذلنا شجاعتنا . ومهما حدث فلن نتحول عن طريق اله اسرائيل . ان الله في قلوبنا وان شعبنا كختم على ذراعنا الايمن ـ وسوف لا نتخلى عن شعبنا عندما يعود السلام الينا . أليس هذا تضحية بالنفس من اجل تطهير الاسم ؟ اليست كل امتنا مقدسة ؟ فليعلم الارثوذوكسيون بأننا جسم واحد في الكفاح . كل خطط الخلاص ومشاريعه يبدأها عادة زعماء حركة التنوير والمفكرون الاحرار. اننا اخوة فلنبق اخوة حتى آخر العصور ، وليتصرف كل فرد في اموره الشخصية حسب ما يحلو له . اما وحدتنا الوطنية فيجب ان لا تضعف .

انما يجب علي ان احذر اخواننا من حركة التحرر Maskilim والمفكرين الاحرار بالا يعملوا على تقسيم اليهود الى معسكرين وذلك بادخال المأكولات المحرمة (٩) او ان يستغنوا عن مراسم الاستحمام الروحي (١٠) ؛ لان الارثوذوكسيين سيرفضون ان يأكلوا في بيتهم او يتزاوجوا منهم . فلو استعمل الليبراليون سياسة ضبط النفس ، ولو تسامح اخواننا الإرثوذوكسيون معهم فسيحل السلام بين اليهود في هذا الوقت العصيب. سيحقق الزمن كل شيء لا يستطيع العقل تحقيقه . وليعلم كل اليهود ان طريق التوراة الصحيح هو ليس المشاحنات والحرب الاهلية وان الشيء الوحيد الذي سينتصر في النهاية هو ما يريده الله . هكذا كانت الاشياء دائما . كانت هناك معارك ضارية بين الذين كانوا يعبدون بعلا والذين يعبدون الله ، لكن في النهاية ظهر الحق وزهق الباطل واختفت عبادة الاوثان من اسرائيل . وحدثت مشاجرات عديدة ما بين الصدوقيين والفريسيين (١١) وسالت الدماء الكثيرة هدرا . كذلك لم يعترف

---

٩ ـ المأكولات التي تحرمها الشريعة في التوراة على اليهود مثل ، الخنزير او اكل اللحم وشرب الحليب معا (لاويين ١١ : ١ ـ ٤٧ والخروج ٢٣ : ١٩) .

١٠ ـ وهو الطقس الديني الذي يتوجب فيه على المرأة ان تستحم حماما خاصا روحيا قبل زواجها وتكرر هذا الطقس كل شهر بعد زواجها .

١١ ـ كانت هاتان طائفتين من اهم ثلاث طوائف يهودية (الثالثة كانت الاسينيين) ما بين فترة المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد

(التتمة على الصفحة التالية)

القراؤون (١٢) بسلطة الحاخامين وكنتيجة لم يحققوا عبر الف سنة اكثر من ان يكونوا اقلية بقي القليل منها الذين لم يقتلوا مع من قتل منا . والآن يتشاجر الارثوذوكسيون مع زعماء حركة التنوير . فليتأكد جميعهم بان المشاجرات والكره سوف لا تساعد على ان تتغلب الحقيقة على الباطل . سيختفي الباطل من طبيعته وتبقى الحقيقة .

لنعط الاسئلة الخاصة اهمية ثانوية ، سواء كانت اسئلة دينية او اقتصادية . فالمسألة الاهم لنا هي « ان يحمي الله اسرائيل ويعطيها الخلاص الابدي » . اتحدوا واجمعوا القوى ، فلنجمع شعبنا المشتت في اوروبه ونذهب الى وطننا بفرح ، وليقل كل من هو مع الله ومع شعبه : انا مع صهيون . انها لمهمة صعبة، ولكن هل تخلق الامة كلها دفعة واحدة ؟ لذلك يجب ان نعمل بجد لتنمية ارضنا وليس لنا اي حق في ان نتخلى عن هذه الوظيفة المقدسة . على رجالنا الاغنياء ان يبدأوا بشراء العقارات في تلك الارض ولو ببعض ما يملكون من ثروة . وطالما ان هؤلاء لا يرغبون في ترك اراضيهم التي يسكنون بها الآن فليشتر كل منهم قطعة ارض في ارض اسرائيل ببعض من مالهم حيث تعطى هذه الاراضي لمن يستغلها على اساس اتفاقية بخصوص العوائد مع الشاري . وليقسم الرأسماليون الصغار والذين لا يملكون اقل من عشرة آلاف روبل ثروتهم الى نصفين ، النصف الاول يبقى هنا الى وقت الحاجة والنصف الثاني يشترون به ارضا في ارض اسرائيل تكون هذه الاراضي لهم او لغيرهم وفقا لشروط معينة. حتى أولئك الذين يملكون اقل من الف روبل يجب ان يذهبوا الى ارض اسرائيل لشراء قطعة ارض لهم ، وستتبعهم من ثم الجماهير التي لا عمل لها . كما سيذهب ايضا اصحاب الحرف . ومع مرور الوقت وعند تحسن الاحوال الزراعية والتجارية والصناعية سيأتي الآخرون الى ارض اسرائيل . اذن يجب علينا ان نبدأ بالعمل . وان الله الذي لم يتركنا تحت

وفترة خراب هيكل القدس في السنة ٧٠ بعد الميلاد. كان الصدوقيون من اتباع الطائفة الدينية ويؤمنون بحرفية التوراة. اما الفريسيون فكانوا متمسكين بالتلمود وبالتقاليد التي وضعها الحاخامون ، وقد ركزوا على شرح متن التوراة وتطبيقاتها وفقا لتأويلات شرائع من صنعهم .

١٢ ــ طائفة يهودية تأسست في القرن الثامن الميلادي قبلت سلطة التوراة ورفضت التقاليد الحاخامية اي (التلمود وادبه) كمرجع معتمد للتوراة .

رحمة الاسود خلال آلاف السنين التي عشناها ، سيعطينا القوة والراحة، علينا ايضا ان لا نكترث لاولئك الخوارج الذين يهدفون لابعادنا عن ارض آبائنا ، وعلينا الا ننقسم الى « ميتنجديم » Mitnagdim (١٣) ، و « حاصديم » Hasidim واعضاء حركة التنوير . هذه هي الارض التي وجد عليها اجدادنا الراحة منذ زمن غابر، وسنعيش كما عاشوا. فلنذهب الآن الى الارض التي ستجد ارواحنا فيها الراحة بعد آلاف السنوات من الاغتيالات المتواصلة . ستكون بدايتنا قليلة لكننا في النهاية سنزدهر .

مستقبل امتنا (١٨٨٣)

ينظر الينا خصوم القومية بأننا قوميون متعصبون ذوو اله قومي وتوراة قومية . اما القوميون فيرون فينا افرادا دوليين وطنهم حيث يجدون معيشة افضل . ويقول الاميون المتدينون بأننا خالون من الايمان ويقول المفكرون الاحرار بأننا نؤمن بكل الاشياء السخيفة، ويقول الليبراليون بأننا محافظون ، ويقول المحافظون بأننا ليبراليون ، وبعض البيروقراطيين والكتاب يرون بأننا جذور الخراب والدمار والثورة بينما يقول عنا المخربون بأننا راسماليون وبأننا حملة الحضارة التوراتية التي في نظرهم تعتمد على العبودية والاعتماد بالعيش على الغير . ويرى موظفو الدولة بأننا نتجاهل قوانين الاراضي ـ بالطبع تلك القوانين التي وضعت ضدنا ان جذور هذه الشكوى تعود الى اصول التوراة . لقد عصت يوكابدام النبي موسى قانون فرعون ، ولم تلق بابنها في النهر انما خبأته من الشرطة المصرية بين اشجار الحلفا على ضفاف النهر وذلك ليكون باستطاعتها ان تعيده الى البيت بعد ان يتم البحث عن الاولاد العبرانيين . انهم يتهموننا ايضا بأننا ضد الفن والموسيقى . يتهمنا الموسيقيون ، امثال ريتشارد فاجنر بأننا نشوه جمال وطهارة الموسيقى ، حتى حسناتنا قلبت ضدنا . يقولون ان « القليل من اليهود هم مجرمون لان اليهود جبناء بطبيعتهم ». لكن هذا لا يمنعهم من اتهامنا بقتل اطفال المسيحيين .

ان الحضارة التي تستطيع ان تحمينا من الاضطهادات التي تعتمد على اسس دينية لا تستطيع تلك الحضارة نفسها ان تخلصنا من

---

١٣ ـ اليهود الذين وقفوا مع التفكير التلمودي. ولذا وقفوا ضد الحركة الحاصدية بشدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، التي كان اصحابها يشددون على الشعائر الدينية بدلا من ان يشددوا على التعليم .

الاضطهادات التي تعتمد على اسباب قومية . تتطلب الحضارة من كل انسان ان يتبع ضميره وبذلك تعمل على التخلص من التعصب الديني ، لكن لا حضارة في الدنيا لها القدرة على ان تطالب بقبول الغريب وكأنه ابن طبيعي لتلك الاسرة وما دام ان الغريب يقوم بالاعمال التي كان يقوم بها اعضاء الاسرة فلا بد لهذه الاسرة ان تقول للغريب « انك تعمل على ايذائي، ليس لك مكان عندي لانك تسلبني مصدر رزقي » .

بالطبع يوجد هناك مجتمع واحد ، البروليتارية ، التي لا تميز بين غرباء وبين ابناء ـ الكل في نظرها عمال . لكن اذا استولت هذه الطبقة على زمام القوى فما لنا الا ان نطلب رحمة الله كي يحمينا من ذاك اليوم ! ولنعلم جيدا انه اذا ثار الرعاع ـ ونحن نعلم ان هناك الكثير من الاشرار الذين يحرضون الرعاع ـ فمعظمنا سيقتل بحد السيف ، سيعتبروننا راسماليين ونكون الضحية . فليعتبر أبناؤنا الذين اقاموا انفسهم مخلصين للانسانية وليعتبر ايضا اولئك الذين يعارضون فكرة الاستيطان في ارض اسرائيل.

هذا والحضارة ليس فقط لا تعمل على التخلص من فكرة العداء للسامية انما تساعد على تقويتها بطريقة غير مباشرة . وسأوضح ما اقول هنا خوفا من ان يظن القارىء بأن كلامي لا معنى له .

يبدو ان الاتجاه نحو القومية هو ليس تقهقرا رغم تأكيدات علماء الوطنية الدولية الرومانية ، يمثل هذا الاتجاه التقدم الذي سيقود الانسانية في النهاية للتخلص من الحرب والاتجاه نحو الانسانية بكل امهما نحو وحدة حقيقية . لكن هذه الحضارة الحقيقية ، اي الاتجاه نحو حق تقرير المصير هي الارض الخصبة لفكرة العداء للسامية ـ تماما كما تنمو الاعشاب البرية في الحقول ، لانه لا توجد وردة دون شوك ولا خير دون وجود الشر . ان اللاسامية هي ظل تلك الحضارة العصرية الزاهية وليس باستطاعة هذه الحضارة التخلص من اللاسامية تماما كما لا يستطيع الضوء ان يتخلص من الخيالات التي يرسمها . ولهذا السبب يسير العداء ضد السامية بخطى كبيرة .

نذكر منذ ثلاث سنوات عندما بدأ مار Marr (١٤) فكرة مناواة السامية . اننا سخرنا من فكرته ومن مخططاته وقلنا انها فكرة قديمة

١٤ ـ مار ، ويليم (١٨١٩ ـ ١٩٠٤) ابو حركة اللاسامية كحركة ايديولوجية منظمة في الربع الثالث من القرن التاسع عشر في المانيه . وربما كان هو واضع كلمة « اللاسامية » .

تعود الى ما قبل اربعمئة سنة . لكن لم يمر اكثر من اربعة اعوام حتى اخذت حركة اللاسامية هذه تجتاح اوروبه ، وملأت هذه الحركة العالم بالاحتجاجات والتظاهرات والحرائق والاجتماعات والخطب في البرلمان ، وغيرها . لقد سأل المدعي العام في فيينه احد الاشخاص الذين هم ضد السامية اذا كان من الضروري اصدار قانون يحدد مناطق سكن اليهود وفرض ضرائب اقامة عليهم الخ ... اجاب الآخر : « ستكون هذه معقولة خلال عشرة الاعوام القادمة ! » ويبدو ان هناك اساسا لوجهة نظره هذه .

لا حاجة للقول بأنه مع انتهاء عصر البربرية وتبدل الاحداث في العصر الحاضر اصبح موقفنا اخطر من ذي قبل . كان اليهود في العصور الوسطى يضطهدون في مكان وزمن معينين . كانوا عندما يضطهدون في مكان ما يلجأون الى مكان آخر ، وعندما يبدأ البطش بهم في المكان الجديد تراهم يرجلون الى المكان الذي هاجروا منه اصلا فيعيدهم ذلك البلد بعد ان شعر بالخسارة التي احاقت به من جراء ترك اليهود له . اما اليوم فان حركة الاتصال سريعة . ان امم اوروبه اصبحت تجيد فنون التجارة كاليهود لذا فهم ليسوا بحاجة الينا . وباستطاعتهم ان يمارسوا الضغط علينا اينما ومتى ارادوا — فالى اين سنهرب ؟ هل هناك اية امة اوروبية بما فيها فرنسه وانجلتره ، قبلت اي عدد معقول من تائهي امتنا المحطمين؟ في الوقت الحاضر لم تبدأ حركة العداء ضد السامية تنتعش في فرنسه وانجلتره لانه لا يوجد هناك بعد مجال للحركات القومية ، واذا كانت هذه البلاد حقا معارضة لحركة القومية المتعددة الاجناس ، اذن على فرنسه ان تتخلى عن الالزاس واللورين وعلى انجلتره ان تنسحب من ايرلنده ومصر ، الخ .. ان هذه الحركة لن تعيش طويلا في هذا العالم . لذلك ما هي آمالنا في المستقبل ؟ انه لأمر مجرد التفكير فيه مخيف .

ماذا يجب ان نعمل ؟ ما هو العلاج الذي نستطيع ايجاده كي نخلص اليهود الى الابد لكي لا يعتبروا عرضة للاستجواب والمناقشات والاتهامات والمعاملة المهينة . كيف بامكاننا ان نجعلهم يشعرون بالامان كليا في المستقبل ؟

يجب علينا ان نقوم بجهد محسوس اذا لم ننجح الآن ، وقد لا ننجح فيجب ان نجرب ثانية عند اول سانحة . والشيء الرئيسي هو انه يجب علينا نحن اليهود ان نعترف بأهمية هذا الجهد المقدس . وسوف لا نجد صعوبة في جمع التبرعات . ولقد قلت ان امة عدد افرادها ثمانية ملايين

نسمة باستطاعتها ان تجمع عشرة ملايين روبل لتبدأ بالعمل . وقد نبدأ بتبرعاتنا بحملة جمع كوبك (١٥) . فمن اراد ان يساند الفكرة القومية عليه ان يدفع كوبكا واحدا في الاسبوع يوضع في صندوق مخصص في كل بيت وذلك من اجل الاستيطان في ارض اسرائيل . وفي خلال عام واحد سيكون هذا المبلغ يعد بآلاف الروبلات . حتى انه باستطاعتنا اخذ نسبة مئوية من الاموال التي توهب للمجامع الدينية وفي اعراس ومآتم الاغنياء الخ ... ربما كان باستطاعتنا ايضا ان نقيم سحب يانصيب يهودي وبذلك نستغني عن فكرة بيع اسهم في الشركات وما شابهها ، وباختصار انه من المعقول بطريقة او بأخرى ان تجمع باذن من الحكومة مبالغ ضخمة من الاموال وذلك من اجل بدء شراء ارض اسرائيل من الحكومة التركية . ونستعيد المبالغ هذه من الاموال التي يدفعها الافراد في شراء قطع ارض صغيرة ومن الايجار الذي يدفعه المستعمرون . وبهذا سنجمع ثانية لشراء اراض كبيرة جديدة ولشق الطرق ولتحسين الري وزرع الغابات الخ ...

واذا كانت هذه الآراء لا تنجح فلا مانع هناك من ان يقدم الغير خططا غيرها تساعد على الاستيطان في ارض اسرائيل .

المهم ان نبدأ ومن ثم تعلمنا الخبرة والحياة كيف نتمم عملنا . بالطبع هذا العمل لا يمكن اتمامه في عام واحد او حتى في جيل واحد . ويمكننا على كل ان نكون متأكدين بأنه كلما ازدادت جهودنا كلما ازدادت قوتنا .

لقد فقدت امتنا الافراد المتنورين فيها وذلك لعدم وجود آراء عندنا تبدو جذابة لهم . ان الفكرة الوحيدة التي لدينا حتى الآن هي بسيطة وسلبية . فان نحن اعلنا آراء ايجابية فسيعود لنا احسن يهود الغرب المتنورين . وستسرع الجماهير الى مساعدتنا. يتشبث الانسان بالشيء اذا شعر بأن هناك محاولات لاخذه منه . لقد هوجم الدين في القرون الوسطى فتشبثنا به بكل قوانا . واليوم وستصبح هويتنا القومية اعز ما نملك لانها معرضة للهجوم وسنحميها بذاك الاخلاص الذي دافع به اجدادنا عن ايماننا .

اعملوا اذن ! ابنوا الاساس الصحي والطبيعي لحياة الشعب اليهودي القومية التي هوجمت في كل مكان وزمان لكنها لم تسلم . ارجعوا الى

---

١٥ ـ كوبك = بنس روسي .

الشعب اليهودي وطنه ، هذا الشيء الذي تملكه كل امة ما عدا الغجر . لا تتبجحوا بالآراء السخيفة التي يروجها الصوفيون عنا . انظروا كيف يحتقروننا ويستهزئون بنا ، ويسفكون دماءنا ، وها نحن نموت من الجوع، نضطهد اينما نذهب بطرق بربرية ، العالم كله يحتقرنا . ولقد القي علينا، من قبيل التعزية دور تعليم البشرية ، تلك الانسانية التي تعاملنا دون رحمة ! لم يكن باستطاعتنا ان نعلم الانسانية خلال اكثر من ثلاثة آلاف سنة كي لا يعذبوا الفقراء المشردين الذين لا منزل لهم ولا حماية ــ فهل يمكن تعليم هؤلاء الناس محبة الجنس البشري والاخوة والسلام الخ...؟

لا تسمعوا لمن يقول بانه يجب علينا ان نندمج في باريس او برلين او سانت بترسبرغ او في غيرها كذلك لا تسمعوا « للمتنورين » بيننا الذين يؤمنون بالاندماج ، ولا تنتظروا منهم ان يقودونا في مهمتنا المقدسة . عندما حكم انطيوخوس على اليهود بالموت لم يأت خلاصهم من القدس انما جاء من هاسموحين من قرية مودين . اما اولئك الاغنياء لمندمجون في العاصمة والصديقيون فقد استسلموا بمهانة للجلاد اليوناني. فقط ابناء الشعب الحقيقيون ورجال الدين ذوي الشجاعة الخارقة من هاسموحين هم الذين خلصوا اسرائيل ومن ثم تبعتهم القدس. يبقى المجد الحقيقي بعد لمن سيحقق الخلاص لاسرائيل ! ان امامنا ثلاثة سبل :

١ ــ ان نبقى كما نحن وان نضطهد الى الابد ، وان نكون غجرا ، وان نواجه المذابح الموجهة ضدنا وان نتعرض حتى الى حملة افناء .

٢ ــ ان نذوب كليا مع الامم التي نعيش بينها : ان نتخلى عن اليهودية ونتبع دين الاميين ونظل مع هذا محتقرين لسنين عديدة الى ان يأتي يوم بعيد يكون فيه احفادنا قد فقدوا كل اتصال لهم مع اليهودية بل يكونوا قد ذابوا كليا مع الآريين .

٣ ــ ان نبذل جهودا لاحياء اسرائيل في ارض اجدادها حيث ستحصل الاجيال القادمة على حياة طبيعية بكل معنى الكلمة .

اختاروا ما تريدون !

يهوذا لايب (ليو) بنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١) Leo Pinsker

طبيب روسي وزعيم صهيوني

ولد في توماشوف من اعمال بولونيه الروسية وكان ابوه من علماء عصره المتنورين فعمل على تزويد الابن بثقافة روسية متنورة ، ولم يتعلّم في مدرسة الحي اليهودي ، بل انهى دراسته الثانوية في مدرسة روسية . درس الحقوق في اوديسه ثم دخل جامعة موسكو لينال منها شهادة طبية . مارس الطب في اوديسه وخدم كضابط طبيب في حرب القرم . وقد كرّمه القيصر نيقولا الاول اعترافا بخدماته للجنود المصابين بالتيفوس .

بدا منذ ١٨٦٠ يولي الشؤون اليهودية اهتماما بارزا الى جانب اصراره على وجوب سيادة اللغة والثقافة الروسية كليا في حياة كل يهودي روسي ودينه . فراح يكتب المقالات في المجلات الاسبوعية الصادرة باللغة الروسية ويقوم بنشاط فعّال في « جمعية نشر الثقافة بين يهود روسيه » (تاسست ١٨٦٣) . وحين حصلت اضطرابات اوديسه خلال فصح ١٨٧١ بقي على اعتقاده بضرورة العمل على دمج اليهود في حياة روسيه الليبرالية المتحررة، انما بدا الشكّ يساوره حول مقدرة التنوير وحده على حل مشاكل اليهود . وما ان وقعت مذابح ١٨٨١ بعد اغتيال القيصر اسكندر الثاني ، آذار ١٨٨١ ، حتى راح بنسكر يبحث عن علاجات واساليب جديدة للمشكلة . فسافر الى اوروبه الغربية والوسطى لنشر افكار دعوته الجديدة الى ضرورة تركيز اليهود في دولة قومية ، لكنه لم يجد مؤيدين لفكرته . حتى ان حاخام فيينه الاكبر ، ادولف جيلينيك ، وهو صديق حميم لابيه ، اشار عليه باخضاع نفسه للمعالجة والعناية الطبية لانه يمر في ازمة عاطفية . غير ان بنسكر اصرّ على موقفه ونشر آراءه لدى عودته الى روسيه ، ١٨٨٢ ، في كرّاس بالالمانية دون ذكر اسم المؤلف . وكان عنوان ذلك الكراس : « التحرر الذاتي » : نداء من يهودي روسي الى بني قومه ! وقد دعا اليهود لمساعدة لنفسهم والعمل على التحلي بذلك الوعي وتلك الصفات التي تؤهلهم لحياة الاستقلال الاقليمي . فاليهود في نظره بمثابة الضيوف في كل مكان وليسوا اصحاب منزل خاص بهم . والعداء للسامية خطر يسود العالم اجمع، مصدره الخوف من اليهود الذي اعتبره بمثابة الخوف من الاشباح . هذا الخوف اضحى مرضا نفسيا توارثه الناس عبر الفي عام ولا امل بشفائهم منه ! وقد بالغ كثيرا في تصوير غربة اليهود الدائمة وسط الشعوب الاخرى وعدّد العوامل التي تذكي شعور العداء للسامية ، ليخلص الى القول بضرورة التحرر الذاتي والعمل على الاحياء القومي عن طريق ايجاد وطن لليهود . ولم يات بنسكر في طبعة كراسه الاولى على ذكر فلسطين « لكي تكون تلك البلاد اليهودية المستقلة » . فالعلاج الذي وصفه كان يقضي بايجاد قومية يهودية تعيش على ارضها . والوطن القومي اليهودي

يمكن قيامه في اي مكان من العالم . وبذلك لم ينج من انتقادات المتزمتين الدينية واعتبار الليبراليين ان دعوته تشكل خيانة للايمان بانتصار الانسانية على التعصب والبغضاء . وما لبث ان « تصهين » تحت تأثير اتباعه الذين تخلوا عن حركة التنوير او لم تدخل الروح العصرية الى نفوسهم ، وعلى الاخص خضوعه لتأثير كل من ليلينبلوم وهرمان شابيرا ، ١٨٨٤ . ففي العام نفسه تنادى هؤلاء لعقد اجتماع تأسيسي في كاتوفيتز * . وخرجو منه في حركة احبّاء صهيون الجديدة بعد انتخاب بنسكر رئيسا لمجلسها الاعلى. وفي خلال رئاسته تمكنت الحركة من جمع المال لاقامة المستعمرات الصهيونية في فلسطين وساعدت كثيرا في تمهيد السبيل امام الفكر والعمل الصهيوني بين يهود اوروبه الشرقية من خلال اعمالها التثقيفية . وتأسست في روسيه ، بتأييد من بنسكر ، « جمعية تأييد المزارعين واصحاب الحرف اليدوية اليهود في كل من سوريه وفلسطين» التي كانت تعرف ب «اللجنة اوديسه » . وقد ترأسها بنسكر منذ تأسيسها حتى ١٨٨٧ . وكان عليه ان يدافع عن نفسه خلال تلك الفترة وحتى وفاته ضد شكوك المتزمتين داخل الحركة فيما يتعلق بتقواه وتدينه ، ويعمل لابقاء تلك المنظمة على قيد الحياة . ولا يخفى ان اهمية بنسكر تكاد تنحصر في الحقل الفكري والتثقيفي اكثر منها في الحقل الصهيوني العملي . مع العلم ان دعاة استعمار فلسطين افلحوا في صهينته وكسب ولائه لمسالة الاصرار على ضرورة كون دولتهم اليهودية في فلسطين . وقد خدم بنسكر الحركة الصهيونية منذ تصهينه حتى وفاته ، وهرتزل يعترف في مذكراته بانه لم يطّلع على كراس التحرر الذاتي الا بعد ان نشر دعوته لقيام الدولة اليهودية . وهو لو عرف بذلك ، كما يقول ، لما كان وجد هناك من حاجة الى نشر آرائه « المشابهة » في كتاب « الدولة اليهودية » .

التحرر الذاتي : نداء من يهودي روسي الى شعبه

« اذا انا لم اكن لنفسي فمن سيكون لي ؟ وان لم يكن الآن فمتى ؟ »

هيلل

تلك الاحزان التي سببتها اعمال العنف الدموية ، تبعتها فترة من السكون يستطيع خلالها ان يتمالك كل من الصياد والفريسة انفاسهما الى حين . يعود في هذه الاثناء اليهود اللاجئون «الى البلاد التي هاجروا منها» بالنقود ذاتها التي جمعت من اجل مساندة الهجرة . وتعلم يهود الغرب ثانية ان يتحملوا الصرخة « هب ، هب » (١) ، تلك الصرخة التي صاحها

---

* (١١ ــ ١٦ تشرين الثاني ، نوفمبر) ، حضره ٣٦ مندوبا والقى خطابه الافتتاحي بنسكر ، لكي يتم توحيد جميع الهيئات الصهيونية . فأقاموا لجنة دائمة مركزها الرئيسي اوديسه ولجنة فرعية في قرصوفيه .

١ ــ هي الصرخة التي استعملت ضد اليهود ابان الحركة اللاسامية في المانيه في العام ١٨١٩ . ويظن وان لم يكن مؤكدا تماما بانها اختصار ثلاث كلمات لاتينية تعني : قد ضاعت القدس .

آباؤهم في الايام الماضية . فقد تحول ذلك الحقد المتأجج الى رماد كثيف غطى تدريجيا الاراضي البراقة . اغمضوا اعينكم وخبئوا رؤوسكم كما شئتم تماما كما تفعل النعامة . لكن اذا لم تستفيدوا من فترة السكون هذه وتستنبطوا حلولا احسن من تلك التي حاول بها غير الاكفاء عبثا مساعدة امتنا التعيسة ، اذا لم تستفيدوا الآن فانكم لن تصلوا الى سلام دائم .

ايلول (سبتمبر) ١٨٨٢

١ ــ ان المشكلة الدائمة الممثلة بالمسألة اليهودية ، ما زالت تهز الرجال كما فعلت منذ عصور خلت . فلقد ظل حلها صعبا كتربيع الدائرة، وان لم يكن مثلها تماما لان هذه المسألة ما زالت تحترق متأججة . يعود هذا لكونها ليست مسألة نظرية فحسب بل انها مسألة عملية تجدد شبابها يوما بعد يوم وتبقى على ما كانت ، وها هي تلح اكثر لايجاد حل .

يقع جوهر المشكلة في ان اليهود الذين يسكنون بين الامم المختلفة ، يكوّنون عنصرا لا يمكن ان يذوب في هذه الامم ولان هذا العنصر لا يمكن ان تهضمه اية امة . لذا وجب ايجاد الوسائل اللازمة لتكييف العلاقات بين هذا العنصر الخارجي وبين جسم الامة ككل حتى لا يظل هناك اي اساس للمسألة اليهودية . بالطبع لا نستطيع التفكير باقامة انسجام تام . ربما لم يوجد مثل هذا الانسجام ابدا ، حتى بين الامم الاخرى . وما زال العصر الذي فيه تندمج الامم كلها في الانسانية الموحدة فتختفي عندها الفوارق مستحيلا . والى ان يحدث هذا فعلى الامم ان تحد من رغباتها ومثلها كي تؤسس اسلوبا مقبولا للجميع .

سينتظر العالم طويلا قبل احلال سلم عالمي . لكن في اثناء ذلك يجب ان تنسجم علاقات الامم بعضها مع بعض الى درجة مقبولة وذلك بالتفاهم والاعتماد على القانون الدولي وفق معاهدات تنص على الحقوق والامتيازات المتبادلة .

لا تظهر مساواة من هذا النوع بين تلك الامم وبين اليهود. ان القواعد لهذا الاحترام المتبادل مفقودة لانها يجب ان تعتمد على القانون الدولي والاتفاقيات المبرومة . ستعتبر المشكلة اليهودية محلولة عندما تتأسس مثل هذه الروابط وعندما تصبح المساواة بين اليهود والامم الاخرى حقيقة . ومع ان هذه المساواة وجدت في الماضي البعيد ، لا نأمل لسوء

الحظ ان نراها ثانية الا في المستقبل البعيد ، لان اي حلم لقبول اليهود في مستوى الآخرين يبدو وهما في الوقت الحاضر . ان الامة اليهودية تفتقر الى كل الصفات التي تتصف بها الامة ، فهي تفتقر الى صفات الحياة القومية ، اذ لا يمكن ان تكون امة دون لغة مشتركة وعادات مشتركة وكذلك ارض مشتركة والامة اليهودية لا تملك وطنا اصليا رغم انها تسكن اوطانا مكتسبة . كذلك تفتقر الامة اليهودية الى نقطة استجماع قواها والى مركز للجاذبية كما انه ليس لها حكومة تمثلها او حتى ممثلين لها . هي في كل مكان كالضيف لا مكان لها تشعر فيه بأنها في وطنها .

لا تتعامل الامم مع **امة** يهودية **ابدا** انما مع يهود فقط. اليهود ليسوا امة لانهم يفتقدون الى صفات قومية معينة توجد عند الامم الاخرى ، تلك الصفات الناجمة عن السكن معا في بلد واحد وتحت ظل حكم واحد . من الواضح انه ليس بمقدور هذه الامة ان تتطور في ارض الشتات . ويبدو ان اليهود قد نسوا كل شيء يربطهم مع وطنهم الاصلي ويعود الفضل في ذلك لقدرتهم على التأقلم فلديهم كل تلك الصفات الغريبة عنهم التي اكتسبوها بسهولة من الامم التي رماهم القدر بها . وعلاوة على هذا فقد توددوا الى من كانوا يحمونهم بان حرموا انفسهم من تقاليدهم الشخصية وعودوا انفسهم ، بل اقنعوا انفسهم ، بأنهم اكتسبوا بعض الصفات العالمية التي لم تبد مقبولة ليس عند الغير فحسب انما عند اليهود ذاتهم ايضا .

تخلى اليهود متعمدين عن قوميتهم الى حد ما وذلك كي يختلطوا مع الغير . لكنهم لم ينجحوا في تحقيق اعتراف جيرانهم في انهم مواطنون ذوو حقوق مساوية .

لكن اقوى دافع يعمل على منع اليهود من الكفاح لتحقيق وجودهم القومي هو عدم شعورهم بالحاجة الى مثل هذا الوجود . ليس انهم لا يشعرون بمثل هذه الحاجة فقط ، انما يذهبون الى درجة انكارها .

ان فقدان الشهية للاكل والشرب عند الرجل المريض هو من عوارض الخطر . لكن ليس من السهل شفاؤه من هذا العارض كليا ، ذلك انه لو انفتحت شهيته فهناك مسألة ما اذا كان باستطاعته هضم طعامه ام لا .

ان حالة اليهود التعيسة هي كحالة هذا المريض. لذلك علينا ان نهتم بهذه القضية، علينا ان نبرهن بأن مصائب اليهود ناجمة عن فقدانهم الرغبة في الاستقلال لذا كان من الواجب ايقاظ هذه الرغبة فيهم والمحافظة

عليها اذا ارادوا ان يتخلصوا من حالتهم المخزية هذه ـ اي من الضروري ان نبرهن لهم بانه **يجب عليهم ان يصبحوا امة .**

هذه الحقيقة التي تبدو غير مهمة ، اي ان الامم الاخرى لا تعتبر اليهود امة مستقلة ، هو الى حد كبير السبب الخفي لاحتقار الناس لهم ولشقائهم الدائم . ان مجرد الانتماء الى هذا الشعب هو ختم قايين على جباههم ، هو العلامة الابدية التي كان ينفر منها غير اليهود والتي كانت سبب تعاسة لليهود انفسهم . ان لهذه الظاهرة على غرابتها جذورا في الطبيعة الانسانية .

٢ ـ تعتبر الامة اليهودية بين الامم الحية امة ميتة منذ زمن بعيد. فقد فقد اليهود استقلالهم بفقدانهم ارض اجدادهم وتحولوا الى حالة العفونة التي لا تستطيع مسايرة العضو الحي المتكامل . سحق الرومان الغزاة تلك الدولة ومحوها من الوجود . على ان اليهود رغم استسلامهم كدولة وكوحدة سياسية لم يستسلموا الى دمار كلي ـ لم ينقطع هذا الشعب عن كونه امة روحية . لذا نظر العالم الى الشعب اليهودي كميت يسير بين الاحياء ـ فاثرت هذه الحادثة الغريبة من نوعها في التاريخ على تخيلات وانطباعات الامم لان اليهود عاشوا شبح امة بدون وحدة او تنظيم وبدون ارض او اي رابط للوحدة . واذا كان الخوف من الاشباح شيئا في طبيعة الانسان فهل من الغريب اذن ان كانت هذه الطبيعة قد برهنت على وجودها بشدة عند رؤية هذه الامة الميتة ـ الحية في الوقت نفسه ؟

انتقل هذا الخوف من الشبح اليهودي من جيل الى آخر وقوي عبر العصور ، الى ان ادى الى التحامل ضد اليهود الذي بدوره ، والى جانب اسباب اخرى سنذكرها فيما بعد ، مهد الطريق الى عقدة الخوف من اليهود .

اصبح الخوف من اليهودية ، الى جانب عدد من الافكار والغرائز والتصورات الخيالية المدفونة في اللاشعور ، اصبح متعمقا في طبيعة شعوب الارض كلها التي يتعامل معها اليهود . اصبح الخوف من الشبح اليهودي مرضا معروفا بكل اجناس البشرية وغير مقتصر على بعض منها . هذا ولم يكن اليهود روحا كسائر الاشباح انما كان جسما من دم ولحم يقاسي من جروح ثخينة سببّها له الرعاع المذعورون الذين تصوروا بأن هذا الشبح يهددهم .

الخوف من اليهود هو انحراف نفسي موروث ومرض تناقلت عدواه منذ الفي سنة ولا يمكن استئصاله .

انه الخوف من الاشباح ، وهو منبع عقدة الخوف من اليهودية . هو الذي سبب هذا الكره الذهني ـ الذي يمكن وصفه بانه افلاطوني ـ الذي قام على لوم الامة اليهودية كلها لارتكاب افرادها ، حقيقة او افتراضا ، اعمالا غير لائقة ، فأعطى هذا الكره صبغة شرعية .

حاول الاصدقاء والاعداء على السواء شرح او تبرير هذا الكره لليهود وذلك بالقاء التهم المختلفة عليهم . فقيل بأنهم صلبوا المسيح وشربوا دماء المسيحيين وسمموا مياه الآبار وانهم يتعاملون بالربا وانهم استغلوا الفلاحين وغير هذا . ان هذه آلتهم ـ وغيرها من آلاف التهم المشابهة ـ لا اساس لها من الصحة لانها اتهام لامة باسرها ، ان مجرد الترويج لهذه التهم بالجملة يدل على انها غير صحيحة اختلقوها لاراحة ضمير مضطهدي اليهود ولتبرير احتقارهم امة بكاملها ولاظهار ضرورة حرق اليهود او بالاحرى الشبح اليهودي . فمن يحاول ان يبرهن كثيرا لا يبرهن شيئا . يمكن اتهام اليهود بالكثير من الاخطاء في الوقت الحاضر ، ولكنها اخطاء لا يمكن اعتبارها معاصي كبيرة يمكن ان تبرر احتقار امة باسرها . وفي بعض الحالات نجد ان هذه الاتهامات مناقضة للحقيقة التي تدل على ان لليهود علاقة لا بأس بها مع الاميين . ان هذه الاتهامات كلها مبنية على تفكير لا يعتمد على الواقع ، قد يكون بعضها صحيحا في حالات خاصة ، انما هي لا تنطبق على الشعب اليهودي ككل .

وهكذا لم تنفصل اليهودية عبر التاريخ عن اللاسامية . وقد ظلت الحركة اللاسامية تعيش جنبا الى جنب مع الشعب اليهودي «المتجول». ان الشخص الذي لا يقول ان الشعب اليهودي هو **شعب الله المختار** ، المختار للكراهية العالمية لا بد ان يكون اعمى . اذ مهما بلغ الاختلاف بين الامم فانها تتعاون معا على كره اليهود ، الكل يتفق على هذه المسألة . ويعتمد هذا الكره بالطبع على مستوى الشعب الثقافي ، يظهر هذا الكره في كل مكان وزمان بشكل اعمال قاسية او غيرة عمياء او تحت ستار التسامح والحماية. فان يسر قوك لكونك يهوديا او ان تحتاج الى الحماية كيهودي هي بحد ذاتها امور مهينة مؤذية لمشاعر اليهود واحترام النفس عندهم .

بعد تحليل عقدة الخوف من اليهود على انه مرض وراثي يتصف به الجنس البشري وبعد ان بيّنا ان كره السامية يعتمد على انحرافات موروثة

في العقل الانساني ، يجب علينا كنتيجة ان نصل الى الخلاصة الآتيـة : ان محاربة هذا الكره كمحاربة اي حالة عقلية موروثة ، امـر صعب ولا فائدة منه .

لذا فالاهم في هذا كله هو ان نتخلى عن المجادلات العقيمة التي هي مضيعة للوقت والطاقة لان الآلهة نفسها تحارب ضد الخرافات عبثـا . لا يمكن مجابهة الكره والتحامل والنوايا السيئة بالعقل مهما كان قويـا وواضحا . يجب اذن اما ان تبقى هذه القوى الشريرة ضمن حدود قوية مادية او ان يتم تجاهلها كأية قوة طبيعية عمياء .

٢ ــ اذن نجد في نفسية الناس ذلك الكره للامة اليهودية . انمـا يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار امورا اخرى ذات اهمية لا تقل عن غيرها، تمنع اندماج اليهود او مساواتهم مع الشعوب الاخرى .

ليس هناك على العموم شعب محب للاجانب . لهذه الحقيقة جذور في سلالات الشعوب المختلفة ولا نستطيع ان نعزيها الى شعب واحـد . لكن هل يتعرض اليهود لهذا القانون بالدرجة ذاتها التي تتعرض لها بقية الجنسيات ؟ طبعا لا ! ان البعض الذي يلقاه الانسان في بلد غريب يمكن ان يرد مثله لابناء هذا البلد الذين يكرهونه في وطنه هو . يقضي الاجنبي غير اليهودي احتياجاته في بلد اجنبي بكل سهولة ودونما اي معارضة . ويعتبر كفاحه لتحقيق هذه الاحتياجات شيئا طبيعيا، سواء كان يكافح وحده او بمساعدة الغير . لا حاجة للاجنبي في بلد غير بلده ان يكون، او ان يتظاهر بكونه وطنيا . اما اليهودي فهو ليس مواطنا في بلده كما انه ليس اجنبيا انما هو في الحقيقة غريب بكل معنى الكلمة . لا يعامل كصديق او كعدو انما كغريب لا بيت له . لا يضع الناس ثقتهم بالاجنبي ولا يأتمنوا اليهودي . يتطلـب الاجنبي كرم ضيافة يستطيع ان يقوم بمثلها في بلده . اما اليهودي فـلا يستطيع القيام برد الضيافة في بلده ، لذا فهو لا يستطيع ان ينتظر كرم ضيافة . وهو ليس ضيفا يحتفى به ، انما هو شحاذ ، واي شحاذ يحتفى به ؟ انـه لاجيء . واين هو اللاجيء الذي لا يرفض لجوءه ؟ ان اليهـود منبوذون ليس لهم ممثلون اذ لا وطن لهم ، ان وطنهم لا حدود له كذلـك مأساتهم لا حدود لها . لا يطبق **القانون العام** على اليهود كأغراب بكل معنى الكلمة . انما هناك قوانين خاصة باليهود في كل مكان ، واذا كان القانـون العام سيطبق عليهم فيجب ان يقرر هذا ايضا وفق **قانون خـاص** . ان تحرير اليهود واجب كواجب تحرير الزنوج والنساء لانهم شعب حر لكنه

مستعبد . انهم ينتمون الى عرق متقدم وليسوا زنوجا وعليهم ان يظهروا انهم يستطيعون ان يقدموا نساء مرموقات ورجالا عظاما .

وما دام اليهودي لا وطن له في اي مكان وليس له حقوق المواطنة فانه منبوذ في كل مكان . وكونه قد ولد وآباؤه في ذلك البلد لا يغير الحقيقة . يعتبر اليهودي كابن متبنى يمكن الشك في حقوقه لانه ليس ابنا لذلك الوطن الذي يعيش فيه **مطلقا**. لا يعترف الالماني الفخور بصفاته التوتنية او السلافي او السلتي بأن اليهودي السامي يتساوى معه بالمولد. حتى عندما يعطي الرجل المثقف اليهودي حقوقه المدنية لا ينسى انه يهودي. فتحرير اليهود القانوني هو اهم ما توصل اليه القرن . انما **التحرير القانوني** ليس هو ذاته التحرير الاجتماعي ورغم اعلان التحرير القانوني ، فما زال اليهود يقاسون من عدم انعتاقهم من **مركزهم الاجتماعي** الغريب.

يجد تحرير اليهود مبررا باعتباره دائما نتيجة منطقية وقانونية ونتيجة **لمنفعة شخصية** واعية ، لا يمكن اعتباره ناجما عن الشعور الانساني وهو ليس مسألة مشاعر الناس الحتمية كما ان جذور هذا التحرير لم تتعمق الى حد اعتباره امرا لا يقبل المناقشة . وسواء اعتبرنا حركة التحرير حركة نشأت عن مشاعر ذاتية او ناجمة عن دوافع واضحة . تبقى هذه الحركة عطاء مجزيلا وزكاة كريمة تعطى عن رضى او بغير رضى، الى الفقير المسكين والشحاذ الذي لا يكترث احد لايوائه لان الشحاذ المتجول لا يكسب ثقة احد . لا يسمح لليهودي ان ينسى بأن حصته من الحقوق المدنية تعطى له يوميا . ان الختم الذي دمغ به هذا الشعب والذي يجبره على الانعزال التام عن بقية الامم ، لا يمكن ان يلغى باي نوع من الانعتاق ما دام ان طبيعة هذا الشعب هي التشرد ، وما دام انه لا يستطيع التحدث عن المكان الذي جاء منه او الذي يذهب اليه وما دام اليهود لا يحبون التكلم في المجتمع الآري عن اصلهم السامي كما انهم لا يرغبون ان يذكرهم به احد وما دام انهم راضون بان يكونوا مضطهدين احيانا ، واحيانا يجدون تساهلا دينيا وحماية وانعتاقا .

هناك عامل آخر يقوي اعتماد اليهود المخزي على غير اليهود ويجعل قران اليهود مع مواطني البلد الذي يسكنونه امرا مستحيلا . يرضى الشعب المتحضر في كفاحه من اجل البقاء للقوانين التي تعطي هذا الكفاح صفة المنافسة السلمية ولكن حتى في هذا المجال تميز الشعوب بين المواطن والاجنبي ويعطى المواطن الافضلية دائما . واذا كان التمييز موجودا حتى

ضد الاجنبي المتساوي مع المواطن في المولد فكيف يكون هذا التمييز بالنسبة لليهودي دائم الغربة ! وكم يكون الاستفزاز عظيما ضد الشحاذ الذي يجرؤ ان يلقي نظرة تطلع الى ارض ليست له ـ كالقاء نظرة على امرأة جميلة يحرسها اقاربها ! والويل لهذا اليهودي اذا نجح في قطف زهرة من ارض تلك البلد ؛ فسوف يكون مصيره العذاب الذي ذاقه يهود اسبانيه ويهود روسيه .

هذا واليهود لا يضطهدون عندما يحققون نجاحا باهرا فقط ، بل يساء اليهم حيثما وجدوا بأعداد كبيرة . ذلك انه بحكم كثرتهم يتعرضون للمنافسة مع غير اليهود . ونلاحظ انه في غرب روسيه ، ومع ان اليهود يعيشون حياة تعيسة لانهم يقطنون معا باعداد كبيرة ؛ فان هناك شكايات كثيرة متواصلة بانهم يستغلون الغير .

هذا وتلخيصا لما سبق يمكن القول : ان الاحياء يعتبرون اليهودي رجلا ميتا بينما يعتبره المواطنون غريبا مشردا . اما اصحاب الاملاك فيعتبرونه شحاذا ؛ وهو للفقير مليونير استغلالي ؛ وللوطنيين رجل دون وطن . ان اليهودي بالنسبة لكل الطبقات منافس مكروه .

٤ ـ العداء الطبيعي هذا هو اساس المشاكل كلها واساس سوء التفاهم والاتهامات الصحيحة وغير الصحيحة بين الطرفين المتناحرين . فبدلا من ان يفكر اليهود منطقيا في المشكلة وان يتصرفوا بطريقة عاقلة ، تراهم يضعون املهم في العدالة الابدية . ويعتقدون بسذاجة ان تمسكهم بالعدالة هذا سيعطي النتائج المتوخاة ؛ بينما يقوم غير اليهود بمحاولة تبرير موقفهم بالاتهامات الجماعية التي لا تلبث ان تظهر غير صحيحة ؛ يتسلحون بهذه الاتهامات الباطلة بدلا من ان يعتمدوا على موقفهم التاريخي الحقيقي ـ الذي هو موقف الاقوى . اما اولئك الذين يريدون ان يكونوا غير متجاملين وعادلين فعليهم الا يحاولوا شرح امور الدنيا وفقا لمثل اعلى ، بل يجب ان يكون هدف تعليلهم للامور هو شرح هذه الاشياء والوصول الى استخلاصات عملية ، عليهم الا يتهموا ايا من الطرفين على انه مسؤول عن العداوة هذه . على هذه الفئة من الناس ان تقول لليهودي « انت غبي لانك تقف جانبا متوقعا من الطبيعة الانسانية شيئا لا تملكه الا وهو المشاعر الانسانية . انت مكروه لانك انت نفسك لا تحب نفسك ولا تحترمها . الشعور بالعزة القومية ! من اين يمكننا الحصول عليه ؟ في الواقع ان اعظم كارثة حلت بنا هو اننا لسنا امة انما نحن يهود فقط . اننا قطيع منتشر في ارجاء المعمورة دونما راع يحمينا ويجمعنا معا . اما في احسن الظروف

فقد نصل الى رتبة الماعز التي حسب التقليد الروسي تبيت في اسطبلات الخيل . هذا هو اعظم هدف لطموحنا .

ان الذين كانوا يحموننا اهتموا بنا جيدا لدرجة انهم لم يسمحوا لنا ان نستعيد انفاسنا وبالتالي لان نستعيد احترامنا لانفسنا . كافحنا عبر القرون بجهد كي نحيا ، لكن كأفراد وليس كأمة . اضاع كل فرد طاقاته وعبقريته وجاهد منفردا كي يتنفس بعض الاوكسجين ويحصل على قطعة خبز مبللة بالدموع . ولكننا حتى في هذا الكفاح غير المجدي لم نستسلم . فلقد اعلنا اقدس كفاح ضد كل شعوب الارض التي حاولت ان تتخلص منا وتفنينا . ان هذه الحرب التي اعلناها ـ والله وحده يعرف كم ستطول ـ اعلناها ليس للحصول على ارض اجدادنا بل لمجرد الابقاء على حياة الملايين المحطمة من « اليهود المتجولين » .

واذا لم تستطع شعوب العالم كلها ان تمحو وجودنا فقد استطاعت ان تحطم فينا شعور الاستقلال القومي . وها نحن لا نبالي عندما نرفض في كل البلدان حتى في تلك التي تقبل الزولو * . لقد استطعنا في ارض الشتات ان نحافظ على حياتنا الفردية وبرهنا على قدرتنا على المقاومة لكننا فقدنا روابط شعورنا القومي العام وفقدنا احترامنا الخلقي في اغلب الاحيان لاننا اردنا المحافظة على وجودنا المادي . سقطنا الى الحضيض في اعين خصومنا نتيجة لامور اجبرنا على القيام بها ، تعرّضنا الى التحقير والكره والنبذ حتى اصبحت هذه الاشياء قسما من تراثنا . ليس لنا في هذا العالم الواسع الكبير مكان . كنا نتوسل من اجل الحصول على مكان صغير نضع فيه رؤوسنا المتعبة ، قللنا من مطالبنا فقل احترامنا وتناقص، في اعيننا وفي اعين الناس الى ان تلاشى. كنا كالكرة يتلاعب بنا الناس فيما بينهم . كانت هذه اللعبة الفظة القاسية مسلية للجميع. اصبح احترامنا القومي لعبة في ايدي الشعوب . ألم يكن باستطاعتنا ، في هذه الظروف ان نفكر بمسألة الاستقلال القومي او في تطوير حرّ لقدرتنا القومية او تنمية عبقريتنا ؟

وقد استغل اعداؤنا للبرهنة على نقصنا بأنه لم يقم فينا اناس مبدعين ، ليس هذا الحكم عادلا وان كان صحيحا الى حد ؛ هذا مع العلم ان رجال الفكر لم يوجدوا بين خصومنا بكثرة الثمر في موسمه . لعنهم الله ! انهم يلومون النسر الذي حلّق في الماضي عاليا في السماء

* قبائل من جنوبي افريقيه .

وعرف الالوهية ، يلومونه لانه لا يقدر على التحليق ثانية بعد ان قص جناحاه ! لقد إستطعنا المحافظة على مستوانا بين الامم العظيمة رغم ان اجنحتنا قد قصت . امنحونا متعة الاستقلال واسمحوا لنا ان نقرر مستقبلنا واعطونا قطعة من الارض ، امنحونا تلك الاشياء التي منحتموها للصرب واهل رومانيه ، اعطونا مجال وجود القومية الحرة، ومن ثم تجراوا على لومنا وتعييرنا بعدم وجود رجال عباقرة عندنا ! **ما زلنا نعيش في هذا العصر تحت ظل التعسف الذي انزلتموه بنا . اننا نفتقر الى احترام ذاتي لانفسنا والى الشعور بعزة الانسان التي سلبتمونا اياها ، وليس الى العبقرية .**

٥ ــ لحسن الحظ ان الامور قد بدأت تتغير الآن ذلك ان الحوادث التي جرت في السنين القليلة الماضية بسبب حركة التنوير في المانيه والمجر وخاصة في روسيه ، اثرت اكثر من حملة الاضطهاد الدامية التي قامت في العصور الوسطى (٢) . فانفجر الشعور القومي بين جماهير اليهود في روسيه ورومانيه على شكل حركة قوية مقاومة من اجل فلسطين وكانت هذه الحركة قد وجدت من قبل على شكل استشهاد غير مجد . رغم ضعف هذه الحركة عمليا فهي تري طبيعة الناس الصحيحة لحاجتهم الى وطن خاص بهم . لقد ادت التجارب القاسية التي مر بها اليهود الى ثورة على الشعور القديم الذي هو الخضوع للعقاب الذي انزله الله بهم . اثرت هذه الحركة حتى على يهود روسيه غير المتنورين الذين لم يستطيعوا التخلص من تأثير هذه النظرة الجديدة للحياة . فثاروا دون ان يتخلوا عن يهوديتهم ، ثاروا بقوة ضد المعاملة السيئة التي عاملتهم بها الحكومة الروسية لانها عدتهم غرباء عندها . واما الحكومات الاوروبية الباقية فلم تتدخل في امر اليهود هؤلاء لانه لم يكن يسمح لهم التدخل في الامور الداخلية لبلاد لا تخصهم .

---

٢ ــ الاشارة هنا هي الى : بدء الحركة اللاسامية في المانيه وتأليف حزب سياسي (١٨٧٩) كان يعتمد اساسا على هذه الفكرة ، يتزعمها واعظ الكنيسة الملكية ادولف ستوكر ، والى الحركة المماثلة التي قامت ولكن بدرجة اخف في المجر ، والى المذابح التي كانت في ١٨٦٠ في رومانيه والتي اوقفتها الحكومة بالوعد الذي قدمته في مؤتمر برلين (١٨٧٨) بمنح اليهود حق المساواة ، وبالطبع الى مذابح روسيه التي كانت الدافع الرئيسي لكتابات بنسكر .

لقد استجمع بعض من اخواننا انفاسهم في بلاد مختلفة . وهم يشعرون الان بالمصائب التي يعاني منها اخوتهم . وبعد ان استرجعت بعض الدول استقلالها في هذه الايام ، يتحتم علينا ان لا نبقى مكتوفي الايدي ولو دقيقة واحدة . يجب ان لا نعترف بانه علينا ان نلعب في المستقبل دور « اليهودي المتجول » الذي لا امل له ، لان هذا الدور يدفعنا لليأس .

فلا غرو بان ينتحر الانسان اذا شعر بأنه تعيس ومحتقر ومنبوذ من المجتمع الذي يعيش فيه . لكن اي سلاح هو ذلك الذي سيوجه الضربة القاضية لليهود المبعثرين في العالم ومن ذا الذي يمكن ان يستعمل هذا السلاح ؟ ان مثل هذه الضربة شيء غير معقول ولا مقبول . فمن واجبنا اذن ان نكرس كل قوانا المعنوية لتأسيس انفسنا كأمة حية وذلك كي نلعب دورا يليق بنا ويرفعنا عما نحن فيه .

٦ ــ لا يمكن تبرير القبول بان نترك مصيرنا في ايدي الغير كما انه ليس هناك مبرر كاف لان نلومهم على مصائبنا. لم يتخط الجنس البشري بما فيهم نحن ، اولى مراتب الوصول الى الانسانية الكاملة ــ فيما لو امكن تحقيق هذا الوصول . لذا يجب ان نتخلى عن الفكرة المغلوطة بأنه بتشتتنا هذا نحقق رسالة الهية ، تلك الرسالة التي لا يؤمن بها احد والتي بصراحة نرضى بالتخلي عنها ، اذا امكن محو اللقب الممقوت « يهودي » من ذاكرة الانسان .

يجب ان نبحث عن شرفنا وخلاصنا وذلك باحياء روابط الوحدة القومية . فما زال العالم لا يعتبرنا امة ذات كيان ولذا لم نعط حقا مشرفا.

اذا كانت المحاولات القومية للشعوب العديدة التي برزت الى الحياة قد وجدت مبررات لها ، فهل ما زال امامنا مجال للشك بحق اليهود بالحياة ؟ ان اليهود يلعبون دورا اهم من اي دور تلعبه الشعوب الاخرى في العالم المتحضر وهم يستحقون من الانسانية اكثر مما يستحقه غيرهم. فلديهم تاريخ وماض متواصل نقي متين ونشاط عظيم وايمان راسخ وتاريخ مأساة لا يضاهى . لقد اساءت الشعوب كلها الى اليهود اكثر من اساءتها لاي امة اخرى . اليست كل هذه الاشياء كافية لاعطائهم الحق والاولية للحصول على ارض اجدادهم ؟

لا يعتمد كفاح اليهود على انه كفاح شعب مظلوم للحصول على الاستقلال كأمة منتظمة انما يعتمد ايضا على لفت انظار الشعوب التي

تمقتنا سواء كانت مصيبة في ذلك او مخطئة . هذا واذا كان كفاحنا قويا يضغط على السياسة الدولية في الوقت الحاضر فستظهر نتيجته المثمرة في المستقبل .

لكن يجب ان نهيىء انفسنا لمجابهة معارضة قوية يقوم بها معظم اليهود الذين اصبحوا بسبب ما مروا به منطوين على انفسهم مشككين في امكان نجاح اي نشاط لذلك فان تحقيق مثل هذا الهدف لا بد وان يلاقي صعوبات جمة ، قد لا يمكن معها تحقيق اي شيء الا بجهود تفوق جهود الانسان . ولكننا اذا اخذنا بعين الاعتبار انه ليس هناك طريق آخر لليهود البائسين ، يكون من الجبن عدم اتباع هذه الطريق لان الامل في نجاحها ضئيل . يقول المثل : « ان القلوب الباردة لا تفوز بالمرأة الجميلة » . وعلاوة على هذا فماذا لدينا لنخسر . فنحن في اسوأ الاحتمالات سنستمر على ما نحن عليه ، في المستقبل . اننا جبناء لاننا نظن باننا سوف نظل يهودا محتقرين الى الابد .

٧ ــ مرت علينا مؤخرا تجارب قاسية في روسيه ، حيث نحن هناك كثيرون وقليلون في آن واحد ، هناك الكثير من اليهود في المقاطعات الجنوبية الغربية التي يسمح لهم السكن فيها ، وهم قليلون في بقية المقاطعات التي يمنع اليهود من السكن فيها . فلو تستطيع الحكومة الروسية وشعبها تصور الفائدة التي ستجنيها لو سمحت بتوزيع اليهود بالتساوي ، لما حدث الاضطهاد . لكن لسوء الحظ لم يفكر الروس ولن يفكروا في هذا الامر . هذا ليس خطأنا كما انه ليس خطأ تأخر الروس الثقافي . ان الصحافة في روسيه هي من اخطر خصومنا مع انه يفترض فيهم ان يكونوا اذكياء . ان ما يواجه اليهود في روسيه ناجم ، بكل بساطة عن تفاعل تلك القوى العامة التي تنطوي عليها الطبيعة الانسانية والتي شرحناها مقدما . بالطبع ليس من شأننا اصلاح الجنس البشري انما علينا ان نرى ماذا يجب ان نعمل نحن انفسنا تحت هذه الظروف .

وبما ان الظروف ستبقى كما هي عليه ، فسنكون قليلين نعتمد في معيشتنا على بقية السكان ولا نستطيع كسب ودهم . وبما انه لا يمكننا الاختلاط الا مع قسم صغير من السكان ، فهذا سيجعلنا نواجه صعوبات اكثر ويضعف علاقاتنا مع غير . اذن يتوجب علينا ان نرسل اليهود غير المندمجين في المجتمع والفائضين عنه الى مكان آخر . وهذا واجبنا نحن وليس واجب غيرنا . فلو تمكنا مثلا توزيع اليهود على كل انحاء العالم لامكن ربما بهذا التوزيع حل المشكلة اليهودية . لكن هذا

الشيء مستحيل لانه مما لا شك فيه ان معظم البلاد المتحضرة سوف لا تقبل بهجرة اليهود الجماعية اليها .

نقول هذا بألم انما يجب علينا ان نعترف بالحقيقة ، فان اعترافا كهذا مهم جدا لان معرفة الوضع الصحيح لحالتنا هو المطلب الاساسي لايجاد الطريق الصحيح لتحسين امورنا .

وعلاوة على هذا فمن السيىء جدا اذا نحن لم نستفد من نتائج تجاربنا السابقة ذات الفائدة العملية والتي من اهمها شعورنا المتزايد بانه لا وطن لنا وانه يجب علينا الحصول على **بلد** خاص لنا . لقد كانت عواقب الهجرة من روسيه ورومانيه وخيمة علينا لاننا اخذنا على حين غرة . فنحن لم نهيىء او ننظم الهجرة بطريقة مدروسة ، ونسينا تحضير البيوت اللازمة الامر الذي لا ينساه حتى القروي عندما يريد الانتقال من مكان لآخر وتركنا الالوف يبحثون عن منازل للسكن .

اما اذا تمكنا من ايجاد وطن آمن لنا وذلك كي نتخلى عن حياة الترحال وكي نوجد كيانا لامتنا في اعيننا واعين العالم ، فيجب قبل كل شيء ان لا نحلم في اعادة ارض اليهودية . يجب ان لا نربط انفسنا في المكان الذي قطعت فيه حياتنا السياسية ودمرت بعنف ، يجب الا يكون هدف جهادنا « الارض المقدسة» انما مجرد ارض نملكها . نحن لسنا بحاجة الى اكثر من قطعة ارض يقيم فيها اخواننا ولا يستطيع اي سيد اجنبي اقتلاعنا منها ، الى هذه الارض سنأخذ اقدس ما نملك وهو ما استطعنا تخليصه من حكام ارض اجدادنا، **فكرة الله والتوراة** . هذه الاشياء فقط وليس « قدس » نهر الاردن ، عملت من ارض اجدادنا ارضا مقدسة . قد تعود الارض المقدسة لنا، فاذا حدث هذا الشيء فهو افضل ، انما **قبل كل شيء** يجب ان نقرر ــ وهذه هي النقطة الصعبة ــ يجب ان نقرر على بلد نستطيع الوصول اليه وفي الوقت ذاته يكون صالحا لاعطاء اليهود على اختلاف البلدان التي يتركونها ملجأ يتمكنون من استثماره والعيش فيه .

٨ ــ توجد هناك لحظات مهمة في حياة الشعوب ، كتلك اللحظات المهمة التي تمر في حياة الافراد ، وحسب استغلال هذه اللحظات يكون تأثيرها على مستقبل الشعوب والافراد ، ربما لما هو افضل او لما هو اسوأ . ونحن نمر الآن في مثل هذه اللحظات . فقد بدأ وعي الشعب يستفيق ذلك ان آراء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر العظيمة لم تمر دون ان **تؤثر** على شعبنا . فنحن لا نشعر كيهود الآن فقط انما كبشر .

ونحن كبشر نشعر بالرغبة في العيش كبقية الناس ، وبان نكون **امة كغيرنا** من الامم . واذا اردنا تحقيق ذلك جديا فيجب علينا ان نتخلص من نير عبوديتنا القديم ونرتفع الى المركز اللائق بنا . يجب اولا ان نوجد عندنا **الرغبة لمساعدة انفسنا** ... ومن ثم سنحصل على مساعدة الغير .

هذا والوقت الحاضر مناسب جدا للعمل الحاسم ليس فقط نتيجة لتجاربنا الداخلية ، ونتيجة وعينا الذي انبثق مؤخرا ، انما ايضا لان التاريخ **المعاصر** اصبح حليفنا . فقد استطاعت في العقود الماضية بعض الامم ان ترتفع الى حياة مستقلة بينما لم تكن في السابق تجرؤ حتى ان تفكر في ان تبعث للحياة . ظهر الفجر بغتة وسط ظلام الحكم التقليدي. بدات الحكومات تصغي ، وفي كثير من الحالات كانت مجبرة على ذلك ، بدات تصغي لصوت الوعي القومي . صحيح ان الشعوب التي نالت مؤخرا استقلالها ليست اليهودية ، بل هي امم عاشت على ارضها كانت تتكلم **لغة** واحدة فكان لها بذلك ميزات علينا ، لكن هل نتخاذل اذا كانت قضيتنا اصعب ؟ يجب ان يكون هذا سببا قويا يدعونا لان نقدم كل طاقاتنا لانهاء مآسينا . يجب ان نعمل ونحن مستعدون للتضحية وسيساعدنا الله على ذلك ، كنا دائما مستعدين للتضحية ولم نتقاعس ابدا في رفع رايتنا حتى لو لم نستطع رفعها عاليا جدا لقد ابحرنا في محيطات تاريخ العالم بدون بوصلة لذلك علينا ان نخترع هذه البوصلة ، ان الجنة التي تشتاق اليها ارواحنا بعيدة عنا كثيرا . ونحن لا نعرف اين ستكون جنتنا هذه هل ستكون في الشرق ام في الغرب ، انما نعرف انها لن تكون بعيدة لاناس هاموا على وجوههم آلافا من السنين .

٩ ـ قد نفتقر الى قائد له عبقرية النبي موسى ـ فالتاريخ لا يعيد تقديم مثل هؤلاء القادة دائما . لكن ما نحتاجه اكثر من اي شيء آخر هو الشعور بوجوب ايجاد وطن لنا ، هذا الشعور سيبعث من بيننا اصدقاء شرفاء نشيطين يمسكون زمام قيادة الامة ربما بقدرة ذلك الرجل الواحد الذي سيخلصنا من الاضطهاد والاحتقار .

ماذا يجب ان نفعل قبل كل شيء وكيف نبدأ ؟ نعتقد ان نواة هذا العمل موجودة في **المجتمعات التي هي في طور التكوين** . ذلك انه يتوجب على هذه المجتمعات ان تعمل على ارساء الاساس للمنارة التي ستكون محط انظارنا . وحتى تكون هذه المجتمعات قادرة على القيام بواجباتها الجديدة يتحتم عليها ان تتبدل كليا . يجب ان تكوّن **مجلسا وطنيا** يكون

بمثابة المركز . اما اذا كانت لا ترغب في القيام بمثل هـذا العمل واذا اعتقدت بانه لا يمكن لها ان تتجاوز حدود نشاطاتها السابقة ، فعلى الاقل يجب ان يؤلف عدد منها **مؤسسة وطنية** تكون بمثابة موجّه لبلورة فكرة الوحدة التي بدونها لا نستطيع النجاح . تقوم هذه المؤسسة بدور من يمثل مصالحنا القومية، ويجب ان تتكون من قادة شعبنا وان تكون مسؤولة عن توجيه امورنا الوطنية . وعلى خيرة رجالنا من متمولين وعلماء وسياسيين ، ان يشتركوا في توجيهنا الى هدفنا العام . يجب ان يكون هدف هذه المؤسسة الرئيسي والاهم هو ايجاد وطن آمن يعيش فيه بطمانينة هؤلاء اليهود **الفائضين** الذين يعيشون الآن كطبقة بروليتارية عالة على المواطنين الاصليين .

بالطبع ليس هناك ادنى شك في عدم امكانية تنظيم هجرة منظمة لكل الامة . انه من الافضل لليهود الغربيين، الذين يكونون نسبة قليلة من السكان ، ولذلك فان حالتهم في البلاد التي يعيشون فيها هي احسن، من الافضل لهؤلاء الا يهاجروا . كذلك يستطيع الاغنياء البقاء حيث هم حتى في البلاد التي لا تسامح فيها . لكن كما ذكرنا سابقا هناك بلدان بلغ فيها اليهود درجة الاشباع فاذا ما ازداد فيها بعدها عددهم تعرضوا بسببها للاضطهاد كما هي الحال في روسيه ورومانيه ومراكش وفي امكنة اخرى. ان هذه الزيادة التي هي عبء على نفسها وعلى الغير هي ما تسبب تعرّض الشعب كله للخطر . لقد حان الوقت لايجاد مأوى لهذه الزيادة . يجب ان نشغل انفسنا الآن بتأسيس مأوى دائم ، ولكن ليس بجمع التبرعات للحجاج والهاربين الذين سينسون وطنهم ومن ثم سيضيعون في اعماق غربة ارض مجهولة .

نأمل ان نكون قد مررنا في تلك المرحلة التي مرّ بها اليهود في العصور الوسطى ، تلك المرحلة التي ادت الى مواتهم . ان المثقفين من بني شعبنا يقدرون انفسهم حق قدرها فهم ليسوا اقل شانا من مثقفي خصومنا . ولكنهم لا يستطيعون ان يذودوا عن عزتنا قبل ان نقف على اقدامنا . فقط عند ايجاد ملجأ لفقرائنا وللذين انزل بهم القدر التشتت والبؤس سيحترمنا الناس . ولهذا لن نتعرض فيما بعد لمثل تلك الحوادث الاليمة التي تعرضنا لها في السنين الماضية. تلك الحوادث التي وللاسف لا بد وان تتكرر ليس في روسيه فقط ، انما في بلاد اخرى . يجب ان نعمل بنشاط على اكمال العمل العظيم لتحرير انفسنا . يجب ان نستعمل كل ما انتجه العقل الانساني والتجربة الانسانية وذلك كي لا نترك عمل

البعث القومي المقدس للقدر الاعمى .

١٠ ــ يجب ان تكون الارض التي نحن بصدد شرائها ذات مركز جيد وخصبة ومساحتها كافية لاسكان عدة ملايين . يجب ان تكون الارض التي ستصبح ملكا للامة غير غريبة جدا عن تلك الامة ، لذلك فاختيار موقع الارض هو بالطبع اهم خطوة اذ يجب ان لا يتم اختيارها خبط عشواء ، او وفقا لمشاعر افراد كما حدث للاسف مؤخرا . يجب ان تكون هذه الارض موحدة لا تجزؤ فيها لان حل مشكلتنا يكمن في ان نملك قطعة ارض كي نعوض بها عن تشتتنا ، اننا **نريد ملجأ واحدا** ، لان وجود **عدة** ملاجىء سيعيد خلق معالم تشتتنا القديمة . اذن يجب اختيار وطن قومي دائم وفقا لكل المتطلبات وبكل حرص من قبل مؤسسة واحدة قومية تتألف من بعثة خبراء مختارة من قادتنا . بعثة من هذا النوع فقط تستطيع ان تعطي رأيها بعد تحريات ودراسات عميقة ، هذه البعثة تستطيع ان تقرر اذا ما كنا سنسكن في الشرق ام في الغرب ، وعلى **اي** قطعة ارض سيقع الاختيار نهائيا .

عندها فقط ، ليس قبل ذلك ، تستطيع الادارة العامة مع جمعية مكونة من الراسماليين تأسيس شركة مساهمة تمكنهم من ان ينظموا انفسهم لشراء قطعة ارض تتسع لعدة ملايين من اليهود يسكنون عليها مع مرور الزمن . قد تكون قطعة الارض هذه رقعة في الولايات المتحدة او ولاية كتلك التي يقوم عليها باشاوات آسيه التركية، يعترف بها الباب العالي والقوى الاخرى كبلد محايد . وستكون مهمة تلك الادارة اقناع الباب العالي والحكومات الاوروبية الاخرى بهذا المخطط .

انه من الواضح بان تكوين ملجأ يهودي لا يتم الا بمعونات الحكومات فعلى خالقي بعثنا القومي ان يعملوا بحذر واناة وذلك لتحقيق الدعم لمثل هذا الملجأ . ان ما نطلبه ليس في حد ذاته بجديد على احد ولا يشكل خطرا على احد ، فبدلا من الملاجىء الكثيرة التي اعتدنا عليها نأمل ان يكون لنا **ملجأ واحد** يتأكد وجوده سياسيا . ليكن شعارنا « الآن او لن يكون ابدا » . الويل لنا من احفادنا ومن نظرة معاصرينا اليهود الينا اذا نحن سمحنا لهذه اللحظة ان تفوتنا !

تلخيص

اليهود ليسوا امة حية انما هم غرباء محتقرون في كل مكان .

تحرير اليهود مدنيا وسياسيا لا يكفي لرفع قيمتهم بين الناس .

ان الطريق الصحيح والوحيد لاصلاح الوضع هو خلق قومية يهودية مؤلفة من شعب يعيش على ارض يملكها ـ انه تحرر اليهود الذاتي كأمة بين الامم تملك وطنا خاصا بها .

يجب ان لا نقنع انفسنا بان الانسانية وحركة التنوير سيكونان دواء اساسيا لشفاء شعبنا .

ان ما يقف في وجه بعثنا القومي هو عدم وجود احترام قومي واحترام ذاتي وعدم وجود مشاعر سياسية او وحدوية ، عندنا .

ان ايقاف تجوالنا من ملجأ لآخر ، لا يكون الا بايجاد ملجأ كاف يمكننا استثماره ويكون ملكا لنا .

الوقت الحاضر هو انسب الاوقات لتحقيق مثل هذه الخطة يجب ان تلاقي المسألة اليهودية العالمية حلا قوميا .

ان بعثنا القومي سيسير ببطء انما يجب علينا **نحن** ان نقوم بالخطوة الاولى ثم يتبعنا **احفادنا** بخطى متزنة متئدة .

يجب ان يبدأ بعث اليهود القومي بتأسيس مجلس لزعماء اليهود .

مهما بلغت التضحيات فهي ليست باهظة في سبيل الوصول الى الهدف الذي سيؤمن مستقبل امتنا الذي هو في خطر في كل مكان . اما التحقيق المالي لمثل هذا المشروع فلن يكون ، والحالة هذه ، مشكلة صعبة لا يمكن تخطيها .

ساعدوا انفسكم والله سيكون معكم !

ثيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) Theodor Herzl (Benjamin Ze'ev)

مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة

ولد بنجامين زئيف هرتزل بمدينة بودابست في الثاني من ايار (مايو) ١٨٦٠ ، وكان الابن الوحيد لتاجر من الاثرياء بين يهود المدينة ، بينما ظهرت عليه منذ الحداثة شدة التعلق بوالدته التي مارست بدورها اثرا قويا عليه طيلة حياته ، وجعلته ينشأ على تصور من ينتدب نفسه لتحقيق عظائم الامور ويحلم بانه مدعو الى تادية رسالة عليا في الحياة . تلقّى هرتزل تعليمه الابتدائي والثانوي في احدى المعاهد التقنية بمدينة بودابست ، والمعروف انالثقافة الالمانية كانت سائدة آنذاك في معظم انحاء اوروبهالوسطى وفي الامبراطورية النمساوية ـ المجرية بنوع خاص . حتى ان ثقافته العبرية تميزت بالضعف ، فجاءت تاثيراته بالتقاليد اليهودية على صعيد اللاوعي . ويقول الذين اهتموا بتتبع سيرة حياته حتى الثامنة عشرة من العمر بان نفس الفتى تأثرت بكل من سفر الخروج وفكرة المسيح المنتظر . على ان الطابع الغالب لتطلعات هرتزل الشاب جعله يستمد الوحي من فكرة التقدم العلمي والتكنولوجي ، حتى انه اعتبر المهندس فرديناند دي لسبس مثله الاعلى في الحياة فحاول الاقتداء بالرجل الذي اشتهر اسمه بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ .

انتقلت اسرة هرتزل الى فيينه عام١٨٧٨ ، بعد الخسارة التي حلت بتجارة الاب من جراء الازمة الاقتصادية التي اجتاحت اوروبه عام ١٨٧٣ ، وهو العام الذي بلغ فيه هرتزل سن التكليف الديني (Bar Mitzvah) . ثم التحق هرتزل ، بعد وفاة اخته بالتيفوئيد ، بكلية الحقوق في جامعة فيينه (١٨٧٨ ـ ١٨٨٤) فدرس القانون الروماني والاقتصاد وفلسفة القانون ، وراح يقرأ المؤلفات الادبية بنهم بالغ . تخرّج من الجامعة في ايار (مايو) ١٨٨٤ ونال شهادة الدكتوراه في الحقوق ، ثم قام بزيارة خاطفة لباريس ، لكي يعود الى فيينه وينتسب الى نقابة المحامين في ٣٠ تموز (يوليو) ١٨٨٤ . مارس المحاماة ودخل في خدمة الحكومة لمدة عام واحد ليعمل في محكمة التجارة ، فقرر الاستقالة والبحث عن الشهرة والمستقبل في عالم الادب والكتابة الصحفية . وظهر عليه الميلالشديد الى الدخول في سر المعمودية والتنصر ، لولا خوفه من الاساءة الى مشاعر والده . اتجه بدافع الطموح والرغبة في تحقيق النجاح السريع الذي يجتذب انظار العالم نحو كتابة المسرحيات . فعاد من رحلة الى بلجيكه وهولنده لكي يبدأ كتابة المقالات الاسبوعية في صحيفة Berliner Tagblatt (١٨٨٦) . ثم كتب سلسلة مقالات حول رحلته الى ايطاليه (١٨٨٧) ونشرها في صحيفة Wiener Allegemine Zeitung التي اصبح رئيس تحرير الصفحة الادبية فيها .

تزوج جولي ناشادر التي تصغره بثمان سنـوات في ٢٥ تموز (يوليو) ١٨٨٩ ، وكان ابوها قد جمع ثروة هائلة في تجارة البترول الهنغاري وفي اعمال الملاحة النهريةعلى الدانوب . اصيب بخيبة امل في الحقل المسرحي واثّر في نفسه انتحار صديقه الحميم في مطلع شباط (فبراير) ١٨٩١ ، فانفصل عن زوجته في آب (اغسطس) من العام نفسه ، وغادر فيينه للترويح عن النفس في رحلة تأملية استغرقت شهرين زار خلالهـا جنـوب فرنسه .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه تسلّم برقية من كبرى الصحف النمساوية (Neue Freie Presse) تعرض عليه وظيفة مراسل لها في العاصمة الفرنسية . فبقي يراسل الصحيفة من باريس حتى عودته الى فيينه لتسلم رئاسة تحريـر القسم الادبي في الصحيفة اياها (ايلول ، سبتمبر ، ١٨٩٦) . ويبدو ان اقامته في باريس اتاحتله تكوين نظرة خاصة لما كان يعرف بـ « المسالة اليهودية » . فقد كانـت فرنسه آنذاك مسرحـا لفضيحة قناة بنامه وقضية الكابتن دريفوس ، واخذت موجة العداء للسامية تشتـد في اوساط معينة . كما بدا لهرتزل ان اليهود هم دوما كبش المحرقة في الازمات التي تمـر بها البلاد . ففي مطلع ١٨٩٢ اخذ يكتب لصحيفته عن المشروع الذيحاول تنفيذه اليهودي البرليني بول فريدمان لاقامة مستعمرة يهودية في ارض مدين . ومنذ منتصف هذا العام اخذت تتكاثر المقالات والتقارير التي يبعث بها وكلها تدور حول الشؤون اليهودية . فهو يرى في عداء العالم لليهود نوعا من التربية القاسية لهم . ثم تحدوه الرغبة للاستشهاد لعل ذلك ينبه العالم ويهزه . لكنه يعتبر المسالة اليهودية مسالة اجتماعيـة في الدرجة الاولى ، وليست قومية او دينية . فالعداء للسامية لا تتم مكافحته الا بتخلص اليهود من تلك المزايا والخصال التي تثير التعصب ضدهم . وهنا اخذ هرتزل يعتقد بان تحسـين وضع اليهود في المجتمع يأتي عن طريق الدعوة الى المبارزة بالسيف دفاعا عن الكرامة ، او عن طريق المعمودية والتزاوج . كما انه رأى في الاشتراكية سبيلا للوقوف بوجه حركة العداء لليهود . ففي المانيه ، مثلا ، يمكن حل المسالة اليهودية متى اعتنـق اليهـود للاشتراكية ، وفي النمسه متى تحولوا الى الكثلكة .

وفي اواخر عام ١٨٩٤ نجده يفلسف ظاهرة العداء للسامية فيعتبرها ظاهرة نافعـة لتثقيف اليهود وتطوير الخلق اليهودي . لكنه يرتأي معالجة الامـر على صعيد الادب . فيكتب مسرحيته « الغيتو الجديد » (Das Neue Ghetto) محاولا استلهام المثل الاعلى للتصالح الانساني . وحين ترفض المسارح الالمانية اخراجها ، يصاب هرتزل بخيبة امل . كما تستحوذ على افكاره محاكمة دريفوس واستقطاب المشاعر الذي رافقها . وفي منتصف عام ١٨٩٥ تشهد حياته ذلك التحول الذي ادى به الى تسييس المسالة اليهودية وتزعّم الدعوة الصهيونية الحديثة . فقد بادر الى مخاطبة البارون دي هيرش في رسالة ضمنها آراءه ومقترحاته ، لكن مقابلته للمتمول اليهودي جعلته يتجه صوب حل آخر . وفي مطلع عام ١٨٩٦ صدرت الطبعة الاولى من كراس « الدولة اليهودية : محاولة لايجاد حـل عصري للمسالة اليهودية » . ورأى هرتزل بان الحل العصري هو : تأسيس دولة يهودية بالاتفاق الدولي . كما ترك لليهود انفسهم امر اختيار الارض التي يقيمون فوقها دولتهم المنشودة ، ولم يشأ اخفاء تفضيله لفلسطين على غيرها من البلدان .

لقي هذا الكراس معارضة شديدة في اوساط اليهود المندمجين في مجتمعاتهم وبـين

المغالين في التدين واتباع الحركة الاصلاحية ، ولم يستقطب حوله سوى اعضاء حركة « حب صهيون » وبعض الشباب اليهودي المتحمس . بيد ان هرتزل عقد العزم على متابعة الدعوة ، فقرر الانصراف كليا للعمل في سبيل الفكرة الصهيونية . اما المراحل التي قطعتها الدعوة الصهيونية خلال السنوات التي انقضت بين صدور الكراس عن «الدولة اليهودية» ووفاة مؤسس الحركة الصهيونية العالمية فيمكن ايجازها من خلال احداث الشريط الزمني الآتي :

١٨٩٦ (حزيران) ـ الزيارة الاولى الى الاستانة ومقابلة الصدر الاعظم ، حيث عرض هرتزل تقديم المساعدات المالية لتركيه لقاء السماح بقيام دولة يهودية مستقلة في فلسطين .

١٨٩٧ (حزيران) ـ تاسيس الصحيفة الصهيونية الاسبوعية «دي فلت» (Die Welt) .

(٢٩ آب) ـ انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بازل بسويسره ، تاسيس المنظمة الصهيونية العالمية وانتخاب هرتزل لرئاستها . اعلان برنامج بازل الصهيوني .

١٨٩٨ (آب) ـ المؤتمر الصهيوني الثاني برئاسة هرتزل . انتخاب لجنة لتاسيس «المصرف اليهودي الاستعماري » ، ورفض الاستعمار القائم على التسلل اليهودي الى فلسطين . هرتزل يرفع الشعار القائل بضرورة « غزو الجاليات اليهودية » في العالم واكتسابها الى جانب الدعوة الصهيونية .

١٨٩٩ (١٥ ـ ١٨ آب) ـ المؤتمر الصهيوني الثالث . هرتزل يقدم صياغة صهيونية لبراءة الاستيطان . تأسيس المصرف اليهودي للاستعمار والاستماع الى تقرير هرتزل عن مقابلة الامبراطور الالماني في الاستانة واستقباله للوفد الصهيوني خلال زيارة القدس .

١٩٠٠ (١٣ ـ ١٦ آب) ـ المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن وتاسيس صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار .

١٩٠١ (ايار) ـ هرتزل يقابل السلطان عبد الحميد .

(كانون الاول) ـ المؤتمر الصهيوني الخامس في بازل وتاسيس الصندوق القومي اليهودي .

١٩٠٢ السلطان عبد الحميد يستدعي هرتزل لمقابلته . صدور رواية هرتزل « الارض القديمة ـ الارض الجديدة » .

(تشرين الاول) ـ هرتزل يذهب الى مقابلة وزير المستعمرات البريطاني جوزيف تشمبرلين واللورد لاتسدون ، وزير الخارجية .

١٩٠٣ (نيسان) ـ مقابلة اللورد كرومر في مصر حول مشروع استعمار العريش .

(آب) ـ مقابلة وزراء القيصر في سانت بطرسبرغ .

المؤتمر الصهيوني السادس ومناقشة مشروع يوغنده .

تاليف لجنة استكشاف وخروج المعارضين من المؤتمر .

تشكيل لجنة فلسطين .

١٩٠٤ (كانون الثاني) ـ هرتزل يذهب الى مقابلة ملك ايطاليه وقداسة البابا في رومه .

(ايار) ـ هرتزل يصاب بانهيار جسدي ، ثم يتوفى في ٣ تموز (يوليو) من العام نفسه ببلدة ادلاخ (النمسه) .

وفي ١٧ آب عام ١٩٤٩ قامت اسرائيل بنقل بقايا ثيودور هرتزل لكي تعيد دفنها في القدس تنفيذا لما قيل عن ورود هذا الامر في وصية مؤسس الصهيونية الحديثة .

الخبر الاول في مذكراته (١٨٩٥)

ايار (مايو) «شافووت» (١) ١٨٩٥

كنت منهمكا بعمل ذي اهمية لا تقارن ـ ولا استطيع اليوم ان اعرف ما اذا كنت سانهي هذا العمل . يبدو هذا العمل وكأنه حلم عظيم ، انما لقد شغل هذا الحلم كياني وكل شعوري ورافقني اينما ذهبت طيلة الايام والاسابيع الماضية . لقد تغلب على احاديثي اليومية وكاني به ينظر من فوق كتفي الى عملي الصحافي التافه . انه يزعجني ويسكرني .

لا يمكن معرفة النتيجة التي سيؤول اليها هذا العمل بعد ، انما خبرتي تقول لي انه شيء عظيم ويجب علي ان اكتبه ـ ان لم يكن كذكرى للبشرية فسأكتبه لمسرتي وتأملاتي في السنين القادمة . او ربما لامر بين هذين الاحتمالين هو : اغناء الادب . اذا لم يكن بالامكان ان تتحول الرومانسية الى حقيقة ، فان الحقيقة على الاقل ، يمكن ان تصبح رومانسية : العنوان ارض الميعاد !

الدولة اليهودية (١٨٩٦)

مقدمة

الفكرة التي عالجتها في هذا الكتيّب هي فكرة قديمة تتعلق ببعث الدولة اليهودية .

---

١ ـ وقع عيد الاسابيع في العام ١٨٩٥ في ٢٩ ـ ٣٠ ايار (مايو) واستعمال التاريخ اليهودي بحد ذاته يكشف القناع عن الثورة التي كانت تكمن في نفس هرتزل .

ان الذي بعث هذه الفكرة النائمة الى الحياة هو العالم الذي تألب ضد اليهود . انا لا ادعي اكتشاف امور جديدة ، فليلاحظ هذا من خلال مناقشتي؛ انا لم اكتشف لا الحالة اليهودية كما بلورها التاريخ ولا الطريقة لعلاجها . ان مواد الدراسة التي سأعرضها هنا موجودة في الحقيقة ومحسوسة وباستطاعة اي واحد ان يلاحظها ، لذا اذا كان لهذه المحاولة لحل المشكلة اليهودية ان توصف بكلمة واحدة ، فالكلمة هي « تنظيم » وليست « وهما » .

اود اولا ان اطلب الا ينظر الى مخططي هذا على انه « يوتوبيا » . اقول هذا لحماية الناقدين السطحيين من ارتكاب خطأ فني كهذا مع ان التخطيط من اجل يوتوبيا مثالية ليس عيبا . ولو اردت ان اقدم مشروعي بطريقة رومانسية ولتسلية الجماهير لكانت الكتابة اسهل وانجح ولكنت تخلصت من عبء المسؤولية . ولكن خطتي هذه ليست يوتوبيا كتلك التي عولجت كثيرا قبل عصر سير توماس مور وبعده . هذا وان حالة اليهود قد وصلت في كثير من البلاد الى درجة خطيرة بحيث ان اي محاولة لمجرد لفت الانظار يعد ضربا من الفذلكة غير الضرورية .

ان كتاب « فرايلاند » الممتع لمؤلفه الدكتور ثيودور هيرتزكا (٢) الذي ظهر منذ بضع سنين يبيّن الفرق بين البناء الذي اقوم به انا ، وبين اليوتوبيا . فكتابه تنظيم عقل عبقري مدرب على مبادىء الاقتصاد السياسي . انه بعيد عن الواقع بعد الجبل الاستوائي الذي تقوم عليه دولته التي يحلم بها . ان فرايلاند نظام ميكانيكي معقّد ذو براغ وآلات تبدو منسجمة ولكنني لا ارى بأن الحياة ستدب يوما فيها ، وحتى لو قدّر لمجتمعات فرايلاند ان تكون فسوف اعتبرها مهزلة .

ان الخطة التي اقدمها تتطلب القوى الهادفة الموجودة في الحقيقة . وحسب طاقتي المحدودة فسوف لا اقترح اكثر من البراغي والعجلات التي يقوم عليها النظام الذي اقترحه . واني آمل بان يقوم على ادارة هذا النظام من هم اقدر مني على ادارته . ان اهم ما في الامر هو القوة الدافعة .

---

٢ ـ **فرايلاند** لمؤلفه ثيودور هيرتزكا (١٨٤٥ ـ ١٩٢١) وهي رواية مشهورة نشرت في العام ١٨٩٠ تصف بلدان شيوعية مثالية خيالية في اواسط افريقيه . كان الكاتب وهو من اصل نمساوي ـ هنغاري يعنى في كتاباته بالمشاكل الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية .

فما هي تلك القوة ؟ انها مأساة اليهود ومن يستطيع انكار وجود هذه المأساة ؟ سنتناول هذا بالتفصيل تحت الفصل الذي نتكلم به عن اسباب اللاسامية .

يعرف الكل كيف ان البخار الذي يتكون من جراء غلي ماء في ابريق يحرك غطاء الابريق. ان المشاريع الصهيونية الحالية والجمعيات الاخرى لمكافحة اللاسامية هي ظاهرة مثل ظاهرة الابريق الذي ذكرناه ، ولكني اقول بان هذه القوة ، اذا ما استخدمت استخداما صحيحا ستكون كافية لادارة محرك كبير يحمل مسافرين وبضائع ، مهما كان شكل هذا المحرك .

انني واثق كل الوثوق بأن آرائي صحيحة مع اني اشك فيما اذا كنت سأعيش الى العصر الذي ستتحقق فيه اقوالي ، واغلب الظن ان اولئك الذين يحاولون تحقيق هذه الحركة لن يعيشوا ليروا عظمة الوصول اليها ، انما حسبهم من هذا ما يشعرون به من عزة وغبطة بتحرير داخلي لوجودهم .

هذا وفي عرضي للدولة اليهودية سأقلل من التفصيلات التصويرية حتى اتخلص من كل الشكوك التي تتعلق باليوتوبيا ، علما باني اتوقع ان يظل بعض المتهكمين غير المفكرين يصورون افكاري بصور هزلية محاولين بذلك تحطيم ما اقدم . قال يهودي صائب التفكير في امور اخرى ، عندما عرضت عليه خطتي هذه : « ان ضمان اليوتوبيا لا يكون الا بتقديم اوجه للمستقبل من خلال حقائق الحاضر » . وهذا خطأ ، فكل وزير مالية يقدم ميزانية بأرقام للمستقبل لا تعتمد بالضرورة على ارقام العائدات في السنين الماضية ولا يقدرها بحسب عائدات قديمة لبلد غير بلده بل يقدرها بارقام لم يسبق مثلها ، كفرض ضريبة جديدة ، على سبيل المثال ، وهذه حقيقة يصل اليها كل من يدرس ميزانية من الميزانيات . فهل تعد ميزانيّة من هذا النوع يوتوبيًا ؟ مع العلم انه كثيرا ما لا يمكن التمسك بتحقيق مثل هذه الميزانية بحذافيرها .

ولكني اتوقع من قرائي اكثر من هذا بكثير ، اني اطلب من المفكرين الذي اكلمهم ان يضعوا جانبا جميع افكارهم السابقة بل اذهب ابعد من هذا فاطلب حتى من اولئك الذين حاولوا مخلصين ان يصلوا الى حل للمشكلة اليهودية ، اطلب منهم ، ان يعتبروا مساعيهم القديمة خاطئة وغير عملية .

على ان هناك خطرا يجب الا اقع فيه ، وهو اني اذا لم استطرد في وصف الامور التي ستتحقق لنا في المستقبل سيظن اني اشك في تحقيقها، واذا انا تحدثت عنها بعدم تحفظ وكأنها امور ستتحقق حتما ، قد اتهم باني ابني قصورا في الهواء .

لدا اقول بوضوح وتأكيد بانني اؤمن بامكان تحقيق الفكرة رغم اني اعترف باني لم اكتشف الشكل الذي ستتخذه. ان العالم يحتاج الى الدولة اليهودية لذلك يجب ان تقوم .

ان الخطة تبدو جنونا اذا كان سيقوم بها رجل واحد ، اما اذا وافق عليها يهود كثيرون فسوف تبدو معقولة ولن يشكل تحقيقها اي صعوبة تستحق الذكر .

ان الفكرة تحتاج الى انصار وتعتمد على عدد هؤلاء الانصار . وربما عمل على نشر هذه الفكرة شبابنا الطموحون الذين سدت في وجوههم جميع سبل التقدم والذين ستفتح امامهم الدولة اليهودية مجالات الحرية والسعادة والعزة .

هذا وانا اشعر بان مهمتي ستنتهي بنشر هذا الكتيب فسوف لا اعود الى الكتابة الا اذا اضطرتني الى ذلك هجمات خصوم ، او اذا كان علي ان اردّ على اعتراضات او اخطاء لم اكن قد تناولتها من قبل .

هل ما اقول غير صحيح ؟ وهل انا استبق الوقت ؟ ألا يكفي اليهود ما تعرضوا اليه من عذاب ؟ هذا ما سنتحدث عنه .

ان الامر متعلق باليهود انفسهم ، فقد تظل هذه الوثيقة السياسية ادبا سياسيا رومانسيا فقط . اذا كان الجيل الحاضر غبيا الى درجة لا يستطيع فهمها ، فلا بد ان يقوم في المستقبل جيل احسن يستطيع فهمها. هذا واليهود الذين سيعملون بهذه الخطة سيحققون دولة لانفسهم وسيكونون مستحقين لها .

الفصل الاول ـ المقدمة

كثيرا ما يكون فهم رجال الاعمال للاقتصاد قليلا الى درجة غريبة . هذا هو التفسير الوحيد لما يكرره اليهود مصدقين نقلا عن اولئك الذين هم ضد السامية : « نحن نعيش على فضلات الامم المضيفة فاذا لم يكن لنا

امة مضيفة فسنموت جوعا » . هـذا مثال لعدم احترامنا لأنفسنا الناجم عن اتهامات غير عادلة . لكن ما هو موقف نظرية « الامة المضيفة » عند تسليط اضواء الحقيقة عليها ؟ واذا لم تعتمد على وجهة نظر فيزيوقراطية محدودة . فانها تعكس وجهة النظر البدائية التي تقول بأن هناك قيما محدودة في حالة توزيع دائم . ولكن بدون ان تكون « ريب فان وينكل » وتستيقظ من نوم عميق لتعرف ان العالم قد تبدّل من جراء خلق القيم الجديدة المستمر . ان التقدم الفني الذي تحقق في عصرنا الحاضر يدفع الجميع حتى الاغبياء ومحدودي النظر ان يلاحظوا ظهور الوسائل الحديثة حولهم ، تلك الوسائل التي خلقتها روح الاندفاع في المشاريع .

ولولا المشاريع الكبيرة لبقي العمل خاملا وغير متطور ، مثل عمل المزارع الذي هو الآن مثل ما كان عليه قبل الف سنة . يعود كل تقدمنا المادي الى همم رجال المشاريع . انني اشعر بالخجل للكتابة عن هذا الامر البسيط . حتى لو كنا امة من الوسطاء كما يصفنا الناس مع كثير من المبالغة اللامعقولة ، حتى لو كنا كذلك فاننا لسنا بحاجة الى «امةمضيفة». نحن لا نعتمد على تسويق قيم قديمة ، اننا ننتج قيما جديدة . اننا نستخدم الآن عبيدا للانتاج هي الآلات التي اصبحت تنافس اليد العاملة . صحيح اننا نحتاج الى رجال يديرون هذه الآلات لكن اليهود عندهم الطاقة البشرية الكافية ، لا بل اكثر من اللازم، فقط اولئك الجهلاء بأحوال اليهود في كثير من بلاد اوروبه الغربية يجرؤون على القول بان اليهود غير نافعين وغير محبين للقيام بعمل يدوي .

في هذا الكتيّب سوف لا اقدم اي دفاع عن اليهود لان هذا الشيء لا يعود بالفائدة . فكل ما امكن قوله من الدفاع عنهم قد قيل ، ولم تعد المجادلات التي يتقبلها العقل والعاطفة كافية . فعلى المستمعين ان يستطيعوا ان يتفهموا والا فكل توجيه يضيع في الهباء . اما اذا كان المستمعون على درجة عالية من الثقافة فلا حاجة لهذا التوجيه. ان الانسان دائم التقدم الى مستوى خلقي عال . انما ارى بأن هذا التقدم بطيء لدرجة مخيفة . فاذا كان علينا ان ننتظر الى ان يصبح المستوى العقلي للانسان العادي مثل ذلك المستوى المتسامح الذي كان عليه ليسنج عندما كتب **ناتان الحكيم** (٣) ، فانه لا بد ان ننتظر لفترة اكثر من فترة حياتنا وحياة احفادنا وابناء احفادنا ، غير ان القدر يقدم لنا طريقة اخرى .

---

٣ ـ انظر ملاحظة هيس رقم ٨ .

لقد بعثت الانجازات التقنية في هذا القرن نهضة عظيمة رغم اننا لم نلاحظ بعد تطبيق هذه الانجازات العظيمة لصالح الانسانية. فالمسافات الشاسعة لا تشكل عائقا الآن ومع هذا فنحن نتذمر من مشكلة تكاثف السكان . ان سفننا البخارية تحملنا بسرعة وامان عبر البحار الواسعة . سككنا الحديدية تحملنا بأمان ايضا عبر جبال العالم التي كنا نمشيها على الاقدام . وتصلنا اخبار الاحداث في البلدان التي اكتشفت حديثا خلال ساعة من حدوثها . لهذا ، وبسبب هذه النهضة اصبح اضطهاد اليهود غريبا وخطأ في تسلسل حوادث التاريخ وليس لانه كانت هناك قبل مائة سنة فترة تنوير لم تؤثر في الواقع الا على فئة قليلة مثالية . ان الضوء الكهربائي لم يخترع كي ينير غرف المتعجرفين انما لمساعدة الانسانية في حل بعض مشاكلها . احدى هذه المشاكل التي هي ليست الاقل اهمية هي المسألة اليهودية . واذا عملنا لحلها فنحن نعمل كذلك لخير كثير من الناس البائسين والمضطهدين .

المسألة اليهودية ما زالت موجودة ومن الغباوة انكارها . انها من بقايا العصور الوسطى التي عبثا تحاول الامم المتحضرة التخلص منها . توجد المسألة اليهودية اينما وجد اليهود باعداد كبيرة ، تنتقل الى المكان مع هجرة اليهود اليه، ذلك اننا ننقاد دوما الى الامكنة التي لا اضطهاد فيها لكن حالما نجتمع هناك يبدأ اضطهادنا. هذه هي المسألة اليهودية انها لباقية في كل مكان حتى في البلاد ذات الحضارة الراقية ـ انظر على سبيل المثال الى فرنسه ، ستبقى الحالة هكذا ان لم تحل المشكلة اليهودية . هذا ويحمل الآن اليهود التعساء بذور فكرة اللاسامية الى بريطانيه كما انهم ادخلوا الفكرة الى اميركه مؤخرا .

ان اللاسامية هي حركة معقدة جدا . اظن اني افهمها وسأتناول لحديث عن هذه المشكلة كيهودي انما دون خوف او كراهية . استطيع ان ارى فيها بعض عناصر التلهي القاسي ، وعناصر المنافسة التجارية والتعصب الموروث واللاتسامح الديني ـ ولكني اجد فيها ايضا الحاجة الملحة للدفاع عن النفس .

ان المشكلة اليهودية ليست مشكلة اجتماعية او دينية مع انها في بعض الاحيان تتخذ هذين الطابعين وغيرهما ، انها مسألة قومية ، ولايجاد حل لها يجب علينا ان ننظر اليها كمشكلة سياسية دولية تجتمع الامم المتحضرة لمناقشتها وايجاد حل لها .

نحن شعب ـ شعب **واحد** .

لقد حاولنا باخلاص أن نختلط مع المجتمعات التي عشنا فيها، وكان جل همنا ان نحافظ على ايمان آبائنا ؛ لكن هذا لم يسمح لنا به . عبثا نحاول أن نكون مواطنين مخلصين وكثيرا ما نكون فوق المخلصين ؛ وعبثا نقدم التضحيات بالارواح والاموال من اجل البلد الذي نعيش فيه . عبثا نحاول ان نرفع من شأن هذا البلد بما نقدم من الآداب والعلوم . عبثا نحاول ان نزيد غناها بالتجارة . ما زلنا نعامل كغرباء في وطننا الذي عشنا فيه قرونا ، يعاملنا كغرباء حتى هؤلاء الذين جاء آباؤهم الى هذا البلد بعد مجيء اليهود اليه بوقت طويل . والاغلبية هي التي تقرر « من هو الغريب » ان هذا وغيره من معاملة الشعوب بعضها لبعض تقرره القوة . وانا اذ اقول هذا لا اتخلى عن اي جزء من حقوقنا ، انما في هذا العالم الذي نعيش فيه اليوم ولأمد غير ذي نهاية سيظل للقوة الكلمة الاولى، لذلك لا فائدة من ان نكون اوفياء كالهوغنيين الذين فرضت عليهم الهجرة. نريد فقط لو كانوا يتركونا نعيش في سلام ...

ولكني لا اظن انهم سيتركونا نعيش في سلام .

لا يستطيع الاضطهاد والظلم ان يمحونا من الوجود ، لم تكن هناك امة على وجه الارض تحملت مثل ما تحملنا من عذاب واضطهاد . استطاع اعداء اليهود ان يغربلوا ضعفاءنا ، اما الاقوياء فقد كانوا يتمسكون بشعبهم عند قيام اي اضطهاد. كان هذا واضحا في الفترة التي تلت تحرير اليهود. ذلك ان اولئك الذين ارتفع مستواهم المادي والفكري انصهروا بالمجتمعات التي عاشوا فيها ونسوا قوميتهم . اننا سننصهر في اي مجتمع اذا مكثنا فيه مدة بأمان وهذا ليس من صالحنا . لذلك فالسياسي الذي يريد ان يزيد من عبء اليهود على امته، عليه ان يتركنا نعيش في امان سياسي. ولكن لن يستطيع احد ـ حتى ولو كان بزماركا ـ ان يحقق هذا .

ان التعصب ضدنا ما زال متأصلا في قلوب الناس ، ومن اراد التثبت من هذا فليستمع الى اخبار الناس واحاديثهم. ان الامثال الشعبية والفنون الشعبية هي لاسامية ، صحيح ان الشعب في اي مكان هو طفل يمكن تثقيفه ، انما مهما كانت الظروف حسنة فتثقيف الشعب حمل طويل وشاق ومن الافضل لنا ان نجد طرقا اخرى لمساعدة انفسنا . ان تحقيق الاندماج في المجتمعات التي نعيش فيها لا يكون باتباع زي الملابس والعادات والتقاليد ولغة التحدث فقط ، انما هو ايضا بالتشابه بالطباع

والتصرفات ـ وهذا يتم بواسطة الاختلاط والزواج . وهـذا القبـول بالزواج يجب ان يأتي بقبول الاغلبية له وليس باصدار مرسوم تشريعي .

لقد وضع الليبراليون الهنغاريون انفسهم في موضع خاطىء كليـا باصدارهم قانونا يسمح بالزواج المختلط . ولقد ظهـرت تعقدات هـذا القانون بعد صدوره بوقت قليل وذلك عندمـا تزوج يهودي معمّد مـن يهودية ، فقد ادت متطلبات هذا الزواج الى تأزم في العلاقات بين اليهود والمسيحيين في هنغاريه اعاق اختلاطهم بدلا من ان يقرّبها .

لا توجد الا طريقة واحدة لأولئك الذين يرغبون في ان يروا اليهـود قد اختفوا بواسطة التزاوج . على اليهود ان يرتفعـوا اولا في مستواهم الاقتصادي وذلك حتى يستطيعوا التغلب على التعصب الاجتماعي القديم ضدهم . يمكن ان يتم هذا بالطريقة ذاتها التي استعملها الارستقراطيون الذين كانت لديهم اعلى نسبة في الزيجات المختلطة . لقد ارادت طبقـة النبلاء القديمة ان تعيد لنفسها العز بنقود اليهود وبهذه الطريقة انصهر اليهود فيهم .

لكن ما هو الشكل الذي سيتخذه هذا الانصهار في الطبقات الوسطى، طبقة البورجوازية ، مركز المشكلة اليهودية ؟

ان الاهتمام بالنمو الاقتصادي قد يرفض على اعتبار انه يؤدي الى تحكم اقتصادي ، تلك الصفة التي يتهم بهـا اليهود . واذا كانت القـوة اليهودية التي يمتلكها اليهود تثير غضب اللاساميين فان الغضب سيكون اسوأ اذا زادت هذه القوة ، لا يمكن ابـدا السير في الخطوة الاولى نحـو الذوبان لانها تعني خضوع الاكثرية الى اقلية كانت الى وقت قريب محتقرة لا تملك القوة العسكرية او الادارية ، لذلـك فانا إرى انصهار اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها عن طريق تراثهم امر صعب جـدا . يدعم رأيي هذا الاحداث التي وقعت في البلاد المناوئة للسامية . اما في البلاد الاخـرى التي يشعر بها اليهود بأمان فانهم سيعارضون رأيي بشدة . سوف لا يصدقوني الى ان ينزل بهم الاضطهاد . فكلما كان هدوء الحركة المناوئة للسامية اطول كلما ازدادت عنفا عند قيامها . ان اجتماع ظاهـرة هجرة اليهود الى ارض بسبب استقرارها الظاهر وارتفاع مستوى المعيشة عند اليهود المواطنين فيها ، ان اجتماع هاتين الظاهرتين لا بد وان يؤدي الى ثورة . ولمـا كنت قد توصلت الى هـذا الاستنتاج دونما الاهتمـام بشيء غير الحقيقة فقد يعترض عليه ويرفضه اليهود الذين يسكنون في

ظروف مريحة . وطالما ان اهتمامهم يتعلق بأمور شخصية ، اذن نستطيع تجاهلهم لان اهتمامنا بالفقير والمضطهد هو الاهم . انما منذ البداية اود توضيح ما قد ينجم من الآراء الخاطئة : مثلا الخوف ، فيما اذا تحققت الخطة الحالية من ضياع الممتلكات والمصالح التي يمتلكها اليهود الآن . لذا سأتحدث عن كل ما يتعلق بحقوق الملكية . اما اذا بقيت خطتي حبرا على ورق فكل شيء سيبقى على ما هو .

سيكون هناك اعتراض آخر اهم ؛ وهو انني اساعد المناوئين للسامية بقولي أننا شعب ــ شعب **واحد** . او بأنني اعيق اندماج اليهود في الامكنة التي هناك امل بتحقيقه فيها ، وانني اعرّض هذا الاندماج الى الخطر حيث هو الآن حقيقة قائمة ، هذا اذا كان بامكان كاتب واحد ان يعيق امرا او يؤذيه .

سيقوم هذه المعارضة اول ما تقوم في فرنسه . وقد تقوم ايضا في بلاد اخرى ، انما سأحاول اجابة يهود فرنسه الذين يمثلون هذا الراي ايما تمثيل .

ومهما كنت اقدر الشخصية في الافراد الاقوياء مثل رجال السياسة والمخترعين والفنانين والفلاسفة والقادة ، ومهما كنت اقدّر الشخصية الجماعية لما نسميه « امة » . مهما كنت اقدّر مثل هذه الشخصية فاني لا احزن لزوالها . فلينقرض اولئك الذين يستطيعون او يريدون ان ينقرضوا . اما القومية اليهودية المتميزة فلا يمكن ان تنقرض ، كما انه يجب الا تنقرض . انها لا يمكن ان تنقرض لان الاعداء يقوونها . وهي لا تريد ان تنقرض ، لانها برهنت على ذلك طيلة الفي العام الماضية التي تعرضت فيها الامة اليهودية لاسوأ انواع العذاب . يجب ان لا تنقرض هذه الامة لان ليس هناك مبرر لانقراضها . هذا ما تسأحاول ــ كحفيد لليهود الذين لم ييأسوا ــ ان ابرهنه في هذا الكتيّب ، قد تذبل اغصان اليهودية وتسقط جميعها ولكن الشجرة ستبقى حية . لذلك اذا اعترض احد من يهود فرنسه او اذا اعترضوا جميعهم على هذه الخطة لانهم قد اندمجوا فردي عليهم بسيط : ان الامر لا يعنيهم . هم اسرائيليون فرنسيون ؟ حسنا ! فما هذا الامر الا مسألة خاصة باليهود وحدهم .

هذا وان حركة خلق الدولة التي اخطط لها لن يؤذي الاسرائيليين الفرنسيين ولا غيرهم من اليهود « المندمجين » في بلدان اخرى ، بل على العكس سيكون في صالحهم ، لانهم لن يتعرضوا بعد ذلك الى ما يزعج

عملية « تلونهم » ـ كما يقول داروين ـ بلون المحيط الذي سيندمجون فيه بسلام ، لان حركة اللاسامية القائمة اليوم ستنتهي الى الابد . ذلك ان المجتمع سيصدق اندماجهم وذلك اذا ما فضلوا البقاء فيه حتى بعد قيام الدولة اليهودية بمؤسساتها المتفوقة .

سيكون رحيل اليهود المؤمنين بالدولة اكثر فائدة لليهود المندمجين في بلدانهم من الفائدة التي سيجنيها المواطنون المسيحيون ، لانهم بذلك سيرتاحون من منافسة البروليتارية اليهودية التي يطردها الضغط السياسي من مكان الى آخر ، اذ انها ستتمركز في وطن وتبقى فيه . ان المسيحيين الذين نسميهم لاساميين الذين يتضايقون من اليهود المهاجرين يظهرون مقاومتهم لهم علنا ، اما اليهود المندمجون فانهم لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك مع انهم يتأثرون اكثر بمنافسة هؤلاء اليهود اصحاب المهن المشابهة لمهنهم ، الذين بهجرتهم يزيدون حركة اللاسامية اذا كانت موجودة ويخلقونها اذا لم تكن من قبل موجودة . ان هذا التضايق المكبوت عند اليهود المندمجين يظهر بشكل اعمال خيرية . فهم ينظمون جمعيات هجرة لليهود القادمين . لقد تأسست بعض هذه الجمعيات ضد اليهود المضطهدين وليس من اجلهم فكان لسان خالهم : تخلصوا من المعوزين بأسرع ما يمكن . وهكذا فان كثيرين ممن يتظاهرون بصداقتهم لليهود هم في الحقيقة لاساميون يتخفون بملابس محسنين .

كانت محاولات الاستعمار التي قام بها رجال ذوو نوايا طيبة ، كانت جميعها فاشلة مع انها كانت محاولات مهمة . لا اظن ان ايا منهم قام بالامر على سبيل التسلية فبعثوا الرجال في رحلات لمجرد المغامرة والمتعة . لقد كانت المشكلة آلم واخطر من ان يتلهى بها . على ان تلك الافكار والتجارب القت بعض الضوء على فكرة تأسيس دولة يهودية . وكانت مفيدة ايضا ، لانها تجعلنا نستفيد من اخطائهم في تنفيذ مشاريع ضخمة . على ان محاولاتهم سببت بعض الاذى منها وان لم يكن اهمها انها كانت تؤدي الى نشر الفكرة اللاسامية ، كنتيجة لمحاولات اللاشرعية لاسكان اليهود . انما اسوأ نتيجة هي انها غرست في اليهود فكرة الشك في قوتهم البشرية . لكني اقول لهؤلاء المشككين : ان الشيء الذي يبدو غير عملي او مستحيلا على نطاق ضيق ليس بالضرورة ان يكون كذلك على نطاق واسع . فقد يخسر مصنع صغير في الظروف ذاتها التي تجعل المصنع الكبير يربح . كذلك لا يمكن استخدام الجدول للمواصلات المائية ، انه لا يصلح حتى للقوارب بينهما النهر الذي يصب به هذا الجدول ،

يستطيع حمل السفن الضخمة .

ليس هناك انسان غني او قوي لدرجة يستطيع معها ان ينقل الناس من موطن سكن الى آخر (٤) ان ذلك لا يمكن الا بالتصميم على فكرة الدولة. كان هذا حلم اليهود طيلة ليالي تاريخهم الطويل ، كان شعارنا عبر العصور الطويلة هو « العام القادم في القدس » . ومهمتنا الآن هي اظهار هذا الحلم الى حيز الوجود كفكرة واضحة براقة .

ان اول ما يجب ان نعمله لتحقيق هذا هو تنقية عقولنا من كثير من الآراء القديمة البالية والنظرات المحدودة الافق . يظن البعض من البسطاء قليلي التفكير بان هذا الخروج سيكون تركا للحضارة والسكن في الصحراء . ان الامر ليس هكذا، اذ ان كل شيء سيتم ضمن اطار الحضارة.

لن نعود الى مرحلة متأخرة انما سنرتفع الى مرحلة اعلى . لن نسكن في بيوت من الطين بل سنبني بيوتا جميلة وحديثة وسنمتلكها بامان . لن نفقد ما نملك انما سنحافظ عليه . فنحن وان تخلينا عن حقوقنا التي اكتسبناها بحق فانما نفعل ذلك من اجل الحصول على حقوق افضل . سوف لا نتخلى عن عاداتنا انما سنجددها ثانية . لن نغادر بيوتنا الا بعد ان نؤمن لانفسنا بيوتا جديدة . لن يغادر الا اولئك الذين ستتحسن اوضاعهم بالهجرة . سيذهب اولا اولئك الذين هم في حالة يأس ومن ثم يتبعهم الفقراء وبعدهم يذهب الاغنياء ومن ثم المتمولون الكبار . ان الذين يذهبون اولا سيرفعون انفسهم الى مرتبة توازي مرتبة الذين سيلحقون بهم من الاغنياء ، لذلك فالخروج سيكون طريقة للرقي الطبقي .

ان هجرة اليهود هذه لن تؤثر على اقتصاد البلاد التي سيتركونها ، كما انها لن تقود الى ازمة او اضطهاد ، بل سيكون هناك هجرات داخلية بين المسيحيين كي يحلوا محل اليهود الذين يتركون . سيتم الخروج تدريجيا دون اي تعكير ، وبهذا الخروج ستكون نهاية الفكرة اللاسامية .

---

٤ ـ الاشارة هنا الى جهود البارون موريس دي هيرش ١٨٣١ ـ ١٨٩٦ وهو رجل المال الذي بنى الطريق الحديدية . وكان قد اسس الجمعية اليهودية للاستعمار (وكانت معروفة باختصار باسم (ICA) وهو اختصار لاسمها في اللغة اليديش) . في ١٨٩١ تبرع للجمعية هذه بمبلغ كبير لاسكان المهاجرين اليهود من اوروبه الشرقية في الاميركتين الشمالية والجنوبية كان اهم عمل لها في الارجنتين حيث تم شراء قطع كبيرة من الاراضي الزراعية لتوطين اليهود .

سيترك اليهود البلاد اصدقاء مكرمين . وعندما يعودون لزيارة البلاد التي تركوها فسوف يستقبلهم اهلها بحفاوة توازي استقبالهم للزوار الاجانب، يجب ان لا يكون خروج اليهود بشكل هروب ، انما يجب ان يتم بمراقبة الراي العام ، هذا ويجب ان تتم الهجرة وفقا لقانون وبمعاونة صادقة من الحكومات المعنية التي ستستفيد من هذه الهجرة استفادة كبيرة .

ان تنفيذ الفكرة تنفيذا جديا وحازما يحتاج الى هيئة رسمية تأخذ على عاتقها مهمة هذا التنفيذ من خلال منظمتين مهمتين : هما منظمة « اخلاقية » واخرى « شرعية » وانا هنا اود ان اوضح الفرق بين هذين المفهومين اللذين لا يميز الفرق بينهما كثيرون . فالهيئة او المنظمة الخلقية هي القسم الذي يعنى بكل شيء ما عدا حقوق الملكية ولهذه المهمة اقترح « المجتمع اليهودي » ، واما الهيئة الشرعية التي تهتم بالشؤون الاقتصادية فيجب ان تكون بتأسيس « شركة يهودية » تعمل جنبا الى جنب مع الهيئة الاولى .

لا يمكن لاي انسان ان يدّعي القدرة على تحقيق هذا العمل وحده الا اذا كان نصابا او مجنونا . ان امانة الهيئة الخلقية ستظهر في اخلاق افرادها واما امانة الهيئة الشرعية فستظهر في كمية رأسمالها .

ان هدفي من تقديم هذه الملاحظات هو الرد المباشر على الاعتراضات التي ستظهر حتما بسبب استعمال كلمتي « الدولة اليهودية » . من هنا وصاعدا سأعرض الافكار هذه بتوسع اكثر وان كان هذا سيؤدي الى معارضة اكبر ، محاولا السلاسة في التعبير وتجنب الاسلوب الممل ، لان الوضوح والاقتصار على ما هو مهم هو غايتي . اذا اردت اقامة بيت حديث امام مكان قديم يتوجب اولا ان اهدم ذلك البيت القديم ، لذا فانا سأتبع هذا النهج المنطقي . سأوضح آرائي وامحو المفاهيم القديمة البالية ثم اقدّم الافتراضات السياسية ـ الاقتصادية ومن ثم اسير الى عرض الخطة.

سأشرح كيفية تنفيذ الخطة في الفصل الخاص المنقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية . اما هذه الاقسام الثلاثة فهي : الشركة اليهودية ، والجماعات المحلية ، والمجتمع اليهودي . يجب ان يخلق المجتمع اولا والشركة اخيرا ، الا انه من الافضل في هذا العرض ان يعكس الترتيب ، لان الناحية المادية في هذا المشروع تأخذ المكان الاول ويجب ازالة اي شك قد يحوم حولها .

سأحاول في النهاية ان اعالج اي اعتراض يبرز ، وآمل ان يتابعني

قرائي اليهود بصبر حتى النهاية لانه قد تتخذ اعتراضات البعض ترتيبا غير الذي اخترته انا . هذا وارجو ممن يجد عندي ردا منطقيا على اعتراضاته ان يهب نفسه للقضية .

وانا هنا اذ اتكلم وفقا للمنطق اعرف ان المنطق وحده لا يكفي . فالمسجونون مدة طويلة لا يتركون زنزاناتهم برضى تام . يجب ان نرى ما اذا كان شبابنا ناضجين ، فالشباب يستطيعون ، بدون كبير جهد ان يجرفوا معهم الكبار في السن ويحملونهم بسواعد قوية ويحولون المنطق عندهم الى حماس .

الفصل الثاني ـ المسالة اليهودية

لا يمكن لأحد ان ينكر ما توصلت اليه حالة اليهود . انهم مضطهدون في كل مكان يكون فيه منهم عدد وان كانت درجات الاضطهاد متفاوتة . ان مساواتهم التي صدرت بها قوانين اصبحت معدومة . انهم ممنوعون من الدخول في الجيش او المؤسسات العامة او الخاصة ، وهناك محاولات لاقصائهم ايضا عن الاعمال التجارية . « لا تشتري من اليهود » .

تزداد مهاجمة اليهود يوما بعد يوم في البرلمانات والجمعيات العامة وفي الصحافة وفي اماكن الصلاة وفي الشوارع والرحلات . مثلا لا يسمح لليهود في بلدان ان ينزلوا في بعض الفنادق ، ولا ان يدخلوا اماكن اللهو . هذا ويختلف الاضطهاد بين بلد وبلد بحسب المستوى الاجتماعي. فهناك ضريبة خاصة في روسيه تفرض على القرى اليهودية بينما في رومانيه يحكم على بعض اليهود بالموت ، وفي المانيه كثيرا ما يتعرضون للضرب المبرح . وفي النمسه يمارس اللاساميون ضروبا من الارهاب في مرافق الحياة المختلفة . اما في الجزائر فهناك فتن يقوم بها مثيرون متجولون . واما في باريس فاليهود محرومون من الاشتراك في نشاطات الطبقة الاجتماعية العالية وضروب حياتها ، لا يسمح لهم ان يدخلوا النوادي. ان الطرق التي تظهر فيها العداء للسامية لا تحصى ولكن ليس المجال هنا مجال تعداد متاعب اليهود ولن نتوقف عند اي من هذه المعاملات السيئة مهما كانت مؤلمة .

انا لا اهدف الى اثارة الشفقة علينا لان هذا ليس من صالحنا ولا يؤدي الا الى حط سمعتنا ، بل ساكتفي بأن اوجه لليهود الاسئلة التالية : اليس واضحا انه في البلدان التي يكثر فيها عدد اليهود من المحامين

والاطباء والفنيين والمعلمين وغيرهم من اصحاب المهن ، تكون حالة اليهود فيها صعبة جدا. أليس من الواضح ان حالة اليهود المنتمين للطبقة الوسطى اصبحت في خطر تام . أليس صحيحا ان غضبات الرعاع موجهة ضد الاغنياء من اليهود ! أليس صحيحا ان فقراءنا يقاسون اكثر من اي طبقة بروليتارية في العالم ؟ اظن ان هذا الضغط موجود في كل مكان . فهو يسبب عدم راحة في طبقات مجتمعنا الاقتصادية العالية ويأسا كليا في طبقاتنا الوسطى .

فحقيقة كل امر تعود الى نتيجة واحدة تتمثل في صيحة برلين الكلاسيكية : « اطردوا اليهود ! «Juden 'raus» » .

سأحاول طرح السؤال بأسهل طريقة ممكنة : الا يتوجب ان نخرج من هذا باسرع وقت ممكن ، وان كان باستطاعتنا ذلك فالى اين ؟. او نبقى على ما نحن عليه ، وان بقينا فالى متى ؟

دعونا نفكر اولا بامكانية البقاء . هل نستطيع ان نأمل بأيام احسن في المستقبل وهل سنستطيع ان نصبر ، ونتحلى بالتقوى منتظرين ان يتحول امراء وشعوب العالم نحونا بالعطف ؟ اقول باننا لا نستطيع ان نأمل في ان يتحول التيار ؟ لما لا ؟ لاننا حتى اذا كنا قريبين لقلوب الامراء كباقي رعيتهم فانهم لن يستطيعوا ان يحمونا دائما ، سيسببون لنا كرها اكثر اذا قدموا لنا عطفا زائدا . وهذا « العطف الزائد » يظل اقل من الحق الشرعي المعطى لاي مواطن من الاقليات . كل الامم التي يعيش بينها اليهود هي لاسامية اما في الخفاء او بالحقيقة الجلية .

لم تتمكن العامة ، كما انها لم تكن لتتمكن من فهم التاريخ. فهم لا يعرفون بأن خطايا العصور الوسطى تنزل الآن بأمم اوروبه . نحن نتاج حياة الحارات اليهودية . ومما لا شك فيه اننا قد حققنا مستوانا المالي الرفيع لان ظروف العصور الوسطى دفعتنا الى ذلك . والآن يتكرر الشيء نفسه فنحن الآن مدفعون كي نعمل بتسليف اموالنا ـ بما يسمى الآن بالبورصة ـ وذلك بسبب عدم السماح لنا بممارسة مهن اخرى . لكن حتى في بيع الاسهم نحن محتقرون ايضا . وفي الوقت ذاته نواصل انتاج طبقة من المفكرين المتوسطين الذين لا مجال لهم للتعبير عن ذواتهم وهذا الشيء يعرضنا ، كما تعرضنا ثروتنا ومركزنا الاجتماعي، للخطر المتزايد. يتحول اليهود المثقفون الذين لا يملكون مالا الآن الى اشتراكيين بسرعة . لذا فانه من المؤكد باننا سنتعرض كثيرا للصراع بين الطبقات لاننا في

موقف يتجاذبه كل من المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي .

محاولات حل قديمة

لقد كانت المحاولات السطحية لاصلاح حالة اليهود ، حتى الآن فاشلة فهي اما صغيرة، مثل محاولات الاستعمار ، او من الاساس خطأ كفكرة مثل فكرة تحويل اليهود الى فلاحين في البلدان التي يعيشون فيها الآن .

ماذا يحدث اذا هاجر بضعة آلاف من اليهود الى بلد آخر ؟ اما ان تسوء ظروفهم اكثر او تتحسن الى درجة تبدأ معها الحركة اللاسامية في الانتشار ، ولقد سبق وتكلمنا عن محاولات ارسال اليهود الفقراء الى مناطق جديدة . ان مثل هذه المحاولة ناقصة غير ذات فائدة ، بل قد تكون ضارة، لانها تعمل على تأجيل الحل ، ان لم نقل انها تعمل على منعه .

اما اولئك الذين يريدون تحويل اليهود الى فلاحين فهم يقعون في خطأ جسيم لان الفلاح هو من صنع الماضي كما نلاحظ من ملبسه ، الذي هو في بعض البلاد من طراز العصور الماضية ، وكما نلاحظ من ادواته التي هي تماما كتلك التي استعملها اسلافه ، ولم يتغير حتى محراثه ، فهو يزرع حبوبه بطريقة قديمة ويحصد بالمنجل ويذري القمح بأدوات بدائية، ونعرف الآن بأن كل هذه الاشياء يمكن عملها بالآلات . فالمسألة الزراعية تتعلق بالآلات . ستتغلب اميركه على اوروبه بالطريقة ذاتها التي تتغلب بها الاقطاعيات الكبيرة على الممتلكات الصغيرة . ان الفلاح بالنتيجة في طريقه الى الانقراض . وحيث يوجد فلاحون فهم هناك بسبب بعض المصالح السياسية التي تأمل في كسب مساندتهم . ان خلق فلاح حديث على غرار الفلاح القديم هو امر غريب ومستحيل . ليس هناك انسان واحد مهما كانت قوته او ثروته يقدر ان يرجع الحضارة خطوة الى الخلف. ومحاولة الحفاظ على الانظمة القديمة هي عمل صعب يستطيع ان ستنفذ حتى طاقات دولة استبدادية .

اذن فهل سيقترح احد على اليهود الذين يعرفون ما هم مقدمون عليه ، بأن يتحولوا الى فلاحين من الطراز القديم ؟ سيكون هذا العمل كأن تقول لليهودي : « هاك قوسا ونشابا واذهب الى الحرب ! » ماذا ؟ انحارب بالقوس بينما يملك غيرنا الاسلحة الصغيرة والمدافع ؟ سوف يكون اليهود على حق ان هم لم يتحركوا من اماكنهم عندما يحاول الناس وضعهم في

المزارع. القوس قطعة حربية جميلة تثير بي شعورا وجدانيا عندما يكون لدي الوقت لذلك انما مكانها المناسب هو المتحف .

هناك مناطق يمكن لليهود اليائسين الذهاب اليها حيث سيزرعون ارضها . مع العلم ان تلك المناطق ، مثل المناطق الموجودة في هيس بالمانيه وبعض المقاطعات في روسيه ـ هي مركز الحركة اللاسامية .

نسي فاعلو الخير الذين يريدون ارسال اليهود الى المحراث ، نسوا شخصا مهما . ذلك الشخص هو الفلاح الذي هو على اعصابه دائما . هناك امور تجعله بواجه حياة صعبة مثل الضرائب التي يجب دفعها والاخطار التي تتعلق بالمحاصيل والضغط الذي يفرضه رجال الاعمال الكبار الذين ينتجون باسعار رخيصة ، والمنافسة الاميركية . والى جانب هذا كله فان الضرائب المفروضة سوف لا تستمر في الزيادة الى ما لا نهاية لان العامل الذي يشتغل في المصانع لا يستطيع ان يموت جوعا لان تأثيره السياسي في صعود ، لذا يتوجب معاملته باحترام .

هذه الصعوبات كلها معروفة جدا لذا سوف لا ابحثها بالتفصيل . انما اود ان الفت الانتباه بوضوح الى مدى المحاولات القديمة غير المجدية ـ الكثير منها كان عن نية طيبة ـ لحل المسألة اليهودية . لن ينفعنا تحويل المجرى او الضغط المصطنع على مستوى البروليتارية اليهودية الفكرية. هذا وقد ناقشنا عدم جدوى فكرة الحل بالاندماج .

لا نستطيع التغلب على الحركة اللاسامية . التخلص منها لا يكون الا بالتخلص من اسبابها . لكن هل هذه الاسباب قابلة للمحو ؟

اسباب الحركة اللاسامية

سوف لا نناقش الآن الاسباب غير العقلانية والناشئة عن العقليات الضيقة ، انما سنناقش الاسباب السياسية والاقتصادية . يجب ان لا نخلط بين الحركة الحديثة اللاسامية وبين اضطهاد اليهود في الاوقات السابقة مع ان هذه الاضطهادات الحديثة لها بعض النواحي الدينية في بعض البلدان. يختلف الكره اليهودي في هذا العصر ، ذلك ان كره السامية ناجم في اماكن معينة عن حركة تحرير اليهود . عندما استفاقت الامم المتحضرة على التفريق العنصري وحررتنا كانت خطوتهم هذه متأخرة جدا. لان المراسيم التشريعية وحدها لم تحررنا مما كنا قد

توصلنا اليه من مشاعر ذلك اننا تحولنا في حارات الجيتو الى طبقة بورجوازية مرموقة لذلك اصبحنا اعداء لدودين للطبقة الوسطى . وهكذا وجدنا انفسنا مدفوعين للتحرر ضمن اطار بورجوازي نتيجة لضغطين : داخلي وخارجي . ولن يتردد البورجوازيون المسيحيون في ان يلقوا بنا للاشتراكية كعرض للسلام ، مع انهم لن ينتفعوا من عملهم هذا .

لا يمكن في الوقت ذاته سحب الحقوق التي اعطيت لليهود امام القانون بعد ان اعطيت لهم . ولا يعود السبب في عدم الاقدام على مثل هذه الخطوة الى انها منافية لروح العصر ، انما لانها ستدفع اليهود ، الاغنياء منهم والفقراء ، لان يتحولوا الى الاحزاب الثورية. لن يصيبنا بعد اليوم اذى خطير . كانت مثلا مجوهراتنا تؤخذ منا في الايام القديمة لكن كيف يمكن اخذ ممتلكاتنا الآن ، وممتلكاتنا هذه هي اوراق مطبوعة مخبأة في مكان ما في هذا العالم ، ربما في صناديق المسيحيين القومية. بالطبع يستطيعون ان يحصلوا على اسهمنا في الخطوط الحديدية وفي المشاريع الصناعية وفي البنوك عن طريق اخذ الضرائب على هذه الاشياء كلها . واذا فرضت الضرائب التصاعدية على املاكنا المنقولة فستتناقص هذه الممتلكات بالنتيجة . انما كل هذه الجهود لا يمكن ان تفرض على اليهود وحدهم واذا تحققت فانها ستسبب ازمات اقتصادية مباشرة ولن يكون اليهود هم اول المتأثرين لذلك فان مجرد فكرة بان الانقضاض على اليهود هو شيء مستحيل يغذي الكره ويزيده ضدهم . ان كره الامم للسامية يزداد يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ، وليس غريبا ان يزداد هذا الكره لان اسباب نموه ما زالت مستمرة ولا يمكن القضاء عليها . وسببها البعيد هو عدم اندماجنا في العصور الوسطى . واما سببها المباشر فهو انتاجنا لمفكرين ذوي مقدرة متوسطة لا يستطيعون التقدم الى الامام او الى الخلف حتى ولا الى اي اتجاه . فعندما نسقط نصبح بروليتارية ثورية . نقود كل حزب ثوري ، وعندما نصعد ، تصعد معنا قوتنا المالية المخيفة .

نتائج اللاسامية

ان الضغط علينا لا يعمل على تحسيننا لاننا لا نختلف عن بقية الناس فنحن لا نحب اعداءنا ، ومن من البشر يستطيع ان ينتقدنا في هذا . ان الظلم يولد عداوة تجاه الظالم وبالتالي عداوتنا تزيد الضغط علينا ومن المستحيل الهرب من هذه الحلقة المفرغة .

يقول بعض من هم من ذوي القلوب الرقيقة « كلا » ! فهذا شيء « ليس بمستحيل ! ليس بمستحيل بسبب كمال الانسان » .

فهل من الضروري بان ابيّن ان هذا ناجم عن عاطفة عنيفة ؟ فالذي يعتمد على العنصر الطيب في الانسان لاصلاح الامور هو كمن يكتب عن مدينة فاضلة خيالية .

تكلمت في السابق عن « اندماجنا » ولا اريد بان يفهم ان رغبتي هي الوصول الى هذه النهاية . فصفاتنا القومية كانت عظيمة عبر التاريخ . ورغم كل ما اصابنا من انحطاط ، تبقى نبيلة جدا لدرجة لا نرغب معها في ان تختفي هذه الصفات . قد ننجح في الاندماج مع الناس المحيطين بنا اذا تركونا نعيش لمدة جيلين . لكنهم لا يتركوننا . فبعد فترة من التسامح ترى عداوتهم بدأت من جديد . ومما يزعج العالم جدا هو ان يرانا في تقدم لانه اعتاد على ان يرانا فقراء دائما . وهكذا اما عن جهل او عن سوء نية فشلوا في ان يروا ان التقدم يضعفنا كيهود ويخفي كل فوارقنا . والشيء الذي يرجعنا الى خاصتنا هو الضغط علينا والعداوة وحدها هي التي تسمنا بسمة الاختلاف .

نحن اذن نعيش ، وسنبقى ، سواء رضينا ام ابينا جماعة متعاضدة ومميزة . نحن شعب واحد ، هكذا عملنا اعداؤنا سواء رغبنا في ذلك ام لم نرغب . كما حدث في التاريخ مرات عديدة . تربطنا مصيبتنا معا وتوحدنا ، وكنتيجة لذلك نكتشف قوتنا فجأة . بلى نحن اقوياء لدرجة اننا نستطيع تكوين دولة نموذجية .

هنا يحسن ان نبيّن سبب تسميتنا « مادة انسانية » . انما يجب اولا ان نضع الخطوط العريضة للخطة التي يعتمد عليها كل شيء .

الخطة

الخطة بمجملها سهلة جدا اذ يجب ان تكون هكذا اذا اردنا تنفيذها .

امنحونا السلطة فوق قطعة من الارض في هذا العالم تكفي حاجاتنا القومية المشروعة ونحن سنعمل ما تبقى .

ان خلق دولة جديدة ليس بسخيف او بصعب . الم نر تكوين دول في عصرنا هذا علما انها ليست من الطبقات المتوسطة انها اكثر منا فقرا واقل ثقافة واكثر ضعفا ؟ هذا وان الدول التي قامت من الحركة

اللاسامية ستهتم كثيرا بمساعدتنا على الحصول على هذه السيادة السياسية .

الخطة سهلة في تصميمها لكنها صعبةالتنفيذ ، وستنفذها وكالتان: الجمعية اليهودية والشركة اليهودية .

ستنفذ الشركة اليهودية الخطة العلمية والمخططات السياسية التي ستقوم بها الجمعية اليهودية .

سيكون عمل الشركة اليهودية تصفية الاعمال التجارية لليهود المغادرين والعمل على تنظيم التجارة والاعمال المتعلقة بها فيالبلد الجديد.

يجب ان لا نتصور خروج اليهود كشيء مفاجيء ، انما سيكون تدريجيا يستمر لمدة عدة عقود . سيذهب اولا الاكثر فقرا لزراعةالارض. وسيبنون الطرق والجسور والسكك الحديدية والخطوط اللاسلكية وسيعملون على تنظيم مياه الانهار ويهيئون لانفسهم بيوتا ، كل ذلك وفقا لخطط مدروسة . ان اعمالهم ستؤدي الى تجارة والتجارة تؤدي الى اسواق والاسواق تجذب مستوطنين جددا ــ لان كل شخص سيذهب طوعا على نفقته وعلى مسؤوليته . سيعطي العمل المستثمر في الارض نتيجة ، وسيكتشف اليهود بسرعة ان آفاقا جديدة ودائمة قد فتحتامام طموحهم الذي حتى ذلك الوقت كان يلحق بهم الكره والذل .

لا يتم تأسيس دولة الآن بالاسلوب ذاته الذي كان يستعمل قبل الف سنة . فمن الغباوة العودة بمستوى الحضارة الى الوراء كما يقترح الكثير من الصهيونيين ، فلنفترض على سبيل المثال باننا اجبرنا ان نخلي بلدا ما من الوحوش . يجب علينا ان لا نقوم بهذا العمل وفقا لاسلوب الاوروبيين في القرن الخامس. كأن نأخذ الرمح ونذهبكلعلى حدةللبحث عن الدببة ، يجب علينا تأليف حملة صيد كبيرة ومن ثم نجمع الحيوانات كلها معا ونلقي في وسطها القنابل المميتة .

واذا اردنا ان نبني مباني يجب ان لا نقوم بنصب بعض الاكوام غير المتينة كتلك التي تقام على شواطىء البحيرات انما يتوجب علينا ان نبني كما يبني الناس الآن ، يجب ان نبني بطريقة اقوى واضمن من اي طريقة استعملت حتى الآن لاننا نملك الوسائل التي لم تكن معروضة من قبل .

سيتبع المهاجرين الفقراء الاوائل هؤلاء الذين هم اعلى منهم درجة وهكذا يذهب اولا هؤلاء الذين هم اسوأ حالا ، وبالتدريج الى ان يتبع

المفكرون المتوسطون الذين ننتجهم بكثرة والذين هم المضطهدون في كل مكان.

ليكن هذا الكتيّب فاتحة مناقشة عامة حول مسألة الهجرة اليهودية. هذا لا يعني انه يجب اجراء تصويت حول هذا الامر . فمثل هذا العمل سيقضي على القضية من اساسها . فمن يرغب في ان يبقى فليبق اذ ان معارضة قلة من الافراد لا قيمة لها .

من يريد الذهاب معنا فلينضم الى رايتنا وليقاتل بالكلام والقلم والعمل من اجل القضية .

يتكتل اليهود الذين يوافقون على فكرة انشاء دولة الجمعية اليهودية وهذا يعطيها القوة في اعين الحكومات لتنوب عن شعبنا . تمثل هذه الجمعية القوة الخالقة للدولة ، في نظر القانون الدولي . وهذا يعني خلق الدولة .

ومتى اظهرت القوى الدولية رغبة في منحنا السلطة فوق قطعة ارض محايدة تدخل الجمعية اليهودية في مناقشات لاستملاك قطعة الارض . هنا يتبادر الى الذهن منطقتان : فلسطين والارجنتين ، وقد اجريت تجارب لاستعمار كل من هاتين المنطقتين ولكن وفقا لمبادىء مغلوطة . لانها كانت مبنية على فكرة التسلل لانه لا بد ان يأتي الوقت الذي تبدأ به الحكومات المعنية ، تحت ضغط المواطنين الاصليين ـ والذين يشعرون بانهم مهددون ـ بوضع حد لتسلل اليهود . اذن فالهجرة لا فائدة منها الا اذا كانت ضمن السلطة المعطاة لنا .

ستعمل الجمعية مع السلطات الموجودة في تلك الارض وتحت اشراف القوى الاوروبية ، اذا وافقوا على الخطة . وستستفيد هذه السلطات بالمقابل سندفع قسطا من دينها العام ونتبنى اقامة مشاريع نحتاجها نحن ايضا . كما ستعمل اشياء اخرى كثيرة . ستكون فكرة خلق دولة يهودية مفيدة للاراضي المجاورة لان استثمار قطعة ارض ضيقة يرفع من قيمة المناطق المحاورة .

فلسطين او الارجنتين

ايهما افضل فلسطين او الارجنتين ؟ ستأخذ الجمعية اليهودية ما يعطى لها وما يفضله الرأي العام اليهودي . ستقرر الجمعية كلا من هذين الامرين .

ان الارجنتين هي من اخصب بلاد العالم وتمتد فوق مساحات شاسعة سكانها غير كثيفين كما ان مناخها معتدل . وسيكون من مصلحة جمهورية الارجنتين ان تقبلنا في اراضيها . لقد سبب تسلل اليهود الى الارجنتين بعض الاستياء لذلك ، فمن الضروري تنوير الحكومة عن اختلاف نوعية الهجرة الجديدة لليهود .

فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يمكننا نسيانه . ومجرد الاسم هو صرخة جامعة عظيمة . لو يعطينا جلالة السلطان فلسطين لكنا نأخذ على عاتقنا ادارة مالية تركيه كاملة مقابل ذلك .

ونقيم هناك جزءا من حائط لحماية اوروبه في آسيه يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية . ويتوجب علينا كدولة محايدة ان نبقى على اتصال مع اوروبه التي ستضمن وجودنا بالمقابل .

ويمكن وضع الاماكن المسيحية المقدسة تحت اشراف لجنة دولية وسنؤلف حرس شرف لهذه المناطق المقدسة مقابل وجودنا هناك. ستكون حراسة الشرف هذه رمزا عظيما لحل المسألة اليهودية بعد اضطهادنا لمدة ثمانية عشر قرنا .

خاتمة

ماذا بقي للمناقشة قد يكون في كتيبي هذا نقائص وقد يكون فيه افكار سطحية واعادات لا فائدة منها مع اني راجعتها ودققت فيها مرارا من قبل !

انما القارىء الذي لديه العقل الواسع والفهم الكافي سيستوعب معنى كلامي وسوف لا تضيره اخطائي . بل ستثور حميته كي يقوم افكاره ونشاطه لهذا المشروع الذي لا يستطيع تنفيذه شخص بمفرده . قد يقال اني تعرضت لبعض الامور الواضحة واهملت بعض الاعتراضات المهمة.

لقد حاولت مجابهة بعض الاعتراضات ، لكني اعرف ان هناك اعتراضات ذات مستويات مختلفة .

من الاعتراضات الوجيهة القول بان اليهود ليسوا الشعب الوحيد الذي يعيش في حالة بؤس في العالم . على هذا اقول لا بد لان نبدأ في العمل للتخلص من بعض هذا البؤس ولو كان بؤسنا نحن فقط في هذا الوقت .

وربما يقال بانه يجب ان لا نفرق بين الشعوب وان لا نقيم الحواجز بينها بل يجب ان نحاول دفنها اقول ان نظرة الذين يفكرون بهذه الطريقة هم خياليون ، وان فكرة الوطن ستظل وتزدهر حتى بعد ان ينتشر رماد عظامهم في الريح دون ان يترك لهم اثرا . ففكرة الاخوة العالمية ليست حتى حلما جميلا . ان المنافسة ضرورية لتحقيق اهداف الانسان الرفيعة.

وقد يقال انه لن يكون لليهود في دولتهم اعداء فان اليهود في رخائهم هذا سيقلون وينقص عددهم الى ان يختفوا كليا . أتصور بان اليهود كأي امة اخرى ، سيكون لهم اعداء كفاية انما سوف لن يتفرقوا ثانية بعد ان يجتمعوا في وطن . ولن يحدث شتات آخر الا اذا سقطت الحضارة . ولا يخاف الاغبياء هذا. فالعالم المتحضر لديه القوة الكافية للدفاع على نفسه.

أما الاعتراضات العادية فكثيرة لا تحصى ، تماما كوجود اناس عاديين اكثر من النبلاء في العالم . لقد حاولت تفنيد بعض اعتراضات اصحاب العقلية المحدودة ، ومن رغب في الانضمام تحت الراية البيضاء ذات النجوم السبعة يتوجب عليه ان يساعد في حملة التوعية هذه . هذا وقد تكون هذه الحملة اولا ضد اليهود اللئيمين وقصيري النظر .

ألن يقال بأنني اجهز سلاحا للسامية ؟ كيف هذا ؟ الأنني اعترف بالحقيقة ؟ الأنني لا اقول بأنه لا يوجد بيننا الا خيرة الرجال ؟

الن يقال بأنني اقترح طريقة تعود علينا بالاذى ؟ انني انكر هذا جملة، اذ لا يمكن تحقيق مخططي الا بموافقة الاغلبية . قد تتخذ الاجراءات اللازمة ضد اليهود كافراد او كجماعات . ولكن لن تقوم الحكومات باتخاذ اي اجراء ضد اليهود ككل ، لقد منح اليهود المساواة امام القانون ولا يستطيع احد ان يلغي هذا الحق ، لان اي محاولة من هذا النوع ستدفع اليهود الاغنياء منهم والفقراء ، الى صفوف الاحزاب الثورية . فقد نجم عن التمييز الرسمي ضد اليهود ازمة اقتصادية ، اذن اي عمل يقام به ضدنا سيؤثر على الجاني . ان الكره لنا ما زال يزداد . لا يشعر الاغنياء بهذا الكره كثيرا ، ولكن لنسأل الفقراء الذين زاد بؤسهم منذ بعث اللاسامية ثانية عما كان عليه من قبل .

هل سيقول اليهود الميسورون بأن الوضع ليس صعبا لدرجة تدعو الى الهجرة وبان الطرد الاجباري الذي جرى يرينا عدم رغبة شعبنا بالهجرة؟ هذا صحيح لانهم لا يعرفون الى اين ! لانهم ينتقلون من مشكلة الى اخرى،

لكنا نريهم الطريق الى ارض الميعاد . يجب ان يتغلب الحماس للهجرة الى هذه الارض على قوة العادة .

ليست الاضطهادات الآن بالضراوة نفسها التي كانت عليها في العصور الوسطى ؟ هذا صحيح انما حساسيتنا قد زادت لذا فنحن لا نشعر بان عذابنا قد قل. ان الاضطهاد المستمر قد انهك اعصابنا واضعفها.

هل سيقول الناس انها مغامرة فاشلة، لاننا حتى لو حصلنا على الارض والسلطة فالفقراء وحدهم سيذهبون ؟ لهؤلاء اقول ان هؤلاء الفقراء هم تماما من نحتاج ان يذهبوا اولا ! فالانسان اليائس هو الذي يستطيع تحقيق الفتوحات الجديدة .

وسيقولون : لو كان الامر سهل التحقيق لتم منذ زمن بعيد ؟

لم يكن الامر سهلا حتى اليوم انما هو الآن شيء معقول . فقبل مائة عام حتى قبل خمسين سنة كانت هذه الفكرة مجرد وهم . اما اليوم فهي حقيقة. ان الغني، والذي يستوعب معنى التقدم التقني، يعرف تماما مدى اهمية الدور الذي يلعبه المال ، اما الفقراء والبسطاء الذين لا فكرة لديهم عن قوة الانسان التي يمارسها على الطبيعة ، فانه سيكون لهم ايمان متين بالرسالة الجديدة لان هؤلاء لم يفقدوا ايمانهم بارض الميعاد ابدا .

ها هي الفرصة سانحة لكم ايها اليهود ! انها ليست خيالا ولا خداعا ! يستطيع كل انسان ان يقنع نفسه بهذه الحقيقة لان كل رجل سيحمل معه قسما من ارض الميعاد ـ قسما في ذهنه وآخر بين ذراعيه وقسما ثالثا في ممتلكاته المكتسبة .

قد يبدو هذا الآن وكأنه مسألة طويلة الامد ، لانه حتى في احسن الظروف قد تمر سنين قبل تحقيق هذه الدولة . وسيظل اليهود يقاسون في الف مكان من الاهانات والاحتقار والمعاملة السيئة والضرب والموت . ولكن متى بدأنا بتنفيذ الخطة ستتوقف اللاسامية في كل مكان على الفور وسيتحقق السلام . وعند تأسيس الشركة اليهودية ستنتقل الاخبار بسرعة البرق بواسطة خطوطنا التلغرافية الى كل انحاء الارض .

وهكذا يكون لنا الراحة والاطمئنان وسيجد المفكرون ـ الذين ننتجهم من الطبقة الوسطى بكثرة ـ سيجدون مكانا لهم في منظمتنا وسيعملون فنيين وضباطا واساتذة وموظفين ومحامين واطباء . وهكذا ستنمو الدولة بسرعة وسهولة .

ستقام الصلوات في المعابد من اجل نجاح هذا المشروع . وستقام الصلوات في الكنائس ايضا . انه الخلاص من عبئنا القديم الذي قاسينا جميعا من جرائه .

ولكن يجب اولا تنوير الاذهان ، يجب ان تصل هذه الافكار الى ابعد الاماكن واسوأها حالا حيث يعيش شعبنا كي يستيقظ من تأملاته المجدبة. يجب ان ندخل الى حياة كل منا معنى جديدا . اذا فكر كل انسان بنفسه فقط فسوف تصبح الحركة حركة شاملة .

يا له من مجد ينتظر المكافحين من اجل القضية غير الانانيين !

لذا فانا اعتقد ان نسلا يهوديا عظيما سينبع من الارض . سيبعث المكابيون ثانية .

دعوني اكرر كلماتي الافتتاحية : ان اليهود الذين يريدون دولة هم الذين سيحققونها .

اخيرا سنعيش احرارا على ارضنا وسنموت في وطننا بسلام . سيتحرر العالم بحريتنا ، وسيغنى بثروتنا وسيعظم بعظمتنا . ومهما نحقق هناك لفائدتنا سيعود بالخير والفائدة على كل الجنس البشري .

خطاب المؤتمر الاول

القي في بازل في ٢٩ آب (اغسطس) ١٨٩٧

اعزائي المندوبين : لقد منحت الشرف ، بصفتي احد الداعين الى هذا المؤتمر ، لان ارحب بكم جميعا . سأقوم بهذا الترحيب باختصار لانه اذا اردنا تحقيق الهدف يجب علينا ان نقتصد بلحظات المؤتمر الثمينة . لدينا الكثير لتحقيقه في ظرف ثلاثة ايام . نريد وضع اساس الصرح الذي سيسكن فيه الشعب اليهودي يوما ما. ولان عملنا عظيم يجب ان نستخدم له اصطلاحات بسيطة . ونحن نرى الآن بانه علينا ان نقدم تلخيصا لوضع المسألة اليهودية خلال ثلاثة ايام . ويقوم بتصنيف معظم المواد التي في متناول ايدينا رؤساء لجاننا .

سنستمع هنا الى تقارير عن حالة اليهود في البلاد المختلفة . وانتم تعرفون جميعا ، حتى ولو بصورة غير مكتملة ، ان الحالة لا تبشر بالخير في معظم البلاد . فلو كانت الحالة مختلفة لما كنا اجتمعنا . لقد تأخرت

وحدة مصيرنا مدة طويلة . ومع ان الشعب اليهودي في كل مكان احتمل مصاعب مشابهة ، غير انه في عصرنا هذا فقط ابتدات الجماعات المتباعدة توجد بينها تفاهما متبادلا وذلك نتيجة لتطور المواصلات . نحن نعرف اننا محاطون بكراهية قديمة جدا حتى في ايام التقدم هذه . وانتم تعرفون اللاسامية ويا للاسف الحركة التي اشتدت في هذا العصر . كان اول تأثير تركته هذه الحركة على اليهود هو الدهشة والالم والمقاومة . قد لا يعرف اعداؤنا مدى الاذى العظيم الذي سببوه للبعض منا حتى لهؤلاء الذين لم يكونوا هدفا مباشرا للهجوم . اعني مثلا هؤلاء اليهود المثقفين العصريين الذين غادروا حارات اليهود وتركوا الاعمال التجارية الصغيرة، مثل هؤلاء طعنوا في الصميم . نحن نقول هذا بهدوء متجنبين وضع انفسنا موضع الشك في اننا نريد اثارة شفقة خصومنا العاطفية . لقد واجهنا المشكلة بثبات .

منذ القدم والعالم ينشر معلومات خاطئة عنا . وكان التكتل الذي عيب علينا كثيرا وبقسوة ، كان في طريقه الى الزوال في الوقت الذي بدات فيه اللاسامية مهاجمتنا . وهكذا بدات اللاسامية في تقوية هذا الشعور بالانكماش مجددا فعدنا الى طبيعتنا ، لان الصهيونية هي عودة الى الطبيعة اليهودية قبل ان تصبح عودة الى الارض اليهودية . فنحن الابناء الذين عادوا ، نجد الكثير الذي يجب اصلاحه تحت سقف اجدادنا لان بعض اخوتنا ما زالوا يعيشون في بؤس عظيم . ونحن مكرمون في البيت القديم لان الجميع يعرفون اننا غير مدفوعين برغبة التقليل من كلمة ما يجب ان يكون مقدسا . سيوضح برنامج الصهيونية ما نعنيَ .

قدمت الصهيونية شيئا عظيما يكاد يكون مستحيلا حتى الآن : هو الاتحاد الوطيد بين العناصر اليهودية الحديثة المتطرفة والعناصر اليهودية المحافظة . وقد حصل هذا الشيء بموافقة الطرفين دونما اي تنازل من الجانبين ودون اي تضحية فكرية مما يؤكد على وحدة اليهود اذا كان هذا الشيء يحتاج الى برهان . ولا يمكن اقامة مثل هذه الوحدة الا على اساس قومي .

ومما لا شك فيه ان هناك حاجة للتكلم عن موضوع ايجاد منظمة . لان اقامة منظمة للعمل هو دليل على معقولية الحركة . انما هنالك نقطة واحدة بحاجة الى توضيح وتشديد حيوي عند ايجاد حل للمسالة اليهودية. نحن الصهيونيين نحتاج الى ايجاد مناقشة دولية وليس الى عصبة دولية.

ولا حاجة للقول بأن هذا التفريق هو اهم شيء في اعيننا ، وهو الذي يبرر اجتماعنا هنا في هذا المؤتمر . سوف لا يكون هناك اي مواربة او تلاعب او طرق غير مستقيمة او تدخل سري بين صفوفنا انما كلام جدي يراقبه الراي العام باجمعه باستمرار . واول نتيجة لحركتنا هذه يمكن رؤيتها بصورتها العامة الآن ، هي تحويل المسألة اليهودية الى مسألة صهيون .

ان حركة شعبية قوية مثل هذه لا بد ان تهاجم من نواحي عدة . لذا فعلى المؤتمر ان يهتم باستعمال الطرق الروحية لاحياء وتوجيه الوعي القومي اليهودي . يجب علينا ان نجاهد هنا ايضا ضد المفاهيم الخاطئة. ليس لدينا ادنى قصد في ان نتخلى عن الحضارة التي اكتسبناها ، بل على العكس نحن نهدف الى توسيع هذه الحضارة عن طريق زيادة المعرفة بها. وقد كان اليهود دائما نشيطين عقليا اكثر منهم جسميا .

كان هذا هو السبب الذي جعل دعاة الحركة الصهيونية السابقين ان يفكروا في تشغيل اليهود في الزراعة . سوف لا نستطيع مطلقا كما اننا لا نرغب ، في ان نتكلم عن محاولاتهم هذه لاستعمار فلسطين والارجنتين الا بالاعتراف بالجميل . الا ان هؤلاء قالوا الكلمة الاولى عن الحركة الصهيونية وليست الاخيرة . لان الحركة الصهيونية يجب ان تكون ـ اذا اردنا ايجادها ـ ذات مجال اوسع . ان لم يكن الشعب قادرا على مساعدة نفسه بجهوده الخاصة فانه شعب لا امل فيه . وهذا ما نريده نحن الصهيونيين ، نريد اثارة المساعدة الذاتية في الشعب . سوف لا نثير اية آمال غير ناضجة وضعيفة في اي اتجاه . لهذا فان الطريقة الشعبية التي خطط لها المؤتمر ضرورية .

ومن يعير المسألة اهتماما يجب ان يعترف ان الصهيونية لا تستطيع تحقيق اهدافها الا بالتفاهم الكلي مع الوحدات السياسية المعنية . ومعروف على العموم ان المصاعب في الحصول على حقوق الاستعمار لم تخلقها الصهيونية الحالية . وهذا ما يدعو الى التفكير بالاسباب التي دفعت القصاصين الى تاليف مثل هذه الروايات ، نستطيع كسب ثقة الحكومة التي نهدف الى اجراء مناقشة معها حول توطين جماهير اليهود بشكل جماعي ، نستطيع كسب ثقتها باللغة السهلة والمعاملة الصحيحة . ان المنافع التي سيقدمها الشعب برمته مقابل ما يعطى له سيجعل المناقشات مليئة بالبراهين العقلية الكافية . لا داعي ان نشغل انفسنا منذ البداية في مناقشات مطولة فيما يتعلق بالشكل القانوني الذي ستتخذه الاتفاقية. انما هناك شيء واحد يجب التمسك به ، يجب ان تصاغ الاتفاقية على

اساس الحقوق وليس على اساس التسامح . كفانا تسامحا و « حماية » قد يتوقفان في اي وقت .

لهذا فان طريقة العمل المعقولة هي ان تسعى حركتنا في الحصول على تعهدات قانونية معترف بها . لقد كانت خطط الاستعمار ، كما نفذت حتى الآن ، ناجحة ضمن حدودها . وقد اكدت صلاحية اليهود للاعمال الزراعية الامر الذي كان يشك فيه ، كما اعطت هذا التأكيد صبغة قانونية دائمة . لكن الاستعمار بصورته الحالية لم يكن الحل للمسألة اليهودية ولن يكون . كما يجب ان نعترف دون تحفظ ان هذه الفكرة فشلت في كسب عطف كثيرين . لماذا ؟ لان اليهود يعرفون كيف يحسبون ، وربما اكثر مما يجب ذلك انه لو فرضنا ان عدد يهود العالم هو تسعة ملايين ، ولو كان بامكاننا ارسال عشرة آلاف يهودي كي يستعمروا فلسطين سنويا، فهذا يعني ان المسألة اليهودية ستحل بعد تسعمائة سنة ، وهذا يبدو مستحيلا .

من جهة اخرى نعرف ان الاعتماد على عشرة آلاف مستوطن سنويا في الظروف الحالية ليس الا ضربا من الخيال . فمما لا شك فيه ان الحكومة التركية ستعيد فرض قوانين منع الهجرة راسا ولا نستطيع ان نعارض هذه الخطوة ابدا . فمن يعتقد انه باستطاعة اليهود التسلل الى ارض اجدادهم فهو يخدع نفسه كما انه يخدع الآخرين . اذ ليس هناك اي مكان يلاحظ به مجيء اليهود راسا الا في وطنهم التاريخي لانه وطنهم . كما انه ليست من مصلحتنا ان نذهب الى هناك قبل نضوج الفكرة . ان هجرة اليهود ستعطي قوة لتلك الارض الفقيرة جدا . ستبعث قوة في الامبراطورية العثمانية كلها . وعلاوة على ذلك فان صاحب الجلالة السلطان له خبرة ممتازة مع رعاياه اليهود كما انه اهتم بمصلحتهم بالمقابل . وهكذا ستقدم لنا الظروف الحالية نتائج ناجحة اذا عولجت الامور بذكاء وحنكة . سيكون للمساعدة المالية التي سيقدمها اليهود الى تركيه تأثيرها الكبير اذ انها ستساعد في التغلب على المحن الداخلية التي تقاسي منها البلاد حاليا . فاذا كان بالامكان حل مسألة الشرق الاوسط والمسألة اليهودية في آن واحد فسيكون لهذا الحل تأثير على العالم المتحضر بأسره . هذا وتحسن وضع اليهود سيساعد على تحسين وضع مسيحيي الشرق .

لكن هذه هي ليست النقطة الوحيدة التي ستعتمد عليها الصهيونية

لكسب عطف الامم . فانتم تعلمون انه في بعض البلدان اصبحت المسالة اليهودية تعني كارثة للحكومة ، ذلك انه لو وقفت الحكومة الى جانب اليهود فسوف تتعرض لغضبة الجماهير. واذا لم تقف الى جانب اليهود فسيكون لهذا التأثير السيىء على احوالها الاقتصادية لما لليهود من سلطة اقتصادية على العالم باسره . وروسيه هي مثال على الحالة الاخيرة ، واذا اتخذت الحكومة موقفا حياديا ، فسيترك اليهود دون حماية لذلك يتوجهون نحو الثوريين . لذلك فالصهيونية او مساعدة اليهود لانفسهم ، تعمل على تخليص اليهود من هذه المصاعب الكثيرة وغير الطبيعية . الصهيونية هي وسيط للسلام . وهي كسائر وسطاء السلام تعاني من كونها مضطرة للدفاع اكثر من غيرها . لكن توجيه التهمة ـ الى جانب التهم التي توجه الينا واحيانا عن اخلاص ـ بأننا لسنا وطنيين يحمل في طياته الرد عليها. لن يكون هناك اي مكان يحدث فيه خروج اليهود كلهم . هؤلاء الذين يستطيعون او الذين يرغبون في ان يندمجوا فليبقوا ويندمجوا . فعند ابرام اتفاقية مع الجهات السياسية المختلفة وعندما تبدأ هجرة اليهود بانتظام ستستمر الهجرة من ذلك البلد حسب رغبة ذلك البلد في التخلص من اليهود . اما كيف يمكن وقف التيار ؟ عندما تقل اللاسامية تدريجيا وتنقطع . هكذا نفهم المسالة اليهودية وهكذا نهدف الى حلها .

كل ما تقدم قلته انا وقاله اصدقائي مرارا . وسوف لا نوفر جهدا في ان نعيد ونكرر هذا القول الى ان يفهمنا الناس . وفي هذه المناسبة الهامة التي اتى فيها اليهود من كل حدب وصوب ملبين نداء القومية، لنكرر ايماننا القوي ثانية . الا تهزنا الحوادث العظيمة عندما نذكر بان الالوف من شعبنا تعقد الآمال على اجتماعنا هذا ؟ وفي الساعة القادمة ستطير بشرى قراراتنا وتصميمنا فوق البحار السبعة . لذا فلينبعث من هذا المؤتمر التنوير والراحة ليرى كل انسان ما هي الصهيونية على حقيقتها ، الصهيونية التي وصفت بانها معجزة آلاف السنين ـ وبأنها حركة خلقية مشروعة انسانية تهدف الى خدمة شعبنا المكافح . استطعنا في الماضي تجاهل الاقوال والكتابات الفردية بين صفوفنا . لكن الامر يختلف الآن في هذا المؤتمر وقراراته . يجب على المؤتمر من الآن وصاعدا ان يدير جميع الآراء كما يجب ان يكون حاكما عادلا . واخيرا على المؤتمر ان يؤمّن بقاءه وذلك حتى لا نتشتت ثانية دون فائدة . ومن خلال هذا المؤتمر نكون قد اسسنا وكالة يهودية لم تؤسس من قبل علما بأننا في حاجة ماسة اليها. فقضيتنا اثمن من ان تترك بين ايدي أفراد طموحين . يجب ان ترتفع

القضية الى الصعيد غير الشخصي اذا اريد لها النجاح. وسيعيش مؤتمرنا الى الابد ، وحتى بعد خلاصنا من العذاب الطويل . نحن هنا اليـوم في ارجاء هذه المدينة الحرة المضيافة فأين يا ترى سنكون في العام القادم ؟

لكن اينما كنا ومهما حققنا من مهمتنا على مؤتمرنا ان يعمل بتفكير وصدق من اجل خير التعساء وان يكون شرفا لكل اليهود ، ليكن هذا المؤتمر جديرا بماضينا الذي وان كان بعيدا هو ابدي !

ماكس نوردو (١٨٤٩ – ١٩٢٣) Max Nordau

اسمه الاصلي سمخا مير سودفيلد . كاتب وطبيب وزعيم صهيوني . مولود في بودابست ، حيث تلقى ثقافة يهودية خالصة ، اذ كان والده حاخاما يعلّم العبرية . ثم ما لبث ان خضع لتاثير الثقافة الالمانية . مارس الكتابة فصار مراسل صحيفة تصدر باللغة الالمانية من فيينه ، ١٨٧٣ . قام برحلات طيلة عامين خرج منها بكتابه « من الكرملين الى الحمراء » ، ثم رجع الى بودابست ١٨٧٥ لاكمال دراسة الطب . استقر في باريس منذ ١٨٨٠ ، حيث اخذ يمارس الطب ويراسل عددا من الصحف الصادرة باللغةالالمانية. نشر سلسلة من الكتب فصنع لنفسه اسما من خلال هجومه على المفاهيم التقليدية في الدين والاخلاق آنذاك . وجه انتقادات عقلانية الى الدين اتسمت بالحدة والعنف، وذلك في كتابه « اكاذيب مدنيتّنا التقليدية »، ١٨٨٣ . فقد حمل على الدين من خلال انتقاده للثقافة المعاصرة ، باسم العلم والفلسفة الوضعية ، مما حدا بالكنيسة الكاثوليكية الى حظر الكتاب ، وقد حذت حذوها كل من النمسه وروسيه وانجلتره . لم يتوقف عند هذا الحد ، بل شن هجومه على مجموعة من الكتّاب الذين لم يحبهم معتبرا اياهم منافقين ومنحطين ومرضى في عقولهم . وذلك في الكتب التالية : « مفارقات » « مرضى العصر » و « انحطاط » . اعتبر نفسه اوروبيا في ذروة حياته الادبية ولم يكن يرغب في الانتماء الى قومية معينة . ابتعد كثيرا عن التقليد اليهودي ولم تسلم الديانات الاخرى من انتقاداته . حاول كتابة بعض الروايات التي لاقت رواجا ، بينما اعماله المسرحية كان نصيبها الفشل .

تعرّف به هرتزل في باريس وكسب تاييده للدعوة الصهيونية ، اذ وجد لديه آذانا صاغية . فقد اصبح ، تحت تاثير هرتزل الشخصي وسيطرته ، من اول المنتمين الى الحركة الصهيونية . هناك قصة تحكي ان هرتزل جاء يستشيره بصفة كونه طبيبا نفسانيا وخوفا من ان يكون قد فقد عقله من خلال تصوراته الخيالية ووسوسته النبوية . وبعد مرور ايام من الاحاديث مدّ يده الى هرتزل : « ان كنت انت مجنونا ، فانا كذلك ايضا ! » . ولا شك ان هرتزل كان يعلّق اهمية كبرى على اكتساب نوردو لدعوته، اذ ان اعتناقه للصهيونية كان سيجعلها تظهر بمظهر تقدمي ويطبعها بطابع الاستحسان ويساعد بالتالي على كسب تاييد المثقفين اليهود الشباب امثال برنارد لازار واسرائيل زانغويل للدعوة الجديدة . وسرعان ما اصبح نوردو من الصهيونيين المتحمسين ، فهو يصف مخطوطة هرتزل عن الدولة اليهودية بـ « العمل العظيم » و « النبوءة » ، بينما هرتزل تحدثه نفسه بان نوردو يصلح لان يكون وزيرا للتربية في الدولة اليهودية الحديثة ! ثم ما لبث ان صار مساعده الايمن واقرب مستشاريه واكثرهم اخلاصا لدعوته . فقد توسل

الخطابة والبلاغة لخدمة الحركة الصهيونية . والقى الخطاب الافتتاحي عن وضع اليهود في العالم خلال المؤتمر الصهيوني الاول واستمر على هذا المنوال حتى المؤتمر العاشر . لعب دورا بارزا في صياغة برنامج بازل (١٨٩٧) وكان يرفض باستمرار تسلم وظيفة رسمية في الحركة الصهيونية ، حتى منصب الرئاسة الذي عرض عليه بعد وفاة هرتزل، مفضلا البقاء في منصب المستشار السياسي لرئيس المنظمة . وبينما كان هرتزل يتوقع اقامة دولته اليهودية خلال ثلاثين عاما ، نجد نوردو يتساءل مرة عن امكانية تحقيق ذلك قبل ثلاثمائة عام . غير انه تقلّب في مواقفه حسب الظروف . فقد بدأ داعية للصهيونية السياسية ـ بخلاف تلك الصهيونية الدينية المسيحية القديمة ـ في اعتبارها ان التغلغل اليهودي في فلسطين يجب ان يتبع مسألة نيل الحقوق والامتيازات السياسية هناك . لذلك ايّد مشروع يوغنده * وعارض سياسة « الصهيونيين العمليين » داخل الحركة . وقد اخرجته فرنسه خلال الحرب العالمية الاولى بصفته من رعايا النمسه ، فلجأ الى اسبانيه وقضى سنوات الحرب في مدريد . وحين سمح له بالعودة الى باريس (١٩٢٠) ، دعاه وايزمان الى لندن ، لكنه انتقل الى موقف اكثر تطرفا من السابق . فقد تبنّى وجهة نظر تلتقي مع التحريفيين بقيادة جابوتنسكي ، ودعا للقيام بعمل حاسم ومباشر يهدف الى اقامة الدولة اليهودية وليس « مجرد وطن قومي يهودي » في فلسطين . وراح يطالب بتحقيق الهجرة الجماعية على نطاق واسع وبنقل ٥٠٠,٠٠٠ يهودي بصورة مباشرة لكي تصبح فلسطين يهودية بالفعل . ومع انه كان يعلم تمام العلم والمعرفة ان اوضاع فلسطين لا تقبل ولا تتحمل هذه الموجة الصهيونية الكبيرة ، فقد مضى يطالب بذلك « حتى ولو ادى ذلك الى عذاب الكثيرين او عدم تمكنهم من البقاء في فلسطين » !

قضى سني حياته الاخيرة في فرنسه ، حيث توفي ، ونقلت بقاياه بعد ثلاث سنوات الى تل ابيب ، حيث اطلق اسم « تلة نوردو » على قسم من المدينة . وقد نشرت ابنته النحاتة ، ماكسا نوردو ، سيرة حياته ، ١٩٤٣ .

خطاب في المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧)

يتوفر عند اليهود الغربيين الخبز ، لكن ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . لم تعد حياة اليهود الغربيين مهددة بخطر الرعاع وليست الجراح الجسيمة هي الامر الوحيد الذي يبعث الالم ويجعل الانسان ينزف حتى الموت . اعتبر اليهودي الغربي تحرره حقيقيا فتسرع في العمل بموجب هذا التحرر . غير ان العالم جعله يرى انه اخطأ في تفكيره المنطقي هذا . لقد وضع القانون نظرية المساواة في الحقوق لكن الحكومات والمجتمعات تمارس المساواة بطريقتها الخاصة التي تشبه تعيين سانشو بانزا بمركز حاكم جزيرة باراطاريا . ويقول اليهودي ببساطة : « انا انسان ولا اعتبر

---

* ووصفه بعبارة استعارها من عنوان مسرحية مكسيم غوركي : « مأوى ليلة واحدة » ! اي محطة تقفز منها الصهيونية الى فلسطين !

اي شيء انساني غريبا . والجواب الذي يلاقيه هو : « ببساطة ، تعطى لك حقوقك كانسان بحذر لانك تفتقر الى الشرف والشعور بالواجب كما تفتقر الى الاخلاق والوطنية والمثالية . لذا سوف لا نعطيك اية وظيفة تتطلب هذه الصفات » .

لم يقم ابدا من يحاول ان يفند ولو مرة هذه الاتهامات وقد يؤخذ بين فترة واخرى احقر يهودي في بني جنسه والجنس البشري ويعتبر مثالا لليهود ويعمم بدون منطق بان صفات اليهود جميعهم هي مثل صفات هذا الوضيع . هذا ليس بغريب من الناحية النفسية لان العقل الانساني متعود على اختراع الاسباب للتعصب العاطفي . والحكم الشعبية تسير بموجب هذا القانون النفسي وتتبع منطق المثل الذي يقول : « اذا اردت اغراق كلب فيجب ان تعلن اولا بأنه مسعور » ، ينسب الناس لليهود كل المعاصي والصفات غير الصحيحة وذلك كي يجدوا مبررا لعملهم هذا انما الدافع الرئيسي هو كرههم لليهود .

وهنا اود ان اتكلم عن النظرية المؤلمة : لقد خدعت الامم التي حررت اليهود نفسها لانه كان يجب تحريرهم على الصعيد الوجداني قبل اعلان هذا التحرير على الصعيد القانوني ، فلم يكن سبب تحرير اليهود هو الاعتقاد بان هناك شعبا عانى من مصائب عظيمة وانه عومل بطريقة وحشية وانه حان الوقت للتعويض عن ذلك الظلم الذي استمر الف عام ، بل كان شكلا من اشكال طريقة التفكير الفرنسية العقلانية التي كانت في القرن الثامن عشر . فوضعت هذه الحركة العقلانية التي اعتمدت على المنطق وحده وليس على الوجدان والعاطفة ، وضعت المبادىء التي تشبه المبادىء الرياضية والبديهيات ، واصرت هذه الحركة على ادخال هذه النتائج العقلانية البحتة الى عالم الحقيقة . فما تحرير اليهود الا تطبيق اتوماتيكي لهذه الطريقة العقلانية . وكانت قد ادت فلسفة روسو والموسوعيين (١) الى اعلان حقوق الانسان . وهكذا وصل رجال الثورة العظيمة بالمنطق وحده الى فكرة تحرير اليهود وعملوا بحسب الحقيقة الفلسفية المنطقية : ان كل انسان يولد وله بعض الحقوق ، ولما كان اليهود بشرا ، اذن وكنتيجة طبيعية ، لهم بعض الحقوق . لقد اعلن تحرير اليهود في فرنسه نتيجة لهذا المنطق وليس بسبب اي شعور اخوي تجاه اليهود . ولما ثار الوجدان

---

١ ــ كتاب الموسوعة الفرنسية التي حررها ديدرو ودي لامبير في القرن الثامن عشر . كانت عبارة عن تلخيص نظرة حركة التنوير .

الشعبي ضد هذا المنطق اعلنت فلسفة الثورة بان المبادىء هي فوق الوجدان . ارجو السماح لي بان اقول هنا شيئا لا يعني نكران الجميل ! لقد حررنا رجال العام ١٧٩٢ (٢) . من اجل المنطق وحده ، وفي الطريقة ذاتها التي قدمت بها الثورة الفرنسية للعالم النظامين المتري والعشري ، كذلك خلقت مستوى روحيا طبيعيا احتذت حذوه الامم كلها سواء رغبت ام لم ترغب ، باعتباره مقياس تقدمهم الثقافي . كان على البلد الذي يدعي وصول هذا المستوى الثقافي ان تكون لديه عدة انظمة خلقتها او طورتها الثورة العظيمة مثلا حكومة تمثيلية ، حرية الصحافة ، هيئة محلفين في المحكمة توزيع السلطات الخ ... وكان تحرير اليهود ضرورة لا بد منها من ضرورات الثقافة العالية تماما مثل البيانو الذي هو من متطلبات اثاث البيت حتى لو لم يكن اي شخص في العائلة يعرف العزف عليه . لقد حصل اليهود في اوروبه الغربية على تحررهم بهذه الطريقة ، ليس نتيجة لحاجة داخلية ، انها تقليد للنمط السياسي ، ليس لان الامة قررت في قلبها ان تمدّ يد العون الى اليهود بطريقة اخوية ، بل لان زعماءهم السياسيين قبلوا بعض المقاييس منها ان كتاب القوانين يجب ان ينص على تحرير اليهود .

غير ان هناك بلدا واحدا يشذ عما ذكرت مقدما ، الا وهو بريطانيه. الشعب البريطاني لا يقبل ان يفرض عليه التقدم من قوة خارجية بدون ان يشعر به من ذاته . فالتحرر في بريطانيه شيء حقيقي وليس حبرا على ورق بل شيء نعيشه . لقد اعترفت بريطانيه بهذا الانعتاق بمشاعرها قبل ان يؤكده القانون على انه كان ، وبسبب التقاليد ، هناك بعض تردد قبل الغاء التشديدات القانونية على المخالفين للرأي العام في بريطانيه في الوقت الذي لم يفرّق فيه البريطانيون بين مسيحي ويهودي. انه من الطبيعي ان تتأثر امة عظيمة ذات حياة روحية متينة بالتيارات الروحية وحتى بالتيارات الخاطئة احيانا . وهكذا فان بريطانيه عرفت فترات قصيرة من اللاسامية ولكن تلك الفترات كانت بسبب تأثرها بالنمط السائد في اوروبه.

لقد غيّر التحرر طبيعة اليهود تغييرا كليا فاصبح انسانا مختلفا كليا ، فاليهودي المنعزل في حاراته لم يحب تلك الشارة الصفراء التي كانت توضع على معطفه لانها كانت دعوة الرعاع رسميا لمعاملته بوحشية.

---

٢ ــ تاريخ نوردو هنا خطأ . المرسوم النهائي الذي حرر اليهود اصدرته الجمعية الفرنسية الوطنية French National Assembly في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٧٩١ .

ولكنه قبل هذه الشارة وشدد عليها وعزل نفسه فكان اذا لم تضعه السلطات في مكان منعزل تراه يبني لنفسه منطقة منعزلة من تلقاء نفسه يسكن بمفرده دون ان يتعاطى مع المسيحيين الا في امور العمل . وتعتبر كلمة « حارة اليهود » او منطقة الانعزال اليوم وصمة عار واحتقار . لكن علماء النفس القومية والتاريخ يعرفون بأن مناطق العزلة مهما كانت اسباب خلقها كانت لليهودي في الماضي ملجأ وليس سجنا .

أنها لحقيقة تاريخية واضحة ان مناطق الانعزال اليهودية هي التي اعطت اليهودي الفرصة للنجاة من الاضطهاد المخيف الذي قام في العصور الوسطى . كانت منطقة الانعزال بالنسبة لليهودي عالمه ، وكانت ملجأه الذي اعتبره بمثابة وطنه الروحي والخلقي . وكان سكان المنطقة هم الناس الذين استطاع كسب احترامهم الذي اراده . كان هدفه وطموحه هو كسب ود منطقته هذه كما ان انتقادها او عدم رضاها عنه هو الشيء الذي كان يخافه وفي مناطق الانعزال هذه كانت للصفات اليهودية قيمتها الخاصة التي يحصل الانسان بواسطتها على اعلى درجة من الاعجاب الذي يشكل اقوى حافز للروح الانسانية ، فماذا يضير اليهود لو ان القيم التي كانت تقدّر داخل منطقة انعزالهم كانت تحتقر خارجها ؟ لم يهمهم رأي العالم الخارجي لانه كان بالنسبة لهم رأي عدو جاهل . كان الواحد منهم يحاول ان يسر اخوته وينال احترامهم وهذا كان يعطيهم معنى مشرفا للحياة . اذن بالمعنى الخلقي كان لليهود في حارتهم الخاصة اكتفاء ذاتي وحياة كاملة . كانت حياة اليهود من الخارج غير آمنة ومعرضة للخطر غالبا ، اما من الداخل فكانت حياة متكاملة كليا لا ينقصهم من عناصر الحياة الاجتماعية شيء . وعرفوا اهمية المنطقة المنعزلة هذه بالنسبة لحياتهم الخاصة ، لذا كان لديهم اهتمام واحد : وهو ان يحموها باسوار غير مرئية هي اعلى وامنع من الاسوار المبنية من الحجارة التي احاطت بهم . كانت كل العادات والتقاليد اليهودية تهدف الى شيء واحد وهو الحفاظ على اليهودية وذلك بعدم الاختلاط بالاميين من اجل الحفاظ على المجتمع اليهودي ولتذكر الفرد اليهودي بأنه سيموت وتختفي معالمه انهو تخلى عن صفاته الفريدة . وهذا الدافع نحو الانفصال عن الغير كان منبع كل قوانين الطقوس الدينية والتي كان يعتبرها اليهودي العادي بمرتبة ايمانه ذاته . حتى ان القوانين الدينية المقدسة كانت تعطى وفقا لفوارق خارجية محضة ، في العادات والملبس حالما تصبح مقبولة بالنسبة للتقاليد اليهودية وذلك للحفاظ عليها اكثر .

هكذا كانت نفسية اليهود في مناطقهم الانعزالية . ومن ثم جاء التحرر ، واعطى القانون لليهود حق المواطنة في البلد الذي هم فيه بكل معنى الكلمة . وفي فترة « شهر العسل » التي تلت قانون التحرر ، قبل المسيحيون بتأثير قانون المساواة الجديد ، قبلوا اليهود في المركز الجديد برضى واطمئنان ، واسرع اليهود الى قطع خطوط رجعتهم وذلك بتأثير نشوة وضعهم الجديد . لقد اصبح عندهم الآن بيوت جديدة فلم يعودوا بحاجة الى عزلتهم . اصبح لديهم الآن معارف جدد فهم غير مجبرين للعيش مع اخوانهم في الدين . ولقد تطورت غريزتهم المتعلقة ببقائهم النفسي بسرعة فأصبحت تعيش في ظروف جديدة . تلك الغريزة التي كانت في السابق موجهة للعمل على الابتعاد عن الغير كليا ، تغيرت الآن واصبحت تنشد التقرب من الاممين وذلك بتقليدهم . اما الشعور بالاختلاف الذي كان يعد خلاص اليهود فقد تحول الى تعمد التقليد الاعمى . اعتقد اليهودي لمدة جيل او اثنين بأنه الماني او فرنسي او ايطالي او غير ذلك كأنه تماما مثل غيره من المواطنين وان قوته الخلاقة تغذى بالتقاليد الشعبية التي توحد الامة التي اصبح هو احد مواطنيها ..

وظهرت فجأة قبل عشرين سنة وبعد فترة هدوء استمرت ما بين ثلاثين وستين سنة حملة ضد السامية وانتشرت في اوروبه الغربية . فكشفت لليهودي المسكين والذي ظن ان اللاسامية قد ذهبت الى الابد ، كشفت الصورة الحقيقية لوضعه . لقد ظلوا يسمحون له بالتصويت في الانتخابات ، انما كان يمنع بطرق مؤدبة مختلفة من الاشتراك في النوادي والاحتفالات التي كان يشترك فيها مسيحيو بلده ، كان يسمح له بالذهاب اينما شاء ولكن اينما ذهب كان يجد اللافتة التي كتب عليها « ممنوع دخول اليهود » . كان عليه ان يقوم بكل واجبات المواطن لكن الحقوق العالية التي كانت تمنح للموهوبين والنشيطين من ابناء بلده كانت محظورة عليه .

هذه هي الحالة الراهنة لليهود المحررين في اوروبه الغربية . لقد هجر اليهودي عاداته الخاصة به ومع هذا فان الامم لا تقبله كعضو في مجتمعاتها القومية . لقد اصبح يهرب من اخوانه لان اللاسامية علمته ان يتصرف هكذا ، ولكن مع هذا ينفر الاميون منه لانه يحاول ان يكون مثلهم . لقد فقد منزله في حارة اليهود وفي الوقت ذاته انكرت عليه الارض التي ولد فيها ان تكون وطنه . فلا ارض له يطأها بقدميه ولا مجتمع له يستطيع الانتماء اليه بترحاب . وهو لا يستطع الاعتماد على العدالة

من ابناء وطنه المسيحيين وذلك كاستحقاق على صفاته او منجزاته ولا حتى على اساس الشعور الطيب نحوه . وفقد اتصالاته مع اليهود الآخرين . لذلك فهو يشعر بأن العالم يكرهه ولا يجد في اي مكان الاطمئنان الذي يشتاق اليه ويبحث عنه .

هذا هو البؤس اليهودي الروحي الذي يؤذي اكثر من الالم الجسمي لانه يؤثر على الرجال ذوي المرتبة العالية والذين عندهم عزة وحساسية. أن اليهودي المحرر لا يشعر بالامان في علاقاته مع الناس فتراه لا يتكلم مع الاغراب ويشك في مشاعر اصدقائه الخفية . وتضيع قواه كلها في كبت وتحطيم عاداته الاصلية او على الاقل في الجهد الذي يبذله لاخفاء تلك العادات . فهو يخاف ان يعرف الناس انه يهودي وذلك من خلال اخلاقه لذلك فهو ابدا محروم من الكشف عن حقيقة نفسه خوفا من ان تعرف شخصيته الاصلية من خلال تفكيره او حتى من حركاته وتصرفاته. لذلك تقيدت قواه الداخلية فاصبح مرائيا مقلدا فهو ، كأي شيء غير حقيقي ، سخيف وكريه في نظر كل الناس ذوي المقاييس العليا .

بدأ اليهود يئنون تحت هذه الظروف البائسة في اوروبه الغربية ، ويبحثون عن الخلاص والتخفيف من هذه الحالة . لقد فقدوا ذلك الايمان الذي قد يساعدهم في تحمل العذاب واعتباره مجرد قصاص من اله يحبهم كما فقدوا الامل من مجيء المسيح المنتظر الذي سيرفعهم الى المجد في يوم عجيب. ويحاول البعض الهرب من اليهودية لكن اللاسامية العنصرية والتي لا تعترف بأن المعمودية تغيّر اي شيء ، تترك مجالا ضيقا امام هذا النوع من الخلاص . كذلك فان يهود اوروبه الغربية الذين هم دون ايمان (بالطبع لا اشير هنا الى الاقلية المؤمنة الحقة) لن يخلصوا ان هم دخلوا المجتمع المسيحي بواسطة اعتناقهم الكاذب للمسيحية . انهم بهذا يخلقون « مرانو » «Marrano» جديدا وهو اسوأ بكثير من القديم . ذلك ان عنصرا مثاليا كان يدخل في تركيب رجال « المرانو » القدماء . كان هذا العنصر المثالي ابقاؤهم سرا على ايمانهم وسعيهم لتطهير انفسهم وللحصول على الغفران بالاستشهاد . ويترك « المرانيون » (٣) الجدد اليهودية بغضب ومرارة . وفي حقيقة قلوبهم يحملون الى المسيحية احتقارهم الشخصي وعدم امانتهم وكرههم لكل شيء دفعهم للكذب .

---

٣ ـ استعملت هذه الكلمة اولا لتعني يهود اسبانيه الذين اجبروا على التنصّر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر والذين مارسوا اليهودية سرا .

اني انظر بفزع الى مستقبل هذا الجنس من « المارانيين » الذي لا تقاليد له والذي انغمست روحه بسم العداء لجنسه ولغيره من الاجناس والذي سيبقى احترامه لنفسه محطما طالما انه يعيش كذبة اساسية. على ان بعض اليهود يأملون ان يكون خلاصهم في الصهيونية التي هي بالنسبة لهم ليست تحقيق الوعد القديم الموجود في التوراة انما هي طريقة عيش يجد بواسطتها اليهود ابسط واسهل شروط الحياة ، الامر الذي هو بديهي لغيرهم من سكان الارض، وهو مكان مخصص امين يجد فيه اليهودي نفسه في مجتمع يقبله ويستطيع فيه ان يظهر نفسه الحقيقية ويستفيد من جميع قواه ومؤهلاته الشخصية بدل ان يكبت هذه القوى والمؤهلات ويزورها . ان الكثير من هؤلاء « المارانيين » ثائرون على ما قد وصلوا اليه الا انهم مرتبطون عاطفيا بالبلد الذي ولدوا فيه الى درجة يجدون التخلي عن ذلك البلد ـ الامر الذي تطلبه الصهيونية منهم ـ صعبا . هذه الجماعة رمت نفسها في احضان اخطر ثورة وهي تأمل ان لا يكتب لكره اليهود الحياة بعد ان تحطم الثورة كل شيء وتبنيه من جديد .

هذه هي صورة الشعب اليهودي في اواخر القرن التاسع عشر تتلخص كما يلي : تتكون اكثرية اليهود من شحاذين منبوذين اما اليهودي الذي هو اقدر واكثر تقدما ليس فقط الافريقي والآسيوي بل الاوروبي ، فهو مظلوم ومجرد من اهم موارد العيش لانه محروم من استعمال قواه بحرية . مثل هذا الفقر يطمس شخصيته ويحطم جسمه ، فتراه متعطش للتعليم العالي لكنه يطرد من اماكن العلم التي يمكنه الوصول اليها ـ فهو مثل تنتالوس الاله الاسطوري المثقف، حقيقي في وقت غير اسطوري، فهو كيفما تحرك يصطدم باسوار الكراهية والاحتقار ولما كانت عقلية الشعب اليهودي ميالة نحو المجتمع ، ربما اكثر من اي شعب آخر في العالم ـ حتى دينه يعلم بأن الله يسر اكثر اذا تناول اليهودي طعامه مع جماعة مكونة من ثلاثة اشخاص وان يصلي وفي رفقته عشرة اشخاص ـ مع حبه للناس هذا تراه منبوذا من المجتمع فيركن الى الانزواء المؤلم . يتذمر البعض من ان اليهود يتدخلون في كل شيء ، هذا لانهم يشعرون بالتفوق عندما يحرمون. واليهود متهمون بأنهم يتمسكون مع يهود العالم ويتعصبون لهم . لكن العكس هو الصحيح فمن سوء حظهم انهم بعد التحرير ، اندفعوا في تيار قومية البلد الذي يعيشون به وتخلوا عن كل ما يربطهم باليهودية. لقد كان اليهود بتأثير اللاسامية يتصورون انفسهم حقيقة اصحاب التهم والامور السيئة التي كان اعداؤهم يتهمونهم بها. واليهودي كثيرا ما يسمع

بتمتم بان عليه ان يعرف من عدوه اخطاءه ليصلحها ، ناسيا بأن اتهامات اللاسامية لا قيمة لها لانها ليست انتقادات لامور صحيحة انما هي من تأثير النفسية التي تجعل الاطفال والرجال المتوحشون والاغبياء ، يضعون اللوم على اشياء يكرهونها كأنها هي التي تسبب شقاءهم .

لا يستطيع احد ان يتجاهل التعاسة اليهودية سواء كان مسيحيا او يهوديا . انها لخطيئة عظمى بان يترك جنس ، يعترف له حتى الاعداء بمقدرته ، ان ينحط الى مآس فكرية ومادية . انها لخطيئة في حقهم وحق الحضارة التي ساهم ويساهم اليهود في تقدمها .

ان بؤس اليهود يصرخ طالبا الاغاثة . والعثور على هذه الاغاثة سيكون المهمة العظيمة لهذا المؤتمر .

الصهيونية (١٩٠٢)

تختلف الصهيونية الحديثة عن الصهيونية القديمة بكونها سياسية وليست كالاخرى دينية صوفية ، فهي لا تؤمن بمجيء « المسيح المنتظر » ولا تتوقع العودة الى فلسطين بمعجزة انما ترغب في تحضير طريق العودة بجهدها .

ولقد انبثقت الصهيونية الحديثة الى حد من دوافع داخلية لليهودية ومن اعتزاز اليهود المثقفين بتاريخهم وتضحياتهم ، وبصفاتهم العرقية ، ومن رغبتهم في تخليص الشعب القديم لمستقبل طويل ، يضيفون فيه الاعمال الخالدة الى سجل اسلافهم الحافل بمثلها .

اما بالنسبة لبقية الناس فالصهيونية نجمت عن دافعين خارجيين : اولا ، مفهوم القومية ، ذلك المفهوم الذي سيطر على الفكر الاوروبي لمدة نصف قرن وقرر سياسة العالم . ثانيا ، اللاسامية ، التي يقاسي منها الى حد ما ، كل يهودي .

ايقظ مفهوم القومية في الناس كلهم شعورا بهويتهم الخاصة ، علمتهم القومية ان يعتبروا صفاتهم الخاصة قيما لها اهميتها وان يعملوا جهدهم لنيل استقلالهم . هذا المفهوم الجديد للقومية لم يمر باليهودي المثقف دون ان يترك فيه اثرا . استيقظ اليهود ليعرفوا من هم ، وما هم ، وليشعروا بأنفسهم ثانية انهم شعب ، فيطالبوا بحق تقرير مصيرهم القومي . لقد وقع المفهوم القومي في بعض المبالغات والاخطاء مثلا خطأ التعصب

الاعمى او خطأ المبالغة في كره الاجانب او الغرق في عبادة النفس. غير ان القومية اليهودية سلمت من مثل هذه الاخطاء . ذلك ان القومية اليهودية لا تعاني من حب الذات ، بل على عكس ذلك ، انها تعمل بجهود متواصلة لكي تعيد الى كلمة يهودي اعتبارها . ويعترف اليهودي بكل تواضع بالصفات الحميدة في الامم الاخرى ويحاول بجد ان يكتسبها اذا كان باستطاعته مزجها معمقدرته الطبيعية. وهو يعرف ما تركه الاستعباد الذي استمر قرونا من اذى على اخلاقه، ولذلكفهو يحاول ان يشفينفسه من هذا الاذى بواسطة نظام نفسي قاس .

ولقد مهدت اللاسامية طريق عودة الكثير من اليهود الى شعبهم . وكان تأثيرها كتأثير تجربة صعبة لا يستطيعالصمود امامها من كانضعيفا، انما يخرج منها القوي اقوى واكثر اعتدادا بنفسه . من غير الصحيح ان نقول ان الصهيونية هي عبارة عنعمل معاد للاسامية او طريقة هربمنها. صحيح ان اللاسامية هي وحدها التي دفعت بعض اليهود المثقفين لان يعودوا الى اليهودية ثانية . وان هؤلاء سيبتعدون ثانية اذا عاملهم المواطنون المسيحيون معاملة حسنة . لكن تأثير اللاسامية على معظم الصهيونيين يتمثل في انهم توصلوا الى فهم علاقاتهم مع الامم الاخرى والى نظرة هؤلاء لهم ، الامر الذي ترك في عقولهم وقلوبهم اثرا يبقى حتى لو لم تبق اللاسامية .

النقطة الوحيدة التي تسبب عدم التفاهم بين الصهيونيين وغير الصهيونيين هي مسألة القومية اليهودية . فمن لا يؤمن بان اليهود امة ليس بصهيوني حتما ولا يستطيع الالتحاق بحركة تهدف كليا ان تجعل شعبا ، يعيش في ظروف غير عادية ، يحيا في ظروف طبيعية . من يؤمن بهذا يجب ان يتحول الى صهيوني لانه فقط بالعودة الى الوطن الاصلي تخلص الامة اليهودية من الكره والاضطهاد والتدمير المادي والفكري الذي تتعرض له في كل مكان .

لقد تخلى الكثير من اليهود في اعماق اعماقهم عن اليهودية وقد يجهرون بهذا الامر قريبا ، واذا هم لم يبتعدوا الآن عن اليهود فان ابناءهم او احفادهم سيبتعدون . يرغب هؤلاء اليهود بالاندماج كليا معابناء بلدهم المسيحيين ، وتراهم يقاومون بقوة مناداة بعض اليهود بأنهم شعب قائم بذاته يريد الانفصال عن الامم الاخرى . انهم يخافون ان يصبحوا اغرابا في ارض مولدهم ، حيث هم مواطنون احرار الآن ، يخافون حدوث هذا

الشيء اذا ما طالب قسم كبير من الشعب اليهودي بحقه في الحصول على وطن مستقل واسوأ من هذا اذا ما تأسس في مكان ما في العالم مركز سياسي فكري لليهود ، يستطيع جمع ملايين اليهود .

يمكننا ان نفهم مشاعر اليهود الاندماجيين هذه . فهم من وجهة نظرهم معذورون . لكن ليس لهؤلاء اليهود ان يفكروا بأن على الصهيونية ان تنتحر في سبيلهم .

ان عدد اليهود الذين لا يرغبون بالبقاء في البلاد التي ولدوا فيها والذين يرفضون فكرة ترك هذه البلاد بقوة هو سدس عدد اليهود عموما، فهم مليونان من اصل اثني عشر مليونا . ان لدى خمسة الاسداس ، اي العشرة الملايين الباقين من اليهود كل الحق في عدم الشعور بالسعادة في البلاد التي يعيشون فيها . فلا يمكن ان نطلب من عشرة الملايين هؤلاء ان يضحوا ويبقوا تحت نير العبودية للابد دون مقاومة، لا يمكن ان نطلب منهم التخلي عن كل جهد للخلاص من عذابهم من اجل عدم ازعاج راحة مليونين من اليهود يعيشون بسعادة وقناعة .

هذا ويعتقد الصهيونيون ايضا بخزم ان تخوفات هؤلاء الاندماجيين لا اساس لها من الصحة . فسوف لا يكون لتجمع اليهود في فلسطين ثانية اي من العواقب التي يخافون منها . ذلك انه بعد الحصول على وطن لليهود ، سيكون لهم الخيار في الهجرة اليه او البقاء حيث هم الآن . وسيبقى الكثير حيث هم دون شك مفضلين بذلك ارض مولدهم على ارض اجدادهم وامتهم ، ولن يكون هناك بد من سماعهم صرخة الازدراء « غريب » . لكن المسيحيين الحقيقيين بينهم الذين يسيرون في افكارهم وعواطفهم وفق تعاليم وتقاليد الكتاب المقدس سيأخذون بعين الاعتبار ان اليهود الذين يبقون لا يعتبرون انفسهم غرباء في الارض التي ولدوا فيها . وسيفهم المسيحيون الحقيقيون اهمية تخلي اليهود عن العودة الى ارض اجدادهم والتصاقهم ببيوتهم وجيرانهم المسيحيين .

ويعرف الصهيونيون بأنهم اخذوا على عاتقهم القيام بعمل صعب للغاية . فلم يحدث من قبل مطلقا ان نقل بضعة ملايين من الناس ، بسلام وبفترة قصيرة من بلد الى بلد . كما لم يحاول احد من قبل نقل الملايين من البروليتارية الضعيفة ماديا التي لا تجارة لها ولا حرفة ، الى اعمال زراعية وتربية الماشية ، وتغيير تجار وكتاب وموظفي مكاتب الى فلاحين يمارسون الحراثة والاتصال بالارض الام . ان هذا العمل يتطلب ايضا ان

يعمل اليهود ذوي الاصول المختلفة مع بعضهم بعضا ويدرّبوا على الوحدة الوطنية ، كما انه يقتضي في الوقت ذاته القضاء على العوائق الصعبة التي تتمثل في اختلاف اللغة ، والمستوى الثقافي ، وطريقة التفكير ومشاعر الناس المختلفين الذين سيحضرون الى فلسطين من بلاد مختلفة.

ان الشيء الذي يدفع الصهيونيين للقيام بهذا العمل الهرقلي الجبار هو اعتقادهم بأنهم يقومون بعمل ضروري ومفيد ، عمل تتمثل فيه المحبة والحضارة ، عمل عدالة وحكمة . فهم يرغبون بتخليص ثمانية الى عشرة ملايين معذبين من بني جنسهم. ويرغبون تخليص الامم التي لا ترغب في ان يسكن بينها اليهود المائتون. يرغبون بانتزاع الضحية من بين براثن اللاسامية التي تعمل على اضعاف المعنويات وتنمي اقبح الغرائز في المجتمع الذي تكون فيه. يرغبون في ان يخلقوا من اليهود الذين يعتبرون طفيليين ، امة منتجة معتبرة . يرغبون ان يرووا الارض بعرقهم ويحرثوها بايديهم ليحولوها من صحراء قاحلة الى حديقة مزهرة كما كانت عليه في السابق . ستعمل الصهيونية بهذا على خدمة اليهود والمسيحيين على حد سواء كذلك على خدمة الحضارة والاقتصاد العالمي ، ان الاعمال والخدمات التي تنوي القيام بها تجعلها تضع آمالها في ان يقدر العالم المسيحي الصهيونيين ويعمل على انجاح اعمال حركتهم بالتعاطف الفعال معهم .

احد هاعام (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧) Ahad Ha-am

كاتب مقالات ومفكر

الاسم المستعار لـ آشر بن غنزبرغ . مولود في سكفيرا ، اوكرانيه وفي عائلة تنتمي الى ارستقراطية الحي اليهودي ومتاثرة بتعاليم الحاصدين. درس على الطريقةاليهودية التقليدية التي تتشدد في التقوى، حتى ان معلمه منع منتلقينه احرف الابجدية الروسية خوفا من الهرطقة . ولم يلبث ان تثقف على نفسه وتعلّم القراءة الروسية حتى غـدا في صباه من علماء التلمود وآدابه البارزين ومن المطلعين على الحركة الحاصدية . وما ان انتقلت عائلته الى دارة استاجرها الوالد الغني حتى عكف في غرفته يدرس حركة التنوير من خلال آثار كبار الفلاسفة اليهود في القرون الوسطى ، وخاصة آثار موسى بنميمون. وهكذا تسنى له ان يتعرف على افكار حركة التنوير العبرية وينطلق الى آفاق اوسع في دراسته للادب والفلسفة في الروسية والالمانية . تاثر باحد الفلاسفة الوضعيين الروس وفقد ايمانه الديني حتى عرف بـ « الحاخام اللاادري » .

حاول اكثر من مرة بين ١٨٧٩ ـ ١٨٨٦ ان يتابع دراساته في جامعات فيينه وبرلين وبرسلو ولايبزيغ ، لكن مشاكله الشخصية والعائلية وتردده النفسي قد حالت دوناتمام ذلك . انتقلت عائلته الى اوديسه ١٨٨٦ ، حيث اقام فترة من الزمن وانضم الى حركة « احباء صهيون » . وما لبث ان انتقد سياسة الحركة في مقالات وقّعها باسم احد هاعام (واحد من الشعب) ونشرت في مجلة هاميليتز (١٨٨٩) بعنوان « ليس هـذا هـو الطريق » . فقد اصر على وجوب العمل في فلسطين ببطء وعناية فائقة . واعتبر هـذا العمل مركزا في احياء ثقافة الشعب اليهودي وتجديده عن طريق النخبة ، وليس في النشاط الجماعي الذي دعا له امثال ليلينبلوم داخل الحركة . وقد اثارت افكارهعاصفة من الخلافات التي استمرت الى ما بعد ظهور الدعوة الهرتزلية . وورطته الآراء اللاادرية التي قدمها كاساس جديد لثقافة يهودية روحية في نقاش مستمر مع المحافظين . بينمـا اعتبره الادباء الشباب محافظا في تفكيره وتقليديا في مزاجه .

كان من نتيجة مقالته الاولى ان تاسست (١٨٨٩) جمعية شبه سرية ومحـدودة العضوية داخل حركة « احباء صهيون ». وقد عرفت بـ «بني موسى» ، واصبح احد هاعام رئيسها الاول ، بعد ان اشترك في تاسيسها مع جوشوا بازيلاي . وقـد انتقد كلاهمـا القيادة الصهيونية آنذاك لانها شغلت نفسها عـن الاهتمام بنشر الثقافـة والتعليم على الصعيد الشعبي وعن التوجيه الفكري بمسالة الاستعمار المباشر لفلسطين . بدا مكتـب الجمعية الرئيسي في اوديسه ثم انتقل الى فرصوفيه ليستقر اخيرا في يافا ، حيـث

اسست المدارس العبرية في انحاء مختلفة ، وساعدت على انشاء دار للنشر في فرصوفيه ـ أحياصاف ١٨٩٣ ـ ١٩٢٦ ـ تعنى باصدار الكتب العبرية . وكان احد هاعام قد شغل وظيفة رئيس تحرير للمجلة العبرية الشهرية « هاشيلوح » مدة ستة اعوام (١٨٩٦ ـ ١٩٠٢) . زار فلسطين مرتين ١٨٩١ و ١٨٩٣ .

عارض صهيونية هرتزل السياسية وتحاشى استلام منصب رسمي او قيادي داخل المنظمة والحركة . قاطع المؤتمر الصهيوني بعد حضوره جلسات المؤتمر الاول * . وانحلت جمعية « بني موسى » بعد تأسيس المنظمة الصهيونية ١٨٩٧ . وما لبث احد هاعام ان توظف في شركة للشاي وانتقل الى فرعها الجديد في لندن ١٩٠٧ ، حيث بقي ١٤ عاما . كتب خلال اقامته في لندن : « التأرجح بين رأيين» ، وعمل كمستشار مقرّب من وايزمان خلال المفاوضات التي ادت الى صدور تصريح بلفور . قام بزيارات متكررة لفلسطين قبل ان يستقر في تل ابيب ، ١٩٢١ . ونشر تلك المقالات التي انتقد فيها استعمار فلسطين ضمن مجموعة بعنوان « على مفترق الطريق » : ١٨٩٥ ـ ١٩١٣ (البراشات ديراخيم) يبرز اثره في العبرية الحديثة من خلال افكاره وفي اسلوبه الغربي الخالي من الاطالة والزخرفة اللفظية . خلال اقامته في تل ابيب نشر مجموعة رسائله ومذكراته في عدة مجلدات واشرف على تحريرها قبل وفاته هناك . وجدت افكاره العلمانية ودعوته في اسبقية الصهيونية الثقافية على الدعوة الهرتزلية في اعتمادها الوسائل السياسية والدبلوماسية الكثيرين من الاتباع والمؤيدين ، خصوصا بعد اشتراكه مع وايزمان في الحصول على تصريح بلفور . تعكس افكاره الفلسفية تأثر التجريبيين الانجليز امثال لوك وهيوم وفي صهيونيته الثقافية يستمد الكثير من آراء المفكر الالماني هيردر حول الثقافة الشعبية والادب الشعبي .

شريعة القلب (١٨٩٤)

ان العلاقة بين الناس عامة وادبهم هي علاقة نمو متواز وتداخل مشترك . يتجاوب الادب مع متطلبات الحياة والحياة تتجاوب مع توجيه الادب . وظيفة الادب هي زرع بذور الافكار والرغبات الجديدة . فبعد ان تزرع هذه البذور تتكفل الحياة بعمل ما تبقى. تعيش البذرة وتنمو بفضل رعاية العقل الانساني الى ان تصبح الفكرة الجديدة مع مرور الوقت قسما من الوعي العام وتصبح قوة فعالة لا ارتباط لها بأصلها الادبي مثلما ان لا ارتباط لنتاج الاديب الكبير بما درسه في كتبه المدرسية الأولى .

---

* وكتب مقالة انتقادية (١٨٩٧) عن « الدولة اليهودية والمسألة اليهودية » شدد فيها على استحالة حل المشكلة اليهودية عن طريق اقامة الدولة في فلسطين واعتبر المشكلة الروحية والفكرية الاساس الوحيد للصهيونية . ولا تزال المتناقضات والتنافرات التي تميز الوجود الاسرائيلي الحاضر في فلسطين المحتلة اصدق شاهد على ما توسمه احد هاعام في فكرة هرتزل واتباعه عن الدولة الصهيونية وفشلها في « حل مشاكل اليهود في سائر انحاء العالم » .

لكن « شعب الكتاب » ، ليس كسائر الناس ، فهم عبيد للكتاب . لقد استسلم هؤلاء الناس كليا للكلمات المكتوبة . وتوقف الكتاب عن عمله الذي هو في كونه مصدرا للالهام الدائم . واصبح عمل الكتاب في الحياة ان يضعف ويحطم كل قوى الابداع الذاتي والعاطفة الى ان يعتمد الانسان كليا على ما هو مكتوب والى درجة تنعدم قدراته على التجاوب مع كل دافع انساني طبيعي دون اذن وموافقة ما هو مكتوب . وحتى لو وجدت هذه القدرة فالتجاوب ليس سهلا او طبيعيا اذ انه يتطلب ان تتبع خطة مدبرة وصناعية . لهذا وبسبب هذا التمسك بما هو مكتوب ، يتوقف تقدم الانسان كما يتوقف كتابهم عن التطور من عصر الى عصر . ويبقى الناس كما هم لان القلب والعقل لا يثوران ، نتيجة عدم وجود تفاعل مباشر بين الطرفين ، على الكلمة المكتوبة التي اصبحت لا تنسجم مع حاجات العصر .

وما زلنا نحن اليهود شعبا متمسكا بالكتاب منذ الفي سنة ، ولكننا لم نكن دائما هكذا ، لم نكن شعب الكتاب في عصر الانبياء ، ذلك العصر الذي ابتعدنا عنه الآن لدرجة لم يعد باستطاعتنا فهمه . وحتى في عصر الهيكل الثاني لم يفقد القلب والعقل عملهما الذاتي واعتمادهما على نفسيهما . كان من الممكن في تلك الايام ايجاد القانون او الشريعة ومناقشة الكلمة المكتوبة في قلب الانسان كما يستدل من قول هيلل المأثور « لا تفعل بجارك ما لا تريده ان يفعل بك ، هذه هي الشريعة كلها» (١) . واذا وقعوا في اختلاف بين ما يمليه العقل والعاطفة من جهة وما يطلبه الكتاب من جهة اخرى ، ولم يطيعوا الكتاب بحرفيته ، بل كانوا يثورون على الكتاب ان هو لم يسد احتياجاتهم وبذلك فرضوا عليه التطور وفقا لمتطلباتهم الجديدة. وعلى سبيل المثال : اعتبرت شريعة التوراة « العين بالعين » في عصر لاحق متطور على انها شريعة همجية غير جديرة بأمة متحضرة . وكان في ذلك الوقت حكم الناس الخلقي هو اعلى حكم ، لذلك اصبحت هذه الشريعة ، التي بقيت لها سلطة تعني « قيمة العين بالعين »، اي ان تكون الغرامة مالية وليست نوعية .

لكن هذه الحالة لم تدم . فقد تحول القانون الشفهي والذي هو بالحقيقة القانون الحسي ، الخلقي ، تحوّل الى قانون مكتوب جامد ، وترك الحس الخلقي ضعيفا عاجزا يخضع كليا للكلمة المكتوبة . لم يعد لدى

---

١ ــ عاش هيلل في القرن الاول ق.م. وهذا التعريف « للآية الذهبية » موجود في التلمود شبات ١٣ أ .

الضمير اي سلطة من ذاته . واصبح الكتاب وليس الضمير هو الفاصل في كل مسألة انسانية . بل اكثر من هذا : لم يعد للضمير اي حق حتى في الموافقة على ما تمليه الكلمة المكتوبة . ومن هنا كانوا يعتقدون بانه لا يجوز لليهودي ان يقول بأنه لا يحب لحم الخنزير فعمل كهذا يشبه موافقة عبد لسيده بدلا من ان يعمل ما يطلب منه دون مناقشة . فلا نستغرب اذن ان قال بعض المعلقين على تفسير هيلل الاخلاقي للشريعة بأنه شيء مناف للدين وقالوا في شرح احسن ما في التلمود ، ان معنى « جارك » بالنسبة لهيلل في الحقيقة هو القدير : يجب ان لا تعمل ضد ارادة الله لانك لا تريد ان يعمل جارك اشياء هي ضد ارادتك . ومما لا شك فيه بأنهم كانوا سيقبلون « العين بالعين » بمعناها الحرفي لو كانت موجودة في التلمود البابلي وليس في شريعة موسى ولو كان شارحوها هم المعلقون على التلمود وليس حكماء الدين القدماء ، ولربما حاول حاخامات واناس عاديون على السواء اسكات شعورهم الخلقي بالنسبة لهذه الشريعة وهم يعتزون بمثل هذا العمل .

ولم يستطع كتاب حركة التنوير « الهاسكالا » اليهود من الوصول الى الجذور الرئيسية لاسباب تحكم الكلمة . فوضعوا اللوم على رجعية الحاخامين المتصلبين الذين يضحون بسعادة الفرد على مذبح التزمت القانوني . وهكذا يصور غوردون ، الحاخام في كتابه « **نقطة يود** » The Point of Yod :

هو رجل لا يبحث عن السلم ولا يعرف ما هي الشفقة ،

يقضي عمره بمنع هذا وحظر ذاك ،

يخطىء هنا ويعاقب هناك .

حاول هؤلاء الكتاب استمالة عقل الرجل العادي ضد طغمة القانون. وظنوا انهم ، برسمهم الشيء المضاد بالوان زاهية سيستطيعون اشعال ثورة تمكن انتصار الحس الخلقي على الكلمة المكتوبة . لكن كان هذا خطأ فاحشا لانه لم يكن هناك فرق بين موقف الحاخام والرجل العادي. ولربما كان فوفسي (٢) منذ اعلانه عدم شرعية وثيقة الطلاق يشعر بالاسى نفسه

---

٢ ــ فوفسي هو المدافع عن القانون التلمودي في قصيدة يهوذا ليب غوردون التي مرّ ذكرها (انظر ايضا ليلينبلوم هامش ٣ ــ والمقالة المذكورة هناك لغوردون ظهرت بعد القصيدة المذكورة هنا، القصيدة

(التتمة على الصفحة التالية)

الذي شعر به الحضور الذين كانوا مجتمعين والذين يصفهم الشاعر بقوله : ارتجفوا جميعا وكأن شبح الموت قد خيّم عليهم .

كان الحاخام هو الرجل الوحيد الذي يقرر لمن سيكون النصر لو وقع اختلاف بين الحس الخلقي والكلمة المكتوبة . لم يحلم الجمهور يوما بمناقشة قرار الحاخام وبالطبع لم يفكروا ابدا في مناقشة الشريعة ذاتها . مع انهم « ارتجفوا جميعا » . ولكن ارتجافهم كان ذلك الذي يحدث امام كارثة تحدث عن سبب غير مفهوم في الطبيعة . ان ردة فعل اناس طبيعيين لكارثة من هذا الشكل تجعلهم يفكرون بأن وقوع مثل هذا الشيء يجب ان لا يحدث في المستقبل . لكن ردة فعل « اهل الكتاب » هي فقط في حزن صامت عميق وكالحزن الذي يكون عند موت بطلة ليلة زفافها . انهم لا يتجراون ابدا على انتقاد الكلمة المكتوبة او قسوة الشريعة .

يقترب زانغويل (٣) من هذه الحقيقة في كتابة **ابناء حارة اليهود** . في هذه الرواية حادثة تشبه تلك التي في قصيدة غوردون انما تختلف في كيفية العرض . فوالد الابنة ، الحاخام ريب شموئيل ، وهو اب محب يريد سعادة ابنته ويرى هذه السعادة بزواجها من دافيد ، لكن عندما يكتشف بالصدفة ان دافيد هو من عائلة رجال الدين ، مما يحظر عليه الزواج من حنة ، التي هي مطلقة بسبب مزحة غبية قام بها شاب ، لذلك

كتبت سنة ١٨٧٦) . لقد عبّر غوردون عن وجهة نظر « الهاسكالا» بشكلها المتطرف وذلك بايراده هذه القصة التي يؤدي فيها عدم وجود النقطة الصغيرة ، الحرف العبراني **يود** Yod الى نقض وثيقة الطلاق لكونها غير صحيحة ، ومن ثم الحكم على الامرأة بانها لم تكن طيلة حياتها متزوجة ولا مطلقة ، حرة لتتزوج . **نقطة يود** الذي هو عنوان القصيدة والموضوع الذي تقوم عليه هي اصطلاح عبري يعني « شيئا تافها » .

٣ ــ اسرائيل زانغويل (١٨٦٤ ــ ١٩٢٦) ، يهودي انكليزي كاتب مقالات وروايات . عمل مع هرتزل واوائل زعماء الصهيونية ولكنه انفصل عن الحركة بعد المؤتمر السابع سنة ١٩٠٥ (وكان الاول بعد موت هرتزل) الذي صوت لرفض مشروع بريطانيه ــ سنة ١٩٠٢ ــ باعطاء ارض لليهود في اوغنده . اسس زانغويل المؤسسة اليهودية الاقليمية ، وهي الجماعة التي كانت تقول بأن فلسطين ليست بالضرورة هي الارض التي يمكن فيها حل المسألة اليهودية حلا قوميا.

كان موقفه رغم تأثره هـو قوله : « الحمد لله بانني عرفت في الوقـت المناسب » . كانت كل محاولات دافيد وطلبه العدالة لا فائدة منها اذ يجب اطاعة قانون الله . ويقول ريب شموئيل في نهاية مشهد طويل ومؤلم : « هل تظن بأنني لا اموت من اجل سعادة حنة ؟ لكن الله هو الذي القى على كاهلها هذا العبء ويجب علي مساعدتها في حمله » .

لم يكن فوفسي وامثاله وحوشا قاسيين. لقد كانت لهم قلوب رقيقة لكن لم يكن لشعورهم الطبيعي مجال حر . فكل عاطفـة وكل نبض وكل رغبة تستسلم دون مقاومة الى الكلمة المكتوبة « نقطة يود » .

ولا نتوقع ان نجد تعبيرا عن النفس او قوة هدف في اي عمل خارج حقل الكلمة المكتوبة ، لان حركة القلب والعقل الطبيعيين مخنوقة هكذا . المنطق والخبرة والعقل والشعور الخلقي كلها لا قوة لها لان تقود الانسان الى تحقيق اهداف من اختياره . مثل هذه الحالة تضع العراقيل في طريق اي حل لاي من مشاكلنا . وقد كان واضحا امام الانسان المفكر منذ زمن بعيد بأنه لا يمكن ايجاد طريقة معنية لاصلاح الوضع الا اذا اصلحت الحالة العامة اولا .

فالسؤال الكبير اذن هو هل هنـاك احتمال في الشفاء مـن هـذا المرض العضال ؟ وهل باستطاعة الشعب اليهودي ان ينفض عنه قصوره الذاتي هذا ويستعيد اتصاله مع حقائق الحياة وفي الوقت ذاتـه يبقى الشعب اليهودي .

ان ما يجعل المسألة صعبة جدا هو هذا الطلب الاخير ، فقد قامت حركة التنوير اليهودية « الهاسكالا » قبل جيل بعملية التوعية وذلك بان اهتمت بالشباب ، تاركة كبار السن جانبا ، فعملت على اعادة النشء الى طبيعته بالنسبة لموقفه من الحياة وذلك بادخال الشباب الى الثقافة الغربية بواسطة التعليم والادب . لكنها لم تستطع القيام بالشيء الذي وعـدت اليهودية به وهو ادخال الانسانية الى حياتها دون التدخل في نموهـا : والشواهد على هذا كثيرة . ولقد وجـدت حركة التنوير « الهاسكالا » الآتية من الخارج ، بأنه من الأهون خلق حياة جديدة لتابعيها من ان تقوم باصلاح الاخطاء اليهودية مع الابقاء في الوقت ذاته على الصفات اليهودية، لذا لا يمكن ايجاد جواب تام لمشكلتنا الى ان تقوم حاجة ملحّة تنمو مـن الداخل ومن حياتنا اليهودية لتعمل على اعادتنا الى طبيعتنا ، وتنتقل هذه التغييرات الى الجيل الصاعد بواسطة التعليم والادب وبذلك تندمج بحركة

التنوير الانسانية وتحمي طابع الحياة اليهودية من الضياع في خضم هذه الحركة .

ولقد بدأت الحاجة تلعب دورا بشكل فكرة نسميها «حب صهيون» (٤) وان يكن هذا التعبير لا يفي بمعنى الفكرة تماما . وحركة « حب صهيون» الحقيقية ليست فقط قسما من اليهودية او شيئا اضيف الى اليهودية ، انها هي اليهودية بأكملها انما من زاوية نظر مختلفة . لا تسعى حركة « حب صهيون » الى التخلص من الكلمة ولا تسعى الى تصحيحها تصحيحا سطحيا بالاضافة او بالتنقيص . انها تمثل اليهودية التي ستكون وحدتنا محط انظارها وبعثها وتطويرها الحر من خلال التعبير بروحها المميزة عن القيم الانسانية العالمية .

هذه هي اليهودية التي يجب ان يعتمد تعليمنا وادبنا عليها . يجب تجديد فكرة البعث القومي واستعمال كل وسيلة ممكنة لتقوية هذه الفكرة وتثبيت جذورها الى ان تصبح عنصرا اساسيا في الوعي اليهودي وقوة فعالة مستقلة ، بهذه الطريقة فقط نستطيع تحرير الروح اليهودية من اغلالها لتعود الى الاندماج في مجرى الحياة الانسانية دون ان تضحي بشخصيتها ثمنا لحريتها .

الجسد والروح (١٩٠٤)

. . . في فترة اوائل وجودنا القومي ـ فترة الهيكل الاول (٥) لا نجد اي اثر للمفهوم المزدوج للجسد والروح . الانسان كائن يعيش ويفكر ، هو واحد في كل اجزائه . والكلمة العبرية « نفش » (نفس) تعني كل شيء ، الجسم والروح وكل ما يتعلق بهما . النفس ، التي هي الكائن الانسان في الفرد تعيش وتموت ككل ولا يبقى منها اي شيء . لذلك لم تشغل اليهودية

---

٤ ـ « حب صهيون » هو الاسم الذي اتخذته الحركة التي قامت في روسيه بعد حوادث ١٨٨١ مباشرة ، كانت غايتها حض يهود روسيه المضطهدين على الذهاب الى فلسطين واقامة حياة قومية لهم فيها. كان زعيمها ليو بنسكر وقد ضمت كل الذين جاءوا قبل هرتزل من الصهيونيين الروسيين المذكورين في هذا الكتاب .

٥ ـ الفترة التي تقع بين حكم الملك سليمان حتى تدمير الهيكل في سنة ٥٨٦ ق.م .

نفسها منذ البدء بمشكلة الحياة والموت . فهي لم تعرف شيئا من خيبة الامل التي تصاب بها الفلسفة المادية التي تلجأ الى الجسد وشعور اللذة هربا من فراغ الحياة . كما انها لم تتطلع الى الاعالي كي تخلق جنة خالدة لارواح الناس ، كانت الحياة بالنسبة لليهودية قديما هي الحلول هنا على الارض وذلك بالتشديد على حياة الجماعة وتعليم الفرد ان لا يعتبر نفسه وحدة منعزلة محدودة بولادته وموته انما جزء من كلّ اوسع واهم، وبانه عضو من وحدة مجتمع اكبر . مثل هذا المفهوم لا يحول محور الشخصية من الجسد الى الروح ولكن من الفرد الى المجتمع وبذلك تحولت مشكلة الحياة من صعيد الفرد الى صعيد المجتمع . انا احيا من اجل مصلحة المجتمع الذي اعيش فيه . واموت في سبيل افساح المجال للغير الذين يحاولون الحفاظ على المجتمع وتخليصه من الجمود والركود . وهكذا يحرز الفرد معنى لحياته عندما يحب المجتمع الذي يعيش فيه كنفسه ويعتبر ما هو خير له خيرا لمجتمعه وتصبح مشاكله اقل صعوبة لانه يعرف السبب الذي من اجله يعيش ومن اجله يتعذب .

لكن هذا الشيء يكون مقبولا اذا كان المجتمع نفسه يعيش من اجل هدف يستطيع الفرد من اجله تحمل كل تضحية يعملها : والا فسيبرز السؤال القديم ثانية على صعيد المجتمع . انا اضحي او اتحمل في حياتي وذلك كي يعيش المجتمع . لكن لماذا يعيش المجتمع ؟ وما هي مبررات حياته التي تجعلني اواجه المشاكل راضيا ؟ وهكذا بتمويل محور الحياة من الفرد الى المجتمع توجب على اليهودية ان تجد مبررا لوجود الحياة الجماعية . كان عليها ان توجد لوجود هذا المجتمع سببا مهما ومقنعا للمحافظة على معنويات الفرد عندما يشتد عليه عبء الحياة . من هنا نشأ تحوّل المجتمع الاسرائيلي الى « مملكة رجال دين وامة مقدسة » ، كتب عليها ان تكون قدوة للانسانية باسرها من خلال توراتها .

ان هذه النظرة للمجتمع اليهودي لم تترك مجالا لاي من المفهومين المتطرفين للحياة . فالانسان وحدة لا يمكن تجزئتها. اطرافه كلها وحواسه وعواطفه وافكاره كلها تؤلف وحدة كاملة . لكن وجود الانسان اليهودي ليس دون هدف لانه عضو في شعب اسرائيل الذي يعيش لهدف سام . وبما ان المجتمع هو مجموع كل افراده فعلى كل اسرائيلي ان يعتبر نفسه حلقة لا غنى عنها في سلسلة حياة شعبه . عليه ان يشارك في تخليد هذا الشعب . لهذا لم يعرف تاريخ اليهودية القديم نكران الذات الصحيح . ان الزهد ونكران الذات والرغبة في افناء الجسد تكون ممكنة عندما لا

يكون للانسان هدف في هذا العالم فتراه مضطرا للتحول الى اهداف اخرى . صحيح انه كان في الحياةاليهودية القديمة بعض المتزهدين الذين كانوا يسمون « نذيرين » ممن مارسوا بعض طقوس الزهد ، انما لا علاقة لهذه بكره الجسد لان مثل تلك كانت جزءا من الطقوس الدينية . ذلك ان شمشون الجبار الذي كان ابعد الناس عن الزهد اعتبر من هؤلاء النذيرين.

ان هذه النظرة الى الحياة التي ترفع الانسان فوق حب الذات وتعلمه ان يجد سبب وجوده في استمرار المجتمع وخيره ، يراها بعض اللاهوتيين من غير اليهود منتهى المادية ويحكمون على ضوئها على اليهودية بالتدني ، لانها لا تعد ، مثل سائر الاديان بالخلود والثواب بعد الموت . وليس ادل على التعصب الاعمى تجاه اليهودية من هذا الحكم ...

لقد كان في تاريخ اليهودية القديم فئة لا بأس بها ، شددت على الناحية المادية من الحياة القومية بحيث لم يكن لها هدف اكثر من ان تجعل الدول فوق كل شيء في داخل البلاد، وتؤمن لها الاحترام من الامم الاخرى وتبقيها آمنة من الاعتداءات الخارجية. هؤلاء كانوا جماعة الارستقراطيين التي كانت تضم الملك وحاشيته وزعماء الجيش ومعظم رجال الدين ـ هؤلاء كلهم ممن لم يعرفوا العذاب والحاجة الى العزاء لذلك لم يهتموا بالناحية الروحية من الحياة القومية ، وكانوا في غالب الاحيان مستعدين لان يهجروا المثل الروحية « ويخدموا آلهة غيرها » اذا ما رأوا ذلك في صالح الامة السياسي . ولكن الانبياء كانوا يقومون دائما ضد مثل هذه المادية السياسية ويعملون ضدها الى ان انتهت كليا وذلك عند سقوط الدولة . ولكن من الخطأ الفاحش ان نقول ، بما يقوله بعض علماء التاريخ الحديث، ان الانبياء كانوا ضد قيام الدولة كدولة وانهم اعتبروا قيامها مضادا في حد ذاته للمبادىء والحياة الروحية التي كانوا يعملون بها ، وانهم كانوا دائما يسعون لسقوط الدولة . ان الانبياء لم يكونوا يوما ضد ازدهار الدولة ولم ينادوا ابدا بقهر التقدم القومي من اجل التقدم الروحي ، ومن يقرأ ما جاء في اسفار الانبياء من ابتهاج بانتصارات الدولة (في عهد سنحريب (٦) مثلا) ومن تحسر على انهزاماتها ؛ يرى مدى اهتمامهم بالحياة السياسية واعتقادهم بان الاستقلال القومي ضروري للامة حتى

---

٦ ـ سنحريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م) ، وهو الملك الاشوري الذي تغلب على المملكة اليهودية ولكن جيوشه تعرضت الى مرض الطاعون قبل وصولها القدس وابيدت جميعها . انظر اشعيا ٢٠ : ٥ ـ ٢٣ .

تصل الى المثل العليا التي ينادون بها . ولكنهم في الوقت ذاته لم ينسوا انه فقط بالروح تستطيع حياة الفرد والامة ان ترتفع الى مستويات اعلى وبالروح فقط تستطيع ان تصل الى معنى حياتها وهدفها . لذلك شدد الانبياء على ان الوسيلة يجب ان تتحكم بالغاية وعلى ان الجسد يجب ان لا يتحكم بالروح . لقد نادى الانبياء على صعيد قومي ، بالمبدأ الذي كانت اليهودية قد حددته لحياة الفرد : وهو وحدة الجسد والروح بالمعنى الذي ورد سابقا .

وظل الامر على ما هو عليه حتى عهد الهيكل الثاني (٧) عندما وجد الزهد السياسي طريقه الى حياة الدولة اليهودية ، اذ قامت جماعة دعيت بالاسيين Essenes ، لم تنتقد الحياة المادية بالنسبة للفرد ، انما انتقدتها على صعيد قومي وبالنسبة للدولة . لقد رأى هؤلاء بان الدولة اليهودية تسير من الناحية الروحية من سيىء الى اسوأ ، اذ كان حكامها كهؤلاء الذين كانوا في عهد المملكة الاولى ، يعبدون القوة المادية ، وقد حاول رجالها الواعون القضاء على هذا الفساد السياسي عبثا وذلك لوقوعها في يد الاعداء كما انهم عبثا حاولوا بعث الروح اليهودية الصحيحة ثانية . وهنا تخلى الاسيون عن محاولاتهم هذه كما تخلوا كليا عن الحياة السياسية وانعزلوا عن المجتمع يعيشون حياة طهر وزهد وقد زاد تنسكهم هذا من عدائهم للدولة، وعندما اخذت الدولة تلفظ انفاسها الاخيرة اظهروا رضى وارتياحا لما قد حل بها .

غير ان هذا التنسك السياسي الذي قام به الاسيون لم يؤثر كثيرا على مجرى التفكير الذي ظل سائدا حتى كان عهد الفريسيين الذين ارتفعت اليهم عيون الناس للارشاد والقيادة ، وقد مثل الفريسيون مفهوم الانبياء لليهودية الذي يوحد بين الجسد والروح . لم يبتعد الفريسيون عن حياة الدولة بل قاموا بدورهم في هذه المعمعة وعملوا كل ما في استطاعتهم لتخليص الدولة من الانحطاط الخلقي وارجاعها الى طريق اليهودية . كانوا يؤمنون بأنه كما ان لا حقيقة للروح بدون جسد كذلك فالروح اليهودية لا يمكنها ان تنمو وتحقق ذاتها بدون الاطار او الواقع السياسي . لذلك كان الفريسيون يحاربون على جبهتين ، حاربوا المادية السياسية في داخل الدولة مثلما حاربوا اعداء الدولة من الخارج حفاظا على امنها وسلامتها .

---

٧ ـ هي الفترة من ٥٢٠ ق.م ، عند بناء الهيكل الثاني حتى تدميره في السنة ٧٠ على يد الرومان في عهد تيطس .

حدث الشقاق بين الفريسيين والقائمين على سياسة الدولة عندما بدأ تفكك الدولة واوشك انهيارها ذلك ان السياسيين الذين كانوا مهتمين بالناحية المادية للدولة ، والذين لم يكن لديهم من مثل الا التمسك ببقاء الدولة ، انهاروا مع انهيارها بعد ان حاربوا من اجلها ما بوسعهم . غير ان الفريسيين ظلوا على ايمانهم لان اهتمامهم بالدولة كان فقط من اجل الروح القومية للامة التي كانت مجسدة في الدولة ، لذلك لم تكن نهاية الدولة ، في نظرهم ، هي نهاية للامة ولكل ما كانوا يعيشون له من قيم . بل على العكس ، كانوا يؤمنون بانه من الضروري ان يجدوا الوسائل المؤقتة التي تحفظ الامة وروحها ولو بغير صفة سياسية حتى يشاء الله اعادة شعبه الى ارضه وحريته . من هنا كان الانقسام، وبقي السياسيون المتحمسون يقفون على اسوار القدس وبايديهم السيوف بينما ذهب الفريسيون وبايديهم التوراة الى يفنه (٨) .

وقد اثمر عمل الفريسيين هذا ونجحوا في خلق نوع من الكيان السياسي بدون ان يكون له جذور في الارض . عاشت في هذا الكيان القومية العبرية مدة الفي سنة . من هنا كانت نشأة الجيتو ـ الحارات او مناطق الانعزال اليهودية ـ وذلك بعد سقوط القدس مباشرة. وكان قيام هذه الحارات وتنظيمها معجزة لم يشهد لها التاريخ مثيلا . كان قيامها مبني على المعتقد الذي يجعل هدف الحياة هو الكمال الروحي، ولما كانت الروح تحتاج الى جسم يكون اداة لخدمة هذه الغاية ، توجب على الامة ان يكون فيها كيان موقت اصطناعي الى ان يقيض الله لها ايجاد ارض تنمو فيه روحها في كيان سياسي مستقل . وقد حقق الفريسيون ذلك بطريقة الاستيطان في مراكز صغيرة متفرقة مبنية جميعها على نمط واحد يعيش فيها كل اليهود على نمط حياة واحدة ويكونون متحدين جميعا بالرغم من تفرقهم الجغرافي مؤمنين بانهم جميعا ينتمون الى اصل واحد ، ويعيشون لهدف واحد هو الاتحاد الكلي في المستقبل .

بدأ هذا النظام في وقت كانوا يتوقعون فيه بزوغ العصر الذي فيه يقوم المسيح المنتظر في اي لحظة وبذلك لا يطول هذا النظام . لكن نظام الجيتو هذا بقي مدة طويلة جدا وقد اصبح الآن في حالة فساد وتهلهل كلي.

---

٨ ـ يفنه = جاميه ، هي مدينة فلسطينية قديمة على البحر الابيض المتوسط اسس فيها الحاخام جوهانان ابن زكاي اكاديمية وذلك اثناء حصار الرومان للقدس .

وهنا عاد اليهود المتدينون الى احياء الزهد السياسي الذي كان ينادي به الاسيون . لقد رأوا شعبهم منفيا ومشتتا ، لا امل له في عودة دولته القديمة ، ورأوا ان نظام الجيتو الذي كان يمثل الى حد الكيان المادي للحياة القومية في طريقه الى الانهيار ، لذلك عمدوا في يأسهم هذا الى النظر الى الناحية الروحية وكأنها اهم ما في الحياة ، هي سبب الحياة ، بل هي الحياة كلها والجسد لم يعد في نظرهم خاضعا للروح بل اصبح عدو الروح الخطير يقيدها ويمنعها من دخول مملكته .

وبالطبع قامت امام هذا الاتجاه المتطرف ردة فعل تدعو الى التطرف المعاكس وانتشرت هناك فكرة السياسة المادية التي ترى ان الكيان المادي ـ الدولة اليهودية ـ هو كل شيء في الحياة اليهودية وهدف كل شيء فيها. ان هذه الافكار لم تتطور بعد لانها ما زالت في اولها ، ولكن اذا آمنا بالسير الطبيعي للتاريخ نستطيع ان نقول بان النظرتين لا تماشيان روح شعبنا ولا بد ان تختفيا يوما لمصلحة وجهة نظر تتصل جذورها بالفعل ، باليهودية : وهي وجهة نظر الانبياء في الدولة اليهودية الاولى ووجهة نظر الفريسيين في الدولة الثانية . فاذا كان هنا دولة يهودية ثالثة ، كما نأمل فيجب ان تقوم ، على الصعيدين القومي والفردي ، على مبدأ ان لا يتحكم الجسد بالروح ولا ان يقهر الجسد من اجل الروح ، انما على رفع الجسد بواسطة الروح .

القومية والدين (١٩١٠)

بادن ـ بادن ، ١٨ ايلول (سبتمبر) ١٩١٠

الى الدكتور ج.ل. ماجنس (٩) (نيويورك)

... تقول ان هدف جمعيتك هو « تأسيس كنس دينية ومراكز دراسة» . لا ادري اذا كنت تعتقد بان الكنيس ومركز الدراسة شيئان مختلفان تماما وانك تعني بأنه يجب تأسيسهما منفصلين . اذا كان هذا ما تريده بالفعل فانا لا اظن بأنك ستحقق هدفك . ذلك اننا نعرف من الخبرة وخاصة في اميركه بان الكنيس وحده كبيت للصلاة فقط لا يستطيع تخليص اليهودية التي لا تعتمد على الصلاة مثل سائر الاديان . كما انه لا يمكن اعتبار مركز الدراسة بحد ذاته الذي هو فقط للشباب الباحثين عن المعرفة مكانا للتثقيف **الشعبي** ، لذلك يجب علينا الرجوع الى الطريقة

٩ ـ انظر حياة ماجنس في مقدمة مقالته في هذا الكتاب .

التي استعملها اسلافنا في الايام الغابرة والتي ندين لها ببقائنا ، وهي ان نحول الكنيس نفسه الى مركز دراسة على ان يكون التركيز الاول فيه على التعاليم اليهودية وان يأتي الاهتمام بالصلاة في الدرجة الثانية . اختصر الصلوات كما تريد ولكن اجعل كنيسك منهلا للمعرفة اليهودية يأخذها فيه الصغار والكبار ، المثقفون والعاديون على حد سواء . يجب ان تقوم عظات ايام السبت والاعياد على تعليم التوراة لا على قراءة المقاطع الدينية فقط . لكن العظات التعليمية لا تكفي وحدها يجب ان يكون الكنيس مركزا يأتي اليه كل من يريد المعرفة كل يوم . كذلك يجب تنظيم « قراءات » كل ليلة للمثقفين تتناول موضوعات يهودية مختلفة تعد للفئات المثقفة تثقيفا عاليا ولتلك التي ثقافتها من مستوى اقل ، كل منها على حدة . هذا ما كان يقوم به احد اجدادنا وما كانوا يجنون منه نتائج حسنة . نعم لا بد من تطوير روح التعليم ، ولكن الاسلوب يبقى ، لان ليس افضل منه . كانوا في الايام القديمة يقرأون من «عين يعقوب» (١٠) مع تعليقات «راشي» (١١) او من «منارة هماور» (١٢) للبسطاء من الناس ، ويقرأون التوراة للمتقدمين منهم في العلوم . اما في ايامنا هذه فيجب ان ندخل التعديلات لكي تصبح القراءات ملاءمة لمطالب الحياة المتقدمة . ولكن المهم ان نتعلم ، العلم ، ودائما العلم ، هو سر البقاء اليهودي .

ومن ثم تقول بانك تريد « بعث الدين القومي والقومية المتدينة » . هنا يجب ان اعترف بان هذه المعادلة غير واضحة بالنسبة لي . المطالبة « بدين قومي » ـ بكل تأكيد : فالدين اليهودي يقوم على القومية ، يدل على هذا ان جميع الجهود التي قام بها المصلحون لفصل الدين اليهودي

---

١٠ ـ **عين يعقوب (بير يعقوب)** ، من افضل ما كتب عن التلمود ، وهو مجموعة من المقطوعات الاخلاقية ، التاريخية ، الشعبية مأخوذة من التلمود . وقد جمعت في اواخر القرن الخامس عشر ، جمعها احد المهاجرين من اسبانيه وهو الحاخام يعقوب ابن سليمان ابن حبيب .

١١ ـ « راشي » هو اختصار لاسم الحاخام سليمان ابن اسحق (١٠٤٠ ـ ١١٠٥) ، من راينلاد ، وهو الذي وضع شروحا كلاسيكية لكل من التوراة والتلمود .

١٢ ـ **منارة هماور (منارة النور)** ، كتبها اسحق ابواب، الذي عاش في اسبانيه في القرن الخامس عشر ، كان المقصود منها ان تكون مرجعا اخلاقيا .

عن اطاره القومي لم تؤد الا الى هدم الدين والقومية معا ، ومن اراد ان يبني لا يعمل شيئا يؤدي الى الهدم ، لذلك وجب تعليم الدين على اسس قومية لان الدين والقومية متداخلان ولا يمكن فصلهما . لكن عندما تتكلم عن « القومية المتدينة » لا افهم ما تعني (الا اذا كنت تقول الشيء ذاته بطريقة مختلفة) . اما ان تكون تريد بذلك ان تخرج من صفوف القوميين كل اولئك الذين لا يؤمنون بمبادىء الدين ، فأنا هنا اخالفك اذا كان بالفعل قصدك هذا . انا اؤمن بان ديننا قومي ، اي انه ناجم عن روحنا القومية ـ انما عكس هذا ليس صحيحا . لذلك انه بينما لا يمكن ابدا ان يكون الانسان يهوديا بالمعنى الديني للكلمة بدون ان يؤمن بقوميتنا ، من الممكن ان يكون الانسان يهوديا بالمعنى القومي دون ان يكون مؤمنا بجميع ما يتطلبه الدين .

الدولة اليهودية والمسالة اليهودية (١٨٩٧)

لقد مرت عدة شهور على المؤتمر الصهيوني وما زال صداه يتردد في الحياة اليومية وفي الصحافة . وها هي الاجتماعات تعقد على جميع انواعها ـ الصغيرة والكبيرة ، المحلية وغير المحلية ، يعقدها الوفود الذين عادوا الى بلادهم يخبرون الجمهور عما قاموا به في هذا المؤتمر وما انجزوا فيه من عجائب . ويستمع الجمهور المسكين المتعطش لمثل هذه الاخبار وينتشي بأمل قرب حلول الخلاص. انه لا يخطر ببال هؤلاء الذين حضروا المؤتمر بأنهم « هم » يهود الغرب يمكن ان يفشلوا فيما يقدموا من مشاريع. لقد وصل بهؤلاء القادة الحماس الى درجة انهم بعدما كانوا يعيشون ـ حتى آب (اغسطس) الماضي ـ من اجل العمل على استيطان فلسطين ، وكان مشروع التبرع بفلس من اجل العمل في **فلسطين** او من اجل **مدرسة يافا** (١٣) يساوي العالم بأسره ، اصبحوا اليوم لا يأبهون بهذا ويقولون : « ما فائدة مثل هذا العمل ؟ لقد قربت ايام مجيء المسيح المنتظر ونحن نتلهى بأمور تافهة . ان الوقت قد حان لانجاز اعمال عظيمة وها قد بدأ رجال عظام ، رجال من الغرب يسيرون للعمل من اجل القضية » .

---

١٣ ـ هي مدرسة زراعية لتدريب اليهود على العمل في ارض فلسطين، تأسست سنة ١٨٧٠ على يد الاتحاد الاسرائيلي العام اليهودي ـ الافرنسي France-Jewish Alliance Israelite Universelle قرب يافا ، وكان اسمها مكفه اسرائيل .

لقد قاموا بثورة في عالمهم ، تجلت بعض مظاهرها في اعطاء الحركة اسما جديدا . ابطلوا التسمية « حب‌صهيون » واستعاضوا عنها بالاسم « الصهيونية » Zioniyuth بل لقد ذهب حب اضفاء الصبغة الغربية على الحركة ببعض المتطرفين منهم ، انهم اخـذوا يستعملون الاسم الاوروبي اللاتينـي Zionismus حتى لا يبقى هناك مجال للخطأ ابـدا . واعلنـوا للجميع بأنهم لا يتكلمون عن‌شيء قديم‌مثل‌حركة : « حب‌صهيون » انما عن حركة جديدة عصرية قادمة من الغرب ، مثل اسمها ، حيث الناس هناك لا يعرفون اللغة العبرية .

كان خطاب نوردو عن احوال اليهود العامة نوعا من المقدمة لاعمـال المؤتمر . لقد وصفت المشاكل الصعبة ، المادية والروحية التي يعاني منها اليهود في العالم باسره ، بكلمات قوية . قال ان مشاكل اليهود في البلاد الشرقية هي مادية ، اذ ان عليهم ان يكافحوا دون هوادة لاشباع‌الحاجات الحياتية الاساسية ـ لانه ، حتى‌كسرة الخبز ونسمة الهواء تكادان تكونان محرمتين عليهم لكونهم يهودا . اما في البلدان الغربية حيث تم تحريـر اليهود قانونيا فان احوالهم المادية لا بأس بها ، انما حالتهم الروحية هي في خطر . يحاولون الاستفادة من جميع صفوفهم القانونية لكنهـم لا يستطيعون . يتشوقون لان يعتبرهم الامميون جزءا من المجتمع مثلهم ، لكنهم ما يزالون مبعدين . يأملون من الناس المحبة والاخوة لكنهم يواجهون بالكراهية والحقد من كل الجهات . انهم يعرفون انهم ليسوا اقل فضلا وقدرة من جيرانهم ومع ذلك ينظر اليهم نظرة من هو ادنى مرتبة ويقال‌لهم انهم غير قادرين على الوصول الى مرتبة الآريين ، الى مـا هنـاك مـن معاملة سيئة .

اذن ما العمل ؟

لم يجب نوردو نفسه على هذا السؤال لان ذلك كان خارجا عن‌نطاق خطابه لكن المؤتمر كله كان الجواب ، اذ ان الغاية من المؤتمر كانت ما يلي : التخلص من مثل هذه المتاعب عن طريق تأسيس دولة يهودية .

مما لا شك فيه انه حتى لو تم تأسيس الدولة اليهـودية ، فـان الاستيطان اليهودي سيتقدم ببطء لانه سيسير بحسب طاقات الشعـب نفسه وبحسب النمو الاقتصادي للبلد . على ان عدد اليهود سيظل في‌كل من فلسطين التي يستوطنون فيها وفي ارض الشتات في ازدياد طبيعي مما سيؤدي الى النتيجة التالية : تصبح فلسطين من جهة اصغر من ان

تستطيع استيعاب مهاجرين جدد ، ومن جهة اخرى ، وبالرغم من استمرار الهجرة لا ينقص عدد اليهود الذين يبقون خارج فلسطين . ولقد تعرّض هرتزل في خطابه الافتتاحي في المؤتمر الى هذا الامر ، منوها بأفضلية فكرة الدولة على فكرة الاستيطان الفلسطيني ، قال : انه بواسطة طريقة الاستيطان في فلسطين سيأخذ اليهود نحوا من تسعمئة سنة حتى يتمكنوا جميعهم من الاستيطان في البلاد . ولقد صفق الحضور معجبين بهذه الحجة . ولكن هذا النصر كان نصرا رخيصا اذ ان الدولة اليهودية، لن تستطيع مهما فعلت ان تصل الى ما هو افضل من هذه النتيجة .

الحقيقة قاسية ولكن قسوتها افضل من التضليل. أيجب ان نعترف ان « تجميع المنفيين » بطريقة طبيعية امر غير معقول . ربما استطعنا وبطرق طبيعية ان نؤسس يوما دولة يهودية، وقد يتكاثر اليهود ويزدادون داخل هذه الدولة اليهودية الى « ان تمتلىء الارض » بهم لكن حتى في مثل هذا الوقت سيبقى القسم الاكبر من شعبنا متفرقا في بلاد اجنبية. ان « جمع شمل المتفرقين من اطراف الارض الاربعة » (كما يقول كتاب الصلاة) شيء مستحيل ، لا يستطيع الا الذين ، الذي يعلّم بالايمان بخلاص يأتي بواسطة معجزة ، ان يعد بتحقيق مثل هذا الامر .

لكن اذا كان الامر كذلك ، اذا كانت الدولة اليهودية لا تعني « جمع شمل المنفيين » انما فقط توطين قسم من شعبنا في فلسطين ، فكيف يؤدي هذا الى حل المشكلة المادية لجماهير اليهود في ارض الشتات ؟

لن تنتهي المشكلة المادية ببناء الدولة اليهودية . وان حل مثل هذه المشكلة حلا كليا ليس باستطاعتنا (هناك حتى الآن وسائل مختلفة تحت تصرفنا لان نخفف من هذه المشكلة ، مثلا بزيادة عدد المزارعين واصحاب المهن اليدوية بين شعبنا في مختلف البلدان وغير ذلك) . على ان المشاكل المادية اليهودية ستعتمد ، سواء اسسنا دولة يهودية او لم نؤسس ، ستعتمد في الاساس على الحالة الاقتصادية والمستوى الثقافي للامم المختلفة التي يتفرق بينها شعبنا .

لذلك فنحن مدفوعون للاستنتاج بان الاسس الحقيقية للصهيونية يجب ان تكون في مشكلة غير هذه هي المشكلة الروحية .

لكن المشكلة الروحية تتخذ شكلين مختلفين ، واحد في الشرق والآخر في الغرب، وهذا هو اساس الفرق بين «الصهيونية» الغربية و«حب صهيون» الشرقي. لقد كان اهتمام نوردو بالشكل الغربي للمشكلة فقط، لانه

على ما يبدو لا يعرف شيئا عن شكلها الشرقي ، والمؤتمر ككل ركز على الامر الاول ولم يلق اي اهتمام للثاني .

ان اليهودي الغربي الذي خرج من عزلته « الجيتو » تأمل ان يلقى ترحيبا وقبولا في المجتمع الذي يعيش فيه لكنه اصيب بخيبة امل هنا فاضطر ان يعود الى مجتمعه اليهودي لعله يجد فيه ما كانت تصبو اليه نفسه . غير ان آفاق الحياة اليهودية ومجتمعها لم تعد ترضيه لانه كان قد تعود على مجالات من الحياة السياسية والاجتماعية اوسع . كذلك لم يكن العمل في المجالات الثقافية من هذه الحياة يستهويه لانها لم تكن جزءا من تعليمه الاساسي ولهذا فانه وفي غمرة قلقه هذا يتحول بنظره الى ارض اجداده فيتصور بان الحل لا يكون الا بتأسيس دولة يهودية ومجتمع منظم مثل الدول الاخرى ، فيها يستطيع ان يعيش حياة كاملةمع شعبه ويستطيع تحقيق كل ما يريده لنفسه من اشياء يراها الآن امامه ولا يستطيع الوصول اليها ويعيش حياة كاملة مع شعبه. طبعا لن يستطيع جميع اليهود الذهاب الى تلك الدولة ، انما مجرد وجود دولة يهودية سيرفع من مكانة اليهود في البلاد التي يعيشون فيها ، فلا يعود ينظر اليهم نظرة الاحتقار ويبعدون عن كل شيء وكأنهم عبيد يعتمد وجودهم على استضافة اهل البلاد لهم . وهو حتى قبل ان يتحقق له هذا الامل يحلم به ويريحه مجرد التفكير بتأسيس دولة ويشغل عواطفه وتفكيره كما تنسج النشوة السياسية امامه مجال العمل الجماعي وتجد عواطفه منطلقا لها في مجال نشاط لا يخضع فيه لغير اليهود ، ويشعر بفضل هذا الهدف بانه يستعيد ثانية كرامته الشخصية والروحية بدون الكثير من الصعوبات وبفضل جهوده الخاصة . وهكذا ينغمس بكل وجدانه في هذا التفكير ويطلق لخياله العنان الى ان يصل به الى اكثر ما تستطيع القوة البشرية عمله . انه في الحقيقة ليس بحاجة الى تحقيق الهدف بقدر ما هو بحاجة الى شيء شاغل يشفيه من مرض نفسي هو الشعور بالضعة . وكل ما كان الهدف الذي يرنو اليه اكبر وابعد كلما زاد هذا الهدف من رفع معنوياته .

هذا هو اساس الصهيونية الاوروبية وسر جاذبيتها . ولكن حركة « حب صهيون » نشأت ونمت في ظروف مختلفة . انها مثل تلك حركة سياسية ، ولكن كونها نشأت بسبب احتياجات وشرور مادية ، لم تكن لتكتفي « بنشاط » يعتمد على تدفق المشاعر والكلام اللطيف مما قد يشبع القلب ولا يشبع المعدة . اخذت حركة « حب صهيون » تعبّر عن نفسها

بنشاطات ملموسة ـ وذلك بتأسيس المستعمرات في فلسطين . على ان هذا العمل الواقعي ما لبث ان تبين مدى تعلقه بأجنحة الوهم ، فقد ظهر جليا ان حركة « حب صهيون » لم تبعد البؤس عن اليهود ولو قيد انملة. كان من المنتظر بعد اتضاح هذه الحقيقة ان يتخلى « محبو صهيون » (١٤) عن نشاطهم الذي لم يحقق لهم ايا من اهدافهم ، لكنهم مع هـذا الفشل بقوا متمسكين بمبداهم وظلوا يعملون بالحماس القديم نفسه، مع ان اكثرهم لم يعرفوا لماذا هم بالضبط مستمرون في عملهم . كان استمرارهم نتيجة شعور فطري بوجوب الاستمرار في العمل ، لكن لما كانوا لا يفهمون طبيعة الشعور هذا جاءت كثير من الاعمال التي قاموا بهـا غير هادفة بالضبط للغاية التي كانوا يؤمنون بها .

وفي الوقت الذي كانت المأساة المادية في اوجها في الشرق ، كان اليهود الشرقيون يشعرون بمأساة ثانية ، هي المأساة الروحية . ذلك انه عندما بدات حركة « محبي صهيون » تعمل من اجل حل المشكلة المادية ، كانت مشاعر الناس القومية تهدف الى وتأمـل في الوصول الـى حـل لمشاكلهم الروحية ايضا ، وتعلق الناس بهذا الهدف الاخير ولم يتخلوا عنه حتى عندما وجدوا بأن جهودهم لم تصل بهم الى تخفيف البؤس والمتاعب المادية عن الشعب اليهودي .

ان الشكل الذي اتخذته المشكلة الروحية في الغـرب كان مخالفـا لذلك الذي كان في الشرق . المشكلة في الغرب هي مشكلة اليهود ، بينما هي في الشرق **مشكلة اليهودية** . الاولى تضع كل اهتمامها بالفرد بينمـا الثانية تهتم بالامة . يشعر بالمشكلة الاولى هؤلاء اليهود الذين تثقفوا ثقافة اوروبية بينما يشعر بالثانية اليهود الذين كانت ثقافتهم يهودية . نشأت الاولى بسبب اللاسامية وهي تعتمد على اللاسامية في وجودها بينما تقوم الثانية على كونها نتيجة طبيعية للاتصال بحضارة عمرها آلاف السنين ، هي مشكلة ستظل باقية حتى لو حقق اليهود استقرارا اقتصاديا عاليـا واصبحت علاقاتهم مع جيرانهم علاقـة جيدة وحصلـوا على حقوقهـم الاجتماعية والسياسية كاملة .

لم يقتصر الخروج من الحارات الانعزالية على اليهود فقط بل لقد خرجت اليهودية ايضا عن انعزالها . لقد كان خروج اليهود من حاراتهم الانعزالية مقتصرا على بعض البلدان وناجم عن حركة التسامح الدينـي

١٤ ـ «محبو صهيون» = هم اعضاء حركة «حب صهيون» ، هامش ٤ .

لبعض الدول التي كان يعيش بينها اليهود . اما اليهودية فقد انفتحت (او هي تنفتح على العالم) من تلقاء نفسها وحيثما كان لها اتصال بالحضارة الجديدة ، ولم تعد اليهودية قادرة على البقاء منعزلة تعيش حياة مختلفة . لقد اصبحت روح شعبنا تطلب تطورا اكثر ، تريد ان تأخذ ما تستطيع من امور الحضارة العامة التي تصلها من العالم الخارجي وتهضمه لتجعله جزءا منها ، مثلما فعلت في كثير من عصورها السابقة . ولكن حياتها في المنفى غير صالحة لهذا التطور. تتميز الحضارة فيعصرنا الحاضر بالروح القومية ، والغريب الذي يريد ان يندمج في مثل هذه الحضارة ويصبح جزءا منها عليه ان يطمس شخصيته وينغمس في التيار الغالب . لذلك فان اليهودية لا تستطيع ان تكوّن لها شخصية مختصة بها وهي في المنفى ، لانها ما ان تترك سور انعزاليتها حتى تتعرضالى خسارة كيانها الاصلي ــ او على الاقل ــ وحدتها القومية ، وتصبح في خطر انقسامها الى اكثر من نوع واحد من اليهودية ، يختلف كل نوع منها باختلاف بلدان الشتات .

لذا فان اليهودية في مازق . انها لا تستطيع ان تتحمل اكثر حياة « الجالوت » (١٥) الذي تحملته لانها كانت تريد ان تعيش بعد ان نفيت من بلدها . . وهي بدون هذا النوع من الحياة معرضة للخطر ، ولذلك هي تسعى لان ترجع الى مكانها التاريخي حيث تستطيع ان تعيش حياة متطورة تطورا طبيعيا ، وتستخدم قواها في حقول الحضارة الانسانية جميعها ، وتوسع وتحسن جميع مجالاتها القومية التي توصلت اليها حتى الآن وبهذا تستطيع ان تسهم في التراث الانساني في المستقبل كما فعلت في الماضي وتقدم له ثقافة قومية عظيمة تكون حصيلة كفاح مستمر يعيش على روحانيته . لهذا تستطيع اليهودية في الوقت الحاضر ان تكتفي بالقليل . انها لا تحتاج الى دولة مستقلة ، بل يكفيها الآن ان يتوفر لها في ارض امتها كيان تستطيع فيه ان تنمو : قطعة ارض يستطيع اليهود ان يستوطنوا فيها ويعملوا فيها في شتى فروع المدنية، من الاعمال الزراعية والمهن اليدوية الى العلوم الطبيعية والعلوم الادبية . هذا الموطن لليهود الذي ينمو تدريجيا سيصبح مع مرور الزمن مركزا للامة تستطيع فيه روحها ان تظهر وتتطور الى اعلى درجات الكمال التي هي في مستطاعتها . ومن هذا المركز ستشع روح اليهودية الى انحاء العالم وفي

١٥ ــ جالوت = المنفى ، اي عيش اليهود مشتتين في بلدان مختلفة بين الاكثريات من الاغيار .

مجتمعات الشتات، باعثة فيهم حياة جديدة وعاملة على جمع شمل شعبنا. واذا ما حصلت ثقافتنا القومية في فلسطين الى هذا المستوى فسوف تكون على يقين بانها ستبعث على قيام رجال في ارض اسرائيل نفسها ، يستطيعون متى حان الوقت ، ان يؤسسوا دولة هناك . دولة لا تكون فقط دولة من اليهود بل دولة يهودية .

ان اهتمام حركة « حب صهيون » بالحفاظ على اليهودية في وقت يتألم فيه اليهود كثيرا ، تبدو غريبة غير مفهومة بالنسبة للصهيونيين « السياسيين » في الغرب ، تماما كما كان طلب جوهانان ابن زكاي لـ « يفنه » غريبا وغير واضح بالنسبة لجماعة عصره لذلك فان «الصهيونية السياسية » لا ترضي اليهود الذين يهتمون باليهودية ، لان نموها يبدو لهم محفوفا بالمخاطر التي تتعرض لها اهدافهم .

ان سر بقاء شعبنا ـ كما حاولت ان ابيّن سابقا ـ هو في ما علمه الانبياء في اقدم العصور : ان يحترم قوة الروح فقط وان لا يعبد قوة المادة . من هنا ظل اليهود ، على خلاف سائر الامم القديمة ، يحترمون انفسهم في وجه الاعداء الاقوى منهم . فاذا بقينا مخلصين لهذا المبدأ ظل بقاؤنا مرتكزا على اسس متينة ، ولن نخسر احترام انفسنا لاننا لسنا روحيا اقل شأنا من الامم الاخرى . ان اي هدف سياسي لا يعتمد على ثقافتنا القومية قادر على اغرائنا وتحويلنا عن اخلاصنا لروحنا الاصلية ودفعنا الى ان نسعى وراء القوة المادية والسلطة السياسية للوصول الى المجد وبهذا نقطع كل ما يصلنا بالماضي ويربطنا بأسسنا التاريخية . وغني عن القول بأننا لم نحقق الهدف السياسي فنصاب بخيبة امل تؤدي بنا الى نتائج وخيمة سنضيع القيم القديمة دون ان نجد لنا قيما جديدة . كذلك ستظل اليهودية في خطر ، حتى لو حققنا هذا الهدف السياسي في هذا الوقت الذي ما نزال فيه مشتتين ليس فقط ماديا وانما روحيا ايضا. ان معظم رجالنا العظام ـ هؤلاء الذين يؤهلهم علمهم ومركزهم الاجتماعي لان يترأسوا الدولة اليهودية ـ هم بعيدون جدا عن اليهودية روحيا وليس لديهم المفهوم الصحيح لطبيعتها وقيمتها . ومهما بلغ اخلاص هؤلاء القادة لدولتهم ومصالحها فان مقياس هذه المصالح سيكون وفقا للحضارات الاجنبية لانهم هم انفسهم اقتبسوها وسوف يحاولون بالاقناع او بالقوة ان يثبتوا تلك الحضارات في الدولة اليهودية ، ما سيحولها في النهاية من دولة يهودية الى دولة المان او فرنسيين من شعب يهودي . ولدينا الآن مثال من هذا في فلسطين .

يعلمنا التاريخ انه في ايام حكم بيت هيرودس كانت فلسطين بالفعل دولة يهودية ولكن الثقافة القومية كانت محتقرة ومضطهدة . عمل البيت الحاكم كل ما في وسعه لادخال الحضارة الرومانية الى البلاد وحطم كل معالم الدولة ببناء معابد وثنية ومدارج وغيرها . ان دولة يهودية مثل تلك لا بد وان تجر التحقير والدمار على شعبنا . لا يمكن لمثل هذه الدولة ان تحقق قوة سياسية تستحق الاحترام ، وستكون مثل هذه الدولة غريبة عن القوة الروحية الحية لليهودية . لن تكون هذه الدويلة، التي « يتقاذفها جيرانها الاقوياء كالكرة في ايديهم، وتعتمد في بقائها على تقلباتها السياسية وخضوعها لكل من هو اقوى منها» ، لن تكون قادرة ان تعطي اليهود الشعور بالعزة القومية . لن تكون الثقافة القومية التي بواسطتها نستطيع ان نصل الى عزتنا القومية اساسا لمثل هذه الدولة . لذلك يجب ان نكون اكثر مما نحن عليه اليوم ــ « امة صغيرة تافهة» يستعبد روحها الاقوياء المحظوظون نطل على قوة جيراننا المسلحة بعين الحذر والحسد . ان وجودنا في دولة مثل هذه لا يزيد فصلا الى امجاد تاريخنا القومي .

اليس من الافضل لامة مثل امتنا كانت يوما قبلة انظار العالم ان تتلاشى من ان تصل نهاية مثل هذه النهاية ؟ ان السيد ليلينبلوم (١٦) ينبهني الى ان هناك دولا صغيرة مثل سويسره هي في حماية من تدخل الدول الاخرى لا تضطر للخضوع لغيرها . ولكن تشبيها بين فلسطين وبلدان صغيرة مثل سويسره لا يأخذ بعين الاعتبار الموقع الجغرافي لفلسطين واهميتها الدينية بالنسبة للعالم كله . ذلك ان هذين الاعتبارين يجعلان من فلسطين محطا لانظار جيرانها الاقوياء (وانا هنا لا اعني بهم كما يفهم السيد ليلينبلوم « الدروز والايرانيين ») . وحتى بعدما تصبح دولة يهودية ستظل اعين الجميع عليها ، وستحاول كل قوة ان تحوّل سياستها الى ما هو في صالحها كما هي الحال الآن في الدول الضعيفة الاخرى (مثل تركيه) التي تهتم بها الامم الاوروبية القوية .

وباختصار : ان حركة « حب صهيون » تريد دولة يهودية بالدرجة التي تريدها « الصهيونية » وتؤمن بامكان تأسيس دولة يهودية في المستقبل . لكن بينما تنظر الصهيونية الى الدولة اليهودية كوسيلة للخلاص من الفقر وتحقيق الراحة والمجد ، تؤمن حركة « حب صهيون » بان هذه الامور لا يمكن ان تحققها الدولة حتى «يتحقق الخير والعدل ويعمّ

---

١٦ ــ انظر المقال الثاني ، « مستقبل شعبنا » الذي كتبه ليلينبلوم .

الامم والدول جميعا » ـ انها تعتبر الدولةاليهودية « ملجأ امينا » لليهودية ورباطا ثقافيا يوحّد امتنا . تبدأ « الصهيونية» عملها بالدعاية السياسية، ولكن حركة « حب صهيون » تبدأ بالثقافة القومية ، لانه فقط بواسطة الثقافة القومية ومن اجل هذه الثقافة يمكن تأسيس دولة يهودية تتمشى مع ارادة الشعب اليهودي وتسدد له حاجاته .

الموقف السلبي تجاه الشتات (١٩٠٩)

« الموقف السلبي تجاه الشتات » هو تعبير كثيرا ما يسمع في المناقشات التي تدور بين الصهيونيين ، الذين يتطلعون الى ما وراء الشتات لحل مشكلتنا القومية ، وبينالقوميين، الذين لا يفعلون ذلك، وان الفريق الاخير قدْ اصبح يعتبر ان من المسلم به ان يكون الموقف موضوع البحث يستند الى اي شخص يتبنّى مبدأهم الذي هو « الحكم الذاتي » (Autonomist) . وعلى اي حال ، فان هذا التعبير ليس في الحقيقة واضحا كما يجب ان يكون .

ان اي موقف يمكن ان يكون سلبيا اما من الناحية الذاتية واما من الناحية الموضوعية ، فاذا ما عبرنا عن قبولنا او رفضنا لهذا الشيء او ذاك ، فان كرهنا لشيء يكون حكما ذاتيا (Subjective) فهو لا يتعلق بالشيء نفسه بل برد فعلنا تجاهه فقط ، ولكن اذا ما قلنا بان ليس هناك احتمال بان يوجد هذا الشيء او ذاك ، فان موقفنا السلبي يكون موضوعيا (Objective) ، فهو ينجم عن تمحيص للحقائق الموضوعية دون اية اشارة لاي ميل او استحسان مسبق .

اما من الناحية الذاتية ، فان جميع اليهود يتبنون موقفا سلبيا من الشتات ، فجميعهم باستثناء القلة ، يقولون بان وضع الحمل بين الذئاب لا يمكن القبول به ، ولذلك فجميعهم يتمنون ان ينتهي هذا الوضع ان كان ذلك ممكنا . ان اولئك الذين يعتبرون ان شتاتنا ليس سوى بركة مرسلة من السماء هم ، بكل بساطة ، متفائلون ضعفاء تنقصهم شجاعة التطلع الى الاشياء السيئة وجها لوجه ، فهم يرون انه من الضروري ان يضحكوا في وجه هذه الاشياء ويعتبروها خيرة ما داموا لا يستطيعون القضاء عليها، ولكن اذا ما ظهر المسيح المنتظر ـ الحقيقي ـ اليوم او غدا ليقودنا خارج منفانا ، فسوف يسير هؤلاء المتفائلون ضمن الحشد من اتباعه دون اي تردد .

لذلك والحالة هذه ، فان « الموقف السلبي تجاه الشتات » والذي اصبح مثارا للجدل يجب ان يكون سلبيا من الناحية الموضوعية . ان تبني موقفا سلبيا تجاه الشتات يعني ، بالنسبة لهدفنا الحاضر ، ان نؤمن بان اليهود لا يمكن ان يعيشوا كشعب بعد ان انتهت عزلتنا الروحية الان وذلك لانه لم تعد لدينا اية مقاومة امام خضم الثقافات الاجنبية التي تهدد بمحو صفاتنا وتقاليدنا القومية وبذلك تضع حدا لوجودنا كشعب بشكل تدريجي .

صحيح ان هناك بعض اليهود الذين يؤمنون بهذا الراي ، ولكن ليس لهم جميعا طريقة التفكير ذاتها ، فهم في الواقع يقسمون الى فريقين لهما من الافتراض المشترك نفسه نتائج متعاكسة تماما . اما الفريق الاول فيقول : بما ان مصيرنا هو الفناء ، فمن الافضل لنا ان نسرع بعملنا نحن الى هذه النهاية من ان نجلس وننتظر هذا المصير ان يأتي بنفسه بعد معاناة طويلة ومميتة . اذا ما استطاع اي يهودي ان يتخلص من يهوديته هنا عن طريق الاندماج ، فليفعل ذلك والتوفيق حليفه ، واذا لم يقدر على ذلك ، عليه ان يحاول ان يجعل ذلك ممكنا بالنسبة لابنائه . واما الفريق الاخر فيقول : بما اننا مهددون بالفناء، فيجب ان نضع حدا لشتاتنا قبل ان يضع هو حدا لوجودنا نحن ، علينا ان نؤمن مستقبلنا بتجميع ابناء جنسنا المبعثرين وذلك في ارضنا التاريخية (او في اية بلاد اخرى ، كما يحب البعض ان يضيف) حيث سنتمكن من العيش وحدنا كشعب . ان اي يهودي يريد ويتمكن من التخلص من يهوديته عن طريق الاندماج عليه ان يبقى حيث هو ، واما اولئك الذين لا يريدون او لا يستطيعون ذلك فعليهم ان يحملوا انفسهم الى الدولة اليهودية .

ولكن ، وحتى الان ، يبقى الفريقان مجرد فريقين ، ولم ينجح ايهما في اقناع الشعب اليهودي ككل ان يقبل مبداه الاساسي مع اي من السياسات الناجمة عن ذلك . ان كلا منهما قد وقع في تناقض مع شيء عنيد وعميق الجذور ، الا وهو رغبة الشعب اليهودي الغريزية التي لا تقهر ، في البقاء ، ان هذه الرغبة في البقاء ، او هذه الارادة للحياة ، ستجعل من المستحيل ان يفكر الشعب اليهودي باختفاء حالة الشتات اذا ما تضمن ذلك اختفاءه هو ، كذلك فالقضية لن تكون افضل من ذلك اذا ما كان النقاش يعتبر ان الشتات يجب ان يزول لكي يحيا الشعب . الحياة لا يمكن ان تعتمد على شرط معين لان مثل ذلك الشرط يمكن ان لا يتحقق. ان الشعب اليهودي يشعر بان لديه الارادة والقوة ان يحيا بصرف النظر

عما يمكن ان يحدث وبدون استثناءات وايضاحات . انهم لا يستطيعون التسليم بنظرية تجعل حياتهم مشروطة بتوقف تشتتهم ، لان مثل هذه النظرية تتضمن بأن فشلهم في انهاء تشتتهم سوف يعني فناءهم ، وان الفناء هو بديل لا يمكن تصوره في اي ظرف كان .

واذن باستثناء هذين الفريقين المتطرفين ، فان اليهود سيظلون مخلصين للاعتقاد القديم ، ان موقفهم من الشتات سلبي ذاتيا وايجابي موضوعيا . ان الشتات شر كريه ، ولكننا نستطيع ويجب ان نحيا في الشتات بكل شروره وكراهته . ان النزوح من ارض الشتات سيكون دائما ، كما كان دائما ، مصدر وحي للمستقبل البعيد ، ولكن موعد تلك النهاية هو سر من اسرار قوة عليا لا يعتمد وجود شعبنا عليها .

لذلك ، فان هذا لا ينهي مسألة وجودنا في الشتات . بالعكس ، مثل هذا الموقف الايجابي من الشتات هو بالضبط الذي يجعل لهذا الموضوع اهميته . ان رجلا على باب الموت لا يقلق كثيرا على شؤونه خلال ايامه الاخيرة على الارض ، وان رجلا على اهبة الرحيل الى الخارج لا يهتم كثيرا بترتيب الغرفة التي سيتركها وقت رحيله . ولكن اذا ما كان اليهود يؤمنون بانهم يقدرون ان يعيشوا في المنفى وبان ذلك واجب عليهم ، فان السؤال الذي يأتي حالا هو : كيف سيتم ذلك ؟ ليس من الضروري وليس من الممكن بالنسبة لهم ان يحيوا تماما بالطريقة القديمة نفسها التي كانوا يحيونها . ان ارادة الحياة لا تقنعهم ان يؤمنوا بانه من الممكن لهم ان يحيوا في المنفى فحسب ، ولكنها تدفعهم ، من خلال الظروف المتغيرة للعهود المتتابعة ، لان يجدوا احسن وسيلة لحفظ وتنمية شخصيتهم القومية . وبالاضافة لذلك ، فان هذه الغريزة اليقظة تجعلهم دائما يتنبأون بما سوف يحدث في المستقبل . عندما حاصر تيطوس القدس كان المدافعون يوجدون لهم متراسا جديدا في المؤخرة قبل ان يسقط الذي في الامام ، وهكذا يجب ان تكون الحال بالنسبة لحياتنا القومية . فها ، نحن جميعا ، ما عدا الذين يغمضون عيونهم قصدا ، نرى المتراس القديم يتداعى امامنا ، افلا يتوجب علينا ان نطرح على انفسنا التساؤل التالي : اين هو المتراس الجديد الذي سيؤمن وجودنا كشعب في المنفى ؟

ان القوميين يجيبون على ذلك بقولهم : ان الحكم الذاتي القومي كفيل بذلك . وان ما يعنونه بذلك قد اصبح واضحا من خلال ما كتب حول هذا الموضوع، وليس هناك ضرورة للدخول بجميع تفاصيله هنا. ولكنني اعتقد ان

نقطة اساسية واحدة قد تركت غامضة ونتج عن ذلك بعض البلبلة الفكرية.

اذا ما كان علينا ان نقرر الى اية درجة يمكن ان يكون الحكم الذاتي حلا مرضيا لمشكلتنا ، يجب علينابادىء ذي بدء ان نحدد افق المشكلة نفسها . ومن خلال النقاش الحالي حول هذه المسألة ، تظهر مدرستان فكريتان مختلفتان . انه لشيء متفق عليه بين القوميين بانه يجب علينا ان نبحث عن وسيلة جديدة لحفظ حياتنا القومية الخاصة في الشتات . ولكننا اذا ما تفحصنا هذا الموقف عن كثب ، فاننا نجد انه بينما يتطلع بعضهم الى نموذج للحياة القومية يكون تاما وشاملا كما كانت حارات اليهود الانعزالية بالنسبة لاجدادنا ، نرى ان بعضهم مقتنعون في اعماق اعماقهم ان ذلك مجرد مثل اعلى مستحيل التحقيق . ان الفريق الاخير لا يطلب اكثر من امكانية تنمية حياتنا القومية للدرجة التي يمكن فيها تحقيق ذلك من الناحية العملية، والى الحدالادنى من التقطع والتقييد الذي لا يمكن تجنبهما . اذن ، عندما يقال لنا ان الحكم الذاتي هو الحل ، علينا ان نسأل سؤالا اضافيا هو لاية درجة يمكن ان يكون ذلك حلا ؟ هل يمكن اعتبار الحكم الذاتي القومي حلا نهائيا لمشكلتنا يبشر بحياة قومية تامة وكاملة لنا في الشتات ؟ او ان ذلك هو افضل ما يمكن ان تقدمه الظروف ، باعتبار ان الحياة القومية الكاملة في الشتات مستحيلة ما عدا في الحارة الانعزالية التي تخلينا عنها الان ؟

ان دعاة الحكم الذاتي لا يقدمون ردا على هذا التساؤل . والمستر دوبنوف (١٧) نفسه ، يظهر احيانا ، بانه يعتقد بان الحكم الذاتي هو الحل الكامل الذي يقدم توفيقا تاما ما بين العناصر « الانسانية » و « القومية » في حياتنا الجماعية ، وفي احيان اخرى ، يستعمل بعض التعابير الوصفية مثل : « ضمن حدود الامكان » و « الحد الذي يكون ممكنا فيه » . ولكنني

---

١٧ ــ الاشارة الى سيمون دوبنوف (١٨٦٠ ــ ١٩٤١) : المؤرخ اليهودي المشهور المعروف بكتابه « التاريخ العالمي للشعب اليهودي » الذي يقع في عشرة اجزاء ، وقد ظهر في الروسية والالمانية والاسبانية والعبرانية واليديشية ، لقد كان مؤسس المدرسة الفكرية التي تبحث هنا . ان بعض كتابات دوبنوف حول القومية اليهودية يمكن الحصول عليها بالانجليزية في كتاب كوبل بنسون (المحرر) : « القومية والتاريخ » ، فيلادلفيه ، ١٩٥٨ .

اعتقد بان شكوكنا سوف تزول اذا ما تذكرنا حقيقة ما تعنيه « الحياة القومية الكاملة » .

ان الحياة القومية الكاملة تتضمن شيئين اثنين : اولا : فسح المجال للقدرات المبدعة للامة من خلال ثقافة قومية خاصة بها ، ثانيا : نظام من التعليم يمكن من خلاله لجميع افراد الامة ان يتشربوا تلك الثقافة ، وينصهروا بها فيكون تأثيرها عليهم ظاهرا في حياتهم وافكارهم الفردية والاجتماعية. هذان الجانبان من الحياة القومية لا يمكن تحقيقهما بالدرجة نفسها دائما ، ولكنهما ، وبشكل عام ، يعتمدان على بعضهما بعضا . اذا لم يتشرب الافراد بالثقافة القومية ، فان نمو الامة سيتوقف وستواجه قدراتها المبدعة الضمور او التشتت . ومن ناحية اخرى ، اذا لم تستخدم هذه القدرات في خدمة تنمية الثقافة القومية بشكل كاف ، فان تربية الصغار والكبار ستصبح ضيقة وسيتضاءل تأثيرها تدريجيا ، وسوف يتجه افراد كثيرون الى مصادر اخرى يتمكنون فيها من اشباع رغباتهم الثقافية مما سيؤدي الى عدم وجود تأثير للامة على عقولهم وشخصياتهم.

وبالاضافة الى ذلك ، اذا ما ارادت امة ان تحيا حياة قومية كاملة ، توجب ان يكون لديها الفرصة والارادة لذلك . انها البيئة ـ المكونة من العناصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية ـ التي يمكن ان تخلق الفرصة والموقف البسيكولوجي الذي تنبع منه الارادة للاستفادة من هذه الفرصة . ان لهذا الموقف البسيكولوجي اهمية قصوى . عندما يقول المستر دوبنوف بان الحكم الذاتي سوف يحل مشكلتنا ، فقط اذا ما توفرت لدينا القوة للاستفادة من حقوقنا بشكل صحيح ، فانني لا اعتبره يعني بان علينا ، ككائنات حرة بالمعنى الميتافيزيقي للكلمة ، من ان نقرر ما اذا كان يجب ان نستخدم حقوقنا ام لا . ولكن الظروف الداخلية والخارجية، في حالتنا كما هي بالنسبة للجماعات القومية الاخرى، ستجعل الارادة للاستفادة من الفرص التي تنشأ تلقائيا .

ان خلاصة ما ذكر هو انه اذا اعتبرنا الحكم الذاتي القومي في الشتات هو الحل الكامل والمرضي لمشكلتنا ، فيجب ان يعد الحكم الذاتي باعادة الوضع الطبيعي للشعب اليهودي المبعثر . ان عليه ان يهيىء للشعب اليهودي الفرصة وقوة الارادة اللازمة لاستخدام قدراته المبدعة الى اقصى حد من اجل تنمية ثقافته القومية الخاصة . وليس ذلك فحسب ، بل

عليه ان يضمن امكانية تعليم جميع افراد الشعب ، من كل طبقة من طبقات المجتمع ، وذلك على اساس خطوط الثقافة القومية ، وذلك للتأكد من انهم اذا ما بلغوا سن النضوج سيجدون مدى واسعا من الاتجاهات الثقافية ضمن دائرة الحياة القومية ، وسيجدون كذلك افقا واسعا للنشاطات العملية ، وعندها سيشعرون بانه ليس لديهم الحاجة ولا الرغبة للتخلي عن مجالهم القومي هذا في سبيل مجال اخر .

والان يمكن ان يكون دعاة الحكم الذاتي من المدرسة اليديشية يعتقدون بان الحكم الذاتي يمكن ان يلبي هذه المتطلبات . فبالنسبة لهم ثقافتنا القومية تعني الادب اليدّيشي ، والتربية القوميّة تعني التحدث باليديشية ، وان المثل القومي الاعلى هو بلوغ مستوى امم مثل الليتوانيين (Letts) او السلاف الذين لم يقوموا باية مساهمة في الثقافة الانسانية بشكل عام . اذا ما كان « القوميون » من هذا الطراز ، يعتبرون بان الحكم الذاتي في الشتات هو حل كامل لمشكلتنا ، يمكننا الى حد ما ، ان نفهم وجهة نظرهم . ولكن الامر غير ذلك بالنسبة للقوميين ذوي النظرة التاريخية ـ والذين يريدون ان يكون مستقبل امتنا امتدادا لماضيها ، ويؤرخون بدء وجودنا القومي منذ خروجنا من مصر وليس منذ ولادة الرواية والمسرحية اليديشية . ان مثل هؤلاء القوميين لا يمكن ان يرضيهم مستقبل يعتبر عظمة ماضينا عارا ، ونتيجة لذلك يتوجب عليهم ان يروا ان الفسحة الضئيلة التي يمكن ان تكون كافية لامم البارحة الوليدة ، لا يمكن ان تكفي موطىء قدم للحياة الثقافية « للشعوب الخالدة » التي تملك تراثا عريقا من القيم الروحية ورصيدا من الطاقة المبدعة التي لا يمكن حصرها ضمن حدود ضيقة . انني اولي اهتمامي هنا لقوميين من هذا النوع لا يساهمون في الرأي الذي لا يمكن قبوله، وهو ان الحكم الذاتي كفيل بتحقيق المعجزات . وعلى اي حال ، الى ان يقدموا بيانا واضحا بانهم يساهمون في ذلك الرأي، فاني اعتقد بان تقديم المناقشات ضد هذا الرأي هو كدفع الباب المفتوح .

اذا ، يمكن ان نكون متأكدين من الناحية العملية ، بان دعاة الحكم الذاتي يسلمون بان الذاتية القومية في الشتات لا يمكن ان تعطينا امكانية ايجاد حياة قومية كاملة ، وان جهة نظرهم هي ، باننا اذا ما اردنا ان نحيا ، علينا ان نكافح من اجل حقوقنا في الشتات لكي نوسع اساس حياتنا القومية الى ابعد مدى ، وعلى اي حال ، فان من المتفق عليه ، باننا في احسن الاحوال لا نستطيع الحصول على جميع ما نحن بحاجة اليه ،

وان ثقافتنا وتربيتنا القومية يجب ان تبقيا مجزأتين ومشوهتين بسبب عدم ايجاد مجال لهما ضمن اطار الثقافات الغربية التي تحيط بنا من كل جانب .

اذا ما وضع مبدأ الحكم الذاتي بهذا الشكل المتواضع ، فانني اشك في ان يعارضه اي يهودي صادق ، فلا يوافق بان اعتبار توسيع حقوقنا القومية في الشتات شيء نتمناه ونعمل من اجله . ان اية معارضة له يجب ان تبنى على اساس انه مستحيل موضوعيا ، وان وضعنا بين الامم فريد من نوعه ، وبان بقية شعوب العالم لن تعترف بان لنا حقوقا في الاراضي التي تخص تلك الشعوب . صحيح ، ان دعاة الذاتية يقارنون وضعنا بوضع تلك الامم الصغيرة في روسيه والنمسه وغيرها التي حقق بعضها حكما ذاتيا ويطمح بعضها الاخر في تحقيق ذلك يوما ما . ولكن اية فائدة نجنيها في نسياننا الفرق بيننا وبين الشعوب الصغيرة الاخرى اذا لم ينس ذلك اولئك الذين يقع في ايديهم اتخاذ القرار ؟ ان كلا من تلك الشعوب الصغيرة قد عاش في ارضه القومية لاجيال وكان يتمتع باستقلاله يوما ما ، صحيح ان استقلاله قد انتهى منذ زمن ، ولكن السادة الجدد لا يتمكنون من انكار الحقوق التاريخية الاصلية للشعب، او اعتبار قوميته غريبة عن التربة ذاتها التي ولدت فيها . ذلك انه مع مرور الايام ، قد تمتد فروع الشجرة القومية الى الحقول المجاورة دون ان تفقد صلتها بالساق الام ، وتلك عملية تاريخية طبيعية وعادية . ولكننا نحن اليهود دخلنا اراضي المنفى كشعب غريب له ثقافته القومية التي ولدت وترعرعت في مكان آخر . ولقد عطفت علينا شعوب الارض ومنحتنا ملاجىء باعتبارنا شحاذين هائمين من بلاد بعيدة ، ولكن لم تكن في الماضي ولا توجد في الحاضر اية صلة بين الحياة التي وضعنا فيها والحياة اليهودية التي جلبناها معنا حين وصولنا . ولهذا السبب ليس من المحتمل ان يعترف العالم « بالحقوق التاريخية لشعب غريب في ان يحيا حياة قومية خاصة به في بلاد لم يشعر سنذ البدء (ولم يشعر اي فرد بذلك فيما بعد) انها تخصه . هذا والملكية ، ما هي سوى عرف ، وما دامت الملكية الفردية معترف بها ، فلا يمكن انكار الملكية القومية » .

وعلى اي حال ، فان هذا امر هامشي . لم يكن غرضي هو الوقوف ضد مبدأ الحكم الذاتي ولكن لشرح ما يتركه غامضا وايصاله الى نتيجته المنطقية . لذلك فانني اضع موضوع التطبيقية جانبا الآن . النقطة التي اريد ايضاحها هي : اذا كان دعاة الحكم الذاتي يؤمنون بان هذا الحكم

الذاتي في الشتات ليس حلا كاملا ، وبانه علينا ان نكافح في سبيله فقط على اساس ان نصف رغيف افضل من لا شيء ، اذن يجب عليهم ايضا ان يوافقوا بان علينا ان نبحث عن وسائل اكثر راديكالية لتقوية وتوسيع حياتنا القومية على اساس المبدأ ان رغيفا كاملا افضل من نصف رغيف . والجدير بالذكر ، ان الارادة للحياة لن تكتف بنصف رغيف ، اننا لن نرتاح حتى نضع كل قوانا الكامنة من اجل تحقيق جميع مطاليب هذه الارادة . ولكن اذا ما كان الامر كذلك ، فان دعاة الحكم الذاتي ، شأنهم شأن البقية منا ، عليهم ان يواجهوا السؤال الذي بدأنا به : اين هو المتراس الجديد الذي سيحفظ وجود شعبنا في المنفى بدلا من المتراس القديم الذي يتداعى امام اعيننا ؟

ان دعاة الحكم الذاتي يعرفون بانه منذ عشرين سنة ، اجابت على هذا السؤال احدى المدارس الصهيونية ، وقالت بان المتراس الجديد يجب ان يبنى خارج ارض الشتات ، اي في ارضنا التاريخية . هذه المدرسة الفكرية تختلف عن مدرسة الذين يزعمون انهم الصهيونيون « الحقيقيون » وهم الذين يرفضون الايمان بامكانية نقل جميع يهود العالم الى فلسطين ، ونتيجة لذلك ، يرفضون المبدأ القائل باننا لا يمكن ان نحيا في بلاد الشتات، بل بالعكس، انهم يؤمنون بان الشتات يجب ان يستمر كعنصر دائم في حياتنا ، والتخلص منه اقوى من ان نقدر عليه ، ولذلك فان هذه المدرسة تصر على ان حياتنا القومية في الشتات يجب ان تقوى . ولكنها تؤمن ايضا ، بانه يمكن تحقيق هذا الهدف فقط عن طريق ايجاد مركز ثابت لحياتنا القومية في الارض التي ولدت فيها هذه الحياة . ان مجموعات منفصلة من اليهود تهيم هنا وهناك في مختلف ارجاء العالم وسوف تبقى كتلة هلامية ما دام لا يوجد لها مركز واحد ثابت له قوة « الجذب » لها جميعا ، ويمكن تحويل الذرات المبعثرة الى كيان واحد له شخصيته المحددة ذات الاكتفاء الذاتي . ان هذا الجواب ، كما قلت ، قد قدم مرة بعد مرة خلال العشرين سنة الماضية ، وان وجهات النظر المؤيدة او المعارضة له قد بحثت تفصيليا لدرجة ان ليس هناك اية حاجة لتقديم شرح مستفيض . ولكن عندما يتناقش دعاة الحكم الذاتي مع الصهيونيين ، يظهر انهم لا يستطيعون سوى التفكير بنوع واحد من الصهيونية ـ ولكن ذلك النوع الذي يبني ايمانه على اساس نقل جميع اليهود الى فلسطين ، وبذلك فان هذا النوع يكون في نظرهم عرضة للاتهام بانه يتبنى المبدأ الخطير القائل باستحالة الحياة اليهودية في الشتات .

انهم يتجاهلون النوع الاخر من الصهيونية تجاهلا تاما ، ذلك النوع الذي لا يتعرض لمثل هذا الانتقاد ، وبذلك فانهم كما يظهر لي ، يسلمون الى حد ما ، بشعور في مؤخرة عقولهم بان مبداهم يؤدي بهم مباشرة الى احضان هذه الصيغة من الصهيونية ، لانهم اذا كانوا غير ذلك ، فانهم واقعون في ورطة . يجب عليهم اما ان يعدوا بان الذاتية في المنفى كفيلة بحل مشكلتنا كليا او ان ينكروا امكانية وجود اي حل كامل . ولكن البديل الاول ليس متوفرا لديهم لانهم لا يؤمنون بالمعجزات ، والثاني مستحيل كذلك لانه متشائم جدا ـ فهو يعني بان على شعبنا التعيس ان يتطلع الى مستقبل حافل بالالام التي لا تنتهي والتي لا امل في الشفاء منها . وهكذا فان دعاة الحكم الذاتي سيضطرون الى النظر للشرق وسيعيدون تشكيل برنامجهم ليضم الى جانب التحسين والتوسيع لحياتنا القومية في بلاد الشتات ، البحث عن حل متكامل خارج **ارض الشتات** التي هو فيها .

حاييم نخمن بيالك (١٨٧٣ ـ ١٩٣٤) Chaim Nachmann Bialik

شاعر عبري وصهيوني

مولود في زيتومير بمقاطعة فولهينيه الروسية وهو الابن الثامن والاصغر لابوين فقيرين . تعهد جدّه بتربيته بعد وفاة والده فاخضعه لتدين صارم وثقفه بالنصوص الدينية التقليدية ونمّى ذوقه للمطالعة . تعرّف على كتابات المتنورين اليهود وسرعان ما خرج على سلطة جدّه الدينية . درس في اكاديمية فولوزحين التلمودية وله من العمر ١٧ عاما وبقي هناك حوالي ١٨ شهرا . بدأ يمارس الكتابة وانضم الى احد منظمات الطلاب السرية التابعة لحركة « احباء صهيون » . غادر اليشيفا (اكاديمية التلمود) متجها الى اوديسه عام ١٨٩١ حيث تعرف على الزعماء الفكريين للاحياء القومي العبري وتقرّب كثيرا من حلقة احد هاعام . حظي بتشجيع كبير من احد هاعام الذي ساعده على نشر قصيدته الاولى وتوطدت اواصر صداقة وثيقة بينهما .

تزوج ابنة تاجر اخشاب واشتغل اربع سنوات في تجارة الاخشاب . كان يعتقد انه يملك موهبة خاصة في شؤون التجارة ، لكنه سرعان ما باء بالفشل في مشاريعه . التفت صوب التعليم فانتقل الى بلدة سوزنوفيشه في الاقاليم البولونية حيث درّس اللغة العبرية من ١٨٩٧ ـ ١٩٠٠ على غرار ما فعله كتّاب جيله آنذاك . ولم يتمكن هنا ايضا من الشعور بالسعادة. رجع الى اوديسه واقام فيها الى ما بعد وقوع الثورة البولشفية.

نشر اولى كتاباته عندما كان يعمل في التدريس بعنوان «الطالب الدائم» (ها ماتاميد) وعبّر فيه عن ثورته على البيئة التقليدية . وانتقد الحياة اليهودية بقسوة ومرارة في قصصه الاولى . كتب خلال اقامته في اوديسه « صحراء الموت » وثار فيه على الشتات اليهودي وحياة النفي . ساعد في تأسيس دار النشر العبرية « موریاه » في اوديسه وقام بنشاط بارز فيها عندما اغنى الادب العبري بعدد من الكتب القيّمة التي اصدرتها الدار.

احدثت قصيدته « في مدينة القتل » (١٩٠٣) ضجة في الاوساط الثقافية اليهودية فراح الشباب اليهودي يقوم بتنظيم حركة دفاع عن النفس اثر مذابح كيشينيف وخلالها. ترأس تحرير القسم الادبي في مجلة « هاشيلوح » (١٩٠٤ ـ ١٩٠٩) التي كان يصدرها احد هاعام عن جمعية «احياصاف» للنشر واشتهرت بهجومها العنيف على صهيونية هرتزل السياسية .

حاول في قصيدته « البركة » ان يقارن عالم الجمال الطبيعي بعواصف الواقع وتقلباته . وعبّر في قصيدة « رقعة النار » عما اسماه بالمشكلة اليهودية الروحية من خلال خلفية الثورة الروسية عام ١٩٠٥ . احب الماضي اليهودي حبا رومنطيقيا وسعى

للحفاظ علىكنوز التراثالعبري الكلاسيكي لكي يضعها فيخدمة الاحياء القومي الصهيوني.

زار فلسطين عام ١٩٠٩ وشرع يكتب الاغاني الفولكلورية ويعمل على تاليف سيرة حياته (صانياه ـ « نمو لاحق ») . غادر روسيه الى برلين عام ١٩٢١ (بعد ان تدخل مكسيم غوركي لدى السلطات السوفياتية) ، حيث اسس فيها دار دفير للنشر التي انتقلت الى تل ابيب مع دار « مورياه » فيما بعد . رجع الى فلسطين عام ١٩٢٤ للاقامة نهائيا فيها وما لبث ان صار محور النشاط الثقافي العبراني . نشر القصص وخصوصا قصصالاطفال واشرفعلى نشر قصائد الشاعرين العبرانيين ابن جبيرول وموسى بن عزرا. كرس شعره لخدمة الاحياء القومي العبري واستخدم اسلوبا مستمدا من جميع فترات اللغة العبرية . كتب الشعر الغنائي بصوت النبوءة والحماس واضفى عليه السهولة واللون الشخصي . اعتبره الصهيونيون بمثابة الشاعر القومي اليهودي وصوت شعبه باجمعه . لا تخلو كتاباته من احتقار العرب ونفث سموم الحقد ضدهم .

عمل على تطوير اوزان الشعر العبري واحيا الموازاة التوراتية. اهتم بالادبالشعبي وادخله في قصص الاطفال . ترأس مجمع اللغة العمرية . وساهم في تاسيس الجامعة العبرية ، وقد القى خطابا في تدشينها بحضور آرثر بلفور (١٩٢٥) قال فيه ان وعد بلفور بمثابة الكتاب الثالث بعد كتابي اخبار الايام في التوراة وفي تاريخ اسرائيل : « مما لا شك فيه ان العهد الجديد سوف يبدأ بتصريح بلفور وينتهي بانجيل جديد ، انجيل خلاص الانسانية باجمعها » .

اشترك في تاليف القاموس العبري للمصطلحات الفنية (١٩٢٩) وترجم العديد من الروائع العالمية (دون كيشوت ، وليم تيل ، شكسبير) الى اللغة العبرية ، محاولا اخراجها في قالب عبري دون افقاد روح النص الاصلي .

عاش في تل ابيب في شارع يحمل اسمه وتوفي في فيينه اثر عملية جراحية . جرى دفنه في تل ابيب واصبح بيته متحفا اليوم .

بيالك يتحدث عن الجامعة العبرية

(كلمة القيت في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس ، في الرابع من كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥)

ان جلال وعظمة هذه اللحظة يمكن ان يسيء لهما اي نوع من انواع المبالغة. لذلك، فمن الواجب علينا ان نعلن بكل صراحة وامانة وفي حضور هذا الجمع بان البيت الذي يفتتحه الان على قمة جبل سكوبس ، ضيفنا

الكريم اللورد بلفور (١) ليس سوى معهد جنين لا يكاد يكون له شيء اكثر من مجرد اسم . وهو بالنسبة للوقت الحاضر ليس اكثر من وعاء يمكن ان يملأ ، وان مستقبله لا يزال غير معروف اذ انه في يد القدر . وعلى اي حال ، فانني اشعر بكل تأكيد بان الآلاف المحتشدة هنا وعشرات الآلاف من الاسرائيليين في جميع زوايا العالم يشعرون بقلوب تخفق فرحا بان الاحتفال الذي نقيمه اليوم على هذه البقعة ليس من الطقوس المصطنعة التي اخترعها احد الناس ولكنه يوم عظيم ومقدس بالنسبة لالهنا ولشعبنا. انني متأكد ان عيون عشرات الالوف من الاسرائيليين التي تتطلع من اماكنها المختلفة في بلاد الشتات الى هذه التلة تسطع بالامل والارتياح ، وان قلوبهم وحتى اجسادهم ترتل ترنيمة شكر للاله الحي الذي حفظنا لنشهد هذه الساعة . انهم جميعا يدركون بان اسرائيل قد اضاءت في هذه اللحظة على جبل سكوبس اول شمعة من شموع انبعاثها الفكري . وفي هذا اليوم ستصل الانباء السارة الى جميع عائلات اسرائيل المبعثرة في كل مكان بان اول وتد في عملية تشييد القدس العالية قد ثبت اليوم وللابد.

وليقل الناس ما يريدون : ان هذا الشعب العجيب المسمى اسرائيل، قد قبل ، رغم جميع التقلبات التي حاولت كل يوم وكل ساعة خلال الفي سنة ان تجعله غريبا عن محيطه وان تقتلعه من جذوره الروحية، ان يتحمل جسديا وروحيا تبعة الولاء الازلي لمملكة الروح . ففي تلك المملكة يستطيع تمييز نفسه كمواطن مبدع وفي تلك التربة الابدية ، غرس اقدامه وثبتها الى الابد ، ولم يستطع ذلك النفي الملعون ولا استطاعت آلام شعبنا كلها ان تغير شكل طبيعته الاساسية . ومن خلال اضطراره لان يضحي بالحياة الدنيا من اجل الحياة الآخرة ، تعلم في ايام مقاساته ومعاناته ان تخضع حاجاته المادية لحاجاته الروحية ومتطلبات الجسد لمتطلبات الروح . لقد شكلت الامة اليهودية اسس تراثها القومي ومؤسساتها القومية الرئيسية ضمن حدود مملكة الروح ، وهذا مما ساعد على بقائها خلال آلاف السنين من التيه ، وصان حريتها الداخلية وسط العبودية الخارجية ، وادى الى هذه المناسبة السعيدة بافتتاح الجامعة على جبل سكوبس .

١ ــ اللورد بلفور ، آرثر جيمس (١٨٤٨ ــ ١٩٣٠) ، وزير الخارجية في حكومة الحرب البريطانية ، وهو الذي كتب الرسالة الشهيرة الى اللورد روتشيلد في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ١٩١٧ ، والتي تعهدت فيها الحكومة « بان تنظر بعين العطف لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين... » .

لقد كانت مدرستنا القومية بكل اشكالها ـ المدرسة الابتدائية (Heder) ، والمدرسة التلمودية (Yeshivah) ومدرسة الآداب (Bet-Medrash) (٢) ـ كانت القلاع الامينة خلال كفاحنا الطويل من اجل وجودنا وتثبيت حقنا في ان نوجد في العالم كشعب منفصل ومتميز عن الشعوب الاخرى ، فقد كنا نلجأ ضمن جدران هذه القلاع كلما هبت علينا رياح العاصفة والغضب . وهناك داخل هذه القلاع كنا نعتقل السلاح الوحيد الذي تبقى لدينا ـ الا وهو العقل اليهودي ـ وذلك لكي لا يعلوه الصدأ . وفي هذه اللحظة ، لا يسعني الا ان اعيد الى الذاكرة قول احد حكمائنا الذي لا يضاهيه قول في مراراته . ان احد الادباء بعد ان قرأ في اسفار موسى الخمسة (اللاويين ٢٦ : ٤٤) : « ولكن مع ذلك ايضا متى كانوا في ارض اعدائهم ما ابيتهم ولا كرهتهم . . . » قال بكل مرارة: «ماذا بقي لاسرائيل في بلاد السبي لم يمقت او يكره ؟ الم تؤخذ منهم جميع الهبات الحسنة ؟ ماذا تبقى لهم ؟ التوراة فقط . ولو لم تحفظ تلك لاسرائيل لما كان الاسرائيليون يختلفون في شيء عن الاغيار » .

ان مفهوم « التوراة » قد اكتسب من الشعب مستوى لا حد له من التعظيم ، فقد كانت التوراة لهم حياة اخرى ذات مضمون اسمى واكثر روحانية اضيفت الى الوجود العلماني ان لم تكن قد حلت محله ، واصبحت التوراة مركز اسرار الامة وتطلعاتها المشروعة ورغباتها وهي في المنفى . ان القول بان « اسرائيل والتوراة شيء واحد » لم يكن مجرد تعبير ، فغير اليهودي لا يتمكن من تقدير مفهوم « التوراة » بكل اهميته القومية لانه لا يمكن التعبير عنه بشكل مرض باية لغة اخرى . فمضمون هذا المفهوم التوراتي ومدلولاته تشمل اكثر من « دين » او « معتقد » واكثر من « اخلاق » او « وصايا » او « تعليم » وانه ليس مجرد مجموع لجميع هذه الامور ، ولكنه شيء يتخطاها الى البعيد . انه مفهوم كوني لا يدرك العقل كنهه ، فالتوراة هي اداة الخالق ، بها ولاجلها خلق الكون . وانها اقدم من الكون ، انها اسمى فكرة وروح حية في العالم ، بدونها لم يكن من

---

٢ ـ ان هذا هو الترتيب التصاعدي للمدارس في نظام التعليم اليهودي التقليدي . هيدر (Heder) هي المدرسة الابتدائية ، واليشيفا Yeshivah هي الاكاديمية الثانوية الرسمية للدراسات التلمودية ، وبيت ـ مدراش Bet-Midrash هي بيت الدراسة الذي كان يؤمن الافراد لمتابعة دراساتهم في الآداب الدينية . والنوعان الآخران ليسا دائما منفصلين .

الممكن ان يوجد العالم وحتى ليس له الحق في ان يوجد . « دراسة التوراة اهم كثيرا من بناء الهيكل » . « معرفة التوراة تحتل مرتبة اسمى من الكهنوتية او الملكية » . « الحر هو فقط الذي يدرس التوراة» . « انها التوراة فقط التي تسمو بالانسان فوق جميع المخلوقات » . «حتى الوثني الذي يدرس التوراة له اعتبار يعادل الكاهن الاعلى » . « ان ابن الزنى الذي يعرف التوراة له الاسبقية على كاهن اعلى يجهل التوراة» (٣).

تلك هي النظرة الى العالم التي تلقنها سبعون جيلا من اليهود ، وطبقا لذلك فقد نظمت حياتهم الروحية مؤقتا لفترة المنفى ، ومن اجلها استشهدوا او بفضلها كتبت لهم الحياة . لقد تأسست المدرسة اليهودية الابتدائية بعد تهديم القدس بفترة وجيزة وقد استمرت حتى يومنا الحاضر. وكان من نتيجة هذا المراس الطويل ، ان اكتسبت الامة نوعا من الحاسة السادسة لكل ما يتعلق باحتياجات الروح ، هي حاسة مرهفة تكون عادة اول ما يتأثر لما يحدث ، هي حاسة موجودة لدى كل فرد . ليس هناك يهودي واحد الا ويخاف ان يصدر احد مرسوما قاسيا يقول «بان لا يشغل اليهود انفسهم بالتوراة » . حتى افقر واوضع رجل في اسرائيل ضحّى من اجل تعليم ابنائه ، وانفق على ذلك ما يعادل نصف او اكثر من نصف دخله . وقبل ان يطلب اليهودي اشباع رغباته المادية ، يصلي يوميا ويقول : « امنحنا اللهم المعرفة والفهم والادراك اليهودي » . وهذا كان اول ما تطلبه امهاتنا الورعات امام شموع السبت : « لتكن ارادتك ان تشبع عيون ابنائي بالتوراة » . وليس عندي ادنى شك بانه لو ظهر الله لاي من هؤلاء الامهات في الحلم ، كما ظهر لسليمان ، وقال لها : « اطلبي ، ماذا تريدين ان اعطيك ؟ » ، فانها سترد كما فعل سليمان : « انني لا اطلب لنفسي الجاه ولا الغنى ، ولكن يا اله الكون ، اعط ابنائي قلبا ليفهموا التوراة والحكمة ليميزوا بين الخير والشر » (٤) .

سيداتي ، سادتي :

انكم جميعا تعرفون ماذا حل بقلاعنا الروحية في الشتات مؤخرا ولست بحاجة الى الحديث عن هذا الموضوع الآن . وان هذه الحصون لم تثبت يوما في وجه الغضب رغم كل قواها الداخلية ورغم كل الطاقات

---

٣ ــ ان هذه الفقرة هي تلخيص لوجهة نظر التلمود وان جميع العبارات المقتبسة مأخوذة منها ومن مصادر موازية لها .

٤ ــ يعتمد على الملوك الاول ، ٣ : ٩ــ١١ .

التي وضعتها الامة لخلقها وحفظها ، وقضى التاريخ ان تنهار هذه المراكز وتمسح من اساسها وبقي شعبنا واقفا على انقاضها صفر اليدين . ان هذه بالذات هي لعنة المنفى ، اي عندما لا تنجح مهماتنا ولا تقدر على النجاح، ففي جميع البلدان وعلى مر العصور كنا دائما نبذر مكيالا ونحصد اقل من ربع مكيال . رياح التاريخ وعواصفه تبدأ دائما بمهاجمة ما خلقته اسرائيل ، وفي لحظة تقتلع وتدمّر كل ما انتجته العقول والايدي خلال الاجيال . لقد استطعنا عبر الخطوب والتجارب القاسية المريرة ، وعبر القنوط والآمال الضائعة ، وعبر الاضطهادات التي لا تحصى ، ان نتوصل الى حقيقة اننا بدون وطن محسوس وبدون اماكن للسكن خاصة بنا ، لن يكون لنا اي نوع من الحياة ، روحية كانت ام مادية ، وبدون ارض اسرائيل لن يكون هناك امل باعادة اسكان الاسرائيليين في اي مكان ابدا . ان آراءنا حول الوجود المادي والذهني للامة قد تغيرت تغيراً راديكاليا ، فلم نعد نؤمن بالفصل ما بين الجسد والروح ، او بالفصل ما بين الانسان واليهودي . اننا لا نؤمن بما كانت تنادي به مدرسة بث شاماي ، بان السماء خلقت اولا ، ولا بما كانت تؤمن به مدرسة بث هيلل (٥) ، بان الارض خلقت اولا ، ولكن نؤمن بما قاله حكماؤنا بان الارض والسماء قد خلقتا معا وبأمر واحد حتى لا يكون احدهما دون الآخر . ان المفهوم الانساني الشامل « للثقافة » استطاع بوعي من الامة ان يحل محل المفهوم اللاهوتي « للتوراة » ، فتوصلنا الى نتيجة مفادها ان الشعب الذي يطمح الى الحياة الكريمة عليه ان يخلق ثقافة له ، وليس كافيا ان يستفيد من ثقافة غيره ، فالشعب يجب ان يخلق ثقافته الخاصة به ، بيديه هو وبأدواته ومواده التي يملكها ، ومن ثم يطبعها بطابعه الخاص به . وقد خلق شعبنا ثقافة له اثناء وجوده في « منافيه » المختلفة ، وانني اشك اذا كان هناك مكان في العالم تنتشر فيه الثقافة ولا يكون لليهود فضل عليها، انما ما يخلق اليهود في بلاد الشتات ، تمتصه الثقافات الاخرى وبذلك يفقد ذاتيته ولا يحسب بعد ذلك على انه انتاج يعود الفضل فيه لليهود . ان جهودنا الثقافية في المنفى هي عطاء وصرف من جانبنا لا يدخل في حسابنا . لذلك فان الشعب اليهودي في وضع مؤلم : فبينما تكون

---

٥ ــ شاماي وهيلل كانا زعيمي المدرستين الفكريتين الاساسيتين ضمن النظام الفريسي في اواخر القرن الاول ق.م. والادب الديني اليهودي يسجل كثيراً من الاختلافات بينهما . البحث حول موضوع الخلاف هنا ، موجود في التلمود : هاجيجاه 12a .

مهمته الثقافية الحقيقية هي مهمة البروليتاريا ـ اي انها تنتج بمواد وادوات الآخرين من اجل الآخرين نرى ان الآخرين يعتبرونه ، وحتى هو يعتبر نفسه ، شعبا طفيليا من الناحية الثقافية ليس لديه ما يملكه . ان شعبا يحترم نفسه لن يرضى بمثل هذا المصير ، ولا بد له ان ينهض يوما ويعلن : كفى لا اريد اكثر من ذلك ، فمن الافضل ان يكون لي القليل الذي لا ينازعني فيه احد ، من ان يكون لي الكثير الذي ليس معروفا اذا كان لي او لغيري ، ومن الافضل لي كذلك ان يكون لدي كسرة خبز يابسة اكلها في بيتي وعلى مائدتي من ان يكون لي لحم ثور معلوف آكله في بيت سواي وعلى مائدة سواي ، كذلك من الافضل ان يكون لي جامعة صغيرة لكنها ملكي بكاملها ، وكلها من صنعي انا بدءا من اساسها حتى سقفها من ان يكون لي آلاف بيوت العلم استقي منها المعرفة ولكن ليس لي فيها نصيب معترف به. انني ارضى ان يكون طعامي قليلا ومرا كالزيتون اذا ما تذوقت فيه الطعم الشهي لما تقدمه يداي .

لقد لجانا الى هذه البلاد ضمن هذا الاطار الذهني ، ولم نات الى هنا بحثا عن الثروة او السيطرة او العظمة . كم من هذه الاشياء تستطيع هذه البلاد الصغيرة المسكينة ان تعطينا ؟ اننا نريد فقط ان نجد هنا منطقة لعملنا الذهني والجسدي . لم نحقق منجزات عظيمة هنا بعد ، اذ لم يكن لدينا الوقت الكافي بعد لنفض غبار التشرد عن اقدامنا ولاستبدال اثوابنا المرقعة . وبدون شك ، فان سنين عديدة سوف تمر قبل ان نخلّص هذه الاراضي المهجورة من جذام صخورها ومن عفن مستنقعاتها . وفي الوقت الحاضر ، ليس لنا سوى بداية بسيطة للبناء ، ومع هذا فقد كان هناك شعور بالحاجة الى اقامة مركز للعمل الفكري للامة . لقد كانت هذه طبيعة شعبنا دائما ، فانه لا يستطيع ان يحيا ثلاثة ايام متتالية دون التوراة . ونحن في الوقت الحاضر نشعر بحاجات ثقافية لا يمكن تأجيلها يجب ان تشبع في الحال . لاننا نحمل العبء الثقافي الثقيل لشعبنا في المنفى . كثيرا ما يخيل للامم التي خلقت في الامس انها تستطيع من خلال التقييد الفكري لنا عن طريق القيود التي تضعها على عدد الذين يدخلون المدارس منا (Numerus Clausus) (٦) تظن انها تستطيع ان تميت امة عريقة لها ماض عمره اربعة آلاف سنة من الثقافة التوراتية ، لذلك يجب علينا ان نسرع ونضيء اول مصباح للعلم والمعرفة ولكل نوع من انواع النشاط الفكري

٦ ـ نظام كوتا كان مفروضا على اليهود الذين يرغبون دخول المدارس لتلقي العلوم العالية وذلك في ازمنة واماكن مختلفة .

في اسرائيل قبل ان ينطفىء آخر مصباح لنا في بلاد الغربة . واننا سنفعل هذا داخل جدران البيت الذي فتحنا ابوابه هنا اليوم على جبل سكوبس .

هناك تقليد قديم يقول بانه في وقت الخلاص ستنقل جميع الكنس وجميع بيوت العلم الموجودة في الشتات الى فلسطين . ان هذه الرواية الاسطورية لا يمكن ان تتحقق حرفيا ، وبيت العلم والمعرفة الذي اقيم على جبل سكوبس سوف يختلف عن المدارس التوراتية القديمة (Bet-Midrash) اختلافا كبيرا ليس في المادة المبني منها فحسب ، وانما في طبيعته واهدافه . ولكن ، ايها السيدات والسادة ، يوجد بين انقاض تلك المدارس المقدسة كثير من الاسس الجميلة والسليمة يمكن ان تكون ، ويجب ان تكون بين حجارة الاساس لبنائنا الجديد ، وعلى البنائين ان لا يرفضوا قبول هذه الحجارة . في هذه اللحظة المباركة اشعر انني مدفوع لان اضرع الى الله بأن لا تنسى تلك الحجارة ! وارجو ان ننجح في النهوض بالعلوم والمعرفة التي ستنبعث من هذا البيت وسترتفع الى المستوى الاخلاقي نفسه الذي رفع شعبنا اليه التوراة ! اننا نكون غير جديرين بهذا اليوم الحافل اذا ما رضينا لانفسنا بتقليد هزيل للشعوب الاخرى . اننا ندرك ان الحكمة الصحيحة هي ان نتعلم من الجميع ، ولذلك فان نوافذ هذا البيت يجب ان تبقى مفتوحة من كل جانب لكي تتمكن اجمل الثمرات التي ابدعتها روح الانسان في اي مكان على الارض وفي اي زمان من الدخول . ولكن نحن انفسنا لسنا محدثين في مملكة الروح ، فبينما نحن نريد ان نأخذ العلم من الآخرين نستطيع ان نعطي مما لدينا من معرفة للآخرين . انني متأكد من انه لا بد ان يأتي الوقت الذي ستصبح فيه المبادىء الاخلاقية التي ترتكز عليها بيوت التوراة كما هو مذكور في الـ (Baraitha) (٧) في الفصل المعروف بالفصل الذي يبحث في اكتساب التوراة ، ستصبح هذه المبادىء تراثا للانسانية باجمعها .

ايها السيدات والسادة :

ان آلافا من شبابنا يتدفقون من زوايا الارض الاربع ملبّين نداء

---

٧ ـ بارايتا = تقرير عن حديث او حكم مأخوذ من كتب الـ Tannaim اي (اساتذة القانون اليهودي الاوائل) ، ولم يكن موجودا في الـ Mishnah اي القانون الذي جمعه الحاخام يهودا الامير في القرن الثاني .

قلوبهم من اجل تخليص هذه البلاد من العزلة والخراب. انهم على استعداد لصب آمالهم وحنينهم لافراغ قوة شبابهم في حضن هذه الاراضي البور وذلك من اجل احيائهـا . انهم يقتلعون الصخور ويجففون المستنقعات ويشقون الطرق وسط الغناء والابتهاج . ان هؤلاء الشباب يعرفون كيف يرفعون العمل الخام ـ العمل الجسدي الى اعلى مستويات القدسية ، اي الى مستوى الدين. انه من الواجب علينا ان نشعل مثل هذه النار المقدسة ضمن جدران البيت الذي افتتحناه الآن على جبل سكوبس . فليبن هؤلاء الشباب القدس الارضية بالنار ، وليبن اولئك الذين يعملون داخل هـذا البيت القدس السماوية بالنار ايضا ، فالفريقان سيعملان على بناء الحياة لنا . « لانك انت ايها الرب جعلت النار تلتهمها وانت الذي ستجعل النار تبنيها من جديد » .

وفي الختام ، اسمحوا لي ان اوجه بعض الكلمات الى اللورد بلفور ، الممثل الكريم للشعب البريطاني العظيم .

سأل النبي « من الذي يزدري بيوم الامور الصغيرة ؟ » (٨) . ان مـا يجب ان يكون بعيدا عن التصور هو ان نحتقر الاعمال الصغيرة في بلادنا الصغيرة . ان لهذه البلاد ميزة تحويل الاشياء الصغيرة الى اشياء كبيرة مع مرور الوقت الكافي . لقد اجتمع في هذه البلاد ، منذ حوالي الف سنة ، مجموعات من الرعاة المتجولين المقسمين الى عدد من القبائل التي كـان بعضها من اور الكلدانية ، وبعضها من آرام وبعضها مـن مصر . ولقـد اصبحوا مع مرور الزمن ، ونتيجة لحوادث ليس لها اهمية ظاهرة ، شعبا فقيرا ، هو شعب اسرائيل . ولقد كانت الايام التي قضاها هذا الشعـب على ارضه قليلة وتعيسة ، وكان « كشعب يعيش وحيدا وكأنه ليس من الشعوب » . ولكن هذا الشعب انجب رجالا ـ معظمهم من اصل متواضع، رعاة حرائين وزارعي جميز ، ولقد كانوا مثل اخوانهم ـ يحملون عاصفـة روح الله في قلوبهم وزلازله ورعوده في افواههم . لكن اولئك الرجال ، استطاعوا بين الشعوب والافراد وعلى مدى تاريخهم بالرغم مـن الامور التي كانت تافهة ظاهريا في ذلك الوقت ، استطاعوا ان يحولوا انظارهم الى الازلية ، اي الى السماء والارض . وكانوا في نهاية المطاف ، هم الذين اقاموا اسس الثقافات الدينية والاخلاقية في العالم . لقد وصل الينـا صوتهم عبر القرون والتاريخ فوق رؤوس الشعوب عظيما وساميا ومفعما بقوة الله حتى اكثر مما كان في البدء كما لو انه قد ازداد قوة مع ازدياد

---

٨ ـ زكريا ٤ : ١٠ .

البعد الزمني . لقد جاء الى هذه البلاد الصغيرة الفقيرة ، بضع عشرات الآلاف من هؤلاء المنفيين بعد تهجيرهم من سيروس ، وشكلوا جالية افقر واصغر مما كانت عليه في البدء . وبعد ثلاثمائة سنة ظهر في هذه البلاد رجل من اسرائيل ، ابن نجار اسرائيلي ، بشّر بانجيل الخلاص الى العالم الوثنيومهّد الطريق لايام «المسيح المنتظر». وقد مرت الفا سنة منذ ذلك الوقت . ومع هذا فاننا جميعا نشهد انالاصنام لم تختف عن وجهالارض، فقد استطاعت الاصنام الجديدة ان تحتل مكانالاصنام القديمة، والاصنام الجديدة ليست بأفضل من القديمة . ومن ثم جاء وعد بلفور. ان اسرائيل تلتقي الآن في ارض اسرائيل للمرة الثالثة . ولماذا لا تعاد المعجزةهذه المرة ايضا ؟ لقد ارادت العناية ان يرتبط مصير الشعب اليهودي بمصير كل شعب متحضر في العالم ، وقد ولّد هذا في نفوسهم اكثر من اي شعب آخر حسّا بالمسؤولية الادبية واهتماما بمستقبلالحضارة. لقد عبّر احد حكمائنا عن هذا الشعور منذ سنوات عديدة بقوله : « على الانسان انيفكر بنفسه وبالعالم ، ان نصفه مستقيم ونصفه آثم ، فالويل له اذا ما ارتكب خطيئة واحدة لانه بذلك يكون قد جعل ميزان العالم كله يميلنحو الاثم». من يدري ، فلعل شعبا فقيرا في بلاده الصغيرة يستطيع ان يقوم بما فشلت به شعوب عظيمة نتيجة لاهتمامها بثرواتها ؟ ومن يدري ، فلعل مبدأ المسؤولية تجاه مصير الانسانية سيخرج منهذا البلد ومن بيت العلم هذا وينتشر الى جميع انحاء العالم وبين جميع الشعوب ؟ ان يد الله لم تقد هذا الشعب خلال اربعة آلاف عام وعبر آلام الجحيم ولم تحضره مرة اخرى الى ارضه للمرة الثالثة دون اي معنى .

ان اخبار الايام ، الاول والثاني ، آخر ما انزل من الكتاب ليست الاخيرة في تاريخ اسرائيل . سيضاف جزء ثالث ، وربما كان هذا الجزء اهم من الجزئين الاولين . واذا كان اول جزئين من الاخبار يبدآن بـ « آدم وسيث ونوح » وينتهيان بقرار الخروج من سيروس ، الذي جاء بالخلاص للعالم الوثني القديم ، بعد ثلاثمائة سنة ، في الجزء الثالث سوف يبدأ بدونشك بوعد بلفور وينتهي بانجيل جديد، انجيل الخلاص للبشريةكلها.

ميخا جوزف بيرديشفسكي (١٨٦٥ ـ ١٩٢١)
Micah Joseph Berdichevsky

روائي وكاتب مقالات . ولد في ميدزيبوز اوكرانيه ، روسيه ، وكانت تلك المدينة مهدا لحركة الحاصديين الدينية في القرن الثامن عشر . نشأ في عائلة عريقة في التدين وجرى تزويجه حين بلغ السابعة عشرة من العمر . ذاعت شهرته كبحّاثة في الادب التلمودي وفي تلك النصوص الصوفية التي ترجع الى القبّالة والحاصدية . قرأ آثار حركة التنوير في السر وحين اكتشف امره طرد من بيت عمه وفسخ الزواج . قضى فترة قصيرة في اكاديمية التلمود في فولوزهين وبدأ الكتابة محاولا في قصصه ومقالاته ان يجد حلا وسطا بين التقليد الديني وافكار عصر التنوير . انتقل عام ١٨٩٠ الى اوروبه الغربية ودرس فترة من الزمن في جامعة برسلو واكاديمية الرسم فيها . وسرعان ما برز كناقد للتقليد اليهودي وقيمه الثقافية والدينية وللنزعة القومية وعدم الاهتمام بالانسان كفرد . تأثر بتعاليم نيتشه آنذاك عن الانسان الاعلى وتبنّى دعوته الرئيسية التي ترمي الى « اعادة تقييم جميع القيم » ، محاولا تطبيقها على التقليد اليهودي . كتب بالعبرية واليديشية والالمانية . عالج في اطروحته بالالمانية موضوع العلاقة بين الاخلاق وعلم الجمال . وتحدث في رواياته وقصصه القصيرة عن سكان المدن الصغار واصفا كفاحهم وانفعالاتهم باسلوب يمزج بين الواقعية والاسطورة . اقام في برلين منذ عام ١٩١١ وعمل طبيب اسنان بعيدا عن شؤون الحياة العامة . انصرف في آخر سني حياته لاعداد دراسة كبرى ظهرت بعد وفاته بعنوان « سينا وغريسيم » وقد شدد فيها على ان عبادة الطبيعة والاصنام ، وليس الوحدانية التوراتية ، كانت الديانة الحقيقية لليهود القدماء . جمع كتاباته بالعبرية في عشرين مجلدا وقد نشرها باسم مستعار : « ميخا جوزف بن جوريون » ! يمثل نزعة انسانية ونقدية في كتاباته . فهو يتحدث في مقالة بعنوان « الهدم والبناء » (١٩٠٠ ـ ١٩٠٣) عن ضرورة التحرر من عبودية الماضي الروحي واحداث ثورة في قيم الحياة اليهودية كمقدمة لقيامة اسرائيل : « اليهود اولا ، قبل اليهودية ـ الانسان الحي ، قبل تراث اجداده » و « اسرائيل تسبق التوراة » . فالحاجة ليست الى اصلاحات بقدر ما هي الى اعادة تقييم . « واما ان نكون آخر اليهود او نكون طليعة امة جديدة » . وفي مقالة اخرى بعنوان « في اتجاهين » نجده ينتقد الجمع بين ضدي السيف والكتاب . فالسيف صاحب القول الفصل « لان حدّه ليس شيئا مجردا عن الحياة ومنفصلا عنها ، بل هو تجسيد الحياة في اجرأ خطوطها وفي جوهرها » . تذكّر اقواله وآراؤه بقصيدة ابي الطيب المتنبي « السيف اصدق انباء من الكتب » ! ويمضي في نقده للتقليد الديني باكمله حين يقول بان الانسان وليس الكون هو المصدر والنبع في الخلق والابداع . وما خلق الكون الا حدث عارض في حياة الانسان . ولن يحصل خلاص اسرائيل واليهود الا حين يتم

تصالحهم مع الكون والطبيعة . وفي « مسالة الثقافة » نقراه يقول : « ان وجود شعبنا، وحتى امكانية وجوده ، يعتمد على خلق اطار متناسق لحياتنا كافراد ضمن الجماعة ـ انه يعتمد على مقدرتنا على الاتحاد في بناء يصمد في المستقبل » . ولا شك ان مجمل افكاره مستقى من فلسفة نيتشه عن الدور الخلاق الذي يلعبه الفنانون والمبدعون في حياة الشعب . وما موقفه من تراث الماضي وثقافته الا تبريرا لدعوته الرامية الى احياء الشعور القومي لدى اليهود وارساء هذا الشعور على قاعدة ارضية تشكل مجالا لحياته.

تدمير وتعمير (١٩٠٠ ـ ١٩٠٣)

ان اليوم الذي نعيشه الآن ليس كالامس ولا كاليوم الذي سبق الامس ـ اننا نعيش في وقت لم يكن له شبيه وذلك لان جميع اسس وظروف وجودنا السابقة قد بدات الآن تفقد اهميتها وتتغير . ان « الليلة الطويلة المظلمة » ذهبت ولن تعود ، بل ان اياما جديدة بظروف جديدة قد حلت محلها . هناك سبب للخوف الذي في قلوبنا ـ فنحن لم نعد نقف على طريق واضحة ، لقد وصلنا الى زمن فيه عالمان متصارعان : ان نكون او لا نكون ! ان نكون آخر اليهود او ان نكون اول العبرانيين .

لقد بلغ شعبنا اوج ازمته ، فعبوديته الظاهرة والباطنة قد فاقت حدود الوصف ، وانه الآن يقف على بعد خطوة واحدة من فنائه الروحي والمادي . أمن العجب ان يكرس جميع اولئك الذين يعرفون عبء مثل هذه الساعة وهولها ، نفوسهم للعمل من اجل الحياة ومقاومة الفناء ؟ وان مثل هؤلاء الرجال يجب ان يشعروا ان حياة جديدة يجب ان تبدأ ، حياة اعرض في افقها ومختلفة في ظروفها عما سبقها . ومتى كرسنا انفسنا للواجب الاساسي ، وهو نهضة الشعب ، فاننا لن نستطيع ان نكون متساهلين مع تقاليد هذا الشعب .

صحيح ان ماضينا هو الذي يمنحنا الحق التاريخي والاسم لكي نحيا في المستقبل ، وكلما تقدمنا في نضالنا من اجل وجودنا فاننا ننظر وراءنا الى اليوم الذي كانت فيه رايات يهودا مرتفعة ، وننظر الى ابطالنا ومحاربينا الاوائل ، والى حكمائنا الذين هم منارات روحنا ، ومع هذا فاننا لا نستطيع ان نخفي عن انفسنا بان تراثنا الماضي لم يكن لصالحنا دائما ، وكثيرا ما سبب لنا الخسائر .

لقد انهار مركزنا السياسي وانتهى استقلالنا بعد تهديم الهيكل ، ولم نعد شعبا ينشط من اجل زيادة تراثه المادي والروحي دون انقطاع كما

كنا في الماضي ، وعندما ضعف نشاطنا اصبح الماضي ـ كل ما عملناه وقلناه ، اي تراثنا من الافكار والاعمال ـ اصبح هذا سبب وجودنا والسند الرئيسي لحياتنا ، واصبح اليهود ثانويين بالنسبة لليهودية .

ان الشعور بالبقاء والرغبات الحية التي كانت تفعم افئدة ابناء يعقوب في غابر الازمان قد بحثت لها عن مخرج من خلال هذه الاقنية ، ولقد اعتقد الكثيرون انهم يستطيعون اشباع وعيهم القومي الذي يعتمر في صدورهم عن طريق الاحتفاظ بكل ما وصل اليهم من اسلافهم .

ان هذا الانزواء والرجوع الى الماضي والتعلق به كان سبب الانقطاع الكبير في تطورنا الاجتماعي والسياسي ، ذلك الانقطاع الذي كاد ان يؤدي بنا الى الفناء ، وحوّلنا الى امة من الرجال الذين نضبت قواهم الطبيعية واصبحت علاقاتهم مع البشر عادية ، فصاروا الى تأخر اجتماعي وسياسي. لقد ادى هذا بشبابنا الى ان ينظروا الى هذا الارتباط الروحي بالشعب اليهودي بأنه يعني بالضرورة الايمان بطريقة متحجرة وضيقة ، لذلك اداروا ظهورهم لنا لتبحث نفوسهم عن طريق غير طريقنا .

اننا ممزقون الى شيع : فعلى طرف يقف اولئك الذين فضلوا ان يتركوا آل اسرائيل وذلك ليغامروا بين الشعوب الغربية مكرّسين لهذه الشعوب خدمات روحهم وقلوبهم وباذلين كل قواهم من اجلها ، بينما ، يقف على طرف آخر ، المتدينون الذين يقبعون في زواياهم الكئيبة يفعلون ما امرهم به الله . اما المستنيرون الذين يقفون ما بين هؤلاء واولئك ، فهم رجال بوجهين : فهم نصف غربيين ـ في حياتهم اليومية وافكارهم ، ونصف يهود ـ في كنسهم . وبذلك فان قوانا الحيوية تتبعثر وامتنا تتفتت.

وبوجود الحنين الى الانبعاث الذي بدأ يستيقظ في قلوب القلة الباقية ، فاننا نشعر بأن هذا الانبعاث يجب ان يشمل كلا من الحياة الظاهرية والباطنية . ان شعبنا لا يستطيع ان ينهض دون انقلاب كلي ، اي بتغيير القيم التيَ كانت دليلنا في الماضي .

ان قلوبنا ، الولهة بحب الحياة ، تحس ان انبعاث اسرائيل يعتمد على ثورة ـ اليهودي يجب ان يكون قبل الفكرة اليهودية ـ الانسان اهم من تراث اجداده .

يجب علينا بعد الآن ان لا نرضى بان نكون يهودا بفضل يهودية مجردة،

بل ان نصبح يهودا عن جدارة وحق وعن قومية حية نامية . ان «العقيدة» التقليدية لم تعد كافية بالنسبة لنا .

فنحن نرغب في ان تسمو قوانا الفكرية وتغنى روحنا وتتوسع قدرتنا على العمل ، ولكن علينا ان لا نضع نفوسنا في قوالب جاهزة تحدد لنا ما يجب التفكير والاحساس به .

ان ما نريده ليس الاصلاح بل تغيير القيم ـ تغيير لمجرى حياتنا ، ولافكارنا ولنفوسنا .

يجب ان لا تكون العلوم اليهودية والدين اليهودي قيما اساسية ـ ولكل شخص ان يكون مخلصا لهما باية درجة يريد، لكن الشعب اليهودي يأتي اولا ـ « اسرائيل قبل التوراة » .

ان العالم الذي يحيط بنا ، والحياة بجميع جوانبها ، والاماني والقرارات والاهواء التي في قلوبنا ـ كل هذه تهمنا كما تهم اي انسان ، وانها تؤثر على وحدانية نفوسنا . لم نعد نقدر ان نحل مشاكل الحياة بأساليب قديمة او ان نحيا ونعمل كما كان اجدادنا يفعلون . اننا ابناء ، وابناء ابناء الاجيال القديمة ولكننا لسنا مجرد تماثيل حية لهم .

يجب ان لا نرضى بعد الآن ان نكون الواحا تكتب عليها الكتب وعليها توصل الافكار الينا مجرد توصيل بدون ان يكون لنا رأي فيها .

فمن خلال تغيير اساسي في اسس حياة اسرائيل الظاهرية والباطنية ، فان وعينا وانطباعاتنا وافكارنا واحساسنا ورغباتنا وارادتنا واهدافنا ، ستتغير كلها ، وعندئذ سنحيا ونقف راسخين كالطود .

ان مثل هذا التغيير في ظروف الشعب الذي هو الدافع الاساسي للحرية والذي لا حدود لطاقته في البحث عن حياة جديدة ، هو الذي سيحيي نفوسنا . ان تغيير القيم يشبه الينبوع الجاري ، فهو يحيي كل ما فينا وان كان كامنا في خبايا نفوسنا ، وستصبح قوانا ملأى بمحتوى حياتي جديد .

مثل هذا الاختبار يبشر بمستقبل نبيل ، والبديل هو ان نبقى شعبا تائها يتبع رعاته الضالين . ان علينا مسؤولية كبرى ، لان كل شيء في ايدينا . فاما ان نكون اخر اليهود او نكون بداية امة جديدة .

انني اعجب الى هذا اليوم كيف استطاع حكماء اسرائيل ان يتوصلوا الى القول التالي : « ان السيف والكتاب قد هبطا من السماء مع بعضهما بعضا » (١) . مع انه واضح ان الاثنين متناقضان يقضي الواحد منهما على الاخر .

(ان عصريهما مختلفان ، فلكل زمانه ، وعندما يظهر الواحد يختفي الاخر ... فهناك زمن للرجال وللامم ليحيوا بالسيف ، اي بقوتهم وقوة زنودهم وجراتهم الحيوية . ومثل هذا الزمن هو زمن الشدة ، زمن الحياة في معناها الجوهري . ولكن الكتاب ليس اكثر من ظل للحياة ، هو الحياة في شيخوختها .

السيف ليس شيئا مجردا يقف بعيدا عن الحياة. انه تجسيد للحياة في اعرض خطوطها المادية والجوهرية ، ولكن الكتاب ليس كذلك) .

ان هناك اوقاتا نحيا فيها ، واوقاتا اخرى نفكر فيها بالحياة فقط . يقول التلمود : « على الانسان ان لا يخرج يوم السبت وهو حامل سيفه او قوسه » . ولم ينظرالحكماء الى الاسلحة على انها شيء مشرف ، لانه مكتوب « انهم سيحوّلون سيوفهم الى سكك للمحراث » .

لم يعد السيف والقوس اللذان رفعا اسرائيل وجعلاها تصبح شعبا ، لم يعودا اليوم موضعا للثقة لانه هكذا مكتوب ...

ولكن هناك اثر منالحيوية لا يزالموجودا لدىالحاخام اليعازر (٢) . لقد كان رجلا لم يستسلم كليا للتمرد الاخلاقي وقال : مسموح ان نظهر

---

١ ـ سفراي Sifrei, Ekeb, 40. : ان تعليق بريديشفسكي على هذه الجملة المقتبسة يجعل من الواضح ان ذاكرته قد خانته ، وذلك لان النص يقول ما يلي : « اذا ما اتبعتم ما هو مكتوب في الكتاب ، فان السيف لن يؤذيكم » . انه هنا يدعو الى العكس ، الى اخلاقية نيتشية Nietzschean .

٢ ـ الحاخام اليعازر بن هايركانوس كان اعظم تلامذة الحاخام جوهانان بن زكاي في نهاية القرن الاول م. ان الفقرات المقتبسة والمشروحة هنا مأخوذة من المشناه ، شباط Shabbat ٦ : ٤ .

يوم السبت بالسيف والقوس وذلك لانهما زينة الانسان .

وهنا يأتي احد هاعام ويدعو الحاخام اليعازر ان لا يرتفع بمفاهيمه الاخلاقية الى مستوى الحكماء الاخرين في عصره فلا يحس في قلبه عار الذراع القوية والعنف الذي يتأتى عنها .

الزينة ام عدم الزينة ، الحاخام اليعازر ام احد هاعام ، ايهما اسمى من الاخر ؟

حتى لو لم يكن مكتوب في التوراة ، يجب علينا ان نقول : في البدء خلق الله الكون ، وبعد ذلك خلق الانسان ، فقط بعد ذلك ... وهكذا نحن ، بكل افكارنا واحاسيسنا ورغباتنا ومصائرنا وكل ما نملك وكل ما نمثل ، لسنا امام العالم وكل ما فيه ، سوى ما ينقط من الدلو ، والغبار الذي يتبقى في اخر الموازين .

ان الكون يدل على عظمة الله ، والطبيعة تروي صنع يديه ، لان الطبيعة هي ام الحياة ومصدر كل الحياة ، انها منبع الكل ، هي منبع كل ما يحيا وروحه ...

وبعدئذ غنت اسرائيل اغنية الكون والطبيعة ، اغنية السماء والارض وما عليهما ، اغنية البحر وما فيه ، اغنية التلال والمرتفعات، اغنية الاشجار والاعشاب ، اغنية البحار والجداول . وبعد ذلك جلس كل اسرائيلي تحت كرمته او تينته ، ثم نبتت البراعم على التينة ، وامتد سحر التلال الخضراء الى البعيد ...

ان تلك الايام كانت ايام بحبوحة وجمال .

انتبهوا لما حدث بعد هذه الاشياء . لقد جاء يوم الرب لجميع ارزات لبنان وسنديانات بيسان Bashan ولجميع التلال العالية والجبال الشاهقة ، ولجميع انواع الحياة الكريمة .

ليس الانسان وحده مضطر لان ينحني امام عظمة الخالق الذي هو علة الوجود ولكن الطبيعة ايضا والكون وكل الاشياء الحية . ليس الانسان وحده مضطرا لان يتواضع ويصبح وديعا في كل ما يفعله ، ولكن الطبيعة ايضا ، وكل افعالها يجب ان تنحني امام عظمته .

ان الذي تبارك اسمه المقدس لا يمنح حضوره للانسان المتواضع

المستسلم فحسب، ولكنه اختار ان يظهر على جبل حوريب Mount Horeb دون بقيـة الجبال وذلك لان هـذا الجبل هو اكثر التلال والمرتفعـات انخفاضا . . .

لقد اعتقدنا ان الله كان قوة وعظمة واكثر سموا من اي شيء آخر. واعتقدنا ان كل من يسير عاليا يكون موضعا لحضوره ، ولكن جاء يـوم تعلمنا فيه اشياء غير ذلك . . .

ليس الكونهو المصدر ، ولكن الانسان وحده ، وفي الانسان وحده، توجد مصادر اعماله هو . ليس الانسان حدث طارىء بالنسبة للخليقـة ولكن العكس هو الصحيح .

امن العجب ان يقوم رجال في اكاديمياتنا مثـل الحاخام اسحـق ويقولون: انالتوراة ما كان يجبان تبدأ بسفر التكوين ولكن بالناموس(٣).

امن العجب ان قام بيننا جيل بعد جيل يحتقر الطبيعة ويعتقـد ان اعاجيب الله ليست سوى تفاهات نافلة ؟

امن المدهش حقا اننا اصبحنا لا شعب ولا امة ولا رجال ؟

انني اتذكر قول بعض الحكماء : ان كل من يسير في طريق ويقطع تأملاتهليقول : ما اجمل تلكالشجرة وما اجمل ذلك الحقل- سوف يخسر حياته ! (٤) .

ولكن اود ان اؤكد ان يهوذا واسرائيل سيخلصان عندما نعلم شيئا اخر هو : انكلمن يسير فيطريقهويرىشجرة جميلة وحقلا جميلا وفضاء جميلا ويتركها ليفكر في امور اخرى ، يكون كمن يخسر حياته .

ردوا الينا شجراتنا الجميلة وحقولنا الجميلة ! ردوا الينا الكون .

مسالة الثقافة (١٩٠٠ ـ ١٩٠٣)

انني لا اصدق اولئك الذين يقولون بان لنا ثقافة ذاتية حية ، كما لا اصدق اولئك الذين يقولون بان الثقافة شيء نطعّم به من الخارج. انني لا

٣ ـ انه يقتبس تعليق راشي (وعن راشي ، انظر احد هاعام ، الملاحظة ١١) على سفر التكوين ١ : ١ والذي يعتمد على مصادر تلمودية .
٤ ـ مشناه ابوث (تعاليم الاباء الاخلاقية) ٣ : ٨ .

اعتقد بان من الممكن لنا ان ننقل نورنا القديم الى الاجيال المتلاحقة في المنفى لكي تحيك هذا الخيط بشكل صحيح خلاق .

اننا نفتخر عبثا بثقافة اخلاقية مصيرها ان تكون نورا للاغيار ، بينما خيامنا تعيش في الظلام ونفوسنا غير مضاءة .

ان حوانيتنا تنكر كنسنا وبيوت دراستنا ، وان حياتنا العلمانية تنكر قدسيتنا . بالرغم من المنارات التي نحملها عاليا في ايدينا ، ماذا نحن وما هي حياتنا ؟

ومع ذلك علينا ان نقول لاولئك الذين يعملون في الكروم الغريبة : ان حياتكم ، وطبيعتكم والدم الذي يجري في عروقكم ينكر بطريقة كل ما قلتموه او فكرتم به او امنتم به .

ان الاستنارة والمعرفة لن تدوما الا قليلا ما دامتا لا تشكلان تعبيرا ضروريا عن سير تاريخنا . فكل ثقافة هي نهاية مرحلة ، وليست بداية جديدة تأتي من الخارج .

الثقافة هي ملكية تاريخية وروحية تستوعب الحياة الروحية لجميع الافراد وتشملهم ضمن اطار قومي ـ تاريخي ـ نفساني معين وخاص بمجتمع معين . فاذا ما اردنا ان نعبر عن ذلك بشكل مجرد ، فاننا نقول : ان الثقافة هي مخلفات الازلية في الحياة الزمنية ، مخلفات تنتقل من اب لابن ، من جيل لجيل . كل ابن يبدأ من حيث انتهى ابوه ، وهكذا ، فكل جيل يرث من اسلافه ويجد اعمالهم امامه ـ لكي يكمل وينمي ذاتيته .

القومية بالنسبة لجميع الشعوب الاخرى ، هي الوعاء الوحيد الذي تحفظ فيه الفردية الانسانية ، والمكان الذي يرى فيه الفرد ان منجزاته مؤمنة وارباحه مصانة ، اما بيننا ، فان الفرد يجد في قوميته قوة معادية لما في قلبه . ان كلا منا يحس بهذا التناقض في اللحظة التي يبدأ فيها بتحسين نفسه والبحث عن الثقافة ، ويحس بذلك قليلا او كثيرا ، بوعي او بلا وعي .

وكقاعدة عامة ، فان القومية تغني الفرد وتمنحه التراث العريق ، وبدورها تزداد غنى بواسطة اعمال الافراد وما يخلقونه في كل جيل ، اما نحن ، فان الذين منا ، يعملون او يرغبون في العمل في حقل الثقافة لا يجدون شيئا يبدأون به .

تطلب الشعوب الاخرى التضحية من ابنائها في ايام الحرب فقط

عندما يحاول الاجانب القضاء عليها ، اما في اوقات السلم وفي الحياة العادية فان ثمن الوطنية نادرا ما يكون التضحية ـ اي ، ان الفرد لا يعي انه يعيش او يجب ان يعيش من اجل شعبه . لكن الاعمال العادية لكل فرد هي نفسها ذات فائدة للمجتمع . اما نحن فمطلوب من كل فرد منا ان يحيا من اجل شعبه وان يقدم له التضحيات كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . اننا نطلب اليه ذلك لان حياته وحاجاته تتجه الى حلبة تختلف عن حياة المجموع ، وتتعارض اهدافه الشخصية ، الى حد ما ، مع اهداف المجموع .

نحن نطلب الى كل يهودي ان يكون اعظم من كل الرجال ، بينما قدرتنا لاستيعاب تلك العظمة محدودة جدا .

ان وجود شعبنا ، او امكانية وجود هذا الشعب تعتمد على خلق اطار منسجم لحياة افرادنا ضمن المجتمع ـ انها تعتمد على قدرتنا ان نتحد ضمن نظام قادر على البقاء في المستقبل . ان شعبنا يستطيع ان يستمر في البقاء فقط اذا ما خلقنا بيننا جوا روحيا وامكانات مادية للفنانين والبنائين .

امنحوا الفرد الفرصة ان يحيا ، فيتبعه المجموع من تلقاء نفسه .

مسألة ماضينا (١٩٠٠ ـ ١٩٠٣)

اذا سنحت لي الفرصة الان ان اتحدث عن مسألة ماضينا وحاضرنا والعلاقة ما بينهما، فانني لن افصلهما الى عالمين متناقضين كليا، لا يستطيع احدهما ان يكون دون ان يقضي على الآخر .

صحيح انه عندما نكافح من اجل خلق شيء جديد يناسب حياتنا المعاصرة وتطلعاتنا الحاضرة ، عندما تكون قلوبنا ملأى بالاحلام ، وفي داخلنا يحاك عالم جديد ، عالم نشكله بايدينا نحن ـ عندئذ يظهر فينا دافع لتدمير جميع العوالم التي سبقتنا والتخلص من كل ما يضايقنا وجوده . ان الماضي يتطلب منا ان نكرس قوانا لنحميه ونخدمه بنفوسنا واجسادنا ، ولكن ما نحن بحاجة اليه هو روح جديدة . نريد روح الله لكي نتكلم اليه وجها لوجه ، نريد الله ان يكون حاضرا في خبايا قلوبنا وفي عالم خيالنا .

ان الواح الناموس هي من صنع الله ولذلك فانها باقية مع الاجيال ،

فالاحرف المحفورة على هذه الالواح لا يمكن ان تمحى وستبقى كبقاء الاجرام السماوية ، ولكن علينا ان نجدد هذه الاحرف كما ان النجوم يتجدد نورها . ولنغن اغنية حياتنا بطريقتنا الخاصة وبذلك نحقق وجودنا ولزوم هذا الوجود . ولنقف على اسفل جبل الله ونصرخ : « فنزل الرب في انسحاب ... » (٥) ولننظر بام اعيننا رؤيا الله القدير .

ان الانسان بيننا مكبوت يعيش بعاداته وقوانينه ومبادئه واحكامه التقليدية ــ وذلك لان اشياء كثيرة خلفها لنا اسلافنا من شأنها ان تميت الروح وتنكر على النفس حريتها. ولكن لدينا «نشيد الانشاد» ايضا ــ لدينا نشيد الحياة المعطاءة ، لدينا نشيد داود بن يسّى لامجاد الطبيعة السامية التي لا حدود لها ... ترفع نفوسنا مدائح هذه الصلاة : ايها الرب الاله ، ما اكثر عظمتك فقد كسوت نفسك بالجلال والمجد ! لهذا الاله نرفع رجاءنا الى الاله الذي يغطي نفسه بالنور كثوب له ، والذي يمد السماوات كالستار، ان لنا امل في الله القدير الذي يهب الخلاص والحرية للانسان ... ما اعظم اعمال الرب ، الارض كلها مملوءة بخيراته . باركوا الرب باركوا جميع اعماله !

عندما نقف نحن انفسنا في وسط الحوادث ، وفي مجرى الحياة ذاته ، يكون الماضي عبئا علينا مما يجعلنا نرفضه بكل حنق وغضب . لكن الامر ليس كذلك اذا ما نظرنا الى الماضي كمراقبين يتغير عندما نراه شيئا متكاملا له ظاهرة تاريخية . عندئذ يظهر الماضي غنيا وجميلا . ان للطبيعة دائرة ثانية ، انها دائرة التاريخ الذي بواسطته يحفظ الشيء ويتداول به من جيل الى جيل .

عندما لا يستطيع الفرد ان يحقق المنجزات لوحده ، فانه يستطيع ذلك عندما يعمل ضمن المجموع ، وعندما تعتاد اذنه على الصوت الهادىء الذي ينبعث من المجموع . وما لا يستطيع الفرد ان يكتسبه في يوم واحد يستطيع انجازه بالارتباط بايام ماضيه . قد لا يكون الفرد في حالة فقر دائما ولكن عندما يشترك مع المجموع يزداد غنى من خلال ثروة المجتمع الدائمة .

وحتى الرجل ذو الروح الشجاعة ، الذي يعمل على تحقيق القدسية لنفسه ، لا يستطيع ــ اذا ما بدأ لوحده ــ ان يفكر بالسبت الذي اعطى

---

٥ ــ خروج ٣٤ : ٥ .

لابسط رجل ليكرسه ـ لانه اوصي بذلك ولانه يخدم كل الذين يكرسونه.

ان الانسان وحتى النفوس الكبيرة ، بحاجة الى جهود روحية واخلاقية كثيرة قبل ان تبدأ بحساب اعمالها الخيرة واعمالها الشريرة وتطلب الغفران لسيئاتها . ولنأخذ مثلا ، اليهودي العادي البسيط ، الذي يكون بعيدا طوال العام عن الامور الروحية وعن الشؤون الالهية اما في يوم عيد الكفارة فانه يرتاد الكنيس، وتنزل عليه مخافة الله مرة واحدة، ويمتلىء قلبه بافكار التوبة والطهارة . وان صلاة واحدة قصيرة يقدمها ، قد لا تكون مفهومة تماما ، تلين اقسى القلوب وتمنحها الشفاء وذلك يرجع الى ان قلوب مئات الاجيال والاف النفوس قد تكرست في مثل هذه الصلاة لان ما لا يستطيع الفرد ان ينجزه لوحده ، يستطيع الجمع ان ينجزه .

ان الخطايا الكبيرة التي ارتكبناها ضد الحياة ، والتي بسببها بدانا نشرف على الهلاك. قد ارتكبها رجال كاملو الاستقامة عظيمو الفضائل... هناك نوع من العظمة حتى في الاستسلام وفي حالة كوننا نداس بكل قدم ، وحتى في تواضع الانسان امام الاله هناك جلال وخوف ونوع من القوة ...

حتى لو طرحنا وجود الله موضع التساؤل وانكرنا وحدانيته ، فان مجد اولئك الذين ماتوا او قتلوا في سبيل قدسية اسمه سيبعث في نفوسنا الخوف والاجلال لاسمه .

والدين ، دين الجماعة ، هو القوة التي تنشط في داخلنا وتغنينا حتى ولو كانت تضغط علينا .

راشيل تبكي على ابنائها ، وفي وقت ليس للفرد فيه اية قوة ، يرفع الكنيس صوته من بين خرائب جبل حوريب .

ان ذلك الاسرائيلي الذي ضحى بحياته من اجل واحدة من الوصايا الصغيرة ، يصرخ بي دمه من اعماق الارض عندما اعصى مثل تلك الوصية، وتقف صورته المنهارة المحطمة ، المسحوقة موبخة اياي على ما اقترفت .

هذه هي مأساة التاريخ ، هذه هي آلام التذكر ، آلام تملأ قلوبنا ونفوسنا، ومن ثم تهزها وتمزقها وتشطرها لتحول مشاعرنا الى انتصارات واستسلام .

عندما نقهر الماضي نكون قد قهرنا انفسنا ، ولكن عندما يتغلب الماضي

نكون نحن وابناؤنا وابناء ابنائنا هم الذين يغلبون (بضم الياء) . . . الاكسير والسم يوجدان في مادة واحدة ، فمن يرينا الطريق ؟ ومن يمهده لنا ؟

حول القدسية (١٨٩٩)

يقول الكتاب : فتتقدسون وتكونون قديسين (٦) . ان هذا هو النور الذي نهتدى به حتى ولو بنينا عوالم جديدة وبحثنا عن اساليب جديدة.

كونوا قدسين ــ ليس فقط بافكاركم وكلامكم ، وليس فقط باعمالكم وارادتكم ، ولكن بكل ما في كيانكم . ان استقامة القلب وطهارة الانسان في كل شيء هما الغاية القصوى . الافكار وحدها عديمة الفائدة وكذلك لا يجدى الشعور ، ان الاستقامة مطلوبة منكم ، الاستقامة في كل شيء .

وسوف تصبحون شعبا مقدسا ، ولكن الشعب المقدس ليس ذلك الشعب الذي يقضي عليه العذاب ، فشعب مغلوب ، معذب ، ومضطهد ليس باستطاعته ان يكون مقدسا . اذا لم تكن لنا حياة قومية ، واذا لم نأكل ثمار تربيتنا بل اكتفينا بان نكدح على تربة الغرباء ، كيف نستطيع ان نسمو بروحنا ؟ اذا كنا في حرب مع انفسنا في كل ما نعمله ونفكر به ، كيف سنتمكن من ان نصل الى سمو النفس وان نجد طريق الطهارة ؟ ان شعبا مقدسا لا بد ان يكون شعبا حيا .

---

٦ ــ اللاويين : ٢٠:٧ .

جوزيف حاييم برنر (١٨٨١ ـ ١٩٢١) Joseph Hayyim Brenner

كاتب وروائي عبراني .

ولد في اوكرانيه وتثقف ثقافة دينية ونال قسطه من الدراسات العامة . استهوته في صباه رابطة الاشتراكيين الثوريين اليهودية التي كانت تعادي دعوة القومية اليهوديةبشدة لايمانها بان نظام المستقبل في العالم سوف يوحد بين جميع العمال في سائر الشعوب . لكنه ما لبث ان ابتعد عن هذه الحركة واعلن ولاءه للصهيونية . حرر في جريدة « الاتحاد العمالي » في مدينة هومل عام ١٨٩٨ . وظهرت كتاباته الاولى في وصف فقر اليهود المدقع داخل روسيه القيصرية عام ١٩٠٠ . ومنذ ذلك الحين امتلات كتبه وروايات بموضوعات تنمّ عن مرارة زائدة ضد نفسه والعالم ومحاولات لابراز التشاؤم والفشل والمساعي الخائبة بصور قاتمة .

خدم في الجيش الروسي ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ وصور حياته في رواية قصيرة بعنوان « سنة واحدة » . هرب الى لندن واقام هناك ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧ يعمل في مطبعة وينشر المجلةالعبرية الشهرية « هاميؤرر » . تهجّم فيها على لغة الكلام الجرداء في الحياة السياسية اليهودية . ولم ينعم بالهدوء والاستقرار . فعاد الى اوروبه الشرقية وانتقل بين مدنها، حيث اصدر مجموعة بعنوان « رفيفيم » . استمرت في الصدور فيما بعد بالقدس ويافا .

جاء الى فلسطين عام ١٩٠٩ حيث اشتغل كعامل في المزارع لكي يبقى قريبا من الحركات العمالية والرواد . وما لبث ان عاد الى الصحافة الى جانب زعامته في الحركات العمالية . بدا عام١٩١٩ في تحرير واصدار مجلة « هاادامه» الناطقة بلسان حزباحدوت هاعفودا . وكان قد قضى سنوات الحرب مدرّسا في ثانوية تل ابيب الاولى . حتى قتل اثناء اشتباك مع الثوار العرب في فلسطين بالقرب من يافا .

تتخلل جميع رواياته شخصية واحدة تلقى مصيرا واحدا على الدوام: بدايات فاشلة في معترك الحياة تتبعها المساعي الخائبة التي تترك مرارة في النفس ونقمة على العالم اجمع . صوّر الحياة الفلسطينية باسلوب واقعي وكانت اولى رواياته عن فلسطين « من هنا وهناك » مستوحاة من حياة ارون د. غوردون . وهي الرواية الوحيدة التي تتضمن فيها شخصية البطل مقدارا من الايجابية والتفاؤل . وكاننا به يسعى في كل مكان باحثا عن الالم والعذاب والاضطهاد حتى يصبح مفتاح الامل بيد استيطان فلسطين وحدها !

كتب مقالات عديدة نقدية واجتماعية وقام بترجمة روائع الادب الكلاسيكي العالمي الى اللغة العبرية . اشهر مقالاته تلك التي عنوانها « تقدير انفسنا في ثلاثة مجلدات » (١٩١٤) وهي كناية عن دراسة نقدية قدم بها لآثار الكاتب العبري مندبل . تلخص

كراهيته ورفضه للماضي اليهودي في حضارته ومجتمعه وتدعو الادب الى القيام بتحطيم القيم الموروثة واعادة بناء الحياة اليهودية من جديد . فالادب العبري الجديد يجب ان يكرس نفسه لعملية النقد الذاتي واكتشاف الاخطاء والنواقص في الشخصية اليهودية . فالبناء الجديد ليس ضربا من المحال ما دام باعث الحياة يصرخ فينا : « مستوطنات العمال ! مستوطنات العمال ... هذه هي ثورتنا . الثورة الوحيدة » .

وقد حملته الدعوة التجديدية الى الثورةعلى التقاليد اليهودية والتمرد علىالماضي، لكي يفتح المجال امام تنفيذ النوايا الصهيونية ويمزج الحركة العمالية بمطامع الاستعمار الصهيوني .

رأس تحرير جريدة عبرية للعمال الزراعيين بعنوان « التربة » The Soil حتى وفاته .

الانتقاد الذاتي (١٩١٤)

ان المشككين والمتمردين الذين ظهروا مؤخرا في ادبنا يقولون : ماذا؟ هل استمر اليهود في البقاء ؟ نعم ، لقد بقوا . ولكن ، يا اصدقائي ، ان البقاء وحده ليس بفضيلة . صحيح انه افضل لاي انسان ولاي شعب ولاي كائن ان يكون من ان لا يكون . صحيح ان الحياة افضل من الموت ، لان الوجود نفسه شيء بهيج ــ ولكن الوجود بحد ذاته ليس دليلا على الفضيلة . لنفترض ان فلانا قد بلغ عمرا مديدا « وجليلا » ــ حسنا وجيدا ، ولكن علينا ان لا نجل العمر وحده ما لم يكن معه نشاط جسدي وروحي ، وكذلك يجب ان لا نكرم المسنين فقط بسبب اعمارهم .

واليهود من الشعوب القديمة التي عاشت وبقيت الى الان . وعلى حد تعبير منديل Mendele (١) « قوافل تأتي وقوافل تروح ــ ولكن اليهودي الحالم The Luftmenschen الذي يعيش في كسلون وكابتزيل يبقى الى الابد » . وعلى اي حال ، فان هذه الحقيقة وحدها لا تبرهن شيئا ، فليس الاكثر نبلا هو الذي يحيا ، ولكن النبلاء فقط هم الذين يعيشون حياة شريفة . ان هناك سرا غامضا حول ظاهرة بقائنا الطويل

---

١ ــ منديل Mendele هو اللقب الادبي لشالوم جاكوب ابراموفيتز ، وهو الذي راجع برنر جميع كتاباته بالعبرية في هذه المقالة . « كسلون » و « كابتزبل » هما اسمان اختارهما منديل لمنطقته ، وهما مدينتان من مدن اليهود الانعزالية الروسية الفقيرة المظلمة . والاولى تعني بالعبرية « الغباء » والثانية « الفقر » .

هذا ، ولهذه الظاهرة اهمية خاصة اوليست الخليقة كلها ملأى بالاسرار الغامضة ذات الاهمية ؟ ـ ولكن ذلك ابعد من ادراكنا . اننا نستطيع فقط ان نحكم على نوعية وجودنا وعلى طريقة حياتنا التي لا تجلب لنا الشرف العظيم . نعم لقد عشنا ، واننا نعيش اليوم وليس في هذا ادنى شك ولكن ما هي قيمة حياتنا ؟ لم نرث شيئا من اسلافنا ، فكل جيل لا يترك شيئا للذي يليه . وان ما وصلنا من الادب الديني اليهودي ـ كان من الافضل ان لا يصل الينا وهو على اي حال ، قد بدا الان يموت شيئا فشيئا . كل ما نعرفه عن حياتنا يشير الى ان الجماهير اليهودية تعيش فقط بيولوجيا مثل النمل، ولكننا لسنا شعبا يهوديا بالمعنى السوسيولوجي للكلمة ، لسنا شعبا يضيف كل جيل غنى جديدا الى ما سبقه ، لسنا شعبا مترابطة اجزاؤه ، ان كل ما نعرفه عن حياتنا يشير الى انه لو كانت طبيعتنا غير ذلك ، لما كنا قد تمكنا من البقاء الى اليوم . ولو كنا غير ما كنا عليه ، لكانت حياتنا الحاضرة تختلف عما هي عليه الان . عندما نصرخ في هذه الايام : « اذا لم نتغير ، اذا لم تتغير ظروف بيئتنا الان ، فسوف لا نصبح شعبا مختارا ، مثل بقية الشعوب التي جعلت نفسها شعوبا مختارة بنفسها . اذا نحن لم نعمل على هذا التغيير فسوف نفنى في الحال » . ان ما نعنيه هو اننا سوف نفنى كشعب ـ وسنموت ككيان اجتماعي. نعم سنحيا كجماعة من الغجر ، والباعة المتجولين وكتبة البنوك ، في مثل هذه الاقنعة ، سنحيا بيولوجيا لعدة سنين كما عشنا الى الان بدون تغيير.

اننا نريد ان نحيا ، نحيا باية طريقة ، حتى كالنمل او كالكلاب ، لان الذي يحيا باتباعه مبادىء حب الذات ، والتكيف ، والاستعطاف لكي يعيش في العالم هو افضل من الاسد الميت الذي يدفعه حبه لذاته لان يقف في وجه المارة ، ويعرض نفسه للموت . علينا ان لا نصدر حكما على شعب « حي » لا يعرف افراده سوى الانين والانحناء للعاصفة ، يدير ظهره لاخوانه الفقراء ويخبىء نقوده ، يتجول بين الاغيار Goyim ليؤمن معيشته منهم وبالتالي يقضي نهاره يشكو من سوء معاملتهم له ـ لا نريد ان نقول اي شيء عن مثل هؤلاء لانهم لا يستحقون اي اهتمام .

بعد ذلك يأتي من يكيل الثناء لتاريخنا المليء بالشهداء ! يثنون على الشعب الشهيد الذي قاسى كثيرا ومع ذلك عاش رغم الاضطهاد وظلم السلطات له وحقد الشعوب عليه. ولكن هنا ايضا، من يستطيع ان يخبرنا ماذا كان سيحدث لو لم يكن هناك اضطهاد وحقد ؟ من يستطيع ان يخبرنا ما اذا كان بامكان اليهودي ، ذلك المخلوق الغريب ان يعيش لو لم يكن هناك

حقد عالمي عليه ؟ ولكن الحقد كان محتما وكذلك فان البقاء كان محتما ! بقاء يناسب ذلك النوع من الكائنات ، بقاء ليس فيه صراع من اجل الامور الدنيوية (ما عدا الكفاح من اجل سد رمق حياة يحياها الكلاب او السمك) ولكنه بالطبع مليء بالاستشهاد من اجل العالم الاخر ، نعم من اجل اسم مملكة السماء .

كذلك يقولون : ان ذلك الحقد العالمي والمحتم هو بنفسه برهان بان هناك ما يدعو الى التفكير بسر هذه القوة الغريبة في ذلك الكائن العجيب .

هناك قوة بكل تأكيد، ذلك ان لكل كائن حي مهما كان قوة تساعده على الحياة . ولكن السؤال ، وللمرة الثانية ، هو : ما هي طبيعة تلك القوة ؟ وكيف تعبر عن نفسها ؟

انه لشيء من الثبات والقوة ، القوة المنتجة ، ان يترك اليهود اولئك الذين يكرهونهم ويشكلون حياة خاصة بهم . انني اسمي ذلك تضحية بطولية . في ايامنا هذه ، عندما اضطهدت الحكومة الفلاحين الروس الدوخوبور Dukhobors لاسباب دينية ، ترك هؤلاء الفلاحون كل شيء وذهبوا الى كنده ليؤمنوا معيشتهم باية طريقة ممكنة. وبالمقارنة مع ذلك، لننظر الى استعمارنا الاجوف ، الى مستعمراتنا في الارجنتين وفي فلسطين ، سيقول بعضنا بكل سفسطة سياسية : ان الاستعمار شيء صعب ، صعب حتى على حكومات قوية لها امكاناتها ، ونحن ليس لدينا حكومة . ولكنهم ، في الوقت نفسه ينسون كليا ، اولا ، انه لم تكن لنا حكومة ، ولم تكن قوتنا الوطنية مركزة في تنظيم واحد ، لانه بكل بساطة ليس لنا اية قوة وطنية ،ثانيا ، انه لو كان هناك شعب سوانا وجد نفسه في حالتنا (او في حالة اخرى) لما كان وقف في وجهه شيء ، بالرغم من جميع مصاعب الاستعمار . ان بيننا اناس يتحدثون بكل خبرة عن مصاعب الاستعمار واساليب تسهيله المجرّبة ، بينما ينقصنا وقبل كل شيء الاساس الصحيح : ليس لدينا مستعمرون ، ولا شغيلة ولا عمال . وكل ما لدينا ليس سوى احلام تليق بمن هم امثال Reb Leib the Melamed (٢) . لماذا

---

٢ ــ رب ليب الميلاميد (المدرّس في مدارس الحارات اليهودية) وهو بطل قصة منديل القصيرة « الهجوم » Stampede والتي كتبت في العام ١٨٩٢ ، فيها اظهر المؤلف نقده الساخر لحركة «حب صهيون». لقد تراكض الناس من جميع الطبقات الى اوديسه التي كانت مقرا

(التتمة على الصفحة التالية)

كل هذا الكلام ؟ لو لم تكن بيننا اليوم حركة ابستعمارية ـ توسعية عظيمة، يكفي ان يكون هناك حفنة من الشباب من بين الاثني عشر مليونا ليقدموا من اجل غسل اجسادنا من طاعون التجول الذي اصابنا ، وليزحزحوا بأكفهم المتعبة عن ظهورنا عارنا التاريخي. لكانت تلك آية قايين بان يتمسك المتجولون بتجولهم لان ليس لديهم القوة لعمل شيء افضل من ذلك .

ثم يأتي دعاتنا القوميون ليخبرونا عن ثبات اليهود في معتقداتهم الدينية. ولكن اية فائدة نجنيها من ممارسة اجدادنا لبعض العادات الدينية خاصة تلك التي لم تكن لتكلف اية اموال والتي كانت على امل ان يجازوا في العالم الآخر ؟ فاللغة والاخلاق والافعال وكل ما يعكس النشاط الانساني كانت عندهم تقليدا للاغيار . وفي القرون الوسطى عندما لم يكن اليهود معزولين في حاراتهم ، وبعد ذلك حتى وهم في حاراتهم. كان ايماننا وكانت معظم مفاهيمنا الدينية مأخوذة ومستعارة من الاخرى ومتأثرة بهم بشكل اعمى (مثل : الملائكة والشياطين والشعوذة والسحر والتلمود) . كذلك كان للامور التجارية في حياة اجدادنا دور اكبر من الامور الدينية ، وعندما كان هذان الامران يتضاربان ، لم يكن النصر حليف الدين . انه لخطأ كبير ان نصف تاريخ شعبنا بانه حرب طويلة من اجل حفظ قدسية ديننا في الوقت الذي كانت فيه تلك الحرب الطويلة من اجل كسب الحقوق لانفسنا. ان تلك المئات من الاجيال لم تعش من اجل تقديس اسم الله ولكن من اجل خطط لانجاز اعمالهم التجارية التي يتطلبها منهم الجمهور العام من اجل فائدتهم هم . لقد كانوا يحيون لصيانة اموالهم وزيادة معدل الفائدة وليصونوا انفسهم في وجه التنصير . وكذلك فان التنازلات في الامور الدينية من اجل متطلبات البيئة الخارجية لم تكن منعدمة ابدا .

لقد كان اليهود ، في صلواتهم ، وطقوسهم الدينية وكتبهم المقدسة يشكون لله من عدم تخليصهم وعدم اعادتهم الى وطنهم مع ما كانوا يفعلونه من اجل اسمه العظيم رغم المنفى المرير الذي كان يقف حائلا بينهم وبين ممارسة جميع القوانين والوصايا بشكل صحيح . لكنهم في الوقت نفسه، كانوا راضين ان يَبقوا حيث هم بين الاغيار الاشرار ما دام هؤلاء الاغيار

للحركة وذلك لكي يسجلوا انفسهم للاستيطان في فلسطين بعد ان سمعوا القصص الزاهرة عن مباهج الحياة فيها . ان رب ليب هو احد هؤلاء ، كان قد تقلب في عدة حرف وفشل فيها جميعا فبدا يحلم في العيش في فلسطين .

يسمحون بذلك . وكان من الطبيعي ان يدفعوا الاموال للحفاظ على حياتهم، ويتقوقعوا داخل صدفاتهم السلحفائية عندما كانوا يتعرضون للاضطهاد ويتطلعون من خلال الشقوق الموجودة في جدران كهوفهم لايام افضل يظهرون فيها من صدفتهم وينتشرون في العالم ويقومون باعمالهم فيه . ان تاريخنا لم يكن تاريخ تقديس اسم الرب ، بل انتظار يوم الاندماج. لقد كان لنا في الطرد والحارات تأمينا لبقائنا . من يدري ماذا كان سيبقى من يهود اسبانيه الذين كانوا يحيون في عصرهم الذهبي (٣) ، وكذلك من اولئك الاسبانيين ذوي الملة الموسوية غير اولئك الذين بقوا من المارانيين ذوي الملة المسيحية . فوجود السفارديين ـ السفارديين العرب (٤) والسفارديين الاتراك والسفارديين الصرب والبلغاريين من ذوي الملة الموسوية في الامبراطورية العثمانية والاراضي البلقانية ـ ان وجود هؤلاء جميعهم راجع الى كون عشرات الالوف منهم قد طردوا الى بلاد غريبة ذات مستوى ثقافي ادنى مما جعلهم لا يستطيعون العمل فيه بالشكل الذي كانوا يعملون فيه في البلاد التي طردتهم .

التاريخ ! التاريخ ! لكن ماذا يحمل لنا التاريخ ؟ انه يخبرنا انه اذا صدف ان كانت اغلبية الشعب لا تكره اليهود الذين يعيشون بينهم ، فان اليهود كانوا يبدأون حالا في تقليدهم في كل شيء وفي الاستسلام لهم في كل شيء وفي حشد قواهم الضعيفة ليكونوا مثل باقي الناس . حتى عندما كانت تضيق بهم جدران الحارات الانعزالية ، كم واحدا منهم حاول خرق هذه الجدران ؟ لقد فقدوا احترامهم الذاتي في وجه ثقافة الآخرين وطرق حياتهم الجميلة . لقد حسدوا الآخرين ! وكانوا يحنّون ليقتربوا من الآخرين !

---

٣ ـ العصر الذهبي في اسبانيه يشير الى القرن العاشر ، عندما كان اليهود يتمتعون بوضع من الحرية في ظلال الدولة العربية Moorish التي كانت تحكم اسبانيه ، وذلك بشكل لم يعرفه اليهود في اي مكان آخر خلال القرون الوسطى . التعبير مستعمل هنا ليعني التعايش الثقافي لليهود مع جيرانهم ، واهتمامهم بكل انواع العلم والادب ، الشيء الذي ميّز يهود اسبانيه عن غيرهم ثم ساءت ظروفهم فيها شيئا الى ان طردهم فرديناند وايزابيلا نهائيا في العام ١٤٩٢ .

٤ ـ سفارديم هم اليهود الذين يعود اصلهم الى اولئك الذين نفوا من اسبانيه .

ويجمع كتاب تاريخنا على ان اجدادنا، يهود الحارات، كانوا يحسون بنوع من الكبرياء والسمو بالنسبة للاغيار حتى عندما كانوا يقبلون ايديهم ويركعون امامهم .

ويلخصون الامر بما يلي : لقد كانت هناك عبودية وتواضع في الظاهر، وكبرياء وجمال في الباطن .

من الممكن ، ان بعض اليهود الحساسين بالنسبة لتقشفهم كانوا يعزون انفسهم بما كان يوعد به اليهود من حياة افضل في العالم الآخر . ربما كانوا يؤكدون لانفسهم انه رغم جميع ما يملك الاغيار من اراضي وخيل وعربات ومغنين وكل مباهج الدنيا فانهم لن يرثوا الفردوس معنا. ان هذا كان مجرد عزاء ، وليس اكثر من ذلك .

ولكن من اين اتى هذا الاحتقار من جانب اليهود للاغيار والشعور بالسمو عليهم ؟ هل كان اليهودي عديم الشعور حقا وميتا الى درجة لم يشعر معها ان حياة الاغيار اكثر غنى واكثر جمالا من حياته ؟ كلا ! ان هذا مستحيل ! اننا لا نستطيع ان نصدق هذا ! اذا كان هناك احتقار للاغيار، فلم يكن ذلك سوى حسد طبيعي يشعر به الفقراء تجاه الاغنياء ، والرهبان تجاه الفرسان والضعاف تجاه الاقوياء . ان هذا الاحتقار لم يكن سوى استسلام لنصيبنا في هذه الدنيا واحيانا نوع من العزاء لآمالنا في العالم الآخر يتلوه صرير اسنان وغضب باطني عن وعي أو عن لا وعي .

ان احتقارنا لكل ما يجب احتقاره في حياتنا قد ضرب جذورا له في آدابنا الرفيعة منذ منديل ، احتقار الناس لنا خلال الاجيال كان دون معنى . لقد اصبح ادبنا يعاني من ضعف كما يفعل الرجل المسن . فهو مريض واعصابه محطمة ، وبيئته ضعيفة وحياتنا كلها اصبحت مريضة وحتى احتقارنا لذاتنا اصبح مضعضعا ايضا .

نعم ان مجتمعنا بدأ يتصدع ، وهذا ليس بجديد لان هذا المجتمع لم يكن مستقرا ابدا ، فقد كان دائما ينقصه الاساس المتين . لم يكن لدينا عمال ، وبروليتاريون حقيقيون . وكل ما كان عندنا الآن ليس سوى فقراء كسالى. ولم يتغير شيء في الاساس، ولكن اشكال الحياة ذاتها بدأت تتحلل.

اننا نحيا الآن دون مجتمع ، خارج اي مجتمع على الاطلاق ، وعلينا ان نبدأ من جديد ، وان نرسي حجر الاساس من جديد ولكن من سيفعل ذلك ؟ هل نقدر نحن على ذلك بشخصيتنا المريضة ؟ هذا هو السؤال .

هذا هو السؤال : لكي تتغير شخصيتنا كما يجب ، نحتاج الى مجتمع ولكي نخلق نحن مثل هذا المجتمع علينا ان نغيّر شخصيتنا تغييرا راديكاليا .

لقد وصلنا الآن الى طريق مسدود ، ولكن القلم ما يزال في اليد . ان ادبنا يحيا مع منديل Mendele ومع جميع الذين جاءوا بعده ، وانه لا يزال يبحث عن الطريق متخذا الانتقاد الذاتي دليلا له .

ها هو ادبنا يصرخ . انه يحس بأن صرخة صادقة هي تحرر الى حد ما . وادبنا يقيّم كذلك ، انه يحس ان تقييما صادقا حتى ولو كان سلبيا يحمل في ثناياه طاقة ايجابية . لان المعرفة الصادقة للذات وقبول الاحكام القاسية سيساعداننا على تخطي انفسنا .

يقول ادب الانتقاد الذاتي منذ منديل : ان مهمتنا الآن هي في ان نعترف بوضاعتنا منذ بدء التاريخ حتى يومنا هذا ، وبكل الثغرات في شخصيتنا ، ومن ثم ننهض ونبدأ من جديد . لاننا لسنا ارستقراطيين ! ولكن لا يزال هناك مجال للاصلاح « وان كل من يعترف بأخطائه ويصلحها سيعامل بكل رحمة » ... هذا وادبنا المسكين المضطرب يعرف جيدا بأن المنطق سوف يجادل ويرفض بحجة اننا لا نستطيع ان نتغيّر عما نحن عليه الآن .

ولكن ليجادل المنطق كما يحلو له ان يفعل ، فدافعنا للحياة الذي يقف فوق المنطق يقول غير هذا ، انه يقول : ان كل هذا ممكن ، انه يهمس في آذاننا : مستعمرات للعمال ، مستعمرات للعمال .

مستعمرات للعمال ـ هذه هي ثورتنا الوحيدة .

جاكوب كلاتزكين (١٨٨٢ ـ ١٩٤٨) Jakob Klatzkin

رئيس تحرير وفيلسوف صهيوني محترف

ولد في بولونيه وكان ابوه حاخاما ومن علماء التلمود البارزين . حصّل الثقافة التلمودية التقليدية فانعكس مضمونها في اول كتبه عام ١٩٠٢ حين كان في العشرين من عمره . تابع دراسته الجامعية في المانيه ، حيث اجتذبته الثقافة العلمانية فسخّرها لخدمة الفكرة الصهيونية واصبح من انشط دعاتها والعاملين لها . اتقن اللغتين العبرية والالمانية فصار رئيس تحرير جريدة « دي فلت » ، لسان حال منظمة الصهيونية العالمية بين عامي ١٩٠٩ ـ ١٩١١ . وشغل منصب مدير المكتب الرئيسي التابع للصندوق القومي اليهودي . وبعد الحرب العالمية الاولى اسس خلال العشرينات ، بالاشتراك مع ناحوم غولدمان ، دار اشكول للنشر في برلين واخرج عنها الكتب العبرية . عمل في الموسوعة اليهودية كرئيس للتحرير ثم انتقل الى سويسره بعد تسلم النازيين الحكم . سافر الى اميركه عام ١٩٤١ ورجع بعد نهاية الحرب العالمية الثانية الى اوروبه حيث توفي في سويسره عام ١٩٤٨ .

تقوم فلسفته على اسس بيولوجية وتتنكر للعقل ، اذ تشدد على الاخطار التي تهدد روح الانسان الحديث من جراء سيطرة العقل . يدعو للصهيونية على اساس المذهب الحيوي ، اذ يجعل مقومات الوجود الصهيوني مستمدة من البيولوجيا والاثنية ويعتبر الارض واللغة صانعتي الامة . لذلك يدعو اليهود للاستيطان في فلسطين واستعمارها والتكلم باللغة العبرية من جديد لكي تتحقق الحياة القومية اليهودية . وقد عبّر عن افكاره الصهيونية في عدة مقالات جمعت عام ١٩١٤ وصدرت بعنوان « تخوم » او حدود . وهو يحاول تعريف الامة والقومية على اساس الارض واللغة ، اذ « لا معنى لاي حديث عن الفرادة الروحية والمصير والرسالة » . فهو يعتبر هذه المسائل من علامات المرض لدى كل من ليس بامة . وليس من حل امام اليهود سوى الهجرة الى فلسطين او الزوال عن طريق التزاوج . والطريق الوسط غير وارد . لذلك نجده ينظر الى الصهيونية على اساس بدعتها في تعريف القومية اليهودية تعريفا اقليميا سياسيا وليس كنظرة روحية . فلا يمكن ان تقوم الصهيونية على فهم الهوية اليهودية التي ترتكز بدورها على المقاييس الروحية ، لان ذلك يعني عودة الى الوراء بقيم نظرته القديمة . وليس هدف الصهيونية من الاستيلاء على فلسطين بدافع الرغبة في ايجاد قاعدة للقيم الروحية اليهودية ، بل لمجرد « استعادة ارضنا » وتحقيق « حياتنا القومية » على تلك الارض . والصهيونية بالتالي تعارض القيم الاخلاقية في الدين اليهودي فتجعل بدايتها الحقة اقامة الدولة اليهودية واعطائها الطابع العلماني . ثم ينتهي الى القول بان الصهيونية لها نزعة انسانية شاملة اذ هي تسعى نحو

الاخلاق والجمال وتعمل على خلاص الانسان في نفس اليهودي .

من كتبه الاخرى قاموس المصطلحات الفلسفية بالعبرية ومجموعة من الاقوال المأثورة بعنوان « في مدح الحكمة » .

الحدود (١٩١٤ ـ ١٩٢١)

اليهودية هي القومية

نقد كان هناك مقياسان لليهودية في الماضي : مقياس الدين الذي تعتبر اليهودية بالنسبة له نظاما من الوصايا الايجابية والسلبية ، ومقياس الروح الذي رأى في اليهودية مجموعة من الافكار ، كالوحدانية والمسيحية والعدالة المطلقة ، الخ . . . وبناء على هذين المقياسين ، فان اليهودية ترتكز على اساس ذاتي ، اي على اساس قبول العقيدة . ان كلا منهما يعرّف الشعب اليهودي كطائفة : فبالنسبة للمقياس الاول ، الشعب اليهودي هو طائفة دينية وبالنسبة للثاني يعتبر هذا الشعب مجموعة من الافراد لهم نظرة عالمية Weltanschauung واحدة . لذلك يمكننا ان نستنتج من التعريف الاول ان كل من لا يؤمن بالدين اليهودي يعزل نفسه بذلك عن الشعب اليهودي . كذلك بالنسبة للمقياس الثاني فان كل من ينكر القيم الاخلاقية لليهودية وافكارها يعزل نفسه تلقائيا عن المجموع .

ومقابل هذين المقياسين اللذين جعلا من اليهودية معتقد ديني ، برز مقياس ثالث ، وهو مقياس القومية الثابتة . وبالنسبة لهذا المقياس فان اليهودية ترتكز على اساس موضوعي هو : ان تكون يهوديا لا يعني اعتناق الدين او القبول بالمعتقد الاخلاقي . اننا لسنا طائفة ولا مدرسة فكرية بل افراد عائلة واحدة ولنا تاريخ مشترك ، وان انكار التعاليم اليهودية لا يضع الفرد خارج الجماعة ، كما ان قبولها لا يجعل من الشخص يهوديا . وباختصار ليس من الضروري ان يؤمن الفرد بالدين اليهودي او بالنظرة الروحية العامة لليهود لكي يصبح جزءا من الامة .

لذلك ، هل يكون مضمون ما نعنيه بالذاتية القومية هو بالضرورة رباط التاريخ المشترك والمشاركة في الماضي ؟ ان الرباط يمكن ان يبتر ، كما ان المشاركة يمكن ان تحل . اذن هل يكفي هذا الاساس الموضوعي للقومية اليهودية دون اساس ذاتي ؟ هل تخلي الانسان عن اليهودية مستحيل كافكاره لعائلته ؟ ان للمعيارين الاولين فائدة انهما يسمحان بمبدأ

الحرية لانه بالنسبة لهما ، لكي تصبح يهوديا عليك باختبار الدين او المعتقد الاخلاقي . ومن الناحية الاخرى ، فان التعريف القومي يبدو وكأن ما يجعل الشخص يهوديا هو حقيقة موضوعية ، شيء يفرضه علينا التاريخ. على ان هذا ليس بصحيح ، فالتعريف القومي يتطلب عملا ارادايا ايضا ، انه يعرّف قوميتنا على اساس معيارين : المشاركة في الماضي والرغبة الواعية لاستمرار هذه المشاركة في المستقبل . لذلك فان هناك اساسين للقومية اليهودية ــ الالتزام التاريخي ورغبة في ذلك التاريخ . ان اليهودي الذي لا يرغب في ان يظل منتميا للشعب اليهودي ، والذي يخون العهد ويهجر رفاقه في معركتهم المشتركة من اجل الخلاص ، يكون بذلك قد تخلى عن تراثه الماضي وفصل نفسه عن شعبه . وللسبب نفسه ، فان المتهوّد Convert لا يستطيع ان يصبح يهوديا بقبوله لقيمنا الدينية والروحية فقط ، انه لا يكتسب نصيبا في المستقبل اليهودي الا اذا اشترك وقبل المساهمة في الحياة اليهودية وانخرط عن ارادة تامة في تاريخها .

الامة يجب ان يكون لها ارض ولغة

لذلك ، هل تعني القومية اليهودية نفيا لروح اليهودية ؟ ان مثل هذا النقد القاسي ليس عادلا ، فالقومية اليهودية لا تنكر القيم الروحية اليهودية ــ ولكنها ترفض ان ترفع هذه القيم الى مستوى المقياس الذي تعرّف به الامة . انها ترفض ان تعرّف اليهودي كشيء ذاتي ، كايمان ، وتفضل ان تعرّف اليهودي على اساس موضوعي ، اي على اساس لغة وارض ، هذان هما العنصران الاساسيان للكيان القومي .

ولكن ارضنا ليست لنا ولغتنا ليست اليوم لغة شعبنا . نعم ان على حركتنا القومية ان تحقق هذين الهدفين. فنحن في الوقت الحاضر نحاول ان نجعل حقنا في ان نصبح امة شرعيا ونضع املنا في مستقبل نكافح من اجله ، وعن طريق انكارنا لحياة المنفى . ان الكفاح في سبيل مستقبل قومي لارضنا ولغتنا والتوجه نحو وجود في المستقبل لم يتحقق بعد ــ هذه هي فقط المطالب التي بواسطتها يتمكن يهود المنفى ان يصبحوا امة .

ان اليهود المندمجين يعتقدون باننا لم نعد امة في بلاد الشتات ، ولكن على القوميين اليهود ان يجيبوا : نحن امة حتى في بلاد الشتات ما دمنا نضحي من اجل هدفنا وما دمنا نعمل من اجل بعث ارضنا ولغتنا .

ان قومية الشتات تؤمن باننا نشكل كيانا قوميا حتى في بلاد الشتات

ما دمنا نحيا ونعمل حسب روح اليهودية وذلك بالرغم من اننا نعيش في بلاد غريبة ونتخاطب بلغات اجنبية . ان القومية اليهودية الصحيحة يجب ان تجيب بقولها : ان وجودنا في بلاد غريبة وتخاطبنا بلغات اجنبية ليس وجودا قوميا ابدا حتى ولو عشنا وابدعنا حسب روح اليهودية ، اي ، حسب روح التعاليم اليهودية الاخلاقية . ان قومية الشتات، بدون قطبي الارض، القومية واللغة القومية اللذين يجب ان نحققهما في المستقبل ليس لها اي معنى ، وبذلك يكون الاندماج هو الطريق الشجاع والمنطقي الذي يجب ان نسلكه .

ان الجديد في الصهيونية هو تعريفها السياسي ـ الاقليمي للقومية اليهودية . ان نزع مبدأ الاقليمية عن الصهيونية سيدمر شخصيتها وسيمحو الفروقات بينها وبين العصور السابقة . هنا تكمن اصالتها ـ اي في ان اليهودية تعتمد على الشكل وليس على المضمون. وان مجال الاختيار لها واضح : اما ان يخلّص الشعب اليهودي الارض وبذلك يستمر في الحياة حتى ولو تغير المضمون الروحي بشكل راديكالي ، واما ان نبقى في المنفى ونتلاشى حيث نحن حتى ولو بقي المضمون الروحي موجودا . اننا في حنيننا لارضنا لا نتطلع الى خلق قاعدة فيها للقيم الروحية اليهودية. فاستعادة ارضنا هي غاية بحد ذاتها ، هي تحقيق الحياة القومية الحرة. ذلك ان مضمون حياتنا سيصبح قوميا عندما تصبح اشكالها قومية . وفي الحقيقة ، يجب ان لا نقول بان الارض شرط سابق للحياة القومية ، ان العيش على الارض هو في حد ذاته الحياة القومية .

ليس من قبيل الصدف ان تحارب النظرية التي تعتبر اليهودية نظرة روحية حتى في شكلها القومي ، بعنف ضد مفهوم الصهيونية الاقليمي، فقد خافت وكانت صادقة في حسها ، من ان تلقى ضربة الموت على يد هذا الشكل من الصهيونية . لقد انضمت كل انواع الفكر « الروحي » بما فيه القومي ، اليها في محاربة الصهيونية السياسية وذلك باسم روح اليهودية ، اي ، باسم اخلاق الانبياء ، وقد اكدت جميعها على ان الهدف النهائي للشعب اليهودي ليس اقامة دولة سياسية ولكنه حكم العدالة المطلقة . لقد سخرت كل هذه المدارس الفكرية من هرتزل البطل العبقري لنهضتنا ، بقولها : نحن شعب كهنة ، وامة من الانبياء ـ ماذا يعني عندما يأتي ليتحدث الينا عن النشاط السياسي ؟ لقد قدم « الروحيون » Spiritists حياة المنفى كدليل على ان اساس حياتنا يكمن في القناعة الازلية لليهودية .

ان الصهيونية تعارض كل هذا ، فبدايتها الحقيقية هي **الدولة اليهودية** وغرضها الاساسي هو ان تنكر عن قصد او عن غير قصد ، اي مفهوم للذاتية اليهودية على اساس مقاييس روحية .

لقد بدأت الصهيونية مرحلة جديدة ، لينس لوضع حد للشتات فحسب ولكن من اجل ايجاد تعريف جديد للذاتية اليهودية ـ **تعريف علماني**. انني متيقن من ان بناة بلادنا سوف يضحون بانفسهم في المستقبل في سبيل الاهداف القومية ، اي في سبيل الارض واللغة ، تماما كما قبل اسلافنا الاستشهاد في سبيل المضمون الديني لليهودية . ولكننا ما نزال نقف على مفترق طرق ولا نستطيع ان نميز بين فترة واخرى . ان شخصية النبي التي يمثلها احد هاعام لا تزال تحجب النور القومي الذي يمثله هرتزل .

في المقياس « الروحي » خطر كبير ليس على نهضتنا القومية فحسب ، ولكن بشكل اكثر على نهضتنا كأفراد . هذا المقياس يربط روحنا بقيود التقاليد ويخضع حياتنا لمبادىء محددة ، ولتراث وقيم قديمة . اننا مقيدون بقيم بالية ،وباسم الوحدة القومية والتماسك الوطني شلت شخصياتنا لاننا قد حرمنا من حرية الفكر . وبالاضافة الى ذلك ، فالتعريف « الروحي » لليهودي يؤدي الى الشوفينية القومية ، والحركة القومية تكون عديمة المعنى حتى تنمي حرية الفرد ـ ولن يكون هناك نهضة قومية جديرة بأن نناضل في سبيلها ما لم تحرر هذه النهضة وتحيي القيم الانسانية ضمن القيم القومية .

الاندماج ممكن

ان هناك مدرسة فكرية تقول : ان الاندماج الكامل للشعب اليهودي مستحيل ، فقد فشلت جميع الجهود لتحقيق الاندماج وبقينا شعبا مميزا ، ولم تحل المسألة اليهودية بواسطة هذه الجهود حتى بشكل مؤقت، فكيف بحل دائم ، لذلك فاننا لا يجب ان نعتبر مجموعة لا مفر لها من ان تختفي ضمن مجموعة اكبر ، بل اننا جوهر فريد لا يمكن ان يذوب ولا يمكن ان تنطبق قوانين الاندماج عليه .

ان هذا الايمان باستحالة الاندماج من المبادىء الرئيسية للصهيونية، وقد وجد هذا الايمان مؤخرا سندا له في نظرية الجنس التي قد احييت في بعض الاوساط الادبية . وقد اصبحت هذه النظرية وقبل ان تبرهن عن

صحتها ، اساسا لكثير من الخطب الصهيونية التي تستخدمها كمنطلق شبه علمي .

وهناك مدرسة فكرية اخرى تؤمن بما يلي : ان الصهيونية ، في جوهرها ، لم توجد لتحل مشكلة اليهود بل مشكلة اليهودية ، هدفها استيطان عبري لارض آبائنا التي ستصبح مركزا روحيا لشعبنا ، والتربة القومية لتطور ثقافتنا والمجال القومي لتفجير ابداعها . ان الاشعة ستنطلق من هذا المركز ، الذي هو نوع من الشمس القومية ، على جماهير اليهود الموجودين في الزوايا البعيدة لبلاد الشتات . واما النور والدفء المنبعثان من الشمس القومية فسيحفظان يهود العالم من ان يقضى عليهم . ان ارض اسرائيل لا يمكن ان تكون ملتقى لتجميع المنفيين ، ولكنها تستطيع ان تكون المنار الروحي لشعبنا ، وتستطيع ان تؤازر المنفى الذي سوف يستمد طاقاته من جذور شعبنا في ارضه .

هناك صفة اخرى لهذه المدرسة الفكرية هي المبالغة في فلسفة جوهر اليهودية ، فهي تحاول ان تعرّف الروح القومية اليهودية بتعابير مجردة، وتصفها وكأنها نظام اخلاقي ونظرة عالمية فريدة يعبّر عنها بمفاهيم مثل : المثل الاعلى للعدالة الاجتماعية ، وفكرة المخلّص ، ومفهوم التجريد وما شابه ... في هذه المدرسة الفكرية « الروحية » يعني « المركز الروحي » « مركزا لروح شعبنا الاخلاقية » . ان هذه الروح هي كنزنا القومي الفريد ، ارض اسرائيل هي هيكل لجوهر الامة الروحي .

من هنا كان الايمان بالقوة الفريدة لبقاء شعبنا نتيجة طبيعية لهذه الآراء . وهذا الموقف مواز لايمان المتدينين : فالمتدينون يؤمنون ان ابناء اسرائيل ازليون ، ويعتمدون في ايمانهم هذا على ازلية ثوراتنا المقدسة . ان اولئك الذين يعرفون اليهودية بتعابير روحية يؤمنون بالقوة الابدية لمذهبنا الاخلاقي ، ولذلك، يميلون الى الاعتقاد بانه من المستحيل ان يقضى على الشعب اليهودي او ان يندمج كليا . هم ايضا يؤمنون ان الشعب اليهودي لا يمكن ان يفنى ابدا .

ومقابل هذه المواقف ، اود ان اؤكد : ان الاندماج الكلي لشعبنا ممكن .

ان عدوى الاندماج بدأت تصيب قطاعات كبيرة من شعبنا وان تأثيرها بدأ يصبح اكثر عمقا . ولكنها وان لم تخف ذاتيتنا القومية بعد ولم تحل المسألة اليهودية فان هذا ليس برهانا على انها لن تصل الى ذلك . ومع

ان الاندماج ما زال في منتصف الطريق ، فانه قد استطاع في مراحله الاولى ان يشوه وجه شعبنا ويفقره .

ان بقاءنا الطويل في بلاد المنفى ليس برهانا على استحالة اندماجنا. ان التمسك بمبادىء ديننا الذي نجح خلال الفي سنة في ان يوجد حاجزا بيننا وبين العالم قد بدأ يضعف ، ولم يعد هناك اسوار وحارات تحمي ذاتيتنا القومية في بلاد المنفى .

ماذا عن روح اليهودية ، روح الاخلاق السامية ، تلك البذرة السليمة التي لا تتلف بنزع قشرتها ، هل تستطيع هذه الروح ان تضمن بقاءنا للقومي ؟ كلا ، انها لا تستطيع ذلك . . . فقوة القشرة اكبر من قوة البذرة. ان قوانين ديننا تمثل الاساس القومي ، وبفضل هذه القوانين كان لحياتنا في بلاد المنفى شخصيتها القومية وحتى السياسية . لا يمكن ان يكون هناك اساس قومي في مذهب اخلاقي وفي افكار ومفاهيم ، وفي نظرة عالمية . ان الانعزال القومي جزء لا يتجزأ من قوانين وانظمة ديننا وليس من روح اخلاقنا . وديننا ، الذي يختلف عن روح الاخلاق المجردة غني بالنظم التي بامكانها ان تشكل وتصون الحياة القومية . نظم اخلاقياتنا يمكن ايجادها في ديننا فقط .

باختصار ، ان الاخلاق لا يمكن تعريفها وبلورتها بشكل كاف ـ فليس فيها التجسد والشكل الكافيان ـ لتحديد وحفظ الذاتية القومية. ان حقل النظام الاخلاقي هو نوع من « الملكية المتحركة » التي يمكن نقلها بكل حرية عبر الحدود القومية ، ولقد جاءت الاخلاق الى العالم لتأدية رسالة كهذه ، لذلك فان الاخلاق اليهودية هي مصدر مفهومنا للرسالة التي هي عبارة عن رغبتنا في نشر نور اخلاقياتنا بين جميع افراد الجنس البشري . ان الاخلاق يمكن ان تنبعث من داخل الثقافة القومية ، ولكن ذلك ليس الا المرحلة الاولى التي عندما تسمو وتتنقى تتخطاها لتصبح ملكا لكل انسان ولكل فرد . ان فضيلة الاخلاق تكمن في قدرتها على التطور الى نظام عالمي ، واذا لم تتمكن من ان تتطور بهذا الشكل ، تصبح اهميتها معدومة وتخسر حقها في الوجود .

ان هذا الحكم ، بان روح ومبدأ الاخلاق لا يمكن ان يكون شعبا ، يتضمن باننا لا نستطيع تعليق آمالنا القومية على قوة اخلاق اليهودية . قد يكون للاخلاق القوة في ان تحفظ نفسها ، ولكن ليس لديها القوة لتضمن بقاء الشعب الذي يحملها . قد تستطيع توليد الطاقة الكافية لنشر

روح اليهودية ، ولكن ليس باستطاعتها ان تحفظ ذاتية وشخصية الشعب اليهودي .

يجب ان نستنتج من ذلك ان اندماج شعبنا ليس شيئا مستحيلا . اننا لا نستطيع التخلص من نظرية الاندماج كحل للمسألة اليهودية بتاكيد انه من المستحيل ان يندمج الشعب اليهودي . بالعكس ، فان الاندماج ممكن، الآن ، وقد تصدعت جدران ديننا، ولم تعد روح اليهودية وفلسفتها ونظرتها العالمية قوية بشكل كاف لاقامة سور شامل في بلاد المنفى ليضمن بقاءنا القومي داخل جدرانه .

ان المنفى ليس جديرا بالبقاء

لنفترض ان النفي يستطيع البقاء وبان الاندماج الكلي ليس حتميا بالنسبة للتخلي عن الدين . ومع هذا ، يجب ان نؤكد : ان يهودية المنفى ليست جديرة بالبقاء .

ان حياة المنفى تزيّف شخصيتنا القومية

ربما يستطيع شعبنا ان يحفظ نفسه في بلاد المنفى ، ولكنه لن يستطيع ان يحيا فيها ابعاده الصحيحة ولا ان يعيش في قمة شخصيته القومية . سيظل المنفى يظهر خزي امتنا فيبقي على وجود شعب مشوّه في جسده وروحه ، تشويها مرعبا . وفي احسن الحالات يستطيع ان يحفظنا في حالة معدومة من القومية ، ويجعل من كل منا مخلوقا غريبا في بيئته، يعيش في مجتمع من الثقافات المختلطة وفي آفاق روحية مظلمة. والنتيجة ستكون : اننا لن نكون يهودا ولا اغيارا ــ وعلى اي حال لن يكون لنا اي صبغة قومية نقية .

يمكننا ان نتصور انه حتى بعد انحلال وجودنا القومي في البلاد الاجنبية سوف تبقى ولعدة اجيال نظرة الاستغراب بين الشعوب لكل من يحمل اسم اليهود . في الحقيقة نحن وشعوب العالم الاخرى معتادون على اظهار قلة احترامنا لهذه التسمية باطلاقها حتى على المندمجين منا كل الاندماج ، الذين ولدوا ، وتربوا ، وترعرعوا على انكار يهوديتهم . لكي يميز اي فرد ويعرف على انه يهودي ، يكفي شعوب العالم ، وحتى يكفينا نحن ، أن يبقى في داخله بقية يهودية مدفونة، واثر صغير من آثارها، قد يكون ذلك فارقا سلبيا بسيطا في علاقاته مع بقية ابناء الشعوب الاخرى.

كم هي فقيرة هذه اليهودية التي لا تتمثل وتعرّف بتأكيدات قومية . واحسرتاه على شعب يعرف على انه يهودي فقط من لهجته ، او عكف في انفه اليهودي مع انه انفصل كليا عن الكيان القومي للشعب اليهودي وضرب جذورا له عميقة في ثقافة غريبة .

هل لنضالنا من اجل حفظ هذا اللقب الاجوف اي معنى ؟ لماذا نمدد بقاءه ونتعلق بفرق بسيط تمكّن ان يعيش بدون حقيقته فقط لان لهاهمية قومية سلبية وليست ايجابية ؟

المنفى يفسد شخصيتنا وكرامتنا الانسانية

ان مثل هذه الحياة ، حتى ولو استمرت في الوجود ، لن تكون اكثر من حياة تيه بين عالمين بدون استقرار او ثبات . انها ستساعد كائنات بشرية ممزقة ومحطمة على ان تعيش ، فمثل هؤلاء ليسوا سوى افراد مصابين بالتشتت الذهني منهكين بالتناقضات ومقضي عليهم بالصراع الباطني المرير . وان الذين يبقون ليسوا سوى شعب بائس ، محروم من تربة صالحة للنمو السليم ذات اساس جغرافي ـ سياسي لوجود حقيقي، ولكنه ، من جهة اخرى ، شعب على درجة كبيرة من الثقافة العالمية يعيش حياة زائفة ووجودا فاسدا ويعتمد على حقيقة وهمية .

فهل كانت آلاف السنين التي عشناها في بلاد المنفى ضياعا ؟ اصحيح اننا لم نخلق اية قيم قومية في بلاد المنفى ؟ الم نكن ، رغم ما عانيناه في المنفى ، من قادة الحضارة الانسانية ؟ اذا كان الوضع كذلك عندما كنا بؤساء وفقراء ، فكم ستكون منجزاتنا اعظم عندما نكتسب حق المساواة مع بقية شعوب العالم ؟

ان مثل هذا المنطق ، رغم اننا نصادفه في كتابات كثير من اشهر كتاب اعلامنا ، خاطىء في اساسه . والمغالطة فيه اساسية ، وهي بدورها مصدر لعدة غلطات اخرى عن آمال زائفة وراحة كاذبة . ليس هناك مجال للمقارنة ما بين المنفى الذي سبق الاستنارة وذلك الذي تلاها . فقد كانا نوعين من المنفى مختلفين كل الاختلاف . وكما اننا بدأنا عصرا جديدا في تاريخنا منذ تهديم الهيكل ، يجب ان نبدأ تاريخا جديدا منذ تهديم ديننا ، الذي هو هيكلنا في بلاد المنفى . ان مثل هذا التقسيم كان بكل تأكيد يحدث لو ان تهديم مجالنا الديني جاء من الخارج وليس من الداخل ـ اي لو انه حدث كمصيبة مفاجئة وليس كعملية تدريجية حجبت الانقسام

وطمست وقت بدء الفترة الجديدة .

كلا ، ان الحجة ليست صحيحة . عندما كان ديننا قويا ، كان جدارا قويا يصوننا ويجعلنا نتمكن من ان نعيش حياة قومية ، وسياسية الى حد كبير على تربة غريبة .

لقد عشنا اسيادا حتى في بلاد المنفى ، اذ رافقنا تاج التوراة ، وكان كتاب ناموسنا رفيقنا في تيهنا .

يجب المحافظة على المنفى مدة كافية لتخطيه

وماذا عن المنفى ؟ هل سينتهي ؟

ان مهمته هي ان يكون كمصدر تموين لنهضة شعبنا في وطنه . فستكون ارض اسرائيل بحاجة الى المنفى لعدة اجيال قادمة . انها سوف تستمد من المنفى الطاقة والحيوية ، وتدريجيا سوف تستنفد اولئك اليهود ــ اليهود الذين كتب عليهم ان يعيشوا في عالم النسيان ، وبالدرجة التي تستنفدهم بها تكون بذلك تحميهم .

لن يستطيع يهود المنفى البقاء ، وجميع جهودنا لابقائهم احياء لم يكون لها سوى نجاح مؤقت . ولكن علينا ان لا نقلل من اهمية هذا النجاح . فحياة مؤقتة مثل هذه لها اهميتها لانها تخدم هدف الحياة الدائمةوبناء امتنا علىارضها. ان يهود المنفى لا يستطيعون البقاء ، وجميع جهودنا لابقائهم احياء ما هي الا عبارة عن عمل قسري لحفظ وجود غير طبيعي . وعلى اي حال ، لن تكون هذه الجهود عديمة الفائدة كليا لان ليس لدينا اي غرض في بناء مستقبلنا على آثار المنفى الذي هو على وشك الانهيار ، ونحن لا نحاول جعله يعيش عن طريق دعم انهياره . نحن نعمل فقط لتأخيره مدة وجيزة لكي يكون لدينا متسع من الوقت للتحضير لبناء جديد .

ان حياة المنفى ليست جديرة بالبقاء ــ كغاية بحد ذاتها ، انها تستحق البقاء فقط اذا كانت واسطة انتقال او مرحلة قصيرة للانتقال . وللمنفى حق الحياة من اجل التحرر من نفسه . والامل في اقامة وطن قومي هو الذي يعطي للمنفى شرعيته ، وبدون هذا السبب للوجود ، اي بدون هدف الوطن القومي ، يصبح المنفى عبارة عن حياة بؤس وانحلال وعار للامة والفرد ، حياة النضال فيها بدون غاية ، والعناء بدون ثمرة ،

حياة تمزق واضطراب وعقم ازلي . مثل هذه الحياة ليست جديرة بأن نحياها .

من وجهة النظر هذه ، نؤكد اهمية الجهد الوطني من اجل يهود المنفى ، تأكيدا يرتكز على العمل من اجل انهائه وتعريف هدفه . فبدون العمل على انهاء المنفى لن يكون هناك اساس لمثل هذا التأكيد .

علينا ان نحافظ على يهود المنفى بكل امكاناتنا . وعلينا ان نشجع الثقافة القومية بصرف النظر عن الظروف الحاضرة والاتجاهات الحتمية .

علينا ان نزيد من الموانع والقيود على انفسنا من اجل حفظ ذاتيتنا وانفراديتنا ، وكذلك يجب الاحتفاظ بجميع الحدود بيننا وبين الشعوب التي نندمج فيها . ومع ذلك ، يجب ان لا ننخدع . اننا الان بمثل هذه الوسائل لا نستطيع ان نبقى طويلا ، وكذلك علينا ان نعرف ان الحياة القومية في بلاد المنفى زائفة لانها محرومة من تربة تعيش عليها بشكل طبيعي . نحن نعرف بان النضال ضدالاندماج ليس له فرصة للنجاح . ولكن هذه الفترة هي مرحلة انتقال بين عصر ينهار وعصر يبنى من جديد . وواجبنا هو ان نؤجل النهاية وان نبطىء عملية الانحلال لكي يتمكن شعبنا في غضون ذلك من اعادة بناء نفسه . ولن يكون مثل هذا التأجيل عديم الجدوى لان له هدفا محددا . ان هذه المرحلة الانتقالية مهمة ، لانها مرحلة انتقالية .

النهضة القومية والكرامة الشخصية

حتى الاندماج يساهم في النهضة القومية . ان الثقافة ذاتها التي نندمج فيها تحوّل مفاهيمنا الاخلاقية والجمالية بشكل نعود فيه الى شعبنا وذلك لاننا تعلمنا ان نكون حساسين تجاه جريمة الاندماج وما ينجم عنها.

كثيرون تردعهم حساسياتهم الاخلاقية والجمالية عن التخلي الكامل عن العقيدة ، ولكن هذه الحساسيات ليست نامية بشكل كاف لتجعلهم يحسون بخطيئة التخلي الجزئي وعاره .

كلما سمونا في ثقافتنا اكثر فاكثر ، نصبح بذلك اكثر احساسا بان الاندماج يحط من قدر كرامتنا الانسانية الفردية .

ليس من قبيل الصدف ان تظهر الصهيونية في الغرب وليس في الشرق . ان ظهور هرتزل بيننا لم يكن نتيجة لوعي قومي يهودي بل كان

نتيجة لوعي انساني عالمي . ان الانسان في هرتزل وليس اليهودي هو الذي اعاده الى شعبه ، فقد رأى وبكل وضوح ما ينجم عن الاندماج من انحطاط وما يلحق باليهود من عار . فهناك قوة اخلاقية ـ جمالية تنبض في كل خطبة من خطبه الصهيونية . انه هو الذي قال للاندماجيين : علينا ان نبدأ اولا بخلق شعب كريم . لم يأتنا هرتزل بجديد ، ولكن كل ما قاله لنا جديد . ان روحا جديدة ، روح الانسان في كرامته الانسانية ، قد وجدت تعبيرا عن نفسها من خلال اقواله .

من المسلّم به القول ان اللاسامية كانت سبب وحي هرتزل . ذلك صحيح ، ولكنه ليس سوى عامل خارجي ، وليس دافعا داخليا ، فقد كان المحرك وليس السبب تماما كما كان سقوط التفاحة بالنسبة لاكتشاف نيوتن قانون الجاذبية .

لذلك فاننا نجد ان النهضة القومية بين اليهود الغربيين تتغذى بعدد من العوامل اللاقومية، بالعوامل الانسانية ـ العالمية التي هي غير موجودة في الشرق . انها لا تعتمد في غذائها على اليهودية بعد ، ولكن على الحضارة بشكل عام . تعبّر العناصر الاخلاقية والجمالية عن نفسها من خلال هذه النهضة ، وذلك بمحاربتها للدجل والرياء وبكفاحها في سبيل الحق والطهارة والكرامة. ان شعورا بالخطيئة يقلقها، وقدسية التوبة تهتز داخلها. وفي محاولتها اشفاء النفوس المريضة ، فانها تكافح من اجل جعل الرجال اخيارا بعملية اعادتهم الى شعبهم ذاته . اننا نستطيع ان نسمع فيها خفق اجنحة ثورة عظيمة ، ووحي اخلاقي ـ جمالي وتجربة مرتعشة . هذا هو بعث الانسان في اليهودي .

اما الوضع في الشرق فليس كذلك ، اذ تستمد النهضة القومية هناك طاقاتها من المصادر اليهودية بشكل مباشر . ليس فيها شيء من بطولة الوحي ، او الندم او بهجة التوبة ، وليس فيها كذلك رعشة جديدة داخل النفس . ان الشرق ينظر الى الصهيونية على انها استمرار وليس حركة عالمية مدمرة من جهة ، ومعمّرة من جهة اخرى . انه يراها حلا للمسألة اليهودية ولا يشعر بها خلاصا للفرد ، لا يشعر بقوتها الثقافية والانسانية ولا بمساهمتها بالسمو الاخلاقي والجمالي .

عندما يعود اندماجيو الشرق الى شعبهم ، فانهم يأتون اليه من وسط ثقافة منحطة وبذلك فانهم لا يقدمون لتراثنا القومي ايا من تلك القيم الاخلاقية والجمالية التي مهدت الطريق للنهضة في الغرب . ان العناصر

الانسانية العالمية ـ كالاحساس بالحرية والشرف ، والسعي وراء الكرامة والصدق والامانة ـ لم تتطور فيهم الى الدرجة المطلوبة لبناء النهضة القومية فما يزال ينقصهم العمق والاحساس بالقلب والعقل ، وليس لديهم النقاء الكافي والخيال الضروري ، حتى انهم لا يستطيعون التعبير عن غضبتنا القومية ، بصرخة الثأر للدماء التي سفكت . لماذا ؟ ذلك بسبب شلل الانسان في اليهودي .

لذلك ، يمكن القول بانه كلما نضجت الحضارة وتطورت المفاهيم الاخلاقية والجمالية ، فان المطالبة بالكرامة والحقيقة والامانة والطهارة تزداد . والرؤيا الصهيونية تزداد قوة من خلال هذه القيم وذلك لان الصهيونية هي تطلع نحو الاخلاقية والجمال . وان احد اهدافها الرئيسية هو انها جاءت لتخلّص الانسان فينا . ان الصهيونية تعلّق آمالها ، الى حد ، على التقدم العام للحضارة وان ايمانها القومي هو ايمان بالانسان بشكل عام ـ ايمان بقوة الخير والجمال .

نحمن سيركين (١٨٦٧ ـ ١٩٢٤) Nahman Syrkin

زعيم صهيوني اشتراكي ومؤلف

مولود في موهيليف (روسيه) في عائلة عرفت بالتقوى والتدين. حصل ثقافة علمانية وتخرّج من المدرسة الثانوية في مينسك ، حيث انضم الى جماعة تابعة لحركة احباء صهيون وشارك في النشاطات الثورية السرية ضد الحكم القيصري . اختلف مع عائلته بعد ان قضى فترة قصيرة في السجن وهاجر الى لندن للعمل في المسرح اليديشي. لكنه ما لبث ان انتقل الى برلين عام ١٨٨٨ ، حيث دخل الجامعة لمتابعة دراساته في حقلي الفكر الاقتصادي والاشتراكي .

اشترك في تأسيس جمعية الطلاب اليهود الروس في جامعة برلين وراح يدعو لنوع من الصهيونية الاشتراكية في الاوساط الطلابية . حضر المؤتمر الصهيوني الاول وبقي عضوا في المنظمة الصهيونية حتى عام ١٩٠٥ . فقد كان من انصار الاتجاه الاقليمي داخل الحركة الصهيونية والداعي الى اقامة دولة يهودية في اي رقعة ارضية ممكنة ، وليس بالضرورة في فلسطين . وبقي ينادي بالاقليمية حتى عام ١٩٠٩ ، حين رجع الى احضان المنظمة ممثلا عن حزب عمال صهيون (بوعال صهيون) الذي تالف حديثا . وانتقل عام ١٩٠٧ الى الولايات المتحدة ليتابع نشاطه في الحركة العمالية الصهيونية وفي الدعوة لافكاره . فكتب العديد من المقالات واصدر المجلات باللغتين اليديشية والعبرية لذلك الغرض . وساهم خلال الحرب العالمية الاولى في تأسيس المؤتمر اليهودي الاميركي والدعوة له . ثم سافر كعضو في لجنة الوفود اليهودية الى مؤتمر السلام في فرساي عام ١٩١٩ . وبقي يمارس نشاطه الصهيوني الاشتراكي حتى وفاته .

كتب كثيرا حول الموضوعات الصهيونية الاشتراكية فصار من روادها النظريين . وقد نشر اطروحته للدكتوراه عام ١٨٩٨ في كراس بعنوان « المسالة اليهودية والدولة اليهودية الاشتراكية» (Die Judenfrage und der Sozialistische Judenstaat) .

وقد اثرت افكاره في اقدام الصهيونية على تبنّي المواقف الاشتراكية. فالاشتراكية التي دعا لها كانت اخلاقية وطوباوية اكثر منها ماركسية . وهي شبيهة الى حد كبير باشتراكية موسى هس التي تنبع من « حب للانسانية » وتحاول الرجوع الى تعاليم انبياء التوراة . وقد اعتقد سيركين بان الدولة اليهودية كما تصورها هرتزل لن تتحقق الا على يد الفقراء . وانكر الآمال التي عقدها مؤسس الصهيونية على دور الاثرياء والمتمولين اليهود ، بعد اعتناقهم القومية اليهودية ، في تزعم عملية تحقيق الاهداف الصهيونية .

فهو لم يثق بالنظام القائم في الدول الغربية آنذاك ، اذ لم يكن يامل في الحصول على مساعدة الدول الكبرى لانشاء دولة لليهود . وظهر له المجتمع العالمي خاضعا لسيطرة

المصالح الطبقية البورجوازية التي تتعارض مع القومية اليهودية وغيرها من القوميات الاخرى . ولم يضع كامل ثقته وايمانه بالنظام الاشتراكي الجديد ، لانه اصر وتكهن ببقاء اوضاع اليهود على حالها . وكانه لم يشأ حمل اشتراكيته على محمل الجد . لذلك اعتبر الجماهير اليهودية هي الحاملة الحقة الوحيدة لدعوة القومية اليهودية . وراح يؤكد بان الاشتراكية الصحيحة وحدها لا بد لها من الاشتمال على الحل الصهيوني للمسالة اليهودية . وان كل الحلول اللاصهيونية لحل المشكلة اليهودية تتميز بطابع طوباوي لن يتحقق الا في المستقبل البعيد . وقد حاول سيركين التشديد على الطابع الخاص للمشكلة اليهودية ، لكي يخلص الى القول بان الاشتراكية لا يمكنها معالجة ذلك . وفي نظره ان الجبناء والمنهارين روحيا فقط يعتبرون الصهيونية حركة طوباوية . بينما دعاة الاندماج والذوبان هم انصار الطوباوية (Utopian) في الواقع . وحين تنبّه الى احتمال تعارض الصهيونية مع الصراع الطبقي لجا الى التخلي عن مفهوم الصراع الطبقي ، اذ لا يجوز حصر جميع تعبيرات الحياة المجتمعية داخل نطاقه . فالظروف تفرض على جميع الطبقات والاحزاب اليهودية ان تتحد في مواجهة العدو الخارجي بالرغم من الصراع الطبقي . والخلاف بين الصهيونيين يجبان ينحصر في موضوع الشكل الذي تتخذه الدولة اليهودية.

لذلك يعمد سيركين الى تسخير بعض المفاهيم الاشتراكية لخدمة الاهداف الصهيونية. فهو لا يريد من الصهيونية ان تتجاهل الاتجاهات الاشتراكية لدى الطبقة المتوسطة والانتلجنسيا . ويؤمن بان الاشتراكية تنسجم كليا مع آمال الجماهير اليهودية وامانيها. ويعترف بان معظم العمال اليهود ينتمون الى «الطبقات الدنيا» Lumpen Proletariat من التجار الصغار والباعة المتجولين . لذا يتحتم عليهم الالتفات الى اجهزة اخرى ، كالطبقة الوسطى مثلا . وهو يدرك ذلك لان الطبقة الدنيا عاجزة عن شن الصراع الطبقي او القيام بالنشاطات الاشتراكية . وجل ما تستطيع فعله هو السعي نحو الاشتراكية وابداء عطفها على الصراع الطبقي . وهنا ايضا ينتهي الى القول بان الاشتراكية لا يمكنها تقديم المساعدة بصورة مباشرة . وتبقى الصهيونية امله الوحيد ! ومن الصعب بالتالي اعتباره قد افلح في محاولة الجمع بين الاشتراكية والصهيونية .

نشرت سيرة حياته الذاتية بعد وفاته بعامين . بينما قامت ابنته ماري سيركين (١٩٠٠ ـ) بتاليف سيرة حياة كل من غولدا مائير وحنة شنس Hannah Szenes (١٩٢١ ـ ١٩٤٤) التي انزلها البريطانيون بالمظلة في يوغوسلافيه عام ١٩٤٤ وقبض عليها في هنغاريه ، حيث جرت محاكمتها واعدمت . وقد جعلت المؤلفة عنوان السيرة من احدى القصائد التي كتبتها تلك اليهودية المجرية «Blessed is the Match» ، (١٩٤٨) .

المسالة اليهودية والدولة اليهودية ـ الاشتراكية (١٨٩٨)

١ ـ اليهود والاغيار

منذ بدء تعرّف اليهود الى العالم والتوتر قائم بين هذا العالم وبينهم، ولقد اتخذ هذا التوتر في العصر الحديث شكل اللاسامية . وبما ان هذه

العداوة ما بين اليهود والاغيار موجودة في كل مكان وزمان، يجب علينا ان نبحث عن اسبابها بين العناصر العامة التي تدخل حيز التفاعل في اي وقت يتقابل فيه هذان العالمان بين الميزات الخاصة للشعب اليهودي ووضعه التاريخي الذي لا يوجد ما يوازيه ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، بين الاشكال العامة للحياة الاجتماعية ، الحاضرة والماضية ، والتي وجد فيها الحقد مجالا لارساء جذوره ونموه .

منذ الوقت الذي فقد فيه اليهود استقلالهم السياسي والقومي بدأوا يعيشون حياة غريبة ، لا يوجد ما يوازيها في التاريخ ـ حياة شعب بدون ارض ، حياة شعب منفي . وقد واجهوا خلال تشتتهم وسطا اجتماعيا معاكسا في روحه واشخاصه ونظرته لما اعتادوه . ان اماكن النفي التي وجد اليهود طريقهم اليها بعد تدمير الهيكل كانت من الناحية الثقافية مزيجا ما بين الحضارة الاغريقية ـ الرومانية المتحللة وبين روح المسيحية التي ظهرت اصلا في فلسطين . وقد حمل اليهود معهم مواقف نفسية جعلت رد فعلهم تجاه هذه الانفعالات الاساسية عدائيا وسلبيا . ان الذاتية اللامساومة ليهود فلسطين والتي وجدت في المذهب التوحيدي وفي البحث عن المطلق وفي الحياة الاخلاقية تعبيرا عنها ، وجدت نفسها تجابه نظرات روحية تعارضها معارضة مطلقة وثقافة مختلفة اختلافا اساسيا ضمن العالم الاغريقي ـ الروماني .

وهكذا ، اضطر نظامان فكريان وعاطفيان من انظمة الجنس البشري اصبحا متواجهين ، ان يتصارعا .

ان العنف المجرد للقوة العلمانية وجبروت رومه وبربريتها ومسيحية العصور الوسطى اساءت هذه كلها الى احساس اليهودي ـ الى تراث الانبياء ـ ذلك الاحساس الذي ارتفع الى مستوى الوعي الذاتي في اوقات الاضطرابات الوطنية . والتسوية التي توصلت اليها المسيحية مع الدولة ـ تسوية ، اعطت للدولة السيطرة على الكنيسة من الناحية العملية ـ كانت غريبة وغير مقبولة بالنسبة لليهود ذلك الشعب المؤمن بالتوراة وبالانبياء ، الذي لم يكن تاريخه سوى صراع لا ينتهي من اجل وضع مثل الانبياء موضع التطبيق . ان علاقة اليهودية بالمسيحية وتقاربهما التاريخي لم تخففا من مشاعر السلبية بينهما . والزهو الكبير الذي زيفت فيه الكنيسة صورة حاخام الناصرة وصورته على انه ابن الله قد اثار غضب اليهودية التي تمسكت بالايمان بالوحدانية ، واحتقارها ، فبالنسبة

لليهودية لم يكن الناصري ابن الله ، بل كان ابنا مغامرا هائما . ان عبادة الاله المسيحي كانت بالنسبةلليهودية مجرد شكل بائس من عبادة الاصنام، والصليب والايقونات المقدسة والكنيسة كانت تعتبر اصناما وثنية ، والمركز الزائف الذي اعطي للمسيح في المسيحية قد نفر اليهودية منها لدرجة انها لم تستطع ان تعترف بالمحتوى الاخلاقي لهذا الدين .

مثل هذا الاحساس بعظمة الدين اليهودي المثبتة جذوره في اعماق الروح اليهودية كان مصدر قوة لمعنويات اليهود خلال حروبهم مع العالم . لقد كان العالم مليئا بالحقد والاحتقار لذلك الغريب الذي جاء اليه منفيا ، والذي كان حاقدا بقدر ما كان ضعيفا ، وعنيدا بقدر ما كان عديم القوة ، انها العداوة الازلية ما بين القوي والضعيف ، والمتكبر والمحتقر . والحقد والاضطهاد ، المرتكزان على عدم تكافؤ القوى ، واللذان اصبحا اكثر حدة نتيجة للاستسلام الذي اضطر الضعفاء الى ان يخفوا فيه غضبتهم ـ كل هذه اصبحت نارا مشتعلة ضد اليهود . لذلك ، فان عدم تكافؤ القوى ، والعداوة ما بين اليهود وبيئتهم شكلا التربة التي نبتت فيها المسألة اليهودية والتي اصبحت فريدة من نوعها في تاريخ العالم .

لقد كان الصراع الديني ما بين اليهود والاغيار مصدر حقد لا يرتوي . ومع هذا وبينما كانت اليهودية تخفي حقدها وعداوتها للمسيحية ، هاجمت هذه الاخيرة اليهودية هجوما ماديا ومعنويا . ان وجهة نظر الاناجيل بان اسرائيل هي الطفل الآثم الذي تمرد على ربه وان مصيره الى العقاب ، وبانها النعجة الشاردة التي يجب ان تعاد الى حضن الله ـ ان هذا الاعتبار الذي بدأ التعبير عنه لطيفا ، تطور الى سياسة من الحقد واللاانسانية وعدم الرحمة والقتل الموجه ضد شعب غريب مسكين. ولو عمدت اليهودية تلك الديانة التوحيدية الى الدفاع عن نفسها بجدية لما كانت عانت من اية منافسة. كان عليها ان تكافح من اجل السيطرة بدون منازع . على ان اليهودية بدت للمسيحية تجسيدا للعناد وعارا على الكنيسة ومؤسسها ، فهي بالنسبة للمسيحية ذلك المخلوق الشرير وغير الطبيعي الذي يكون في القضاء عليه نصر للدين جديد وعظيم .

ماذا كان رد فعل اليهود تجاه العالم ؟ ان الفروقات الدينية ـ البسيكولوجية قد بذرت بذور الوحشة والحقد بين اليهودي والمسيحي ، وما قاساه اليهود من عذاب قد زاد في مرارتهم . وهكذا عاش اليهودي مع

اخوانه في حاراتهم الانعزالية واسنانه تصرّ ، يلعن العدو ويحلم بالثأر ، ثأر السماء والارض .

ان هذا الموقف السلبي الذي وقفه اليهود من العالم والشعور بان الجنس البشري باجمعه كان عدوا لهم ، هذا الوضع الذي كان يميّز اليهود في العصور الوسطى ، كان يمكن ان يجعلهم مجتمعا شحاذا لا قيمة له لو كانت هذه هي العاطفة الوحيدة التي تحدد نظرتهم العامة . ولكن روح اسرائيل كانت تشمل افكارا اسمى واكثر انسانية ، استطاعت ان تحفظ السمو الاخلاقي لهذا الشعب حتى في اشد ايام المهانات التي عاشها . اذا كانت الاضطهادات قد جعلت من اليهودي عدوا للعالم ، فان استشهاده قد رفعه الى مستوى الشهداء الرفيعين. لقد شعّ من اله مجد للعالم الذي حكم عليه باللعنة ، ومن حساسيته التي تولدت من المعاناة التي عاشها صلّى الى ربه من اجل الجنس البشري ذاته الذي نبذه . لقد كان لليهودي خلال العصور الوسطى شخصيتان مختلفتان : تلك التي كانت له ايام الاسبوع والروح التي تحلى بها يوم السبت ، كانت الاولى تثير اليهودي لان يحقد على بقية الشعوب ، وترفعه الثانية الى ما وراء العالم . ان شايلوك وحده لا يمثل يهودي القرون الوسطى تمثيلا كاملا ، ولكي نراه في اسمى اوضاعه علينا ان نضم اليه النبل الذي مثّله ناثان الحكيم (١) .

لقد نما الامل بالخلاص وازدهر على تربة الحقد والاضطهاد والظلم والاحتقار ـ انه الامل بتحرير اسرائيل وبتحقيق انبعاثها القومي في المستقبل القريب ، وان هذا الامل العجيب وجد في الايمان بشخصية المسيح المنتظر ، ذلك الكائن الالهي العجيب الذي يعيش بين الشعب اليهودي منذ الازل. وقد وجد هذا الامل سبيل التعبير الشخصي الملموس عن نفسه . لم يكن هذا الامل حلما غامضا يظهر بين حين وآخر ، بل كان قوة حقيقية تسيطر على القلوب وتحدد وتوجه الحياة في حارات اليهود .

لقد كانت هذه هي الطريق التي اكتشفتها اسرائيل لتصون روحها بين عواصف القرون الوسطى العاتية ـ ولكن ماذا كان مصيرها فيما بعد ؟.

٢ ـ الانعتاق واللاسامية

ان الاحداث المعاصرة ذات العلاقة العرضية مع التاريخ اليهودي ،

---

١ ـ شايلوك هو « تاجر البندقية » في مسرحية شكسبير . وبالنسبة لناثان الحكيم ، انظر هس ، الملاحظة ٨ .

قد دفعت بالحياة اليهودية في ايامنا هذه الى اقنية جديدة .

عندما انتصرت البورجوازية على النبلاء والبيروقراطية وحققت السيادة عليهما ، وحدّت مصالحها الطبقية مع الحقائق الموضوعية العامة واعلنت عن حقوق الانسان التي لا يمكن نقل ملكيتها . وكانت المصلحة الرئيسية للبورجوازية هي تحقيق الحرية والقوة السياسية ، اي ، تحقيق اعتراف واضح بسيطرتها التي كانت قد حققتها من خلال الثروة والتعليم . لقد كانت الحرية هي مصلحة البورجوازية الرئيسية ـ حرية الدين والضمير وحقوق الملكية غير المحددة والحركة الاجتماعية غير المقيدة.

ان اعلان حقوق الانسان قد حرر اليهود بشكل مفاجيء من عبودية القرون الوسطى ومنحهم المساواة السياسية والمدنية بدون اي جهد من جانبهم . لقد حقق اليهود تحررهم صدفة عن طريق انتصار مبدأ المساواة دون ان يكون لهم قوة ذاتية حقيقية تسندهم او قوة منظمة فعّالة تزيد من انعتاقهم . انهارت جدران الحارات الانعزالية وانطلق اليهودي الى العالم كعنصر في الحياة المدنية ، وبذلك انتهت عبودية القرون التي عاناها اليهود . بدأ الجرح الذي تقرّح في جسم اليهود منذ سقوط القدس يندمل عندما سقط الباستيل .

بالرغم من وجود جرثومة التقدم في المجتمع البورجوازي ، لم يعرف العالم شكلا آخر من اشكال التنظيم الاجتماعي اكثر منه ضعفا. لقد نقشت « الحرية » على علم البرجوازية ، ولكن بالرغم من ذلك لم يعرف عن اي مجتمع اخر يعتمد فيه الانسان على الاخرين اكثر مما عرف عن هذا المجتمع ، لقد قضي على « المساواة » بشكل لم يسبق له مثيل عن طريق الفروقات في الثروة والملكية ، بينما اصبحت « الاخوة » في المجتمع البورجوازي مدعاة للسخرية . لقد رفعت البورجوازية راية « الانسانية » اثناء نضالاتها المختلفة ، ولكن بالرغم من ذلك لم تكن الفردية يوما غاية في حد ذاتها اكثر مما هي اليوم ، وتناقضات المجتمع البورجوازي تجد تعبيرا عن نفسها من خلال فردية ذلك المجتمع . ولا بد ان تؤدي هذه التناقضات الى انهيار هذا المجتمع . ان الحرية والمساواة التي اعلنها المجتمع البورجوازي يوما ما ، والتي ينكرها الان ، تحشد القوى التي ستعمل على القضاء عليه .

المجتمع البورجوازي ، الذي اتخذ من تجميع الثروات المادية من خلال المنافسة هدفا وحيدا له ، وضع القيم اليهودية على محك التقييم

من جديد ، فقد حدث تصادم ما بين تقاليد وتطلعات الحارة اليهودية وبين النظام الجديد مما توجب القاء هذه التقاليد والتطلعات جانبا . وبينما كان يهود الحارة يشكلون شعبا متجانسا ، رغم عزلته ، فقد تخلّص اليهود المعتقون من قوميتهم من اجل خلق اساس نظري لانعتاقهم . ان هـؤلاء اليهود انفسهم الذين كانوا يصلون ثلاث مرات يوميا من اجل عودتهم الى القدس ، قد انتشوا بالعواطف الوطنية للبلاد التي عاشوا فيها .

ولقد ظهر وكأن الحرية البورجوازية والاندماجية اليهودية قد حلّتا المسألة اليهودية القديمة ، ولكن ، الحقيقة ، ان هذا الحل استمر فقط طوال سيادة الليبرالية . وعندمـا اصبحت البورجوازية هي الطبقـة الحاكمة ، بدأ الاساس العقائدي للانعتاق بالاهتزاز وذلك عندما بدأت هذه البورجوازية خيانة مبادىء الليبرالية . كان النضال مـن اجل السيطرة الاقتصادية ، على الصعيدين الفردي والطبقي ، قد اصبح الصفة المميزة للمجتمع البورجوازي المعاصر وذلك عندما اعتبر المبادىء السامية لعصره الثوري عبئا غير ضروري . ان انعتاق اليهودي والسماح له بالمشاركة في جميع نشاطات المواطنين لم يكن بالامكان جعلهما ينسجمان مع مبدأ الانانية الذي يعتبر اساسيا للمجتمع البورجوازي . لذلك ، فقد بدأ الانعتـاق اليهودي بالتبخر عندما بدأت بقايا الليبرالية تتبخر ايضا . ولكنه اكـد مرة اخرى ان انعتاق اليهود كان منذ البدء نتيجة لانسجام منطقي مـع مضامين مبدأ وليس حاجة حقيقية . وان هناك برهانا اخر على ذلك هو ان الانعتاق لم يتمكن من ان يحقق في اي مكان كان يعتمد فيه على الدولة او المجتمع .

ما هو سبب الحقد على اليهود في العصر الحاضر ؟ كانت الفروقات الدينية سببا للحقد فـي العصور الوسطى ، اي الهوة الفاصلة ما بـين اليهودية والمسيحية ، اما اليوم فان المبدأ الاساسي للاسامية الحديثة هو تصارع الاجناس . وبكلام اخر ، لقد تم التأكيد على الفروقات العرقية بعدما بدأت البورجوازية تعتبر الفروقات الدينية غير مهمة. ان الحقد على اليهود في العصر الحاضر يبحر تحت راية اللاسامية، بالرغم من ان السفينة هي نفسها وان بحارتها هم انفسهم .

« اليهود شعب سيىء لا يمكن اصلاحـه ، شعب يعمل في سبيل مصلحته الخاصة ويريد استعباد العالم باجمعه ، شعب لا يزال غريبـا ومعاديا لغير اليهود بالرغم من جميع جهوده للاندماج . ان اليهودي هـو حامل شعلة الراسمالية والاستغلال والربا والكبت . وفي الوقت نفسه ، هو خميرة التاريخ ، يقلب ويدمر كل ما هو مستقر ، انه تجسيد لمسببي

الاضطراب في العالم . وباختصار ان الشعب اليهودي هو لعنة الانسانية » . تلك هي شكوى المجتمع البورجوازي المعاصر .

ولكن المراقب غير المتحيّز يجب ان يتساءل عن هذا التشكي ويطلب من المجتمع البورجوازي ان يجيبه على اسئلة عدة مثلا : اليس اليهودي البورجوازي هو ذاتكم الباطنية ولكن بشكل اجرا ؟ الا تجدون صورتكم معكوسة فيه ، ونفسه فيكم ؟ الا يستغل اليهودي لانه يقدر على ذلك ، وانتم الا تنهبون لانكم تقدرون على ذلك ؟ اليس الربا والاستغلال والغش من صفاتكم كما هي من صفاته ؟ اليس كل منكما على استعداد وطوال اربع وعشرين ساعة ان يخون دولته من اجل مصالحه الطبقية ، ويخون طبقته من اجل مصالحه الخاصة ؟ والبورجوازية اليهودية رغم مناداتها بالاندماجية اقرب الى مضطهديها (بفتح الهاء) منكم الى مضطهديكم (بفتح الهاء) ، انكم تظهرون حبكم وشعوركم رياء وكذبا . لذلك ، الا تتشابهون اكثر مما تختلفون ؟

ومع هذا ، فان المجتمع البورجوازي يضرب على صدره ويصرخ صرخة الكذب : « ايها اليهودي ـ العبد ، ان ما هو حق لي ليس كذلك بالنسبة لك وذلك لاننا نختلف روحيا . ان ما اخلقه هو الماني في روحه ـ انت تزيف وتشوّه ! ان شخصيتك العرقية شريرة في طبيعتها ، ولذلك فانك خارج عن القانون ! هب ! هب » (٢) .

عندما تغلّف هذه الانانية القذرة بستار اسود من التعالي العنصري ـ مبدأ زائف في حقيقته لان الساميين والآريين من الجنس القوقازي ـ فان المنطق يخرس وتصبح الاخلاق اضحوكة . لقد اصبح آهلواردت (٣) فيلسوفا ودوهرنغ (٤) استاذا للاخلاق .

---

٢ ـ « هب ! هب ! » : انظر بنسكر ، الملاحظة ١ .

٣ ـ هيرمان اهلواردت (١٨٤٦ ـ ١٩١٤) : الماني متطرف في دعايته ضد السامية ، كان عضوا في الرايخستاج واستخدم منبره لمهاجمة اليهود .

٤ ـ يوجين دوهرنغ (١٨٣٣ ـ ١٩٢١) : « فيلسوف » الماني معاد للسامية كتب ضد اليهود واعتبرهم اقل درجة من الناحية العرقية ونشر ذلك تحت عنوان :
Die Judenfrage als Rossen - Sittenud culturfrage
في العام ١٨٨١ ، وقد رد عليه فردريك انجلز ، شريك كارل ماركس في كتابه الشهير « ضد دوهرنغ » Anti-Duhring .

واللاسامية ، التي توحّد الطبقات المختلفة في المجتمع الرأسمالي ، ليست بذات الحدّة في كل طبقة على حدة ، ولانها من نتاج التركيب الطبقي فانها كامنة فيه تفسده كلما اتيحت لها الفرص . وعلى اي حال ، فانها تبلغ ذروتها في الطبقات المنهارة في **الطبقة المتوسطة** ، التي هي في مرحلة قضاء الرأسماليين عليها ، وفي طبقة **الفلاحين** المتعفنة التي هي كذلك في مرحلة فناء من قبل الاقطاعيين .

ان هاتين الطبقتين ، في مجتمعنا المعاصر ، هما من اكثر الطبقات تخلفا وانحطاطا اخلاقيا . انهما على شفير الافلاس يتصارعان من اجل الحفاظ على بقائهما الذي كاد يختفي . انهما من الطبقات المالكة ، ولكن ملكيتهما تتكون من الديون . كذلك فان ملكيتهما ناقصة لان ليس لديهم قوة العمل التي يمتلكها حتى العمال العاديون . تقف هاتان الطبقتان بين الطبقة الراسمالية وطبقة البروليتاريا وتعيشان في خوف دائم من ان تسقطا الى الطبقة الاخيرة . وكلما ازدادت اوضاعهما سوءا كلما ازدادت تناقضاتهما الداخلية عنفا وكلما ادى بهما ذلك الى العمل على امتصاص دماء الطبقة العاملة . وبمرور الوقت ، فان الطبقات المتوسطة تسير اكثر فاكثر الى هذه الهاوية الجهنمية . انهم ليسوا كالبروليتاريا ، ليس لهم ثقافة ولا رغبة في ان تكون لهم ثقافة، يعيشون بدون شخصية ولا مثل اعلى وبدون وعي ذاتي او رغبة من اجل الحرية . وبالرغم من الانهيار الاقتصادي المستمر للطبقات المتوسطة ، فان افرادها ما يزالون قابضين على ذنب الطبقات الحاكمة ، متوجهين بعيونهم الى الاعلى مع ان اجسادهم غارقة في الهاوية ، انهم يساهمون في الحفاظ على نظام هم فريسته .

هذه الطبقات تتظاهر بانها ثورية ولكن نضالها اناني ولا يرتكز على اية مبادىء . همها ان تشبع رغباتها وتمنح عونا كافيا من الاموال العامة، انها تعتبر ذلك افضل من العالم كله . عند ذلك يصبح افرادها الحراس الامناء والمخلصين للمجتمع العصري . تقول هذه الطبقات للجماعات الحاكمة : استغلوا واسمحوا لنا ان نستغل ايضا !

ان كون اللاسامية كامنة في كل مكان قد جعلها المبدأ الاجتماعي والسياسي الذي يهدي هذه الطبقات البائسة ويظهر من خلال ظروف وشخصية هذه الطبقات. فبينما سببت المصالح الطبقية بشكل عام الحرب على اليهود ، فقد كانت الطبقة المتوسطة هي اكثر هذه الطبقات تأثرا بذلك لانها خلال الصراع التنافسي العام خسرت كثيرا نتيجة للمنافسة اليهودية

لها . فالراسمالي اليهودي ، كالراسمالي من الاغيار Gentile .قد وجّه ضربات قوية الى البورجوازية الصغيرة . وصاحب المخزن اليهودي كان في صراع حاد مع جاره المسيحي حـول جذب الزبائن ، وكذلـك السمسار اليهودي كان يحاول التغلب على منافسه المسيحـي . وكانت منافسة اليهودي اشد من ان يتمكن احد مـن مواجهتها لان الاختيار الطبيعي في الصراع من اجل البقاء قد جعل اليهودي منافسا عنيفا في الاعمال التجارية. وهذا هو السبب الذي جعل اللاسامية حجـر الاساس في البرنامـج الاجتماعي ـ السياسي لهذه الطبقات .

بما ان الطبقات المتوسطة الدنيا كانت اكثر عناصر المجتمع انحطاطا وسوقيـة ، فان لاساميتها كذلك كانت اكثر الانـواع انحطاطا ذلك ان معارضتهم لليهودي لم تكن ، في الاساس ، بسبب صفاته اليهودية ، مع انـه يجب الاعتراف بان الاندماجيـة واهمال الذات قـد ولّدا صورة كاريكاتورية لليهودي ربما كانت السبب في نفور غير اليهود منهم. كذلك لم تكن معارضتهم ، التي هي السبب الرئيسي في الحقد على اليهود ، مرتكزة على سوء فهم قومي وديني ، لانه لم يكن في وسع تلك الطبقات المنحطـة ان يكون لها مثل هذه التجارب الفكرية . لكن الاسباب الوحيدة للاساميتهم كانت انانيتهم وشهوتهم في الحصول على اموال اليهـود ورغبتهم فـي اضعاف المنافس اليهودي وطرده من البلاد . ولقد تميّز صراعهم ضـد اليهودي بالحقد والحسـد والتزييف .

ان لاسامية الطبقة المتوسطة كانت حركة ثورية من صنف رخيص ، انها ثورة طبقـة ضد طبقة وضد النظام القائـم ليس من اجل مبادىء انسانية سامية ولكن من اجل مصالح انانية ، ومع انهم يخفون انفسهم بستار ايديولوجي الا ان طبيعة اغراضهم الدنيئة ظاهرة تماما. هذا الصنف من اللاسامية يتمثل افضل ما يكون بقيادة هذه الطبقة التي تتألف من نفايات المجتمع البورجوازي والبروليتاري الذين فقدوا كل اثر للحق واحترام الذات، فاصبحوا مثل كائنات العالم السفلي لا تحركهم سوى غرائزهم الدنيا ، مثل هؤلاء يرفعون راية اللاسامية ويحملون مشاعلها . ليس هناك اي فريق له مجموعة من قادة مشبوهين كفريق اللاساميين. اذا كانت سجلاتهم الاجرامية لا تشكل دليلا مقنعا على انحطاطهم الاخلاقي ، فان انحطاطهم يبدو اوضح في الامتهان والكذب والابتزاز الذي يتصفون به . وقد تحقق فيهم ولو جزء من قول لودفيغ بورني المشهور ، بان لاساميي المستقبـل

سيكـون مصيرهـم الحتمي اما ملجأ العجز وامـا مستشفى الامراض العقلية .

بالرغم من الانحطاط الاخلاقي لقادة اللاسامية وبالرغم من القـرف الذي يشعر به الانسان العادي الذكي نحو هذه الحركة، فانها تنمو باطراد. وكلما ازدادت الطبقات المختلفة في المجتمع انشقاقا ، وكلما ازدادت الحياة في عدم الاستقرار ، وكلما ازداد الخطر على الطبقة المتوسطة والخطر من ثورة بروليتارية (موجهة ضد اليهود والرأسمالية والملكية Monarchy والدولة) ـ كلما ازدادت هذه ، تزداد موجة اللاسامية في الارتفـاع . فالطبقات المتنازعة ستوحّد صفوفها في هجومها المشترك على اليهودي. وستحاول العناصر المسيطرة في المجتمع الرأسمالي ، اي ، الرأسماليون، والملكية والكنيسة والدولة ، ان تستخدم الصراع الديني والعرقي كبديل للصراع الطبقي .

لذلك فان للاسامية مجال لتنتشر في المجتمع كله ولتضعف وجود الشعب اليهودي . انها نتيجة لتوزيع القوى غير المتكافىء في المجتمع . وما دام المجتمع مبنيا على القوة ، وما دام اليهودي ضعيفا ، فان اللاسامية ستبقى موجودة .

٣ ـ اليهود والاشتراكية

ان المجتمع الذي لا طبقات فيـه والسيادة القوميـة هما الوسيلة الوحيدة لحل المسألة اليهودية حلا كاملا . فالثورة الاشتراكية وتوقـف الصراع الطبقي ستجعل علاقة اليهودي مع بيئته علاقة طبيعية . لذلك ، يجب على اليهودي ان ينضم الى صفوف البروليتاريا التي هـي الطبقة الوحيدة التي تناضل من اجل انهاء الصراع الطبقي وتعمل على اعادة توزيع السلطة على اساس من العدالة . لقد حمل اليهـودي مشعل الليبرالية التي اعتنقته كجزء من حربها ضد النظام القديم ، واليوم وبعد ان خانت البورجوازية التقدمية مبادئها ووصلت الى تسوية مع الطبقات التي ترتكز سلطتها على القوة ، يجب ان يسير اليهودي في طليعة الاشتراكية .

لقد بدأ اليهود في الانضمام الى صفوف الاشتراكية الثـورية في الوقت الذي بدأت اللاسامية المعاصرة تولد فيه . ان اشتراكيي اوروبه الغربية من اليهود الذين ظهروا مـن بين صفوف البورجوازية اليهودية الاندماجية، ورثوا ، ولسوء الحظ، تقاليد الاندماج، واظهروا قلةالاحترام

للذات والفقر الروحي نفسيهما ، الا ان الانحطاط الاخلاقي من الاشتراكية الاندماجية كان اكثر وضوحا. لقد كانت الاشتراكية، بالنسبة للاشتراكيين اليهود تعني التخلي عن اليهودية Jewishness ، تماما كما ادت تقدمية البورجوازية اليهودية الى الاندماج . ومع هذا ، فان هذه النزعة لانكار اليهودية كانت غير ضرورية ، فلم تتطلبها لا الاشتراكية ولا التقدمية . انها كانت نتيجة للانحطاط العام والانحطاط الاخلاقي لليهود ، لقد تم التخلي عن اليهودية لانها لم تجلب اية فوائد في العالم الجديد ذي المنافسة الحرة .

لقد ارتكب الاشتراكيون الذين دفعتهم الى ذلك يهوديتهم نحو طريق الثورة ، اكبر خطيئة اخلاقية وفكرية في عدم صون طهارة ثورتهم. فبدلا من تأكيد معارضتهم الثورية لمجتمع قائم على التمزيق الطبقي ، مجتمع هم فيه من اكثر الشعوب اضطهادا في العالم ـ بدلا من ان يصرخوا اولا كيهود ثم يرفعوا احتجاجهم الى المستوى العالمي ـ بمنطق يهودي خاص ، فعلوا عكس ذلك . فقد سلبوا الاحتجاج يهوديته وكبتوا كل اشارة الى اصلهم اليهودي وبذلك اصبحوا مجرد نوع آخر من الاندماجيين اليهود.

ان البورجوازية المندمجة تخلت عن اليهودية لان الشعب اليهودي كان شعبا ضعيفا ، ولم تكن هناك اية فائدة اقتصادية في ان يكون الانسان يهوديا ، ولقد تخلى الاشتراكيون اليهود عن اليهودية لان الاشتراكية بالنسبة لهم لم تكن مجرد احتجاج اخلاقي ضد عالم المضطهدين (بكسر الهاء) ، ولكنها كانت الملجأ الاخير لليهود الذين خانتهم التقدمية . لقد غطت الاندماجية اليهودية نفسها بثوب من القومية والحماسة الوطنية للبلاد التي اقام فيها اليهود ، اما الاشتراكية اليهودية فقد استخدمت الاممية لتستر بها عريها . ان هذا الموقف السلبي والمخزي تجاه اصلها اليهودي لا تبرره الاممية اكثر مما يفعل خداع قومية اجنبية .

ان تعبير « الاممية » الذي نستعمله بسبب قلة مفرداتنا، هو مصدر لاخطاء عفوية ولتزييف غير واع. نجد في ذلك ان ظاهرتين متعاكستين تماما، تتضمنان قيما اخلاقية وتاريخية ـ فلسفية متناقضة تظهران في التعبير المذكور اعلاه . لذلك يجب ان يكون انتقادنا وتحليلنا دقيقين لنتمكن من التوصل الى فهم واضح لمعناها . والاممية ليس فقط بمعناها العصري المخفف ولكن بروح الاستنارة العالمية ايضا ، هي بدون شك المثل الاعلى الذي يكافح التاريخ للوصول اليه . ان دمج جميع الشعوب في وحدة سامية

وخلق مجتمع انساني له لغة وارض ومصير مشترك لهو الحلم الذي حلمت بـه اعظم الشخصيـات في جميـع العصور ـ ان هـذا المفهـوم هـو الانتصار الكبير للعقل الانساني على كل ما هو طارىء ومجهول في التاريخ. فالقومية مخلوق طارىء ، انها ليست ظاهرة ذات سبب تاريخي . القومية هي مجرد مظهر تاريخي ولكنها ليست مطلقة . لقـد ظهرت الفروقـات القومية في مراحل تاريخية معينة وستختفـي في مرحلة اعلى . اذ ان الصفة المميزة للقومية ليست اللغـة ، ولا الدين ولا الدولة ولكن الوعـي بالوحدة التاريخية .

اما الاشتراكية فسوف تنهي الحروب وتلغي نظام التعرفة وتقضي على تناقض المصالح الاقتصادية بين الشعوب المتحضرة ، وتحـول دون اضطهاد امة لامة اخرى. ستزيد الاشتراكية من التمازج التجاري والثقافي خالقة بذلك قاعدة مشتركة لمصالح واهداف الشعوب المتحضرة . وهـذا يعبّد الطريق لتوحيد تاريخ هذه الشعوب حتى تصبح جميعها مجتمعـا انسانيا واحدا . ان الاشتراكية ، بمبادئها الاساسية في السلم والتعاون والتقدم الثقافي تحمل البذرة التي ستظهر منها الاممية الصافية ، اي ، « العالمية » Cosmopolitanism .

ان الاشتراكية التي اعلنت قدسية الحرية وحق تقرير المصير هي في طبيعتها وفي ممارستها النقيض المطلق للاممية ـ الزائفة . الاشتراكية هي عدو جميع هؤلاء الذين يتآمرون لكبت الشخصية القومية للشعـب او القضاء عليها .

الحركة الاشتراكية تؤيد بكل شدة جميع محاولات الشعوب المضطهدة (بفتح الهاء) لتحرير نفسها . ان كل حـركة تحريرية وطنيـة تجد في الاخلاق الاشتراكية وفي مفهوم الاشتراكية للحرية تأييدا معنويا لهـا . لقد كانت حركة الاممية Internationale اول من عبّر عن تضامنه مع الثورة البولندية ضد القيصر ، وكذلك حيّت الجماهير الاشتراكية في فرنسه وايطاليه ثورة شعب كريت ضد تركيه . ان حق كل امة في تقرير مصيرها قد اعلن في جميع المؤتمرات الوطنية والعالمية كمثل اعلى له علاقة عضوية بأخلاقية الاشتراكية .

ان اشتراكيي معظم الشعوب قد حلّوا مسألة العلاقة ما بين القومية واشتراكيتهم . ليس هناك زعماء اشتراكيون ضمن اية جماعة قومية ، ينكرون قوميتهم او يدعون لدمجها ضمن قومية اخرى . فقط بورجوازية

الشعوب المضطهدة هم الذين ينكرون امتهم ويتخلون عنها ، ويقومون دون تردد على ارتكاب الخيانة اذا ما راودتهم انفسهم على ما فيه فائدةلهم . فقد خانتالبورجوازية البولندية بولنده والقومية البولندية وكانت اول من مدت يديها للتعاون مع العدو . وكذلك ، تبنّت اليهودية الاندماج والقت بمبادىء يهوديتها بعيدا لكي تتمكن من العمل بحرية في اسواق البورصة .

ان الانتلجنسيا والاشتراكيين والبروليتاريا هم عادة دعاة فكرة التحرر الوطني بين جميع الشعوب المضطهدة . اما الاشتراكيون اليهود الذين يقلبون كل شيء رأسا على عقب ، فقد ورثوا الاندماج من البورجوازية وجعلوه تراثهم الروحي . لذلك نستطيع ان نرى في مثل هذه السياسة عدم جدية في اشتراكيتهم واخلاصهم للحرية .

ان يكون الوجود اليهودي بحاجة الى مضمون ليس عذرا لغربة الاشتراكيين اليهود . صحيح ان هذه القومية لا تقدم مثلا قوميا اعلى ـ وان ذلك هو التناقض المأساوي في الحياة اليهودية . ومع ذلك ، فقد كان العدو دائما يعتبر اليهود امة ، وهم كانوا يعرّفون انفسهم كذلك . ومع انهم كانوا مسلوبين من الخصائصالقومية الظاهرية ـ كونهم مشتتين، يتحدثون كل اللغات واللهجات ، يعيشون بدون ملكية وطنية او قوى وطنية مبدعة ـ فقد كانوا امة مميزة كان مجرد وجودها سببا كافيا لان تكون . ان وجود اليهود ، الذي شنوا من اجله صراعا مريرا ضد العالم الخارجي طوال القرون ، ربما يكون له اهمية اعظم ، لان اليهود ، يمثلون بهذا الوجود ذاته حرية الضمير . اذا كان اضطهاد اليهودي اهانة للعدالة واذا كانت جذوره تستند الى استخدام القوة فان وجود هذا اليهودي هو احتجاج ضد الظلم . فاليهودي يرمز الى المعركة منأجل الحقوقالانسانية وستخسر هذه المعركة اذا ما اختفى اليهودي ، لان القضاء على اليهودي يعني القضاء على الانسانية .

سيكون الانتحار القومي اليهودي مأساة رهيبة لليهود انفسهم ، كما سيكون افجع ما سيعرفه التاريخ البشري . لنتخيّل آخر يهودي حيّ ، بعد ان يموت جميع اليهود ، يعيش وسط شعوب مزهرة . ان الدم الذي اراقه اليهود في نضالهم من اجل وجودهم ، وان ملايين الضحايا الذين نثروا فوق جميع اراضي العالم ليشهدوا على نضال اسرائيل الثوري ضد مضطهديها ـ كل هذه ستظهر لذلك اليهودي الاخير وكأنها ملهاة محزنة

ولعبة خاسرة . انه لواجب مقدس ان يحيا اليهودي لانه يمثل الحرية والعدالة . لقد قال شوبنهاور (٦) مرة ان الحياة تسيء لنا لاننا نقبل بعقوبة الموت في سبيلها ، اما بالنسبة لليهودي فان الحياة واجب وذلك لان الموت بالنسبة له اساءة .

في عصر مثل عصرنا ، عندما لا تندمج الاغلبيةمن اليهود ولا تستطيع ذلك ، عندما يكون اليهودي محاطا بأعداء فتاكين ، عندما تكون الفاقة والبؤس هما مصير الشعب بأجمعه . عندما يتم تجاهل الحقوق الانسانية لليهودي ؛ عندما يداس شرفه تحت الاقدام ويسخر من مصائبه ـ يكون من السخرية ان نبرز الاندماج لان الحياة اليهودية تظهر وكأنها راضية بذلك . ان نرفع شعار ايجاد نوع افضل من اليهودي وليس التنكر له لان حياته جوفاء . علينا رفع هذه الحياة باعطائها معنى ساميا. انواجباعطاء اليهودي لحياته مضمونا قوميا هاما وابعاد كل ما من شأنه ان يعرقل عبقرية الشعب اليهودي ، يظهر من خلال حاجة اليهودي ليقاتل من اجل وجوده .

اذا ما ارادت الاشتراكية اليهودية التي تدّعي انها ليست نتيجة لمصالح طبقية ولكن لاعتبارات ايديولوجية ان ترتفع الى مستوىالاحتجاج الاخلاقي الحقيقي يجب ان تعترف وتعلن بأن الاحتجاج اليهوديهو فكرتها الاساسية فاشتراكية اليهودي يجبان تصبح اشتراكية يهودية حقيقية.

مثل هذا الكلام قد يجعل المرء يتصور انه امام اشتراكية رجعية لان كلمة « يهودي » Jewish تظهر وكأنها موازية لكلمة « مسيحي » ، « الماني » ، « قومي » ، الخ . وعلى اي حال ، لا يمكن ان يكون هذا استنتاجا منطقيا . ان الاشتراكية اليهودية ، في منطقها وحقيقتها، يجب ان توضع في المستوى ذاته مع الاشتراكية البروليتارية لان كليهما مصدر مشترك في اضطهاد الكائنات البشرية وفي التوزيع غير العادل للسلطة .

لقد خلقت البروليتارية اليهودية ، عندما اصبح لديها وعي طبقي ، الاشتراكية اليهودية الحقيقية وجعلتها حرة من كل اثر لعبودية الاندماج ، تحمل احتجاجا يهوديا خاصا يعبّر عن نفسه مع وعيه الطبقي. هذا وان آداب الجماهير اليهودية وفكرها وعواطفها المتسمة بشعور قومي محدد ، تظهر واضحة في الاشتراكية اليهودية . ان البروليتاريا اليهودية الحرة من الاندماج والتي ليس لها نزعة نحو انكار الذات ، هي التيسترفع

٦ ـ آرثر شوبنهاور (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠) : فيلسوف تشاؤمي الماني .

بوعي ، وحتى اكثر من ذلك ، بدون وعي ، راية الاحتجاج اليهودي .

كانت البروليتاريا اليهودية خلال مراحلها الاولى تتغذى على دعاية الانتلجنسيا المندمجة ، وكان سم الاندماج قد تسرب اليها ، لكن الوعي الذاتي للبروليتاريا والثقة بالنفس واحترام الذات صارعت وقضت على العدوى . وبالمقابل ، فان البروليتاريا اليهودية الواعية طبقيا تؤثر كثيرا في الانتلجنسيا اليهودية المرتبطة بها ، وانها بذلك ترفع الانتلجنسيا الى درجة احترام الذات الشخصية والقومية .

ان الاشتراكية اليهودية ستزيل عاجلا ام آجلا جميع النزعات الاندماجية من بين صفوفها ، وستعلن نفسها بكل صراحة وصدق على انها حركة الاحتجاج اليهودية الكبرى . وكحركة احتجاج على مآسي اليهود فان الاشتراكية تستطيع ان تصبح ملكا للجميع وذلك لان مآسي اليهودية تصيب كل الطبقات ـ البروليتاريا والانتلجنسيا ، الطبقة المتوسطة والبورجوازية العليا .

٤ ـ الصهيونية

لن تحل الاشتراكية المسألة اليهودية الا في المستقبل البعيد فقط ومع ان اضطهاد اليهودية هو نتيجة للظروف العامة في المجتمع ، فان لليهود حالة خاصة لا تستطيع الاشتراكية ان تفهمها . ان الاشتراكية ، ان في نضالها اليومي او في تجسيدها النهائي ، تعمل على مساعدة جميع المضطهدين ، فمن خلال النضال الاشتراكي يكون للجميع فرصة لزيادة سلطتهم السياسية ولتحسين وضعهم الاقتصادي ولرفع مستواهم الروحي .

ولكن ذلك كله يختلف بالنسبة لليهود ، فالتركيب الاقتصادي للشعب اليهودي وحرمانه من حقوقه السياسية ووضعه الخاص في المجتمع ، كل هذه تجتمع لتضع هذا الشعب في وضع خاص لا يمكن تحسينه في الوقت الحاضر من خلال النضال الاشتراكي .

قد يساعد الصراع الطبقي الطبقة المتوسطة اليهودية قليلا جدا او قد لا يساعدها ابدا . ذلك ان عدم الاستقرار الاقتصادي هو صفتها الاساسية وظهور اللاسامية يزيدها ضعفا . ليس فقط ان الصراع الطبقي ليس باستطاعته ان يحل لها مشكلتها ، ولكن ، وبما ان اللاسامية تغذى من قبل

الصراع الطبقي ، فان وضع الطبقة المتوسطة اليهودية يزداد في الحقيقة سوءا كلما ازداد الصراع الطبقي حدّة .

وكذلك فانه لا يمكن ازالة عدم اطمئنان الانتلجنسيا اليهودية من خلال الصراع الطبقي ، فالمنافسة في الحقيقة تزيده سوءا . ان العزلة الاجتماعية التي تزداد نموا ضد الشعب اليهودي بشكل عام ، وضد الانتلجنسيا بشكل خاص ، لا يمكن التغلب عليها بواسطة اي نوع من انواع الدفاع عن النفس اليهودي . ففي افضل الاحوال ، تستطيع الانتلجنسيا ان تتحمّل المصاعب الاقتصادية والاجتماعية بشكل استسلامي. حتى تلك الحكومات التي منحت الحقوق السياسية والمدنية لليهود ، فانها تتبع سياسات خاصة ضد هذه الطبقة . ولما ازدادت انتلجنسيا كل امة في الاعتماد على حكومتها ، اصبحت الانتلجنسيا اليهودية في موقف غاية في الضعف . كذلك لا تستطيع الحركة الاشتراكية ، بسبب صفتها البروليتارية ولاسباب تكتيكية ، ان تساعد اي جزء من الطبقة المتوسطة بشكل فعال ، وخاصة لا تستطيع مساعدة الطبقة المتوسطة اليهودية التي تنتمي الى شعب مكروه .

. هذا الصراع الطبقي لا يستطيع الاسراع في مساعدة البروليتاريا اليهودية الى الدرجة التي تستطيع معها مد يد العون للبروليتاريا عامة . ذلك ان طبقة العمال الدنيا The Lumpen-Proletariat (٧) التي تشمل القسم الاكبر من العمال اليهود والتي تتألف من التجار الصغار والبائعين المتجولين وغيرهم ، ليست قادرة على الصراع الطبقي او على النشاطات الاشتراكية . انها في افضل الاحوال تستطيع ان تسعى للوصول الى الاشتراكية وتحسّ مع الصراع الطبقي ، لكن الاشتراكية لا تستطيع مساعدتها بطريقة مباشرة . لا يمكن للطبقة المتوسطة ان تموت، لان القضاء على الحرف المستقلة لا يسير بالسرعة نفسها التي تنبأت بها النظرية الاشتراكية . والعملية الخارجية للتطور بطيئة ، اما اولئك الذين حددت قوانين الاقتصاد مصيرهم فقد بدأوا بتكييف انفسهم مع التغيير الذي يحدث مؤجلين بذلك المصير الذي ينتظرهم .

ان التطور الاقتصادي في اوروبه الشرقية ، حيث تعيش جماهير البروليتاريا اليهودية في عوز شديد ، لن يغير وضعها البائس في المجتمع بسرعة . ان البروليتاريا اليهودية العاطلة عن العمل يجب، كطبقة مضطهدة

---

٧ — Lumpen - Proletariat اصغر طبقة من العمال .

وكيهود ، ان تقبل بالاشتراكية ، ولكن الاشتراكية كحركة عملية ، لا تأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة التي يعيشونها ، كيهود .

تعارض النظرية والمبادىء الاشتراكية اي انكار للحقوق اليهودية ، ولكن ما يحدث دائما هو ان الاحزاب الاشتراكية تتبنى ، لاسباب تكتيكية وانتهازية ، المواقف السلبية وحتى الهجوم التحريضي ضد اليهود . وبصرف النظر عن معارضة الحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيه للاسامية نظريا ، الا انه في كثير من المناسبات السياسية كان راضيا عن اللاسامية ، او على الاقل ، لم يهاجمها . ان التاريخ السياسي المعاصر يقدم عددا من الامثلة يوضح فيها شخصية الاحزاب الاشتراكية ، من ذلك ، موقف الاشتراكيين الفرنسيين من « قضية دريفوس » (٨) . فكما ان انتهازية الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي الالماني قد ادت به احيانا الى جهة معاكسة للمبادىء الاشتراكية ، فان الحزب الفرنسي ، استثنى، لاسباب انتهازية ، اليهود في ولائه للعدالة المطلقة . وكما ان الاحزاب الاشتراكية في البلدان الديموقراطية رغم اهتمامها بجميع المضطهدين غير مهتمة بما يعاني منه اليهود فان الاشتراكية من هذه الناحية في وضع اسوأ خاصة في تلك البلدان التي لم يحقق فيها اليهود حريتهم بعد . ففي روسيه ، حيث لم يحقق اليهود تحررهم ، فان حالتهم لم تتغير للافضل بقلب النظام السياسي القائم . واية طبقة تسيطر على الحكم لن تبدي اي اهتمام عميق بتحرر اليهود . ان يأتي التحرر لليهود في روسيه مثل « المتن » او كنتيجة للمبادىء الانسانية والمثالية ، هو امر لا يمكن تصوره . ان يهود روسيه سوف يحققون تحررهم فقط في الدولة الاشتراكية التي ستكون في المستقبل ، وحتى ذلك الوقت فانهم سيبقون في بؤسهم الحالي . ومع هذا ، فان معرفة هذا الامر يجب ان لا يجعلهم يحجمون عن الانضمام الى احزاب المعارضة الثائرة لكي يعبروا عن احتجاجهم الغريزي السليم .

---

٨ ـ في العام ١٨٧٤ ، اتهم الكابتن الفرد دريفوس ، الذي كان ضابطا يهوديا في الجيش الفرنسي ، زورا وحكم بتهمة الخيانة . وقد استمرت هذه القضية التي شقت فرنسه وهزت اوروبه مدة اثني عشر عاما حتى برىء دريفوس واعيدت اليه رتبته . اما سيركين فقد قال ان اليسار الفرنسي شارك في الحملة ضد دريفوس لكي لا يتهم في وطنيته وولائه لفرنسه .

وبالنسبة لليهود ، فلا بد من ان يصل الانسان الى استنتاج مؤلم وغير عادي ، وهو انه ليس لليهودي ـ بخلاف بقية المضطهدين ـ اي سلاح حقيقي مباشر يستطيع ان يحقق بواسطته لنفسه وضعا افضل . فالبديل الوحيد لديه ، كما كان طوال القرون الماضية ، هو الهجرة الى البلدان الاخرى . ان اليهود في البلدان الغربية يسعون وراء حل مؤقت من خلال العزلة الاجتماعية ، اما في اوروبه الشرقية فانهم يرحلون الى البلدان الحرة .

كيف يجابه اليهودي مأساته الفريدة ؟

في القرون الوسطى ، قبل اليهود مصيرهم بكل استسلام ، وكأفراد صارعوا العالم من اجل بقائهم الشخصي . ولكن اليهود المعاصرين اتبعوا الوسيلة العقلانية للهجرة . ان تعبيد طريق موحّد لجميع المضطرين الى الهجرة ـ للفقراء الذين تدفعهم الحاجة الى الهجرة ، وللمثقفين الذين تلسعهم الاهانات ، وللمتدينين والرومانطيقيين الذين يبكون على سوء وضع الشعب وتهديم الهيكل ، وتقديم عقلاني لجميع اولئك الذين يحسون بألم المنفى، وبوجوب رفع احتجاجاتهم الفردية الى مستوى المقاومة المعنوية العامة التي تهدف الى اعادة الحياة اليهودية ـ كل ذلك هو هدف الصهيونية ، تلك الحركة التي ولدت من الآلام اليهودية التي شملت جميع قطاعات الشعب اليهودي .

ان الصهيونية ظاهرة حقيقية في الحياة اليهودية ، وجذورها ممتدة في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لليهود ، وفي رفضهم المعنوي وفي كفاحهم المثالي لاعطاء مضمون افضل لحياتهم التعيسة . ان قوى الحياة اليهودية المبدعة والنشيطة هي التي تتبنى الصهيونية. والجبناء والمنحطون روحيا فقط هم الذين يصفون الصهيونية بانها مجرد حركة مثالية .

جميع المحاولات اللاصهيونية لحل المسألة اليهودية تحمل طابعا مثاليا، فعلى سبيل المثال، يعتقد الاندماجيون بان اليهود سوف يندمجون، مثل هذا الاعتقاد هو امل خيالي . مثل ذلك ما يعتقده بعض اليهود الطيبون من ان بامكانهم ان يرجعوا للزراعة في البلاد التي يقيمون فيها وان الطبقة المتوسطة والانتلجنسيا اليهود ستخفضان من مستواهما المعيشي ، ذلك خيالي ايضا . وما يعتقد الاندماجيون اليهود الالمان ، نتيجة لاضعاف مركزهم بسبب الصهيونية ، ان الصهيونية ستختفي وان اليهود سيعودون الى حالتهم الاستسلامية السابقة ، فان

ذلك حلم ايضا لا يتحقق . هذه الحلول للمسألة اليهودية جميعها خيالية لانها تناقض كفاح اليهود المعاصرين وتفكيرهم .

ان ما يمنع الجماهير اليهودية الكثيرة من الايمان بالصهيونية ليس العامل المثالي الخيالي فيها وانما عبوديتهم وسلبيتهم اللتان هما نتاج عبودية الف سنة . ومناهضو الصهيونية يبنون وجهات نظرهم على اساس مدارس فكرية متناقضة ، ومع هذا فان لجميعها مصدر واحد ، هو ما يشعرون به في داخلهم من فقر وفراغ .

واما الاشتراكيون اليهود فانهم سيبحثون عن اسباب لا اساس لها لمساندة موقفهم المعادي للصهيونية . عندما رفضت حجج الاممية وانكار وجود القومية اليهودية ، وجدوا حجة جديدة ، هي ان الصهيونية تتعارض مع الصراع الطبقي . يقولون بان الشعب اليهودي ايضا مقسّم الى طبقات يتصارع بعضها ضد بعض بينما تتجاهل الصهيونية هذه الفروقات الاقتصادية وتقدم ما يسمى بوحدة الامة اليهودية كبديهية بديلة. ليس هناك اسخف من هذه الحجة التي تزعم ان الصهيونية تتعارض مع الصراع الطبقي اليهودي . ان اولئك الذين يؤمنون بذلك اخترعوا تناقضات ايديولوجية ليس لها اية علاقة مع الواقع. لماذا ترفض البروليتاريا اليهودية الصهيونية بمجرد ان الطبقات اليهودية الاخرى قد تبنتها لاسباب قومية وايديولوجية ، هذا مع العلم ان البروليتاريا هي اول المستفيدين من الصهيونية ؟

ان الصراع الطبقي لا يشمل جميع اشكال الحياة الاجتماعية ، فعندما يتعرض شعب للخطر ، فان كل الفرقاء يتحدون لمجابهة العدو الخارجي ، مع ان الطبقات تتصارع في الاحوال العادية . وكذلك الاحزاب المناهضة لبعضها تتحد وتشكل ائتلافات ضمن حدود مبادئها العليا وذلك ضد الاعداء الداخليين ، والبرلمانية المعاصرة تعتمد على هذا النظام . في كل اتحاد للافراد من اجل اهداف مثالية ، يختفي الصراع الذي يفصل انسانا عن اخر وتظهر مكانه اشكال اسمى من التضامن . ان الصراع الطبقي هو القوة الرئيسية الدافعة لحركة التاريخ ، ولكن من الخطأ تفسير الحياة الاجتماعية ، باشكالها المتعددة ، من خلاله وحده . جميع النشاطات الدفاعية والخلاقة والايديولوجية تتحقق ، ليس بواسطة الصراع الطبقي ولكن رغما عنه . والصهيونية التي هي عمل عبقري من انتاج اليهود ، ليست مناقضة للصراع الطبقي لانها اعلى منه ، ولذلك تقبل كل طبقة يهودية بالصهيونية عقيدة لها .

ان البروليتاريا اليهودية والجماهير اليهودية الفقيرة والانتلجنسيا والطبقة المتوسطة لها جميعها الحق في ان ترفض دولة يهودية يمكن ان تكون قائمة على اساس رأسمالي . صحيح ، ان الدولة اليهودية ، بصرف النظر عن شكلها ، تستطيع ان تحل المسألة اليهودية ، ولكن الضمير المعاصر مفعم بالمثل الاقتصادية والاجتماعية العليا التي لا تقبل معها الجماهير اليهودية ، وهي محقة في ذلك ، دولة رأسمالية يهودية .

لذلك كان شكل الدولة اليهودية هو الموضوع الوحيد القابل للنقاش في الصهيونية . فالصهيونية يجب ان تتجاوب مع آراء الجماهير اليهودية، لانه بدون الجماهير تكون الحركة مولودا ميتا . ان عجلات الدولة اليهودية لا تستطيع الدوران دون السواعد القوية للعمال اليهود . يجب على الصهيونية ان تأخذ بعين الاعتبار الميول الاشتراكية للطبقة المتوسطة وللانتلجنسيا . لذلك كان من الضروري ان تنصهر الصهيونية بالاشتراكية وذلك لان الاشتراكية تنسجم انسجاما كاملا مع اماني وآمال الجماهير اليهودية . فالعوامل السوسيولوجية والتكنيكية تجعل اي شكل اخر من اشكال الدولة اليهودية شيئا مستحيلا .

٥ ـ الدولة اليهودية ـ الاشتراكية

ان الصهيونية السياسية المعاصرة تناضل من اجل دولة يهودية قائمة على اساس الملكية الخاصة . ذلك ان خروج اليهود من منفاهم سيتم بواسطة هيئة عامة معترف بها ، ستكون الحياة الجديدة التي ستخلق نسخة عن الحياة القديمة ، ولكي يتم جذب العمال ، يجب وعدهم بيوم عمل اقصر في الدولة اليهودية المستقبلة . وقد كانت هناك محاولات عملية للاستعمار تمت حتى الان في ارض اسرائيل وفي الارجنتين وكانت هذه المحاولات مرتكزة على الملكية الخاصة .

ومع هذا ، فما لا يمكن تصوره ، هو ان يوافق الشعب على خلق دولة ذات حكم ذاتي تقوم على اساس الفروقات الاجتماعية لان ذلك سوف يعني الارتباط **بعقد اجتماعي من العبودية** . ولكن اي عقد اجتماعي جديد لن يتم ما لم تكن الحرية اساسا له . وفي الاساس، فان الفروقات الاجتماعية هي نتيجة للقوى غير الانسانية في التاريخ . وهدف العمل الاجتماعي الواعي هو تغيير الوضع القائم على اساس خطوط عقلانية ورفعة اخلاقية. ان جمهورية تولد نتيجة ارادة عابرة، وبدون خطة عقلانية

للمجتمع ، وتسلك الطريق القديم للمنافسة الحرة والفروقات الطبقية ، ستكون حماقة اجتماعية وبسيكولوجية .

في اللحظة التي تفتح فيها الابواب للنظام الاقتصادي الحر System of laissez faire فان العملية الاقتصادية ستضع طابعها الذي لا يمحى على الحياة الاجتماعية، فيؤسس الرأسماليون المصانع ويسيطرون على وسائل الانتاج . وبما ان هذا الجهد الاستعماري سيكون في بلد متخلف ، فان الاجور ستكون منخفضة الى دون ما يمكن لاي يهودي اوروبي ان يقبل به ، لذلك سيكون معظم العمال من المواطنين الاصليين للبلاد لانهم سيرضون باجور اقل . هذا يجعل من الاستعمار مصلحة تجارية بحتة مما سيضطر المهاجرين اليهود الى الرحيل ، ويوقف الخوف الجماعات التي تريد ان تتبعهم . وهكذا فان الحركة كلها سوف تتحلل قبل ان تبدأ تقريبا .

كما ان دولة يهودية تقوم في المستقبل على الرأسمالية ستكون مستحيلة التحقيق لاسباب تكنولوجية. انه ليس من الممكن مكننة الزراعة وخلق صناعات صغيرة ضمن نطاق الرأسمالية الصغيرة . ان المشاريع ذات النطاق الواسع هي امر واجب لكي يتم تحقيق الفائدة القصوى من الآليات واكبر انتاجية من العمل . ولن يسمح لقانون العرض والطلب بازماته وتبديده الحتمي بتنظيم الاقتصاد . ان الاشتراكية فقط تستطيع جعل العرض والطلب في حالة توازن .

لكي تستطيع الدولة اليهودية ان توجد ، يجب عليها ، منذ البدء ، ان تتجنب جميع امراض الحياة العصرية . فلكي تحظى بعطف الانسان العصري ، يجب ان تتخذ من العدالة والتخطيط العقلاني والتضامن الاجتماعي خطوطا عامة لها . وما ان تتحقق مثل هذه الدولة اليهودية على اساس هذه المبادىء الاجتماعية العلمية ، حتى يأتي الوقت الذي تزدهر فيه التكنولوجيا الحديثة في هذه الدولة . ان الدولة اليهودية يمكن ان توجد اذا ما كانت اشتراكية فقط . والصهيونية ، من خلال انصهارها مع الاشتراكية فقط تستطيع ان تصبح المثل الاعلى للشعب اليهودي كله ـ للبروليتاريا ، وللطبقة المتوسطة وللانتلجنسيا . ستشمل عملية نجاح الصهيونية جميع اليهود ، فلن يكون بينهم لا مبالين وسيتحول الامل بالخلاص الذي كان دائما اعظم حلم يراود يهود المنفى ، سيتحول هذا الحلم الى عمل سياسي ، وسيتمكن الشعب اليهودي الذي يقاسي من البؤس من ان يحقق لنفسه الاستقرار التام .

لن يكون الاهتمام بخلق دولة يهودية اشتراكية مقصورا على اليهود فقط ولا على البلدان التي تريد ان تتخلص منهم ، وانما سيهتم بذلك كل من يطلب اشكالا اعلى من الحياة الاشتراكية ـ الاشتراكيون والمصلحون الاجتماعيون .

ان اليهود هم اول من اعطيت لهم فرصة تحقيق الحلم الاشتراكي وذلك لانهم وجدوا انفسهم في وضع غير عادي مما جعلهم يضطرون للبحث عن وطن وتأسيس دولة . ان هذا هو العنصر المأساوي في مصيرهم التاريخي ولكنه ايضا رسالة تاريخية فريدة . ان ما هو حلم اقلية بشكل عام سوف يصبح حركة قومية كبرى بين اليهود ، وان ما هو مثالي في بيئات اخرى هو ضرورة بالنسبة لليهود .

عرف اليهود في التاريخ بانهم امة سببت الانشقاق والنزاع ، اما الان فانهم سيصبحون اكثر الشعوب ثورية . وسيتحول الشعب اليهودي من شعب كان اكثر الشعوب احتقارا واضطهادا الى شعب من اكثرها افتخارا وعظمة . ذلك لانهم يعتمدون في تحديد وضعهم الاخلاقي على عنائهم وكدهم، ومن آلام حياتهم سوف ينبثق لهم نموذج لحياة نبيلة . ان اليهودي صغير وبشع وعبد ومحتقر عندما ينسى وينكر شخصيته العظيمة ، ويصبح مشهورا وجميلا من الناحية الاجتماعية والاخلاقية عندما يعود الى طبيعته الحقيقية .

يجب مقارنة اسرائيل بمارد نائم ينهض من هوة يأسه وظلامه ويرفع راسه عاليا الى اللانهاية . ان وجهه محاط بهالة من اشعة مجد ايلام العالم له . وهو يعرف ان مهمته هي ان يطبق العدل وان يعلن الحقيقة ـ وقد اوكل له تاريخه المأساوي رسالة سامية ، هي ان يخلّص العالم الذي صلبه .

ستصبح اسرائيل الشعب المختار مرة اخرى !

دوف بير بوروشوف (١٨٨١ ـ ١٩١٧) Dov Ber Boroshov

صهيوني اشتراكي ، مؤسس حركة عمال صهيون وزعيمها، مولود في بلدة صغيرة من اوكرانيه . نشأ في مدينة بولتافه التي اختارتها الحكومة القيصرية لتكون المنفى المفضل للثوريين آنذاك. ابوه احد الاعضاء العاملين في فرع جمعية «احباء صهيون» الذي تأسس بالمدينة في وقت مبكر . حاول الجمع بين الاشتراكية والصهيونية منذ صباه ونشأته الاولى. زوده ابوه بثقافة رفيعة اغناها عن طريق مطالعاته الخاصة . دخل ميدان السياسة وانضم الى الحزب الديمقراطي الاشتراكي ثم طرد منه بعد سنة لانحرافيته الصهيونية التي لم تكن تنسجم مع الاشتراكية الصحيحة . كرس نشاطه منذ ذلك الحين للقضية الصهيونية في اوساط العمال وللعمل على تطوير الفكر الماركسي ـ الصهيوني الذي نادى به منذ البداية.

حاول كسب تأييد الاوساط العمالية على مختلف اتجاهاتها ونزعاتها لتشكيل يسار صهيوني . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٦ افلح في انشاء حركة عمال صهيون الروسية (بوعال صهيون) ووضع برنامجها بالاشتراك مع اسحق بن زفي (الذي اصبح رئيس دولة اسرائيل فيما بعد) . اصطدم مع البوليس الروسي واعترضته صعوبات جمة فارغم على مغادرة روسيه عام ١٩٠٧ . تجول في سائر انحاء اوروبه . ولعب دورا هاما في معارضة مشروع يوغنده . كان داعية للحركة العمالية الصهيونية وشغل منصب الامين العام للاتحاد العالمي لحركة عمال صهيون منذ تأسيسه عام ١٩٠٧ الى ان توفي . قام بابحاث في اللغة اليديشية وساهم في بعض الدراسات العلمية .

انتقل الى اميركه عند اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) وتابع نشاطه الايديولوجي والدعائي والحزبي هناك . خفف من حدة ماركسيته اثناء اقامته في اميركه. وتخلى عن الحتمية المادية التي كان ينادي بها . قام بتحليل الاضرابات اليهودية في اميركه، كما فعل براندیس من قبله ، ووطد دعائم الحركة العمالية الصهيونية هناك .

رجع الى روسيه بعد ثورة كيرينسكي في آذار (مارس) ١٩١٧ لكي يشترك في مؤتمر الاقليات الذي عقدته الحكومة بزعامة كيرينسكي آنذاك . وتوفي في مدينة كييف وله من العمر ٣٦ عاما .

الدور الايديولوجي الذي ساهم به بوروشوف في الحركة العمالية الصهيونية يقوم على محاولته في وضع نظرية صهيونية على اساس من المادية الديالكتيكية . لذا حاول استخراج تلك العناصر من كتاب كارل ماركس « رأس المال » التي تؤيد وجهة نظره . واستشهد بمقاطع من كتابات ماركس وانجلز لكي يبيّن العلاقة بين المسالة القومية والصراع الطبقي (١٩٠٥) . فالقومية الصحيحة في نظره لا تطغى على الوعي الطبقي . وهي بالتالي

لا تظهر الا لدى العناصر التقدمية في الامم المستعبدة . ان هدف هذا النوع من القومية هو تحقيق التحرر الحقيقي للامة عن طريق اعادة الاوضاع فيها الى حالها السوية الطبيعية وتنظيم علاقات الانتاج .

وفي برنامج حركة عمال صهيون (« برنامجنا » ، ١٩٠٦) نجد بوروشوف يدعو لتشكيل « صهيونية بروليتارية » تكون بمثابة النواة والاداة التنفيذية لمطامع الصهيونية المعروفة . فالحياة اليهودية ، في نظره ، يجب ان تسير وفقا للمخطط التالي :

١ ـ هجرة البورجوازية الصغيرة التي تتحول فيما بعد الى بروليتاريا .
٢ ـ تركيز الهجرة اليهودية .
٣ ـ الضبط المنظم لهذه الهجرة .

والعاملان الاولان هما نتيجة تلقائية للعملية التي تحصل داخل الحياة اليهودية ، بينما لا بد من ادخال العامل الثالث بواسطة البروليتارية اليهودية المنظمة . وهذا ما تسعى اليه حركة عمال صهيون .

بالاضافة الى ما تقدم نجد بوروشوف يقدم تحليلا ماركسيا للتركيب الاقتصادي والوضع الاجتماعي للشعب اليهودي. ويشير ايضا الى الحتمية الطبيعية للتركيز الاقليمي الصهيوني في فلسطين كوسيلة لاعادة التوزيع المهني وتسوية الاوضاع الاقتصادية .

وقد كان لتعاليم بوروشوف ابلغ الاثر في اشتراكية الاحزاب الصهيونية في اسرائيل. فالمابام والماباي واحدوت هاعفودا تستمد الكثير من افكاره وتعمل على وضعها موضع التنفيذ . يعتبر ، الى جانب حاييم ارلوزوروف وآرون دافيد غودرون ، من اهم مصادر الاشتراكية الصهيونية لدى الاحزاب الاسرائيلية القائمة حاليا .

المسالة القومية والصراع الطبقي (١٩٠٥)

لكي يستطيع الافراد ان يعيشوا ، عليهم ، ان ينتجوا ، ولينتجوا عليهم ان يوحدوا جهودهم بطريقة ما . ان الانسان كفرد لا يكافح ضد الطبيعة من اجل وجوده ، فالتاريخ يعرف الانسان كوحدة ضمن جماعة تعيش في مجتمع وتربط فيما بينها علاقات من نوع معين من اجل الانتاج، وقد سمّى ماركس هذه العلاقات بالعلاقات الانتاجية .

« ان المجموع الكلي لعلاقات الانتاج هذه يشكل التركيب الاقتصادي للمجتمع ـ وهذا يعتبر الاساس الحقيقي الذي تنشأ عنه العلاقات التشريعية والسياسية العليا والتي تتطابق مع اشكال محددة من الوعي الاجتماعي » (١) . وهكذا فان علاقات الانتاج في الصين او في فرنسه ،

---

١ ـ مبادىء ماركس The Essentials of Marx تحرير الجرنون لي ، نيويورك ، ١٩٣١ ، ص ١٧٦ .

على سبيل المثال ، هي اساس « النظام الاجتماعي » للمجتمع الصيني او الفرنسي .

ولكن عندما نتحدث عن المجتمعات بأسماء مختلفة يتضمن ذلك وجود مجتمعات عديدة تختلف بشكل ما بعضها عن بعض . واذا لم يكن هـذا صحيحا ، فلا نستطيع الحديث عن البورجوازية الانجليزية، والبورجوازية الالمانية ، والبروليتارية الاميركية والبروليتارية الروسية ، بل نستطيـع فقط الحديث عن الجنس البشري ككل ، او على اقل درجة عن المجتمعات المتحضرة وليس اكثر من ذلك . ولكن الانجليز والالمـان ، والاميركيين والروس هم اجزاء من الجنس البشري ، ومـن الانسانية المتحضرة على سبيل التحديد ، ومع هذا فهم يختلفون عن بعضهم بعضا . لذلك نستنتج ان البشرية مقسمة الى عدة مجتمعات .

ما سبق ذكره ليس سوى معلومات عامة لا يمكن ان يخطر ببال احد ان ينكرها ، والسؤال ، هو كيف نستطيع تفسير الاسباب التي تكمن وراء تقسيم البشرية بهذا الشكل ؟ لقد اعطيت لذلك عدة تفسيرات ، منها مـا يقدمه اولئك الذين ينطقون باسم « الايديولوجية القومية » وباسم «الروح الروسية النقية » وباسم « الروح الالمانية الحقيقية » ، وباسم «اليهودية» وهلم جرا . على ان المشكلة بالنسبة لنا هي تفسير ذلك بلغة الفكرة المادية التي تعلمنا البحث عن اسباب اية ظاهرة اجتماعية في الحالة الاقتصادية للمجتمع .

لقد ذكرنا سابقا : لكي يستطيع الافراد ان يعيشوا عليهم ان ينتجوا، وخلال عملية الانتاج تنشأ عدة اشكال من علاقات الانتاج ، لكن الانتـاج نفسه يعتمد على ظروف معينة تختلف باختلاف المكان .

ان ظروف الانتاج تختلف كثيرا فهناك اختلافات جغرافية وانتروبولوجية وتاريخية . والاختلافات التي تعود الى ظروف تاريخية تضم في الوقت نفسه الحالات التي تنشأ من ضمن الوحدة الاجتماعية نفسها ، وتلك التي تفرضها المجموعات الاجتماعية المجاورة .

يذكر انجلز (٢) هذه الظروف في رسالته المنشورة في «الاشتراكي الاكاديمي » حيث يقول انه من بين العوامل التي تسبب وجـود انظمـة

---

٢ ــ انجلز ، فريدريك (١٨٢٠ ــ ١٨٩٥) : فيلسوف اشتراكي الماني كان مؤيدا لماركس . (انظر كذلك ، سيركين ، الملاحظة رقم ٤) .

اقتصادية مختلفة هو وجود البيئة الجغرافيـة والجنس حتى الشكـل البشري الذي يختلف بحسب الاماكن المختلفة التي يوجد فيها . وكذلـك يقول ماركس في الجزء الثالث من « رأس المال » ان القاعدة الاقتصادية نفسها تستطيع ان تتطور بوسائل مختلفة بسبب اختلاف ظروف البيئة الطبيعية والجنس والتأثيرات التاريخية الخارجية . لذلك نرى ، حسب ما يقوله معلمو المادية التاريخية ان عملية تطور قوى الانتاج نفسها يمكن ان تتخذ عدة اشكال تبعا لاختلافات ظروف الانتاج .

بين ظروف الانتاج المذكورة اعلاه، كانت العوامل الطبيعية اللااجتماعية هي التي سادت اولا. على انه ، خلال عملية تطور المجتمع ، تكتسب البيئة الاجتماعية والتاريخية اهمية اكثر من الظروف الطبيعية اللااجتماعية ، تماما كما يحقق الانسان سيطرته على الطبيعة .

ان فكرة « ظروف الانتاج » تشكل اساسا سليما لتطوير نظرية مادية بحتة حول المسألة القومية، لانها تحوي نظرية الصراعات القومية واساسها.

لذلك يمكننـا الآن ايجـاد تفسير الصنفين البشريين التاليين : (١) المجموعات التي تقسم فيها البشرية تبعا لاختلاف ظروف الانتـاج وتسمى مجتمعـات او مؤسسات اجتماعية ـ اقتصادية (كالقبائل ، والعائلات والشعوب والامم) . (٢) المجموعات التي يقسم فيها المجتمع تبعا لدورها في نظام الانتاج نفسه ، اي ، بنسبة علاقات كل منها بوسائل الانتاج ، وتسمى طبقات Ranks .

ان لكل ظاهرة اجتماعية علاقة اساسية بالعناصر المادية في المجتمع، والنضال لا يكون عادة في سبيل مكتسبات « روحية » بل من اجل فوائد اقتصادية اجتماعية ، وكذلك النضال الطبقي لا يكـون من اجـل قيم « روحية » بل من اجل وسائل الانتاج ، والشيء ذاته ينطبق على النضال القومـي .

ان النضال الطبقي يكون من اجل الملكية المادية للطبقات ، اي ، من اجل وسائل الانتاج التي يمكن ان تكون مادية او غير ملموسة . اما الثروة المادية كالآلات فهي شيء يمكن انتزاع ملكيته، بينما الممتلكات غير الملموسة، كالمقدرة التقنية والمهارة وغيرهما فهي اشياء لا يمكن انتزاعها . وبالرغم من ان النضال بين الطبقات يتخذ غالبا شكل صراع بـين ايديولوجيـات ثقافية ـ روحية ، فان هذا النضال لا يكون من اجل انتزاع الممتلكات غير الملموسة ولكن من اجل السيطرة على وسائل الانتاج المادية .

وكذلك فان النضال القومي يكون من اجل الممتلكات المادية التي تمتلكها الهيئات الاجتماعية . ان ممتلكات الهيئة الاجتماعية تكون في سيطرتها على ظروف الانتاج ، التي يمكن ان تكون مادية او « معنوية » اي ، التي يمكن نزع ملكيتها والتي لا يمكن ذلك . ان الظروف الماديةتتالف من الارض والانتاج المادي الذي يصل اليه تطور الانسان الثقافي ، خاصة في الظروف الملموسة للانتاج ، اما الظروف « المعنوية » فانها تضم اللغة والعاداتوالتقاليد والظروف « التاريخية » للانتاج Weltanschauugen والنضال القومي لا يكون من اجل الاحتفاظ بالقيم الثقافية ولكن من اجل الاشراف على الملكية المادية حتى ولو كان هذا النضال يسير تحت راية الشعارات الروحية . اما امكانات المجتمع وقد اشرنا اليها بشكل عام ، فهي ظروف جهاز الانتاج في هذا المجتمع . هذه الامكانات يمكن ان تكون مادية او روحية على ان عناصر الظروف المادية الحيوية هي الارض لانها الاساس الذي تنشأ عنه جميع ظروف الانتاج ، وهي القاعدة التي ترتكز عليها كل التأثيرات الخارجية .

هذا وقد جهزت كل قومية وسائلها وادواتها الخاصة للاحتفاظ بهذه الامكانات مثل هذه الادوات هي الوحدةالسياسية والمؤسساتالسياسية، ولغتها ، وتربيتها القومية ، والقومية نفسها .

انه لمن الخطأ قبول الفكرة المغلوطة الشائعة التي تزعم انه ليس للبروليتاريا علاقة بالثروة القومية وبالتالي ليس لها شعور قومي او مصلحة قومية . لا توجد هناك اي طبقة في المجتمع خارج ظروف الانتاج في ذلك المجتمع . وينتج عن ذلك ان حالة ظروف الانتاج هذه هي موضع الاهتمام الحيوي للبروليتاريا . علينا ان نتناسى الافكار الخطيرة والمغلوطة المتعلقة بهذا الموضوع والتي تروجها العناصر التقدمية . اذا كانت الارض التي هي بمثابة القاعدة الاساسية للظروف الانتاجية ومصدرها ذات قيمة بالنسبة للطبقات المالكة بسبب امكاناتها وكونها قاعدة للقوة السياسية ، واذا كانت هذه الارض تخدم البورجوازية كقاعدة للسيطرة على السوق العالمية وهي في الوقت نفسه تخدم ايضا السوق الاستهلاكية للطبقات المتوسطة في المجتمع واذا كانت كل طبقة من الطبقات المشار اليها اعلاه تهتم بوسائل حفظ الثروة القومية التي تمتلكها فلا بد ان يكون للارض قيمتها بالنسبة للبروليتاريا ايضا ، لانها تقدم لهم مكانا للعمل ، كذلك فان لوسائل حفظ الثروة القومية قيمتها الخاصة بالنسبة للبروليتاريا .

هذا وهناك مصالح اخرى للعمال تتعلق بهذا الموضوع . ان المصالح

الثقافية من لغة وتعليم وادب ، التي تكمن قيمتها في كونها تنمّي الوعي الطبقي ، مع ان الوعي الطبقي لا تنمّيه « الثقافة » بقدر ما تنمّيه عملية الصراع الطبقي نفسها .

ولكن الصراع الطبقي يمكن ان يحدث فقط حيثما يكدح العامل وحيثما يكون قد حصل على مكان للشغل . وكلما ضعف مركزه في هذه الوظيفة ، كلما قلت امكانية ايجاد صراع منتظم ، فاذا لم يكن للعامل مركز خاص في عمله فلن يستطيع ايجاد صراع طبقي ، لذلك فان من مصلحته المحافظة على مركزه .

اننا في النهاية سنصل الى القاعدة المادية للمسألة القومية بصرف النظر عن الزاوية التي يمكن ان نعالجها من خلالها من اجل تحديد مدى وجودها بالنسبة للبروليتاريا حتى ولو عالجناها من زاوية حاجاتها الثقافية . اي ، اننا سنصل الى مسألة مكان العمل والى القاعدة الاستراتيجية للنضال الذي تمثله الارض بالنسبة للبروليتاريا .

ان قومية الامم المضطهدة تأخذ شكلا مغايرا لذلك ، فجهازها الانتاجي يخضع دائما لظروف غير عادية ، والجدير بالذكر ، ان ظروف الانتاج تكون غير عادية عندما يحرم شعب من ارضه ومن كل ما يمكنه حفظ كيانه القومي (كالاستقلال السياسي وحرية اللغة والنمو الثقافي)، او عندما لا يسمح له بالتمتع بها بشكل كلي. مثل هذهالظروف غير العادية تحاول ان تخلق انسجاما ما بين جميع افراد الامة . ان هذا الضغط الخارجي لا يقلل ويشتت تأثير ظروف الانتاج فحسب بل يوقف نمو علاقات الانتاج والصراع الطبقي لان النمو الطبيعي لطريقة الانتاج يكون قد تعرقل .

مثل هذا الوضع يخفف من النزاعات الطبقية وبشكل غير عادي وتضغط الوحدة القومية بتأثيرها القوي على مثل هذه القومية المضطهدة.

ان هذا الضغط الخارجي لا يؤثر على المصالح الخاصة لكل طبقة فحسب بل ان كل فرد من افراد المجموعة القومية يحس به ويدرك بان لهذا الضغط اهمية قومية ، فهو صادر عن شعب اجنبي وموجه بشكل خاص ضد قوميته . وفي مثل هذه الظروف ، فان اللغة الأم ، مثلا ، تتخذ دورا اكبر من كونها مجرد وسيلة تداول فيالاسواق المحلية. عندما تخضع اللغة لقيود وتحد حرية استعمالها يزداد الشخص المضطهد تعلقا بها ، وبكلام آخر ، ان المسألة القومية بالنسبة للشعب المضطهد تكون

منسلخة عن ارتباطها بظروف الانتاج المادية غير مهتمة بها . وفي هـذه الحالة فان الجوانب الثقافية تتخذ لها اهمية مستقلة ويوجه جميع افراد الامة اهتمامهم الى تقرير المصير القومي .

وعلى اي حال ، فان التركيب الطبقي والبسيكولوجية الطبقية تظهران للعيان خلال عملية النضال من اجل الانعتاق القومي . ويستطيع المرء ان يميز في وضع الامم المضطهدة طبقة البورجوازية المتوسطة والصغيرة وعناصر الكتبة والملاك كجماعات تعير التقاليد اهتماما خاصا ، الذين يعملون في حقول التربية القومية والادب القومي (كالمدرّسين والكتّاب وغيرهم) يصبغون تقليديتهم عادة بصبغة قومية . اما دعاة الانعتاق القومي الحقيقيون فهم دائما من العناصر التقدمية للجماهير ومن الانتلجنسيا اذ تكون الانتلجنسيا ناضجة الى الحد الذي يجعلها تتحرر من قيود التقليد فتتخذ قوميتها شكلا انقى . ذلك ان عملية الانعتاق القومي يجب ان لا تكون قومية تقليدية ولكن حركة حب الوطن Not Nationalistic but National. ان قومية حقيقية سوف تنمو بين مثل هذه العناصر التقدمية من الشعوب المضطهدة ، مثل هذه القومية لا تطمح لحفظ التقاليد ولا تبالغ فيها ولن يكون لها تخيلات الوحدة القومية السطحية ، بل تستوعب بوضوح التركيب الطبقي للمجتمع ولا تحاول ان تؤثر على المصالح الطبقية لاي فرد، ان هدفها هو تحقيق انعتاق الامة الحقيقي من خلال وضع ظروفها وعلاقاتها الانتاجية في وضعها الطبيعي .

والقومية الحقيقية لا تحجب الوعي الطبقي بأي شكل من الاشكال ، فهي تظهر نفسها فقط بين العناصر التقدمية للشعوب المضطهدة . ان قومية الطبقة التقدمية الحقيقية ـ قومية البروليتاريا الثورية المنظمة للشعوب المضطهدة ـ تعبّر عن نفسها من خلال مطالب قوية ومحددة تتجسد في برنامجها الادنى من اجل تأكيد ظروف الانتاج الطبيعية للامة وكذلك لتأمين قاعدة طبيعية لعمل البروليتاريا وللنضال الطبقي .

واذا ما تحقق هذا الهدف يكون هدف القومية الحقيقية قد تحقق. وبدلا من وحدة المصالح القومية السابقة المفروضة وغير العادية والتي تولدت عن عمليات انعتاق معينة ، يظهر الآن تركيب طبقي صحيح وصراع طبقي سليم بشكل جديد وواضح .

برنامجنا (١٩٠٦)

في تحليلنا للمسألة اليهودية علينا ان ندرك الحقيقة التالية وهي ان النضال القومي مرتبط ارتباطا وثيقا بالنضال الاجتماعي ، فليس هناك نضال يكون لمصلحة جميع طبقات الشعب بالمقدار ذاته لان لكل طبقة مصالحها القومية المختلفة عن مصالح اية طبقة اخرى . ان الحركات القومية لا تتخطى التقسيمات الطبقية فهي تمثل مصالح احدى طبقات الامة المتعددة فالتناقض القومي لا ينشأ عن التناقض بين قوى الانتاج القومي مع ظروف الانتاج بل لان حاجات طبقة واحدة او اكثر من طبقة تصطدم مع ظروف انتاج مجموعتها القومية . من هنا تنشأ انواع مختلفة من القوميات والايديولوجيات او العقائد القومية .

وبما ان ليس للامة اليهودية طبقة من الفلاحين فان تحليلنا لمسألتها القومية سيبحث وضع طبقاتها التي تقطن في المدن وهي البورجوازية الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، والجماهير التي هي في طريق البروليتارية، والبروليتاريا .

ولان البورجوازية الكبيرة لا تحصر نفسها في السوق المحلية لا يمكن اعتبارها ذات مشاعر قومية باي شكل من الاشكال ، فهي ذات نظرة عالمية صرفة . ان البورجوازية اليهودية تجد ان خدمة مصالحها يمكن ان تتم بافضل شكل عن طريق الاندماج ، ولولا وجود الطبقة اليهودية الفقيرة Poor Ostjuden لما كانت هذه البورجوازية لتزعج نفسها بالمسألة اليهودية. فسيل الهجرة اليهودية المتدفق من اوروبه الشرقية والمجازر العديدة تذكر بورجوازية اوروبه الكبيرة بالمصير البائس الذي يواجهه اخوانهم . اما وضع يهود اوروبه الشرقية البورجوازيين فيختلف لانهم يتأثرون بشكل اكثر مباشرة بحالة اليهود الراهنة . تعتبر بورجوازية اوروبه الغربية المسألة بكليتها وكأنها حمل مفروض عليهم ، ومع ذلك فانها لا تستطيع ان تجد مخرجا امينا يبعدها عن جماهيرنا الاوروبية الشرقية ، وبما ان البورجوازية اليهودية الكبيرة ترغب اكثر من اي شيء آخر ان تخسر فرديتها وتندمج كليا ضمن البورجوازية المحلية ، فانها لذلك ، تتاثر كثيرا باللاسامية . انها تخاف اي شيء يساعد على نشر اللاسامية . فلو كانت اللاسامية هواية قلة من الافراد المعتوهين والمرضى نفسيا فقط لما كانت خطيرة مخيفة . ولكن للاسامية شعبية قوية بين الجماهير، وغالبا

ما ترتبط دعاوتها بتحرك مجتمعات العناصر الدنيا من طبقة العمال . هذا هو ما يولد خطر الخوف من اليهودية .

ان اللاسامية قد اصبحت حركة سياسية خطيرة ، فهي تقوى بسبب المنافسة القومية بين البورجوازية الصغيرة اليهودية والبورجوازية غير اليهودية وبين الجماهير البروليتارية العاطلة عن العمل من اليهود والبروليتاريا من غير اليهود ، هذا واللاسامية تهدد اليهود المساكين الذين لا معين لهم وتهدد آل روتشيلد الاقوياء ايضا. ولكن آل روتشيلد يدركون تماما مصدر الخطر . بينما الجماهير اليهودية المعدمة تعيش في ضلال تام . وهذه الطبقات الغنية القوية من اليهودية تمقت هذه الجماهير اليهودية الضعيفة ولكن اللاسامية تذكرها بقرابتها لها . تكمن داخل صدر البورجوازية اليهودية نفسان : نفس الاوروبي المتكبر ونفس الحامي لاخوانه اليهود الشرقيين ــ دون ان يكون له خيار في ذلك ــ ولو لم يكن هناك لاسامية ، فان فقر وبؤس المهاجرين اليهود ما كان لينال اهتماما كثيرا من البورجوازية اليهودية العالمية . ولكنه ، من المستحيل ترك هؤلاء اليهود المشردين في اي مدينة اوروبية غربية (يلجأون اليها) تحت حماية الحكومات المحلية لان ذلك سيثير فيها شعور اللاسامية . ولذلك ، فان الارستقراطية اليهودية تضطر لان تتحول الى طبقة من المحسنين بالرغم عنها وبصرف النظر عن محاولاتها لتجاهل المسالة اليهودية، عليها تقديم المأوى للمهاجرين اليهود وايجاد اماكن لتجميع اليهود الهاربين من خطر المجازر . وفي كل مكان نجد ان طبقة البورجوازية اليهودية العالية تبحث عن حل يهودي للمسالة اليهودية كوسيلة للتخلص من الجماهير اليهودية . من هذه الزاوية فقط تظهر المسالة اليهودية امام طبقة البورجوازية اليهودية العالية .

اما طبقة البورجوازية المتوسطة فمرتبطة بشكل اوثق بالجماهير اليهودية ذلك ان المصالح الاقتصادية للبورجوازية الصغيرة والمتوسطة تعتمد ، بشكل عام ، على السوق الذي تستطيع الجماهير ارتياده والذي هو امتداد للغة القومية والمؤسسات الثقافية . لذلك فان البورجوازية المتوسطة والصغيرة تعتبر السند الرئيسي لجميع انواع القومية «الثقافية» وذلك بين الشعوب الاقليمية . وبما ان ليس لهذا النوع من البورجوازية اليهودية اية ارض او سوق ، فانه يقع تحت تأثير القوى الاندماجية . ومن ناحية اخرى ، فبسبب المنافسة القومية الشديدة التي تشمل كلا من البورجوازية الصغيرة والمتوسطة ، فانها تحس بوجود عنصر اللاسامية

العازل في كل فرع من فروع نشاطها . ان اللاسامية هي اساس جميع قوانين التمييز ضد اليهود ، في البلدان المتخلفة سياسيا واساس المقاطعة الاجتماعية لهم في البلدان البورجوازية ـ الديموقراطية . ان هذه المقاطعة التي تتعاظم وتزداد تنظيما يوما بعد يوم تلحق بالبورجوازية اليهودية في كل مكان ، في المتجر ، والمصنع وفي المجتمع وحتى في الصحافة . بنمو الرأسمالية ، تنمو الديموقراطية السياسية من جهة والمنافسة القومية من جهة اخرى . فأولئك الذين يرون في نمو الديموقراطية السياسية تخلصا من قوانين التمييز ضد اليهود وتقليل مظاهر الكره الجنوني لليهودية (كالمجازر مثلا) ، لا يرون الا جانبا واحدا من العملية ، فهم لا يرون المنافسة القومية التي تزداد حدة في المجتمع البورجوازي والتي تنشأ بشكل مواز للديموقراطية . ان هذه العملية تزيد من العداوة ضد اليهود وتجعل المقاطعة ضدهم اقوى واكثر تنظيما واشد فعالية. ان البورجوازية اليهودية الصغيرة منها والمتوسطة تقف عاجزة امام هذا التهديد لعدم امتلاكها ارضا لها وسوقا خاصة بها . اما بالنسبة لطبقة ذوي الياقات البيضاء من اليهود ، فان التمييز ضد الطبيب والمهندس والصحفي ، يضطرهم لمواجهة المسألة اليهودية ، لان بؤس اليهود وشقاءهم اقرب الى هؤلاء منه الى البورجوازية الكبيرة . ان لوطنيتهم صفة البورجوازية الصغيرة والمتوسطة . انهم يتحدثون عن وجود سياسي مستقل ودولة يهودية يلعبون فيها دورا سياسيا رئيسيا وذلك بسبب حاجتهم الى سند في نضالهم من اجل ايجاد سوق لهم . انهم يحسون بتأثير اللاسامية بشدة ولذلك فانهم يكافحون من اجل حماية الحقوق اليهودية المدنية منها والقومية . وبما انهم يتأثرون مباشرة بفقر وانحطاط الجماهير اليهودية ، فانهم ينادون بسياسة القومية اليهودية .

ولكن اذا استطاعت هذه الطبقة ان تنجح في الاحتفاظ بمركزها كطبقة متوسطة ، وطالما ان المقاطعة والعزل المفروضين من اللاسامية لا يؤثران على مصالح افرادها المادية ، يظل اصحاب هذه الطبقة يركزون مصالحهم السياسية في بلاد المنفى ، وكذلك مصالحهم الشخصية تبقى خارج الدائرة اليهودية وذلك لان التناقض بين مصالحهم الاقتصادية وظروف الانتاج التي تقيد الحياة اليهودية ما يزال قليلا . وبكلام آخر ، ما دامت البورجوازية اليهودية المتوسطة تحتفظ بمركزها الاقتصادي ، فانها الى حد ، لا تهتم بالمسألة اليهودية . صحيح ان الوضع اليهودي هو مصدر قلق للطبقة المتوسطة ، ولكن هذه الطبقة ليس مضغوطا عليها الى حد

يجعلها تثور على ظروفها . ان طاقتها يمكن ان تستخدم الى درجة معينة في اعادة الاعتبار للحياة اليهودية ، ولكن الطبقة المتوسطة ، بشكل عام ، لا يمكن ان تشكل اساسا لحركة الانعتاق اليهودي .

ومن اجل اهداف هذا البحث ، يمكننا اعتبار البورجوازية اليهودية الصغيرة والبروليتاريا مجموعة واحدة . ونتيجة لظروف تاريخية معينة، اصبحت هذه المجموعة تشكل غالبية الشعب اليهودي . وبالنسبة لنا نحن البروليتاريين الصهيونيين فان لهذه الطبقة اهميتين اثنتين : اولا ان البروليتاريا اليهودية قد بدأت تأخذ طابعا اجتماعيا مميزا عن المجموعة الكبيرة منذ وقت قليل ، (ولفهم البروليتاريا اليهودية يجب تحليل البورجوازية الصغيرة بشكل صحيح لانها تشكل مورد قوتها البشرية) . ثانيا : تشكل جماهير المهاجرين المختلفة من البورجوازية الصغيرة والبروليتاريا المستقبلة ، المصدر الرئيسي لليهود الذين سيعملون من اجل اعادة الحياة الطبيعية لليهود .

ان المشكلة القومية للبورجوازية الصغيرة المنهارة تكمن في البحث عن سوق يحررها من العزلة الاقتصادية التي تعيش فيها في الوقت الحاضر . لذلك فان المسألة القومية بالنسبة لهذه الجماعة تكون اكثر الحاحا من غيرها . وتجد هذه البورجوازية الصغيرة اليهودية الحل باضطرارها للتخلي عن مسقط رأسها والهجرة الى بلاد جديدة ، ولكنها حتى هناك لا تجد حلا مرضيا ، فيحل بها البؤس ويصبح الفقر من نصيبها في هذه البلاد الجديدة . لذلك تضطر للدخول الى ميدان العمل لتتحول الى نوع من الجماهير العاملة . وحتى في سوق العمل عليها ايضا مواجهة المنافسة القومية . ونتيجة لذلك ، فان البورجوازية الصغيرة اليهودية التي كانت قد تحولت الى بروليتاريا تستطيع فقط التسلل الى المراحل الاخيرة من الانتاج . وهكذا فان نضالا قوميا يرتكز على الحاجة واستحالة اشباع هذه الحاجة ينشأ في مثل هذه الظروف .

ولذلك ، فان مشكلة الامة تصبح بالنسبة للبورجوازية الصغيرة في البحث عن سوق قومية وفي الحفاظ على كل ما يتعلق بها من مؤسسات ثقافية كاللغة والتربية الوطنية ، الخ ... وبشكل اوضح فان مشكلة البورجوازية الصغيرة اليهودية هي مشكلة الهجرة ، مشكلة بحث شعب منفي عن مكان يجد فيه امنا اقتصاديا .

والمسألة اليهودية تهاجر مع اليهود ، ولذلك فانها مسألة يهودية

عالمية تنشأ فلا تشمل المحسنين من اليهود فحسب ولكن القوى السياسية في الامم المتحضرة ايضا ...

ان الهجرة وحدها لا تحل المسألة اليهودية ، فهي تترك اليهودي عاجزا في بلاد غريبة ، ولهذا السبب فان الهجرة اليهودية واية هجرة قومية اخرى تهدف الى اقامة مستوطنات مكثفة وهذا التجميع يخفف من عملية التكيف مع البيئة الجديدة ، ولكنه يزيد في الوقت نفسه من حدة المنافسة بينهم وبين اهل البلاد التي هاجر اليها اليهود. فلو لم يهاجر عدد كبير من اليهود الى نيويورك وفيلادلفيه وشيكاغو ، ما كانت المنافسة تنشأ ضدهم ولكن وجود اليهود ادّى الى الاحتكاك . والتناقضات الخارجية للهجرة اليهودية المتمثلة في التصادم ما بين عادات البلاد الاصلية وعادات البلاد الجديدة ادت بدورها الى تكاتف اليهود وتجمّعهم .

ان مثل هذا التجميع يضم تناقضين اثنين . فبينما تهدف سياسة التجميع على نطاق واسع الى تسهيل عملية التكيف مع البيئة الجديدة ، الا انها في الوقت ذاته تتسبب في عزل الجماعات التي تصل حديثا وبذلك تعرقل عملية التكيف . حالما يصل المهاجر يبحث عن العمل ضمن المراحل الاولى للانتاج ، ويحافظ اليهود بواسطة تجمّعهم في المدن الكبيرة، على تقاليدهم الاقتصادية السابقة فيتحولون بسبب ذلك الى المراحل الاخيرة من الانتاج وهي صنع البضائع الاستهلاكية . وهكذا ، فان حاجة اليهود لتنمية قواهم الانتاجية وليصبحوا بروليتاريين تبقى غير مشبعة .

ان التناقضات الكامنة في هذه العملية تقود الى لامركزية هذه الجماهير اليهودية المجمّعة، اذ يتفرق اليهود في اماكن مختلفة مزدحمة مما يجعل المسألة اكثر حدة . فبدل ان تحصر التناقضات في مكان واحد ، فانها تظهر في اماكن متعددة ، وبذلك تصبح المسألة اليهودية اكثر حدّة وتتحول الى مسألة عالمية .

ونتيجة لهذين التناقضين الرئيسيين ، فان البورجوازية اليهودية الصغيرة والجماهير العاملة تجد نفسها بحاجة الى امرين اثنين . ذلك ان استحالة التسلل الى المراحل العليا للانتاج يخلق رغبة للهجرة والتجمع في بلاد مختلفة ، وذلك لكي يستطيع اليهودي خلال وقت قصير ان يتسلم الدور القيادي في اقتصاد البلاد الجديدة بدلا من ان يبقى محصورا ضمن المراحل الاخيرة للانتاج كما هو وضعه في مختلف البلدان . ولذلك فان

الهجرة اليهودية يجب ان تتحول من هجرة الى استعمار ، وهذا يعني حل المسألة اليهودية في ايجاد ارض لها .

ولتحويل الهجرة اليهودية الى استعمار للبلدان المتخلفة ، لا يكفي ان يكون الاستعمار مغريا لليهود فقط، ولكن يجب ان تصبح الهجرة الى البلدان التي كانوا يهاجرون اليها اكثر صعوبة ، وهذا في الحقيقة ، يحدث الآن. فبسبب المنافسة القومية ، فان الهجرة الى البلدان الرأسمالية المتقدمة قد اصبحت مقيدة . وفي الوقت ذاته تزداد الحاجة للهجرة اليهودية ولم تعد تشبعها المراكز القديمة للاستيعاب ، ولذلك يتوجب ايجاد بلاد جديدة ، وقد اصبح المهاجرون يميلون للذهاب الى بلاد شبه زراعية .

ولتجنب اللامركزية ، هناك حاجة لقوى تنظيمية توحد جماهير اليهود وتحوّل عملية الهجرة التلقائية الى جهاز تسيره هذه القوى التنظيمية . فلو تركت الهجرة اليهودية دون تنظيم ، فانها ستتحول الى عملية مضطربة لن ينتج عنها سوى تشتت اليهود . ولهذا السبب هناك حاجة لعنصر جديد وواع ، يقوم بتنظيم الجماهير اليهودية المهاجرة وبتوجيه حركاتها . ان هذا الواجب ملقى على عاتق البروليتاريا اليهودية الواعية .

تعمل ديناميكية الحياة اليهودية حسب المخطط التالي : (١) هجرة البورجوازية الصغيرة التي تتحول الى بروليتاريا ، (٢) تجميع المهاجرين اليهود ، (٣) تسيير منظم لهذه الهجرة . ان العاملين الاولين هما نتيجة تلقائية للعمليات التي تجري ضمن الحياة اليهودية ، اما العامل الاخير ، فان البروليتاريا اليهودية المنظمة هي التي تدخله .

لقد بلغ الاقتصاد الرأسمالي مرحلة اصبحت فيها التغييرات الثورية غير ممكنة دون مساهمة جماهير العمال والاجزاء المنظمة من البروليتاريا بشكل خاص . وانعتاق الشعب اليهودي اما ان يتحقق عن طريق العمل اليهودي ، او انه لن يتحقق ابدا . ولكن هناك سلاح واحد في يد الحركة العمالية وهو الصراع الطبقي الذي يجب ان يتخذ له صفة سياسية اذا ما اراد ان يلعب دورا قياديا في بناء المستقبل الافضل . والصهيونية البروليتارية تصبح ممكنة اذا ما كانت اهدافها تتحقق عن طريق الصراع الطبقي . والصهيونية لا يمكن ان تتحقق اذا لم تتحقق الصهيونية البروليتارية .

ان البروليتاريا اليهودية بحاجة للثورة اكثر من غيرها . انها تعلّق آمالا كبيرة على الخير الذي يمكن ان تجنيه من نمو الديموقراطية في

المجتمع . فالاضطهاد القومي المخيف والاستغلال من جانب الرأسمالية اليهودية الصغيرة ، والمستوى الثقافي العالي والقلق الذي يعيش فيه البروليتاري اليهودي الذي نشأ في المدن والذي هو ابن « اهل الكتب » ، كل هذه تولد طاقة ثورية عظيمة ومعنويات مرتفعة من اجل التضحية بالنفس . ان هذه الحماسة الثورية تتخذ اشكالا غريبة مع ان قيود القاعدة الاستراتيجية تؤثر كثيرا عليها . ان مرض الطاقة الفائضة هو مأساة البروليتاريا اليهودية ومصدر عذابها . تشبه حالة البروليتاريا اليهودية حالة بروميثيوس المقيد الذي ينتف ، وهو في حالة من الغضب العاجز ، ريش النسور الذي يأكل جسده .

لقد بدأت الهجرة اليهودية تدريجيا في تحويل نفسها الى بلاد يمكن فيها استخدام رأس المال اليهودي الصغير والعمل اليهودي في اشكال من الانتاج تساعد على الانتقال من استخدام اقتصاد مدني الى اقتصاد زراعي ، ومن انتاج البضائع الاستهلاكية الى انتاج الصناعات الرئيسية. لن تكون البلاد التي سيهاجر اليها اليهود متقدمة صناعيا ولن تكون زراعية في غالبيتها ولكنها ستكون شبه زراعية . ان اليهود وحدهم سيذهبون هناك . لان البلد الذي سيذهبون اليه لن يكون له جاذبية لمهاجرين من شعوب اخرى .

سيكون هذا البلد البلد الوحيد الذي يمكن ان يحصل عليه اليهودي، وان هذا البلد ، دون بقية البلدان التي يأتي اليها المهاجرون ، سيقوم بأعنف اشكال المقاومة . سوف يكون بلدا ذا مستوى ثقافي ونمو سياسي منخفض . ورأس المال لن يستطيع جني اية فائدة له هناك، ولكن رؤوس الاموال اليهودية الصغيرة والمتوسطة سوف تجد فيه وفي البلاد المجاورة سوقا لمنتجاتها . اما هذا البلد الذي سوف تتجمع فيه الهجرة اليهودية فهو فلسطين .

ان هدف الصهيونية النهائي في فلسطين هو ايجاد حكم سياسي اقليمي ذاتي . وبالنسبة للبروليتاريا اليهودية ، فان ذلك يشكل خطوة نحو الاشتراكية .

هذا وان توسيع وتعزيز الاقتصاد اليهودي والمستوى الثقافي اليهودي في فلسطين سوف يسيران بخطى سريعة جنبا الى جنب مع العمليات المشار اليها سابقا . وسينمو النمو الاقتصادي ايضا الى جانب نمو الاستقلال السياسي وسيتكامل المثل الاعلى في ايجاد كيان سياسي ذاتي لليهود بوجود الكيان السياسي الاقليمي الذاتي في فلسطين .

آرون دافيد غوردون (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) Aaron David Gordon

فيلسوف صهيوني ومتصوف

مولود في قرية بمقاطعة بادوليا (روسيه) وفي بيت اشتهر بالعلم والتقوى . كان ابوه يدير مزرعة لقريبه الاقطاعي الروسي الكبير البارون هوراس غونزبرغ وقضى الابن طفولته وصباه هناك . وما لبث ان تزوج ودخل في خدمة اقاربه الاغنياء ليعمل كمسؤول في احدى المزارع التي كانوا يديرونها . بقي في وظيفته تلك من ١٨٨٠ ـ ١٩٠٣ ، تعرّف خلالها على الكثيرين من الشباب اليهود واعتنق المبادىء التي نادت بها حركة «احباء صهيون» فاصبح من اتباعها المتحمسين . وقرر المجيء الى فلسطين عام ١٩٠٤ ، لكي يشتغل كعامل زراعي في المستوطنات اليهودية . بقي فيها حتى وفاته في مستعمرة دجانيا .

قام بادخال تعاليم جديدة على الحركة الصهيونية تتعلق بما اسماه « دين العمل » وهي اقرب الى الصوفية في بعض نواحيها . اعتقد ان خلاص الانسان كانسان ، واليهودي بشكل خاص ، لا يتم الا عن طريق العمل الجسدي . وحاول تطبيق هذه المبادىء التي آمن بها من خلال عمله اليومي في كروم بتاح تكفا ومستعمرات الجليل الاخرى . فالعمل الجسدي في نظره هو اساس الوجود الانساني . والحضارة هي اسمى مخلوقات الانسان. لكن هذا الانسان قد ابتعد عن النبع الخلاق ، لاسباب عديدة . والنبع الخلاق هو الطبيعة والارض . لذلك يدعوه غوردون ، وعلى الاخص اليهودي الذي انقطع عن الطبيعة طويلا وعاش الفي سنة رهين جدران المدينة (الشعب والعمل ، ١٩١١) ، الى العودة لاحداث شراكة اوثق مع الطبيعة . اي لاستعمار ارض فلسطين وتحقيق الخلاص المنشود تحت راية دين العمل الجديد . واذا كانت الحضارة قد غدت مناوئة لعافية الانسان ، فالحل يكمن في العودة الى الطبيعة على غرار دعوة جان جاك روسو وتولستوي .

هكذا يصبح العمل في نظر غوردون ضرورة نفسية وروحية وشرطا من شروط نمو الشخصية وتحقيقها . اما الناحية الاشتراكية في تفكيره فهي تكاد تنحصر في تشديده على الحؤول دون حدوث الاستغلال عن طريق اعتباره ان الارض وادوات العمل ليست ملكا خاصا للفرد . فهو يخالف الماركسية في قولها ان التغير الاجتماعي يتم بواسطة تغيير عمليات الحياة الاقتصادية . ويؤكد ان التغيير يحصل من جراء اتخاذ موقف جديد ازاء العمل وازالة كل سعي وراء السلطة وكبح جماح شهوة السلطان . والامة المستقلة هي التي استطاعت تحرير نفسها من جشع الاستغلال والاستغناء على حساب الامم الاخرى . فالتحقيق الذاتي هو الواجب الاول لكل انسان . بينما المفاهيم والتصورات الكلامية واللفظية لا تمارس ذلك الاثر الذي يتركه المثال الحي او القدوة الحسنة .

ويبدو ان غوردون ينقل تعاليمه التي تنطبق على الحي اليهودي في اوروبه ووضعه الاقتصادي المتزعزع الى ارض فلسطين . فهو يدعو اليهود للعودة الى الزراعة لكي يكتسبوا عن طريقها شخصية اقتصادية سوية ، ولذلك عليهم التخلي عن ادوارهم السابقة كوسطاء . ولا يكتفي غوردون بذلك في تصويره للحياة اليهودية الجديدة في فلسطين ، بل يمضي قدما في صوفية عجيبة للتحدث عن الرابطة الميتافيزيقية بين اليهودي وارض اسرائيل . وهي الرابطة التي يرجعها الى التقليد الديني الكلاسيكي ويسبغ عليها مسحا من عقائد القبّالة اليهودية ورموزها السحرية . فتغدو الامم بمثابة الظاهرة الكونية الناتجة عن التفاعل بين الانسان والطبيعة . وهو التفاعل الذي يعبِّر عن نفسه باشكال خاصة حسب الامكنة والازمنة ويعمل على تكوين الروح الفريدة للجماعة وتاريخها . ويرمي من وراء ذلك الى القول بان اليهود امة تريد العودة الى بيئتها الطبيعية ولا يتم تجديدها الا عن طريق العمل الجسدي . وهكذا يطلع علينا غوردون بصوفيته الصهيونية العجيبة دون ان يكلف نفسه مشقة الالتفات الى اصحاب تلك الارض وحقوقهم .

كان لتعاليم غوردون ابعد الاثر على الحركة العمالية بين يهود فلسطين واستمدت منها حركة هابوعيل هاتزائير اساسها العقائدي . وجرى تطبيقها في الكيبوتزات الاولى القائمة على اسس تعاونية. واحلّه الرواد الاوائل في منزلة القديسين. بينما هو يقلّد ليو تولستوي في اواخر حياته ويذكّرنا بهرب الكتّاب الروس في القرن الماضي من بيوتهم وعائلاتهم لكي يعيشوا مع الفلاحين في اتصال حقيقي مع الطبيعة والروح الانسانية .

قامت بعد وفاته حركة كشفية في بولونيه (١٩٢٥) ودعيت باسمه « غوردونيا » (Gordonia) وانتشرت الى بلدان اخرى ، حتى انها عقدت مؤتمرا عالميا لها في مدينة دانزيغ عام ١٩٢٨ . وهي تنتمي عقائديا الى حركة هابوعيل هاتزائير في فلسطين والى جماعة حت احدوت (Hitahdut) او الاتحاد العالمي لهابوعيل هاتزائير وتزئيري صهيون في الخارج . وتهدف الى تثقيف الشباب بالروح الصهيونية وبتعاليم غوردون وتعمل على تحقيق الصهيونية العمالية ومبادئها .

وقد اقامت العديد من المستوطنات في اسرائيل ونقلت مقرها الرئيسي اليها . وهي الآن تابعة لحركة الرواد الشباب الاسرائيليين Ha Tenuach Ha-Meuchedet Ha-Bonim (تاسست ١٩٥٠) وتسير في ركاب حزب المابام . وقد انضمت عام ١٩٥١ الى المنظمة العالمية لحركات الشباب الصهيوني (تاسست في بريطانيه عام ١٩٢٩) . وانشات فروعا في كل من جنوب افريقيه (١٩٣١) ، الهند (١٩٣٦) واستراليه (١٩٤٣) . وفي الولايات المتحدة برزت بعد اعادة تنظيم عمال صهيون (١٩٣٥) . وقد انضمت الى المنظمة العالمية الحركة الهولندية عام ١٩٥١ . وتل ابيب هي مقر الامانة العامة.

جمعت آثار غوردون في عدة مجلدات تضم مقالاته وظهرت في تل ابيب ١٩٢٧ ـ ١٩٣٠ تحت عنوان كتبي (Kitbe) . منها : « منطق للمستقبل » (١٩١٠) و « الشعب والارض » (١٩١١) ، « بعض الملاحظات » (١٩١١) و « المهمات التي تنتظرنا » (١٩٢٠) و « يوم كيبّور او يوم التوبة » (١٩٢١) ، و « خواطر اخيرة » (١٩٢١) .

منطق للمستقبل (١٩١٠)

وعندما تعود الى الطبيعة ، ايها الانسان ، ستتفتح عيونك في ذلك اليوم وتنظر في وجه الطبيعة ، وفي مرآتها سترى صورتك ، عندئذ ستعرف انك انما قد رجعت الى نفسك لانك عندما اختبأت من الطبيعة كنت مختبئا من نفسك . وعندما تعود ستجد ان اجزاء منك ، من يديك ورجليك ، من جسدك وروحك ، كانت تثقل كاهلك ولا تستطيع تحملها ، سوف تزول وتبدأ انت بعدها بالوقوف منتصبا ، وستدرك فيما بعد ان تلك كانت اجزاء من الصدفة التي تقوقعت فيها عندما كنت حائرا من امرك ، والتي استطعت اخيرا ان تظهر منها . وفي ذلك اليوم ستدرك ايضا ان حياتك السابقة لم تكن تناسبك ، وبأنه بات لزاما عليك ان تجدد كل الاشياء : طعامك وشرابك وملبسك ومسكنك واسلوب عملك وطريقة دراستك ، وكل شيء يتعلق بك .

في ذلك اليوم سوف تدرك ، ايها الانسان ، في قرارة نفسك انك انما كنت هائما قبل ان تعود الى الطبيعة ، لانك لم تكن لتدرك كنه الحياة، حياة مختلفة ، حياة ليست جاهزة الصنع ، حياة تعيشها بالاختبار عن طريق الاستعداد والخلق . مثل هذه الحياة لم تعرفها ابدا لذلك كانت حياتك منقسمة الى شطرين : قطعة صغيرة جدا من الوجود ، وتجربة ضخمة من اللاوجود ، من العمل ومن الكد ومن الانشغال ـ من «السبت» و « مساء السبت » . انك لم تفكر ولم يخطر في ذهنك بأن لا حياة في حياة جاهزة الصنع . الاستعداد هو الحياة بنفسها ، لان الطبيعة تعيش ايضا ضمن تهيئة الحياة ، ضمن خلق الحياة .

الشعب والعمل (١٩١١)

خلال الفي السنة الاخيرة كان الشعب اليهودي معزولا عن الطبيعة ومسجونا داخل اسوار المدينة . لقد اعتدنا على كل اشكال الحياة ما عدا حياة العمل ـ العمل الذي نقوم به بملء ارادتنا ومن اجل العمل نفسه . وسيحتاج هذا الشعب لاضخم الجهود من اجل ان يستعيد وضعه الطبيعي مرة اخرى . ينقصنا عنصر الحياة القومية ، كما تنقصنا عادة العمل ـ العمل الذي يلتصق به الشخص بشكل طبيعي وعضوي وليس العمل الذي ينجز نتيجة لضغوط خارجية . وهذا النوع من العمل يشد

الشعب الى تربته والى ثقافته القومية التي هي بدورها نتيجة لتربة الشعب ولعمل الشعب .

صحيح ان بين كل شعب افراد يعرضون عن العمل الجسدي ويحاولون ان يعيشوا على عمل الآخرين ، ولكن الشعب في حالته الاعتيادية يشبه الكائن الحي الذي يقوم بوظائفه المختلفة بشكل طبيعي ، والعمل هو احد هذه الوظائف العضوية الرئيسية . والشعب الطبيعي يجب ان يضم غالبية كبرى من الافراد الذين يكون العمل بالنسبة لهم طبيعة ثانية، ولكننا نحن اليهود نختلف عن ذلك ، فقد نشأ عندنا ميل لاحتقار العمل اليدوي لدرجة ان اولئك الذين يقومون بمثل هذا العمل يفعلون ذلك مضطرين وعلى امل ان يهربوا منه يوما الى « حياة افضل ». يجب علينا ان لا نخدع انفسنا بهذا الخصوص وان لا نغمض اعيننا عن نقائصنا الخطيرة ليس كأفراد فحسب ولكن كشعب ايضا . ان القول المشهور في التلمود ، بأنه عندما ينفذ اليهود ارادة الله سيقوم الآخرون بتنفيذ اعمالهم لهم ، خير معبّر عن طبيعتنا . هذا القول مهم . انه يدل على الدرجة التي اصبح فيها هذا الاتجاه شعورا غريزيا فينا وطبيعة ثانية لنا .

من منا يفكر بهذه المسألة ؟ من يحس بوجودها ؟ ليس لدينا عمل ومع هذا فاننا لا ندرك ان شيئا ينقصنا ، لا نهتم بهذا الامر حتى عندما نتحدث عن بعثنا القومي . ليس العمل هو القوة التي تشد الانسان الى التربة وبالتالي تساعده على اكتسابها فحسب ، ولكنه الطاقة الاساسية لخلق ثقافة قومية . وهذا ما ينقصنا ولكننا غير واعين بأننا نفتقده . نحن شعب بلا بلاد وبدون لغة قومية حية . ولكننا على الاقل ندرك ذلك ونتألم له ولو بشكل غير واضح ، ونبحث عن طرق وسائل لعمل ما يجب عمله . ولكننا نعتقد بأن عدم قيامنا بأي عمل مسألة غير مهمة ــ ليقم ايفان او جون او مصطفى بالعمل . بينما نحن نشغل انفسنا بانتاج ثقافة وبخلق قيم وطنية وبجعل العدالة المطلقة تسود العالم .

واخيرا وبعد معارك طويلة وقاسية استطاعت الثقافة ان تفوز بمكان لها في حركتنا القومية (الصهيونية) . ولكن اية ثقافة هذه ؟ الثقافة ، كما تعرفها الدوائر الصهيونية ، هي « بعث الروح » او «الانبعاث الروحي»، وان الروح التي نريد احياءها ليست نفس الحياة الحقيقي الذي ينتشر في جميع اجزاء الكائن الحي ويأخذ الحياة منها ، ولكنها روح خيالية ومجردة تستطيع التعبير عن نفسها خلال فجوات العقل والقلب فقط . وبالنسبة لمقررات المؤتمر الصهيوني ، الثقافة هي مسألة افكار او

ايديولوجية . وفي هذه الحالة قد تعني الثقافة لبعضنا ايديولوجية هيرمان سترك(١) والحاخام رينز (٢) ، وبكلام آخر، هي المعتقد الديني الارثوذوكسي للمزراحيين ، وللبعض الآخر ، تدل الثقافة على وجهة نظر مدرسة ماركس وانجلز .

ان الثقافة الحية ، غير المنسلخة عن الحياة ، هي التي تضم الحياة بكل جوانبها . الثقافة هي كل ما تخلق الحياة لأغراض العيش . الفلاحة والبناء وشق الطرق واي عمل وحرفة ونشاط منتج هو جزء من الثقافة ، ويشكل اساسها ومادتها التي تتكون منها . التسلسل والنموذج والشكل والاسلوب الذي تعمل به الاشياء تمثل اشكال الثقافة . ان كل ما يحس به الناس وكل ما يفكرون به في اوقات عملهم وفراغهم، بالاضافة الى العلاقات الناجمة عن هذه الاوضاع ، والبيئة الطبيعية المحيطة ، تكوّن كلها روح ثقافة الشعب التي يعبّر عنها في العلوم والآداب والمعتقدات والايديولوجيات، ان كل الامور التي نطلق عليها كلمة ثقافة بشكل محدود ومظاهر الثقافة الاسمى (وهو المقصود عند الحديث عن الثقافة في دوائرنا) هي الزبدة التي تمخضت عن ثقافتنا العامة بشكل واسع . ولكن هل يمكن استخراج الزبدة دون الحليب ؟ وهل يستطيع الانسان ان يستعمل حليب جاره لاستخراج الزبدة ويدّعي ان تلك الزبدة ملكه هو ؟

عمّ نبحث في فلسطين ؟ اليس عن الشيء الذي لا نستطيع ابدا ان نجده في اي مكان آخر ــ الحليب الطازج لثقافة شعب صحيح الجسم ؟ ما نريد خلقه في الوقت الحاضر ليس ثقافة اكاديمية ، بل ثقافة حياتية تشكل الثقافة الاكاديمية احد عناصرها ، اننا نعمل لخلق ثقافة حية يمكن ان تنشأ عنها زبدة ثقافة اسمى . نريد ان نخلق معتقدات وايديولوجيات، وفنا وشعرا ، واخلاقا ودينا ، من حياة صحية وبشكل تكون مرتبطة بها، وبذلك نكون قد خلقنا علاقات انسانية ــ صحية وصلات حيوية تربط الحاضر بالماضي . ما نريد ان نخلق هو الحياة ــ حياتنا نحن ــ بروحنا نحن وبطريقتنا الخاصة . وبصراحة متناهية ، يجب ان نعمل بأيدينا في

---

١ ــ هيرمان سترك (١٨٧٦ ــ ١٩٤٤) : فنان ونقاش يهودي من مواليد برلين .

٢ ــ الحاخام اسحق جاكوب رينز (١٨٣٩ ــ ١٩١٥) : اديب وصهيوني، اسس في العام ١٩٠١ حزب مزراحي ، تلك المنظمة التي جمعت ما بين القومية الصهيونية والنظرة الدينية الارثوذوكسية .

فلسطين كل الاشياء التي تشكل مجموع الحياة . يجب ان نقوم بكل العمل بأنفسنا نحن ، ابتداء من العمل الاقل جهدا والاكثر نظافة وانتهاء بالعمل الاصعب والاكثر قذارة . وهكذا يمكننا ان نشعر ونفكر كما يفكر العامل لانه في مثل هذه الحالة فقط نستطيع ان نمتلك ثقافة خاصة بنا وان تكون لنا حياة خاصة بنا .

لقد اصبح كل شيء واضحا : من الآن فصاعدا يجب ان يكون العمل مثلنا الاعلى . وبسبب غلطة حرمنا من العمل لغير ما ذنب لنا ، ويجب ان نبحث عن علاج للأمر . يجب ان يصبح العمل هدفنا ومحور تطلعاتنا . انه الاساس الذي يجب ان يقوم عليه بناؤنا القومي . ومن خلال العمل فقط، كمثل اعلى لنا ، نستطيع ان نشفي انفسنا من الطاعون الذي ما زلنا نعاني منه منذ عدة اجيال، وبه نستطيع ايضا ان نراب الصدع بيننا وبين الطبيعة. العمل هو من اعظم المثل الانسانية العليا . انه المثل الاعلى للمستقبل ، ومثل عظيم كهذا يستطيع ان يكون شمسا شافية . ومع ان التاريخ ، لا يهدف الى ان يصبح معلما ، ولكن الحكماء يستطيعون الاستفادة منه . اننا نستطيع الاستفادة من وضعنا في الماضي والحاضر لان علينا ان نضع الآن المثال للمستقبل . يجب ان نعمل جميعا بأيدينا .

اننا بحاجة لروح جديدة لانبعاثنا القومي . وهذه الروح الجديدة يجب خلقها هنا ، في فلسطين ، يجب ان نغذيها نحن في فلسطين . يجب ان تكون حيوية ويجب ان تكون كلها ملكنا نحن . اننا بحاجة لرجال متحمسين للعمل ــ متحمسين بأفضل ما تعنيه هذه الكلمة .

ان اي انسان يكرس حياته لهذا المثل الاعلى لن يكون بحاجة الى من يخبره عن مقدار صعوبته ولكنه سيدرك ايضا انه ذو اهمية عظيمة .

بعض الملاحظات (١٩١١)

يجب ان يكون واضحا كل الوضوح انه علينا ان نختار احدى طريقين في فلسطين : الاولى هي الطريقة الدنيوية العملية والاخرى هي طريق البعث القومي الصحيحة . الاولى تعني استمرار حياة المنفى بكل افكارها العملية قصيرة النظر وبجميع الاتجاهات وبكل فلسفة الحياة التي تتلاءم مع حياة المنفى ، اما الثانية فهي طريق الحياة الصحيحة ذات المعنى والتي نبحث عنها في هذه البلاد . فليختر كل فرد الطريقة التي يريد ، وقبل ان يفعل ذلك عليه ان يعرف ان اختيار الواحدة يعني استبعاد الاخرى للابد.

المنفى هو المنفى وهو في فلسطين لا يختلف عنه في غيرها . وعلى كل من يريد البعث القومي والحياة اليهودية التامة ان يتخلى عن حياة المنفى ، ذلك هو الثمن الذي سيدفعه (ثمن لن يدفع بعملة كالتي يتداولها الناس في الاسواق) ولكنه ليس باهظا على كل حال .

لا يمكن الحصول على شيء في هذه الدنيا دون مقابل ، ولكن ذلك لا يعني ابدا ان على من يرغب في التنبؤ بمستقبل شعبه ان يتخلى عن الحياة الدنيا . يكون لزاما على مثل هذا الشخص ان يبحث عن حياة تامة ، ولكن يجب عليه ان يبحث عنها بطريقة مختلفة وعليه ايضا ان يبحث عن حياة مختلفة. ولنوضح ذلكعلينا ان نأخذ مثلا ملموسا مهما. مثل قد يبدو بديهيا ولكنه صحيح . ان العاشق يفضل الحياة مع من يحب في كوخ فقير وبكسرة من الخبز على الحياة المترفة بدونها . تلك هي الحياة بالنسبة له . انه يتمنى حياة هادئة ومترفة ولكن بصحبة محبوبته ، وكل ما يفصله عنها يسلبه الحياة. هناك وجهة نظر حديثةفي علم النفس تدّعي بانها تعالج طبيعة السلوك الانساني بعمق لدرجة انها لا تترك الا قليلا من الحياة الرومانسية . ولكن هذه النظرية لم تبرهن بعد ، ويجب علي ان اؤكد ان الاحساس بالحب قد جف في ايامنا هذه ليس بسبب زيادة المعرفة ولكن بسبب نمونا الروحي والطبيعي الشاذين وبسبب ملاحقتنا لامور الدنيا ، ولان الحياة التي نعيشها في الاسواق العامة تزخر بقيم هذه الدنيا . لا ، ان العاطفة الطبيعية الصحيحة لها حكمتها الخاصة وهي اكثر عمقا مما يسمى بالتحليل البسيكولوجي . والشيء ذاته يمكن اعتباره صحيحا بالنسبة للحب الروحاني . ان اليهودي الذي يعمل بكل اخلاص من اجل البعث القومي سيكافح من اجل ذلك النوع من الحياة في فلسطين، ذلك النوع المختوم بخاتم الانبعاث الحقيقي . وكل ما يحمل هذا الختم : ان كان في حياة الراحة والنعيم او حتى في حياة العامل البسيطة ، انما هو جزء من الحياة الحقيقية ، وكل ما لا يحمل هذا الخاتم فهو كاذب واجوف.

هناك طريق واحدة فقط يمكن ان تقودنا الى الانبعاث ــ انها طريق العمل اليدوي،طريق حشد كل طاقاتنا القومية ، طريق التضحية المطلقة من اجل مثلنا الاعلى ومن اجل القيام بواجبنا . ان آلاف الحقوق الاسمية لن تكسبنا حقنا القومي ، فكل ما نملك من القاب بالنسبة لارض فلسطين لم تعطنا حقا حقيقيا لبلدنا . ليس لنا حقوق قومية الان لان شعبنا لم يدفع ثمنها بعد ، فالشعب يستطيع اكتساب ارضه بجهده هو ، وبمعرفة قواه الروحية والجسدية الكامنة ، وبكشف واظهار نفسه الداخلية . ان هذه

صفقة ذات طرفين يأتي الشعب فيها قبل الارض ، ولكن الشعب الطفيلي ليس شعبا حيّا ، وان شعبنا يمكن ان يمنح الحياة فقط اذا ما حاول كل فرد ان يحدد نفسه بالعمل وبالعيش قرب الطبيعة . واذا ما فشل في عملية اعادة الخلق هذه فان الجيل التالي او الجيل الذي يأتي بعده سيتمم العملية . هذه هي الطريقة التي نستطيع من خلالها ، مع مرور الزمن ، ان يكون لدينا مزارعون ممتازون وعمال ممتازون ويهود ممتازون وبشر ممتازون . ومن ناحية اخرى ، اذا استمرت حياتنا في فلسطين على طريقة حياة المنفى بكل وضاعتها ، فان الاجيال القادمة ستتبع الطريق ذاتها وبشكل اكثر اندفاعا .

ان طريق البعث القومي هذه ، طريق صعبة ، ولكن لا يوجد امامنا غيرها ، ويجب ان يكون واضحا ان الطريق للحياة ، اية حياة كانت ، طريق صعبة يمكن تبسيطها بتصور الهدف ، والفارق هو في كيفية تصور الشخص للهدف ، فاليهودي الورع العادي منذ جيل او جيلين كان يتصور الحياة وكأنها مجال لتحقيق راحته الجسدية شرط ان تمكنه من القيام بواجباته وشعائره الدينية . لقد كان يتطلع الى مثل هذه الحياة ولم تكن لتعترض طريقه اية صعوبة في الوصول اليها ، ولم يكن لاي نوع اخر من الحياة اي معنى بالنسبة له . اما اليهودي العادي من جيل اليوم الذي يهاجر الى اميركه او استراليه او حتى الى فلسطين فيرى ان المعنى الحقيقي للحياة يكمن في التقدم الاقتصادي ، فهو يعمل بجد ومستعد لتحمل المشاق من اجل الوصول الى مثل هذه الحياة ، ان هذه الطريق ليست بسهلة ايضا ، ولكنه ، اي اليهودي ، على استعداد لدفع الثمن ولتقديم كل تضحية ممكنة دون اي اعتبار لما يقدمه ، حتى من ملذات الحياة ومسرات الروح السامية .

ان حياة الانبعاث القومي في فلسطين لا يمكن تحقيقها الا عن طريق الجهد المتواصل ، لان مثل هذه الحياة في نظر الذين يعملون من اجلها هي اسمى ما يمكن الوصول اليه . مثل هذه الحياة لا تستبعد الراحة الجسدية والبذخ شرط ان لا يعيقنا عن تحقيق الهدف الرئيسي. ان هذه الحياة بحاجة الى تغيير راديكالي وثورة شاملة لمفاهيم حياة المنفى التي لدينا وفي اتجاهاتنا ونظراتنا التي زرعتها هذه الحياة فينا .

يكون مثل هذا المطلب جملة فارغة اذا وجّه بشكل عام الى كل الشعب . انه يبقى بدون معنى حتى يوضع امام كل فرد يطمح لتحقيق

الانبعاث القومي ويأمل في حياة جديدة في وطنهم القومي . ان هذا المطلب يشمل كل جانب من جوانب حياتنا كأفراد . فعلى كل فرد منا ان يعيد تنظيم حياته ليصبح يهودي المنفى داخله يهوديا انعتق بشكل حقيقي ، وليتحول الشخص غير الطبيعي الناقص والمنشطر داخله ، الى كائن بشري طبيعي ، صحيح الجسم ، صادق مع نفسه ، ولكي تفسح حياة المنفى ، التي تشكلت نتيجة مؤثرات غريبة وخارجية واعاقت نموه الطبيعي وتحقيقه لذاته ، المجال لحياة جديدة تمكنه من النمو بكل حرية الى ابعد مدى في جميع الجهات . انه عمل صعب جدا يتطلب الصعود في ممر ضيق منحدر مغروس بالاشواك والعقبات ، ولكن النتيجة ستكون السمو، ستكون الحياة ! وان تلك الحياة ستكون غنية وذات معنى قيّم لدرجة قد ابدو فيها مبالغا اذا وصفتها لكم .

يقولون لنا ان الحياة التي خلّفناها وراءنا ، الحياة التي نحاول الهرب منها تلاحقنا هنا في فلسطين ، وان تلك الحياة اقوى من الحياة التي نحاول بناءها وانها هي التي بالتالي ستسود . من الواضح ان اولئك الذين يتبنون وجهة النظر هذه لا يرغبون في معرفة ماهية الحياة التي نحاول بناءها هنا . انهم لا يدركون ــ ولا يستطيعون ان يدركوا ــ ان هذه الحياة بالنسبة لنا هي بمثابة الدين لليهودي الورع المخلص . وهذه الحجة يمكن ان تعكس : يمكن ان يقال اننا نحنّ الذين نبحث عن حياة تناسب آراءنا لا نستطيع ان نفهم الحياة الدنيوية العملية والعادية التي يعيشها الشعب ، وان هناك شيئا مغلوطا في تركيبنا واننا لسنا عاديين ، واننا لا نستطيع ان ندرك مدى قوة الجذب في الحياة العادية التي تشكل اسلوب حياة كل الافراد وكل الامم . ولكننا ، نحن وهم ، نعيش في عالمين مختلفين ونسير في طريقين مختلفين . اذا نحن اتبعنا طريق الضرورة العملية ، او كما يزعم معارضونا ، طريق الضرورة التاريخية ، فاننا لن نحقق هدفنا في فلسطين . ان الضرورة التاريخية كما يعرضها المدافعون عنها ليست بجانبنا ولكنها ضدنا ، من خلالها يمكن تحقيق وضع مريح لنا في فلسطين ولكن ليس اكثر من ذلك ــ بدون انبعاث قومي ولا تحرر من حياة وروح المنفى . ان رفاقنا اليهود الذين يعيشون في البلدان الحرة لم يحققوها شأنهم في ذلك شأن اخواننا من السفارديم ، الذين ، بالمقارنة معنا ، يتمتعون ظاهريا بقسط وافر من الحرية ولكنهم لم يحصلوا على الحرية الداخلية بعد ، وكذلك لن تكون ثقافتنا القومية اقل شبها بحياة المنفى حتى لو كثرت جامعاتنا واكاديمياتنا . وبكل تأكيد لن تكون حياتنا اكثر

حرية من الناحية الروحية مما كان البيشوف في بمباديتا ونهارديا (١) .

وبكلام اخر ، لن يكـون لدينا سوى ثقافة المنفى ، حتى لـو كانت يهودية تماما . ومن المستحيل ان تكون تلك الثقافة اغنى واعمق من حياة المنفى ، فالانجازات الحقيقية هي تلك التي تكون ثمرة العمل المبدع وليس نتيجة للصفقات التجارية التي تتم بمهارة والتي تتطلب كثيرا من ضبط النفس ليمكن اعطاؤها صفة الابداع ، ان مثل هذه الحياة لا يمكن اعتبارها مبدعة بالمعنى القومي العام .

يمكن القول ان هذه الحياة التي اصفها تليق بالنخبة القليلة وليس بالشعب ككل . نعم ، ان هـذا صحيح ، فالنخبة قليلة العدد هي التـي تستطيع ان ترسي الاساس ، وانه من الضروري دائما وضع حجارة قوية في اساس البناية لتدوم طويلا . اما الاغلبية فسيلحقون فيما بعد . وعلى كل حال ، ان الاقلية هم الذين يأتون الى فلسطين ، والافضل ان يكونوا من النخبة الجيدة بدل ان يكونوا من النوع الضعيف . وهذا شيء يجب على النخبة القليلة ان تدركه . لقـد تساءل شاعرنا العظيم بيالك : « هـل سيستيقظ الاموات ؟ هل سيتحرك الاموات ؟ » انه لمن المستحيل ان لا يتحرك شعبنا ، فالخطب جسيم والالم شديد لدرجة ان الموت الظاهري لا يمكن ان يبقي الشعب بدون تحرك .

ما يزال بيننا نفوس عظيمة ، مع انها قليلة العدد . لا شيء يستطيع ان يقرع باب القلب بشدة اكثر من الحقيقة المرة الصعبة ، الحقيقة المزعجة التي تبعث على تقديم النفس والتضحية . عندما تعرف الحقيقة كما هي ، بكل رعبها ، وعندما تشاهد الحفرة العميقة التي تقع امام اقدامنا ـ عندئذ سيوجد اناس يندفعون ، دون حساب للثمن ودون اية اسئلة ، لانقاذ مـا يمكن انقاذه ، ولن تردعهم حكمة انبياء الدنيا الذين سيحاولون اقناعهم بان من الحماقة ان يستمروا في السير الى الامام . فكل البراهين التـي تقدم لهم من حياتنا بانهم لن يستطيعوا انقاذ اي شيء ، وبان آمالنا تذروها الرياح ، وبأن انبعاثنا القومي محكوم عليه بالانتهاء ، وبأن قوتنا هي مجرد خداع ، كل هذا لـن يثنيهم عن عزيمتهم لان تصميمهم نتج عـن احلامهم الجميلة ، او عن تأملاتهم الفكرية ، وانهم لن يدركوا مدى قوتنا ومضمون آمالنا من خلال قراءاتهم للكتب او من خلال التحليل البسيكولوجي . ان

---

١ ـ مدينتان في بلاد بابل كانت فيهما الاكاديميتان التلموديتان الشهيرتان في القرن الثالث .

ايمانهم سينبع من اعماق اعماقهم ، من اعماق عذابهم اليهودي ، واذا ظهر فيهم كأي انسان اخر اي ضعف اونقصان او قصر نظر ، فان ذلك لن يردعهم . وربما قد تبرهن نقائصهم بانها قوة دافعة لهم .

انهم هم ، الاقلية ، الذين سيحققون الخلاص الحقيقي للشعب اليهودي وليس الكثرة العددية « العملية » . انه من اجلهم ، من اجل هؤلاء القلة ، يجب علينا ان نقول الحقيقة ونعلنها في كل يوم وبكل طريقة وبكل لسان .

المهمات التي تنتظرنا (١٩٢٠)

هناك عامل كوني في القومية يشكل عنصرا اساسيا من عناصرها ، ويمكن وصف ذلك العنصر بانه مزيج من ارض الوطن القومي الطبيعية وروح الشعب الذي يقطن هذه الارض . ان هذا هو ينبوع حيوية الشعب وابداعه ، ومصدر قيمه الروحية والثقافية . فكل تجمع من الافراد يمكن ان يشكل مجتمعا بمعناه الميكانيكي الذي يتحرك ويعمل ، ولكن وجود العامل الكوني يساعد على قيام كيان قومي صحيح له حيوية خلاّقة .

اعتقد ان من واجب كل منا ان يخلو الى افكاره وينظر في قرارة نفسه ، ويحررها من المؤثرات الخارجية ــ من تأثير غير اليهود وحتى من تأثير ماضينا اليهودي ــ ومن ثم يسأل نفسه بمنتهى البساطة والجدية والامانة : ما هو الهدف الجوهري لحركتنا القومية ؟ ماذا نتوقع ان نجد في فلسطين ولا نجده في اي مكان اخر ؟ لماذا يجب ان نعزل انفسنا عن الامم التي قضينا حياتنا بين ظهرانيها ؟ لماذا يجب ان نتخلى عن مساقط رؤوسنا التي قولبت شخصياتنا واثرت الى حد بعيد على روحنا ؟ لماذا يجب ان لا نشارك هذه الامم في عملها العظيم من اجل تقدم الجنس البشري ؟ بكلام اخر ، لماذا لا يجب ان نندمج مع هذه الامم ؟ ماذا يمنعنا من ذلك ؟

من المؤكد ان الدين لا يمنعنا ، ففي يومنا هذا اصبح من المقبول ان يعيش انسان بدون دين البتة ، وبالنسبة لاولئك الذين لا يزالون يحتفظون بولاء قوى لليهودية ــ فقط كدين ــ يمكنهم ان يتوقعوا وبكل ثقة ان يصلوا الى تمام حريتهم الدينية في المستقبل غير البعيد . ان هذا لا بد ان يتحقق في المستقبل القريب وقبل الحصول على الخلاص القومي . وعلى كل

حال ، فان الجهد لتحقيق الانعتاق الديني له فائدة سريعة . وسياتي وقت يتمكن فيه اي يهودي ، اذا ما رغب في ذلك ، ان يعيش كروسي او الماني او فرنسي او غير ذلك ويبقى معتنقا دينه اليهودي ويشعر في الوقت نفسه بارتياح تام . ان ذلك بدأ يتحقق في هذه الايام والى حد ليس بقليل.

اما وجهة النظر التي تقول بانه لا يمكن دمج اليهودي في المجتمعات الاخرى فهي مجرد مغالطة ، فقد شهد التاريخ ذوبان معظم الشعوب، فلماذا لا يذوب اليهود ؟ ان ذلك سيحدث ، ان اردناه ووافقنا عليه واذا توقفنا عن محاربته بعناد . فمجرد عدم القدرة على الموت ليس اساسا صحيحا وكافيا لاستمرار بقاء اي شعب .

ان هذا النفي الاجوف يصبح سخيفا عندما يستخدم لمنع اولئك الذين يريدون ترك الحظيرة . ولكن ، هناك حقيقة واضحة وهي ان عملية الاندماج كانت تسير في طريق النجاح ، على الاقل ، مؤخرا . فلماذا ، اذا ، نقوم بهذه الجهود الجبارة لقلب الاتجاه ؟ لماذا لا ندع التيار يحملنا اينما يريد بدل ان نسبح بعكس التيار ؟

يقولون لنا ان العاطفة القومية هي التي تمنع اليهود من الاندماج ، ولكن ما هي هذه العاطفة القومية ؟ اي نوع غريب من القوميات هي قوميتنا غير الحيّة والتي لا تموت ؟ اين تقع مكامن قوتها ؟ نحن لا نملك بلدا وليس لنا لغة قومية حية ، بل عدد من اللغات التي نقلناها عن الآخرين . واما بالنسبة للدين ، فان ديننا يسير نحو الزوال ، وهناك الكثيرون من غير المتدينين . اذا ، ما هي هذه القوة الغريبة المستمرة في اندفاعها والتي لا تموت ولا تدعنا نحن نموت ؟

اعتقد ان بامكان كل واحد منا ان يجيب عن هذا التساؤل اذا تحرر بشكل حقيقي من المؤثرات الاجنبية واذا لم يخجل من مواجهة المسألة وجها لوجه واستطاع ان يكون امينا لنفسه . الجواب هو ان هناك قوة اساسية في داخل كل منا تناضل من اجل بقائها وتحاول ان تحقق نفسها .

هذه القوة هي انتماؤنا العرقي ، انها العامل الكوني الذي اشرنا اليه سابقا ، والذي ، اذا اضفنا اليه العامل التاريخي ، يشكل احد العناصر الرئيسية في شخصية كل واحد منا . وانتماؤنا العرقي هذا يمكن وصفه بانه نموذج قومي فريد من القوى العقلية والجسدية التي تؤثر على شخصية كل فرد من افراد مجموعة هذا الجنس . انها كالسلم الموسيقي

الذي يستخدمه كل مؤلف كما يريده ويمكن تشبيهه ايضا بجوقة الغناء التي يتمتع كل صوت منها بقيمة خاصة به ، ولكن تأثيرها الكلي يعتمد على مجموع كل المغنين الذين تزداد قيمتهم بقدرتهم على المساهمة في الاداء مع بقية الجوقة .

الحياة اليهودية في الشتات ينقصها هذا العامل الكوني ، عامل الشخصية القومية ، انها تستند الى العامل التاريخي فقط الذي ما يزال يبقينا احياء ولا يتركنا نموت ، ولكنه لا يستطيع ايجاد حياة قومية لنا . ان ما وجدناه في فلسطين هو هذا العامل الكوني .

ان حياة المنفى تفرض علينا ان نحيا وجودا عديم الحياة والابداع القومي والفردي . اننا هناك نعتمد على الاخرين ماديا وربما روحيا بشكل اكثر . هناك تنحصر نفسنا العرقية وتنكمش على نفسها بدون اي مصدر للحياة ، مما يجعلها تضطر الى الاعتماد على ماضينا فتصبح اكثر جفافا ، او ان عليها ان تستفيد من المصادر الغريبة وتصبح مشوهة وتذوب في روح بيئتها .

اننا نريد الحياة ، لا اكثر ولا اقل ، حياتنا نحن ، التي نعتمد فيها على مصادرنا الحيوية في حقول وطننا القومي وتحت سمائه ، حياة تعتمد على عملنا الذهني والجسدي ، اننا نريد طاقة حيوية وغنى روحيا من مصدر الحياة هذا . اننا ناتي الى وطننا القومي لننزرع في تربتنا الطبيعية التي نزعنا عنها ، ولنضرب جذورنا عميقا في مصادرها الحياتية ، ولنمد فروعنا بعيدا خلال هواء وتحت شمس وطننا القومي . الشعوب الاخرى تستطيع ان تعيش بأي شكل ، في الاوطان التي لم يقتلعوا منها ، ولكن علينا نحن اولا ان نعرف التربة ونجهزها لزرعنا . علينا ايضا ان ندرس المناخ الذي فيه سنزرع وننتج . نحن الذين نزعنا عن الطبيعة واضعنا طعم الحياة الطبيعية . اذا كنا حقا نرغب في الحياة ، علينا ان ننشىء علاقات جديدة مع الطبيعة ، ونبدأ معها حسابات جديدة . نحن اليهود كنا اول من قال في التاريخ : « لتسمى كل امة باسم الهها » « ولن ترفع امة السيف في وجه امة اخرى » ومع هذا فاننا اصبحنا لا نشكل امة الان .

وفي الوقت الذي نعيد فيه شق طريقنا بين امم الارض، يجب علينا ان نتأكد من اننا نسلك الطريق الصحيح . علينا ان نخلق شعبا جديدا ينظر للاخرين نظرة اخوة ويشعر بعواطف نبيلة تجاه الطبيعة . ان كل قوى تاريخنا ، وكل الالم الذي تراكم في روحنا القومية تدفعنا في هذا

الاتجاه . والفراغ الذي حصل في روحنا خلال فترة غربتها عن الطبيعة يطلب ذلك . ولكن الدافع الاخير والحاسم سيظهر في لحظة حية نحس خلالها ان تجربة كبيرة تكافح من اجل ان تولد ، وندرك ان لحظة عظيمة تتحرك في العالم ككل وفي عالمنا نحن ــ وكلاهما على وشك ان يولد ثانية. تلك اللحظة الحية تدعونا نحن ، ان نكون مكتشفي الطريق .

اننا نقوم بعمل خلاق لا مثيل له في التاريخ : وهذا العمل هو بعث شعب واعادة اسكانه بعد ان اقتلع وتفرق واندثر في مهب الرياح . انه شعب نصف ميت ، والجهد لاعادة خلقه يتطلب من خالقه تركيزا خالصا . اما مركز عملنا القومي ، وقلب شعبنا فهو هنا ، في فلسطين ، فمع اننا اقلية ضئيلة ، ولكن ينبوع حياتنا هنا . هنا ، في هذه البقعة المركزية ، تختبىء القوة الحيوية لقضيتنا وقدرتها على النمو . هنا ، بدأ شيء يزهر شيئا له اهمية انسانية اكبر وتشعبات اكثر مما يتصور صانعو تاريخنا ، وان هذه الفكرة تنمو بعمق من الداخل ، كشجرة بدأت تظهر من بذرتها. هنا في فلسطين تكمن القوة التي تجذب جميع الخلايا المتفرقة لتتحد في كائن عضوي قومي حي. وكان ازدادت الحياة في هذه البذرة كلما ازدادت قوة جذبها.

لقد اصبح لزاما علينا ان نركز كل قوانا ، وكل تفكيرنا وكل عقلنا وقلبنا على هذه النقطة المركزية ، وان لا ندع افكارنا تبتعد عنها ولو للحظة واحدة . يجب ان نعرض عن النشاط السياسي لان من شأنه ان يدمر مثلنا العليا ، والا نكون قد خنا نفسنا الحقيقية التي عدنا هنا لبعثها من جديد . كذلك يجب ان لا نرتبط بالبروليتاريا العالمية ، ولا نرتبط بالاممية التي تتعارض نشاطاتها واساليبها مع نشاطاتنا واساليبنا . فاذا فعلنا ذلك نكون قد شطرنا ارضنا الى شطرين متنازعين ، ونكون قد حرمنا عملنا من روحه . كذلك اعتقد باننا يجب ان لا نتحالف مع العمال اليهود في الشتات كعمال بشكل خاص ولكن كيهود يشاطروننا تطلعاتنا ، لا اكثر ولا اقل . يجب ان تنبع آمالنا من ارضنا ، من الحياة على تربتنا ، من العمل الذي نقوم به ، ويجب ان نحترس من المؤثرات العديدة من ان تؤثر فينا . ما نريد تأسيسه في فلسطين ، هو شعب يهودي يخلق من جديد ، وليس مجرد مستعمرة ليهود الشتات او استمرارا لحياة الشتات اليهودية بشكل جديد . ان هدفنا هو ان تصبح فلسطين اليهودية الوطن الام ليهود العالم ، وان تكون الجاليات اليهودية في الشتات مستعمرات لها ــ وليس العكس . نريد بعث ذاتنا القومية ، واظهار روحنا السامية ، ومن اجل ذلك يجب ان نضحي بكل ما نملك .

ان المستقبل وحده سيجعلنا نعرف ما اذا كان الامل الذي احدثكم عنه سيتحقق ، ومحك الواقع سيبرهن ما اذا كان بالامكان خلق علاقات جديدة واعادة تشكيل شعب من جديد ، وما اذا كان بامكاننا ان نحول ذلك الامل الى حقيقة . ولكنني اعتقد ان من واجبنا ان نبذل كل ما نستطيع .

يوم التوبة (١٩٢١)

كثيرا ما تساءلت : ماذا يعني يوم التوبة بالنسبة لنا نحن الذين لا نتبع شعائر الدين ؟ وقد وجدت نفسي اواجه حقيقة واحتمالا . فمن ناحية كان الشعب عبر الاجيال يكرس نفسه في هذا اليوم للتوبة والصلاة وخدمة الروح ، ومن ناحية ثانية كان هذا اليوم يفسح لأولئك الروحانيين من الناس مجالا للانقطاع الى احساساتهم الداخلية في اعلى مستوياتها .

واعود لاسأل : هل هذا اليوم بالنسبة لنا تركة من الماضي الغابر فقط ؟ ألسنا بحاجة الى هذا اليوم كجزء من ثقافتنا القومية التي نخلفها الآن ؟ واذا لم يعد هذا اليوم يمثل بالنسبة لنا ما كان يمثله دائما ـ اي اذا اصبح يوما كبقية ايام السنة ـ الا يكون في ذلك خسارة قومية وانسانية عظيمة وكذلك نكبة روحية لا نستطيع كشعب وكأفراد القضاء عليها ؟

عندما كنا معزولين داخل جدران حاراتنا منقطعين عن مجرى الحياة العالمية الزاخرة كنا نقبل كل ما يتركه لنا اسلافنا ، وكنا نؤمن به ونضحي حياتنا من اجله . ولكن عندما تساقطت جدران الحارات الانعزالية اليهودية وشاهدنا العالم عن كثب ، وعندما بدأنا نفهم الانسان وكيف يعيش ، وعندما اضفنا لكل ذلك القيم الثقافية من الخارج ، ادركنا عندئذ ان تقاليد اجدادنا لم تعد لتنسجم مع ما بدأ ينمو ويتطور في ارواحنا . ولكن هل فكرنا في هذه المسألة بعمق ؟ هل حللنا ومحصنا كل الاشياء التي اصبحت قديمة وغير ملائمة ومتعفنة عديمة الفائدة ؟ وفي نهاية المطاف هل سألنا انفسنا : ما هو الذي اصبح قديما وغير مقبول في الشكل فقط ؟ ما هو الذي بحاجة الى شكل انسب وافضل ما دام انه ما يزال حيا ؟ ما هو الشيء الذي هو صحيح ولكنه سليم يحتاج الى اصلاح وتجديد ؟

خلال سني نفينا الطويلة استطعنا ان نحافظ على وجودنا بقوة الدين الذي كان سندنا في جميع المصائب التي حلت بنا ، وكان مصدر الامل لنا

لنعيش بشجاعة وصبر . هل من المعقول ، وهل يستطيع العقل ان يعتبر هذه القوة من نسج الخيال ومن تخريف الروح الجاهلة ، وان ليس لها عنصر اساسي ؟ هل حللت هذه الفكرة ونوقشت بروح انتقادية ـ هل لها اساس في المنطق والروح الانسانية ـ لدرجة ان التخلي عن الثقة العمياء بالدين قد دمّر اسس الايمان ايضا ؟

خواطر اخيرة (١٩٢١)

ان جوهر شخصية « مجنون الروح » كما عرفناها باشكالها المختلفة عبر العصور هو عدم قدرته على استيعاب الحاضر ، او تجاهله ، او خداع نفسه بالنسبة له . انه لا يستطيع ان يجد مهربا له لا في الشعر والغناء ولا في الثقافة والادب ، ولا في الفن ولا في تنميق وزخرفة نفسه المحدودة . حتى الدين لم يعد يشكل مهربا له . انه يبحث عن الحياة ـ لا يكفيه التفكير بها ـ الحياة الانسانية ذات الابعاد الكونية ، الحياة التي على صورة الله ، الحياة الازلية . لذلك عندما كان « مجنون الروح » لا يزال ابنا للطبيعة نقيّ الروح كان يقدم مطالبه بصوت مرتفع ، يقدمها باسم الله . كانت كلماته قوية تزخر بالحياة وتلمع كالشرر . كانت كل الاشياء بالنسبة له ترتكز على ارادة الانسان : فاذا ما اراد الانسان ان تكون حياته قيمة وذات معنى ، اصبحت كذلك .

هذه كانت طريقة حياة اليهود عندما كانوا يعيشون في ارضهم . كانوا شعبا حيا ، يعيشون بسلام مع الله وبوئام مع الانسان ومع الحياة ومع العالم ، ولكن كل شيء اختلف عندما نزعنا من ارضنا لاننا اصبحنا شعبا مقتلعا ، حياته فارغة وروحه وضيعة. وبعد انهيار جدران الحارات الانعزالية مؤخرا تغيرت حياتنا بشكل ملحوظ وتحطمت نسبة الحياة المستقلة المحدودة التي كنا نتمتع بها داخل جدران الحارات، بينما ازددنا نحن وجميع افراد الجنس البشري معرفة ولكن على حساب الروح والحياة الحقيقية .

ولم يعد « مجنون الروح » في هذه الايام قويا في روحه وصلبا في معتقداته ، ومليئا بحب الحياة ومشتعلا بنيرانها كأسلافه . ان كل ما يراه ـ من واقع حياته ـ يملأه بالحزن والاسى . انه يشك في امكانية تحسن هذا العالم الفوضوي الذي يسمى الحياة الانسانية، او تحسن ذلك المخلوق العجيب الذي يدعى الانسان، انه يشك في اكثر من ذلك، يشك فيما

اذا كانت لدى الانسان او ستكون لديه الرغبة الحقيقية في التحسن .

على كل انه يشبه اسلافه بناحية واحدة ـ انه لا يستطيع ان يعيش بسلام مع الحاضر ولا يستطيع التوقف عن التفكير بالحياة . انه لا يجد مهربا له عن طريق الشعر، او الغناء ، او الادب او الفن او التفكير بتحسين نفسه الداخلية .

ماذا يعني الجمال والشعر والكتابات الرفيعة والادب والفن بالنسبة لي ؟ انا ارى في جمال او نبل الروح جوهر الحياة ! الحياة الزاخرة ، التامة ، العظيمة ، السامية ، الازلية ! الحياة نفسها يجب ان تكون اغنية ! ان على الانسان ان يصبح مخلوقا حيويا ! يجب عدم التوقف عن التفكير بالحياة ولو للحظة واحدة ، والا ما هو الادب والفن والاشياء الاخرى اذا لم تكن استعاضة عن التفكير بالحياة ، وطريقة للهرب من الحياة الى عالم الجمال والفكر والاغنية والابداع الفني ؟ لقد حرّم على الانسان ان يهرب بعيدا ـ او ينعزل عن الحياة ، فأمامه اختياران لا ثالث لهما : اما الحياة واما الموت .

هذا هو القدر المأساوي « لجنون الروح » في هذه الايام ، اذ لم تعد الارض متينة تحت قدميه ، وكذلك فانه يفتقر الى الايمان المطلق بأن الحياة والانسان يجب ان يكونا ساميين . ليس لديه الثقة التي كانت عند اسلافه ، ولكن روحه تتطلب امورا ضرورية كالتي كانوا يطلبونها . وربما خلال الصراع والكفاح المستمر مع الشكوك والتناقضات واللامبالاة وبسبب وقوفه ضد التكيف السهل مع الغالبية العظمى ـ وضد المؤلفين والشعراء والفنانين وغيرهم الذين يقدمون مبررا لوجود الاغلبية ـ ستصبح هذه المطالب اقوى اذ تعيد نوعا من الفكرة الراسخة . وفي داخله يوجد تأكيد مطلق بعيد عن اي اثر للشك بأن كل شيء يعتمد على ارادة الانسان ، ولكنه عندما ينظر الى الغالبية العظمى من الناس يبدأ في الشك بقدرتهم على القيام باعمال ارادية ـ اي انه يشك فيما اذا كان هناك ميل عند معظمهم لان يطلبوا كل ما يريدونه . ان التركيب الاجمالي «لمجنون الروح» المعاصر يرتكز على الشك : ربما يستطيع الانسان ان يتحسن ، وربما لم يكتمل خلق الانسان بعد ، وربما ما يزال على الانسان ان يكافح في اتجاه اسمى . ليس لدى « مجنون الروح » هذا سوى هذه الـ « ربما » ولذلك فانه يتمسك بها كما لو كانت مرساة ، ومن اجل ذلك يعطيها حياته .

واخيرا اريد ان اتكلم قليلا عن الوفيات وتأبين الموتى واشياء مشابهة.

يرغب الناس في تكريم اولئك الذين يتركونهم لغير رجعة ، لانهم يفترضون ان اولئك الذين يتركون لن يكون لهم اي وجود آخر ، فكل هذا « الدي ذهب » قد عاد الى مصدر الخلق ، وقد اصبح « له » علاقات وارتباطات جديدة لا يمكن ان يفهمها اولئك الذين لا يزالون على قيد الحياة . ان الاحياء يقفون وجها لوجه امام سر الازلية الذي يجب ان يعتبروه سرا . اذا ارادوا تكريم الراحلين من الاموات يجب ان يقوموا بذلك بكل صمت ، ولينزو كل في زاويته ويعزل نفسه داخل روحه ، وليبدأ في التأمل او البكاء على مصير ذلك الذي تخطى مصيره فوق مصير الجنس البشري . اليس ذلك بكاف ؟

لقد كانت هذه عادتي ـ كنت اكرم اولئك الذين يذهبون بكل صمت ـ واتمنى ان تتبع هذه الطريقة بالنسبة لي ، واتمنى على الذين يرغبون في تكريمي ان يفعلوا ذلك بصمت ، وان لا يتحدثوا او يكتبوا عني لمدة سنة بعد مماتي .

وكل ما كتبته يجب ان يناقش اذا كانت لا تزال له قيمة حيوية ـ اعني قيمة حيوية للحياة التي تولد من جديد وليس مجرد قيمة ادبية او صحفية .

بيرل كاتزنيلسون (١٨٨٧ – ١٩٤٤) Berl Katzenelson

زعيم صهيوني عمالي وصحافي

مولود في مدينة بوبرويسك ، روسيه البيضاء . دخل ميدان الحركة الاشتراكية في مطلع هذا القرن عندما كانت الافكار والاحزاب الاشتراكية تشكل ابرز الاهتمامات لدى الشباب الروسي اليهودي . تنقّل بين شتى الاحزاب اليسارية والثورية دون اي تعمق جذري في معتقداتها . ودام عدة سنوات على هذه الحال ، حتى وجد نفسه يعتنق صهيونية عاطفية بدافع حبه للغة العبرية و « ايمانه الراسخ بالمساواة بين الناس » وتعمقه في دراسة التوراة واقتناعه الاشتراكي الذي يسوده توق للعدالة . وحين بلغ العشرين من عمره قرر المجيء الى فلسطين واعدّ نفسه لذلك بان اتقن العديد من المهن والمهارات ومن جملتها الحدادة . لكن المرض والظروف العائلية حالت دون تحقيق ذلك قبل عامين ، فوصل الى يافا ١٩٠٩ . وحملته رومنطيقيته وميله لتقليد البرت شفايتزر لان يبدأ حياته العملية في فلسطين كعامل مياوم في مزرعة . حاول انينسج على منوال أ. غوردون وجوزيف حاييم برنر في ممارسة دين العمل وافلح في اكتساب صداقة كليهما . لكن ذلك كان مجرد وسيلة لهدف آخر يتعلق بنشاطه السياسي في تنظيم الحركة العمالية داخل الصهيونية . وسرعان ما اكتسب شهرة واسعة كمنظم وقائد عمالي . فقد قاد اضرابا واسس مكتبة مطالعة سيّارة لعمال المزارع وساعد على ايجاد مكاتب عمل لتزويد القادمين الجدد بالوظائف . وكتب عدة مقالات في مجلات الحركة الصهيونية العمالية . تجند خلال الحرب العالمية الاولى في الجيش البريطاني وانضم الى الفرقة اليهودية التي تشكلت ١٩١٨ . ولدى تسريحه من الجيش (١٩٢٠) صار في طليعة المسؤولين الرسميين عن يهود فلسطين وفي داخل حركة الصهيونية العمالية . اثّر على بن جوريون الى حد بعيد ونال منه لقب « المعلم » . اشترك واياه في تاسيس حزب سياسي جديد عرف بـ «احدوت هاعفودا » (وحدة العمل) ١٩١٩ وفي انشاء الهستدروت (الاتحاد العام لعمال اسرائيل) في العام التالي . ثم اسس جريدة « دافار » في تل ابيب ، التي كانت ولا تزال الناطقة بلسان الهستدروت (١٩٢٥) وبقي رئيس تحريرها حتى وفاته . واتبعها بـ « آم اوفيد » وهي دار نشر تابعة للهستدروت .

اهتم كثيرا في اعداد برنامج ثقافي كامل للحركة العمالية واخضعه لاشرافه وتاثيره . وساعد عام ١٩٣٠ على تاسيس حزب « المابای » الحالي . كان يرمي الى اضفاء ما اسماه بالطابع الروحي الشديد على « الثورة » التي توسّم فيها العلاج للمشاكل الاجتماعية . فهو لم يشأ لثورته الصهيونية العمالية ان تتنكر للتقليد اليهودي او تتمادى في الهدم والتخريب . فراح ينادي بمبدأ الثورية البنّاءة التي تقاس بمنجزاتها الايجابية : « ان

مقياس النجاح الثوري لدينا ليس كمية الدم المراق (كما يدعي جابوتنسكي ، نبي التحريفيين وداعية الصهيونية الثورية) ، بل هو في الانجازات البنّاءة » التي لا تنحصر في حقل الاقتصاد والعمل ، بل تتعدى ذلك الى الحياة بكاملها لكي تطبع البيئة والثقافة بطابعها ، (١٩٣٤) .

وحين قامت فكرة الهجرة اللامشروعة على نطاق واسع ، استطاع كاتزنيلسون اقناع بن جوريون بالموافقة على تشكيل « لجنة الهاغانا لشؤون الهجرة » التي عرفت ب « هاموساد » ، وهي التي لعبت دورا هاما في ترحيل يهود اوروبه الى فلسطين . وقد مثّل كاتزنيلسون الحركة العمالية الصهيونية لدى كثير من الهيئات الدولية وقام برحلات عديدة لزيارة الجماعات اليهودية في الخارج . واقام في القدس حتى وفاته .

الثورة والتقاليد (١٩٣٤)

كثيرا ما نسمّي انفسنا متمردين ــ ولكنني اريد ان اسأل : على ماذا هو تمردنا ؟ هل نحن متمردون على « تقاليد آبائنا » ؟ اذا كان هذا صحيحا فاننا لا نأتي بجديد ، لان كثيرين من اسلافنا فعلوا هذا الشيء بالذات . **ان تمردنا هو ايضا ثورة على حالات تمرد عديدة سابقة** . لقد تمردنا على عبادة الشهادات عند الانتلجنسيا . كذلك تمردنا على عدم التقيد بالمبادىء الخلقية وعلى السمسرة ليس فقط بشكلهما الذي ظهرا فيه في الحياة اليهودية القديمة ولكن بصبغتهما الجديدة لدى بعض اليهود المثقفين من قوميين وغير قوميين ، الذين ما يزالون يعانون من هذين المرضين المزمنين وبصورة تدعو الى الاشمئزاز . لقد تمردنا ايضا على اليوتوبيا الاندماجية التي نادى بها المثقفون الاشتراكيون من اليهود الاوائل، كما تمردنا على « البوند » Bund. بما فيه من عبودية وفقر ثقافي . وما نزال نجابه واجب تدريب شبابنا على التمرد على « العبودية داخل الثورة» بكل اشكالها ــ ابتداء من اليهود الذين كانوا عبيدا للثورة الروسية لدرجة انهم كانوا يوزعون البيانات التي تدعو لذبح اليهود الروسيين باسم الثورة وانتهاء بالحزب الشيوعي الفلسطيني الذي يتحالف مع جزاري اليهود في الخليل وصفد .

كثيرون هم الذين يفكرون بثورتنا باسلوب بدائي بسيط فينادون بوجوب ان نهدم العالم القديم كليا ونحرق جميع الكنوز التي جمعت عبر التاريخ ومن ثم نبدأ من جديد كطفل وليد ! ان في هذه النظرة جراة وقوة احتجاج عنيفة . لقد كان هناك كثير من الثوريين الذين تصوروا تحقيق مجيء المسيح المنتظر عن طريق مثل هذه الثورة . ولكننا نشك في ان

تكون هذه الفكرة التي تنطلق ببراءة مطلقة لتنبذ تراث الاجيال السابقة وتدعو للبدء في بناء العالم من جديد ، نشك في ان تكون ثورة تقدمية ، انها تضم في داخلها قوة رجعية عاتية . اخبرنا التاريخ عن حضارات قديمة كثيرة هدمت ليبنى على انقاضها انظمة بربرية همجية . لقد ادّى فساد النظام في كل من اليونان وروما الى انهيار ذلك النظام بكل فنونه وابداعه ولكن ما حل مكانه كان مجتمعا بربريا سار على منواله هتلر وكان له فيه مصدر وحي وحنين . لقد احتاج الانسان لمئات من السنين لتخطي هذه البربرية ولكننا بدأنا في هذه الايام نشهد من جديد وبأم اعيننا تقهقرا نحو تلك البربرية البشعة .

لن اتعرض الى واقعية هذه الفكرة او امكانية تحقيقها. ولن استقسر عن اللغة التي سوف يستخدمها الانسان بعد ان تكون « عملية » تهديم العالم القديم قد تمت . (وتجدر الاشارة هنا الى بطل احدى قصص غوركي (١) التي هي ملهاة ومأساة في ذات الوقت الذي استطاع ان يقضي على جميع صفاته الشريرة لدرجة انه بقي بدون صفات كليا) . ولكنني سأعالج هذه المسألة من وجهة النظر التعليمية .

لدى الانسان قوتان عقليتان لا يستطيع العيش بدونهما ، وهما : الذاكرة والنسيان . فلو وجدت الذاكرة لوحدها فسوف نسحق تحت عبئها ونصبح عبيدا لذاكرتنا ولاجدادنا ، ولكنا نعيش نسخة طبق الاصل عن الاجيال السابقة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، لو سيطر النسيان كليا على حياتنا ، ماذا سيحدث بالنسبة لثقافتنا وعلومنا ووعينا الذاتي وحياتنا الروحية ؟ ان الثورية الزائفة تعتبر اية ذكرى من الماضي « عدوا » لها . ولكن لو لم تحتفظ الانسانية بذكرى منجزاتها العظيمة ، وآمالها النبيلة ، وعصور ازدهارها ، واعمالها البطولية ، وكفاحها من اجل الحرية ، لكان وجود اية حركة ثورية شيئا مستحيلا ولاصبح الانسان غارقا في مستنقع الفقر والجهل والعبودية الازلية .

ان الثورية البدائية ، التي تؤمن ان التدمير العنيف هو افضل علاج لجميع الامراض الاجتماعية ، تذكّرنا بكل مظاهرها بالطفل الذي يحاول

---

١ ــ مكسيم غوركي (١٨٦٨ ــ ١٩٣٦) : الكاتب الروسي الشهير .

ان يظهر معرفته بالاشياء المختلفة عن طريق كسر الدمى الخاصة به . لذلك يتوجب على حركتنا في معارضتها للثورية البدائية ان تتبنى الثورية البنّاءة . هذه النظرة لا تقبل بأمراض النظام القائم ، بل ترى ضرورة البدء بثورة شاملة ومستمرة ، ولكنها في الوقت ذاته ترى ان القدرة الخلاقة للهدم محدودة جدا ، لذلك فهي توجه جهودها نحو العمل البنّاء الذي يعطي للثورة قيمتها .

ولاننا ندرك تماما الكارثة التي يعيشها العالم والحاجة الى انقلاب جذري ، ولاننا نعرف ان امراض الماضي على ابواب كل نظام جديد ، لذلك فان جهودنا الثورية (لبناء عالم جديد) ستكون عديمة الفائدة اذا لم ترافقها طاقات متجددة ومتطورة وبنّاءة . ان مقياس نجاحنا الثوري ليس كمية الدم المسفوك كما يؤكد نبي التحريفيين Revisionist Prophet (٢) « للصهيونية الثورية » ولكن المقياس هو انجازاتنا البنّاءة .

ان ثورتنا البنّاءة لا تستطيع حصر نفسها في المجال الاقتصادي فقط ، يجب ان تشمل جميع مجالات الحياة وتحفر ختمها على ثقافتنا وبيئتنا .

كان انبياء الثورة رجالا ذوي ذاكرة تاريخية وكانوا متعمقين في معرفة تراثهم ومقدرين له . لقد احب ماركس شكسبير واعجب كثيرا بداروين وكان يحترم مؤرخنا جرايتز (٣) . لا يمكنني ان اتصور ثورة حقيقية دون حياة روحية مكثفة . ان الثوريين « المحترفين » الذين يقيسون كل شيء بمقياس « مهنتهم » يسيئون الى روح الحركة . ان هذا انحطاط بيروقراطي يهدد الثورة والدين كما انه يدنسهما . وهؤلاء « المحترفون » الذين يحاولون مسايرة الحركة الثورية ويستغلونها، تشبه علاقاتهم برجال المبادىء من الانبياء الذين بشّروا بالثورة ووضعوها موضع التنفيذ ، تلك العلاقات التي كانت قائمة بين رجال الدين الذين يهتمون كثيرا بتحقيق

---

٢ ــ الاشارة هنا الى افكار فلاديمير جابوتنسكي .

٣ ــ هنريخ جرايتز (١٨١٧ ــ ١٨٩١) : اديب يهودي الماني ، كتب تاريخ اليهود المعاصر ، وقد ظهرت كتاباته بعدة لغات بما فيها الانجليزية (بطبعة غير كاملة بعنوان « تاريخ اليهود » ، طبع في فيلادلفيه ، ١٨٩١ ــ ١٨٩٨) .

مصالح الاغنياء وبين الحاخام اكيبا (٤) والحاخام رامبام (٥) .

ان الجيل الجديد والمبدع لا يلقي بتراث الاجيال في سلة المهملات ، ولكنه يمحّص ويدقق ، ويقبل ويرفض ، وحتى يمكنه في بعض الاوقات ان يضيف على التقاليد المتبنّاة ، وفي اوقات اخرى ، يهبط هذا الجيل داخل الكهوف القديمة لينقب ويزيل الغبار عن الاشياء الملقـاة في وادي النسيان لكي يحيى التقاليد التي لها القوة لبعث النشاط في روح الجيل المجدد . هل الثورة هي ان تحتقر وتتجنب الامور التي يتمسك بها الشعب منذ القدم والتي يمكن الاستفادة منها لتعليم الانسان وتدريبه على القيام بواجباته في المستقبل ؟ لو استطاع الشعب الاوروبي ان يحتفظ بذكـرى ثورة سبارتاكوس وان تحتفل الكنيسة بعيد سبارتاكوس ، ماذا يكـون الموقف الذي ستتخذه حركة عمالية جديرة بهذا الاسم ؟ هل تحتقر وتقلل من قيمة هذا اليوم او تنتزعه من يد الكنيسة لتحيي بنفسها ذكرى تلك الثورة المأساوية .

يحتفل هذه الايام باعياد عادية لها قيمة سطحية قد لا يستمر طويلا الاحتفال بأكثر من واحدة بالالف منها، اما الاعياد الباقية فستمحى من الذاكرة بعد اول عاصفة ، ولكن تلك الاعياد التي رسخت جذورها في تربة الامـة واحتفلت بها الاجيال المتعاقبة فسيكون لها مصير مختلف .

ان السنة اليهودية ممتلئة بأعياد ذات معنى عميق لا يمكن ان يوازيها اي عيد عند الشعوب الاخرى . هل من مصلحة الحركة العمالية اليهودية أو من هدفها ان تضيع هذه القيمة المخزونة في داخلها ؟ ان الاندماجيين اعرضوا عن الاحتفال باعيادنا اليهودية باعتبارها عقبات في طريق انخراطهم

٤ ـ الحاخام اكيبا (حوالي ٥٠ ـ ١٣٦ م.) : حاخام مشهور واديـب في الوقت نفسه وقد مات ، حسب ما يروى ، على يد الرومان .

٥ ـ الحاخام رامبام = مايمونيدس (كلمة رامبام هي الاختصار العبراني لاسمه : الحاخام موسى بن ميمون) . ولـد في العام ١١٣٥ في قرطبه في اسبانيه المغربية ومات في الفسطاط في مصر في العام ١٢٠٤ . ان الموجـز الذي وضعه عـن القانون التلمودي بعنوان « ياد هاشازاكاح » اي « اليد القـوية » (The Strong Hand) يعتبر المرجع الكلاسيكي للدراسات اليهودية في العصور الوسطى في حقل القانون . وكتابه « دليل التائهين » (The Guide of the Perplexed) يعتبر اهم ما كتب في الفلسفة اليهودية .

مع الاغلبية ولأنهم كانوا يخجلون من اي شيء يظهرهم كجماعة مميزة ، ولكن لماذا يجب علينا ان نتبع تقليدهم ؟ الم تنبذ البورجوازية الاندماجية وحتى الاشتراكية اليهودية التي سارت في طريقها جميع العناصر القيّمة في تقاليدنا والتي يمكن ان تساهم في نهضتنا الاجتماعية ؟ اذا كنا صهيونيين ـ اشتراكيين حقيقيين ، لا يليق بنا ان نكون كالبهائم ونتبع كل تقليد سخيف لمجرد انه يسمي نفسه « عصريا » . علينا ان نحدد قيم الحاضر والماضي باعيننا ونتفحصها من زاوية حاجاتنا الحيوية ومن زاوية التقدم على طريق مستقبلنا .

لنأخذ بعض الامثلة : عيد الفصح اليهودي . في هذا اليوم تحتفل الامة منذ آلاف السنين بذكرى خروجها من ارض العبودية . لقد ظل الشعب اليهودي ، طيلة ايام العبودية والاضطهاد ومحاكم التفتيش والمذابح وتغيير الدين قسرا ـ ظل يحمل في قلبه ، الحنين للحرية واعطى لهذه الرغبة طابعا فولكلوريا يشمل كل انسان في اسرائيل ، يشمل كل انسان مسحوق ومظلوم فيها . ان ذكرى الخروج من مصر توارثتها الاجيال ، ابا عن جد ، كتجربة شخصية ولذلك استطاعت ان تحافظ على بريقها الاصلي . « في كل الاجيال ، يجب ان يعتبر كل فرد وكأنه هو شخصيا قد انقذ من مصر » . ليس هناك قمة في الوعي التاريخي اسمى من هذه ، وتاريخ الحضارات العالمية عبر العصور ليس بامكانه العثور، على مثل هذا الاندماج للفرد داخل المجموع اقوى مما تتضمنه هذه التوصية التربوية Pedagogic . لا اعرف اي عمل ادبي يثير حقدا اكثر على العبودية ويشجع حب الحرية من قصة العبودية والخروج من مصر ، كما انني لا اعرف اية ذكرى ماضية يمكن ان تشكل رمزا لحاضرنا ومستقبلنا « كذكرى الخروج من مصر » .

ولنأخذ مثلا آخر هو « يوم التاسع من آب » (٦) . هناك امم كثيرة استعبدت وعاشت في المنفى عاش لاجئو البولنديين في المنفى جيلين او ثلاثة فقط تعرضوا خلالها للاندماج . كذلك كان مصير الكثيرين من الشعب الروسي الذين نزحوا الى الخارج بعد ثورة تشرين الاول (اكتوبر) وهم الآن يبكون مرارة الاندماج والغربة الثقافية التي يعيشها الشباب ، ان هؤلاء الروس يتخذون من الامة اليهودية التي بقيت صامدة

---

٦ ـ اليوم التاسع من شهر آب العبري ، ان هذا اليوم هو يوم صيام واحتفال بذكرى تهديم المعبد .

رغم الفي سنة من التشتت مثلا اعلى لهم . نعم ، لقد عرفت اسرائيل كيف تحافظ على يوم حدادها ، يوم خسارتها لحريتها من العدمية والنسيان. ففي هذا اليوم يشعر كل يهودي في اسرائيل ان عالمه الشخصي قد انهار وفي كل احتفال تذرف الدموع المحرقة لتعبّر عن الم الاجيال . وقد اضافت الذاكرة القومية ليوم الغضب هذا ، كل تجاربها المريرة ابتداء من هدم المعبد الاول والثاني ومرورا بالطرد من اسبانيه وانتهاء بنشوب الحرب العالمية . وبذلك استطاعت ذاكرتنا القومية ، بطرقها السهلة ، ان تجعل كل يهودي في جميع ارجاء العالم يعلن الحداد في اليوم نفسه والساعة ذاتها . وكل فرد يشعر انه ملتصق بجسد هذه الامة يلف نفسه بالحزن ويغرقه في بحر من الاسى حيث يشعر في قرارة قلبه بالانهيار والعبودية والنفي ، ولقد اضاف كل جيل خلاّق شيئا من عنده لشعور الاسى هذا بدءا من مناحات ارميا الى مناحات اولئك الذين كانوا في اسبانيه والمانيه الى ملحمة « سفر النار » لبيالك .

يقال عن آدم ميكيفيتش ، الشاعر البولندي الكبير ، الذي قضى حياته في البكاء على وضع بلاده وفي رسم الخطط الثورية لتحريرها ، بأنه كان يذهب في التاسع من آب (اغسطس) الى كنيس يهودي ليشاطر اليهود احزانهم لفقدان وطنهم الام. ان هذا الشخص غير اليهودي استطاع ان يستوعب عمق المعنى الذي يرمز له التاسع من آب .

انني بهذا لا اضع قواعد محددة للشكل الذي يجب ان تتخذه عطلاتنا فهذه الاشكال تنمو من الشعور الحي داخل القلب والروح المستقلة الشامخة ، ولكنني اريد ان افنّد الرأي الذي يزعم « بأن علينا ان لا ننسى التاسع من آب ولكن الامة التي تريد اعادة بناء وطنها القومي يجب ان تغير هذا اليوم من يوم حداد ليوم افراح » . انني اعتقد ان منجزاتنا في هذه البلاد ستتضاعف بسرعة ، وحتى عندما نحقق الحياة الحرة الكريمة ، يجب ان لا نقول « لقد نلنا الخلاص » حتى ينتهي نفينا كليا . فما دامت اسرائيل مشتتة وتعيش فريسة للاضطهاد والحقد والاحتقار وتغيير الدين قسرا كما في اليمن في آسيه ، والجزائر في افريقيه ـ والمانيه في اوروبه ، وما دام بعضنا يمارس الانعتاق ولكن على حساب اندماجهم كما في فرنسه الراسمالية وروسيه الشيوعية ، فاني لن انسى ولن استطيع ان انسى يوم مصيرنا المخيف ، يوم دمارنا .

كيف سيتصرف شعبنا عندما يلتقي ابناؤه المشتتون وبعد ان يتم

تحرره من العبودية ـ بما في ذلك تحرره من الاضطهاد الطبقي ؟ قد يحتفل الشعب في ذلك اليوم بالرقص والغناء ، او قد يفضل ان يجعل كل طفل، ولد تحت ظلال الحرية والمساواة ولم يقاس الجوع والاضطهاد ، ان يعرف ما عانته الاجيال السابقة . ولكننا سنتحدث عن هذا الموضوع عندما يأتي ذلك اليـــوم .

الحاخام صموئيل موهيليفر (١٨٢٤ – ١٨٩٨)

Rabbi Samuel Mohilever

ولد في قرية قرب مدينة فيلنا التي كانت بمثابة المركز الفكري ليهود ليتوانيه . تثقف ثقافة دينية وما لبث ان اصبح حاخاما في الثامنة عشرة من عمره . رفض ممارسة اعماله الدينية وعمل كتاجر قنّب مدة خمس سنوات . لكن سوء حال اشغاله ووفاة اقربائه الموسرين دفعاه مجددا للقبول بمركز الحاخامية في مسقط رأسه ، حيث خدم ست سنين ووسع نشاطه الى دوائر اكبر . بدأ في السبعينات ، عندما صار حاخام رادوم في بولونيه يتطلع صوب فلسطين ويبدي اهتماما بالعمل لاجل استعمارها . وما ان ذاع صيته كعالم تلمودي وزعيم لليهود حتى انتخب لمنصب اكبر في بياليستوك وقد بقي فيه مدة خمس عشرة سنة حتى وفاته عام ١٨٩٨ . كان من دعاة ومؤيدي الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل حصول الحوادث والاضطرابات في الثمانينات . وعمل على تاسيس اول جمعية «لاحباء صهيون» في فرصوفيه. ثم راح يحاول اقناع زملائه لاصدار دعوة للهجرة الى فلسطين، لكنهم تخلوا عنه ، فالتفت الى كل من البارون ادموند دي روتشيلد والبارون دي هيرش لكي يثير اهتمامهما في مساعدة الاستيطان في فلسطين واستعمارها. وسافر الى باريس لهذا الغرض. بقي عضوا عاملا وبارزا في «احباء صهيون» على الرغم من الاتجاهات العلمانية التي كانت سائدة فيها بشخص ليون بنسكر وامثاله . وبذلك احدث نقطة التحول في تاريخ الصهيونية الدينية التي كانت ستصبح فيما بعد حزبا سياسيا منظما . وصار يمثل الاتجاه الديني الذي يدعو لولاء قومي يهودي وعمل على كسب ولاء اليهود المتدينين للفكرة الصهيونية . فقد عهد اليه في مطلع عام ١٨٩٣ بعد نشوب الخلافات بين دعاة العلمانية في « احباء صهيون » ومناوئيهم ، ان يعمل في اوساط المتدينين وسمي مكتبه آنذاك ب «المركز الروحاني » ومنه جاءت كلمة مزراحي . اشترك عام ١٨٨٤ في تنظيم مؤتمر كاتوفيتز وكان من مؤيدي هرتزل المتحمسين فيما بعد ، حتى انه بعث برسالة الى المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) خلص فيها الى اقتراب حصول الخلاص على يد « المسيح المنتظر » الذي سوف يجمع شمل اسرائيل في فلسطين .

رسالة الى المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧)

ايها الاخوة الكرام ، يا قادة الشعب المختار وابناء صهيون الاحباء ، ليمنحكم الله الحياة الابدية .

ان صحتي الضعيفة لا تمكنني من قبول دعوتكم وحضور مؤتمركم

شخصيا ، ولذلك فانني ارسل حفيدي ، الدكتور جوزيف موهيليفر ، لينوب عني وليثبت لكم ان قلبي معكم . انني ارفع صلواتي لله القدير من اعماق قلبي قائلا : انني اتوسل اليك ، ايها الرب ، ان تكون انت الملهم لمثلي شعبك من آل اسرائيل وان ترشدهم في كل ما سوف يقولون وان تمنحهم الفهم لينطقوا الكلمة الصحيحة دون ان يتعثر لسانهم ، لا سمح الله ، بأقوال ضد ناموسنا او بمعارضة الحكومات العلمانية التي نعيش تحت حكمها . امنحهم مساعدتك وتأييدك ليستطيعوا تحقيق آمالهم النبيلة . اوجد لهم العطف في عيون الملوك والامراء والحكام الذين سيقفون امامهم متضرعين من اجل شعبك وارضك . اني ادعوك لتفعم قلوب كل الاسرائيليين بروح جديدة من الحب الوفير من اجل اخوانهم المشتتين ومن اجل ارضهم ! آمين !

واذا سمحتم لي الآن فانني سأورد بعض الملاحظات المتعلقة بالامور المطروحة امام هذا المجلس الكريم .

اولا : بالنسبة لهدف اجتماعكم، سأورد حرفيا الكلمات التي جاءت في بيان رئيس اللجنة المنظمة وسكرتيرها : « ان المؤتمر سوف يعمل من اجل غايات مباشرة يمكن الوصول اليها ، وكل ما قيل غير ذلك فهو مجرد اشاعات لا اساس لها من الصحة . وسوف تكون اعمال المؤتمر علنية ، ولن يكون هناك ، ان في نقاشات المؤتمر او قراراته ما يتعارض مع قوانين اي بلد او مع واجباتنا كمواطنين ، ولقد تعهدنا بشكل خاص ان يكون سير اعمال المؤتمر يناسب « احباء صهيون » (١) وحكوماتهم الموقرة » . وكلي امل ان يتقيد المؤتمر بهذا العهد للنهاية ، وان لا يستجيب للآراء المناقضة لهذا العهد . واني اود ان اضيف بأن يكون الهدف الرئيسي لهذا المؤتمر التدخل لدى الحكومة التركية بقوة لكي تسمح لشعبنا بأن يشتري الارض ويبني البيوت دون دفع ايجارات او مواجهة اية عقبات . يجب ان نعمل كل وسيلة ممكنة للحصول على هذا الاذن لان كل عملنا الاستيطاني يعتمد عليه .

ثانيا : سينتخب المؤتمر لجنة مركزية لتتولى تنفيذ عملنا المقدس ، ولكن يجب ان يكون مقرها خارج روسيه. وارى انه لزاما علينا ان ننتخب اعضاء هذه اللجنة من بين اولئك المخلصين لقضيتنا قلبا وروحا .

---

١ ــ انظر احد هاعام ، الملاحظات ٤ و ١٤ .

ثالثا : من الضروري ان يوحد المؤتمر جميع « ابناء صهيون » المخلصين لقضيتنا من اجل العمل بروح تسودها الاخوة والانسجام حتى ولو كانت بينهم فروقات في الدين . ويجب ان يكون موقفنا من اولئك الذين لا يتبعون تعاليم الدين من الموجودين معنا ، تماما كما يجب ان يكون موقفنا عندما تلتهم النيران بيوتنا وتصبح حياتنا وممتلكاتنا في خطر . الا نستقبل في مثل هذه الظروف وبكل ترحاب اي شخص يأتي لمساعدتنا حتى ولو لم يكن متدينا ؟ أليس هذا هو واقع حالتنا ، ايها الاخوة . ان نارا كبيرة تشتعل في وسطنا وتهدد وجودنا . لقد تضاعف اعداؤنا واصبح عددهم يفوقنا بعدة ملايين ، الا تعتقدون معي انهم كانوا سيلتهموننا احياء لولا الخوف من الشرطة ؟ واذا اراد اخوان لنا ان يمدوا يد المساعدة لنا وفعلوا كل ما في وسعهم لتخليصنا من الممرات المرعبة التي نسير فيها ، ايجرؤ اي واحد منا على رفض هذه المساعدة ؟ واذا ادركت كل الاطراف هذه الفكرة بشكل صحيح فان ذلك سوف يساعد على تحقيق ودوام ميثاق الاخوة بيننا .

رابعا : يجب على جميع « ابناء صهيون » ان يقتنعوا كليا ويؤمنوا ايمانا تاما بأن عودتنا للاقامة في بلادنا ـ اي شراء الاراضي وتعمير البيوت وزرع البساتين وفلاحة الارض ـ هي احدى وصايا التوراة الاساسية ، حتى ان بعض حكمائنا الاوائل يعتبرون هذه العودة بمثابة الناموس بأكمله لانها هي اساس وجود شعبنا ، وكل محب حقيقي لصهيون هو ذلك الانسان الذي يؤمن بهذه الوصية بكل قلبه وروحه ، وان كل من يساعدنا ولا يؤمن بها يكون كمن يتبرع من اجل قضية لا يدرك حقيقتها .

خامسا : ان اساس حركة احباء صهيون هو التوراة كما وصلتنا من جيل الى جيل دون اي اضافة او نقصان . وانني لا اقصد بهذه العبارة تأنيب اي فرد على سلوكه ، فقد قال حكماؤنا : « انه لا يوجد في جيلنا هذا من هو اهل لان يؤنب » . ولكنني اردت ان اقول بشكل عام بأن التوراة التي هي مصدر حياتنا يجب ان تكون اساسا لاعادتنا الى ارض آبائنا .

سادسا : ان واجبنا هو ان نبني ونزرع لا ان نمزق ونهدم . لذلك علينا ان لا نتعرض لاموال الصدقة « حالوكا » (٢) الموجودة في القدس بأية

---

٢ ـ كانت هذه هي الصدقات التقليدية التي كانت تجمع في جميع ارجاء العالم اليهودي لمساعدة الاتقياء في الاراضي المقدسة .

طريقة من الطرق لان آلافا يعتمدون على هذه الاموال في حياتهم ، لذلك يجب ان لا نهدد مصدر رزقهم ما دامت هذه الاموال هي مصدر دخلهم الوحيد .

سابعا : علينا ان نرسل بعض خطبائنا المفوهين الى جميع بلاد الشتات لينشروا قضيتنا بين ابناء شعبنا وليكسبوا تأييدهم ، فمن تجاربنا في روسيه نعرف اثر مثل هؤلاء الخطباء ، وكذلك علينا اصدار نشرات بالعبرية واليديشية ولغات اخرى يتكلمها شعبنا . ان من المهم جدا ان نصدر نشرات بالروسية والالمانية والفرنسية والانجليزية والايطالية وغيرها من اللغات لتوضيح اهدافنا بكل بساطة ومنطق ولباقة ، لكي توزع مثل هذه النشرات بين مختلف قادة الامم عامة وبين ابناء شعبنا المرموقين في بلاد الشتات .

ثامنا : بالنسبة للصندوق القومي يجب ان نبذل اقصى جهدنا لاقناع مديري جمعية الاستيطان اليهودية (٣) بتخصيص مبلغ كبير من الاموال التي في حوزتهم من اجل اعادة تعمير الاراضي المقدسة ، وكذلك علينا ان نحذو هذا الحذو مع ابناء شعبنا من الاثرياء . واني اعتقد انه من الصواب تخصيص نسبة مئوية من الاموال التي تجمع من اجل الاستيطان لتضاف الى الصندوق القومي .

تاسعا : اعتقد انه من اللائق لهذا المؤتمر ان يوجه رسالة شكر الى المحسن الكبير ، البارون ادموند دي روتشيلد (٤) ، لجهوده الجبارة نحو اعادة تعمير ارضنا . اليس هو اول من هبّ للعمل من اجل قضيتنا ؟ فقد انفق عشرة ملايين فرنك على هذا العمل النبيل وانه على استعداد ليفعل اكثر من ذلك لاعادة الحياة للاراضي البور في بلادنا . ان ابن اسرائيل البار

---

٣ ــ انظر هرتزل ، ملاحظة ٤ .

٤ ــ البارون ادموند دي روتشيلد (١٨٤٥ــ١٩٣٤) : كبير آل روتشيلد في فرنسه . لقد كان عنده دافع ديني لتقديم مساندة كبيرة لصهيون والقدس من اجل اقامة المستعمرات الاولى في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي ، ورغم العقبات التي واجهها روتشيلد بما فيها تمرد المستعمرين انفسهم ضد تبنّيه ذلك النظام ، فقد ظل طوال سني حياته اكبر محسن في تأييد جهود الصهيونية في الاستيطان .

هذا جدير بتكريم واحترام المؤتمر الاول لمحبي صهيون القادمين من جميع بلدان العالم .

وفي الختام ، اريد ان اجهر بما يلي : لقد انقضى عشرون قرنا من الزمان ونحن في انتظار المسيح ليخلصنا من منفانا المرير ويجمع اخوتنا المشتتين في جميع انحاء المعموره في قلب ارضنا حيث سيعيش كل واحد بأمان في ظل كرمته وتحت فيء تينته . ان هذا الايمان الراسخ في قلوبنا كان عزاءنا الوحيد في الايام الغابرة التي كنا فيها نقاسي من البؤس والاضطهاد . وبالرغم من انه قد ظهر في القرن الاخير افراد من بيننا انكروا هذه الآراء ونزعوها من قلوبهم وحذفوها من صلواتهم ، فان جماهير شعبنا لا تزال تتمسك بأهداب هذا الامل وتصلي صباحا وظهرا ومساء من اجل تحقيقه لانها تجد فيه بلسم جراحها . وقد قام مؤخرا بعض الحاخامين الارثوذوكس في اوروبه الغربية واعلن احدهم بأن وعود السعادة والاطمئنان التي اعلنها انبياؤنا ما هي الا رموز وامثال . انهم يزعمون بأن مجيء المسيح لن يكون لاعادة اسرائيل الى ارض الآباء ولوضع حد لشتاتها واحزانها الطويلة ولكن لتأسيس مملكة السماء على الارض ، بينما تبقى اسرائيل في المنفى مشعل هدى للاغيار . ويعتقد بعض هؤلاء الحاخامين ان القومية تتناقض مع ايماننا بقدوم المسيح . انني اود ان اعلن بأن ذلك ليس صحيحا على الاطلاق لان املنا وايماننا كان دائما ولا يزال هو ان مسيحنا المنتظر سيأتي ويجمع اسرائيل المشتتة ليسكن ابناؤها في بلدهم بدل ان يظلوا هائمين على وجه الارض يتنقلون من مكان لآخر . وبدل ان نكون موضع احتقار وسخرية الامم . ستكرمنا وتحترمنا جميع شعوب الارض . هذا هو املنا وايماننا الذي تعلمناه من انبيائنا الطيبي الذكر ، وبهذا يتعلق شعبنا !

اننا لسنا بعيدين عن مصلحة الجنس البشري ، ولسنا اقل من غيرنا ايمانا بالوعود التي اعطاها انبياؤنا للناس ، فنحن في عيد رأس السنة وعيد التوبة نتضرع الى الله قائلين : « امنحنا ايها الرب الاله ، القدرة على اجلالك من اجل ما صنعته يداك والخوف على ما خلقته انت ، وذلك لتراك اعمالك وتنحني امامك مخلوقاتك ويؤلفون عصبة واحدة لينفذوا ارادتك بقلب سليم » . ولكن بعد هذه الصلاة لجميع البشر ، نرفع الدعاء التالي : « امنح ، ايها الرب ، التكريم لشعبك ، والامل لأولئك الذين يسيرون في طريقك ، والشجاعة للذين ينتظرونك ، والفرح لارضك والحبور لمدينتك ، وعظمة مزمار داود ، خادمك » . ان تكريم شعبنا وتسبيحه واملهالعظيم ،

كل هذه مرتبطة بأرضنا ، وسعادتنا تتوقف على اعادة بناء القدس بكل ابتهاج ، عندئذ فقط « سيغلق فم الباطل ، ويختفي الشر كالدخان ، وحكم الزهو والخيلاء سيرحل عن هذه الارض » .

ليحقق الاله الازلي ، المبارك ، المعظم ، حافظ ومخلّص اسرائيل ، كلام نبيه (زكريا ٨ : ٧ ــ ٨) : « هكذا قال رب الجنود . هاأنذا اخلّص شعبي من ارض المشرق ومن ارض مغرب الشمس . وآتي بهم فيسكنون في وسط اورشليم ويكونون لي شعبا وانا اكون لهم الها بالحق والبرّ » .

يحيل ميخائيل باينس (١٨٤٢ ـ ١٩١٢) Yehiel Michael Pines

كاتب ديني ورائد صهيوني

ولد في غرودنو ، في ذلك الجزء من بولونيه الذي كان يحتله الروس. ونشا في عائلة متديّنة ثم درس التوراة والتلمود واهتم باللغة الالمانية وآدابها . ساهم في الصحافة العبرية ثم نشر سلسلة مقالات في كتاب بعنوان « اولاد روحي » ، ١٨٧١ . وقد هاجم فيها معظم الافكار السائدة آنذاك عن الاصلاح الديني اليهودي ، باسلوب جديد مطبوع بطابع الثقافة الغربية العلمي . فاليهودية في نظره لا يمكنها ابدا ان تتعارض مع نتائج الاكتشافات العلمية الحديثة . والعقل البشري بدوره لن يتوصل الى تلك المعرفة العلمية الشاملة التي تستطيع حل الغاز الكون كلها . هاجم حركة الاندماج وتطلع صوب فلسطين معتبرا الدين اليهودي مصدر القومية اليهودية (١٨٩٥) ، اذ ان هذه القومية لا يمكنها ان تكون علمانية بتاتا . واليهود ليسوا بالتالي جماعة اثنية مثل سائر الجماعات التي تعيش في ارض واحدة وتتكلم بلغة واحدة : « القومية التي امثّلها هي تلك القومية ... التي روحها التوراة وتستمد حياتها من تعاليم التوراة ووصاياها » .

لكن بينس راح يعدّ الخطة لتاسيس مدرسة زراعية في فلسطين . ففي ١٨٧٤ كان قد تاسس صندوق خاص ، في ذكرى ميلاد السير موزيس مونتيفيوري التسعين ، يهدف الى العمل على تشجيع استيطان فلسطين واستعمارها . فجرى تعيين بينس مديرا لاعمال الصندوق . ثم انتقل ١٨٧٨ الى فلسطين بصفة ممثل لجمعية « مذكرة موسى » ، حيث لعب دورا هاما في المراحل الاولى للاستيطان وعمل على تشجيع منظمة البيلو في نشاطها الاستعماري . وكان من موجدي حركة التكلم باللغة العبرية بين يهود القدس . عارض نظام توزيع الاعانات والصدقات على فقراء فلسطين فطالبه المتدينون بالمشاركة في ادارة الصندوق الجديد ورموه بالهرطقة حين رفض لهم الطلب .

تعاون مع اليعازر بن يهوذا في عمله على احياء اللغة العبرية المحكية . وانتمى ١٨٩٠ لفترة قصيرة الى المحفل الفلسطيني التابع لجمعية بني موسى والذي كان يتزعمه احد هاعام. لكنه ظل على انتقاداته للنظريات القومية العلمانية ، لان فرادة الهوية اليهودية تكمن في الدين ولا يمكن بالتالي فصل الدين عن القومية اليهودية . لذلك كانت صهيونيته ترفض محاولات الحركة الاصلاحية وترمي الى اقامة الجماعة اليهودية في فلسطين وفقا لمقاييس الدين التقليدي . وليس اقراره بتطور الدين التاريخي سوى من قبيل اعتبار ذلك التطور نتيجة عملية لا واعية . حتى ان نظرته العامة تقوم على خليط عجيب من القبول النظري بليبرالية نسبية والممارسة العملية التطبيقية لسلفيّة دينية : مما اصبح الطابع المميز لتلك الصهيونية التي تستمد مقوماتها من الدين .

وحين يتحدث عن الصعوبات والعقبات التي تعترض قيام الصهيونية في فلسطين ، نجده يتهجم على كل المحاولات التي ترمي الى توطين اليهود خارج فلسطين . فالحسنات الاقتصادية لمختلف البلدان لا يمكنها ان تعلو على قداسة التقليد الديني اليهودي. واليهود يواجهون الصعوبات في فلسطين وحدها ، لانهم « يختارون بملء ارادتهم حياة الشح والفقر بدل غنى اميركه ورخائها » . ولا مانع هناك في اجراء هذه التجارب الجديدة حيث يختار المرء طريق الالم والعذاب بملء ارادته، لانها توصل الى الهدف المنشود، (١٨٩٢) .

اصبح في نهاية عمره مدرّسا للتلمود في حلقة تدريس المعلمين بالقدس التي توفي فيها.

الاصلاحات الدينية (١٨٦٨ ـ ١٨٧١)

الفكرة الدينية

لن تجد اليهودية نفسها في اي مكان من الايام في تناقض مع نتائج المكتشفات العلمية . ويكاد يكون من المسلّم به ان العقل البشري لن يتمكن ابدا من استيعاب معرفة الكون التي يمكن ان تحل جميع اسراره الغامضة. وعلى كل حال ، فاننا نعرف انه لا توجد اية دراسة علمية تستطيع ان تنفي وجود روح غير منظورة تسيّر الكون وتستوعبه كذلك. وقد ارتضت الديانة اليهودية ان تنص على هذا المعتقد العام بينما اعرضت عن كل الجهود لتمثيل طبيعة الكائن الاعلى بصور ملموسة تحدد فكرة هذا الكائن. ولقد تركت ديانتنا الحرية لكل فرد ليفسر لنفسه الحقائق الازلية طبقا لرأيه الخاص في ضوء الفلسفة السائدة في عصره او طبقا لتفكيره الخاص واجتهاده . وقد اكدت اليهودية وجود الاله الواحد ولكنها تركت للانسان العادي ان يعبده بطريقته الخاصة ، فللفيلسوف الحق في ان يعبّر عن هذه الفكرة فلسفيا ، وللصوفي ان يجد في الاله اجوبة لاسرار الكون الغامضة ـ لان المهم في اليهودية هي اعمال الانسان التي هي التعبير عن الافكار النبيلة . وهذا هو السبب الذي جعل اليهود المؤمنين والممارسين لشعائر دينهم ان يكيفوا انفسهم مع مختلف التفسيرات الفكرية والاخلاقية والاجتماعية لدينهم . وبشكل اجمالي ، لم تحاول اليهودية تحديد فكرة الروح او فكرة العقل او اعطاء اي منهما صورة دائمة ، بل تركتهما سرا غامضا كما كانا دائما .

ولكن اليهودية وجدت مخرجا وتعبيرا للمشاعر الدينية في سلوك الانسان ، ومن خلال الاعمال ، فالكلمة والعمل بالنسبة لليهودي هما كالصور والتماثيل والصليب للوثني والمسيحي، وهما رمز للفكرة وتجسيد للعقيدة . ولكن مع هذا ، ما هو الفرق بين هذين النوعين من الرموز ؟

فبينما تمثل الصور والصليب فكرة الالوهية في اطار التصور المجسد المحدود ، فان الكلمة والعمل تخبران فقط عن اعمال الله وعن علاقته بالكون ، وبهذا استطاعت اليهودية ان تتخطى التغييرات العديدة في المعتقدات العالمية والمبادىء الفلسفية التي احتلت مكانا بارزا على مر العصور، وان تكيف نفسها مع الفلسفة السائدة في اي عصر من العصور، كما استطاعت اليهودية ان تصمد امام تاثير مصر واليونان والفرس والرومان وان تخرج بعد كل صدام اشد تماسكا واكثر حدة ولمعانا مما كانت في السابق . كذلك لم يستطع الفلاسفة الالمان او مدرسة سبينوزا ترك اي تاثير سلبي عليها . انها لا تزال تعيش في الجوهر والمظهر كما انزلت على جبل سيناء ، ان اليهودية تتبع نموذج الطبيعة ، فكما ان الكلمة والعمل هما التعبير عن روح الطبيعة ، فهما كذلك التعبير عن روحانية اليهود ، وهذا هو السبب الذي جعل تطور اليهودية يشابه تطور الطبيعة . الجوهر يدوم بينما الشكل يتغير من لحظة لاخرى .

ان اسس اليهودية لا تزال راسخة لدرجة انها صامدة امام تحديات الفلسفات المعاصرة ، وما دامت الاسس ثابتة غير مقلقلة فان البناء القائم عليها سيدوم طويلا . ومع ان الشعب اليهودي كان يتخلى عن وصايا دينه اثناء فترات الاضطراب والتغييرات الكبيرة ، فقد كان المجتمع بعد كل تغيير يجدد ايمانه باليهودية بشكل اقوى من السابق .

اساليب الاصلاح

ليس هناك مكان للاصلاح الديني ما دام الشعب مستعدا للخضوع الى سلطة دينية ولممارسة الشعائر الدينية ، والسؤال هو : لماذا نحاول ايجاد تصدع مبكر في التركيب الحالي ، يجب علينا ان لا نقفز فوق التطورات الطبيعية بل ان نتخذها دليلا لنا ، لان هذه افضل طريقة للوصول الى اهدافنا الصحيحة دون الوقوع في حضن اي من الطرفين على امل تحقيق انتصار حزبي مع فريق ضد آخر . يجب ان نعي ان النصر لا يتحقق اذا ما طرحت المسائل قبل نضوجها فقد صدق حكماؤنا عندما انذروا قائلين : « لا تهدم بيتا للعبادة قبل بناء آخر بدلا منه » . يجب علينا فهم معنى هذا التنبيه لكي لا نندفع في اصلاحاتنا قبل ان نعرف ما يجب ابقاؤه وما يجب هدمه . واننا نترك الحرية للشعب اليهودي لاختيار الاقنية الصحيحة للتغيير بشكل منظم عندما يحين وقت ذلك التغيير . ولمعرفة اي من القواعد والاعمال الدينية ما يزال يحتفظ بحيويته واي منها

قد عفا عليه الزمن يجب ان تكون التجربة لا التفكير النظري دليلنا للوصول الى نتائج حول هذا الموضوع ، فالغصن الذابل سيسقط من نفسه ، واما الغصن الاخضر فسيزهر ويحمل ثمرا .

ان واجبنا هو ادخال الاصلاحات الدينية في الحياة الدنيوية للجماهير اليهودية ، في حياتهم الاقتصادية والمهنية والتربوية وفي تنظيمهم المجتمعي ، ويجب ان تتلاءم هذه الاصلاحات مع روح العصر الذي تتم فيه وان تكون متجاوبة مع حاجة ذلك العصر ليمكن الاستفادة منها . واخيرا، علينا ان نجعل اليهود دنيويين اكثر في تفكيرهم وعمليين اكثر في حياتهم اليومية .

القومية اليهودية لا يمكن ان تكون علمانية (١٨٩٥)

انني لا اساند الحركة السائدة في هذه الايام التي تنادي بتحويل اليهود الى امة علمانية بدلا من ان يبقوا امة ترتكز قوميتها على الدين الامر الذي جعلها تستمر في البقاء حتى اليوم .

ومهما تكن مزايا هذه النظرية ، فليس لها اية قيمة الا بين اليهود المندمجين الذين ظلوا يهودا بالاسم ، فهم على استعداد للتخلي عن الجالية اليهودية في اية لحظة . هؤلاء اليهود اعجبوا بفكرة القومية اليهودية العلمانية كرباط يشدهم الى شعبهم . وانني اجد نزعة قوية هذه الايام تتبناها مدرسة فكر مشهورة تدعو الى فرض القومية العلمانية على الشعب اليهودي بأجمعه بمن فيهم اليهود المتدينين والى فصل الدين عن الدولة لاعطاء القومية كيانا له اكتفاء ذاتي يعتمد عليه بقاء اليهود . لهذا فانا اعلن معارضتي الشديدة لهذا الرأي لانه لا يمكن ان ينتج عنه سوى الاضرار الشديدة لنا . من ينادي بتطبيق هذه النظرية يكون كمن يسلب الجسد الحي روحه ليحييه بصدمة كهربائية يمكن ان تساعده على الاستمرار ولكنها ليست بديلا عن الحيوية الحقيقية .

اذا ، ما هو الفرق بين الشعب اليهودي وغيره من المجموعات العرقية؟ ان هذا السؤال يجيب نفسه بنفسه . لم يأت الشعب اليهودي في البدء الى هذا العالم كجماعة مستقلة وبطريقة عادية كنتيجة للتأثير المشترك للجنس والتربة ، ولكنه جاء كشعب له ديانته المستقلة ، مرتبطا بميثاق يقضي باتباع تعاليم هذه الديانة .

وكذلك لم يتبع نمو وتطور الشعب اليهودي عبر الاجيال النموذج العادي ، ولكنه سار بخط مواز لدينه وبقي متمسكا به . وبعد ان اصبح للشعب اليهودي وطن قومي ودولة ذات سيادة ، لم يعتبر كونه في دولة جوهر كونه شعبا ، لقد قبل الشعب اليهودي السيطرة الاجنبية وكان رفضه لها ضعيفا ، ولكنه ثار عندما شعر ان ديانته مهددة بالزوال ، وبالعكس ، عندما فقد الشعب اليهودي وطنه وتشتت في العالم ولم يعد يستخدم لغته القومية بقيت له وحدته القومية بفضل التوراة التي رافقته في جميع متاهاته وعاشت معه في كل بلد اقام فيها .

ان كل هذه الحقائق تثبت ان اليهود ليسوا مجموعة عرقيةكغيرهم، وان قوميتهم ليست قومية « طبيعية » كما يحاول ان يفرض الصهيونيون العلمانيون عليهم ذلك . ان الشعب اليهودي جنس لا يتمكن بحكم طبيعته ان يقبل هذه الافكار الغريبة عنه . اذا ، لماذا يحاول العلمانيون زرع هذا الطعم ؟ يمكن ان تجادلوني بأن لا شيء مستحيل في علم البستنة وبأن شجرة التين يمكن ان تطعّم بالزيتون ، ولكن عليكم ان تعترفوا بأن نمو هذا الطعم بحاجة الى ظروف معينة . كيف يمكن تطعيم فكرة القومية العلمانية في الشعب اليهودي مع العلم ان العملية تحتاج الى الصفتين الاساسيتين للقومية التقليدية ؟ فاليهود لا يعيشون على ارض واحدة ولا يتكلمون لغة واحدة .

الدين هو مصدر القومية اليهودية (١٨٩٥)

ان قيمة العلم والتربية عندي ليست اقل منها عندكم ، ايها العلمانيون ــ انني اجلّ هذا النور الالهي الذي وهبنا اياه الخالق عند ولادتنا . وانني ، ايضا ، اتمنى مثلكم ان ارى الشعب اليهودي يتقدم في مضمار العلوم والتربية الدنيوية لانني ادرك قيمة هذا التقدم في تهذيب الطبيعة البشرية وتحسين اساليب الحياة واخلاق البشر وفي رفع مستواهم الثقافي ، كما ادرك كم تستطيع المعرفة الحقيقية ان ترفع من قيمة الشعور الديني . ولكنني لا اعتقد أن المعرفة المنفصلة عن الدين هي هدف يجب ان نعمل له . ليست تلك هي النهضة التي اعتبرها زعماء جيلنا السابق شقيقة ديننا بينما اعتبرها اسلافهم وصيفة لذلك الدين . اما الشقيقةاو الوصيفةالتي تنصّبنفسها منافسة لشقيقتها او لسيدتها فلا بد ان تصل الى ابعاد سيدها عن زوجته وتنزع الحب الذي كان في قلبه نحوها .

ان النهضة التي نعمل لتحقيقها مرتبطة ارتباطا عضويا بالدين بشكل غير قابل للانفصام . لماذا نريد عزل الواحدة عن الاخرى ؟ الم تنزل علينا التوراة لتعلمنا وتهذب افكارنا وعواطفنا وتنقيها كما ينقي الصائغ الذهب؟ الم تهبنا السماء العقل لكي نتأمل في عظمة خالقنا كما تظهر في جميع اعماله وفي عظمة ناموسه الذي غرسه في قلوبنا ؟ ليس في عالم الروح حواجز فكل ما يفكر فيه الانسان او يحس به مما هو موجه نحو الحقيقة سوف يكون مقدسا .

كذلك لا يمكنكم ايها العلمانيون ان تحتكروا العواطف الصهيونية . انا مثلكم محب لصهيون بالدرجة التي تحبونها بها وليس اقل ابدا . ولكن حب صهيون الذي اؤمن به ليس هو ذلك الذي انتزعتموه انتم من جميع التقاليد اليهودية واعطيتموه كيانا مستقلا . قد يكون لاي شعب قومية منفصلة عن الدين ، ولكن ذلك لا ينطبق علينا نحن اليهود ، ان اليهود يمقتون مثل هذه القومية التي لا يمكن ان تتحقق لان ليس لها جذور في واقعنا . ما هي تلك القومية اليهودية المنفصلة عن الدين اليهودي ؟ انها قاعدة جوفاء ليس فيها سوى تعابير منمقة . وبعد ، فما هي « القومية » اذا لم تكن فكرة ، او بكلام آخر ، صورة فكرية ؟ ولكن اية صورة فكرية هي مجرد خداع اذا لم يكن لها اساس في الواقع . وبالنسبة للصورة الفكرية للقومية اليهودية ، اي اساس سيكون لها في الواقع عدا وحدة الشعب اليهودي مع توراته ودينه ؟

انني اعرف مسبقا الجواب الذي سترددون به علي . ستقولون ان تاريخنا ولغتنا هما جزء من تراثنا القومي . هذا صحيح، فالماضي المشترك هو التراث القومي ولكنه لا يولد القومية . اننا لم نسمع ابدا بنتيجة اصبحت سببا لعلتها ! هل يمكن للانسان ان يشبع جوعه بالتهام لحم جسده ؟ واما بالنسبة للغة العبرية التي تذكرونها ـ لو اننا لا نزال نتكلمها اليوم لكان من الممكن لها ان تقدم بعض الاساس لقوميتنا، ولكنني في ضوء وضع اللغة العبرية اليوم لا افهم لماذا تكرسون انفسكم لها . من الذي يجبركم على احيائها وما القوى التي تستطيع ان تجعلكم تتكلمونها ثانية ؟ هل هي العاطفة القومية ؟ مرة اخرى ، نرى النتيجة قد اصبحت سببا ! ان كل حيوية العاطفة القومية تنبع من اللغة القومية ، ولكن اللغة نفسها ليس لها اية حيوية الا اذا غذتها العاطفة القومية ! ولكن هذا النقاش يظل يدور في حلقة مفرغة ولا ينتهي .

ان القومية التي انادي بها هي قومية الحاخام هاليفي (١) والحاخام موشيه بن نحمان (٢) الطيبي الذكر . انها عاطفة قومية مرتبطة بالدين ارتباطا وثيقا ، انها قومية روحها التوراة وحياتها افكار التوراة وتعاليمها.

اليهود يتحملون الصعاب في الارض المقدسة فقط (١٨٩٢)

ان فكرة اسكان اليهود في الارض المقدسة تشبه قصة الامير المسحور الذي تعرضت حياته لشر السحر حتى انقذ . لذلك فان الذين يرعون امور شعبنا من دعاة الخير المعاصرين جديرون بكل احترام وبتخصيص صفحة ذهبية من التاريخ اليهودي . كثيرون هم الذين يكيلون المديح للمحسنين الكبار الذين ينفقون دون حساب لاسكان اليهود في البرازيل ، ولكن بالرغم من الفوائد الشكلية التي يمكن جنيها من استعمار اميركه ، فان تلك البلاد لا يمكن مقارنتها بفلسطين وذلك لان قدسية التقاليد التي سوف تسود في فلسطين هي اسمى وافضل من الفوائد الاقتصادية التي يمكن جنيها في بلاد اخرى . ذلك ان ايا من هذه الفوائد ، لن يخلق في نفوس المستوطنين العزم والاخلاص الضروريين للتغلب على الصعوبات الاولية التي من المحتم ان يجابهوها ، فمجرد وجود فرص للربح المادي في اميركه لن يكسب اليهود هذه الصفات . بينما في فلسطين ، كما نشاهد بأنفسنا تعيد الفكرة المقدسة الحياة الى معتنقيها وتسمو بهم فوق كل العقبات والصعوبات وتمنحهم القوة للتغلب عليها . انني اعرف كثيرا من اليهود ، الذين اعطيت لهم الفرصة لمغادرة ارض فلسطين حيث يشقون ، ليهاجروا الى اميركه حيث الحياة اسهل ولكنهم رفضوا مثل هذا العرض، وفضلوا الشقاء والفقر في فلسطين على الغنى في اميركه وبذلوا جهودا مضنية لتحسين حالهم وقد نجحوا فعلا .

لقد قلت بانهم نجحوا ، لان التجربة اثبتت مدى امكانية النجاح في

---

١ ــ الحاخام يهوذا هاليفي ، شاعر عاش في اسبانيه في اواخر القرن الحادي عشر واوائل القرن الثاني عشر .

٢ ــ الحاخام موشيه بن نحمان (١١٩٥ ــ ١٢٧٠) عالم تلمود ، ولد في اسبانيه ونفي الى جيرونا سنة ١٢٦٧ بتهمة التجديف وذهب الى فلسطين حيث مات .

فلسطين . صحيح ان العقبات كانت عديدة وصعبة عند بدء العمل ، والنتائج كانت ضعيفة لدرجة انها كانت يمكن ان تثبط عزيمة اي مؤمن بالفكرة، ولكن اخلاصهم القوي لم يجعلهم يستسلمون. وقد اثبتت التجارب الجديدة والاساليب الجديدة انها تبشر بتحقيق الاهداف المطلوبة .

الحاخام ابراهام اسحق كوك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥)
Rabbi Abraham Isaac Kook

زعيم روحي صهيوني

مولود في شمال روسيه ، في بلدة صغيرة في منطقة لاتفيه ، درس في اكاديمية التلمود المعروفة ب يشيفا فولوزهين فيالتاسعة عشرة من عمره واحب التكلم بالعبرية . تعرّف على تقليد التصوف اليهودي وسعى وراء تجارب الاشراق الداخلي . حين بلغ الثالثة والعشرين اصبح حاخام قرية زيمل في ليتوانيه حيث بقي في منصبه ١٨٨٨ ـ ١٨٩٥ . وكان قد بدأ حياته الادبية ١٨٨٨ كرئيس تحرير وناشر لمجلة حاخامية بعنوان « ايتور سوفيريم » وراح يدعو لفكرة الخلاص معتبرا جيله الحاضر « ذلك الجيل الذي تحدثت عنه النبوءة على انه ينتمي الى عصر مجيء المسيح المنتظر » . كان حاخام بلدة بويسك في لاتفية ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤ ، عندما قدم الى فلسطين ليصبح حاخام مدينة يافا .

يمثل في كتاباته وافكاره تلك الصهيونية الدينية التي تعمل على جمع شمل مختلف الاتجاهات والبرامج في الدين والسياسة باعتبارها في منزلة « الفروع في شجرة الحياة اليهودية الجامعة » . فقد كان دائم البحث عما اسماه ب Hakhalah او الاشتمال بمعنى تبنّي ذلك المنظور الذي يشمل ، على الصعيدين السياسي والوطني ، مختلف وجهات النظر والبرامج السياسية وفلسفات الاحزاب الصهيونية . وحتى تلك الاتجاهات المناوئة للدين . وهو منظور استمده من لاهوتية صوفية سخّرها بالتالي لخدمة الاغراض الصهيونية . ومع انه اعتبر المجاري الصوفية الخفية في الفكر اليهودي بمثابة روح اليهودية والطابع التوراتي الاكثر امتلاء وعمقا ، فقد دعا الى تلك اليهودية التي تشمل كل التعبيرات المختلفة والمنوّعة عن العبقرية الدينية اليهودية ـ في القانون والاساطير والشعر والتصوف !

ساير الحركة العلمانية في الظاهر ، اذ تكشف رسائله عن تطرف ديني كان يشعر بالقلق حيال النزعات الصهيونية العلمانية والمناوئة للدين بين يهود فلسطين الجدد. وقد تمادى في تلك المسايرة الظاهرة حتى ان العناصر الدينية المتزمتة اتهمته ب « الهرطقة » . ففي ١٩٠٩ سمح بمزاولة النشاط الزراعي خلال السنة السبتية . وكان قد نشر ١٨٩١ مقالا بلا توقيع تحدث فيه عن اللباس الصحيح لرجال الدين ، وما لبثت مقالاته آنذاك ان صارت بمثابة الاساس العقائدي لحركة مزراحي التي كان وثيق الصلة بها .

سافر الى اوروبه ١٩١٤ وحالت الحرب دون رجوعه فعمل حاخاما في مدينة سانت غالن ، سويسره (١٩١٤ ـ ١٩١٦) وانتقل الى لندن كحاخام مؤقت (١٩١٦-١٩١٩) .

وحين عاد الى القدس اصبح الحاخام الاكبر لليهود الاشكناز في فلسطين (١٩١٩) واسس مكتب الحاخامية (١٩٢١) واكاديمية للتلمود تدعى « مركز حاراف » . وبقي في منصب الحاخام الاكبر حتى وفاته . كانت اقامته في لندن خلال فترة المفاوضات التي سبقت صدور تصريح بلفور . وحين دعت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين لانعقاد المؤتمر اليهودي الاول ، ١٩٢١ ، وايجاد محاكم شرعية يهودية مستقلة بمؤسساتها التابعة لها ، جرى انتخاب كوك كرئيس لمحكمة الاستئناف الحاخامية عن اليهود الاشكناز .

خدم الصهيونية حتى في مظهرها العلماني لانه اعتبرها بمثابة هبة الهية داخل الروح اليهودية والسابقة لقدوم المسيح المنتظر. وعمل على منع التصدع في المعسكر الديني اليهودي من جراء الخلاف الذي نشب حول طبيعة الصهيونية ، داعيا للتساهل في بعض القوانين والمواقف حفاظا على التماسك والوحدة ورغبة منه في تحقيق اجماع يهودي لخدمة الهدف الصهيوني . من هنا كان دفاعه عن الاتجاه اللاديني ضد تزمت المتعصبين ومضايقاتهم . فهو لم يتردد مثلا في اتخاذ موقف مغاير للموقف العام عندما هاجت بعض الخواطر من جراء اغتيال حاييم ارلوزورف ، الامين العام السياسي لمنظمة الصهيونية العالمية على يد التحريفيين التابعين لجابوتنسكي .

تضم كتاباته الكثير من الردود والتاملات اللاهوتية الصوفية . وقد جمعت في مجلدات بعنوان « اوروت » = اضواء ، بالاضافة الى رسائله التي نشرت في عدة مجلدات .

ارض اسرائيل (١٩١٠ ـ ١٩٣٠)

ليست ارض اسرائيل شيئا منفصلا عن روح الشعب اليهودي ، انها ليست مجرد ملكية قومية تستخدم لتوحيد شعبنا ولدعم وجوده المادي وحتى الروحي . ارض اسرائيل هي جزء من جوهر وجودنا القومي ، ومرتبطة بحياة الوجود وبكيانه الداخلي ارتباطا عضويا . والعقل البشري في اسمى مراتبه لا يستطيع ان يدرك معنى قدسية ارض اسرائيل ، ولا يستطيع ان يحرك الحب الكامن في اعماق شعبنا نحو هذه الارض . ان ما تعنيه ارض اسرائيل يمكن فهمه فقط من خلال روح الرب المنتشرة في شعبنا ككل والتي تشع بتأثيرها على كل العواطف السليمة . هذا الضوء السامي يسطع لدرجة ان الروح القدسية الربانية تملأ قلوب جميع قديسي وادباء اسرائيل بالحياة السماوية والنعمة الالهية .

ان اعتبار ارض اسرائيل مجرد اداة لاقامة وحدتنا القومية، او حتى لحفظ ديننا في الشتات عن طريق المحافظة على معتقداته وشعائره ، هي فكرة عقيمة وغير جديرة بقدسية ارض اسرائيل ذلك ان اي تثبيت صحيح لليهودية في ارض الشتات ممكن فقط عن طريق التعلق بأرض اسرائيل ، وان امل العودة الى الارض المقدسة هو مصدر اعطاء اليهودية صفتها

المميزة ، وكذلك فان امل الخلاص هـو القوة التي تقوّي اليهـودية في الشتات ، اذ يمكن اعتبار يهودية ارض اسرائيل الخلاص بعينه .

الابداع اليهودي الاصيل ، ان كان في عالم الافكار ، او في حلبـة الاعمال الحياتية اليومية لا يمكن تحقيقه الا في ارض اسرائيل. ومن ناحية اخرى ، فكل ما يبدعه الشعب اليهودي في ارض اسرائيل سيصبغ العالم بصبغة يهودية خاصة ، مما لا شك فيه ان هذا سيكون لمصلحة الشعـب اليهودي كما هو لمصلحة العالم . ان الخطايا التي هي سبب نفينا تفسد في الوقت نفسه منبع وجودنا الازلي بحيث تجعل المـاء غير صاف عنـد المنبع . وفي الوقت الذي يصبح فيه منبع كيان اسرائيل فاسدا ، فـان اصالتها الاولى تستطيع التعبير عن نفسها في مجال الابداع العالمي السامي الـذي يعتبـر صفـة مـن صفـات اليهـود وحدهم فقـط عندمـا يكونون في بلاد الشتات ، بينما تعيش ارض الوطـن في عزلة وهجران تدفعهما ثمنا لمذلتها . وبينما تجد حياة وافكار اسرائيل مخرجا عالميا لها يتيح لها المجال للانتشار في جميع انحاء العالم ، نرى ان الينبوع الازلي للروح اليهودية قد توقف عن الجريان وان الجداول النجسة التي تنطلق من الينبوع قد جفت ، وبدأ البئر يظهر نفسه ليستعيد اصالته الاولى . وعندما تنتهي هذه العملية سيصبح المنفى مثارا لاشمئزازنا وسنحـاول عندئذ التخلص منه . حينئذ سيشع النور الكوني مرة اخرى من مصدر وجودنا ، وسيجمع المسيح المنتظر المشتتين . ستجد راحيل التي تبكي اولادها عزاء حلوا لها . ان ابداع اليهودي الفريد من نوعه سيؤكد نفسه من جديد وهو مشبع بروح ابراهيم ، اعظم مخلوق على وجـه الارض ، الذي اعتبر الله القدير روحه بركة للانسان .

لا يستطيع اليهودي ان يكون مخلصا وصادقا في افكاره وعواطفـه وخيالاته في ارض الشتات كما يكون في ارض اسرائيل. فالوحي المقدس، باي درجة كان ، يكون نقيا فقط في ارض اسرائيل ، بينمـا يكـون في خارجها مشوشا ملوثا وغير نقي . وعلى اي حـال ، فكلمـا زاد تعلق الشخص بارض اسرائيل كلما زادت افكاره طهارة لانها حينئذ تعيش في هواء ارض اسرائيل الذي يحيي كل من يشتاق لرؤية الارض .

عندما يكون الانسان في الارض المقدسة يصبح خياله نقيا واضحا ، ونظيفا طاهرا ، قادرا على قبول الحقيقة الالهية وكذلك على التعبير عـن الحياة من خلال سيادة القداسة . هناك ، في تلك الارض ، يكون الذهن مهيئا لادراك معنى نور النبوة والاستنارة باشعاع الـروح القدس . ان

الخيال ، في بلاد الاغيار ، يكون معتما يغلفه الظلام وتتفيأ في ظلاله النجاسة ، ولا يمكن ان يكون اداة للنور الالهي وذلك عندما يحاول ان يرتفع عن ضيق مجالات الكون وانحطاطه . ولما كان العقل والخيال متشابكين يعتمد كل منهما على الآخر فان العقل لا يستطيع ان يسطع بشكل صحيح خارج الارض المقدسة .

في اعماق اعماق كل يهودي تتقد نار اسرائيل بكل طهارتها وقدسيتها ولا يمكن الخلط بين مطاليبها وبين الرباط الذي لا ينفصم القائم بين البشر وجميع وصايا الله وذلك من اجل صب روح الرب ، روح اسرائيل الموجودة في كل يهودي ، في جميع المخلوقات التي خلقت من اجل ذلك الغرض ، وكذلك من اجل التعبير عن كلمة اسرائيل بشكل تام ودقيق في مجالي الافكار والاعمال .

ان هذه النار لا تزال تتقد بألسنة من اللهب المقدس في قلوب قديسينا . انها كنار مذبح الهيكل . تشتعل الى الابد داخل قلب شعبنا ككل . وهي كذلك موجودة حتى في اعماق نفوس التائهين والآثمين من ابناء اسرائيل . وبالنسبة للشعب اليهودي ككل فانها تشكل مصدر رغبته من اجل الحرية ومن اجل تحقيق حياة جديرة بالانسان والمجتمع ومن اجل امله في الخلاص ــ انها الكفاح من اجل حياة يهودية تامة غير محددة ولا تناقض فيها .

هذا هو معنى حب اليهودي الذي لا ينضب لارض اسرائيل ، ارض القداسة ، ارض الله التي تحققت فيها الوصايا الالهية بشكل عام . ان هذا الدافع لكشف طبيعة الله للعالم ولرفع رأس الانسان عاليا باسم الله من اجل تمجيد عظمته يؤثر على جميع البشر لان الجميع يرغبون في الاتحاد مع الخالق وفي النعيم في مجده . هذا الشوق للحياة الحقيقية القائمة على اساس التوراة والمنيرة بعظمتها ، هو مصدر الشجاعة التي تجعل اليهودي يؤكد امام العالم كله ولاءه لتراث شعبه ولحفظ هويته وقيمه ولرفع شأن دينه عاليا .

قد يتساءل المرء عن كيفية تأثر غير المؤمنين بهذه القوة ، ليس فقط بالاقتراب من الاله الواحد ولكن بالاقتراب من الحياة اليهودية الحقة والتعبير عن الوصايا الالهية بالفكرة والصورة بالتسبيح وبالعمل . ان فهم هذا الشيء ليس بالصعب بالنسبة لاولئك الذين يدركون حقيقة روح الشعب اليهودي وطبيعته العجيبة . ان مصدر هذه القوة يكمن في قوة الله وفي الحياة الابدية .

اضطرتنا قوى خارجية على ترك حلبة السياسة الدولية ، ولكن انسحابنا كان ايضا عن رضى تلقائي فقد كنا ننتظر قدوم عصر اكثر بهجة يسيّر فيه الحكم دون وحشية وبربرية . ونحن لا زلنا نأمل بمجيء ذلك اليوم . على انه لا بد للوصول اليه ، ان نوقظ جميع قوانا الكامنة وان نستخدم جميع الوسائل التي يضعها العصر تحت تصرفنا . كل شيء يسير بمشيئة خالق الارض والسماء . ولكن التأخير ضروري ، فقد كانت روحنا مشمئزة من الآثام المخيفة التي كانت ترافق الحياة السياسية في الايام العصيبة . ان اليوم الذي سيصبح فيه العالم اكثر لطفا قد دنا بشكل اكثر مما نتصور ، ونستطيع ان نبدأ بتهيئة انفسنا له لانه سيكون بامكاننا ان نحكم دولة خاصة بنا تقوم على الخير والحكمة والعدالة وباستنارة من الله .

ليس من المناسب ان يتعاطى المرء الحياة السياسية في وقت تتطلب فيه السياسة العمل الدموي والقدرة على فعل الشر . عند بدء تاريخنا ، كنا قد بدانا بالحد الادنى مما يتطلب لانشاء امة . ولكن ما ان وصلنا سن الفطام حتى انهارت سيادتنا السياسية وتفرقنا بين الشعوب وبذرنا في اعماق التربة «حتى يجيء وقت الغناء ويسمع هديل الحمامة في الارض» .

ان تأمين نظام العالم الذي تمزقه الحروب الدموية يتطلب بناء الدولة اليهودية . هذا وبناء كيان الشعب واظهار روحه هما عملية واحدة لا يمكن الاستغناء عنها لاعادة بناء العالم المهتز الذي ينتظر القوة العليا والموحدة الموجودة في تجمع اسرائيل المقدس . روح اسرائيل مشبعة بروح الله ، بروح الاسم المقدس ، ولن يستطيع اي انسان يتجاوب مع مطالب روحه ان يصمت في هذه الساعة العظيمة . عليه ان يصرخ في قوى شعبنا النائمة : هبّوا وانهضوا لتأدية واجبكم .

ان صوت الله يدوّي بقوة وان روحنا وحياتنا المتغيّرة تسمعان هذا الصوت الذي يدعو اسرائيل لقرع باب الحياة ولزرع نفسها في عالمها الروحي . لقد بدات الحضارة البشرية تنهار والروح البشرية بدات تهن ، والظلام بدأ يغلف العالم .

ان الوقت قد نضج . والنور الابدي ، نور الله الحقيقي ، نور اله اسرائيل الذي كشف ابناء شعبه ، يجب ان يرتفع الى مستوى الوعي . هذا الوعي يجب ان يتسرب الى داخل كيان شعبنا لكي يستطيع الشعب

ان يميز امكاناته الخاصة ويصبح مدركا لحقيقة الله الموجود داخل نفسه. وفي الوقت الذي يدرك شعبنا ان الله موجود في داخله ، فانه يستطيع عندئذ الاستفادة من هذا المصدر الاولي . عليه ان يملأ نفسه بالارادة من دعائه العميق ، وبالحياة من بئر توراته ، وبالشجاعة من جذور ايمانه وبالنظام من تماسك تفكيره ، وبالبطولة من قوة روحه ، لان كل ما يظهر تحت قبة السماء مستمد من روح الله المرفرفة فوق الكون من بدء الدهر الى نهايته .

ان جميع حضارات العالم ستتجدد بولادة شعبنا من جديد ، وستحل جميع النزاعات ، وتجددنا هذا سيجعل الحياة تشع ببهجة تشبه بهجة ولادة الطفل ، وسترتدي كل الاديان حلة جديدة ثمينة بعد ان تنزع عنها كل ما هو موحل وغير نظيف وكريه ، وسوف تشرب هذه الاديان قطرات الندى المتساقطة من الانوار المقدسة ، والتي كان اصلها من بئر اسرائيل عند بدء الخليقة ، وكذلك ستظهر قوة بركة ابراهيم لجميع شعوب العالم وستكون هذه البركة هي اساس ابداعنا في ارض اسرائيل . ان هلاكنا اليوم هو تهيئة لولادة جديدة فريدة ذات اعماق بعيدة .

لا يزال نور رحمة الله يسطع . واسم الله « انا كائن لاني كائن » ما زال يهدينا وعلينا ان نشهد بعظمة الله .

بعث اسرائيل (١٩١٠ ـ ١٩٣٠)

ان العالم وكل ما هو موجود فيه يعيش منتظرا نور اسرائيل النور السامي الذي يشع من الله الذي نسبح باسمه. لقد خلق الله هذا الشعب ليمجده ، وقد اورثه بركة ابراهيم ليتمكن من نشر معرفة الله ، وكان عليه ان يحيا حياته بعيدا عن بقية شعوب الارض . اختاره الله ليطهر العالم من النجاسة والظلام . لدى هذا الشعب مخبأ ، انه التوراة التي بواسطتها خلقت السماء والارض .

ليس نور اسرائيل حلما مثاليا او مبدأ خلقيا مجردا ، وليس هو مجرد رغبة دينية وخيال نبيل . ان هذا النور لا يغسل يديه من مادية هذا العالم وقيمه ليتخلى عن الجسد والمجتمع والحكومة ويتركها تتمرغ في نجاستها . كذلك هو لا يتخلى عن قوى الطبيعة التي سقطت بسقوط الانسان عند بدء الخليقة لتبقى في حالتها الوضيعة . بل على العكس ان هذا النور يعمل على النهوض بالحياة بجميع اشكالها . لم يتوصل بعد اي

شعب من بلوغ نموه العقلي والروحي درجة تجعله يفهم معنى قدسيةالكون ويبتهج بعظمة الله ويدرك قيمة الخليقة من البدء الى النهاية بكل ما هي مغلفة به من الخير اللامتناهي والقوة العظيمةوالطهارة التامة التي يتميز بها الله الواحد .

اننا نعرف ان جميع الشعوب تعيش تحت تأثير حضاراتها المختلفة ، وندرك كذلك القيمة الحقيقية لكل منها ، كما نستطيع ان نحدد في مثلها العليا ومطامحها امورا مشعة واخرى مظلمة . لقد استطعنا عبر تاريخنا ان نقهر اعظم قوى الوثنية العاتية ، والآن علينا واجب التغلب على قوى الظلام الجديدة .

كان هناك هرطقة يهودية قديمة وقعت تحت تأثير الوثنية ونادت بالغاء وصايا التوراة بينما ظلت قيمتها الدينية والاخلاقية من اليهودية . ان مثل هذا الظلام ينبع من عدم قدرة العقل غير اليهودي على استيعاب عظمة النظام السماوي الذي يوحد الارض والسماء ، والجسد والروح والعقيدة والعمل ، والصورة والواقع ، والفرد والمجتمع ، ويجمع بين هذا العالم والعالم الذي سيأتي فيما بعد ، وبين بدء الخليقة ونهايتها ، وبين عظمة الازلية وبهجة السماء والارض وكل ما عليهما . ولكن سيأتي زمن يمكن فيه تطهير اعماق اعماق العالم من قذارتها ، وسيقوّم اعوجاجها وستصحح اخطاؤها مهما صغرت. عندئذ سوف يسطع النور على الصالحين.

ان عالم الاغيار ــ غير اليهود ــ مهترىء وممزق . ليس للجسد في مثل هذا العالم علاقة بالروح ، ليس فيه رباط داخلي بين الروح والمادة ولا صلة اساسية بين الفكرة والتطبيق . وفي الوقت الحاضر ، وقبل ان يظهر نور اسرائيل تمثل الشيوعية قمة التطور الروحي لثقافة هؤلاء الاغيار . ولكن كم هو مسكين هذا العالم الذي استطاع هذا الشر الاسود ان يرفع فيه رأسه ويعتبر نفسه قمة طموحه . اي كنز من الشر مخبأ في هذه الكذبة المرعبة التي يلمع ظاهرها ببريق خطير من الطهارة ! كم هي مسكينة تلك المسالك الروحية التي تنطلق منها دنيا اليهود المقدسة والتي تصب في هذا المستنقع من الشر ! كم يحتاج هذا النور لاستعادة قوته بعد ان فقد قسما كبيرا منها في هذا الظلام ! ولكني اعتقد ان هذه الاشعة سوف تستعاد عندما يعود الشعب المقدس .

ان الخلاص متواصل . فالخلاص من مصر والخلاص النهائي هما جزء من عملية واحدة ، « لليد القوية والذراع الممدودة » ، هذه العملية

بدأت في مصر واستمرت عبر التاريخ . وان موسى وايليا هما جزء من عملية الخلاص هذه. احدهما يمثل بدايتها والآخر قمتها، وكلاهما يحققان هدفها . لقد اعتادت روح اسرائيل على سماع لحن عملية الخلاص وعلى صوت تموجات اعمالها التي ستنتهي فقط بقدوم المسيح المنتظر .

ان **عدم الاحساس** بوجود الروح اليهودية ذات الطابع المميز ، والتصور ان المادة الالهية التي تميز اسرائيل يمكن مقارنتها بالمضمون الروحي للحضارات القومية الاخرى ، يمكن اعتبارهما من الاخطاء الكبرى التي تهدف الى فصل العامل القومي عن الدين في اليهودية لان من شأن هذا الفصل ان يحول كلا من قوميتنا وديننا الى مجرد حقيقة زائفة لان عوامل الفكر والعاطفة والمثالية الموجودة لدى الشعب اليهودي يشكل وحدة غير قابلة للانفصام لها صفات خاصة .

ولكن اذا كانت محاولة فصل عوامل الروح اليهودية عن بعضها بعضا تعتبر خطأ ، فان تصور امكانية نجاح مثل هذا الفصل هو خطأ افدح . لذلك يكون شن اي حملة عنيفة ضد اولئك المؤمنين بجانب واحد من جوانب الشخصية اليهودية ، هو امر عديم الجدوى لا يوصل الى اية نتيجة . فلو منع فصل العوامل الروحية لاسرائيل شريعة من شرائع التوراة ، لكان من الواجب عندئذ ان نقاوم الى النهاية . ولكن بما ان ذلك الفصل فصل الروح اليهودية يعتبر من المستحيلات المطلقة ، نستطيع ان نطمئن بان دعاته سوف يخطئون فقط على الصعيد النظري وليس على صعيد الواقع لان التحقيق مستحيل . وبصرف النظر عما يعتقدون ، فان اي عامل من عوامل الروح اليهودية الذي يعتبرونه ملكا لهم ، يضم بشكل حتمي جميع جوانب نفسية الشعب اليهودي لان جذوره تمتد الى داخل حياة هذا الشعب .

ان نزاعنا معهم يجب ان يتوجه فقط الى محاولة تنبيههم الى غلطتهم هذه فنبرهن لهم بأن جميع جهودهم لتجزئة وحدة اسرائيل السامية سيكون مصيرها الفشل المحتم . ونحن الذين نمثل وحدة ارادة اسرائيل وروحها يجب ان يكون رد فعلنا طبيعيا جدا وذلك بتحليل وجهة النظر المعاكسة لاثبات ان اي عامل من عوامل الروح اليهودية لا يمكن الا ان يضم جميع القيم التي يأمل « الانشطاريون » ان ينسوها ويهدموها فيما بعد . وفي الوقت الذي ننجح فيه باقناعهم بهذا الرأي، سيشعر معارضونا انهم انما كانوا يضيعون جهودهم سدى ، فالقيم التي حاولوا التخلص منها كانت موجودة ولو بشكل هزيل ومشوه ، وذلك في نظرياتهم ، ونتيجة

جهودهم لن تكون سوى الجوع الروحي وضيق الافق والسير في الطريق غير القويم . ولن يكون لمعارضينا سوى طريق واحد وهو ان يعترفوا بالحقيقة التي اثبتتها التجارب وان يتعلقوا بنور اسرائيل البين بكل ما يتضمنه من سمو روحي . عند ذلك ، لن تقاسي ارواحهم من عذاب الافكار الوهمية والخيالات التي لم يكونوا ليستطيعوا ان يتحرروا من كابوسها ولا ان يجدوا فيها الانارة الواضحة لروحهم ، وسيدركون ايضا ان القومية او الدين او اي عامل من عوامل روح اسرائيل لن يستطيع تجسيد نفسه الا داخل البيئة اليهودية الصادقة كليا مع جوهر وجودها .

انوار للبعث (١٩١٠ ـ ١٩٣٠)

ان لحياتنا القومية ، ان داخليا او في علاقاتها مع الآخرين ، تاريخ طويل جدا . فقد وجدنا منذ زمن بعيد وعبّرنا عن انفسنا بعدة طرق . نحن شعب عظيم وغلطاتنا عظيمة كذلك ، ولذلك فان مصائبنا وما سيتبعها من مؤاساة ستكون على نطاق كبير ايضا . من الاخطاء الاساسية التي نرتكبها هي اننا ندير ظهورنا لمصدر عظمتنا الوحيد ونتخلى عن فكرة كوننا الشعب المختار ، اننا لسنا فقط مختلفين عن بقية الامم ولنا تجربة تاريخية فريدة لا يمكن ايجاد ما يوازيها ، ولكننا من مرتبة روحية اسمى واعظم ولذلك علينا اذا كنا نريد ان ندرك كنه انفسنا ان نعي عظمتنا والا سقطنا في الهاوية .

ان روحنا تشمل الكون كله وتمثل وحدته بأسمى مراتبها . لذلك ، فانها سليمة وكاملة ليس فيها من التفكك والتناقض السائدين في شعبنا . نحن شعب واحد ، واحد كوحدانية الكون . هذه هي امكانية شخصيتنا الداخلية الروحانية العظيمة ، وان مختلف مسالك طريقنا عبر التاريخ ، طريق النور التي تمر بين جبال الظلام والدمار ، تسير بنا لتوصلنا الى ادراك جوهر طبيعتنا . ان شمول روح اسرائيل قد بدّل جميع شروط هويتنا القومية اللازمة والتي لا بد منها .

من المستحيل فصل فرع من شجرة حياتنا العظيمة المورقة وجعله يحيا حياة مستقلة وحده ، لان كل شعرة من كياننا ستهب لمعارضة ذلك وسيكون رد فعلنا قويا وناجما عن كامل وعينا وارادتنا . ان املنا في بعث حياتنا وحياة كل شيء نملكه قد حدد طريقنا عبر التاريخ . فلا شيء يمكن تجاهله حتى ولا يمكن محو اي خط من خطوط صورة شعبنا . نعم نحن

اقوى من جميع الثقافات التي عرفناها عبر العصور واكثر احتمالا ودواما من جميع الابديات . ان رغبتنا هي في ان نعيش حياة وافرة كحياة اسلافنا ، وحتى ان نكون اعظم واجلّ منهم . لقد قدمنا للعالم قيما اخلاقية عظيمة ونحن على استعداد الآن لكي نعلم هذا العالم كيف تكون الحياة البهيجة السعيدة . ان روحنا لا ترهب مرور الاجيال ، فهي تعيد خلق هذه الاجيال وتضع خاتمها عليها . وقوة ابداعنا عظيمة لدرجة انها تترك طابعها على الروحانية السامية للحياة العملية . وكلما تطورت الحياة الى الافضل كلما زادت قوة الابداع هذه ، واصبحت قادرة على اعادة تنسيق العالم بشكل تعابير روحية ملموسة من اعظم ما يمكن مشاهدته . كل هذا سيصل الى قمته عندما تولد الحياة اليهودية بكل جوانبها من جديد .

ان المجتمع في هذه الايام يعيش حالة تحرك وغليان ، ولكن كم هو مسكين واحمق هذا العصر ، وكم هو شاسع ذلك الفراغ الذي يوجد في القلب بعد كل العواطف الجياشة التي تتركها الحرب واشاعات الحرب ، وذلك لان كل هذا مجرد من الهدف ، يمثل الحياة العابرة لهذه او تلك الجماعة من البشر . وحتى ليس هناك اي قيمة للثورات الاجتماعيةالكبيرة خاصة التي ترافقها تغييرات جذرية تلهب القلب وتجعل العقل مشوشا ومضطربا . لن يكون لاية حركة قيمة او امكانية للاستمرار اذا لم يكن لها هدف روحي اعلى يرتفع فيه نضال الانسان الى اسمى المراتب التي يستطيع العقل والعاطفة السامية تصورها .

ولكن لنعد الى الهدف الالهي وهو تحقيق المصلحة العامة من خلال ايجاد الكمال في نفس كل فرد وكل جماعة . لا يكفي ان نتبع هذا المثال الاعلى في لحظة من لحظات حماسنا العاطفي فقط ، فلكي يحقق المجتمع حالة من الكمال الروحي ويتأكد من استمرارها عليه ان يعبّر عن هذا المثال الاعلى في كل ناحية من نواحي نفسه . وكل ما لا تستطيع اللغة التعبير عنه ، سيقوله في المستقبل ، وبكل قوة ، من النظام السماوي الازلي الشامل .

صحيح ان شرارات نورنا الروحاني تكون معتمة في ايام انحطاطنا ، وتكون عادة موجودة في ذكريات تقاليدنا بكل وصاياها الدينية المنبعثةمن الماضي والمتطلعة الى المستقبل ، ولكنها تكون في الوقت نفسه محتفظة بحيوية عظيمة ، وان حركة بعثنا القومي ستنفض الغبار الذي تجمع عليها وترفع عنها الجمود الروحاني ، وبذلك تظهر الشرارات النارية وتتجمع

لتصبح نورا سماويا يدفىء العالم وينير سبله القريبة والبعيدة .

ليس حاضرنا سوى ظل لماضينا العظيم ، انه يتطلع دائما نحو مستقبل سام ، مستقبل ينير الحاضر ويعطيه ابعادا جديدة من القوة التي لا تحدّها حالة الانتظار والترقب للمستقبل التي هي حالتنا الراهنة. كل شيء يتوقف على قيمة الماضي والمستقبل ، فبعض الازمنة الحاضرة والمستقبلة تستطيع ان تمنح النور والدفء للايام الحاضرة القريبة ، لكن بعضها بلغ من العظمة درجة يستطيع معها ان يجعل الحاضر ، الذي يعيش بقوتها ، زمنا يزخر بالحياة والابداع . ان ماضينا عظيم ، وان مستقبلنا لاعظم كما هو ظاهر في كفاحنا من اجل مثل العدالة الكامنة في نفوسنا . هذه القوة العظيمة تهب الحياة النشيطة لحاضرنا . فنحن نستطيع ان نستخرج من اعماق ذاكرتنا ما يكمن فيها من مثل عليا ، من حكمةوابداع، ومن نظرة على العالم فريدة ، ومن عادات وتقاليد تضم محتوى روحيا من الحب واللطف ، يغذّيها بقطرات ندى الحياة والبطولة والعظمة ، لطفنا وبطولتنا وعظمتنا .

ليس لليهودية في ارض الشتات وجود حقيقي الا على اعتبار انها تتغذى بقطرات الحياة من ارض اسرائيل القدسية وتحيا فقط بقوة رؤيا مستقبلنا وبذكرى مجد ماضينا . ولكن يجب ان ندرك ان هناك حدودا لقوة الرؤيا هذه لتحمّل اعباء الحياة ولتوجيه حياة الشعب ، ويبدو ان هذه القوة قد استنفدت الآن طاقتها ، واصبح يهود الشتات يتحللون بشكل مخيف ، ولا امل لهم الا باعادة زرع انفسهم والاعتماد على ينبوع الحياة الحقيقي المقدس الموجود في ارض اسرائيل فقط . ذلك ان شرارة واحدة من هذه الحياة الحقيقية تستطيع ان تحيي مجالات واسعة من تلك الحياة التي تنمو نتيجة لقوة الخيال . ان القدسية الحقيقية لليهودية سوف تظهر فقط عندما يعود الشعب الى ارضه ، فذلك هو الطريق الوحيد لاعادة ولادة هذا الشعب . وكل ما هو سام في روحنا وخيالنا يستطيع ان يستمر فقط الى الحد الذي تستطيع معه الحياة الحسية ان تنشط الحلم الذي بدأ يتعب .

وكلما اصبح العالم روحانيا ونمت روح الانسان الى مستويات اسمى، فانه يصبح لزاما على الانسان اكثر من اي وقت مضى ان يحيا حسب ما تمليه عليه طبيعته البشرية التي فيها الكثير من الصدق والعدالة ، لذلك كان واجبا على القادة الروحيين ان ينقوا هذه المشاعر ويوجهوها في الطريق القويم . ان الانسان يشعر بوجود الله في داخله بشكل متزايد

وذلك عن طريق خلجات نفسه الصادقة ، وحتى ان تلك الغرائز الداخلية التي يظهر بأنها تضل عن الطريق المعتبر تقليديا بأنه قويم ، يمكنها ان تقدم شيئا للمصلحة العليا اذا ما ارتفع بها الانسان الى مراتب سامية .

عندما يستيقظ شعب اسرائيل سوف يكتشف شجاعته وكرامته من جديد ، فالطهارة والقدسية اللتان كان يظهرهما في خضوعه ، يمكن اظهارهما بشكل اقوى من خلال شجاعة النفس بتحقيق اعمال قومية بطولية . ان هاتين الحالتين ستتحدان ، وباتحادهما تصبح البطولة اقوى لان القداسة تكون قد جعلتها الطف واعذب .

هناك عهد ابدي يؤكد بأن بني اسرائيل لن يكونوا يوما غير طاهرين كليا . بلى ، قد يفسدون جزئيا ، ولكنهم لن يبعدوا كليا عن ينبوع الحياة السماوية. انكثيرا من دعاة النهضةالقومية الحالية يعلنون بأنهم علمانيون. ولكن لو كان بالامكان ايجاد قومية يهودية علمانية ، فاننا نكون معرّضين للسقوط بعيدا عن الخلاص .

لكن القومية اليهودية العلمانية هي مجرد خداع للنفس لان روح اسرائيل ملتصقة بروح الله لدرجة ان اي قومي يهودي يجب عليه ، بالرغم منه وبصرف النظر عن قوة علمانيته ، أن يعترف بالالوهية . ان الفرد يستطيع قطع صلته بالحياة الازلية ، ولكن بني اسرائيل ككل لا يستطيعون فعل ذلك لان كل ممتلكاتهم القومية العزيزة من ارض ولغة وتقاليد وتاريخ هي عروق تجري فيها روح الرب .

كيف يمكن للمؤمنين ان يتجاوبوا مع عصر الغليان الايديولوجي الذي ينادي بالقيم باسم القومية وينكر الله الذي هو مصدر الروح القومية ؟ ان علينا ان نعي ان معارضة القومية اليهودية ولو بالكلام وتحقير قيمها ليس مسموحا بها وذلك لان روح اسرائيل وروح الله هما شيء واحد . ومن واجب العلمانيين ان يعملوا جهدهم للكشف عن النور والقدسية في روحنا القومية التي يشكل العنصر الالهي قلبها . وسوف يرون انهم سيكونون بذلك مضطرين لادراك كونهم منغمسين في الحياة الالهية ومنغمسين بشعاعها القدسي الذي ينبعث من الاعالي .

وبالرغم من ادراكنا للاخطاء الفاحشة في حياتنا بشكل عام وفي ارض اسرائيل بشكل خاص علينا ان نشعر باننا نولد من جديد وباننا نخلق مرة اخرى كما خلقنا في بداية الدهر . ان تراثنا الروحي بأجمعه قد عاد الى مصدره وهو يظهر الآن بشكل جديد اقل مادية ، ولكنه غني

بالروح ومفعم بالقوة والحيوية . اننا مدعوون الى عالم جديد مشبع بالنور السامي ، والى عصر سيتفوق مجده على جميع العصور السابقة . جميع أبناء شعبنا يعتقدون باننا نعيش بداية خلاصنا النهائي، هذا الايمان العميق هو سر وجود هذا الشعب، هو السر الالهي في تجربته التاريخية. هذا الحديث القديم عن الخلاص يؤكد وجود النور الروحاني الذي من خلاله يستطيع اليهودي ان يعي ذاته ، كما يستطيع ان يدرك معنى جميع احداث التاريخ حتى الجيل الاخير الذي ينتظر الخلاص الذي بات في متناول اليد .

ان متطلبات جسدنا كبيرة جدا . نحن نحتاج الى جسد صحيح فقد صببنا اهتمامنا على الروح واهملنا قدسية الجسد وكذلك اهملنا قوانا الصحية والطبيعية وغاب عن اذهاننا ان جسدنا مقدس كروحنا . لقد ادرنا ظهورنا عن الاهتمام بحياتنا الطبيعية وعن تطوير احاسيسنا كما اهملنا كل ما له علاقة حسية بحقيقة الجسد لاننا اصبحنا فريسة لمخاوفنا . كان ينقصنا الايمان بقدسية الارض . « ان الايمان يمكن التعبير عنه بقوة الحياة في الزرع فالانسان يمكن ان يبرهن عن ايمانه بالحياة الازلية عن طريق الزراعة » (١) .

ستتحقق عودتنا فقط اذا ما رافقت عظمتنا الروحية عودة الى الجسد من اجل خلق جسم صحيح قوي وعضلات قوية تغلف روحا ملتهبة . عندئذ ستشع الروح الضعيفة من داخل الجسد القوي المقدس كرمز لقيامة الجسد من الموت .

---

١ ــ السبت ٣١ . الاشارة هنا هي الى القسم الاول من المشناه وهو التشريع اليهودي الذي ظهر في القرن الثاني ويتعلق بالزراعة .

صموئيل حاييم لانداو (١٨٩٢ ـ ١٩٢٨) Samuel Hayyim Landau

زعيم صهيوني ديني وفيلسوف

بولوني المولد والاصل ، ينحدر من عائلة حاصدية اشتهرت بشدة التقوى والتدين . اجتذبته الحركة الصهيونية الدينية في سن مبكرة ، فوصل الى مركز قيادي رفيع داخل تلك الحركة . واخذ منذ مطلع العشرينات يعمل دون كلل في سبيل تنظيم الجناح العمالي داخل حركة مزراحي ، وهو الجناح المعروف بـ «هابوعيل هامزراحي» ـ اي عمال المزراحي. ولقد مارس الرجل نشاطا واسع النطاق في حقل الريادة الصهيونية ، وتزعّم حملات جمع الاموال الصهيونية داخل بولونيه . ثم جاء الى فلسطين عام ١٩٢٥ ليتابع نشاطه الصهيوني ويعمل في خدمة الاهداف الدينية للحركة .

يبرز اسم صموئيل حاييم لانداو في تاريخ الصهيونية باعتباره مؤسس الاتجاه الذي تبلور داخل الصهيونية الدينية واصبح يعرف تحت شعار « التوراة والعمل » (Torah Ve-Avodah) . ان حركة « التوراة والعمل » هذه تؤلف جماعة داخل حركة مزراحي الصهيونية . ولقد اراد لها لانداو ان تشدد على الاهمية الاساسية للعمل الديني ، او على الجمع بين العمل والشرع اليهودي التقليدي . كما ينطوي هذا الاتجاه الذي تزعّمه لانداو على ضرورة المشاركة من جانب الصهيونية المتدينة في النشاط الاستعماري والاستيطاني بفلسطين، لئلا يصبح هذا النشاط وقفا على الصهيونيين العلمانيين دون سواهم.

فالحلم الذي راود لانداو واتباعه يتطلع الى تجديد الديانة اليهودية وافساح المجال امام نوع جديد من التقوى النابعة من تراب فلسطين . اما التجديد المنشود فانه يهدف الى تحرير الديانة اليهودية من معقلها المألوف بين الطبقات الوسطى والى تطعيمها ببعض الافكار الاشتراكية التي سادت اوساط الشباب اليهودي في اعقاب الحرب العالمية الاولى .

انضم لانداو الى حركة مزراحي بعد نهاية الحرب الاولى ، وسرعان ما اصبح الناطق الايديولوجي البارز بلسان الفئات الشابة داخل الحركة . فراح يستنهض الهمم في سبيل الريادة الصهيونية والهجرة الى فلسطين ، مثلما اضفى الطابع الاشتراكي على صهيونيته الدينية .

قضى السنوات الثلاث الاخيرة من حياته في فلسطين (١٩٢٥ ـ ١٩٢٨) بعد ان جرى انتخابه لعضوية المكتب المركزي في الحركة الصهيونية الدينية . وتدور معظم افكاره حول اعتبار « السكن في فلسطين » بمثابة واجب ديني وتكليف قومي . فالامة هي المفهوم المطلق في برنامج الصهيونية وجميع القيم الاخرى تستمد مغزاها بقدر ما تكون ادوات في سبيل

تحقيق هذا المطلق . ويبلغ به تاليه « الامة » الى درجة القول: « حتى ان اعادة بناء الارض تاتي في مرتبة ثانوية ، لان الارض اوجدت لاجل الامة وليس الامة في سبيل الارض » .

نحو تفسير لايديولوجيتنا (١٩٢٤)

لقد اعطت **اليهودية** ، الدينية منها بشكل خاص ، اهتماما كبيرا لاعادة بناء ارض اسرائيل ، فقد اعتبرها احباء صهيون واجبا قوميا ، واما المتدينون فاعتبروها بمثابة وصية سماوية تعادل في اهميتها بقية الوصايا الموجودة في التوراة . ولذلك ، يمكن اعتبارها من وجهة النظر اليهودية ، غاية بحد ذاتها ، وان الواجب نحو هذه المهمة غير مشروط حتى بالولاء القومي . « ان الاقامة في الاراضي المقدسة هي احدى الوصايا » ، هذه الوصية يمكن تفسيرها على انها قومية او دينية ، ولكنها في حقيقتها مجردة ورمزية . لقد فهم دور الامة في عملية اعادة بناء الارض فقط من خلال اطاعة ابنائها لهذه الوصية بدون ان يكون لها علاقة بالوجود القومي والشخصية القومية للشعب اليهودي . ان وجهة نظر كهذه لا يمكن ان تشكل مصدر وحي لجعل شعبنا يعيد بناء ارضه ، فقد كان تأثيرها سلبيا لان وصية الاقامة في الارض كما فهمت ، هي وصية لكل فرد يهودي يمكنه العمل بها بطرق مختلفة ليس لها علاقة البتة باعادة البناء بشكل حقيقي .

لقد اتت الصهيونية الى العالم تعلن تغييرا اساسيا ، فقد اكدت ان فكرة القومية هي القيمة الاساسية بالنسبة لشعبنا . وان برنامج الصهيونية بجميع جوانبه يدور حول هذه الفكرة ، وكل القيم القومية الاخرى لها اهمية فقط بقدر ما يمكن استخدامها من اجل خدمة هذه القيمة المطلقة التي هي الامة حتى ان اعادة بناء الارض امر ثانوي لان الارض خلقت من اجل الامة وليس العكس هو الصحيح .

يتبع الجناح الديني في الحركة القومية اليهودية في تفكيره هذه النظرة فهو يعتبر ان اعادة بناء ارض اسرائيل هو تلبية للوصاية الالهية المشار اليها سابقا وان هذه الوصية مغروسة في فكرة الانبعاث القومي . ألم تعلمنا التوراة « بأن التوراة قد خلقت من اجل اسرائيل ؟ » لذلك فان من الواضح ان هدفنا النهائي في الانبعاث القومي هو الذي يحدد لنا هذه النظرة . ويمكننا الاعتراف بأن هذه الخطوط لا يمكن الاستغناء عنها كما هي متضمنة في احدى قيمنا المطلقة . وحتى ان فكرة (التوراة والعمل) التي تشكل اساس معتقدنا لخلق ارض اسرائيل من جديد ، يجب ان تقاس بهذا المقياس ايضا .

والآن ماذا نعني بالتوراة ؟

ان للتوراة ، التي هي تراث اسرائيل، معنيين اساسيين: الاول التوراة كشريعة يجب على كل فرد يهودي ان يطيعها ، بينما يتضمن الثاني التوراة ككل ، كروح قومية، كمصدر لثقافة الشعب اليهودي وحياته ، اي الجوانب القومية والجماعية للتوراة ، (طبعا هذه الافكار ليست بجديدة) . ليس للتوراة بحد ذاتها علاقة بالامة كأمة ولكنها تربط بين ابناء اسرائيل كأفراد ، وحسب هذا المعنى هي واجب ملقى على كل يهودي في بلاد الشتات وبدرجة اكثر في ارض اسرائيل . وعلى اي حال ، هذا لا يتضمن اية علاقة جوهرية محددة بين التوراة وعملية البعث في ارض اسرائيل . اما المعنى الثاني للتوراة ، كروح جماعية للشعب ، فانه يتضمن علاقات مختلفة كليا . ان التوراة ، حسب هذا المعنى ، تتخلل عملية الانبعاث القومي كليا وتظهر كأنها العلة والنتيجة في آن واحد ، ولذلك فان علاقتها بجوهر الانبعاث كعلاقة اللهب بالجمرة المتوهجة . لا يمكن تصوّر الانبعاث القومي بعيدا عن الروح القومية « لان شعبنا ليس شعبا الا من خلال التوراة » ، وان روح شعبنا لا تستطيع التعبير عن نفسها الا اذا عادت الحياة القومية الى ارضنا من جديد لان « القبس الالهي لا يؤثر في شعبنا الا وهو في ارضه » .

بهذا المعنى وبه فقط تكون التوراة اكثر من امر يجب على كل فرد يهودي كما على كل فرد من افراد الطليعة القومية في الاراضي المقدسة ان يطيعه . انها المحرك الاولي والعنصر الجوهري والسبب الفعال للنهضة القومية ، وهي كذلك اكثر من رمز او شكل لاي من الحياة الفردية او الجماعية ، انها المصدر الروحي النهائي لحركتنا .

كل ما قيل عن التوراة ينطبق على (Avodah) (العمل) . الظاهر ان هناك اتفاقا عاما على ان العمل عنصر مهم في استيطان ارض اسرائيل ، وان على جميع من يأتون او يرغبون في المجيء ، ان يعملوا ، وانه يجب ان يكون الحق في الهجرة (Aliyah) فقط لاولئك الذين هم مدربون على العمل ومستعدون . وعلى كل حال ، فاننا يجب ان لا نستنتج من هذا بان العمل، كمثل اعلى وكعنصر اساسي وجوهري من الفكرة العامة لانبعاثنا القومي ، قد انتشر في حركتنا القومية . ان الاشارة الى ضرورة العمل وفائدته لا تعني بالضرورة القبول بالفكرة التي ولدت في اذهان المؤسسين لطليعة الحركة العمالية في ارض اسرائيل بأن العمل كفكرة وكقيمة له القوة في ان يؤثر على ولادتنا القومية الجديدة . ان العمل عندما يكون بعيدا عن الالتزام الثقافي ويوجه حسب اهداف واتجاهات العامل الصحيحة يستطيع الارتفاع ليس

الى مستوى الواجب على الصعيد الفردي فحسب بل الى البعث القومي .

ان هذه الفكرة بحاجة الى تبسيط اكثر . ماذا يعني « العمل » ؟ اذا اعتبر العمل حلا لمشكلة اقتصادية ، فلن يكون له اكثر من علاقة زمنية من يوم لآخر مع الحركة القومية . ان له تأثيرا على افراد الامة ، ان كانوا اقلية او اكثرية ، ويشمل المجتمع من الناحية الكمية فقط من خلال الافراد الذين يتألف منهم هذا المجتمع ، ولكنه لا يشمل « الحياة الازلية » التي هي صفة الشعب . ان تحديد « العمل » بهذه الاعتبارات « العملية » يجعله بحاجة الى قيمة اساسية ايجابية كمنطلق لحركة تريد خلق حياة جديدة . ولتحقيق هذا الهدف ، يجب ان يرتفع « العمل » الى مستوى اسمى متعلق بجوهر الايديولوجية القومية .

ما هو هذا المستوى السامي ؟ البعض يرى فيه الجانب الاخلاقي للعمل . انهم يؤكدون بان التجارة تتم من خلال السرقة والاحتيال ، وبأن حياة العمل وحدها تحوي الامكانات الموضوعية لتنظيم المجتمع على اسس من العدالة والاستقامة . على ان لهذه الفكرة ما يناقضها ، انها تجعل للعمل اهمية اخلاقية باعطائه هدفا انبل من مجرد ملء المعدة . لكن حتى ولا هدف سام كهذا يمكن ان يشكل اساسا لحركة انبعاث قومي . لان الغرض ليس حل مشاكل الحياة الاجتماعية وانما خلق اساس الوجود القومي . فالمسألة الاساسية هي خلق الحياة ، وجميع المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية لها مرتبة ثانوية . والرغبة لجعل « العمل » المنطلق الرئيسي للانبعاث هو تعبير اساسي عن جوهر حركة البعث القومي . ان « العمل » هي الكلمة الجديدة التي تستخدمها الحركة العمالية في ارض اسرائيل . ليس العمل مهما فقط لاسباب اقتصادية او من اجل الاستقامة والاخلاقية الاجتماعية ، مهما سمت هذه القيم ، ولكن من اجل الانبعاث . فكل ما قيل هو مجرد تعليق على الفكرة الاساسية التالية : « العمل » هو الانبعاث القومي بحد ذاته وهو عودة الابناء الى شعبهم المشرد .

لا يمكن اعتبار اسرائيل امة ، او بكلام ادق ، امة حية ، وهي تعيش في المنفى . ان كلمة « امة » تدل على عنصر فريد وهو الشخصية الجماعية والمجتمع العضوي المبدع الذي يزيد عن مجموع افراده . ان الامة كيان قائم بذاته ، وهي كذلك الـ « انا » الجماعية وليست مجرد تجمع افراد . انها ايضا الهيئة التي يمكن للفرد من خلالها ان يتصل بالعالم وبجميع المخلوقات ويصبح جزءا من البشرية والكون .

علينا ان نميز بين « الامة » و « الشعب » . ان كلمة « الشعب » ترجع الى عوامل روحية كصفات النفس والجنس والتاريخ التي تحدد طبيعة المجموع ، بينما تشمل كلمة « الامة » جميع جوانب الحياة بما فيها الضرورات الطبيعية ، والطبقة والمركز ، والاهداف الاقتصادية . كلمة « الشعب » تشير الى العامل الروحي في الحياة القومية ، بينما تعني « الامة » الروح والجسد معا ، الروح كقوة تمنح الحياة لجسدها وتغلف نفسها داخله . وفي المنفى لم تعد اسرائيل امة لها هذه الصفات .

ان الامة التي ليس لها ارض والتي بترت نفسها ، بملء ارادتها او بشكل اضطراري ، عن حياتها الطبيعية ، والتي تخضع الى ارادات ورغبات الآخرين ، لا يمكن اعتبارها امة بالرغم مما لها من عبقرية وصفات روحية وقدرات هائلة . لقد اصبحت الطفيلية ، الواعية واللاواعية ، طبيعتها الثانية على الصعيدين الفردي والجماعي . ان مثل هذه القومية تعرف انها تعتمد في حياتها وخبزها اليومي على الآخرين ، وكذلك فانها تعتبر نفسها مجرد تابع للامم الاخرى وليس كشيء قائم بذاته ـ ومن هذا ينتج الاتجاه السلبي نحو العمل والانتاج وعدم اعتبار العامل شريكا في عملية الخلق الالهية وكذلك الشعور بالشفقة والاحتقار لاي شخص « يجب » ان يصبح عاملا . وبشكل مختصر « عندما ينهار شعب » ... في مثل هذا المجال يجب ان تبدأ اعمال النهضة التي تهدف الى اعطاء حياة جديدة وشخصية جماعية لجماعة مبعثرة متحللة ، ولتحويل هذه الجماعة الى « امة » باعادة الشروط الضرورية واللازمة لكيانها القومي . هذا هو مصدر الرغبة في العودة الى صهيون وروحانية الحركة العمالية .

العمل هو بداية اعادة بناء آثار امتنا . ان الحياة القومية تعني الاستغلال الكلي الخلاق ، وكذلك تعني الحركية والسيادة والوجود المنفصل . انها تتطلب اعلان حرب ، اسلحتها العمل والابداع ، على جميع اشكال الطفيلية . لذلك يمكن اعتبار العمل بداية الانبعاث واساسه .

هناك فرق اساسي بين حركة عمالية بهذا الشكل والحركات البروليتارية بشكل عام ، فهذه الاخيرة تهتم بمسألة النظام الاقتصادي او بالعدالة الاجتماعية كحد اقصى . وكذلك فان شرطا سابقا لمثل هذه الحركات هو وجود حياة تعمل هي على اصلاحها . ان هذا هو الوضع الطبيعي والواضح بين جميع الامم التي تحيا حياة قومية على ارضها الاصلية بصرف النظر عن وضعها الاخلاقي . اما الحركة العمالية في ارض

اسرائيل فتواجه مشكلة تختلف اختلافا كليا عن هذه المشكلة ، لان واجبها هو خلق البدايات الاولى للحياة القومية .

يتطلب هذا التمييز الاساسي بين الحركات العمالية المتشابهة ظاهريا اظهار فروق اخرى في افق النشاط والتكتيك الذي يمكن استخدامه لتحقيق اهداف كل منها . هذا ومما لا شك فيه انه كلما قربت الحركة العمالية في ارض اسرائيل من برنامج الحركة البروليتارية العامة ، تكون بذلك قد اصبحت غريبة عن شكلها الصحيح ، وتنكر بذلك الفكرة التي منحتها الحياة ، وكذلك فانها بذلك تفرغ جوفها من محتواها القومي الروحاني وتستبدله بقيم غريبة ومضادة للروح التي كوّنتها عند ولادتها. ولكن موضوعنا الحالي هو الفكرة او الجوهر الروحي للحركة العمالية وليس ضلال اولئك الذين يجعلونها تتصرف في الحياة الواقعية بطريقة غريبة عن حقيقتها . فالذي انا بصدد تعريفه هو مبدأ «العمل» Avodah وطريقة الحياة التي تنجم عنه .

بعد هذه الملاحظات العامة عن كلمتي « التوراة » و «العمل» اود ان اتحدث باختصار عن علاقتهما كشعار لحركة شباب مزراحي .

لقد بيّنا سابقا ، ان البعث القومي هو القيمة المطلقة لكل من التوراة والعمل ، فالتوراة كطريقة حياة تشمل الحياة بكل تشعباتها ، من الاكثر مادية الى الاكثر قدسية، ومن الاكثر دنيوية الى الاكثر روحانية، فالتوراة شرط سابق للحياة القومية التي تستنير بها وتعتمد عليها . ومع انه من الممكن للافراد وللمجتمع الذي هو عبارة عن تجمّع افراد ان يعملوا بجميع وصايا الدين بما فيها تلك الشرائع التي تنطبق على اولئك الذين يقيمون في ارض اسرائيل ، فان « التوراة » بمعناها الواسع والصحيح ـ الحياة متشربة في التوراة كما ان التوراة متشربة في الحياة ـ لا يمكن تحقيقها الا من قبل اسرائيل كأمة ومن قبل الافراد المرتبطين عضويا بالامة. ان هذا هو المعنى الحقيقي لبعث امتنا على ارضها .

الشيء ذاته ينطبق على « العمل » . « فالعمل » بأوسع واشمل معانيه كسبب لخلق امة واعادة تأسيس حياتها ، مرتبط بشكل لا يمكن فكه ، بالحركة القومية. لذلك فان هاتين الفكرتين : « التوراة » و «العمل» هما شكلان لجوهر واحد، هو الانبعاث الذي يتطلب منهما ان يبلغا مداهما.

ان « التوراة والعمل » متحدان بسبب اصلهما الروحي وهدفهما

النهائي ، ولا يمكن فصلهما بعضهما عن بعض دون اصابتهما بجروح قاتلة ، لانه لا يمكن تصور حدوث نصف كيان او نصف انبعاث .

لا يمكن ان تولد التوراة من جديد بدون العمل وكذلك لا يمكن ان يولد العمل كقوة مبدعة في بناء الامة من جديد بدون التوراة التي هي جوهر الانبعاث .

هذه هي ايديولوجيتنا بجميع جوانبها .

الحاخام يهوذا ليون ماغنس (١٨٧٧ ـ ١٩٤٨)

Rabbi Judah Leon Magnes

حاخام اميركه واول رئيس للجامعة العبرية

مولود في مدينة سان فرنسيسكو . ينتمي الى الجيل الاول من اليهود الاميركيين الذين هاجر آباؤهم خلال القرن التاسع عشر من بلدان اوروبه الشرقية . كانت عائلته متأثرة بالحركة الدينية الحاصدية فيدعوتها لمحبة الناس والاخاء بين الغني والفقير والفرح في العبادة والاتصال الصوفي بالله . وكانت نزعة « حب صهيون » قد تأصلت في العائلة .

حصل ثقافة يهودية تقليدية وما لبث ان اخذ يتقرب من الحركة الاصلاحية في اليهودية. ثم دخل « هيبرو يونيون كوليدج » (١٨٩٤) وجامعة سنسيناتي في آن واحد . وبقي فيهما ستة اعوام . وحوالي عام ١٨٩٥ بدأت تطرق سمعه دعوة « احياء صهيون » فبلغ به الحماس حدا جعله يكتب مقالا في المجلة الاصلاحية بعنوان « فلسطين او الموت » . ثم سيم حاخاما عام ١٩٠٠ وخدم في هيكل سان فرنسيسكو قبل ان يذهب الى برلين لمتابعة تخصصه في حقل المعارف اليهودية . وهناك درس التلمود والتاريخ وفلسفة الدين وعلم الموعظة الدينية والاخلاق . وتعرّف على عدد من الصهيونيين المتحمسين ، كان احدهم الحاخام اميل برنارد قد الف فيما بعد كتابا يهوديا على غرار كتاب هتلر بعنوان «كفاحي». ثم تعاونوا على تأليف جمعية دعوها « جمعية الطلاب القومية » وسعوا لتعلم اللغة العبرية على يد احد اليهود الفلسطينيين . تعرّف على العديد من العلماء والباحثين الذين عارضوا الصهيونية وصرفوا جهودهم في محاربة العداء للسامية وتأثر بتعاليم احد هاعام في الصهيونية الروحية والثقافية حتى صار من دعاتها المتحمسين والمخلصين . وامتلكت عليه الصهيونية عقله ، فتحوّل العطف الى عاطفة واصبحت الحركة بمثابة رسالة . فانعكس ذلك كله في موقفه من الحياة .

اخذ يحضر مؤتمرات الصهيونيين الالمان واشترك في التظاهرات تأييدا للبوير واحتجاجا على الحرب الامبريالية البريطانية . انتقل الى جامعة هايدلبرغ ومنها راح يقوم بزيارة الجماعات اليهودية في منطقة الراين . وقام في عام ١٩٠٢ بجولة في القسم الالماني من بولونيه وغاليسيه سيرا على الاقدام حيث تعرّف الى حياة اليهود فيها ، واعتبر جولته بمثابة العودة الى جذور آبائه ومحاولة لتهويد نفسه . ونال شهادة الدكتوراه في اللغات السامية من جامعة هايدلبرغ عام ١٩٠٢ .

عاد من المانيه (١٩٠٣) ليصبح حاخاما لرعية اصلاحية وقبل منصب امين المكتبة في الكلية التي تخرّج منها ومدرسا لترجمة الكتاب المقدس في آن واحد. فوجد الفرصة سانحة

لبث دعوته الصهيونية ونشر افكاره في النهضة العبرية بين الطلاب والشباب . ثم اسس النادي الصهيوني في المدينة . وما لبث ان انتقل الى نيويورك ، فشغل منصب سكرتير الاتحاد الصهيوني الاميركي ١٩٠٥ – ١٩٠٨ وتزعّم الاحتجاجات على المذابح الروسية . ثم اصبح حاخام ابرز رعية اصلاحية في اميركه ، هيكل عمانوئيل (١٩٠٨ – ١٩١٠) ، واختلف معها حول تقليديته الدينية . وحين قضى عاما في خدمة كنيس محافظ (ابناء يشورون) لم ترق له تلك الليبرالية المعتدلة في الدين . فانصرف الى تنظيم جماعته الخاصة على اساس « كحيلاه » Kehillah اي « الجماعة اليهودية الموحدة » التي تدير اجهزتها التعليمية والدينية والاجتماعية بنفسها (١٩٠٨ – ١٩٢٢) .

وانشأ «جمعية ترقية الدين اليهودي» Society for the Advancement of Judaism التي ترأسها حتى عام ١٩٢٠ . وحين اندلعت الحرب العالمية الاولى كان من دعاة الموقف السلمي ومارس نشاطه المسالم بشكل اغضب الاتحاد الصهيوني واضعف مكانته لدى الطائفة التي اشرف على تنظيمها . وعلى الرغم من الجهود التي بذلها في اعمال الاغاثة وفي تنظيم لجنة التوزيع المشتركة ، فانه اخذ يبتعد عن الصهيونية الرسمية . واستقال عام ١٩١٥ من الفرع الاميركي للحركة الصهيونية . ولم تعد الصهيونية تعني في نظره اقامة الدولة اليهودية او العمل السياسي من قبل الجماهير اليهودية ، بل اصبحت بمثابة صيغة دينية للدعوة التي نادى بها احد هاعام في الاحياء الروحي .

سبق له وحضر المؤتمر الصهيوني السادس فايّد الذين رفضوا مشروع يوغنده . وحاول التوسط بين الفرع الاميركي لجماعة عمال صهيون (بوعال صهيون) (١٩٠٣) والمنظمة للصهيونية في اميركه . ودعا الى توسيع التدابير في الدفاع عن النفس لتشمل المستوطنات اليهودية في فلسطين . فنال اعجاب الزعماء الصهيونيين الروس : يوسشكين وسوكولوف وبيالك وكلاوزنر وجابوتنسكي . وتوطدت عرى الصداقة بينه وبين حاييم وايزمان ، اذ عملا سوية لتحقيق فكرة الجامعة العبرية في القدس .

زار فلسطين للمرة الاولى عام ١٩٠٧ بطريق بيروت . وتفقّد الجامعة الاميركية حيث كان يعرف احد الخريجين اليهود ، الدكتور شمشون بندرلي من صفد . وحين توقف عند نهر الليطاني خطر له ما يلي : « هل سيكون حظنا المساعدة ام الحرب من جمهورية لبنان يوما ما في المستقبل ؟ » وكانت افكاره تدور حول توسع الوطن اليهودي . وفي بيروت زار مدرسة الاليانس الاسرائيلية وحيّا طلابها بالتحية العبرية «Lehitraot» = الى اللقاء في ارض اسرائيل .

ثم زارها للمرة الثانية برفقة زوجته عام ١٩١٢ . وسعى لدى عودته الى اميركه لحمل الثري اليهودي جوليوس روزنفالد على التبرع بسخاء لمساعدة المحطة الزراعية التجريبية التي اقامها آرون آرونسون . ولم يساوره الشك مطلقا بانه لو قدر له الخيار بين الولاء لاميركه والولاء ليهوديته لكان الولاء الثاني ياتي في الطليعة .

وانتقل نهائيا الى فلسطين عام ١٩٢٢ لكي يكرس جهوده لاقامة الجامعة العبرية . فاتصل بجابوتنسكي الذي دعا الى « جامعة شعبية » تستهوي جماهير الشعب اليهودي وتجتذبها ، « على غرار الكلية الاميركية في بيروت » ، وتكون مؤلفة من كليات ثلاث : الفلسفة والطب والتجارة . لكن ماغنس تصور الجامعة كمؤسسة للتعليم العالي تهتم

بالنواحي التالية : (١) اليهودية (٢) الانسانيات والعلوم (٣) الجمع بينهما بالنسبة لليهود والعالم . فأسس معهد الدراسات اليهودية عام ١٩٢٤ . ثم اصبح عميد الجامعة بعد افتتاحها (١٩٢٥) ورئيسها منذ ١٩٣٥ .

شدد على الاساس الاخلاقي لقيام الاقلية اليهودية في فلسطين وادرك ان الصهيونيين لم يعملوا من صميم قلبهم على احلال التعاون والصداقة مع العرب . فاسس مع جماعة من مؤيديه « عهد السلام » Brit Shalom، ١٩٢٦ ، لتعزيز التفاهم والتعاون بين العرب واليهود . ودعا الى تقييد الهجرة كي لا يصبح اليهود اكثرية في فلسطين . وكان من اعضائها : آرثر روبين وهوغو برغمان وهانز كوهن و س. لوريا ، و هـ.م. كالفاريسكي. ونادى برنامجها بانشاء دولة مستقلة مزدوجة القومية على اساس التساوي في الحقوق والخدمات العامة . وتعرّف لهذا الغرض الى كل من جمال الحسيني وعوني عبد الهادي وموسى العلمي واقام صداقات معهم . والتقى عددا من الزعماء العرب بينهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، في القاهرة ، ١٩٣٠ . وزار مصر عدة مرات لتوطيد علاقات الصداقة برؤساء الجامعات المصرية . ومن الذين تعرّف عليهم طه حسين ، عميد جامعة الاسكندرية آنذاك .

وقد تابع معارضته للسياسة الصهيونية الرسمية وابدى كل تحفظ تجاهها . كان بعيد النظر حين قال عام ١٩٣١ : « انا لست مستعدا لمنح اليهودي عدالة عن طريق الحاق الظلم بالعربي . فمن الظلم للعرب ان يجري اخضاعهم للحكم اليهودي دون موافقتهم . واذا كنت لا اؤيد قيام الدولة اليهودية ، فذلك يرجع الى السبب الوحيد الذي ذكرته: لا اريد الحرب مع العالم العربي » .

وبعد انعقاد اجتماع بيلتمور ، خريف ١٩٤٢ ، وتبنّيه لبرنامج بن‌جوريون ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية آنذاك ، الرامي الى جعل فلسطين كلها « دولة يهودية او كومنولث » ، ادرك ماغنس مخاطر ذلك وتخوف من ان يؤدي الى الحرب مع العرب . فقرر انشاء جمعية سياسية مستقلة لكي تطرح على بساط البحث مشروع الدولة المزدوجة القومية ودعاها ب « احود » (الاتحاد) «Ihud». وضمت عددا من الاعضاء السابقين في « عهد السلام » ورابطة الصداقة العربية اليهودية التي حلت محلها ونفرا من المهاجرين الجدد القادمين في المانيه والنمسه وغيرهم من الشخصيات امثال مارتن بوبر وارنست سيمون . وراح ماغنس يتنادى لعقد الاجتماعات السرية في بيته . وحين طالبت جماعة « الحارس الفتى » الماركسية بفتح ابواب الهجرة على مصراعيها ، ادرك ماغنس ان ذلك لن يحظى بالقبول لدى اي من الاحزاب العربية . وهو الذي لم يؤيد تحوّل اليهود الى اكثرية مطلقا . وقد تعرّض لشتى التهم وهوجمت « احود » بعنف لانها تعمل على تقويض دعائم الوحدة اليهودية . لكن ماغنس لم يتراجع واصر على موقفه ، غير مقتنع (١٩٤٦) بترك الوكالة اليهودية تعرض قضية الدولة الصهيونية امام لجان التحقيق باسم جبهة واحدة . بل مضى يقدم المذكرة تلو الاخرى بالاشتراك مع بوبر وسميلانسكي ويلقي الخطب (في قاعة جمعية الشبان المسيحيين بالقدس ، ١٤ آذار ، ١٩٤٦) داعيا الى اخذ وجهة نظره بعين الاعتبار . وحملت عليه الصحافة الصهيونية في فلسطين وخارجها حملة شعواء وسافر الى اميركه لنشر دعوته . وفي القاهرة التقى بالامين العام للجامعة العربية ، عزام باشا ، داعيا اياه الى تقديم المقترحات البناءة بصدد فلسطين . وفي اميركه اسس جمعية

«الوحدة الفلسطينية» التي نادت بافكار «احود» ، لكنها رفضت ان تصبح الفرع الاميركي لها.

غير ان اكثرية الصهيونيين كانت تؤمن بالعنف والارهاب . وبدات صحته تسوء . لكنه تابع معارضته للتقسيم وتنديده بالنشاط الارهابي الذي اتسع نطاقه على يد الجماعات والعصابات الصهيونية . وما لبث هدف « احود » الاصلي ان تداعى امام احداث عام ١٩٤٨ . فاتجهت انظار ماغنس الى الامم المتحدة والى « ضمير العالم » وايّد اللجوء الى مجلس الامن لتطبيق شرعة الامم المتحدة . ثم انتقل الى اميركه ، في الرابع من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وزاد وايزمان قبل اعلان قيام دولة اسرائيل بيوم واحد . الى ان توفي في ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ .

« مثل بقية الشعوب ؟ » (١٩٣٠)

ان البحث المتعلق بمستقبل النظام السياسي في فلسطين قد بدأ الآن يناقش بشكل موضوعي الى حد ما ، ولكن السؤال الذي لا يزال يبحث عن جواب هو : ماذا نريد هنا ؟ ماذا تعني صهيونيتنا ؟ وماذا تعني فلسطين بالنسبة لنا ؟

بالنسبة للسؤال الاول وهو : ماذا نريد هنا ، فانني سوف اجيب عليه بالكلمات التي ما فتئت استعملها منذ سنين وهي :

الهجرة ،

استيطان الارض ،

الحياة العبرية والثقافة العبرية .

اضمنوا لي تحقيق هذه الاشياء ، وسوف اكون عندئذ مستعدا لاعطيكم الدولة اليهودية ، والاغلبية اليهودية . ومن ناحية اخرى ، فانني سوف اقبل بمجلس تشريعي ونظام سياسي ديموقراطي مصمم بشكل لا يفسح المجال للتأثير على العناصر الثلاثة المذكورة سابقا . وانني لعلى استعداد لدفع اي ثمن من اجل هذه العناصر الثلاثة ، خاصة وان مثل هذا الثمن سيخلق برأيي الطمأنينة والتفاهم المتبادل . اذا كان لليهود علاقة تاريخية حقيقية بفلسطين ـ واي دارس للتاريخ ينكر ذلك ؟ ـ واذا كان يجب ان يوجد الشعب اليهودي في فلسطين ، ليس تحت الاضطهاد (كما كان ايام الاتراك) ولكن في ظل حق معترف به من معظم الحكومات ومن عصبة الامم كذلك ، ومن العرب المتفهمين ايضا ، فبكل تأكيد هذه العناصر الثلاثة اساسية ولا يمكن مناقشتها .

انا لا اصدق ، سواء كنت في ذلك اعتمد على مزاجي الشخصي او على ظروف اخرى ، بأن الشعب اليهودي بدون فلسطين يتعرض للموت ويواجه الدمار المحتوم وانا اظن بان كل الحقائق هي ضد هذا الاعتقاد . وعلى العكس ، فان الاعتقاد الذي بدأ يقوى ويجب ان يقوى اكثر هو ان فلسطين بدون وجود جالية يهودية في ارض الشتات ستفقد كثيرا من اهميتها كمركز روحي ليهود العالم . انني ارى ان للحياة اليهودية ثلاثة عناصر رئيسية سأوردها حسب اهميتها : اولا : الشعب اليهودي الموجود وعدده حوالي ستة عشر مليون شخص ، ثانيا : التوراة ، بأوسع معنى لهذه الكلمة ، اي كل ادبنا ووثائقنا وتاريخنا وكذلك جميع المثل الدينية والاخلاقية والاجتماعية العظيمة المذكورة في التوراة التي تفيد في عملية التطور في الحاضر والمستقبل ، وثالثا : ارض اسرائيل . وفي رأيي ، ان الشعب والتوراة يمكنهما ان يوجدا ويكونا مبدعين كما كانا وما يزالان موجودين ومبدعين بدون الارض ، اما الارض فهي احدى الوسائل الرئيسية ، بل هي الوسيلة الرئيسية ، لاحياء وتعميق الشعب والتوراة .

ان الشعب اليهودي الموجود حاليا عنصر اساسي ، فهو الذي يحمل ويستوعب اليهودية والروح اليهودية كذلك. لقد استخدم ، حتى منفاه من اجل نشر العلم والنور . وفلسطين تمكن هذا الشعب من معرفة نفسه ومن وضعها في مكانها الصحيح من اجل اغناء ثقافته وتعميق فلسفته وتجديد دينه . وكذلك فانها تساعد هذا الشعب في تأدية رسالته الاخلاقية العظيمة ككيان قومي ــ اممي . ولكن هذا الشعب الخالد ليس بحاجة الى دولة يهودية من اجل حفظ وجوده الاساسي ، فالجالية اليهودية في جميع انحاء العالم هي عبارة عن جماعة عجيبة متناقضة . فهي تشارك في حياة كثير من الامم ، ومع هذا وبالرغم من محاولات عديدة في الماضي والحاضر ، لم تندمج هذه الجالية مع تلك الامم . اذ ان لها شعورا وطنيا في كل بلد تعيش فيه ، وهي في الوقت نفسه اممية وكونية .

لا يمكن ان تحل فلسطين المسألة اليهودية للشعب اليهودي ، فحيثما يوجد يهود تكون هناك مسألة يهودية . انه جزء من المصير اليهودي ان يواجه اليهود هذه المسألة ويجعلوها ذات معنى بالنسبة للبشرية .

كذلك فان اليهود ليسوا في حالة نزاع اخير رغم ضعفهم واختلاطهم بالزواج مع بقية الشعوب وجهلهم باليهودية ، ورغم تلف كثير من اجزاء هذا الجسم . انا ارى انهم يعيشون في اميركه بحالة افضل وقد ازدادوا عددا

وقوة فكرية . ان قلوبهم تستجيب لكل نداء يهودي ، فهم يضاعفون جاليتهم وكنسهم ومدارسهم وجمعياتهم ومكاتبهم واتحاداتهم . كذلك اصبح لهم استقلال اقتصادي ، وبدأ ابناؤهم وبناتهم يحصلون على ما تلقنهم اياه الجامعات والكليات . اما من جهة اليهودية فهم جاهلون ، ولكنهم يلّحون ، عبثا ، من اجل تعليمهم مختلف جوانب اليهودية وقد لا يكون عدم ايصال الجواب بسرعة غلطة المدرّسين ، فاليهودية ظاهرة معقدة ، انها دين وفلسفة واخلاق وسياسة واحتفالات دينية وحياة وانها في الوقت نفسه ليست كل هذه الامور . ان الجواب على ما هي اليهودية وما يمكن انتعنيه بالنسبةللاجيال الحالية لا يمكن ان يأتي في ليلةواحدة.

هذه الايام هي ايامختمار في العالم كله وكذلكفي اليهودية نفسها. المادة موجودة وهي في يد الفخّاري ، وان فلسطين يمكن ان تساعد في سكب هذا الصلصال أكثر من اي عامل آخر . ولكن فلسطين يجب ان تخدم الشعب اليهودي الذي يعيش في مختلف بلاد العالم . انه شعب يتألف من مواطنين مندسين في حياة مئات المجتمعات ، ومع هذا فانهم يعطون البرهان على تلك الظاهرة الغامضة غير القابلة للتغير وهياستمرار وجودهم كجماعة مستقلة ومنفصلة. انهم مبعثرون ولكنهم يشكلونجسدا واحدا ، وهم غير منظمين ولكنهم يتصلون ببعضهم من خلال رباط روحي اشد من اي تنظيم . ونحن نستطيع ان نرى بان هذا الشعب يقدم من ابنائه، وهو في بلاد المنفىمفكرين فيالآداب والعلوم وجنود منأجل تحقيق مصير انساني افضل . ان هذا الشعب المبعثر في الشتات اداة عجيبة من اجل تأدية وظيفته كمعلم . والتشتت حقيقة تاريخية لا يمكن تغييرها وفلسطين وسيلة لجعل هذه الحقيقة اكثر بركة وفائدة .

لسوء الحظ ، اننا نسمع كثيرا عن الصهيونية التي لم تولد نتيجة للعلاقة الايجابية نحو تلك الحقيقة العظيمة التي تسمى الشتات ولكن نتيجة لليأس . انها صهيونية كرهتالحارة اليهودية (التي تعتبرها مرادفا للتشتت) ، وذلك بسبب اليأس من مستقبل يهودية الشتات . انها تحب اليهود واليهودية ، ولكن على طريقتها الخاصة لدرجة ان وجود اليهود واليهوديةيعتبر مستحيلا اذا لم تهيأ فلسطينالحاليةلتقوم بدور المخلّص.

ان فلسطين هي مركز هذا الجسم ولكنها ليست كله بأي شكل من الاشكال . فالتشتيت وفلسطين ضروريان من اجل النمو الكامل للشعب اليهودي . هذا الشعب الفريد من نوعه لا يمكن ان يرضى باي منهما

لوحده . هـذا الجسم الذي له طابعه الخاص والذي نسميه الشعب اليهودي هو بحاجة الى مثل هذه الاشكال الشاملة والمعقدة ـ يحتاج الى مركز ثقل قوي كما يحتاج الى مناطق خارجية قوية ايضا ـ فالخلاص التام والقوة الفعالة لليهودية تعتمد على هذين الامرين معا .

ولكن اذا كنا نمجّد الشتات هكذا، فماذا تعني فلسطين اذن بالنسبة لنا ؟ انها ارض اسرائيل ، ارضنا المقدسة ، انها مقدسة بالنسبة لنا بشكل عملي وبشكل صوفي وغيبي . ان قدسيتها تجذب شبابنا وشيبنا ، المتدينين منهم وغير المتدينين ، من اماكنهم البعيدة . انهم يريدون العمل في تربتها، يريدون العمل لاقامة مجتمع اخلاقي وبذلك تصبح الارض اكثر قدسية . ان مناظرها الطبيعية والوانها تساعد كل طفل منا وكل رجل بسيط على تذوق ادبنا الكلاسيكي وعلى فهم تاريخنا . انها تساعدنا ، كما لا يساعدنا اي شيء آخر على ان نكشف عن انفسنا وعلى ان نغوص الى مصادر كياننا كما هي مسجلة لنا وكما نحس ونفهمها بين تلك التلال والوديان والصحارى ، وبين اولئك الناس ، ومع ان هذه المصادر غريبة وموحشة الا انها متصلة . ان مصادر كياننا هي التاريخ ، ولكن هل للتاريخ كل هذا المعنى الكبير ؟ يستطيع الانسان كفرد ان يحيا بدونه ، واما المجتمع فيصبح مخيم بدو بدونه . فاذا اردنا ان نحيا ، يجب ان يكون فهمنا للتاريخ والادب اكثر عمقا . ولقد خدمت فلسطين اسرائيل في هذا المضمار لعدة قرون مع انها لم تكن سوى مثل اعلى بعيد المنال . ان فلسطين في حقيقتها عبارة عن ملف كتب عليه تاريخنا ونشر امامنا لنطلع عليه .

لقد اعطت هذه الارض الصغيرة المسكينة ثلاثة اشياء عظيمة خلال جيلين ، اولا اصبحت العبرية حيّة وبذلك اعادت لنا ولابنائنا اصول تاريخنا كواسطة للتعبير اليهودي الكلاسيكي . اما الشيء العظيم الثاني فهو عودة اليهود الى التربة ليس من اجل تأمين معيشتهم منها ولكن حبا بهذه التربة الخاصة واهتماما بعلاقتها التي لا يمكن فصلها عن الشعب اليهودي . وثالثا المحاولة الشجاعة التي يقوم بها ابناء المدن وشباب المدارس من اليهود ـ من العصريين جدا ـ للعمل في الحياة وفي المدن وفي الارض ، كتوفيق ما بين نظريتهم الاجتماعية الراديكالية ويهوديتهم التقليدية . ان العالم باجمعه يعاني كثيرا في حل مثل هذه المشاكل ، ولم تقم اية محاولة اعظم من هذه التي يقوم بها اليهود اليوم للتوفيق بين مثل

هذه الامور ، ان كان في الحياة اليومية العادية او على الصعيد النظري وحده .

ان بداية كل هذا ، وما هو اكثر من البداية حصل اثناء الحكم التركي، ولفلسطين الاهمية والقدرة لتعطينا الكثير مع ان جاليتنا هنا لا تزال فقيرة وقليلة . ولقد اشرت سابقا الى انني لا اريدها فقيرة وقليلة ، ولكن ان كانت فقيرة وقليلة ومخلصة لليهودية افضل من ان تكون فقط كبيرة وقوية كجميع الامم .

انه لمن الاحتقار لليهودية والتقليل من الاهمية الحقيقية للشعب اليهودي ان نضعهما في جانب من الميزان وان نضع على الجانب الآخر الجالية العربية في فلسطين التي هي قليلة الاهمية نسبيا . ان القوى التي يجب موازاتها هي اليهود واليهودية في جانب ، والشعوب العربية وحتى الاسلامية في الجانب الآخر . فبهذه الطريقة تستطيع ان ترى الجميع بمنظار افضل وان تزيد من اهمية فلسطين كنقطة تلتقي فيها اليهودية بالاسلام من جميع الاطراف كما التقينا قبل قرون سابقة وكان في التقائنا اغناء الثقافة الانسانية .

ان نظرياتنا يمكن ان تختلف حول الهدف الذي يمكن ان تخدمه فلسطين او ان لا تخدمه ، ولكن مما لا شك فيه ان فلسطين هي المحك والارض المحفوفة بالمخاطر بالنسبة لمجيء السلام في اسرائيل . ان قسما كبيرا من النظرية الصهيونية قد كرس من اجل محاولة جعل اليهود امة عادية في فلسطين كبقية الاغيار في جميع البلاد والعائلات المنتشرة على وجه الارض . فالرغبة في القوة المحاربة تظهر وكانها شيء عادي لكثير من الافراد والجماعات البشرية ، ونحن لاننا كنا محكومين في كل مكان ، نريد ان نحكم هنا ، وكذلك لاننا كنا الاقلية في كل مكان ، نريد ان نصبح الاغلبية هنا . هناك النزعة الى القوة والدولة والجيش والحدود . لقد عشنا طويلا في المنفى ، ولكن حان الوقت لنصبح اسيادا في بلدنا ويجب ان يصبح لنا وطن . علينا ان نشجع الشعور بالكبرياء والشرف والعظمة التي تشكل اجزاء من الوطنية القومية العادية . وفي وجه خطر كهذا ، يفكر الشخص بالاعتزاز والاصالة في تلك الفقرة التي نرددها في صلاتنا والتي نحمد فيها الله اله الكل بان حياتنا ليست كحياتهم وبان نصيبنا ليس كنصيب بقية الجماهير .

لقد قيل لنا باننا عندما سنصبح اغلبية سنثبت كيف سيتصرف

الشعب بكل عدالة وكرم اخلاق اثناء وجوده في مركز القوة . وان ذلك يشبه وضع ذلك الرجل الذي يقول بأنه سيعمل كل شيء ليصبح غنيا لكي يتمكن من ان يعمل خيرا بالاموال التي يكون قد جمعها . فيفشل ولا يتمكن من ان يصبح غنيا . وحتى لو اصبح غنيا تحت تلك الظروف تكون قوته لعمل الخير قد ضعفت بسبب قلة الاستعمال . وبكلام آخر ، انها ليست الغاية لوحدها التي يجب ان تطلبها اسرائيل ، ولكن الوسيلة - وعلى المستوى نفسه ، يجب ان تعطى المقدار من الاهمية وان يعمل بها بكل صدق وامانة . فاذا كنا كاقلية نلح في منع الانسان الآخر من تحقيق اهدافه العادلة ، واذا منعناه من ذلك بقوة الحراب ، يجب ان لا ندهش اذا هوجمنا ، واذا حدث ما هو اسوأ من ذلك، وبدأ الانحلال الاخلاقي بالتفشي بين صفوفنا .

لقد اتهمنا اللاسامي باننا ديموقراطيون وليبراليون وراديكاليون في كل ارض ليس لنا فيها جذور عميقة . واتهمنا كذلك بعدم وجود مشاعر تقليدية لدينا لانه ليس لنا وطن ، او حدود وملكية موروثة لندافع عنها . انه يقول باننا مشاهدون ومتفرجون فقط ، ولكننا كنا نجيب دائما بانه لو سنحت لنا الفرصة لممارسة الحكم على ارضنا ، فسنحقق تعاليمنا النبوية ونكون مساهمين في ذلك وليس متفرجين .

والآن فان المسألة تظهر لنا ، كاقلية ، بانها اصعب مما تصورناها كاغلبية ، ويظهر لنا كذلك وكأن العناية الالهية قد وضعتنا على المحك . نحن ديموقراطيو العالم الكبار ، نحاول ان نجد اي سبب نبرر عدم وجود ولو بداية الديموقراطية عندنا وعند الآخرين . انني خائف بسبب هذا الانحطاط الخلقي . وبالنسبة للشعب اليهودي ان الغاية مهما سمت فانها لا يمكن ان تبرر الواسطة الدنيئة ، لقد علمتنا ذلك جميع التعاليم الدينية منذ زمن طويل . هذه الافكار يمكن ان تخيب آمال البعض ، ويمكن ان تثير غضب واحتقار اولئك الرجلين الانجليزيين وذلك اليهودي الذين اخبروني قبل فترة قصيرة بأن تاريخ الفتوحات والاستعمار يثبت ان الامل الوحيد في النجاح هو اتباع اسلوب يشوع . ربما يكون ذلك صحيحا ، ولكنني على الاقل لا اؤمن به ، واعرف كذلك بأن اليهود البسطاء الذين يعيشون هنا او في اماكن اخرى من العالم لا يؤمنون به ايضا . وحتى لو كان الوضع مثل تلك الاساليب فان الشعب اليهودي لن يكون ولله الحمد من الفاتحين والمستعمرين الناجحين ، اذ لن يسمح لهم العالم المعادي وكذلك لن تسمح لهم انفسهم بذلك .

ليس لدي اي تصور بأن اليهود سيصبحون في هذه البلاد كطائفة الكويكريين . مثل هذا الامل اصعب من ان يكون صحيحا . كذلك لا ارى احتمال العمل في فلسطين او في اي مكان آخر دون اي حماية من الشرطة التي يجب ان تقدمها الحكومات المعنية كي تكون جديرة بهذا الاسم ، واذا كانت اي حكومة في المستقبل ضعيفة كهذه فيجب علينا ان نتخذ الاجراءات اللازمة التي يجب ان يعرفها العالم بأجمعه . ما اريد الوصول اليه هو التمييز بين سياستين : الاولى تؤمن باننا نستطيع تأسيس الوطن اليهودي هنا بكبت الطموح السياسي للعرب، ولذلك فان مثل هذا الوطن سيؤسس على رؤوس الحراب لمدة طويلة ـ مثل هذه السياسة ستفشل حتما بسبب العنف الذي ستولده ضدنا ولان الرأي العام المدرك في بريطانيه وضمير الشعب اليهودي نفسه سيثوران ضدها . اما السياسة الاخرى فترى باننا نستطيع تأسيس وطن هنا اذا كنا صادقين مع انفسنا كديموقراطيين وكأمميين ، وبذلك نكون عادلين ومتعاونين مع الآخرين ، نعمل ايضا من اجل حماية الارواح والممتلكات في الوقت الذي نكون نعمل فيه مخلصين لايجاد وسيلة للتعايش مع جيراننا . ان العالم باجمعه ، وليس في فلسطين وحدها ، قد يكون ميالا الى العنف وسفك الدماء . لذلك الا يشاطرني معارضي الرأي بأن هناك فرصة افضل لتجنب هذا الميل نحو سفك الدماء ببذل كل جهد ممكن سياسيا او باية وسيلة اخرى للعيش مع هذا العالم العربي الناهض والعمل معه يدا بيد كمعلمين ومعاونين واصدقاء ؟

سوف تسألونني : هل اريد ان أتخلى ؟ كلا ، لا اريد فاليهودي لن يتخلى عن ارض اسرائيل ولن يستطيع ان يفعل ذلك. لقد قلت ان فلسطين هي قيمة بحد ذاتها ، بصخورها وتلالها وآثارها وجمالها ، وهي كذلك ذات قيمة لليهودية ايضا ولو كانت جاليتنا هنا فقيرة وقليلة العدد . انا اخشى ان يكون اول المتخلين هم اولئك الذين يعتقدون بأن جهودنا سوف تكون عديمة الجدوى اذا لم نكن اكثرية. ولكني مع هذا اقول اننا لا نستطيع ان نبدأ عملنا كما يجب اذا كان ذلك ضد ارادة العالم العربي ، او اذا لم يكن العالم الاوروبي الى جانبنا . ان فلسطين تعني الشيء الكثير في المخطط الصهيوني لدرجة انه اذا ما فشلت التجربة ، لا سمح الله ، هذه المرة (بسبب خطايانا كما هي العادة) فسوف تكون هناك مرة اخرى . ولكنني لا اريد لها الفشل ، فالطريق الوحيدة التي يمكنها ان تنجح من خلالها ، وانا ارى بأن هذا النجاح جدير بالاهتمام ، هي بالتغلب على الصعاب

بواسطة جميع الاسلحة التي وضعتها الحضارة تحت تصرفنا ـ غير الحراب ـ مثل الاسلحة الروحية والثقافية والاجتماعية والمالية والاقتصادية والطبية . . . والاخوة والصداقة. على اليهودي ان يهيىء نفسه لان يواجه فترة قادمة من العداء مع قسم من العرب والانجليز وغيرهم . واذا ما كان اتجاهنا عادلا وسليما استطعنا ان نواجه تلك المعارضة وان لا نتخلى عن الكفاح ، هدفنا يجب ان يرتكز على اقناع جميع الاطراف المعنية بأنه هدف عادل وصحيح .

ان فلسطين مقدسة بالنسبة لليهودي لذلك فنظرته نحو هذه الارض تختلف بالضرورة عن نظرته نحو اية ارض اخرى . قد يستطيع العيش في بلاد اخرى على اسنّة الحراب ؛ ذلك قد يكون ، بالنسبة له ، كيهودي ، شيء لا يمكن تجنبه . ولكن عندما يذهب متطوعا كيهودي لاعادة اعمار وطنه القومي فذلك عمل ناجم عن ارادة وايمان وحرية اختيار ، وعليه ان يرفض وان لا يؤمن او يرغب بوطن يهودي يقوم في المدى البعيد على المعارضة العنيفة للشعوب العربية والاسلامية . الحقيقة هي انهم يسكنون في هذا الجزء من العالم باعدادهم الكبيرة جدا . وبينما كان بامكان اليهود فتح البلاد وتثبيت انفسهم فيها ممكنا بقوة السيف في ايام يشوع ، لم يعد ذلك يتفق مع رغبة اليهودي العادي ولا مع التقاليد الاخلاقية لليهودية التي كانت منذ القدم وما زالت تنمو حتى يومنا هذا .

مارتن بوبر (١٨٧٨ ـ ١٩٦٥) Martin Buber

فيلسوف ديني وصهيوني

مولود في فيينه لكنه امضى صباه في الوسط اليهودي في غاليسيه. نشأ وترعرع حتى الرابعة عشرة من عمره في بيت جده سولومون بوبر ، وكان هذا « متنورا » ومن اغنياء الارستقراطيين ، بالاضافة الى كونه من العلماء البارزين في الدراسات والابحاث التلمودية لعصره . اتصل في تلك البيئة الاولى بالحركة الحاصدية التي لعبت دورا حاسما في تطوره الديني والفلسفي . انتقل عام ١٨٩٦ لمتابعة دراسته في جامعة فيينه ، حيث انضم الى جمعية « قديمة » وقضى اربع سنوات متنقلا بين جامعات لايبزيغ وزوريخ وبرلين. اعتنق الدعوة الصهيونية عام ١٨٩٨ واسس فرعا للمنظمة الصهيونية في لايبزيغ ونادي الطلاب اليهود في جامعتها . اشتغل كرئيس تحرير لجريدة « دي فيلت » ، الناطقة الرسمية بلسان الحركة الصهيونية (١٩٠١) وتعاون مع هرتزل خلال تلك الفترة . لكنه ما لبث ان انفصل عنه لان صهيونيته الثقافية والروحية تختلف عن صهيونية هرتزل السياسية . اشترك مع وايزمان في تأسيس « الجناح الديموقراطي الصهيوني » الذي عارض هرتزل خلال المؤتمر الخامس لاسباب ثقافية ولانه كان من اشد دعاة النشاط الصهيوني العملي . تعاون مع نفر من المثقفين اليهود على تأسيس دار للنشر تهتم بتشجيع حركة بعث الإبداع الروحي اليهودي الخلاق . اعتزل الحياة العامة (١٩٠٤) وانصرف الى النشاط الادبي والفكري . نشر كتاباته عن الحركة الحاصدية في هذه الفترة وكرّس نفسه للبحث في فلسفة الدين . اتضحت معالم الخطوط العريضة لفلسفته الصهيونية الخاصة في كتابه « ثلاثة خطب حول اليهودية » (١٩١١) . وبدا اثره يبرز في الشباب اليهودي المثقف في اوروبه الوسطى بصورة خاصة في الايديولوجية الصهيونية بشكل عام .

نظم « المجلس الوطني اليهودي » في برلين خلال الحرب العالمية الاولى . واسس مجلة المانية اسمها « اليهودي » (١٩١٦) استمر في رئاسة تحريرها حتى عام ١٩٢٤ . اصبحت المجلة ناطقة بلسان فلسفة الحوار الوجودية وموقفه الصهيوني . وقد عبّر عن فلسفته الدينية في كتابه « انا وانت » الذي فرغ من تاليفه عام ١٩١٦ ونشره عام ١٩٢٣ .

اشترك مع الفيلسوف اليهودي فرانز روزنزفايغ في ترجمة التوراة الى الالمانية خلال العشرينات وفرغ منها عام ١٩٦٤ . شغل منصب استاذ لفلسفة الدين اليهودي والاخلاق في جامعة فرانكفورت ام ماين (١٩٢٤-١٩٣٣) واسس معهد الدراسات اليهودية في المدينة. كان مدير النشاط التعليمي لدى جالية فرانكفورت اليهودية خلال خمس سنوات من حكم هتلر .

هاجر الى فلسطين ١٩٣٨ واقام في القدس حيث شغل كرسي الاستاذية في « علم اجتماع الدين » لدى الجامعة العبرية الى ان تقاعد عام ١٩٥١ . انضم الى يهوذا ماغنس وغيره من دعاة التقارب العربي اليهودي والمطالبين باقامة دولة مزدوجة القومية . وكان العنصر البارز في حركة « احود » فيما بعد .

حاضر مرات عديدة في الولايات المتحدة ودرّس في بلدان اخرى . تعرض لانتقاد شديد في بعض الاوساط اليهودية الصهيونية لقبوله ان يتسلم جائزة غوته من مدينة هامبورغ ولانه لم يتردد في استئناف علاقاته بالحياة الفكرية والثقافية الالمانية . منحه مجلس ناشري الكتب في المانيه جائزة السلام عام ١٩٥٣ واستقبله رئيس جمهورية المانيه الاتحادية، ثيودور هويس ، كواحد من مفكري المانيه وفلاسفتها العائدين الى الوطن .

يتصل تفكيره الصهيوني بتعاليم بريديشفسكي اتصالا وثيقا . وكلاهما يستمد افكاره من رؤيا نيتشه في مجتمع جديد من ابداع الانسان الاعلى وفي خلق قيم جديدة والدخول في عصر جديد . لكن بوبر يختلف عن بريديشفسكي في ابتعاده عن اضفاء مضمون القوة على تصور السوبرمان الصهيوني وحضارته « المتفوقة » وسعيه للبحث عن العنصر البطولي في الناحية الاخلاقية . لذلك تجد موقفه من الدين اليهودي مستمدا من التعاليم الحاصدية التي تأثر بها وعرّف العالم الغربي عليها . فهو يعتبر الايمان الديني بمثابة حوار دائم بين الانسان والله ويقيم العلاقات الاجتماعية على صعيد الحوار بين « انا وانت » . وقد كان لهذه الآراء ابعد الاثر واعمقه على اللاهوت المسيحي المعاصر .

ينظر بوبر الى اسرائيل كمثال على « علاقة الحوار » تلك ، والقائمة على الصعيدين الجماعي والقومي . ويعتبر التوراة بمثابة سجل لهذه التجربة في الحوار الروحي ، حيث تتعرف اسرائيل على نفسها من خلالها ، وتكتشف بانها « مدعوة » من الطرف الالهي . فتحاول الاستجابة لتلك الدعوة عن طريق الطاعة والاصغاء . وهو بذلك يربط بين الوجودية اليهودية في تشديدها على العلاقات الشخصانية بين الله والانسان واخيه ، من جهة ، وبين تصوره لاسرائيل الامة المدعوة لان تستجيب لتحدي حياة الحوار مع الله ، من جهة ثانية . تكاد تخلو فلسفته الدينية من عناصر الشرع اليهودي المتزمت ومن التشديد على الشعائر التي تتضمنها اليهودية التاريخية . يبرز اثره خارج دائرة اليهودية التقليدية في اسرائيل وخارج اسرائيل الصهيونية اكثر منه في داخلها . كذلك يكاد ينعدم كل اثر لنزعته الانسانية والشخصانية داخل اسرائيل التي اخذت عنه صهيونيته وكيّفتها حسب حاجاتها . وهو القائل (١٩٣٦) : « لا استعادة لاسرائيل ولا امن لها سوى على الاساس التالي : عليها ان تحمل عبء فرادتها وشخصيتها الفذة ، وعليها ان تخضع لنير مملكة الله » . غير ان ذلك لا يتم الا عن طريق اعادة جمع شمل اليهود واسترجاع ارض فلسطين لاقامة دولة من الحكم الذاتي اليهودي ! هكذا تغدو النزعة الانسانية العبرية اداة لخدمة اغراض التفكير الصهيوني . على الرغم من اقدام بوبر على معارضة النزعة الانسانية لدعوة القومية اليهودية التي اعتبرها من قبيل التوكيد الفارغ على الذات (١٩٤٢).

اهم مؤلفاته وآثاره :

انا وانت

من اجل السماء

موسى
بين الانسان والانسان
قصص حاصدية
اسرائيل والعالم
الحاصدية
الايمان النبوي
سبل في الدولة الطوباوية
في طرازين من الايمان .

اليهودي في العالم (١٩٣٤)

(كلمة القيت في لهراوس في فرانكفورت ـ ماين في العام ١٩٣٤) .

لم تظهر فكرة « اليهودي في العالم » بمعناها الخطير جدا الا بعد حدث معيّن يستطيع المرء ان يفترض ان ذلك الحدث لم يكن دمار الدولة اليهودية على يد تيتوس ولكن عند انهيار وفشل ثورة باركوكبا (١) . عندما لم تعد القدس مدينة يهودية ، وعندما اصبح اليهودي يشعر بانه غريب في وطنه ، القي به عندئذ الى هاوية الدنيا . ومنذ ذلك الوقت وهو يمثل للعالم الرجل غير الآمن . وفي داخل اطار عدم الامان الذي يميز الوجود البشري ككل ، عاش اليهودي منذ ذلك الوقت انسانا انكر عليه القدر حتى ذلك الجزء البسيط من الامان الظاهري الذي لدى الآخرين . ان هذا الشعب ، سواء كان يعرف او لا يعرف يقف على ارض يمكن ان تنزاح من تحت اقدامه في اية لحظة . كل اتحاد يدخله يغدر فيه ، وكل تحالف انضم اليه عبر التاريخ كان يحوي عنصر انتهائه بشكل خفي، كما ان امتزاجه مع بقية الحضارات كانت له قوة محطمة خفية . ان حالة عدم الامان هذه التي لا يمكن تجنبها هي التي ترد الى ذهننا عندما نقول بأن الشتات اليهودي مثل المنفى .

ما هو سبب حالة عدم الامان هذه ؟ من الواضح ان المجموعة اليهودية لا يمكن اندماجها مع اي فئة ، فهي تقاوم كل الفئات التاريخية وجميع

---

١ ـ سيمون باركوكبا ، زعيم الثورة اليهودية ضد الرومان (١٢٣ ـ ١٣٥) التي انتهت بالفشل .

الافكار العامة ، انها فريدة من نوعها ، وهذه الميزة تخيب آمال الامم التي تريد أن تفهم اليهود ومن ثم تنسقهم في فئات معينة ، ولما كان تنسيقهم غير ممكن لكونهم يختلفون ، حدث الاختلاف لان ما لا يمكن استيعابه شيء مرعب . وهذه الحالة تشكل الاساس للنظرة القائلة بأن اللاسامية هي نوع من الخوف من الاشباح . فالجماعة المتجولة والهائمة التي لا تملك امكانية الدفاع عن نفسها والتي تختلف عن اي شيء آخر ولا يمكن مقارنتها بشيء ، تظهر بالنسبة للامة التي تقيم بين ظهرانيها وكأن لها بعض صفات الاشباح لانها لا تستطيع ملاءمة نفسها مع اية مجموعة اخرى ولا يمكنها الا ان تكون هكذا . لقد كان الشعب اليهودي دائما شبحا « مشؤوما » لا وطن له . هذا الشعب ، الذي قاوم الانتماء الى اية فئة مقاومة لم تستطع الشعوب الاخرى ان تفهمها وتعتاد عليها ، كان دائما اول ضحية للحركات الجماهيرية المتعصبة (كالحملات الصليبية في القرن الحادي عشر ، على سبيل المثال) ، كان ينظر اليه على انه سبب مصائب الجماهير (« اليهودي هو سبب الطاعون ») . وبالرغم من كل الجهود التي كان يبذلها لم ينجح تماما في التكيف مع بيئته (محاكم التفتيش التي طبقت على اليهود الاسبان) (٢) (Marranism) .

عندما اقول بأن الامم تعتبرنا شبحا ـ وهذه الخرافة تتمثل بالتسمية: اليهودي التائه ـ يجب ان نميز بين الحقيقة والظاهر . نحن انفسنا نعرف باننا لسنا اشباحا وانما نحن مجتمع حي . لذلك يجب ان نسأل انفسنا عن معنى عدم قابليتنا للتصنيف والانتماء . هل ذلك يعود فقط الى نقص في قوة الخيال وعدم بعد نظر لدى الامم الاخرى ؟ هل المسألة هي اننا نستطيع ان نتلاءم بشكل لا يستطيعون هم ان يفهموا مثله ؟ هل ظاهرة عدم قابليتنا للانتماء ظاهرة سلبية ومؤقتة فقط ؟ هل تعني بكل بساطة اننا غير قابلين للانتماء الآن فقط وحتى يأتي يوم في المستقبل نصبح فيه قابلين لذلك ؟.

ان لدينا طريقة واحدة لفهم المعنى الايجابي لهذه الظاهرة السلبية وهي طريق الايمان ، فمن غير نظرة الايمان تصبح عدم قدرتنا على الانتماء الى اية فئة شيئا لا يقبل شيئا معاكسا للتاريخ وللطبيعة ، بينما تشكل عدم قدرتنا هذه من وجهة نظر الايمان ، اساس ومعنى حياتنا التي نحياها واقرارا بوضع اسرائيل الفريد . يجب علينا ان نميز هذا الوضع الخاص

---

٢ ـ ارجع الى نوردو ، الملاحظة ٣ .

عن اي وضع خاص لاي فرد آخر او اي جماعة اخرى . ان وضع اسرائيل الخاص يدل على شيء فريد في طبيعته وتاريخه ودعوته لدرجة انه لا يمكن تصنيفه .

هذا واسرائيل لا تتلاءم مع الصنفين اللذين يلجأ اليهما عند اجراء محاولات التصنيف وهما : « الامة » و « العقيدة » . ان هناك مقياسا واحدا يمكن استخدامه لتمييز الامة من العقيدة ، فالامم تعيش التاريخ ، وبالنسبة للعقائد ، من ناحية اخرى ، التجارب الهامة هي التي يعيشها الافراد ، وهذه التجارب بأنقى واسمى اشكالها هي التي نسميها «الوحي». وعندما يوصل هؤلاء الافراد تجاربهم الى الجماهير ، وتظهر الجماعات نتيجة لذلك ، تصبح العقيدة شيئا كائنا . وهكذا ، فان الامم والعقائد تختلفان بالطريقة ذاتها التي يختلف فيها التاريخ والوحي ، ولا يتطابقان الا في حالة واحدة. ان اسرائيل تتلقى تجربتها الدينية الحاسمة كشعب، ليس النبي وحده هو الذي تشمله عملية الوحي بل المجتمع ككل، فمجتمع اسرائيل يعيش التاريخ والوحي كظاهرة واحدة ، التاريخ كوحي والوحي كتاريخ . انه كشعب فقط يستطيع ان يسمع ما قدر له ان يسمع . ان وحدة القومية والايمان التي تشكل اساس وضع اسرائيل الخاص هي مصيرنا ، ليس بالمعنى النظري للكلمة فحسب ، ولكن على الصعيد الالهي ايضا .

والآن ، لنفهم وضعنا في العالم ، علينا ان ندرك ان رغبة ذات شقين ظلت تظهر في تاريخ يهود الشتات . ظل اليهودي غير الآمن يكافح من اجل الامن كما ظلت الجالية اليهودية التي لا تقدر ان تصنف تكافح من اجل تصنيفها . ولكن هذين الكفاحين لم يكونا متساويين باي شكل من الاشكال. فالبحث عن الامن عند اليهود شرعي كرغبة بقية الشعوب في تحقيق الامن، اذ يمكن ان يحكم على الانسان بأن يقضي حياته في حالة من عدم الامن . لذلك فان الكفاح من اجل الامن لا يمكن الاعتراض عليه ، ولكن الوسيلة للوصول الى هذه الغاية هي التي يمكن وضعها على بساط البحث . ان الكفاح من اجل الامن شيء مألوف لدينا منذ تاريخ الدولة العبرية القديم التي مهدت لعدم الامن في الشتات بطريقة غريبة تماما . ذلك لان هذه الدولة ، التي كانت محصورة بين مصر وبابل اعظم قوتين في الشرق قديما ، حاولت أن تتغلب بين الفينة والاخرى على وضعها السياسي والجغرافي غير الآمن عن طريق استخدامها وسيلة صراع القوى Powers of Politics وكانت ، بدافع من الامل في التغلب على عدم الامن

الذي تعيش فيه ، تميل او تتصالح مع هذا الجانب مرة ، ومع ذلك مرة اخرى . على ان المحتوى السياسي الحقيقي لما دعا اليه الانبياء هو تنبيه ضد هذا الامن الزائف ، فقد عرف الانبياء وتنبأوا بأن اسرائيل سوف يقضى عليها بالرغم من كل مناوراتها السياسية لانها كانت تحاول ان تعيش ككيان سياسي فقط . ان اسرائيل تستطيع ان تستمر في البقاء ـ وهذا هو التناقض الظاهر في تنبيههم كما هو التناقض الظاهر في حقيقة التاريخ اليهودي ـ اذا ما اصرت على ان لها وضعا خاصا واذا ما استطاعت ان تحوّل تعاليم العهد الالهي الى حقيقة واقعة . عندما يقول الانبياء ان لا امن لاسرائيل غير الامن في الله ، فانهم لا يشيرون بذلك الى شيء غير دنيوي ، « ديني » في المعنى العام للكلمة ، بل يشيرون الى تحقيق الحياة الجماعية الصادقة التي طلب العهد مع الله ، من اسرائيل ان تحياها وان تبقيها عبر التاريخ بالطريقة التي تستطيع هي وحدها تحقيقها . ان الانبياء يريدون من هذا الشعب الذي يمثل اول تجربة حقيقية « كمجتمع » ان يدخل التاريخ كأول نموذج لتلك المحاولة . مهمة اسرائيل هي تشجيع الامم الاخرى على تغيير تركيبها الداخلي وعلاقتها بعضها مع بعض ، اذ من خلال الحفاظ على هذه العلاقات مع بقية الامم تتمكن اسرائيل من مشاركتها في تطور البشرية ، والحصول على وضع يكون فيه وجودها غير مهدد بالخطر ، ذلك هو الامن الحقيقي .

لقد اتخذت الحاجة الى الامن ، في فترة الشتات الاخيرة ، الشكل الشاذ للحاجة الى تصنيف هذا الشعب . فقد قيل بأنه اذا كانت عدم قابليتنا للتصنيف هي التي تصبغنا بهذه الصفة الغامضة بالنسبة للآخرين فواجبنا هو ان نزيل هذه الصفة عنا . وقد حصل مثل هذا في تاريخنا القديم ايضا خلال الازمة التي قامت في عهد صموئيل بسبب الرغبة في ان نصبح « كجميع الامم » . ولكن بعد ذلك ومنذ ذلك الوقت كانت قوة الايمان الداخلية هي العنصر المقاوم . ان الحاجة الى الاندماج لم تتخذ شكلا تاريخيا حقيقيا (حتى ولو كان التاريخ بشكل كاريكاتوري فقط) الا في وقت متأخر من المنفى ، اي في الوقت الذي منحنا فيه التحرر . هذا ولا يلام اليهود بشكل رئيسي بسبب عدم نجاح التحرر الذي منح لهم وذلك لانهم قبلوا كأفراد وليس كجماعة .

بدأت فكرة تحرير اليهود عندما اخذت الامم تفكر فيما اذا امكن لاسرائيل ، غير المصنفة ، ان تشمل ضمن اي من الفئات المعروفة ، ولذلك طرحوا السؤال فيما اذا كان اليهود امة ام دينا . والنقاش الذي سبق

التحرير في فرنسه مهّد لجميع الاختلافات في الراي التي حدثت فيما بعد . فمن بين التصريحات العديدة ، نجد كلمات بورتاليس ، وزير التربية الفرنسي ، الذي كان نابليون قد طلب اليه ان يقدم تقريرا عن اليهود في العام ١٨٠٢ . لقد كتب يقول : «ان الحكومة لا يمكن الا ان تنظر بعين الاعتبار للحياة الازلية لهذا الشعب الذي استطاع الحفاظ على كيانه عبر التغييرات الهائلة ومصائب القرون وذلك لان ... لديه امتياز واحد ، وهو عون الله واضع شريعته » .

كان يمكن اعتبار هذه الكلمات مقدمة للاعتراف الشرعي بشعبنا كشعب . ولكن لم تدرك اي امة من الامم الواجب العظيم لتحرير وقبول المجموعة اليهودية كمجموعة لها وضع خاص . وكذلك لم يحاول اي فرد يهودي ان يفرض من خلال وعيه القديم هذا الحق على الامم غير الواعية . ولقد تحلّل اليهود الى ذرات صغيرة تلبية لما ارادته لهم الامم الاخرى ، واصبحت الدعوة الى الاندماج بمثابة مرض ، وفقدت اسرائيل حقيقتها عندما اصبحت « اعترافا » . ان عصرنا حاول ان يعاكس هذا بالنداء للقومية ولكن المحاولة فشلت، ذلك بسبب تجاهل عامل جوهري هو كون اسرائيل ذات وضع فريد من نوعه .

ليس هناك من سبيل لاعادة بناء اسرائيل وتحقيق امنها سوى طريق واحدة وهي ان تتحمل عبء وضعها الخاص وعبء نير مملكة الله .

وبما ان هذا يمكن تحقيقه فقط في حياة مجتمعة ، فيجب علينا ان نلتقي مرة اخرى وان نمد جذورنا مرة اخرى في التربة وان نحكم انفسنا. ولكن هذه هي مجرد متطلبات اساسية ، فقط عندما يعترف بها المجتمع ويتحقق من وجودها في حياته يمكن عندئذ ان تشكل حجر الزاوية لخلاصه.

الانسانية العبرية (١٩٤٢)

لقد فشل التفكير الصهيوني ، باشكاله الحالية ، في استيعاب المبدأ القائل بأن تحول الحياة يجب ان ينجم عن العودة الى اصل طبيعتنا . ان كل يهودي متزن التفكير يدرك بأن شخصيتنا قد شوهت بطرق مختلفة وباننا نعيش عيشة فوضى . صحيح اننا نأمل في حياة جديدة في ارضنا وفي رباط مع تربتنا والعمل فيها من اجل تقويمنا وجعلنا اصحّاء مرة اخرى ، ولكن ما لا يدركه الكثيرون هو ان هذه القوى التي اطلقها هذا

التعلّق الجديد بالتربة لا تكفي لتحقيق تحول حقيقي وكامل اذ يجب ان يرافق العامل المادي عامل القوة الروحية الذي هو العامل الاقوى للعودة الى الارض . ولكن هذا لا يمكن تحقيقه باية قوةروحية سوى روحاسرائيل الاصلية التي جعلتنا على ما نحن عليه والتي يجب ان نعتبرها استمرار السبب الذي جعل شخصيتنا تصمد ثابتة في وجه القدر . ان هذهالروح لم تختف ، وان الطريق اليها لا تزال مفتوحة ولا يزال بامكاننا مجابهتها . فالكتاب لا يزال مفتوحا امامنا والصوت لا يزال ينطلق منه كما كان اول يوم ، ولكن يجب علينا ان لا نملي عليه ما يجب عليه ان يبلغنا وما لا يجب. اذا اردناه ان يحصر نفسه في تعليمنا انتاجنا الادبي العظيم وتاريخنا المجيد وكبرياءنا القومية فقط فالاحرى بنا ان نسكته لان ذلك ليس كل ما عليه ان يبلغنا اياه ، ان ما يمكن ان يعلّمنا وما لا يستطيع اي صوت آخر في العالم ان يعلمنا اياه بالقوة البسيطة ذاتها ، هو ان هناك حقيقة وهناك كذب ، وان حياة الانسان لا تستطيع الاستمرار ولا يمكن ان يكون لها معنى سوىفي قرارها بقبولالحقيقة ضد الكذب، وان هناك صوابا وخطأ، وان خلاص الانسان يعتمد كذلك على اختياره للصواب ورفضه للخطأ ، على انه يمكن ان ندمر وجودنا اذا ما جزانا حياتنا الى مجالات يمكن التمييز فيها بين الحقيقة والكذب وبين الخطأ والصواب من جهة ، ومجالات لا يمكن فعل ذلك فيها ، ففي الحياة الخاصة على سبيل المثال ، نشعر بأن علينا ان نكون صادقين بينما علينا ان نكون كاذبين في الحياة العامة وان نتعامل في علاقاتنا مع الناس الآخرين بشكل عادل ومنصف بينما علينا ان نمارس الاجحاف في حياتنا القومية .

ان صوت الانسان الذي ينطلق اليوم من هذا الكتاب كما كان يفعل دائما هو وحدة الحياة البشرية السائرة في اتجاه حياة سماوية واحدة تفصل الصواب عن الخطأ والحقيقة عن الكذب بشكل حاسم ، تماما كما فصلت كلمات الخالق النور عن الظلام . صحيح اننا لا نستطيع ان نحيا حياة عادية تماما ، بل نضطر احيانا لقبول الاخطاء في قراراتنا المتعلقة بالمجتمع الانساني ، ولكن المهم هو اننا عند اتخاذ اي قرار علينا ان نكون واعين لمسؤوليتنا وندعو ضميرنا ليزن بدقة ما هو بحاجة لحفظ المجتمع، ونقبل به فقط وليس باكثر منه . ولا نفسر مطالب النزعة الى القوة كمطالب فرضتها الحياة نفسها ، ولا نجعل من اهمال زاوية لا تطبق فيها اوامر الله عادة ، بل نعتبر هذه الاعمال ضد ارادته وان ظروف الساعة اقتضتها كتضحيةمؤلمة ، واننا لا نرضي ضميرنا ، ولا ندعالآخرين يرضون

ضمائرهم، عند اتخاذ قرارات تتعلق بالحياة العامة بل نكافح القدر بخوف وارتجاف لكي لا يحملنا عبء آثام اكثر مما نستطيع تحمّله . ان هذه الابرة المغناطيسية المترجرجة والتي تشير الى الاتجاهات مرغمة هي صوت التوراة الانساني . ان رجال التوراة كانوا آثمين مثلنا ولكن هناك اثم واحد لم يرتكبوه ولم يتمادوا فيه وهو انهم لم يحصروا الله في « الدين » الذي هو مجرد فسحة محددة او جانب من الحياة . لم تكن لديهم الجراة على رسم حدود لوصايا الله ولم يقولوا له : « ان سيادتك تنتهي عند هذه النقطة ، ولكن وراء هذه الحدود يبدأ العلم والمجتمع او الدولة » . عندما كانوا يضطرون للخضوع لقوة اخرى ، كان كل عرق في جسدهم يتحمل متألما العبء المفروض عليهم فهم لم يتصرفوا يوما باستخفاف ولم يهزوا رؤوسهم باستهتار .

ان الذي قد نشأ على تعاليم انسانيتنا العبرية التورانية يتصرف كما يجب تجاه المسؤوليات ولا يتعدى حدوده ، يقاوم الوطنية الطنانة التي تفصل ما بين متطلبات الحياة والرغبة في تحقيق اهداف النزعة الى القوة ، ويقاوم كذلك همسات الشهرة الزائفة باعتبار انها ضد خدمة الشعب الحقيقية ، ولا يمكن ان يؤخذ بخداع الانانية القومية الحديثة التي تعتبر كل ذي منفعة لشعبها صادقا وصحيحا ، ويعرف ايضا ان عهدا مسبقا قد اتخذ حول الصواب والخطأ ، وحول الحقيقة والكذب ، وان هذا العهد قد وضع وجها لوجه امام الشعب ، فهو يدرك ، في نهاية المطاف ، بأن الشيء الوحيد الذي يمكن ان يساعد شعبه هو كل شيء صادق وصحيح في ضوء ذلك العهد القديم جدا . ولكن اذا لم يستطع في حالة طارئة ان يخضع لايمانه « بالحكم النهائي » بل يستجيب لصرخة امته ، فانه يرتكب اثما في هذه الحالة كما فعل رجال التوراة ، وعليه ان يستغفر الله مثلهم . ان هذا هو ما تعنيه العودة الى اصل وجودنا كما يمكن التعبير عنه بلغة حديثة ، ولكن هناك امل بأن لغة الغد سوف تكون مختلفة وانها سوف تكون لغة التحقيق الايجابي للحق والصدق في النطاقين الداخلي والخارجي لحياتنا المجتمعية بجميع جوانبها .

انني بذلك اضع الانسانية العبرية ضد القومية اليهودية التي تعتبر اسرائيل امة كالامم الاخرى ولا تعترف بأي واجب عليها سوى حفظ وتأكيد نفسها . ولكن ليس هناك امة في العالم عليها هذا الواجب فقط ، لانه كما ان الفرد الذي يرغب فقط في حفظ وتأكيد نفسه يكون كمن يحيا

حياة لا مبرر ولا معنى لها ، فان امة ليس لها اي هدف آخر لا تستحق ان تعيش .

انني اود من خلال مقابلتي الانسانية العبرية مع قومية ليست سوى امتداد بالذات اجوف، ان اؤكد بأن على الحركة الصهيونية عند هذا المنعطف ان تقرر اما اذا كانت تريد ان تقف بجانب القومية الانانية او الانسانية القومية . انها اذا اختارت القومية الانانية فسوف تقاسي المصير نفسه الذي سيواجه في وقت قريب جميع القوميات السطحية التي لا تعطي للامة واجبا يفوق الواجبات القومية العادية . اما اذا اختارت الانسانية العبرية ، فانها سوف تحتفظ بقوتها وفعاليتها بعد ما تكون القومية السطحية قد فقدت معناها ومبرر وجودها بوقت طويل ، لانه سوف يكون لديها ما يمكن ان تقوله او ان تقدمه للجنس البشري .

ليست اسرائيل امة كبقية الامم ولم تكن يوما حتى عندما كان يتمنى ممثلوها ان تكون كبقية الامم خلال عصور معينة ، وهي شعب لكن ليس كبقية الشعوب لانها الشعب الوحيد الذي كان منذ بداية تاريخه امة ومجتمعا دينيا في الوقت نفسه ، ففي الساعة التاريخية التي التقت فيها قبائل اسرائيل لتشكل شعبا اصبحت حاملة مشعل الوحي . والعهد الذي اتخذته القبائل فيما بينها والذي من خلاله قامت « اسرائيل » كان ايضا عهدا مع اله اسرائيل . هذه الحقيقة تظهر في اغنية ديبورا ، ذلك السجل العظيم لعصرنا البطولي ، في تكرارها لاسم هذا الاله مع اسم اسرائيل . لذلك عندما اراد الشعب مملكة ليصبحوا « مثل بقية الشعوب» (صموئيل الاول ٨ : ٢٠) راينا ان الكتاب المقدس قد اوجد الرجل الذي اسس مملكة بعد جيل من هذا الوقت وقد قال كلمات تعادل تلك الرغبة : « واية امة على الارض مثل شعبك اسرائيل » . (صموئيل الثاني ٧ : ٢٣) وان هذه الكلمات ، بصرف النظر عن الفترة التي قبلت بها ككلمات ديبورا السابقة تعبّر عن الحقيقة العميقة ذاتها. لقد كانت اسرائيل وما تزال شعبا ومجتمعا دينيا في الوقت نفسه ، وان هذه الوحدة هي التي مكنتها من العيش في المنفى حيث لم تقاس امة اخرى مثلما قاست هي وذلك لفترة دامت اكثر مما دام استقلالها . ان من يقطع هذا الرباط يقطع شريان الحياة عن اسرائيل .

هناك من يقف ضد هذه الميزة لاسرائيل ويعطيها : «تفسيرا لاهوتيا»، وبهذه الطريقة يقلل من اهميتها وتصبح مسألة خاصة تهم فقط اولئك الاشخاص الذين لا يهتمون سوى بمواضيع غير مثمرة كاللاهوت . ولكن

ليس هذا سوى اسلوب جدلي لبق وذلك لاننا ، نبحث حقيقة تاريخية اساسية لا يمكن ان تفهم اسرائيل، كعنصر تاريخي بدونها. لقد قامت هناك محاولة (٣) لدحض هذا « التفسير اللاهوتي » المزعوم « بتفسير ديني » ، يقول بأن ليس له علاقة بأي شكل من الاشكال مع يهودية عدد من الرجال العظام ابتداء بموسى وانتهاء بالحاخام اكيبا . على ان هذه مجرد مناقشات جدلية ! لانه من المستحيل التفكير تاريخيا بموسى ، على انه لم يدرك وضع اسرائيل الخاص كما انه من المستحيل ايضا التفكير باكيبا تاريخيا على انه لم يكن يعي ذلك . اذا ما نزعنا جملة « الحب الخاص » الذي يكنّه الله لاسرائيل (اقوال الآباء ١١١ : ١٨) من الحاخام اكيبا ، نكون كمن ينزع القلب من داخل جسده ، واذا ما حاولنا حذف الكلمات التالية « تكونون لي خلاصة من بين جميع الشعوب » (الخروج ١٩ : ٥) من تاريخ مجيء اسرائيل الى صحراء سيناء فان القصة تنهار كليا . اذا كان لبعض التعليقات كالتي عن موسى اساس ، فانني لا اعرف على اي افتراض نقدي تعتمد في التوراة ، وليس هناك ما يسندها في الكتاب المقدس .

هناك وسيلة اخرى شائعة لانكار منزلة اسرائيل الخاصة وهي القول بان كل شعب عظيم يعتبر نفسه الشعب المختار ، وبكلام آخر ، ان شعور الشعب بأن له وضعا خاصا يمكن تفسيره بانه شعور بالقومية بوجه عام . الم يؤمن الاشتراكيون الديموقراطيون بأن القدر اصطفى الشعب الالماني ليحكم العالم بأجمعه ؟ وطبقا لوجهة النظر هذه ، فان قولنا « انك قد اخترتنا » يبرهن اننا مثل بقية الشعوب نؤمن بتعاليمنا . ولكن الحجة تضعف عندما تضع «ابناء الله الحي» (هوشع ١ : ١٠) بمستوى الاعتقاد الالماني « بأن الجوهر الالماني سيجعل العالم في وضع افضل » وتتعارض مع الحقيقة الاساسية التي يلمح اليها التاريخ ، فالمسألة ليست هي ما اذا كنا نشعر او لا نشعر باننا شعب مختار ، ولكن المسألة هي دورنا في التاريخ الذي هو فريد من نوعه . ويمكننا ان نضيف على ذلك فنقول بأن طبيعة اختيارنا تختلف كليا عن طبيعة نظريات الاختيار عند بقية الشعوب، مع ان هذه النظرية كثيرا ما تعتمد مبدأنا كأساس لها ولكن ما اقتبسته هذه الشعوب لم يكن جوهريا . ان مبدأنا يختلف عن نظرياتهم في ان مبدأ الاختيار عندنا هو طلب واقعي وليس شكلا ميثولوجيا يحلم به شعب ، كذلك فهو ليس وعدا غير مشروط لتحقيق قوة وعظمة هذا الشعب . انه مطلب يتوقف وجود الشعب في المستقبل على تحققه . ان الذي يتكلم

٣ ــ قام بهذه المحاولة دافيد بن جوريون .

ليس الها خلقه الناس على صورتهم في حالة من الوعي الناقص ، انه اله يواجه الناس ويعارضهم ويطلب منهم ويحاكمهم ، ولم يكن ذلك في زمن ظهور الانبياء في الفترة التاريخية المتأخرة فقط ولكن منذ بدء التاريخ ، ويجب ان يكون واضحا ان اي افتراض وضعه منتقدو التوراة لم ينكر هذه الحقيقة . ما يطلبه هذا الاله يسميه هو « الحقيقة » و « الاستقامة » ، وذلك ليس لجوانب منفصلة من الحياة ولكن لكل حياة الانسان وحياة الشعب . انه يريد الفرد والشعب ان يكونوا « قلبيا » معه . وان اسرائيل قد اختيرت لتتمكن من الارتفاع بتفكيرها للمستقبل عن القوة البيولوجية التي تمجدها الشعوب الى دائرة الحقيقة والاستقامة . ان الله يريد الانسان الذي خلقه هو ان يصبح انسانا بالمعنى الحقيقي للكلمة ، ولكنه لا يريد ذلك ان يكون في فترات متقطعة كما تحدث بين الفترة والاخرى عند بقية الشعوب بل في حياة كل الشعب ليقدم بذلك نظاما في المستقبل لحياة الجنس البشري عندما تكون جميع الشعوب قد اتحدت لتصبح شعبا واحدا . وبما ان اسرائيل قد اختيرت لتصبح شعبا صادقا فانها لذلك ستكون شعب الله .

ان الانسان الذي يتبع التوراة يواجه ويعترف بهذا الاختيار وهذا المطلب فاما ان يقبله او يرفضه ، يحققه كأحسن ما يكون او يتمرد عليه ، يثور عليه ثم يتوب، يدفعه بعيدا او يستسلم له ، ولكن هناك شيئا واحدا لا يفعله وهو ان يتظاهر بأنه غير موجود او غير محدود . وقد استوعب رجل التوراة الكلاسيكي مطلب الاستقامة بلحمه ودمه لدرجة انه منذ ايام ابراهيم ويعقوب وهو يذكر الله به والله الذي يعرف بأن العقل الانساني والروح البشرية لا يستطيعان ادراك طريقته في العدالة ، يبتهج عندما يذكر اي انسان مشيئة الله لان ذلك الرجل يكون قد استوعب مطلب الاستقامة بلحمه ودمه . لقد اعتبر الله ايوب خادمه وابراهيم حبيبه ، وقد جرّب الاثنين ودعاهما للحساب ، ولكنهما قبلا التجربة وتحملاها . هذه هي الانسانية العبرية .

وفي عصرنا هذا بقي ان نفصل الشعب اليهودي عن المجتمع الديني اليهودي الذي كان ممتزجا به منذ القديم ، ونقيم وحدة مستقلة لكل منهما ، شعبا مثل بقية الشعوب ودينا مثل بقية الاديان . وبفضل العمل الذي لا يوازى في فلسطين ، فقد بدات الامة في النهوض . اما الدين فانه يقف على شفا منحدر عميق لانه لم يعد القوة التي تحدد جميع جوانب الحياة بل اصبح ينحصر في دوائر خاصة للعبادة والموعظة.

ولكن الامة اليهودية لا يمكنها العيش بـدون دين كما ان المجتمع الدينـي اليهودي لا يمكنه العيش بدون القومية . ان خلاصنا الوحيد هو في ان نصبح إسرائيل من جديد ، ونصبح كلا واحدا فريدا يتالف مـن الشعب والمجتمع الديني ، شعبا متجددا ودينا متجددا ووحدة بينهما متجددة .

يرى الصهيونيون حاليا ان كل ما نحن بحاجةاليه هو ايجاد الشروط اللازمة للحياة الطبيعية ، وبعدها تاتي بقية الاشياء تلقائيا . انني اعتقـد بأن هذه غلطة فادحة . صحيح اننا بحاجة الى الحياة الطبيعية ولكن ذلك ليس كافيا لنا بأي شكل من الاشكال، فنحن لا نستطيع الاكتفاء «بالطبيعة» بدل الغرض الاساسي الازلي لوجودنا . اذا اردنا ان نكون طبيعيين فقط ، سوف يتوقف وجودنا حالا .

ان القيم العظيمة التي انتجناها نجمت عن تزاوج الشعب والدين ، فلا نستطيع الاستعاضة عن هذا الزواج الاصلي بالجمع بين الامة والدين جمعا سطحيا مصطنعا لان ذلـك يؤدي الى نضوب القيم ذلـك ان قيم اسرائيل لا يمكن ان تولد من جديد خارج اطار هذا الاتحاد ذي الوضع الخاص.

هناك اعتراض يمكن ان يوجه ضد هذه النقطة وذلـك انها تتعلـق بمسائل فكرية وعقائدية وليس بمسائل واقعية حياتية . كلا يجب ان لا ننسى باننا نكافح من اجل الانضمام الى ركب بقية الشعوب التي لها ارض وشريعة خاصة بها . وفي المستقبل سوف تكون هناك امم كثيرة في وضع ضعيف ، ولكن لن يكون هذا مصير الشعب الذي يحمـل الخلاص للكفاح البشري وذلك ليس من خلال الكلمة فحسب ولكن من خلال حياته التـي تؤمن بتلك الكلمة وتعمل بها وطبعا لن نستطيع ان نفتخر باننـا نمتلـك الكتاب اذا كنا نخون وصاياه بعمل كل ما هو صالح .

من رسالة مفتوحة الى المهاتما غاندي (١٩٣٩)

انك ، ايها المهاتما غاندي ، الذي تـدرك العلاقة ما بـين التقاليد والمستقبل ، يجب ان لا تنضم لاولئك الذين يمرون على قضيتنا مرورا عابرا دون تفهّم او شعور .

من اهم الاشياء التي قلتها لنا ، بأن فلسطين ملك العرب ولذلك فان من « الخطأ واللاانسانية ان يفرض اليهود على العرب » .

وانني اريد اولا ان اضيف ملاحظة شخصية لكي استطيع ان اوضح

لك المنطلقات التي سأعالج رأيكم على اساسها .

انا من تلك الجماعة من الناس التي ما زالت منذ حكمت بريطانيه فلسطين تكافح دون توقف من اجل ايجاد سلام حقيقي بين اليهود والعرب.

وما نعنيه بالسلام الحقيقي هو ان يشترك الشعبان بتنمية البلاد دون ان يفرض احدهما ارادته على الآخر . وحسب المصطلحات الدولية لجيلنا قد يبدو ذلك وكأنه صعب ولكنه ليس مستحيلا . لقد كنا وما نزال ندرك بأن هذه القضية الغريبة التي لا سابق لها هي قضية بحث عن سبل جديدة للتفاهم والاتفاق الودي بين الشعوب ، ونحن هنا كنا وما نزال في هذا الموضوع نعمل بتأثير ما امرنا به .

لقد اعتبرنا وجود مطلبين متعارضين في هذه القضية مسألة اساسية ، وذلك لان لكل من هذين المطلبين طبيعة مختلفة واصلا مختلفا لا يمكن موضوعيا وضعهما مقابل بعضهما بعضا وتعريضهما للمنافسة ، وكذلك لا يمكن التوصل الى قرار موضوعي حول ايهما عادل وايهما غير عادل . لقد اعتبرنا ولا نزال نعتبر بأن من واجبنا ان نفهم ونحترم الادّعاء المعارض لنا وان نحاول ايجاد تقارب بين المطلبين . اننا لم نستطع ولا نستطيع ان نتخلى عن المطلب اليهودي فهناك شيء اسمى حتى من حياة شعبنا مرتبط بهذه الارض ، انه عمل هذا الشعب ورسالته . ولكننا كنا وما نزال مقتنعين بأنه يجب ان يكون من الممكن ايجاد تسوية بين هذا الادعاء والادعاء الآخر وذلك لاننا نحب هذه البلاد ونؤمن بمستقبلها وبما ان هذا الحب وهذا الايمان موجودان بكل تأكيد عند الجانب الآخر ، يجب اعتبار الاتفاق على خدمة هذه البلاد في حيز الممكن . وحيثما يوجد الحب والايمان ، يمكن ايجاد حل لما يظهر بأنه معارضة مأساوية .

وللقيام بهذا الواجب البالغ الصعوبة كنا بحاجة لتأييد جميع ذوي النوايا الطيبة في العالم وكنا نأمل في تلقّي هذا التأييد خاصة ـ وقد كان علينا ان نتغلب على بعض المعارضة التي هي طبيعية وان كانت سخيفة ـ من داخل الشعب اليهودي ايضا والآن تأتي انت لتحل هذه الازمة الخطيرة بتعليق بسيط فتقول : « ان فلسطين هي ملك للعرب » .

ماذا تعني بقولك ان ارضا ما هي ملك لشعب معين ؟ من الواضح انك بقولك هذا لا تقصد وصف ما هو كائن ولكن لتأكيد حق ، وكذلك فانك تعني انه ما ان يقيم شعب معين على ارض ما حتى يكتسب حقا مطلقا بالنسبة لهذه الارض يمكنه من اعتبار كل من يقيم فيها دون رضاه سارقا، ولكن كيف تمكن العرب من اكتساب حق مطلق في ملكيتهم لفلسطين ؟

طبعا عن طريق الغزو الذي يهدف الى الاستيطان ولذلك فانك تعترف بأن استيطانهم قد اكسبهم حقا مطلقا في ملكيتهم بينما تعتبر ان غزو المماليك والاتراك الذي كان يهدف للسيطرة وليس للاستيطان قد ترك للغزاة الاوائل الحق في ملكيتهم . وبهذا فان الاستيطان عن طريق الغزو يبرر في منطقك حق ملكية فلسطين . بينما الاستيطان بالطريقة اليهودية لا يبرر في رأيك اية مشاركة في هذا الحق. ومع انني اقرّ ان هذا الاسلوب لا ينصف احيانا العرب ولكنه يختلف كثيرا عن الغزو . هذه هي النتائج التي يمكن استخلاصها من جملتك البديهية بأن ارضا ما هي حق لشعبها . في عصر تكثر فيه هجرة الشعوب ، فأنك حتما ستقف ضد الهجرة وستؤيد في البدء حق ملكية الشعب المهدد في ملكيته او المهدد بالفناء ، ولكن ما ان يتحقق هذا الشيء حتى تضطر ، ليس في الحال ، ولكن بعد مرور عدة اجيال ، للاعتراف بأن الارض هي « ملك » للذي سلبها .

انا لا اظن ان الله يمنح قطعة ارض دون حساب ليقول المالك كما يقول الله في التوراة : لان هذه الارض ملكي (خروج ١٩ : ٥) . ان الارض المفتوحة برأيي قد اعيرت الى الفاتح الذي اقام عليها وان الله بانتظار ما سيفعل بها .

يقولون بأن علينا ان نقصر اهتمامنا بالارض المزروعة ونحتقر الصحراء ، فالصحراء تنتظر عمل ابنائها لاحيائها ، انها لا تعترف بنا كأبنائها مع اننا نحمل عبء الحضارة على كاهلنا . ان الصحراء تبعث فيّ الاجلال والرهبة ولكنني لا اؤمن بمقاومتها المطلقة وذلك لانني اؤمن بتزاوج الانسان (آدم) والارض (آدمة) . ان هذه الارض تعترف بنا لانها بواسطتنا تصبح مثمرة ، وبما انها تحمل ثمارا لنا فانها تعترف بنا . ان مستوطنينا لا يأتون الى هنا كما يفعل المستعمرون الغربيون الذين يطلبون من اهالي البلاد ان يقوموا بكل اعمالهم لهم . ان مستوطنينا يسندون بأكتافهم المحراث ويبذلون قوتهم ودمهم من اجل ان تصبح الارض مثمرة. ولكننا لا نرغب في جعلها خصبة لنا وحدنا فقط ، لقد بدأ المزارعون اليهود يعلمون اخوانهم من المزارعين العرب كيفية استغلال الارض بشكل افضل، وكذلك فاننا نرغب في تعليمهم اكثر من ذلك : اننا نريد ان نستغل الارض و « نخدمها » كما يقول العبرانيون ، مع بعضنا بعضا . فكلما زاد خصب الارض ، كلما اتسع المكان لنا ولهم . ليس لدينا رغبة في نزع ملكيتهم فنحن نريد ان نعيش واياهم . اننا لا نريد السيطرة عليهم بل نريد ان نخدم واياهم ...

برنارد لازار (١٨٦٥ – ١٩٠٣) Bernard Lazare

كاتب فرنسي صهيوني

مولود في مدينة نيم ، جنوب فرنسه ، لعائلة يهودية من اصل سفاردي تمكنت من الاندماج في المجتمع الفرنسي . انتقل الى باريس عام ١٨٨٦ سعيا وراء الشهرة الادبية . كتب مقالات في النقد الادبي ونشرها في مجلة الرمزيين بعد عام ١٨٩٠ . ثم نشر مجموعتين من شعره . عاصر قضية دريفوس واهتم بظاهرة العداء للسامية ، فكرس مجلدين من كتاب « العداء للسامية ، تاريخه واسبابه » (١٨٩٤) لدراستها وتشخيص اسبابها . واستقر رايه على اعتبار اليهود انفسهم سبب العداء الذي يتعرضون له ، لانهم يقاومون محاولات الاندماج ويعارضونها. وآمن بحل للمشكلة في نظام المستقبل الذي يتخطى القوميات ليذيب جميع الفئات والاقوام في بوتقة الانسانية الواحدة .

تحوّل الى الصهيونية بعد ان عمل كمستشار قانوني لعائلة دريفوس منذ عام ١٨٩٤ . ونشر كراسا عام ١٨٩٦ ضمّنه آراءه في القضية التي اعتبرها مؤامرة سياسية على الجمهورية الفرنسية ، وليست وليدة خطأ قضائي . فراح يطالب بنقض الحكم الاول الذي صدر بحق الكابتن دريفوس مصرّا على ان العفو الذي صدر عام ١٨٩٩ لا يضع حدا للمشادة . وتبارز مع احد الفرنسيين الذين خالفوه في الراي .

انطلقت صهيونيته من اسس مشابهة لصهيونية هرتزل آنذاك . وكان ينزع نحو التدين والصوفية اكثر من هرتزل. وبقي على صهيونيته الرسمية والعلنية حتى عام ١٨٩٩ عندما ارسل كتاب استقالة مفتوح هاجم فيه الاتجاهات الاستبدادية لدى الهيئة التنفيذية الصهيونية التي اوجدها هرتزل . ابتعد عن الحياة اليهودية واعتزل النشاط الصهيوني الرسمي . لكنه عاد وهاجم الحكومة الرومانية عام ١٩٠٢ على معاملتها لليهود . وقد رثاه حين توفي صديقه الشاعر الكاثوليكي الفرنسي شارل بيغي وفتح له صفحات مجلته في اواخر حياته .

القى محاضرتين ١٨٩٧ ، ١٨٩٩ تحدث فيهما عن القومية اليهودية والتحرر . واعتبر وجود العداء للسامية نتيجة لكون اليهود امة . فالتعصب الديني في نظره هو منشأ الكراهية لاسرائيل ، لكنه في الوقت نفسه يتضمن وجود الشعب اليهودي . ثم انتقل الى القول بان لفظة « قومية » يجب ان تعني « الحرية » في نظر اليهودي . « فاليهودي الذي قد يقف الآن ليعلن : « انا قومي » ، لا يقول بذلك ، وفي اسلوب خاص ودقيق او واضح، انا انسان يسعى لاعادة بناء دولة يهودية في فلسطين ويحلم بفتح القدس » . بل هو يقول : « اريد ان اكون انسانا يتمتع بالحرية التامة ... » . ولم يجد لازار اي تعارض

بين القومية التي دعا لها وبين العالمية التي كان يعتنقها . فالحرية والتحرر هي ما يجب ان يسعى اليه اليهود في مجتمعاتهم اينما وجدوا ، وليس العمل الصهيوني على انشاء دولة في بلاد الغير .

القومية اليهودية والتحرر
(١٨٩٧ ـ ١٨٩٩)

ان العداء للسامية موجود بسبب كون اليهود امة . ولو سلّمنا بأن التعصب الديني ـ وهذا ما لا يمكن تأكيده ـ هو اساس الحقد على اسرائيل ، فان هذا التعصب يضمن في الوقت ذاته وجود الشعب اليهودي الذي صبت عليه الكنيسة لعناتها طيلة تسعة عشر قرنا . ولو افترضنا بأن المسيحية لم توجد ابدا ، ولو افترضنا ان الشتات قد حصل ، فان اليهود كأمة بلا ارض وكشعب مبعثر بين الشعوب ، كان ، بكل الاحوال ، سيثير عليه العداء لليهودية . وكان من المحتمل ان يكون هذا العداء اقل عنفا ولكن حتى هذا لا يمكن التأكد منه لان اليهودية كانت لا بد وان تتناقض بالدرجة ذاتها مع مبادىء دينية اخرى تماما كما حدث في الاسكندرية وروما . كان هذا التناقض سيخلو من عنصر قتل الآلهة وليس اكثر من ذلك .

اذا كان سبب العداء للسامية هو وجود اليهود كقومية ، فان نتيجة ذلك تكون في جعل اليهود اكثر احساسا بهذه القومية وبذلك جعلهم اكثر وعيا بحقيقة وجودهم كشعب .

لقد كان اليهود منذ ثلاثين سنة يقسمون الى يهود محررين ويهود خاضعين لقوانين تمييزية . وكان وضع اليهود المحررين يشكل المثل الاعلى بالنسبة لليهود الذين يعانون تحت انظمة الاضطهاد ، وفي الوقت ذاته كان اليهود المحررين يميلون للتخلص من يهوديتهم ولفصل انفسهم عن الجماهير اليهودية التي ما تزال تعيش في العبودية فصلا تاما الا من الروابط الانسانية العادية التي تربطهم بهذه الجماهير .

ان مثل هذا الوضع قد مضى . فيهود الغرب قد حرروا منذ مئة عام في كل من فرنسه والمانيه والنمسه وبريطانيه ، وبذلك تحطمت جميع الموانع التي كانت تفصلهم عن المجتمع المسيحي ، وسمح لهم بممارسة حقوقهم كبشر . وقد تلا ذلك عصر ذهبي لليهود ، عصر سمت فيه الاحلام ، الاحلام كلها والطموح كله والاذواق كلها . وما حدث هو ان جزءا صغيرا ،

هم اليهود والملاك ، اندفع وراء ملذاته التي حرم منها عدة قرون بعد ان كان قد فسد نتيجة لعلاقته مع العالم المسيحي الذي كان له على اليهود تأثير الانحلال نفسه الذي كان للانسان المتحضر على المتوحشين بتعليمهم شرب الكحوليات وبنقل امراض الزهري والسل لاجسامهم . ومن الواضح ان ما يسمى بالطبقة العليا من اليهود وخاصة اليهود الفرنسيين قد بلغت درجة من الفساد لم تعد معها لا يهودية ولا مسيحية ، ولم تستطع ايجاد فلسفة او حتى اخلاق كبديل للمعتقد الذي تخلت عنه . فبينما تتماسك البورجوازية المسيحية مع بعضها بعضا بفضل تماسك عقائدها وتقاليدها واخلاقها ومبادئها التقليدية ، نرى ان البورجوازية اليهودية المحرومة من تراثها الماضي تنشر السم في جسد الشعب اليهودي بسبب تعفنها . ولسوف تسمم الشعوب الاخرى اذا لم تصمم ـ وهذا شيء لا نستطيع التشديد عليه ـ على الالتصاق بمسيحية الطبقات الحاكمة ، وبذلك تكون اليهودية قد تخلصت منها .

هذا ، وبينما كانت هذه الفئة فقط من اليهود تفكر بجمع الاموال واكتساب الكرامة ونيل الاوسمة والنياشين والمناصب العالية ، وبينما نمت البورجوازية اليهودية الاقل درجة منها من الناحية الثقافية ، كان صرح حارة اليهود الانعزالية القديمة قد اعيد بناؤها . لقد نما العداء للسامية نتيجة لظروف سياسية واقتصادية ، وكانت هذه الظروف كذلك مناسبة لايقاظ الكراهيات القديمة . كان العداء يهدف لاعادة النظرة القديمة ضد اسرائيل ، ولكن هذا الهدف كان خياليا .

ما هو الهدف الحقيقي والعملي الذي حققته معاداة السامية؟ انها لم تنجح وربما لن تنجح في فرنسه والنمسه والمانيه باقامة احياء منفصلة جديدة او في حصر اليهود في مناطق خاصة كما هي الحال في روسيه ، ولكن بفضل معاداة السامية اعيد تأسيس حارة يهودية روحية ، لم يعد اليهود متجمعين في الغرب فقط ، ولم تعد القيود ممتدة على اطراف الشوارع التي يعيشون فيها ، ولكن جوا عدائيا من عدم الثقة والحقد الدفين ومن الكراهيات العمياء قد نشأ من حولهم ، وان عزلا كهذا لأشد ازعاجا من اي عزل مادي يمكن للانسان محاولة الهرب منه بالتمرد او النفي . وحتى لو اخفيت هذه الضغينة ، فان اليهودي الذكي يعي وجودها ، وينتج عن ذلك ، انه يبدأ يشعر بالمقاومة ويحس بوجود جدار يفصله عن اولئك الذين يعيش بين ظهرانيهم .

ماذا يمكنك في الوقت الحاضر ان تقدم ليهودي من اوروبه الشرقية

الذي يتمنى كثيرا ان يصل الى مستوى اخوانه في الغرب ؟ يمكنك ان تريه اليهودي المنبوذ ، انه يريد ان يرى المثل الاعلى الجميل الذي يمكنه ان يعمل لتحقيقه ؟ ماذا نقول له اذا قال بكل بساطة : «ان وضعي مقيت عليّ التزامات وليس لي حقوق ، لقد وصلت الى درجة مرعبة من البؤس والاحتقار . ما هو العلاج الذي يمكن ان تصفوه لي ؟ الانعتاق ؟ ماذا سيعطيني الانعتاق ؟ انه سيضعني في مركز اجتماعي يساعدني على ترفيه نفسي ، وبفضله اكتسب مقدرات جديدة للاحساس ، وبالنتيجة سأجد من الصعب عليّ ان اقاسي ، انه سينمي فيّ حساسية اكبر ، ومع ذلك فانه لن يقضي على الاشياء التي تسبب جرح هذا الشعور ـ بالعكس تماما. ان الانعتاق سيحول الرجل التعيس المتهالك تحت وطأة بؤسه الى كائن حساس يتألم اكثر من ادق وخزة ابرة ، سوف يصبح وجوده اقل احتمالا بآلاف المرات ، ان الانعتاق سيجعل المنبوذ غير الواعي منبوذا واعيا . اية فوائد سأجنيها من هذا التغيّر ؟ لا شيء لهذا فانا لا اريد « انعتاقكم هذا فهو لا يقدم ضمانة ولا تأكيدا ولا تحسنا » .

ولهذا السبب يجب ان لا ننظر الى انفسنا ، كما يفعل اليهود المعتقين، فقط من خلال عداء السامية ، ولهذا السبب يجب ان لا نبحث عما تتوقعه الشعوب التي تعيش معها منا ، بل يجب ان نبحث عما يمكن ان نستخرجه من انفسنا . ولهذه الغاية يجب ان لا ننصّر اليهودية بل على العكس علينا ان نهوّد اليهودي ونعلمه ان يكوّن نفسه وان يعيش من اجلها . ولهذا السبب يجب ان نرد على اولئك الذين يقولون لنا : « عليكم بالعمل من اجل الانسانية » بقولنا : « بلى ، ولكن طموحنا هو ان نعمل من اجل الجنس البشري بطريقة تختلف عن طريقة اكوام النفايات تلك التي من خلال تعفنها تنتج الزهور الجديدة والثمار الجديدة . لقد انتهى الوقت الذي كنا فيه معرضين لاستغلال جميع الشعوب بشكل دائم ، عندما كنا كقطيع او كجماعة من العبيد ، وعندما كنا هدف كل سوط ، وعندما كنا كقطيع يرفض الناس ان يدخلوه الى الاصطبل ، او كجماعة من الناس ليس لها الحق في ان تعيش وتموت بحرية وفي ارض حرة . لا نريد ان نحني ظهورنا ، ولكننا سنطلب من اثريائنا ـ هؤلاء الذين يعيشون بدون تفكير ، وبدون قوة ، وبدون ارادة ، وبدون اخوة وبدون شفقة ـ ان ينحنوا للذين حولهم ويقولوا : انظروا كم نحن مثلكم ، ان لنا جميع رذائلكم وحتى جميع فضائلكم . اننا قد تخلينا عن افكارنا ومثلنا العليا ، ولنا روح ذليلة كروحكم وخوف كخوفكم وقسوة كقسوتكم » . اما نحن فنقف ونقول لهم:

« سنبقى الشعب العريق العنيد ، والامة المتمردة الشديدة المراس ، اننا نريد ان نكوّن انفسنا ، واننا سوف نعرف كيف نحصل على الحق الذي هو لنا ليس لنصبح بشرا فحسب ولكن لنصبح يهودا كذلك» . ومن نحن؟ نحن ، المثقفين والبروليتاريا وشعب اسرائيل الفقير . الا يكفي هذا ؟ عندما طلب سيروس من اليهود ان يعودوا الى فلسطين ، عاد اربعون الف رجل فقط من البروليتاريا والبؤساء الذين يعيشون حسب التعاليم ، والانبياء ، وعاد الثوريون ، ولكن الاغنياء بقوا في بابل ، وكان يجب ان يبقوا هناك لان الفقراء هم الذين ينشئون الامم فالاغنياء لا يعرفون كيف يبدعون ولا حتى كيف يعطون .

اننا نعتبر الامة حرة عندما تستطيع ان تنمي نفسها ماديا وثقافيا واخلاقيا دون ان يكون هناك اية عقبات خارجية تقف في طريق نموها . اذا استطاعت امة عن طريق الفتح او عن اي طريق آخر ، ان تجعل امة اخرى تابعة لها ، سوف يبقى عدد معيّن من افراد الامة الثانية مجردين من قوميتهم ، يبقون لا يستطيعون التعبير عن روحهم الجماعية الخاصة ، لانهم قد فقدوا حريتهم الجماعية .

مثل هؤلاء الافراد المقهورون والمهزومون سوف يوضعون في مرتبة دنيا ، واذا رفضوا الاختفاء عن طريق الاندماج فسوف يفقدون حريتهم الخاصة .

قد يتساءل المرء هنا قائلا : لماذا لا يختفي هؤلاء ولماذا يستمرون في التعلق بالاشكال القديمة التي كانوا يمثلونها في يوم من الايام ؟ ان هذه الاسئلة سخيفة . وابسط ما يمكن الرد على مثل هذه الاسئلة هو القول ان الجماعات الانسانية غير المتبلورة والمتأثرة كليا بالصفات المبهمة والوعي المشوّش هي فقط التي تستطيع ان تندمج .

من الضروري للجماعات المنسجمة والمتماسكة والتي تمتلك صفات محددة ووعيا واضحا ان تقاوم . ان القول بأن الضعيف يستسلم والقوي يستمر صحيح بالنسبة للجماعات كما هو كذلك بالنسبة للافراد . وعلى اية حال ، فاننا مواجهون هنا بحقيقة تاريخية وهي وجود واستمرار افراد من قوميات مختلفة بين مختلف الشعوب ، وبذلك اعني الرجال الذين احتفظوا بصفات تختلف عن تلك التي للذين حولهم . ان مثل هؤلاء الافراد بسبب كونهم قد استمروا في وجودهم يقاسون من عناء الضغط والقسر وذلك لان الشعوب لها ميل اكيد لتقليل عدد العناصر غير المتجانسة

التي تعيش بينها . وبذلك فان حريتهم تبدأ ان تتضاءل، واذا ما استمروا في رفضهم العنيد للاستسلام ، فانهم لن يتمكنوا من الاحتفاظ بحريتهم الفردية الا اذا نجحوا في استعادة حريتهم الجماعية التي كانوا قد فقدوها. وبايجاز ، فان قوميتهم هي الشرط السابق لحريتهم الفردية ، وان القسر الذي يعانونه يمنعهم من تقديم اي شيء يستطيعون تقديمه للحضارة ، وذلك لان جزءا من طاقاتهم يكون مستهلكا لاغراض المقاومة والنضال الذي وحده فقط سيجعلهم يحتفظون بقدرتهم على النمو قبل ان يكون النمو نفسه قد حدث . مرة اخرى أؤكد ان قوميتهم هي التي سوف تمنحهم الفرصة ليعيشوا وينتجوا .

ان هذه هي حالة اليهود الروس او الرومانيين الذين، بسبب وضعهم الحالي ، لا يستطيعون تقديم اي شيء يقدرون عليه . وفي المستقبل ، سيجد اليهود الغربيون انفسهم في وضع مشابه وسيكونون مضطرين للنضال ضد عداء السامية ــ نضالا طويلا وكفاحا مستديما تقوم على الانتصارات والهزائم ، ولكنه في النهاية سيؤدي الى القضاء على الاقلية التي تقوم به.

كلمة القومية بالنسبة لليهودي يجب ان تعني الحرية . ان اليهودي الذي يعلن اليوم قائلا : « انا قومي » لا يريد ان يقول بشكل خاص ودقيق ومحدد : « انني رجل اريد اعادة بناء الدولة اليهودية في فلسطين واحلم بفتح القدس » ، ولكنه يعني بذلك : « انني رجل اريد ان اكون حرا تماما، اريد ان اتمتع بضوء الشمس ، اريد ان اهرب من الاضطهاد وانتهاك الحرمات والاهانات التي يحاول الناس اغراقي فيها ». وفي لحظات معينة من التاريخ ، تعني القومية بالنسبة للجماعات الانسانية اظهار روح الحرية.

وبقولي هذا ، انا لا انكر الافكار الاممية، فعندما يحارب الاشتراكيون القومية فانهم يحاربون الحماية والانعزال القومي ، ويحاربون كذلك تلك الوطنية السخيفة والضيقة والشوفينية التي تقود العالم الى وضع ينصبّون فيه من انفسهم منافسين او اعداء لبعضهم بعضا لا يفكرون بمنح الرحمة او العفو لبعضهم بعضا . هذه هي انانية الامم ، وهي تشبه انانية الافراد في بشاعتها ودرجة الاحتقار التي تستحقها . فالاممية تتطلب وجود الامة كشرط لوجودها . ان تصبح امميا ، يعني اقامة روابط من الاخوة وليس روابط ديبلوماسية بين الامم ، ويعني كذلك الغاء التركيب الاقتصادي والسياسي للامم الحالية لان مثل هذا التركيب قد اوجد لحفظ المصالح الخاصة للشعوب او حكومات هذه الشعوب على حساب

الشعوب المتجاورة . ان محو الحدود لا يعني ايجاد مزيج واحد من جميع سكان الكرة الارضية . ففكرة الفيدرالية ، فكرة الانسانية المجزاة التي تتكون من مجموعة كبيرة من الكائنات ذات الخلايا ، هي من المبادىء الشائعة عند الاشتراكيين الاميين وحتى عند الثوريين المتمردين . شرط ان تكون هذه النظرية في اسمى مراتب نموها تؤمن بأن الخلايا التي ستنضم لبعضها بعضا سوف تحاك بفضيلة الولاءات وتكون مجردة من اية تقاليد عرقية دينية او قومية . ولكن ليس لهذا كبير اهمية ما دامت هذه النظرية تفسح المجال للجماعات . هذا وان واجبنا يتعلق بيومنا الحاضر ، ويومنا الحاضر يتطلب منا البحث عن افضل السبل لتأمين الحريات للناس . ان الناس في يومنا هذا وجيلنا هذا يرغبون في التقارب مع بعضهم بعضا عن طريق المبادىء التقليدية . ولهذه الغاية فانهم يبحثون عن وحدة الاصل والماضي المشترك والنظرة الواحدة للامور والكائنات والاشياء والفلسفة المشتركة والتاريخ المشترك . يجب ان يفسح لهم المجال ليجتمعوا مع بعضهم بعضا .

ولكن بعض الاشتراكيين يعارضون ويقولون بأن تنمية القومية وتقويتها يشجع الوحدة بين الطبقات الى درجة ينسى معها طبقة العمال نضالهم الاقتصادي ويرتبطون بأعدائهم . ان هذه النتيجة برأيي ليست حتمية ، فمثل هذا التحالف ليس الا مؤقتا ، وغالبا ما تكون الطبقات الفقيرة وطبقات العمال هي التي تسيّر معها الاغنياء وليس العكس. وايضا، أليس من الضروري ان تمتلك الطبقات البائسة من جماهير العمال اليهود حريتها قبل ان تتخلص من بؤسها البروليتاري ليكون لديها فرصة للنضال والنصر ؟ اما هذه المشكلة فسوف تنشأ بالتأكيد ، عندما يحرم يهود روسيه ، مثلا ، من حرية الوصول الى بلاد معينة .

انني لا اجد في القومية ما يناقض الاشتراكية الارثوذوكسية ، هذا وانا الذي لست ارثوذوكسيا في شيء ، لا اتردد ولو للحظة في قبول القومية جنبا الى جنب مع الاممية . وبالعكس ، فاني اعتقد بأنه لكي تتمكن الاممية من ارساء جذورها ، يجب ان تكون الجماعات البشرية قد حققت حكمها الذاتي قبل ذلك ، ان من الضرورة لهذه الجماعات ان تعبّر عن نفسها قبل كل شيء بحرية وان تعي حقيقة وجودها .

ادموند فليغ (فليغهايم) (١٨٧٤ ـ ١٩٦٣) Edmond Fleg

شاعر ومؤلف مسرحي فرنسي يهودي

مولود في جنيف من عائلة الزاسية الاصل . قدم الى باريس ليدرس في السوربون واصبح من تلامذة الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون. اندمج في الحياة الثقافية والادبية الفرنسية وانتمى الى حلقة الجماليين ودعاة الفن للفن ، لكنه ما لبث ان رجع الى التوكيد على جذوره اليهودية فراح يعالج المواضيع المتعلقة بالتقليد والتراث اليهوديين . فانتهى الى نوع منالصهيونية الروحية التي لم تتمكن من التخلي عن تعلقها العميق بفرنسه وبالثقافة الغربية . تعكس كتاباته نوعا من التوتر بين هذا التعلق منجهة وتلك الصهيونية التي تبحث عن نفسها في التاريخ الروحي لليهود من جهة ثانية. وقد اخذ عليهالصهيونيون تردده في التحول الكلي نحو اسرائيل وسيره المستمر على طريق العودة اليها دون تحقيقه الجازم لتلك العودة . وربما جاء التفاته نحو الصهيونية نتيجة ذلك العداء للسامية الذي شهده اثناء محاكمة دريفوس الشهيرة * . والواضح انه ارتد الى اليهوديةولمريشا التخلي عن ثقافته الفرنسية بصورة مطلقة . فقد انضم الى الفرقة الاجنبية خلال الحرب العالمية الاولى وحارب لصالح فرنسه دون ان يكون قد اصبح مواطنا فرنسيا . وحصل على صليب الحرب ثم جرى منحه وسام جوقة الشرف فيما بعد ، ١٩٣٧ . وقتل ولداه في الحرب العالمية الثانية وهما يحاربان مع فرنسه . زار فلسطين في مطلع الثلاثينات (١٩٣١) والف كتابا عن رحلته وعودته الروحية بعنوان « فلسطيني » او « ارض الميعاد » . وكان قد نشر قبل ذلك كتابه : « لماذا انا يهودي » (١٩٢٧) ، الذي يعتبر بمثابة سيرة ذاتية يحكي فيها قصة رحلته الروحية وارتداده الى اليهودية .

يتضح التوتر الداخلي في كتابه « ارض الميعاد » ، اذ نجده يتساءل باستمرار عن « جدوى اقامة موطن لاسرائيل في فلسطين ما دام مصيره سوف يكون مهددا فيها كما في كل مكان . وهل يمكن لهذا الغيتو الجديد ان يحل مشاكل اليهود ؟ » او هل تشكل الصهيونية المتعصبة حلا كاملا للمشكلة اليهودية ؟ وقد حاول في « المختارات اليهودية » ـ اكثر كتبه انتشارا ـ تقديم تاريخ روحي لليهودي عن طريق النصوص المختارة . غير ان طابع فكره المميز يبقى ذلك التمزق بين تعلقه العميق بالثقافة الفرنسية وبباريس وحنينه الدائم الى الروح اليهودية التي جاء يبحث عنها في فلسطين . وفيما هو يعود ادراجه الى فرنسه نسمعه يردد : « ارجع الى ذلك المكان الذي كنت مستعدا لان تريق دم حياتك

---

* وفجأة نسمعه يتحدث عن تسامي الفكرة الصهيونية ويعقد العزم على حضور جلسات المؤتمر الصهيوني الثالث (١٥ ـ ١٧ آب ١٨٩٩) حيث يعبّر عن شعوره .

لاجله ، الى حيث ينتظرك اولادك ، وحيث سيولد احفادك » . وهو يعني مدينة باريس !

وقد الّف فليغ كتبا عديدة تناول فيها حياة موسى وسليمان واعتمد في ابحاثه على المصادر « المدراسية » .

« شعرت بنفسي يهوديا ، يهوديا بكل معنى الكلمة ، لكن فرنسيا كذلك وبكل معنى الكلمة ، فرنسيا من جنيف ، وفرنسيا على الرغم من كل شيء » . مع انه راح يتحسر على السنوات التي قضاها يدرس الفلسفة وعلوم اللغة الجرمانية والادب المقارن ، بينما كان عليه ان يدرس اللغة العبرية ويلتفت الى « عرقه باصوله ومعتقداته ودوره في التاريخ ومكانته بين الجماعات البشرية » . ومما يجلب له العزاء فهمه للبرنامج الصهيوني على انه لا يتضمن بصورة من الصور عودة كل اليهود الى فلسطين ، لان ذلك عدديا بحكم المستحيل. فالوطن القومي اليهودي هو فقط لاولئك اليهود الذين يشعرون بان لا وطن آخر لهم : « انا الآن فرنسي من جهة امي ، وقلبي وعقلي يتجهان دوما صوب فرنسه » . وعلى الرغم من قوله ان الصهيونية تستأثر به وتستعبده ، فهو يفضل البقاء بين ملايين اليهود خارج اسرائيل والتغني بما اسماه : « معجزة اسرائيل الكبرى » .

لماذا انا يهودي (١٩٢٧)

يسألني الناس لماذا انا يهودي ، وها انا اكتب الرد لك يا حفيدي الذي لم تولد بعد .

متى ستكبر لتستمع اليّ ؟ ان عمر ابني الكبير تسعة عشر عاما والاصغر اربعة عشر . متى ستولد انت ؟ ربما بعد عشر سنوات وربما بعد خمس عشرة سنة . متى ستقرأ الذي اكتبه الآن ؟ في العام ١٩٥٠ او ما يقارب ذلك ؟ او في العام ١٩٦٠ ؟ هل سيهتم الناس بالقراءة في العام ١٩٦٠ ؟ كيف سيكون العالم في ذلك الوقت ؟ هل ستكون الآلة قد قتلت الروح ؟ هل سيكون العقل قد خلق لنفسه كونا جديدا ؟ هل سيكون للمشاكل التي تواجهني المعنى ذاته لك، كما هو لي ؟ هل سيظل هناك يهود موجودون .

انني اعتقد بانهم سيظلون ، فقد عاشوا رغما عن فرعون ونبوخذ نصر وقسطنطين ومحمد ومحاكم التفتيش ومحاولات الاندماج ، ولهذا فانهم سيعيشون حتى بعد اختراع السيارة .

ولكن انت ــ هل ستشعر بانك يهودي ، يا بنيّ ؟ يقول لي الناس « انك يهودي لانك ولدت كذلك ، ولم يكن ذلك بارادتك وانك لا تستطيع

تغيير ذلك » . هل ستقبل بمثل هذا الكلام اذا لم تظل تشعر بانك يهودي مع انك ولدت كذلك ؟.

عندما بلغت العشرين انا ايضا شعرت بان ليس لي نصيب من اسرائيل ولست جزءا منها . لقد اقتنعت بان اسرائيل سوف تزول ولن يتكلم الناس عنها بعد عشرين عاما من ذلك الوقت . ولكن العشرين عاما مرت ، ومرت اثنتا عشرة سنة كذلك ، واصبحت يهوديا من جديد ، وسئلت : « لماذا انت يهودي ؟ » .

ان ما حدث لي ، يا بنيّ ، قد يحدث لك . اذا كنت تعتقد بأن لهب اسرائيل قد اطفىء في داخلك ، فما عليك الا ان تراقب وتنتظر ، لانه سيعود يوما ما للاشتعال ، فهذه قصة قديمة تتكرر كل جيل ، والظاهر بأن على اسرائيل ان تموت الف مرة وعليها ان تحيا من جديد الف مرة ايضا . والآن اريد ان اخبرك كيف ماتت وعاشت فيّ لكي تتمكن بدورك ، اذا ماتت فيك ، ان تحس بها تولد من جديد في داخلك . بهذا اكون قد اعدت اسرائيل لك ، وانت تعيدها للآخرين اذا اردت او استطعت ذلك، ونكون نحن الاثنان ، بطريقتنا الخاصة ، قد حفظنا ونقلنا الوصية الالهية : « فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم واربطوها علامة على ايديكم ولتكن عصائب بين عيونكم ، وعلّموها اولادكم » . (تثنية ١١ : ١٨) .

ظهرت المسألة اليهودية لي كحقيقة وذلك منذ قضية دريفوس ولكنها الآن تحولت الى مأساة :

« ما هي اليهودية؟ ــ يقولون انها خطر على المجتمع. اي خطر ؟... ولكن اولا ، هل ما ازال يهوديا ؟... لقد تخليت عن الديانة اليهودية ... ولكنك ما تزال يهوديا ... كيف ؟... لماذا ؟... ماذا عليّ ان افعل؟... هل اقتل نفسي لاني يهودي ؟ » .

لقد كنت في بعض اللحظات التي تمر بي احسد اسلافي على ايمانهم الضيق القوي ، فمع انهم كانوا « محبوسين » في حاراتهم وراء جدران الحقد عليهم والاحتقار لهم ، كانوا على الاقل يعرفون سبب حالتهم تلك . ولكنني لم اعرف شيئا . كيف كان يمكن ان اعلم ؟

لقد كنت جاهلا تماما حقيقة اسرائيل ، وانا نادم على جميع السنوات التي قضيتها في دراسة الفلسفة والفيلولوجيا الالمانية والادب المقارن . كان عليّ ان اتعلم العبرية ، وادرس عن جنسي واصله ومعتقداته ودوره

في التاريخ ومكانته بين المجتمعات البشرية اليوم . كان عليّ ان اتعلق ، من خلال جنسي ، بشيء يكون بمثابة نفسي واكثر من نفسي ، وان اكون قد اكملت من خلال ذلك الشيء الذي بداه الآخرون وسيكمله الذين سوف يأتون من بعدي .

ولطالما قلت لنفسي لو انني قد استفدت من حياتي بشكل آخر ، لو كرست نفسي لدراسة اخرى ، فلو كوّنت عائلة فيما بعد دون ان استطيع ان اترك لابنائي مثلا عاليا فسوف اعيش في تعب من عذاب الضمير بسبب فشلي في تأدية واجب . وكنت اتذكر والدي المتوفي واوبخ نفسي لانني لم آخذ عنه تلك الحكمة اليهودية التي كانت تعيش في نفسه والتي كان يتحدث بها اليّ دائما ـ وكنت الوم نفسي كذلك لانني لم استطع ، وبسبب خطأ فيّ ، ان اجد شيئا مشتركا ما بين ماضي اسرائيل ونفسي الفارغة .

في ذلك الوقت ، ولاول مرة ، سمعت بالصهيونية . انك ، يا بنيّ ، لا تستطيع ان تتصور اي ضوء كان ذلك بالنسبة لي ! اريدك ان تذكر ان كلمة الصهيونية لم تذكر ابدا في حضوري في ذلك الوقت الذي اكتب لك فيه. فقد اتهم المعادون للسامية اليهود بانشاء امة داخل الامم الاخرى، ولكن اليهود ، او على الاقل ، الذين عرفتهم ، انكروا ذلك . والآن يعلن اليهود : « نحن شعب مثل بقية الشعوب ولنا بلاد مثلما للآخرين بلاد . اعيدوا لنا بلادنا » .

ثم درست الموضوع وتبين لي : بأن اصول الفكرة الصهيونية تمتد بعيدا منذ ايام الانبياء الاوائل ، وقد وعدت التوراة يهود الشتات بأنهم سوف يعودون الى الاراضي المقدسة ، كان ايمانهم بهذا الوعد هو الذي ابقاهم احياء خلال العصور الوسطى، واما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فان رجالا عظاما مثل موريس دي ساكس امير دي لين ، ونابليون ، استطاعوا ان يفهموا ما ستقدمه اعادة توطين اليهود في فلسطين من فوائد اخلاقية ودينية واقتصادية وسياسية وخيرية . ومنذ العام ١٨٧٣ بدأ اليهود في اقامة المستعمرات هناك ، والآن يقوم نداء رسول جديد اسمه، ثيودور هرتزل ، بدعوة يهود العالم لتأسيس الدولة اليهودية .

هل كان هذا هو الحل الذي كنت ابحث عنه ؟ لقد اتضحت لي امور عديدة . اذا تمكن اليهود ان يشكلوا امة ، فان باستطاعة المرء ان يفهم لماذا كانوا يعتبرون يهودا حتى عندما توقفوا عن ممارسة شعائر ديانتهم ،

واصبح من المفهوم ايضا لماذا تنقلب امة رحبت بهم ضدهم وتتهمهم بأنهم ليسوا مخلصين لمصالحها القومية . هذا وقد استطاعت الفكرة الصهيونية ان تحركني بسموها . لقد اعجبت باخلاص اولئك اليهود ، وكنت اود لو وجدت هذا الاخلاص في نفسي ، لتربة الاجداد التي ما تزال تعيش منذ الفي عام . كانت العاطفة تهزني كلما تصورت الخروج الكامل الذي سيعيد اليهود الى وطنهم من منافيهم العديدة الى الارض الواحدة التي يغزونها من جديد .

وكان المؤتمر الصهيوني الثالث (١) في بال قد قرب افتتاحه، فقررت ان احضره ، وقد ساعدتني معرفتي بالالمانية ان اتتبع مناقشات المؤتمر عن كثب .

لقد اصغيت اليه كله ، ولكنني كان يشوقني اكثر ان انظر حولي . اية متناقضات يهودية كنت ارى هناك ، بولندي ذو وجه شاحب ووجنتان عاليتان ، والماني بنظاراته ، وروسي له شكل ملاك ، وفارسي ملتح ، واميركي حليق الذقن ، ومصري بطربوشه ، وهناك ذلك الشبح الاسود الذي يلبس قفطانه الضخم وقلنسوة الفرو على راسه وذؤابات الشعر الاصفر تتدلى على صدغيه . وفي حضور هذه الوجوه الغريبة حدث الشيء المحتم ، فقد شعرت بنفسي يهوديا ، يهوديا بكل معنى الكلمة ، ولكنني فرنسيا من جنيف ، وفرنسيا بالرغم من كل شيء .

انني الآن افهم بأن البرنامج الصهيوني لا يتضمن بأي شكل من الاشكال عودة جميع اليهود الى فلسطين لان ذلك شيء غير عملي من الناحية العددية . ان ارض الآباء اليهودية هي لاولئك الذين يشعرون بأن ليس لهم غيرها . فانا الآن فرنسي من جهة امي، وان عقلي وقلبي يتجهان دوما صوب فرنسه. في البدء ، عندما كنت صغيرا ، كان والداي يشعران بالجميل كيهود نحو تلك البلد، ولكن اخيرا، جاء طموحي الادبي واقامتي الطويلة في باريس مع زملائي الطلاب الذين ساعدتني صداقتهم وزمالتهم الى ما وصلت اليه . واخيرا جاءت مسألة دريفوس التي كانت مؤلمة لي ولكل فرنسه. لم استطع ان افصل في افكاري ما بين مسقط راسي في جنيف وبين موطني الروحي العظيم والذي تعتبر جنيف متعلقة به . لذلك ، عندما تخليت عن هوايتي الفنية وحاولت البحث في اعماق نفسي عن تقاليد ، وجدت فيها ما هو اقوى واكثر وعيا من الغرائز اليهودية التي كانت ما

١ ــ ١٥ ــ ١٧ آب (اغسطس) ١٨٩٩ .

تزال في بدء يقظتها في داخلي ، لقد وجدت التقاليد الفرنسية ممتزجة بتقاليد اسرائيل .

اذا ، ماذا كانت تعني الصهيونية بالنسبة لي ؟ ان معجزة اسرائيل العظيمة التي هي موضع اهتمام كل اسرائيل تستطيع ان تستعبدني ، وهي لا تزال تفعل ذلك ، فان ثلاثة ملايين يهودي سوف يتكلمون العبرية وسيحيون حياة عبرية على تربة عبرية ! ولكن السؤال المؤلم يبقى : ما هي اليهودية ؟ ماذا يجب على اليهودي ان يفعل ؟ كيف يمكن ان تكون يهوديا ؟ ولماذا يجب ان تكون يهوديا ؟ سيبقى يواجه الاثني عشر مليون يهودي الذين سيبقون في الخارج .

انني يهودي ، لانني مولود من اسرائيل وقد اضعتها، ولكنني وجدتها تحيا فيّ مرة اخرى بشكل اقوى من حياتي .

انني يهودي ، لانني مولود من اسرائيل ولانني وجدتها مرة اخرى ، اتمنى ان تعيش بعدي بشكل اكثر مما كانت به تحيا في داخل نفسي .

انني يهودي لان الايمان باسرائيل يتطلب مني عدم التخلي عن تفكيري.

انني يهودي لان الايمان باسرائيل يفرض عليّ اخلاص قلبي .

انني يهودي لان اليهودي يبكي في كل مكان فيه بكاء وفيه ألم .

انني يهودي لان اليهودي يتأمل خيرا كلما اجتاح اليأس .

انني يهودي لان كلمة اسرائيل هي الاقدم والاحدث .

انني يهودي لان وعد اسرائيل هو الوعد للعالم كله .

انني يهودي لان العالم بالنسبة لاسرائيل لم يكتمل بعد ، وان الرجال يكملونه الآن .

انني يهودي لان اسرائيل تضع الانسان ووحدانيته فوق جميع الامم وفوق اسرائيل ايضا .

انني يهودي لان اسرائيل تضع الوحدانية الالهية فوق الانسان الذي هو صورة تلك الوحدانية الالهية .

عندما اتجول احيانا في متحف يا بني وأقف امام جميع الصور والتماثيل والاثاث والدروع والخزف والبلور والموزاييك والاثواب وملابس

الزينة والنقود والجواهر المجمعة كلها هناك من كل مكان ومن كل عصر لتعلق على الجدران ولتقف على قواعدها ، ولتصطف خلف الشرفات ، ولتصنف وتعدّ ولتوضع في العلب الزجاجية ، اتصور وانا اتأملها ان واحدا او اكثر من اجدادي قد رأى ، او لمس او تناول او اعجب بواحدة من هذه الاشياء ، في المكان نفسه الذي صنعت فيه وفي الوقت الذي صنعت فيه ايضا من اجل خدمة البشر وعملهم او المهم او بهجتهم .

ان هذا الباب ، ذا المسامير الرمادية بين خشبتين من الزان وضمن اطار مطلي ، هو كنيس جنيف حيث كان والدي يذهب ليصلي . وانظر الى ذلك الجسر على الرون ، فقد عبر جدي الراين عند هننجر . ولكن ، اين كان يعيش جده ؟ ربما كان ، وهو يعدد الادوار الصوفية « كابالا » ، قد رأى من خلال نافذته الهادئة مركبة الجليد هذه وهي تنزلق فوق ثلوج المانيه او بولنده ، وجدّ جدّ جده ؟ ربما كان ذلك الصراف في حارة اليهود في امستردام الذي يظهر في رسم لرمبرانت .

ربما يكون احد اجدادي قد شرب من قدح الخمر هذا بعد عودته من درس استاذه راشي في مدرسة ترويز في شامبانيه وربما ايضا يكون احد اجدادي قد جلس على هذا الكرسي الملبّس بالزمرد وهو يجس نبض السلطان اثناء زيارة طبية له ، وكذلك يمكن ان احد اجدادي قد اقتيد الى المقصلة من قبل احد الرهبان الذي كان يحمل صليب كاستيل هذا ، قد يكون احد اجدادي قد رأى احد ابنائه تدوسه اقدام حصان احد الصليبيين الذي لبس هذا الدرع .

واغطية الرأس هذه المصنوعة من الريش ، هل احضرها اجدادي من احد الاميركيين المتوحشين ؟ والعاج الافريقي هذا ، والحرير الصيني ، هل اشتراها احدهم من ضفاف الكونجو او من آمور ليبيعها مرة ثانية على شواطىء الجانجز او في مياه البندقية ؟

ان احدهم قد قاد هذا المحراث خلال سهول سارون ، وان احدهم قد صعد الى الهيكل ليقدم عشر محصوله من التين في هذه السلال ؟

وتمثال تيتوس الرخامي هذا ، عندما كان صاحبه من لحم ودم كان احد اجدادي يسحل الى عجلات عربته وهو ينزف دما في لحظة انتصار روماني . وتحت اقدام هذا التمثال الملتحي والمكسو بثوب ملون والذي يقف على جانبيه ثوران مجنحان على هيئة انسان ، كان اجدادي يشمون غبار بابل . وعندما كان يتنفس فرعون هذا المصنوع تمثاله من صخر الـ «Porphyry»

بكفيه المنبسطتين على حضنه، كان احد اجدادي يحني رأسه امامه قبل ان يتمنطق بحزامه ويحمل عصاه ويتبع موسى عبر البحر الاحمر. وان الصنم السومري هذا ذا العينين المستديرتين والفكين الواسعين ، ربما يكون الصنم الذي كسره ابراهيم عندما ترك بلاده الكلدانية ليتبع نداء الهه غير المنظور .

هنا اقول لنفسي : ان جميع هؤلاء الآباء ابتداء من هذا الاب البعيد وانتهاء بأبي انا قد اوصلوا لي الحقيقة التي كانت تجري في دمهم والتي تجري في دمي الآن ، واضيف : أليس من الواجب عليّ ان اوصلها انا بدمي لأولئك الذين هم من دمي ؟

هل ستقبلها مني يا بنيّ ؟ وهل ستوصلها للذي بعدك ؟ ربما انك ستتخلى عنها . اذا كان الامر كذلك ، فليكن من اجل حقيقة اعظم ، اذا كان هناك ما هو اعظم منها . انني لن الومك ، فتلك ستكون غلطتي لانني سأكون قد فشلت في توصيلها كما استلمتها . ولكن سواء آمنت بها او تخليت عنها فان اسرائيل ستسير الى نهاية الزمان .

لودفيغ ليفيسون (١٨٨٣ ـ ١٩٥٥) Ludwig Lewisohn

مؤلف ومترجم صهيوني اميركي

مولود في برلين في عائلة يهودية اندمجت في المجتمع الالماني منذ عدة اجيال . جاء به اهله الى اميركه في السابعة من عمره . وكان متاثرا الى ابعد حد بالثقافة الالمانية . انهى دراسته العليا في جامعة كولومبيه (١٩٠٣) وحصل على شهادة الماجستير. اعترضته بعض الصعوبات في سعيه للحصول على وظيفة استاذ . وحاول ان يكسب عيشه حتى عام ١٩١٠ بقلمه ومن المقالات التي كتبها للصحف والمجلات . صدرت روايته الاولى عام ١٩٠٨ ، فلم تلق اي نجاح من الناحيتين الفنية والمالية . وتسنى له اخيرا ان يحقق امنيته ، اذ اصبح مدرّسا للالمانية في جامعة وسكونسن. ثم استاذا في جامعة ولايةاوهايو ١٩١١ ـ ١٩١٩ . ونشر عددا من الكتب التي اكسبته شهرة لا بأس بها ، فاعتبر نفسه من الثقاة في الادب الاوروبي الحديث ومن النقاد الادبيين . ثم كرس وقته للنقد بعد ان ترك حياة التعليم ، واشتغل حتى ١٩٢٤ كناقد مسرحي في مجلة « نايشن » Nation الاسبوعية ، فاصبح عضوا في هيئة تحريرها .

تحوّل من داعية للاندماج الى صهيوني متعصب خلال هذه الفترة من حياته . فقد اعتبر نفسه من الادباء الليبراليين وشاء ان يجد صلة وثيقة بين العداء للنزعة الليبرالية والعداء للسامية . فكان جوابه على ذلك ان رسم صورةلليهودي كمدافع ابدي عنالصلاح والاستقامة . وعبّر عن ايمانه الصهيوني الجديد في كتاب عنوانه «اسرائيل» (١٩٢٥) . استعرض فيه « العالم اليهودي آنذاك » في كل من اميركه واوروبه وفلسطين لكي يبرهن للقارىء بان « بيت يعقوب اخذ يتذكر خدماته التي تحتاج اليها الانسانية : من مقاومة الشر والاثم الى تحطيم نير الاستعباد واقامة السلام » .

ولقد تخلل موضوع « العودة الشخصية » العديد من كتاباته وعبّرت عنه احدى رواياته التي عالجت موضوعا يهوديا : « الجزيرة في الداخل » (١٩٢٨) . وقام بالقاء محاضرات دعا فيها الى تبنّي آرائه الصهيونية حتى اصبح احد الكتّاب البارزين فيالحركة الصهيونية الاميركية .

تراس تحرير مجلة « فلسطين الجديدة » New Palestine الناطقة الرسمية بلسان المنظمة الصهيونية الاميركية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ . ثم انضم الى الهيئة التدريسية في جامعة براندیس منذ ١٩٤٨ حتى وفاته .

تهجّم في كتاباته على دعاة الاندماج في المجتمع الاميركي وعلى جميع الذين ينكرون بان اليهود يشكلون شعبا واحدا قائما بذاته . واصر على انعزالية اليهود : « كل يهودي ينكر

يهوديته او يقلل من شأنها ويندمج كليا مع الشعب الذي يعيش بين ظهرانيه لا يخون شعبه الخاص فحسب ، بل كل الشعوب » . (« اسرائيل » ، ص ٢٤٨) .

كتب عن المسرح الحديث والادب الالماني الحديث وعن شعراء فرنسه المحدثين . وله رواية عنوانها « آخر ايام شيلوك » والعديد من الترجمات عن الادب الالماني بشكل خاص . وعلاوة على المواضيع اليهودية العقدية تأتي مؤلفاته الصهيونية : « اسرائيل في منتصف الطريق » و « ثيودور هرتزل : صورة لهذا العصر » .

سنة ازمة (١٩٣٣)

علينا اتباع اسهل وسيلة لحل مجموعة المشاكل المعقدة الناجمة عن الفوضى الذهنية والامراض الروحية . حيثما يجتمع ثلاثة او اربعة من اليهود يبدأون عاجلا او آجلا في الحديث عن المسألة اليهودية ويبدأون في بحث وضعهم حيث يعيشون او بحث وضع اليهود في بلاد اخرى. يقولون مثلا اذا كان الاضطهاد ليس شديدا في الاماكن التي يقيمون فيها ، ان الاوضاع ليست سيئة ومن المحتمل ان تتحسن ، وبأن المضطهدين (بكسر الهاء) في البلاد الاخرى يقفون على مستوى حضاري ادنى من الشعوب التي يعيشون هم بينها . لقد سمعت هذا الحديث في يونجستون واوهايو وفي مارينباد في تشيكوسلوفاكيه وفي قسطنطينة على الجبال الافريقية. او يكون هناك نوع آخر من الحديث ، ما عدا في الساعات التي يكون فيها خطر الاضطهاد شديدا ، هذا النوع من الحديث هو حديث الذين يحاولون سلخ انفسهم عن اسرائيل ، ولانهم لا يمارسون انسلاخهم ، بالفعل فان جلّ ما يفعلونه هو التحدث عن هذا الموضوع . واخيرا هناك الطبقة الدنيا هؤلاء الذين يتندرون بفكاهات يهودية على حساب شعبهم وذلك لاسباب نفسية من بينها التمييز بين راوي الفكاهة وسامعها ، وبذلك يسلخ الراوي نفسه عن الرذائل ونقاط الضعف التي يصف بها الاغيار اليهود ويتندرون بها في الروايات .

مثل هذا الحديث غير المفيد والذي لا نهاية له يجري في كل مكان وزمان، وله مائةشكل تتراوح بين ما هو اكثر تهذيبا الى ما هو اكثر خشونة، ولكن جميع اشكال الحديث يمكن تصنيفها ضمن الاشكال المشار اليها سابقا . كما يمكن ارجاع اسبابها النفسية الى كبت لا واع للحقيقة (Suppressio veri) وايحاء لتصديق ما هو غير صحيح (Suggestion falsi) يحاول من خلاله الملايين من يهود المنفى ابقاء انفسهم بعيدين عن جو الحقيقة القاسي الذي قد يكون على قسوته شافيا لآلامهم لو انهم

تجراوا على مجابهته . هذا وهم لا يحاولون معرفة السبب الذي يجعلهم يبحثون من اجل تفسير استمرار وكثافة انشغالهم بأنفسهم وبشعبهم ومصيرهم لانهم ان فعلوا ذلك سيجدون انفسهم مضطرين في الحال الى عقلنة انشغالهم هذا وتغذيته بواسطة التأمل والمعرفة ، ولكنهم بدلا من هذا يقاومون كل ما يجعلهم يفكرون جديا ، لان ذلك يعني القضاء على الف عادة هيتنة وتحطيم الف تقليد زائف ، يضطرون معه لاعادة تنظيم حياتهم . ان اللوم لا يقع عليهم يشكل خاص فالانسان عادة يستخدم مثل هذا الجهاز من الدفاع النفسي ضد المسائل الصعبة الحل وضد الحقائق القاسية التي لا يمكن مواجهتها . ولكن الفرق بين اليهود والاغيار في استخدام الوسائل انبسيكولوجية الدفاعية هو انها يمكن ان تعني بالنسبة للاغيار تعطيل الوحدة الفكرية او الوظيفة الاجتماعية والفعالية ، ولكن بالنسبة لليهود انها مسألة حياة او موت لكل فرد وللشعب ككل . انها مسألة حياة او موت لان الشرارات نفسها التي انطلقت منها النار الالمانية المهلكة هذه السنة ، ما تزال ــ وان خمدت قليلا وابعدت عن الانظار على يد بعض الاغيار المخلصين ــ ما تزال تهدد اليهود في كل بلد من بلاد الشتات . واعيدها، في كل بلد. هناك متسع من الوقت للتخلص منها. ولكن الساعة قربت . والتخلص منها لن يتحقق بثمن اقل من اعادة تنظيم ملايين اليهود روحيا ، وما ينتج عن ذلك من ضرورة اعادة تنظيم مجتمعات اليهود في المنفى ، روحيا واجتماعيا .

تريدون اقتراحات عملية ؟ انني سأصل الى ذلك شيئا فشيئا . انتظروا قليلا. لاحظوا اولا: انني لا اتحدث عن انتقال جماعي (Stampede) الى فلسطين لان ذلك مستحيل عمليا ولأنه سوف يسبب دمار حياة الجالية اليهودية المستوطنة « اليشوف » في فلسطين . انني اعي تماما الحقيقة القائلة بأن الغالبية العظمى من اليهود سوف تبقى في المنفى . وهناك يجب عليهم محاولة تخليص انفسهم وتخليص اصدقائهم من الاغيار . لذلك فان واجب الجيل الذي يتمثل في تخليص الشعب يقع في نقطتين : اولا تقوية المستوطنين في فلسطين « اليشوف » بسرعة ، ثانيا اعادة تنظيم المجتمعات في بلاد التشتت روحيا واجتماعيا .

من الواضح اننا لا نستطيع اعادة تنظيم هذه المجتمعات الا اذا كان الناس الذين تتألف منهم هذه المجتمعات يرغبون في ذلك وان يكونوا قد بلغوا درجة كبيرة من بعد النظر الذي يمهد ويسهل هذه العملية . اما اذا قالت الاغلبية : « نستطيع ان نستمر في العيش بالاساليب القديمة

البالية نفسها بصرف النظر عما سيحدث لابنائنا واحفادنا » ، عند ذلك ، بالطبع ، لن يكون هناك امل . لذلك فان من واجب الملايين من اليهود ان يعودوا الى الايمان ويحققوا التوبة ، كل لنفسه لكي يقبلوا بمهمة تخليص شعبهم وليقبلوا باعادة بناء المجتمعات اليهودية في العالم . لا يمكن ان يكون هناك شيء ذو فائدة اكثر من التهود والتغير الداخلي العميق ، واكثر من قلب يهودي منسحق كسير وفخور بانسحاقه وبكونه كسيرا . في اليوم الاول من نيسان (ابريل) ١٩٣٣ ، يوم بدأت المقاطعة ضدنا في المانيه، ظهرت صحيفة «جوديش رندشاو» (Judishche Rundschau) تلك الصحيفة السامية التفكير الشجاعة التي كانت بمثابة المنارة والضوء عبر الظلام الذي كان يغلف المانيه ، ظهرت وهي تحمل العنوان التالي : « البسوا الشارة الصفراء بكل فخر » . ويجب علينا ان نفعل ذلك دائم وفي كل مكان وحتى ان نفعل اكثر من ذلك . ان الشارة الصفراء يجب ان تنزل عن الثوب الذي خاطتها عليه يد عدوة الى القلب وان تتحد مع القلب وتملأه كليا وبشكل مطلق لدرجة ان لا يستطيع « اليهودي » التفريق ما بين الشارة الصفراء وقلبه .

اننا بعيدون جدا عن ذلك الوضع من الاعتزاز بالنفس لدرجة اننا يجب ان نبدأ من ذلك المستوى المتواضع في جعل الناس يرون ان الانشغال الذي يكون دون تأمل ومعرفة هو امر غبي وغير نافع . يجب علينا ان نقول للايين اليهود هؤلاء : ها انتم هنا ، فقراء واغنياء ، متعلمين وبسطاء ، تتحدثون جميعكم عن القضايا اليهودية المختلفة وعن المسألة اليهودية ، ولم تشكوا مرة بأنكم انتم بفتوركم وجهلكم وقلة اعتزازكم بأنفسكم وبمعرفتكم واحساسكم ، تشكلون اعمق مشكلة يهودية) . تتحدثون كذلك عن الشعب اليهودي ، تحزنون لاحزانه وتبتهجون لانتصاراته، ولكن كم كتابا يهوديا يوجد في بيوتكم ، وكم عملا يهوديا صرفا تقومون به ، ماذا تعرفون عن اساطيرنا وطقوسنا وشعرنا وعن فلسفة غرائز شعبنا وعن كيانه ؟ ان كل ما تفدمون ما هو الا حديث دفاع ، ومن خلال ذلك تتحجر قلوبكم او تذبل ومعها يذبل نفس الشعب ، وبذلك تسلبون الشعب باجمعه ، هذا الشعب الذي تشكلون جزءا منه ، والذي تحبونه بشكل مخفيّ وغامض ، من كل كبرياء وشموخ وقدرة على الرد والدفاع ومن ثم تسلمونه وهو مقيد ومعصوب الأعين الى قوى الشر في العالم . ولن تسمحوا لانفسكم بان تعرفوا بأن قوى الشر هذه ليس سببها كون الناس متساوين في الغباء والوحشية والجنون ، ولكن لان التركيب

الحالي للحياة اليهودية في فترة ما بعد الانعتاق وما ينتج عنه من المواجهة ما بين الاغيار واليهود مبني على نظرية خاطئة وقد برهنت انها خاطئة ـ خاطئة وجوفاء حتى لبها الفاسد ، والنظرية هي ان على اليهود ان لا يظلوا يهودا اذا ارادوا شراء سبيلهم الى حضارة الاغيار حتى يعترف اسياد حضارة الاغيار بان ثمن تخلي اليهود عن يهوديتهم De-Judaization قد دفع كليا . (لقد شرحت كل ذلك في اسرائيل منذ ثماني سنوات ، وبعد ذلك بسنتين قام ارنولد فيغ بشرحه بوضوح ودقة لا مثيل لهما في « كاليبان ، اودر بوليتيك اند ليدنشافت » . وبدل ان تصبح كتبنا ادوات في سبيل الانعتاق الذاتي لليهود وفي سبيل ابعاد الكارثة ، اصبح يرعاها بعض المثقفين من الوجهاء المتعالين الذين تم التخلص من الكلمات « اذا » و«لكن» التي كانوا يستعملونها كثيرا، وذلك في العام ١٩٣٣ بالدم والوسخ).

من المستحسن ان يكون المرء متشائما اليوم لكي يكون باستطاعته ان يكون متفائلا قليلا في المستقبل : يجب ان لا نفكر بأن اليهود الذين يتكلمون الالمانية سوف يتمكنون من الاستمرار في قيادة ركب الابداع والعلم الذي بدأوه منذ زونز (١) الى مارتن بوبر وتلاميذه ومن هرتزل الى مفكري الامس من الصهيونيين . ومع ان المجتمعات البولندية تقاسي الكارثة بشكل اخف ، الا انها مضطهدة لدرجة انه لا يمكن توقع القيادة منها . لقد فقدنا اليهود الروس في هذا الجيل ، بسبب الوسيلة المسماة بالاندماج الاحمر المشابه للاندماج البروسي والتعميد بالجملة خلال بعض العقود في القرن التاسع عشر ، او عمليات بعض الوحدات السياسية التي تريد ولو مؤقتا ، في فترة تماسكها ، ان تعترف بأن الاندماج يستطيع ان يأتي بفائدة ، ولذلك ، فان قيادة يهود العالم خارج فلسطين قد بقيت ليهود اميركه الذين هم الاكثر جهلا ، فهم مصابون بمرض خطير هو الانشغال دون معرفة ، مع انهم الاكثر عددا وقوة من بقية يهود العالم ...

انها ضرورة وواجب ان نكون قساة . في هذه الايام حتى ولو كان ذلك على حساب عدم تفهم الناس لنا لانه لو استمرت الظروف التي تواجهنا على حالتها كما هي منذ الآن ، فان جهل يهود اميركه سوف يسبب مصائب لاسرائيل لا يمكن تقديرها .

---

١ ـ ليوبولد زونز (١٧٩٤ ـ ١٨٨٦) : مؤرخ يهودي مشهور ومؤسس «علم اليهودية» (Wissenschaft des Judentums) التي تعتبر احدث دراسة علمية للتاريخ اليهودي والادب اليهودي .

هل انا بذلك ادافع من اجل «البيت» ؟ (Pro domo) نعم ان ذلك صحيح ، ولكن « البيت » الذي ادافع عنه ليس الا كل بيت اسرائيل من جيلنا هذا الذي يريد الخلاص وباسرع وقت ! هل تقدرون ان تقرأوا التسابيح « الكادش » او حتى ان تحركوا السنتكم بها ؟ انتم يهود ولن تتمكنوا من التخلص من مواجهة مصير اسرائيل الذي هو مصيركم . الى اين تحملون هذا المصير وكيف تساعدون الآخرين على حمله ، كيف تثبتونه وتقبلونه وحتى تبتهجون به اذا لم تكن اسرائيل وتاريخها ومعناها وكلامها وروحها غير حية وواضحة في قلوبكم وعقولكم ؟

ريتشارد جيمس هوراشيو غوتهيل (١٨٦٢ ـ ١٩٣٦)
Richard James Horatio Gottheil

صهيوني وعالم استشراق

مولود في مدينة مانشستر (انجلتره) . ابوه الحاخام غوستاف غوتهيل (١٨٢٧ ـ ١٩٠٣) من اصل بروسي . هاجرت العائلة الى نيويورك عام ١٨٧٣ . وخدم الاب كحاخام في الرعية الاصلاحية التابعة لهيكل عمانوئيل في نيويورك ، وهي من اهم الطوائفاليهودية في اميركه . اعتنق الصهيونية وتاثر بدعـوة « احباء صهيون » ، ممـا اثار استياء الرعية واستنكارها آنذاك .

درس الابن في جامعة كولومبيه وتخرّج عام ١٨٨١ . ثم تابع دراساته العليا في حقل اللغات السامية لدى عدد من الجامعات الالمانية . تعيّن محاضرا في اللغـة السريانية بجامعة كولومبيه عام ١٨٨٦ ورفّع الى درجة الاستاذية في العام التالي . قضى حياتـه الجامعية في كولومبيه واشتغل في المكتبة العامة بنيويورك حيث اصبح عام ١٨٩٨ رئيسا للدائرة الشرقية فيها . وبقي يشغل المنصبين حتى وفاته .

تحمس لدعوة هرتزل وكان من اتباعه البارزين في الولايات المتحدة . وحين تاسس اتحاد الصهيونيين الاميركيين في مؤتمر نيويورك الوطني ، تموز (يوليو) ١٨٩٨ ، وضم جميع المنظمات والجمعيات الصهيونية في اميركه كان رئيسه الاول من ١٨٩٨ ـ ١٩٠٤ . وقام بنشاط بارز وفعّال في الحركة الصهيونية واستغل مركـزه العلمي لنشر الدعـوة وتقريبها من اسماع الراي الاميركي . فقد اخذ زمام المبادرة في اعادة صياغة الموضوعـات الرئيسية في الدعوة الهرتزلية لكي تاتي ملائمة للتجربة الاميركية ومطابقة لها . حتى انـه غدا في طليعة الذين حاولوا فلسفة الصهيونية الاميركية وصبغها بالصبغة الاميركية البحتة .

حضر العديد من المؤتمرات الصهيونية الاولى ورافق تطورات الحـركة . كان رئيس جمعية الادب التوراتي (١٩٠٢ ـ ١٩٠٣) ومدير المعهد الاميركي للبحوث الشرقية بالقدس (١٩٠٩ ـ ١٩١٠) واستاذا زائرا في جامعة ستراسبورغ (١٩٢٠ ـ ١٩٢١) ورئيس الجمعية الشرقية الاميركية (١٩٣٣ ـ ١٩٣٤) .

خلال رئاسته لاتحاد الصهيونيين الاميركيين قام بخدمات تنظيمية وسياسية كثيرة . وجنّد قلمه للكتابة عن الصهيونية ، فكتب مقالة « الصهيونية » في الموسوعة اليهوديةالتي صدرت في نيويورك عام ١٩٠٤ . ولا تزال تعتبر من افضل ما كتب حول التاريخ المختصر للحركة الصهيونية في سنواتها الاولى .

يعالج في مقالة له عنوانها « اهداف الصهيونية » (١٨٩٨) الكثير من المسائل التي

كانت مثارا للجدل في الاوساط الصهيونية الاميركية . يتناول المفهوم القائل بان الصهيونية تعني جلاء اليهود التام عن العالم الغربي والراي الذي يعتبر اعتناق الصهيونية مسالة منافية للوطنية . فيقول فيها عن الصهيونية : « لقد سعت الصهيونية واوجدت لنا قاعدة اوسع من القاعدة الدينية (حيث تزول جميع الفوارق الدينية) ، قاعدة العرق والقومية ... » وهناك عدد لا يستهان به من الجمعيات والمؤسسات في العالم التي تعمل في نفس الاتجاه . « انها تقوم بلحم شعب اسرائيل وتوحيده مرة اخرى . وهي ليست جمعيات دينية ... بل تقوم على القاعدة الثابتة في الصلات العرقية والقومية المشتركة » . والصهيونية تبشّر بالمصالحة بين الاهداف المتعارضة وخطوط العمل المتضاربة ، تريد مصالحة اليهودي باليهودي ، وتعني المصالحة بين اليهودي من جهة والعالم اللايهودي من جهة ثانية . وحين ينتقل الى الحديث عن علاقة اليهود في اميركه والخارج بالكيان اليهودي السياسي الجديد ، يرى تلك العلاقة مشابهة تماما لعلاقة الشعوب المنتمية الى جنسيات اخرى في سائر انحاء العالم بوطنها الام . ولا يخفى انه يسعى لكسب عطف الاميركيين بهذه اللهجة المعتدلة وينتهي به القول الى طمانتهم بان الصهيونية لا تعني عودة جميع اليهود الى فلسطين او وجوب عودتهم جميعا . وقد صاغ غوتهيل برنامجه الصهيوني في المقال المذكور بصيغة تجعله مقبولا لدى القسم الاكبر من اليهود الاميركيين .

ظهر له تاريخ الصهيونية عام ١٩١٤ .

اهداف الصهيونية (١٨٩٨)

لقد قال احد اساتذة جامعة فيينه مؤخرا : « ان افضل وسيلة للتخلص من اليهود هي في ان نقضي عليهم ... » انني اعترف بان هذا حل عملي ، وحتى اقول بانه حل متسامح من عدة وجوه ، ولكن هذا التسامح ليس لنا نحن الذين نشأنا من لحمهم ودمهم . واذا اردنا ان نخلص اليهود ـ واسمحوا لي بالقول بانني اتكلم هنا عن ثلاثة ارباع اليهود ـ يجب علينا ان ننزعهم من الاماكن التي اصبحت حياتهم فيها لا تطاق . ومهما تكن اعتباراتنا الشخصية ، وان اردنا ذلك ام لا ، يجب ان لا نترك هؤلاء المساكين لمصيرهم المحتوم . ان كل جزء من جسدنا يصرخ « يا للعار » لكل اقتراح يقضي باتباع طريق كهذه . ماذا اذن ؟ الى اين سيذهبون في اوروبه ؟ لا يمكن ان يذهبوا الى النمسه او الى المانيه او فرنسه او اسبانيه او البرتغال . حتى في انجلتره ، فان مشروع قانون الهجرة الغريبة (Alien Immigration Bill) الذي قدمه اللورد هاردويك قد وافق عليه مجلس اللوردات (١) ، ورابطة برمروز (تلك الرابطة التي انشئت لتكريم

١ ـ ازدادت الهجرة اليهودية الى بريطانيه في الثمانينات والتسعينات

(التتمة على الصفحة التالية)

رئيس وزراء يهودي) (٢) استطاعت ان تجمع ٢٣٠٠٠ توقيع على عريضة تطالب بوضع مشروع القانون هذا ضمن بيان الحكومة في الجلسة المقبلة. وهذا يعني ان لدى بريطانيه العدد من اليهود الذي تستطيع ان تستوعبه ولا تريد زيادة عددهم . هل يأتون الى اميركه ، الى ضواحي نيويورك ؟ لم يعد سرا اننا لا نستطيع حل مشاكل جميع الـ ٤٠٠ الف يهودي في مدينتنا ، كذلك هي الحال في بوسطن وبلتيمور وفيلادلفيه وشيكاجو . هل نأخذهم الى جمهورية الارجنتين حيث انفقت الملايين من اجل استيطان عدة الاف فقط ؟ حتى لو ان الاحسان العظيم الذي قدمه البارون دي هيرش كان مثمرا ، ففي خلال عدة سنين ستكون البلاد قد استوعبت الكوتا المحددة لها من اليهود ، ونكون بذلك قد خلقنا حالة تشبه ما نراه اليوم في روسيه وغاليسيه .

ان الحقيقة التي يجب ان ندركها ليست في وجود رجال مثل هامان وستوكر ودرمونت ولوجر (٣) ، اذ سيكون هناك مثل هؤلاء الرجال دائما ويجب ان لا يحكم على اية حضارة من خلال اسوأ انتاج لها . ان الحقيقة التي يجب ان تجعلنا نتوقف ونفكر هي انه من بين جميع الصرخات المتداولة ، ومن بين جميع الكلمات المألوفة فان « فليسقط اليهود » (a bas les juifs) هي الاكثر شيوعا والتي لها اتباع كثيرون .

من القرن الماضي بسبب مذابح اليهود في روسيه . وفي العام ١٨٩٨ قدم اقتراح للمرة الثانية للحد من هذه الهجرة (وكانت محاولة سابقة قد قامت في العام ١٨٩٤) من قبل حزب المحافظين. واخيرا تألفت لجنة ملكية حول الموضوع في العام ١٩٠٢ وقد قدم ثيودور هرتزل شهادة امامها وفي العام ١٩٠٦ ووفق على قانون يقيد الهجرة .

٢ ـ الاشارة هي الى بنيامين دزرائيلي الذي كان يلقب لورد بيكونزفيلد (١٨٠٤ ـ ١٨٨١) .

٣ ـ بشأن درمونت ، انظر سيلفر ، الملاحظة ٤ . ادولف ستوكر (١٨٣٥ ـ ١٩٠٩) كان واعظا في بلاط غليوم الثاني امبراطور المانيه ، وكان معاديا للسامية نشيطا بارزا . كارل لوجر (١٨٤٤ ـ ١٩١٠) ، كان رئيس بلدية فيينه في نهاية القرن ، وكان قد اسس في العام ١٩٧٨ حزب الاشتراكيين النمساويين المسيحيين (معاد للسامية) ، وكان الفتى ادولف هتلر احد اتباع لوجر .

ان الشعور العرقي وبكل اسف اقول ، والشعور الديني الذي يتلاعب بـه هؤلاء المتعصبون لم يخف من نفوس الشعب . ان هذا الشعور يبقى دائما ومع انه يمكن ان ينام لفترة ، فانه على استعداد للتحرك عند اول دعوة . انه يرتفع وينخفض كامواج البحر الهائج ، وتاريخ اليهود ليس سوى خشبة سفينة قذفتها العاصفة ولن تهدأ الا اذا عادت الى المرفأ الذي انطلقت منه.

اما ذلك المرفأ الذي انطلقت منه فهو فلسطين، ولذلك يجب ان تعود الى ذلك المرفأ تحميها الضمانات الدولية التي لن تسمح للامواج ان تمس السفينة مرة اخرى . وخلال جميع القرون الوسطى اليهودية ، ومع ان السفينة كانت تدفع نحو الغرب ، فقد كانت قلوب الذين فيها قد استدارت بحنين خفي وفي الصلاة العامة تجاه مكان الامان هذا . ومع ان اليهودي عبّر عن هذا الامل بانتظار تحقق مجيء المسيح المنتظر ، لكن امله بفلسطين يبقى املا حقيقيا. على انه يظهر الآن بان قرننا التاسع عشر هذا الذي يقال بانه اكثر القرون مادية وجمودا هو القرن الذي نرى فيه تحقيق الامل اليهودي.

ربما كنت مخطئا ، بمعنى انه قد كتب على اليهودي ان يبقى تائهـا الى الابد ؟ بعض الذين لم يصبحوا يهودا صهيونيين بعد يجيبون : « نعم »، وانهم بذلك يذكروننا بما يمكن تسميته « رسالة اليهود » لنشر تعاليـم الدين اليهودي بين امم العالم. انكم لن تسمعوا مني اي تحريض ضد هدف نبيل كهذا وضع من اجل وجود شعب معين . ولكن السنا نخدع انفسنا ؟ ماذا نحن فاعلون ، وماذا يمكننا ان نفعل لتحقيق هذه الرسالة ؟ هل يدور ابناؤنا المساكين في حاراتنا الشرقية ينشرون تعاليمنا للعالم ؟ او ان ابناءنا المتخمين والقاطنين في حاراتنا الغربية الذهبية اكثر اهتماما بالدعوة الى فكرة المسيح المنتظر ؟ ان حمل الرسالة وجمع الثروة لا يمكن ان يسيرا يدا بيد . انه لمن الحماقة ان نسمي انفسنا امة من الكهنة اذا لم نتخل عن حب الثروة اولا . اذا جاءك رجل مسكين مبلّل بالمطر ومنهك من العاصفة وتوسل اليك ان تعطيه كسرة خبز هل تقدم له رسالة روحية او مثلا اعلى عظيما يملأ به معدته ؟ عار عليك ان تفعل ذلك ، الا اذا كنـت انت نفسك على استعداد للتخلي عن قصرك وبيتك وعملك لتعيش في مثل فقره مـن اجل تحقيق هذا المثل الاعلى . ان اول رسالة للانسان هي ان يحيا حياة كريمة في مجتمعه ، وان اول رسالة لاي شعب هي ان يحيا كفرد فـي عائلة الشعوب المنتشرة في جميع انحاء العالم ، وبقـدر ما تحيا الامـة حياة محترمة وتساهم في رفع المستوى الاخلاقي للمجتمع ، تحقق بذلك هذه الرسالة الاساسية . وعندما يتحقق ذلك ، يحين الوقت لتذكـره

برسالة اسمى . فما دام ثلاثة ارباع اليهود يعيشون في فقر مدقع غير راضين عن هذه الحالة ويحاربون بشدة ضد العالم كله للارتفاع فوقه ، بينما يعيش الربع الاخير حياة هانئة وسهلة في بيوت دافئة وعلى موائد عامرة ، فانا سأظل اسأل : ماذا حل برسالة اسرائيل ؟

لقد جهدت الصهيونية في تقديم اساس لنا اوسع من الاساس الديني(اساس ذابت عليه جميع الفروقات الدينية)،ذلك الاساس هو المبني على الجنس والقومية . هذا وان هناك قوى تعمل لهذه الغاية وتنفذ ارادة الله القدير مع اننا لا نعرفها ونرفض ان نعترف بها ، ذلك ان اليهود لم يهتموا يوما بدراسة تاريخهم مثل ما هم يهتمون به اليوم فقد اصبحت المانيه شبكة تزخر بالجمعيات التي تدرس التاريخ اليهودي ، ويوجد في فيينه وهامبورج وفرانكفورت جمعيات لحفظ الفن اليهودي . ان جمعية الطلبة اليهود ، والجمعية الاميركية اليهودية التاريخية والجمعية البريطانية اليهودية التاريخية والمكابيين في لندن وجمعية يهودا (Judaeans) في نيويورك ومجلس النساء اليهوديات واجتماعات مجلس شوتوكوا (Chautauqua) كل هؤلاء وغيرهم يعملون في الاتجاه نفسه وهو جمع شعب اسرائيل مع بعضه من جديد . انها ليست جمعيات دينية ولكنها تقوم على اساس صلب من الولاء العرقي والقومي .

وتقدم الصهيونية ايضا رسالتها لمثل هؤلاء بيننا ، فهي تعمل لاعادة النبل الروحي لليهودي وكذلك تعيد له الثقة بنفسه والايمان بقواه التي وهبته اياها الحرية التامة . وعندما يصبح له وطن فلن يشعر بانه منبوذ بين الامم يخفي خصائصه الغريبة ـ تلك الخصائص التي له حق فيها كأي شخص ـ ولكن سوف يعمل ليرى بأن هذه الخصائص تحمل رسالة تحوز على اعجاب العالم . وسوف يشعر بانه متعلق بمكان ما وليس بكل مكان ، وسيحاول ان يصبح شيئا ما وليس كل شيء . ان اعظم ما تدعو له الصهيونية هو تقارب الاهداف المتناقضة وتصالحها وكذلك التقريب لخطوط العمل المتناقضة ، وبين اليهودي واليهودي ايضا. انها تعني مصالحة العالم غير اليهودي مع اليهودي. انها ترغب في شفاء جميع الجروح؛ والاعتراف صراحة بالفروقات الموجودة بصرف النظر عن محاولاتنا لانهائها ولتحقيق خلاصها على ارضها ، وبذلك فانها ستتمكن من نشر رسالتها الروحية الى عالم متصالح .

ولكنكم سوف تسألون ، اذا كانت الصهيونية تستطيع ايجاد وطن

دائم لاولئك اليهود المضطرين للذهاب هناك ولليهود الذين يرغبون في ذلك ايضا ، ماذا سيحل بنا نحن الذين اندمجنا في الحياة التي حولنا لدرجة نشعر معها اننا نستطيع الاستمرار في هذه الحياة كما بداناها ؟ ماذا ستكون علاقتنا بالكيان السياسي اليهودي الجديد ؟ انني استطيع ان اقول في الرد على ذلك ، ان تلك العلاقة سوف تكون كعلاقة اي شعب من شعوب العالم بارض آبائه . ماذا يحل بالانجليز والالمان المنتشرين في الكرة الارضية ؟ هل ان وجود اغلبية ابناء شعبهم في بلادهم يمنعهم من تأدية واجبهم كاملا للبلاد التي يعيشون فيها ؟ هل يعتبر الالماني ـ الاميركي اقل درجة من الاميركي لانه يستخدم لغته الالمانية ويهتم بمصير رفاقه الالمان الذين يعيشون في الوطن ؟ هل الايرلندي ـ الاميركي يعتبر اقل درجة من الاميركي لانه يجمع الاموال لمساعدة اخوانه المناضلين في الجزر الخضراء ؟ هل الاسكندنافيون ـ الاميركيون اقل جدارة من الاميركيين لانهم يعتبرون الروابط التي تربطهم بمسقط رأسهم روابط عزيزة كتلك التي تربطهم بالبلاد التي تبنتهم ؟

كلا ! ويظهر لي ان اولئك الخائفين من اساءة تفسير عملنا هذا يجب ان يكونوا بين اشد المناصرين للقضية الصهيونية ، اما اولئك الذين لا يشعرون بأي اتحاد عرقي او قومي مع الاصل الذي نشأوا منه فهؤلاء ايضا سيبتهجون بقومية الهجرة اليهودية الى مكان غير المكان الذي هم فيه . يجب ان يشعروا على سبيل المثال ، بان تدفقا مستمرا من اليهود غير الاميركيين الى اميركه، يشكل تهديدا متواصلا للاندماج التام الذي يكافحون من اجله .

هذا ولن اطيل اكثر واسمحوا لي بتلخيص الموقف الذي يتخذه الصهيوني بالعبارات التالية :

نحن نؤمن بان اليهود هم اكثر من جماعة دينية بحتة وبانهم ليسوا جنسا بل امة ولكن بدون الشرطين المهمين للامة : اللغة والوطن .

نحن نؤمن بانه اذا اريد وضع نهاية لبؤس اليهود ولوضعهم الشاذ الذي يعيشونه ـ والذي هو السبب الرئيسي لبؤسهم ـ يجب وضع الامة اليهودية مرة اخرى في وطن خاص بها .

نحن نؤمن بأن مثل هذه الولادة القومية هي تحقيق للامل الذي عاش مع اليهودي طيلة تاريخه الطويل المليء بالعذاب .

نحن نؤمن انه عن طريق مثل هذه الولادة القومية يمكن ان تحدث الولادة الدينية لليهود التي بها يصلون الى المكان الذي اختارته لهم العناية الالهية ليقوموا بواجبهم الديني .

نحن نؤمن بان مثل هذا الوطن ، يمكن ، بشكل طبيعي وبدون حدوث اي عنف لماضي اليهود ، ان يؤسس في ارض آبائهم ــ اي في فلسطين .

نحن نؤمن بان مثل هذه العودة يجب ان تحميها ضمانة الدول الكبرى من اجل تأمين مستقبل مستقر لليهود .

ونعتقد بانه ليس من الضروري ان يعود الى فلسطين جميع اليهود .

هذا ، ايها السيدات والسادة ، هو البرنامج الصهيوني .

وان الامل لتحقيقه يملأ نفوسنا ، او لم يقل ذلك اليهودي الصهيوني: « نحن من شعب يستطيع ان يفعل كل شيء ما عدا ان يفشل » .

الحاخام سولومون شيختر (١٨٤٧ ـ ١٩١٥)

Rabbi Solomon Schechter

عالم لاهوتي ومؤسس اليهودية المحافظة

مولود في رومانيه . تلقى العلوم التقليدية من التلمود والنصوص الحاخامية ثم ذهب الى فيينه ، حيث درس في جامعتها على اسحق هيرش فايس وماير فريدمان ، وهما من اكبر علماء التلمود المعاصرين. وانتقل منها الى برلين، حيث تتبّه اليه كلود مونتيفيوري المصلح الديني الانجلو ـ يهودي واحد مؤسسي اليهودية الليبرالية . فدعاه عام ١٨٨٢ للقدوم الى انجلتره كي يتعلم عليه الدراسات الحاخامية . ثم تعلّم اللغة الانجليزية ونشر فيها اولى مقالاته (دراسة التلمود) ، ١٨٨٥ . واصبح من الشخصيات المرموقة في الحياة الفكرية .

تعيّن عام ١٨٩٠ محاضرا للدراسات التلمودية في جامعة كمبردج . واستطاع اكتشاف هوية مخطوطة عبرية قديمة جلبت من مصر . فتبيّن له انها ترجع الى النسخة العبرانية المفقودة لسفر الجامعة (Ecclesiasticus) الاصلي . وقام بالسفر الى القاهرة ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧ ، فرجع حاملا معه العديد من المخطوطات الباقية التي وجدها في الغنيزة التابعة للكنيس القديم ـ (Genizah) . وقد اكسبه العمل الذي قام به في هذا الحقل شهرة واسعة. فاصبح استاذ اللغة العبرية في يونيفرستي كولدج، جامعة لندن ، ١٨٩٩ . ثم انتقل الى اميركه (١٩٠٢) ليراس « حلقة الدراسات اللاهوتية اليهودية » Jewish Theological Seminary ولتصبح خلال رئاسته لها مؤسسة علمية وتعليمية من الطراز الاول . فجعلها تمثل آراءه الدينية التقليدية والمتحررة في آن واحد . وعمد الى تطوير العديد من المؤسسات والمعاهد التابعة للحلقة المذكورة ـ كالكنيس المتحد في اميركه ، مثلا ، واصبحت معاقل لليهودية المحافظة التي راح يشرحها في كتبه وخطبه .

شدد في افكاره وكتاباته على الهوية القومية الدينية لليهود، فاقترب من احد الاتجاهات الرئيسية في الصهيونية . وكان له ابعد التاثير الشخصي على عدد من الزعماء الشباب آنذاك ، امثال يهوذا ماغنس ، الذين فهموا الصهيونية فيما بعد على طريقتهم الخاصة . واليه يعود كبير الفضل في ادخال الصهيونية الى الحركة المحافظة في اليهودية الاميركية . فقد بقيت منذ توليه شؤونها الفكرية والتنظيمية اشد الجماعات اليهودية صهيونية في الولايات المتحدة . وحاول تفسير تعاليم احد هاعام على الاسس التقليدية المتدينة التي كان يعتنقها . ففي احدى مقالاته (« الصهيونية : بيان » ١٩٠٦) نجده يتقبل الصهيونية السياسية باعتبارها الاداة النافعة لاغراضه الروحية الاخيرة والوسيلة التي لا بد منها لتخليص اليهود في اوروبه الشرقية . وتشبه صهيونيته الافكار التي دعا لها الحاخام

ابراهام اسحق كوك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) في ذلك الحين . وقد اثار حضوره المؤتمر الصهيوني الحادي عشر في فيينه عام ١٩١٣ موجة استنكار واستهجان في اميركه .

وقد فهم الصهيونية على انها السد المنيع بوجه الاندماج والذوبان . لكنه استدرك المخاطر التي تحف برفض الذوبان . فسارع الى القول بان الاندماج لا يعني التامرك ، بل فقدان الهوية الذي يؤدي الى خيانة تاريخ اسرائيل ورسالتها . واعترف بانه ينتمي الى تلك الفئة من الصهيونيين الذين يشددون على النواحي الدينية ـ القومية في الصهيونية اكثر مما يشددون على اية ناحية اخرى . فلا يمكن الفصل بين بعث الشعور القومي الاسرائيلي واحياء ديانة اسرائيل ، اي احياء الدين اليهودي . واستشهد بالقول التالي للتدليل على التقاء العناصر القومية والانسانية الجامعة في اليهودية : « لن ادخل القدس السماوية ، حتى تعود اسرائيل الى القدس الارضية » . وتذكر صهيونيته بعبارة هرتزل خلال المؤتمر الصهيوني الثاني : « الصهيونية هي عودة اليهود الى اليهودية قبل رجوعهم الى ارض اليهود » !

مؤلفاته : نشر منها بالانجليزية ـ « بعض نواحي اللاهوت الحاخامي » ومجموعة مقالاته في ثلاثة مجلدات بعنوان «دراسات في اليهودية» Studies in Judaism . وقد حقق العديد من النصوص العلمية الهامة : Aboth de R. Nathan و « وثائق الكتبة اليهود » Documents of Jewish Secretaries . وتجمع آثاره بين البحث العلمي والرواج الذي يمكنها من سرعة الانتشار واجتذاب القراء .

الصهيونية : بيان (١٩٠٦)

هناك قصة تحكى عن يهودي الماني من الجيل القديم تقول انه عندما جاء اليه اصدقاؤه في بداية الثمانينات من القرن الماضي وسألوه عن رأيه بالهجمات **الجديدة** على اليهود ، اجاب بكل دهشة :

« انها ليست بجديدة انها الهجمات القديمة نفسها » . ويجب علي ان اضيف وانا مخلص فيما اقول بان هجمات الصحافة والمنابر على الصهيونية التي بدأت مؤخرا ليست بجديدة . لقد استنكرت عدة مرات في الماضي ، وكانت تتكرر بعد كل مرة . وعلى اي حال ، لكي لا يفهم تجاهلي لهذه التحديات حسب القاعدة القديمة : « الصمت يعني القبول » وحتى لا يفهم انني اقنعت كليا بوجهة نظر معارضي ، سأحاول فيما يلي ان اعدد اسباب ولائي للصهيونية . انني لا ادعي ولا اطمح لدور قيادي في هذه المعركة . ان قيمة الملاحظات التالية انها تمثل وجهة نظر احد المنتمين الى هذه الحركة الذي يحاول ان يعلن بوضوح اراءه بهذه الحركة ، وهو يؤمن ايضا بانه يعكس آراء عدد كبير من رفاقه الصهيونيين . ان الصهيونية مثل اعلى ، ولذلك لا يمكن تعريفها . ولهذا السبب فانها خاضعة لتفسيرات عديدة وقابلة لاشكال مختلفة ، يمكن ان تعني بالنسبة

لواحد بعث الوعي القومي اليهودي والآخر بعثا دينيا ، بينما بالنسبة لثالث فانها يمكن ان تكون بمثابة طريق يوصل الى الثقافة اليهودية ، ولرابع يمكن ان تشكل الحل النهائي والوحيد للمسألة اليهودية. وبسبب هذه الجوانب المتعددة استطاعت الصهيونية ان تجمع ضمن برنامجها عناصر متشعبة تمثل يهود العالم اجمع وتمثل تقريبا جميع صنوف الثقافة والفكر كأي حركة عالمية عظيمة اخرى . وانه لشيء طبيعي ان يؤكد كل ممثل لها الجوانب الخاصة الاقرب الى طريقة تفكيره والاكثر ملائمة لطريقته في العمل . لكن جميعهم يتفقون على نقطة واحدة وهي انه ليس من المرغوب فيه فحسب بل من الضرورة المطلقة ، ان تستعاد فلسطين ، ارض الآباء ، بهدف اقامة وطن لقسم من اليهود على الاقل ليعيشوا فيها حياة قومية مستقلة . اما كون لغة الزعماء غامضة في بعض الاحيان لا تحدد هذا المبدأ فيرجع الى جرأة الاقتراح والى البيئات المختلفة التي نشأ فيها هؤلاء الزعماء حيث كان كل شيء يهودي بحاجة الى اعتذار، ولكن مثل هذا الغموض احيانا لا يدل على اي شك بالاهداف النهائية للصهيونية كما يتصورها غالبية الصهيونيين في اذهانهم . ولم يكن مستغربا ان تحدث ردة وان يسيطر اليأس على بعض الزعماء فيتحدثوا عن الازمات المرعبة التي عشناها خلال السنوات القليلة الماضية . ان الغالبية العظمى من الصهيونيين تبقى مخلصة لفكرة صهيون وللقدس التي يشير اليها التاريخ والتقاليد والعواطف اليهودية بشكل عام . انها « بلاد الله » بكل معاني الكلمة واصدقها . انها « ارض الميعاد » وما تزال تحتفظ بمكانتها في كل قلب يهودي ما عدا اولئك الذين يبدأ التاريخ اليهودي بالنسبة لهم حوالي العام ١٨٣٠ والذين ينحصر عندهم الادب اليهودي في اعمال حاخامي السنودس في القرن الماضي، وملفات (Allgemeine Zeitung des Judentums) (١) التي كان يصدرها فيليبسون .

اما بالنسبة لي شخصيا ، فبعد طول تردد ودراسة ، رأيت في الصهيونية حاجزا منيعا ضد الاندماج . وبكلمة اندماج لا اعني عادة ما تعنيه كلمة « تأمرك » : اي ، ان يبذل كل يهودي جهده لتعلم الانجليزية

---

١ ــ لودفيغ فيليبسون (١٨١١ ــ ١٨٨٩) : مؤسس (Allgemeine Zeitung des Judentums) «التي كانت لسان حال حركة اليهود الالمان الاصلاحيين» ان ذكر السنودس هو اشارة الى اجتماعات الحاخامين التي عقدت في القرن التاسع عشر واعلنت فيها مبادىء اليهودية الاصلاحية .

ودرس التاريخ الاميركي والتعرف على الانتاج الادبي الاميركي وان يكون مواطنا مطيعا للقانون ، ويقبل بسرور امتياز كونه احد افراد الكومونويلث، وان يكون على استعداد للقيام بجميع الواجبات التي تتطلبها منه المواطنية الاميركية . ما اعنيه بالاندماج هو فقدان الذاتية (Identity) ، او عملية الانحلال التي كانت ممارستها مختلفة في بلدان مختلفة وبدرجات مختلفة من التحدي للفكر اليهودي وعدم الولاء لتاريخ اسرائيل ورسالتها . ففي المانيه ، مثلا ، (حيث الضغط من فوق لصالح الديانة السائدة قوي جدا) يظهر الاندماج بتخل عن الدين مباشر وعام، وفي بلدان اخرى حيث ليس هناك مثل هذا الضغط ينجم عنه قطع كل الولاءات مع الكنيس ويتبع ذلك نوع من « التدين الاختياري » (Eclectic Religiosity) يطرق الكنائس المختلفة دون ان يهمل حتى طائفة المسيحية العلمية (Christian Science Temple) وينتهي بانصهار تدريجي في الغالبية الكبرى . ان هذه النهاية سوف تكثر نتيجة لاختفاء التفاوت الاجتماعي . هذا ويمكن ان يعبر بافضل شكل عما تعنيه هذه العملية في النهاية بالنسبة لليهودية ، بالفقرة التالية المقتطفة من كتاب « تاريخ اسرائيل » ، تأليف ويلهاوزن (٢) . بعد ان يقدم ويلهاوزن رأى سبينوزا الذي كثيرا ما يستشهد به حول امكانات اندماج اليهود في الشعوب المحيطة بهم يقول : « ان استمرار بقاء الجنس يمكن ان يكون اكثر صلابة من ان يقهر كما افترض سبينوزا ، ولكن على اي حال ، فقد صدق باعلانه ان ما يسمى بانعتاق اليهود سوف يؤدي حتما الى فناء اليهودية حيثما تمتد العملية الى ما وراء الدائرة السياسية وتصل الى الدائرة الاجتماعية » .

ان العزاء الوحيد الذي يتركه لنا ويلهاوزن هو « ان تحقيق هذا يتطلب عدة قرون » . نحن ، والاجيال القلائل الذين سيأتون بعدنا ، يجب ان نتمسك بكل ارتياح بالحالة الوسطية هذه وان نخضع لعذاب الموت البطيء ، او كما يقول الحكيم الاسكندري العظيم في وصف العذاب الذي ينتظر الاشرار : علينا « ان نعيش في حالة نزاع باستمرار » ، وان نتحمل الذوبان المستمر حتى يرحمنا الموت ويمنحنا اخيرا نعمته .

---

٢ ــ يوليوس ويلهاوزن (١٨٤٤ ــ ١٩١٩) عالم دين بروتستانتي الماني اول من نادى بالنظرية القائلة بان الكتب الخمسة الاولى في التوراة هي من تأليف عدة اشخاص في زمن لاحق . ولقد كان شيختر يعيد دائما كلمة ويلهاوزن المعبّرة الى نقاد التوراة الذين كان ويلهاوزن يراسهم وهي : « كلما ازداد الانتقاد ، كلما ازداد العداء للسامية » .

ان هذا النوع من الاندماج الذي له هذه النتائج المرعبة كما بيّنت سابقا هو الذي اخافه كثيرا حتى اكثر من المذابح . والصهيونية بالشكل الذي عرّفت به سوف تبرهن كما تبرهن الان بانها المانع الصحيح لهـــذا الشكل من الاندماج ، لان الصهيونية ككل ، وبصرف النظر عن الاخطاء التي يمكن ان توجد لدى زعمائها الحقيقيين او الذين فرضوا انفسهم ، تشكل قوة تقف في وجه فكرة المصير المحتوم لاسرائيل ولا تقبل تفسير رسالـة اسرائيل حسب القول المشهور : « من يبحث عن حياته سوف يخسرها ومن يخسر حياته سيحتفظ بها » . ان الصهيونية تعلن للعالم اجمـع ان اليهودية تريد حفظ حياتها ولكن ليس بخسران هذه الحيـاة . وسوف تكون هذه الحياة صحيحة وصادقة ، لها سياستها الخاصة بها ودينهـا الخاص وتعتمد في نشاطها على الذكريات والبيئات المقدسة ، وسوف تبرهن على انها برج من القوة والوحدة ليس فقط لهؤلاء الذين تجمعـوا ضمن حدود الاراضي المقدسة فحسب ولكن لاولئك الذين يفضلون ، امـا اراديا او اضطراريا ، البقاء في بلاد المنفى .

ان كلمة المنفى تستعمل هنا بشكل عام ، انها تعبر ، كما نسمع كثيرا ، عن اليأس والعجز الذي يمكن ان نشعر به في وجه مأساة عظيمة ، والمأساة ليست تصورا خياليا ولكنها حقيقة وتوجد في كل مكان . انها لمأساة ان ترى شعبا عريقا وعظيما يتميز بولائه لدينـه واخلاصه لناموسه يخسر آلافا من افراده يوما بعـد يوم بالتفتت . انهـا لمأساة كذلك ان نـرى مؤسسات مقدسة قديمة قدم الجبال ، لحفظ ما لم تتوان اسرائيل عـن التضحية في سبيله طيلة آلاف السنين ، تنهـار امـام اعيننا وتتبـدل بمؤسسات مطابقة لها من الاديان المعادية . انها لمأساة ايضا ان ترى اللغة التي يقدسها العالم اجمع والتي كتب بها الكتاب المقدس والتي استخدمت لحفظ افضل واعظم افكار اسرائيل ، يكون مصيرها النسيان التام بعد ان تكون ابعدت تدريجيا من الكنيس . انها لمأساة ايضا ان ترى نسل اولئك الذين حملوا الوحي الى العالم والذين كتبوا اعظم ادب ديني في الوجود يصبحون هكذا غريبين عن الفكر اليهودي الحقيقي ولا يحملون مطلقا اي شعور في نفوسهم نحوه لدرجة انه لم يعد لديهم اي تفسير آخر يقدمونه لاسفار اسرائيل المقدسة ودين اسرائيل ومثل اسرائيل العليا وتطلعاتها وآمالها غير تلك التفسيرات التي تعلموها من معارضيهم ، وانهم يتبعون آراءهـم دون تفكير وينسخون جملهم ويكررون تعابيرهم وحتـى يشتركون فـي تعييرنا . انني بذلك لا اتهم احدا ولكنني ابين حقائق تكمن وراء عملنا ولا

يمكن اعتبار اي فريق بالذات مسؤولا عنها مع انه مما لا يمكن انكاره ان البعض منا قد اعتبروا ان من الضرورة الانغماس كما ينغمسون الان في تجارب التلاشي والموت المتعمد . ان الظروف الاقتصادية التي نعيش في ظلها والرغبة الطبيعية للاستقرار والميل الداخلي للتقليد والرغبة الطبيعية في ان لا نظهر بوضع خاص وتمكننا من الوصول الى الانظمة اللاهوتية الغريبة ، وامتلاكنا لكل اغراءات « الجدة والعصرية » ، وشمولنا برعاية ذوي الجاه ، وتعلمنا في العديد من الجامعات ووضعنا في عشرات دوائر المعارف ، كلها اسباب كافية لمأساتنا ولها اثرها فيها . وعلى اي حال ، مهما بدت هذه الاسباب طبيعية فانها لن تغير المصير المحتوم . والنتائج سوف تكون مميتة حتما وبذلك تبقى الحقيقة ، وهي اننا نقف كمتفرجين عاجزين في وجه المآسي العظيمة . وبكلام اخر ، اننا في منفى ليس منفى لليهود فقط ولكنه منفى لليهودية ، او كما قال بعض العلماء الروحانيين : نفي الـ (Hannephesh) هو نفي النفس اليهودية التي تضيع امام اعيننا . وهنا نعيد مع بعض التعديلات البسيطة كلمات يهودي هيلليني عاش في القرن الثاني ، اذ قال في ساعة حزن : « لماذا تعير اسرائيل هكذا امام الوثنيين ،ولماذا يصبح الشعب الذي احببته يا الله اكثر من غيره من الشعوب ، يصبح تحت سيطرة الشعوب التي لا تعرف الله ، ولماذا اصبح ناموس ابائنا عديم الجدوى والعهود المكتوبة لم يعد لها اثر يذكر ؟ ونحن نمضي من هذه الارض كالجنادب وملء حياتنا الخوف والدهشة ، نعيش غير جديرين بالرحمة » .

اعتقد ان الملاحظات السابقة قد اوضحت باني انتمي لتلك الفئة من الصهيونيين التي تضع تأكيدا على الجوانب الدينية ـ القومية للصهيونية اكثر من اية صفة اخرى لها . ان بعث وعي اسرائيل القومي واحياء دين اسرائيل ، وبشكل اكثر تحديدا ، احياء اليهودية ، لا يمكن فصلهما عن بعضهما بعضا، فعندما وجدت اسرائيل نفسها وجدت الهها وعندما اضاعت اسرائيل نفسها او عندما بدأت تعمل لمحو نفسها ، كان من المؤكد انها سوف تنكر الهها . ان اختيار اسرائيل وكون عهد الله مع اسرائيل لا يفنى وخلود اسرائيل كأمة وعودة اسرائيل النهائية الى فلسطين حيث ستعيش الامة حياة طاهرة على ارض طاهرة ، مع كل ما يمكن ان ينتج عن تحول الانسانية وتأسيس مملكة الله على الارض ـ كل هذه هي المثل العليا والافكار المشتركة التي تتخلل الادب اليهودي على امتداد اربعة آلاف سنة بما فيه القسم الاكبر من الجزء الهيلاني . ان فقرات الكتاب المقدس التي

كان لها ترديد عالمي وكان « اليهودي المتنبي » يستشهد بها على انها تتضمن التنبوء بالاختفاء النهائي او انتهاء اسرائيل ، ما هي الا عبارة عن مقتبسات منزوعة من سياقها في النص وتتناقض مع اقوال اخرى للكاتب ذاته . وفي الواقع ان صاحبنا اليهودي الذي يتنبأ بها

يسرق بجرأة من الكتب الخمسة الاولى للتوراة (Pentateuch) :

وبدون اي تحرك للضمير او تأنيب ،

يحرّف اقوال الانبياء ويختلس من المزامير .

والتفسيرات التي يدخلونها الى الفقرات خاطئة وغير علمية كما هو الحال بالنسبة للفقرات المتعلقة بالمسيحية (Christological) والتي اقتبست من العهد القديم او حتى من التلمود والتي يستخدمها المبشرون لنرضي الذين اعتنقوا الدين المسيحي حديثا .

ان المأخذ على الصهيونية بانها غير روحانية لا معنى له . وفي الحقيقة هناك فكرة شائعة في الخارج تعتبر ان الروحانية صفة سلبية . فلنأخذ اي مثل اعلى ومن ثم نترجمه الى عمل او نأخذ اية عاطفة من عواطف الاجلال والتقوى ونعبر عنها من خلال رمز او احتفال ديني ، او لنأخذ رغبة الانسان في الاتحاد مع الله ونحاول تحقيقها من خلال الصلاة ، مثل هذه تجعلك توصف بانك غير روحاني . وعلى اي حال ، فالتهمة هذه قديمة قدم اليوم الذي اصبح فيه اسم الفريسيين تعييرا ، وانه من المتوقع ان يحدث الشيء نفسه للصهيونيين. ان الشخص المناهض للناموس هو الذي يعتبر نفسه وريثا لصفة الروحانية بينما يكون القديس الحقيقي عفويا وصادقا في جميع اعماله لدرجة انه لا يشعر بان لديه هذه الصفة وحتى انه لا يذكرها ابدا .

ان الصهيونيين ليسوا بقديسين ولكن لهم الحق في ان يقولوا بانه لا يوجد سوى حركات قليلة اقل اهتماما منهم بالمصلحة والراحة الشخصية او ان هناك حركة اقل تعلقا بالامور الدنيوية من الحركة التي يخدمونها ، ولم يكونوا ليربحوا شيئا في الانضمام اليها . فكل القوى التي توجد الان او وجدت في السابق او سوف توجد في المستقبل تعارضها على المستوى الفردي والجماعي . صحيح ان الصهيونيين اصبحوا منذ زمن قريب جدا مقبولين ، ولكنني ما ازال اذكر بكل وضوح الوقت الذي كان فيه الارتباط بالصهيونية يعتبر عائقا في تأمين الوظائف للافراد ، وكانت الصرخة

المشهورة آنذاك هي « لا نريد من الصهيونيين ان يقدموا طلبات عمل » .

ان الطبقات التي كان يأتي منها الصهيونيون هي افقر الطبقات وكذلك فقد كان هناك قسم منهم من شباب الكليات والجامعات المتلئين حماسة ومثالية والذين لا يهتمون كثيرا بشؤون هذه الدنيا . ولكن انعدام المادة لم يمنعهم من الاستجابة بسخاء لكل نداء كانت قضيتهم توجهه لهم ، فقد كانوا يدفعون قدر استطاعتهم وحتى اكثر من ذلك ، وانني بنفسي شاهدت رجالا ونساء يتبرعون بكل ارتياح بكل ما استطاعوا جمعه في ذلك العام متخلين بذلك عن التمتع بقضاء اجازاتهم الصيفية .

ان الحكم على نشاط الصهيونية يجب ان لا يكون من خلال ما حققته في صهيون والقدس ـ حيث ستواجه مشاكل سياسية ليست مهيئة للحل بعد ـ ولكن بما قد حققته للآن بالنسبة لصهيون والقدس من خلال ايقاظ الوعي القومي اليهودي رغم الجهود الجبارة التي كانت تمارسها الجهة المعاكسة خلال القرن الماضي . اذ يمكن رؤية النتيجة في كنسنا وفي بيوتنا . لم تعد صهيون والقدس ذكريات حزينة من الماضي المجيد تحس بها النفوس الورعة ، ولكن ما حدث في الحقيقة هو اننا اصبحنا ننظر الى التاسع من آب (العبري) لا كيوم نكبنا فيه ولكن كيوم للتحرير فبعد ان تخلصت اليهودية من قيود القومية تجمدت لتصبح مجرد كنيسة ـ لها طقوسها ومبادؤها التي انتشرت بعد تسعة عشر قرنا . ولسوء الحظ ان كانت اسرائيل مصابة بالعمى لم تستطع رؤية مصيرها وحفظ قلبها وظلت تحتفل ، خلال ثمانية عشر قرنا بالتاسع من آب (العبري) بالحداد والبكاء والاذلال وبذلك اخرت يوم خلاصها . ولطالما تساءلت لماذا لم تقم الكنيسة تمثالا لطيطوس يمثل الآلهة Universa مع كاتب وكاهن مقيدين عند قدميه ، وذلك اعترافا من الكنيسة بالجميل لهذا « المحسن الكبير » .

لذلك فان العمل الذي ستقوم به الصهيونية اولا والذي سوف تستمر فيه لسنين قادمة هو التجديد والخلق ، كان عليها ان تعيد خلق الوعي اليهودي قبل خلق الدولة اليهودية، وهنا حققت الصهيونية منجزات عظيمة . فمن النادر ان تجد مكانا تقيم فيه جالية يهودية ليس فيها مجموعة من الرجال والنساء الذين يعتبرون انفسهم صهيونيين يعملون للتغلب على جميع النزعات التي تحدثت عنها . لقد اوجدت هذه الحركة لنفسها صحافة خاصة بها ولها كذلك محاضرون ومتحدثون ينشرون مبادءها ويبشرون بها لاسرائيل في جميع انحاء العالم . لقد قدمت الصهيونية

للعالم آشر جنسبرج او كما يعرف باسمه الادبي احد هاعام ، وهو من اشهر المثقفين واكثر المفكرين اصالة ، الذي له كذلك مجموعة كبيرة من المريدين والتلاميذ الذين يعملون بدافع من المثل القومي اليهودي الاعلى رغم اختلافهم في التأكيد على بعض جوانب العقيدة الصهيونية وعدم التأكيد على البعض الاخر . كذلك اغنت ادبنا ايضا بعدد من الروايات والقصائد وحتى بالالحان الصهيونية المميزة . كذلك فقد اوجدت عددا من الجمعيات التي تهدف الى جعل اللغة المقدسة لغة حية عن طريق الكتابة والتحدث بها ، بينما انشئت مدارس في عدد من المجتمعات اليهودية للغرض ذاته . ومن اجل هذا الهدف ، كتبت بالعبرية سلسلة كاملة من كتب مبادىء القراءة والنحو وكتب القراءة للصغار . وبفضل تشجيع الحركة الصهيونية ترجمت عدة كتب تتعلق بالتاريخ اليهودي والمواضيع المتعلقة به وذلك من الالمانية والفرنسية والانجليزية من اجل تقوية الوعي الديني ـ القومي اليهودي . واعظم من ذلك كله ، نجحت الصهيونية في اعادة عدد من الرجال والنساء ، من هنا ومن اوروبه ، الى الحظيرة بعد ان كادت اليهودية تفقدهم ومنحتهم رغبة جديدة بالكنيس وبكل ما هو يهودي ، ووضعت امامهم مثلا اعلى جديرا بحبهم وتضحيتهم، هذا وقد علمت ان عددا من رجال الكليات اليهود المتقدمين في السن قد بداوا في درس اللغة المقدسة وفي التردد الى الكنيس يشاطرون جميع افراحه واتراحه ، وبعضهم يجابه السخرية التي يعاملهم بها اقاربهم الذين هم اندماجيون متعصبون ينشئون ابناءهم دون اي تثقيف ديني . طبعا ، مثل هذه الانتكاسات والردات تحدث دائما ، ولكني اعتقد بان من مصلحة الصهيونية في ظروفها الحاضرة على الاقل ، ان تكون كلها تضحيات دون اية ارباح . ليس في الصهيونية اية فرصة للطموحين ولـ « اولئك الذين يجهدون انفسهم لتكون رؤيا » الدولة اليهودية بدون الذكريات اليهودية والاسس التاريخية وبدون المبادىء التقليدية . لذلك فان غير المرغوب بهم في هذه الحركة ـ وغير الصابرين سوف يتخلون عنها في الحال لسبب او لآخر ، وبالفعل فانهم بداوا يتساقطون منذ الآن وبذلك تصبح تنقية الصهيونية من جميع العناصر الغريبة مسالة وقت قصير فقط .

ان اتهامنا بالتأخر والضعف لا يخيفنا فالالحاح على التقدم في وقت يكون فيه المرء قد توصل الى نتيجة تقول ان اية خطوة الى الامام سوف تسبب الدمار ليس الا عنادا . وما لم نكن قد اقتنعنا باننا غير واقعين في خطأ وبان اقوالنا هي نوع من الوحي الالهي ، وان كل عمل هو تقليد وله

سابقة، فسوف يأتي يوم في حياتنا يجب فيه ان نعود الى الوراء . ان الصهيونية هي الارتداد الطبيعي عن حالة مصطنعة ومتوترة لا يمكن ان تستمر اكثر. انها كذلك اعلان الاستقلال اليهودي من كل انواع العبودية ، مادية كانت ام روحية ، انها طبيعية وغريزية كالحياة نفسها ، ومهما بلغت الاساءات والاهانات فان ذلك لن يمنع الروح الصهيونية من اعادة تأكيد نفسها وهذا ما هو حاصل الان في لاوعي الصهيونية مع ان التعبير عنها يتخذ اشكالا مختلفة تختلف باختلاف العقول . وبالاضافة لذلك ، فان الصهيونية تؤمن بالتقدم والتنمية بشكل مطلق ولكنه يجب ان يكون تقدما حسب خطوط يهودية ويجب ان يكون الهدف الذي سيتحقق هو المثل اليهودي التاريخي الاعلى .

وبينما تكسب الصهيونية النفوس في الوقت الحاضر فانها في الوقت نفسه تعد لنا المستقبل الذي سوف يكون مستقبلا يهوديا . عندما تكون اليهودية قد وجدت نفسها وعند ذلك فقط ، اي عندما تكون الروح اليهودية قد خلصت نفسها من المنفى ، تستطيع اليهودية ان تستأنف رسالتها للعالم . ان كل شخص لم تضيّق اراؤه بالقيود التي يفرضها عليه انتماؤه العقائدي والحزبي ، يدرك جيدا بانه ليس الدين فقط هو الذي يقف على المحك ولكننا جميعا نقف على فوهة بركان حقيقي اوجدته الاساليب الجذرية الجديدة « للبحث الباحث » (Searching Research) الذي لا يهتم بمعادلات الضرورة المحتمة والضمير ، وفكرة الواجب وفكرة السلوك والاخلاق الا قليلا كما لا يهتم بالمعتقدات والمذاهب . لذلك فالانقطاع يمكن ان يحدث في اية لحظة اذا لم يعمد الى اعادة تأكيد الوحي.

ان القول الشائع بان « الحرية هي مسيحنا المنتظر » يصلح ان يكون صرخة تعلن في الرابع من تموز (يوليو) ولكنه سيىء جدا من الناحية اللاهوتية وفلسفة رديئة مليئة بويلات البشرية ومشاكلها المعقدة . ان ما حدث مرة يمكن ان يحدث مرة اخرى ، فقد تدعى اسرائيل للتبشير برسالتها في العالم . اما في الظروف الحالية فليس لدينا اية رسالة محددة وحتى لا يوجد من يؤمن بهذه « الرسالة » بشكل جدي والحديث عنها هو عبارة عن تقدير (Licentia predicatorum) ولكننا نعرف بان الكتاب المقدس الذي كان له اثر عميق على حياة البشرية وبرهن بانه اداة كبيرة في تحوّل العالم قد ظهر في فلسطين او في اوساط تعتبر فلسطين موطنها ، فحياة كل الذين كتبوا التوراة كانت متاثرة بالفكرة الدينية القومية وكانوا يعيشون في ظل النظام الذي فرضه الناموس . ان

التاريخ ، كما اعتقد ، سوف يعيد نفسه ، وسوف تصبح اسرائيل اداة الله المختارة للرسالة الجديدة والاخيرة ، ولكن يجب على اسرائيل ان تحقق خلاصها اولا وتعيش حياتها من جديد وتصبح اسرائيل مرة اخرى لكي تؤدي رسالتها العالمية . ان هناك فقرات من الكتاب المقدس تتميز بنزعتها الانسانية وعظمتها منها الاصحاحات الموجودة في اشعياء وميخا التي تقول : « من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب » (٢) .

ان حكماءنا انفسهم قد عبروا عن هذا التطابق ما بين العناصر الاممية والقومية اليهودية . فهم يعلنون ذلك بالاستشهاد بقوله تعالى : «انني لن ادخل اورشليم السماوية حتى تأتي اسرائيل الى اورشليم الارضية » . لن يكون الانتصار بكل مجد مملكة السماء مغايرا بل متفقا مع اقامة اسرائيل للمؤسسات الالهية في ارض الله الخاصة .

---

٣ ـ اشعياء ٣:٢ ، ميخا ٢:٤ .

لويس دمبيتز براندیس (١٨٥٦ – ١٩٤١) Louis Dembitz Brandeis

قاضي محكمة العدل العليا في اميركه . زعيم صهيوني اميركي ومن ابرز الشخصيات الصهيونية في الحياة الاميركية . جاء اهله من براغ (بوهيميه) الى اميركه ١٨٤٨ واقاموا في لويسفيل بولاية كنتاكي ، حيث ولد براندیس . قضى السنوات ١٨٧٢ – ١٨٧٣ في اوروبه يرافق العائلة في رحلاتها ، ثم صرف عامين في مدرسة بدرسدن (المانيه) . دخل جامعة هارفارد وتخرّج من كلية القانون ١٨٧٧ . مارس المحاماة في بوسطن وافلح في تحقيق نوع من الاستقلال المالي . عيّنه الرئيس ولسون قاضيا في محكمة العدل العليا عام ١٩١٦ وبقي في هذا المنصب حتى تقاعده عام ١٩٣٩ .

نشا بعيدا عن اية تربية دينية ولم يكن على اتصال وثيق بحياة الجماعات اليهودية حتى بلغ الرابعة والخمسين من عمره . فقد دعي عام ١٩١٠ لكي يسهم في حل اضراب بمدينة نيويورك قام به عمال مصانع الملبوسات التي تقع تحت سيطرة اليهود . وهنا ظهرت عاطفته اليهودية والصهيونية بصورة مفاجئة وما لبث عطفه على الصهيونية ان تحوّل الى التزام ونشاط فعّال لصالح الدعوة ، وخاصة بعد ان حدث الانقسام في صفوف اليهود الاوروبيين بسبب الحرب العالمية الاولى. تعرّف على الحياة اليهودية بين المهاجرين الجدد في نيويورك (ايست سايد) وشعر بقرابة عميقة تشده الى اولئك العمال اليهود الذين التقاهم حول مائدة التحكيم .

كان الباعث المباشر وراء اعتناقه للصهيونية ذلك الحديث الذي دار بينه وبين جاكوب دي هاس عام ١٩١٢ . وهاس رجل انجليزي الاصل ، كان رئيس تحرير جريدة يهودية اسبوعية في بوسطن ، وينتمي الى حاشية هرتزل الاصلية . فقد انضم براندیس بعد اللقاء المذكور الى اتحاد الصهيونيين الاميركيين واصبح من اعضائه العاملين والنشيطين .

قام بدور فعال في الحركة الصهيونية الاميركية خلال الحرب العالمية الاولى : ١٩١٤ – ١٩١٨ . فبعد اندلاع الحرب انتقلت مهمة تاييد الاستيطان اليهودي في فلسطين والقيام بالنشاط السياسي الصهيوني من مركز الحركة في برلين الى الولايات المتحدة. ونظم يهود اميركه في نيويورك لجنة تنفيذية مؤقتة للشؤون الصهيونية العامة وقد انتخبت هذه اللجنة براندیس رئيسا لها بالاجماع . فكان خلال فترة الحرب. مثال الزعيم النشيط للصهيونية الاميركية وعلى راس الشؤون الصهيونية العالمية. وقام بجولات في البلاد لكسب التاييد للدعوة الصهيونية ، محاولا ايضاح الصلة بين توكيده على الولاء اليهودي عن طريق الصهيونية وبين وطنيته الاميركية .

قدم اعظم خدمة للصهيونية عن طريق جهوده في واشنطن خلال المحادثات التي جرت

قبل صدور وعد بلفور (١٩١٧) . واستغل منصبه كقاضي لمحكمة العدل العليا وصداقته الشخصية للرئيس ولسون لكي يكسب تأييد الولايات المتحدة وعطفها . حدد في مؤتمر بتسبورغ الصهيوني (١٩١٨) برنامجا للعدالة الاجتماعية في خمس نقاط لكي يجري تطبيقه في « الوطن اليهودي » . وكان يهدف من وراء البرنامج المذكور تكريس الجهود الصهيونية لبناء فلسطين بطريقة مدروسة وشبيهة باساليب رجال الاعمال ونشاطهم . واراد ان يجنّد المساعدة الفعلية لاولئك الرجال المتنفذين والذين يعود اليهم اتخاذ القرارات الحاسمة في خدمة الصهيونية . فسعى الى الحصول على تعاون الذين لا يعتنقون العقيدة الصهيونية ، انما يؤيدونها . واعتبر نفسه من اتباع هرتزل المتحمسين ، فراح يحارب كل اتجاه في الصهيونية ، كالنشاط الثقافي بين يهود العالم مثلا ، ما لم يكن ذلك الاتجاه على صلة مباشرة بالعمل على بناء فلسطين . مما ادى الى خلافه مع وايزمن الذي كان يتزعم الصهيونيين الاوروبيين آنذاك واستقالته من المنظمة الصهيونية العالمية . فقد كان الرئيس الفخري للمنظمة الصهيونية في اميركه (١٩١٨ ـ ١٩٢١) والرئيس الفخري للمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٢٠ ـ ١٩٢١) . حدث الخلاف اثناء المؤتمر الصهيوني في لندن (١٩٢٠) وانتقل الى اميركه ، حيث خسر براندیس واتباعه في مؤتمر كليفلاند (١٩٢١) ، مما ادى الى استقالته مع الاحتفاظ بعضويته الصهيونية .

ساعد على تنظيم العديد من المؤسسات التي اندمجت تحت لواء « المؤسسة الاقتصادية لفلسطين » للقيام بالنشاط العملي في « الوطن القومي » . وبقي داعية للصهيونية طيلة حياته ، يقدم النصح والعون والتأييد ويمد يد المساعدة الى يهود فلسطين حتى نهاية عمره .

ألقى خطابا في مؤتمر للحاخامات الاصلاحيين عام ١٩١٥ حدد فيه معالم قانون ايمانه الصهيوني بعنوان « المشكلة اليهودية وكيف يتم حلها » . وقد حاول ان يصف الصهيونية بما هي ليست عليه عندما قال : « ليست حركة لنقل جميع يهود العالم الى فلسطين بالاكراه . فهناك ١٤ مليون يهودي في العالم وفلسطين لا يمكنها ان تستوعب اكثر من ثلث هذا العدد . والصهيونية ليست حركة لارغام احد على الذهاب الى فلسطين . لانها في جوهرها حركة لاعطاء اليهود قسطا اوفر لا اقل من الحرية ، فهي تهدف الى تمكين اليهود من ممارسة ذلك الحق الذي يمارسه الآن كل شعب آخر في العالم : ان يختاروا العيش اما في ارض اجدادهم او في اي بلد آخر ... » .

تسمّت باسمه « جامعة براندیس » الاميركية التي جرى افتتاحها ١٩٤٨ . وقد تاسست كمساهمة مشتركة من يهود اميركه في حقل التعليم العالي الاميركي ، واقيم مبناها بالقرب من بوسطن . ضمت عام ١٩٦٥ حوالي ٢٢٠٠ طالبا من الجنسين ولا يزال ابرام ليون ساخار رئيسها منذ تاسيسها .

وهناك « مؤسسة مخيم براندیس » (BCI) التي انشئت عام ١٩٤١ وكانت ترعاها لجنة الشباب الصهيوني الاميركي ثم اصبحت منظمة مستقلة عام ١٩٤٨ . وهي التي تدير مخيما كبيرا للشباب وآخر للاولاد وعددا من مؤسسات الراشدين والاحداث الاخرى بولاية كاليفورنيه .

يجب ان يكون واضحا في اذهاننا ماذا تعني الصهيونية او ، اذا وضعنا السؤال بشكل افضل : ما لا تعنيه . فالصهيونية ليست حركة لنقل جميع اليهود قسرا الى فلسطين ، فهناك ١٤ مليون يهودي وفلسطين لا يمكن ان تستوعب اكثر من ثلث هذا العدد ، انها ليست حركة لاجبار اي فرد للذهاب الى فلسطين، فهي في جوهرها حركة تهدف لمنح اليهودي حرية اكثر وليس اقل ، وتهدف ايضا لتمكين اليهود من ممارسة الحقوق نفسها التي تمارسها عمليا الشعوب الاخرى في العالم ، ان يعيشوا بملء اختيارهم اما في ارض آبائهم او في اية بلاد اخرى ، وهذا حق يمكن ان يمارسه جميع ابناء الشعوب الصغيرة مثل الايرلنديين واليونانيين والبلغاريين والصربيين والبلجيكيين كما يمارسه ابناء الشعوب الكبيرة مثل الانجليز والالمان .

ان الصهيونية تعمل لاقامة وطن في فلسطين لليهود الذين يختارون ان يذهبوا او يبقوا هناك ولاحفادهم كذلك، حتى يكون هذا الوطن آمنا من الناحية الشرعية ليتمكنوا من العيش مع بعضهم بعضا وليحيوا حياة يهودية، وليصبحوا اغلبية في تلك البلاد وليكون لهم ما يمكن ان نسميه الحكم الذاتي (Home Rule) . يعمل الصهيونيين لاقامة هذا الوطن في فلسطين لانهم مقتنعون بأن الحنين اليهودي الذي لا يموت لفلسطين هو حقيقة عظيمة الاهمية ، فهو شكل من اشكال الصراع من اجل البقاء يقوده شعب عريق له حق في الحياة ، شعب جعلته ثلاثة آلاف السنة من الحضارة ان يوجد دينا وثقافة وشخصية تمكنه من تقديم الكثير من اجل تقدم الحضارة في المستقبل كما كان شانه في الماضي ، وان ذلك ليس حقا فحسب ولكنه واجب ايضا ، اي انه واجب على القومية اليهودية ان تحيا وتنمو . والصهيونيون يؤمنون انه في فلسطين فقط تستطيع الحياة اليهودية ان تقي نفسها من قوى الانحلال ، وبأن هنالك فقط تستطيع الروح اليهودية ان تصل الى نهاية نموها الطبيعي المتكامل ، وان تأمين الفرصة لليهود الذين يرغبون في الاقامة هناك لن يفيد اولئك اليهود فقط، ولكن جميع يهود العالم سوف يستفيدون وبذلك تجد المسالة اليهودية التي حيّرت العالم حلا لها .

انهم يؤمنون انه لتحقيق ذلك ، ليس من الضرورة ان يكون عدد السكان اليهود في فلسطين كبيرا كعددهم في الخارج لانه عندما كان تأثير

اليهود عبر العصور على اشده تحت حكم الامبراطوريات الفارسية واليونانية والرومانية كان عدد اليهود قليلا في فلسطين ، وان عددا قليلا فقط من اليهود عادوا من بابل عندما اعيد بناء الهيكل .

فمنذ تدمير الهيكل قبل الفي سنة تقريبا كان حنين اليهودي الى فلسطين ، وما يزال ، موجودا . انه الامل بعودة اليهودي الى ارض آبائه، ذلك الامل الذي كان يثلج صدره في ساعات الاضطهاد ، والذي كان يصلي المخلصون من اجل تحقيقه . حتى الجيل الماضي ، كان هذا مجرد امل يصلى فقط من اجل تحقيقه ولكن دون اي عمل . ان الحركة الصهيونية حركة مثالية ولكنها حركة عملية في الوقت ذاته ، فهي تعمل لتحقيق ذلك الامل ولتجعل الحلم في ايجاد حياة يهودية على ارض يهودية يصبح حقيقة كما تحققت الاحلام العظمى في العالم بواسطة رجال كانوا يعملون بكل اخلاص وذكاء وانكار للذات . هكذا كان حلم الاستقلال الايطالي والوحدة الايطالية اذ بعد قرون من الامل اصبح الحلم حقيقة من خلال جهود ماتزيني وغاريبالدي وكافور ، وكذلك اصبحت احلام اليونان والبلجيكيين والصرب حقيقة ايضا .

لم يعد بعث الامة اليهودية مجرد حلم . انه الآن يمر في مرحلة التحقيق بطريقة عملية جدا ، وقصته عجيبة. فمنذ الجيل الماضي توجهت مجموعة من المهاجرين اليهود من روسيه ورومانيه الى الشرق للاقامة في ارض آبائهم بدل ان يتجهوا الى الغرب نحو هذه البلاد المضيافة التي كانوا سيجدون فيها فوائد مادية افضل .

ولقد اعتبر الدنيويون ان هذه الجهود للاستعمار (Colonization) جهود غبية ، فقد وضعت الطبيعة كما وضع الانسان عراقيل بدا قهرها صعبا ، وفي الحقيقة لم يكن المستعمرون مجهزين تجهيزا كافيا لمهمتهم هذه سوى بروح الاخلاص وانكار الذات . لقد كانت الارض قاحلة بدون اشجار منهكة نتيجة لقرون من الاهمال ، موبوءة بمرض الملاريا . ولم تقدم الحكومة لهؤلاء المستعمرين اية ضمانات بالنسبة لممتلكاتهم او لحياتهم . ولم يكن المستعمرون غير عارفين بطبيعة البلاد فحسب ولكنهم كانوا يجهلون حياة الزراعة التي كان عليهم ان يحيوها هناك ، وذلك يعود الى ان يهود روسيه ورومانيه كانوا محرومين من حق امتلاك الارض او العمل عليها . وبالاضافة لذلك ، لم يكن هؤلاء المستعمرون متعودين على الصعوبات الجسدية التي عادة ما تتعرض لها حياة الرائد ، لذلك مات

الكثيرون بسبب هذه الصعوبات او بسبب الملاريا . اما الذين بقوا على قيد الحياة فقد جوبهوا بالفشل ، ولكن النجاح جاء اخيرا ، فقد حقق الآبـاء الاولون والذين جاءوا من بعدهم المبدأين الاساسيين التاليين :

اولا : ان فلسطين تلائم اليهودي العصري .

ثانيا : ان اليهودي العصري يلائم فلسطين .

والآن تشهد اكثر من اربعين مستعمرة يهودية لها حكم ذاتي بهـذا الانجاز العظيم .

ان هذه الارض التي كانت غير مشجرة منذ جيل مضى وكان مفترضا انها قاحلة وجرداء ولا امل فيها ، ظهرت بأنها غير مشجرة وقاحلة نتيجة لاساءة الانسان استعمالها . ولقد برهنت الآن انها ارض باستطاعتهـا ان تصبح مرة اخرى « ارض العسل واللبن » ويمكنك الآن ان تشاهد مزروعا فيها بكثرة البرتقال والعنب والزيتون واللوز والقمح وحبوبا اخرى .

هذا وقد رافقت هذه التنمية المادية تنمية روحية واجتماعية ليست بأقل درجة منها ، فهناك تطور في التعليم والصحة والنظام الاجتماعي وفي شخصية وعادات الشعب . وربما يكون اكبر انجاز للقومية اليهودية هو اعادة احياء اللغة العبرية التي اصبحت لغة التخاطب المشتركة بين الناس، واصبحت اللغة العبرية في المستعمرات اليهودية وفي القدس اللغة الام الحية بعد ان خيل للناس بأنها لغة ماتت منـذ الفي سنة . وان لهذه اللغة المشتركة تأثير عظيم في توحيد اليهود ، فيهود فلسطين قدموا من بلـدان مختلفة كل يتكلم لغة البلد التي جاء منها باستثناء الذين كانوا يتكلمـون اليديشية ، وبذلك كانوا غرباء عن بعضهم بعضا . ولكن تأثير انبعاث اللغة العبرية يتعدى كثيرا عملية توحيد اليهود ، فهذه اللغة هي عنصر كامن في اعادة احياء جوهر الروح اليهودية .

لقد وضع آباؤنا اليهود الاوائل الاساس وما علينا الا ان نكمل البناء على هـذا الاساس .

يجب ان لا يعتقد اي اميركي بأن الصهيونية متناقضة مع الوطنية . اذ يمكن الاعتراض على الولاءات القومية المتعددة اذا كانت متناقضة فقط. ان الفرد يصبح مواطنا افضل للولايات المتحدة اذا ما كان مواطنا مخلصا لولايته ولمدينته ولعائلته ولمهنته وحرفته ولكليته ولمسكنه . كل ايرلندي ـ اميركي ساهم في تقدم وطنه وهو رجل افضل واميركي افضل بسبب التضحية التي قدمها . وبالمقياس نفسه ، فـان كل يهـودي ـ اميركي

يساعد في تقدم المستوطنات اليهودية (Jewish Settlements) في فلسطين مع انه يدرك بأن لا هو ولا حتى نسله يمكن ان يعيشوا هناك هو رجل افضل واميركي افضل لانه قام بمثل هذا العمل .

لاحظ ما يقوله سيتون ـ واطسون (١) :

« ان اميركه ملأى بالقوميات التي تقبل جنسيتها الاميركية الجديدة بحماس ولكنها تنظر الى اي مركز في العالم القديم كمصدر ايحاء لثقافتها الوطنية وتقاليدها الوطنية . وان المثال النموذجي لهذا هو شعور اليهودي الاميركي نحو فلسطين التي يمكن ان تصبح محط انظار جميع ابناء طائفته المتفرقين المشتتين في جميع انحاء العالم » .

ليس هناك عدم توافق ما بين ولاء هؤلاء لاميركه والولاء لليهودية، فالروح اليهودية التي هي نتاج ديننا وتجربتنا روح عصرية واميركية في الوقت نفسه . ولم يكن اليهود منذ تهديم الهيكل او في اي وقت من الاوقات اكثر انسجاما في الروح وفي المثل العليا والامال النبيلة في البلد التي يعيشون فيها مما هم عليه هنا في اميركه .

ان القانون الاساسي في اميركه يعمل على ايجاد اخوة حقيقية بين الانسان واخيه . هذه الاخوة كانت ولا تزال القانون الاساسي لليهود منذ ما يزيد على خمسة وعشرين قرنا . ان مطلب اميركه الشديد الالحاح لهذا القرن العشرين هو من اجل العدالة الاجتماعية ، وقد كان هذا هو هدف كفاح اليهود عبر الاجيال .

كذلك هيأ الدين اليهودي ومآسي اليهود لقبول الديمقراطية الفعالة. كما وسع الاضطهاد مدى مشاعر اليهود ومرنهم على الجلد وضبط النفس والتضحية ، وجعلهم يفكرون ويعملون في الوقت نفسه ، وعمق الشعور بالاستقامة عندهم .

وفي الحقيقة ان ما يطلبه الولاء لاميركه هو ان يصبح كل يهودي ـ اميركي صهيونيا لاننا فقط من خلال تأثير الصهيونية النبيل على نفوسنا نستطيع ان نبذل افضل ما عندنا لخدمة هذا البلد . ويجب ايضا حفظ الروح اليهودية والشخصية اليهودية اللتين حفظتا خلال قرون من التضحية وتطويرهما ، وذلك لكي نتمكن نحن وابناءنا هنا في اميركه وفي غيرها في المستقبل ان نحيا حياة ونقوم باعمال جديرة بان نورثها للذين سيأتون من بعدنا.

---

١ ـ ر.و. سيتون ـ واطسون (١٨٧٩ ـ ١٩٥١) . مؤرخ انجليزي متخصص في تاريخ المقاطعات الملكية النمسوية ـ الهنغارية والبلقان ذات الشعوب المتعددة .

هذا وعلينا واجب سريع وضروري لا يمكن لغير الصهيونية ان تقدم لنا المساعدة الفعالة لانجازه . علينا ان نحمي اميركه وانفسنا كذلك من الانحطاط الخلقي الذي بدأ الى حد ينتشر بين اليهود الاميركيين . اما سبب هذا الانحطاط الخلقي الواضح ، فهو ان جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود في حاراتهم قد ازيلت هنا في بلاد الحرية ونشأ جيل جديد دون اي سند روحي واخلاقي . اليس العلاج الوحيد واضحا ؟ انه العمل الجاد في التدريب على احترام الذات ، وهذا لن يتحقق الا عن طريق اعادة اليهودي لماضي جنسه النبيل وبجعله ايضا يدرك امكانات تحقيق المستقبل المجيد اذا ما سلك هذه الطريق . ان السد الوحيد في وجه الانحطاط الاخلاقي هو ان ننمي في كل جيل يهودي جديد من يهود اميركه روح الواجب النبيل (Noblesse Oblige) . اما ايجاد تلك الروح فيمكن ان ينجح فقط مع اولئك الافراد الذين يعتبرون انه مقدر لشعبهم ان يعيش مستقبلا باهرا ، وكذلك تكون تنمية تلك الروح في المساهمة الفعالة لتحقيق المثل العليا للانبعاث اليهودي ، وان هذا يمكن تحقيقه فقط من خلال مساندة الحركة الصهيونية .

ليس هناك يهود مجرمون في المستعمرات اليهودية في فلسطين لان كل واحد منهم كبيرا كان ام صغيرا يشعر بمجد شعبه وبواجبه لتحقيق مثله العليا . ان يهود فلسطين الجدد ينشئون علماء بدلا من مجرمين ، وذلك مثل آرون آرونصن (٢) مكتشف القمح البري ، ومربين مثل دافيد يلين (٣) وحرفيين مثل بوريس شاتز (٤) مؤسس البيزاليل ، وكذلك انشأ هؤلاء اليهود حرس اليهود البواسل « شومريم » (٥) الذين يحرسون

---

٢ ـ آرون آرونصن (١٨٧٥ ـ ١٩١٩) : عالم زراعي وزعيم صهيوني ، رأس مركز استخبارات سري . قدم خدمات عظيمة الى الحملة البريطانية في فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى .

٣ ـ دافيد يلين (١٨٦٤ ـ ١٩٤١) : كاتب من مواليد القدس ، وكان مربيا وعالما لغويا ، وكان صهر ا.م. باينز ، وكان زعيما ليهود فلسطين عن جدارة ، بارزا في الشؤون العملية خلال الربع الاول من هذا القرن .

٤ ـ بوريس شاتز (١٨٨٦ ـ ١٩٣٢) : نحات ورسام واستاذ فن ، اسس مدرسة بيزاليل للفن في القدس .

٥ ـ شومريم ـ حرس : فرقة دفاعية اسست في فلسطين في العام ١٩٠٧ لحماية المستعمرات اليهودية من قطاع الطرق العرب .

المستعمرات في الليل ضد قطاع الطرق ومسببي اعمال الشغب .

كذلك كانت الصهيونية مصدر ايحاء ليهود الشتات ، كما يظهر من خلال الفقرة التالية التي كتبها ستيد (٦) في كتابه « ملوك آل هابسبورغ»:

« لعقول مثل هذه ، ظهرت الصهيونية تبشر وتؤكد على وجوب ان تكون يهوديا وان تفتخر بذلك ، وان تمجد القوة والعناد في شعبك رتقاليده وانتصاراته ومقاساته ومقاومته للاضطهاد ، وان تنظر الى العالم بجراة ووجها لوجه وان تتمتع بالامانة الفكرية والاخلاقية ، وان تشعر بكبرياء لانتمائك الى الشعب الذي منح المسيحية معتقداتها السماوية والذي علم التوحيد لنصف العالم والذي تسربت آراؤه للحضارة كما لم تتسرب آراء اي شعب من قبل والذي استطاعت عبقريته ان تكوّن جهاز التجارة العصرية ، والى الشعب الذي يشغل فنانوه وممثلوه وكتابه مكانا اكبر في العالم الادبي من اي شعب آخر . ان هذا او شيئا من هذا القبيل هو سلسلة الافكار التي اطلقتها الشرارة الصهيونية في عقول الشباب اليهودي. وكان تأثيرها على الطلاب اليهود في جامعات النمسه مباشرا وقويا . فحتى ذلك الوقت كان اليهود محتقرين يعاملون معاملة سيئة . لقد كانوا يتسللون الى الوظائف والمهن الحرة بالمداراة وبالتواضع وبالذكاء او بالحماية السرية . وعندما كان الطالب « الآري » يضربهم او يبصق عليهم فنادرا ما كانوا يردون الضربة او الاهانة ، لكن الصهيونية غرست فيهم الشجاعة فالفوا الجمعيات وتدرّبوا على الالعاب الرياضية وعلى اللعب بالسيف ، وصارت الاهانة ترد باهانة مثلها ، وفي الوقت الحاضر يجد افضل لاعبي السيف الالمان ان الطلبة الصهيونيين يستطيعون ان يدموا الخدود كما يفعل التيوتونيون (Teutons) ، وان اليهود سوف يكونون افضل لاعبي سيف في الجامعة . واليوم اصبحت القلنسوة الارجوانية التي يلبسها الصهيوني محترمة كتلك التي تلبسها اية جمعية اكاديمية .

« على ان هذا التأثير الاخلاقي للصهيونية لا ينحصر بين طلاب الجامعة فقط ، فهو ظاهر بين جماهير الشباب اليهود في الخارج ايضا ، الذين يجدون فيه سببا ليرفعوا رؤوسهم عاليا ويقفوا على منصة الماضي

---

٦ ــ هنري ويكهام ستيد (١٨٧١ ــ ١٩٥٦) : مؤلف وصحفي انجليزي عمل مراسلا حربيا لصحيفة « التايمز » اللندنية في فيينه من ١٩٠٢ ــ ١٩١٣ . ونتيجة لهذه التجربة الف كتاب : « ملوك آل هابسبورغ » (لندن ، ١٩١٣) الذي اقتبست منه هذه الفقرة .

ينظرون منها امامهم الى المستقبل » .

وبما ان المسالة اليهودية هي مسالة منفردة وعالمية في الوقت ذاته فيجب على يهود كل بلد على حدة ان يكافحوا من اجل حلها ولكن الواجب الملقى علينا ، نحن يهود اميركه ، كبير . اذ ان عددنا ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ يهودي اي اكثر من خمس اليهود في العالم واكثر من اي تجمع يهودي آخر ما عدا الامبراطورية الروسية . نحن نمثل يهود العالم اجمع لاننا نتألف من مهاجرين او احفاد مهاجرين قدموا من مختلف البلدان والمناطق ، ونضم اشخاصا من كل جزء من المجتمع ومن كل معتقد ديني ، كما اننا غير خاضعين لاية قيود مدنية او سياسية ونحن كذلك اثرياء نسبيا . هذا الى جانب كون مواطنينا الاميركيين ذوي روح سامية وكريمة تؤمّن لنا تأييدهم لنضالنا من اجل تحقيق ظروف نبيلة ومتحررة لجزء من الجنس البشري، وان رجولتهم الكامنة فيهم تجعلهم يشعرون معنا في جهودنا لمساعدة انفسنا . كذلك فانسلاخ اميركه عن مشاكل العالم القديم يخلصنا من جميع الشكوك والاحراجات التي عادة ما ترافق نشاطات اليهود في الدول الاوروبية المتنافسة . كما ان اي تناقض بين المصالح الاميركية او الطموح الاميركي والاهداف اليهودية شيء بعيد عن التصور فولاؤنا لا يمكن مناقشته .

علينا اذن ان نستمر في نضالنا من اجل التحرر باخلاص وجراة وابتهاج ، وعلينا ان نعرف باننا نحن اليهود نشكل قومية متميزة تضم كل يهودي بصرف النظر عن مكان اقامته او نوع معتقده ، وعلينا كذلك ان نناضل من اجل الحرية وان لا نتوقف حتى تمنح الفرصة المتساوية للامم كما هي للافراد . وعلينا ان نلّح بأن الفرصة المتساوية لن تمكن اليهود من الحصول عليها الا عندما نعطى الخيار مثل بقية الشعوب في ان نعيش حيث نريد او ان نعود الى ارض الآباء .

ان تحقيق هذه الآمال هو في مصلحة الجنس البشري كما انه من اجل تحقيق العدالة لليهود . ولن نفشل في تحقيق هذه الآمال اذا ما اتحدنا وكنا صادقين مع انفسنا . ويجب ان لا نكون متحدين في الروح فقط ولكن في العمل ايضا . ولتحقيق هذه الغاية يجب ان ننظم انفسنا ، اولا ، لنبرهن للعالم عن درجة وقوة رغبتنا لتحقيق الحرية ، وثانيا ، لكي تصبح امكاناتنا معروفة وممكن الاستفادة منها . هذا وان حشد امكاناتنا لن يكون من اجل الحرب ، فكل العالم يتوق لحل المسالة اليهودية وما علينا الا ان نشق الطريق وسنحصل على تعاون واسع من غير اليهود.

ولكي نشق الطريق لسنا بحاجة الى سلاح ولكن الى رجال يتصفون بتلك الصفات التي يتميز بها اليهود بحكم دينهم وحياتهم ، رجال شجعان ، اذكياء ، مؤمنين متعاونين ، ذوي ارادة لا تقهر ومن الذين ينكرون ذواتهم، رجال يفكرون ويعملون ، ويكرسون قدراتهم السامية لشق طريقنا وللتغلب على الصعاب العديدة التي يمكن ان تظهر من وقت لآخر . ونحن ايضا نحتاج الى رجال آخرين ، ضباط في الخدمة او خارجها ولجنود عاديين من اجل قضية الحرية ، يبذلون جهودهم وامكاناتهم كلما دعت الحاجة الى ذلك بالتأييد المستمر والقوي لجميع الاجراءات التي يمكن ان تتخذ . ان التنظيم الكامل والتام كفيل بانشاء مثل هؤلاء القادة وبايجاد التأييد الضروري .

نظموا ، نظموا ، نظموا حتى يصبح بالامكان ان ينتمي كل يهودي في اميركه الى صفوفنا ، والا فانه سيكون مع الاقلية التي هي ضد شعبها .

هوراس مايز كالن (١٨٨٢ –) Horace Mayer Kallen

استاذ فلسفة وصهيوني

مولود في المانيه . جيء به الى الولايات المتحدة في طفولته ، حيث تربّى ودرس . وقد اتم دراسته الجامعية والعليا في هارفارد ونال الدكتوراه عام ١٩٠٨ . كان صديقا وتلميذا للفيلسوف الاميركي وليام جيمس وقد تاثر به الى حد جعله يلجأ الى تطبيق فلسفة جيمس الذرائعية (البراجماتية) على موقفه اليهودي بصورة خاصة . درّس الفلسفة في جامعة هارفارد (١٩٠٨ – ١٩١١) ثم انتقل الى كلارك كوليدج ومنها الى جامعة ويسكونسن ، حيث بقي فيها الى عام ١٩١٨ .

وهو يشغل منذ عام ١٩١٩ منصب استاذ الفلسفة في معهد البحوث الاجتماعية الجديد في نيويورك . بالاضافة الى نشاطه في حقل التعليم الجامعي كان متحمسا للصهيونية طيلة حياته . واصبح من كبار دعاة مفهوم « التعددية الحضارية » الذي تبنّاه عن استاذه وليام جيمس . ثم سخّره لتفسير الحركة الصهيونية على اساسه . ومن المعروف ان جيمس يعتقد باستحالة اختزال الخبرة الانسانية لكي تاتي مطابقة لطريق واحدة ، اذ هي تختلف باختلاف التقاليد والثقافات . وهذه كلها تتساوى في حقها بالتعبير عن ذاتها .

وقد اصر كالن على اعتبار الدين غير منزل بل من صنيع الانسان ، وتعبيرا عن اسمى القيم لدى الجماعة . لذلك يصبح الدين احد العوامل التي تساهم في شدّ اواصر التقليد الى بعضها بعضا . وليس الايمان هو ما يميز فئات المجتمع بل حياة الجماعات التي فيه . لذلك يغدو اساس الحياة الديموقراطية علمانيا ، يرمي الى تنظيم المجتمع بشكل لا يسمح للمفهوم المطلق لدى اية جماعة بالسيطرة على مفهوم غيرها . ومن هنا يتضح طريقه نحو تبرير الدعوة الصهيونية . فهو لا يكتفي بالنظر الى الجماعة اليهودية في اميركه على انها واحدة من البيئات الحضارية وسط ديموقراطية تعددية . بل يعتبر الحركة الصهيونية بمثابة توكيد على الولاء اليهودي للجماعة وثقافتها بدلا من الولاء للدين . ويتطلع الى الصهيونية في محاولتها لخلق مجتمع يهودي علماني في فلسطين . هكذا يعتبر نفسه في عداد مفلسفيها ومؤيديها المتحمسين .

الّف كتابا صهيونيا عنوانه : « الصهيونية والسياسة العالمية » : دراسة في التاريخ وعلم النفس الاجتماعي (١٩٢١) واعتبر الصهيونية بمثابة المرحلة المعاصرة لذلك الولاء العنيد ، والمثالية العملية التي لا مثيل لها في التاريخ الاوروبي من ناحية الثبات والديمومة والقوة . (ص ٥) . فالصهيونية هي مجرد المرحلة الحالية لمجهود الشعب اليهودي الصامد في تحقيق الوعد بارض الميعاد، والكتاب كناية عن تاريخ للحركة الصهيونية من وجهة

نظر المؤلف العلمانية . لان الحياة اليهودية يجب ان تكون « قومية » و « علمانية » في رايه. وكالن يحاول ربطها بالنزعة الليبرالية خلال القرن التاسع عشر وارجاعها الى تفكير ماتزيني Mazzini الليبرالي حول مسالة القومية (« الصهيونية والليبرالية » ـ محاضرة ، عام ١٩١٩) .

وفي محاضرة له بعنوان « الوحدةاليهودية » (١٩٣٣) نجده يشدد على وجوب تحرر الفرد اليهودي من ضمن جماعته وعن طريقها . لذلك تعني الوحدة اليهودية في جو الحرية تجمع اليهود كيهود لاجل تحقيق الذات والخدمةوالدفاع عن النفس. واسس هذا التجمع يجب ان تتسع لتشمل جميع فئات اليهود واتجاهاتهم من اينشتاين الى ستيفن وايز الى ليون تروتسكي وسيروس آدلر . وهي بمثابة القاسم المشترك لجميع الذين يسمون يهودا، بغض النظر عن الطبقة او المعتقد او البلد الذي ينتمون اليه . واصغر قاسم مشترك هو الوحدة في العمل للدفاع عن اليهود ضد هجمات اعداء السامية في جميع مجالات الحياة . لذلك تشمل الوحدة اليهودية مسالة التنظيم الصحيح لجميع الفئات اليهودية في العالم .

مؤلفاته : « اليهودية في موقف دفاع » (١٩٣٢) ، « مجتمع حر » ، « الفن والحرية » و « المثل العليا والخبرة » .

الحياة اليهودية قومية وعلمانية (١٩١٨)

ان غاية الهاسكالا ـ الاستنارة ـ التي يمكن اعتبارها الاصلاح الحقيقي للحياة اليهودية في اوروبه الشرقية ، هي اعادة احياء فكرة القومية اليهودية على اساس مدني وعلماني مثل بقية القوميات الاوروبية. ونتيجة لذلك ، فقد اصبحتالحياةاليهودية اكثر اتساعا للمجتمع اليهودي من الدين اليهودي ، واصبحت كذلك كالغلاف العضوي والسند للدين كما هو الجسد بالنسبة للرئتين والقلب ، واصبح الدين لا يشكل سوى جزء منه . ما تزال الحياة يهودية ولكنها اكتسبت بعدا علمانيا ، ويمكنملاحظة ذلك في الادب اليديشي والعبرية الحديثة وفي تطور النظريات العلمانية حول التاريخ اليهودي وفي تنظيم التعليم اليهودي على اسس علمانية ، وفي نشوء الفن اليهودي والموسيقى اليهودية ، وفي ظهور العقل اليهودي في الادب اليديشي والعبراني ، وفي اعادة تنظيم المجتمع كذلك .

ان اليهودي اللامتهوّد ، هو مثل «البندي» او الثوريفيروسيه ، لا يعتبر منفصلا عن مجتمعه بسبب عدم ارتباطه باليهودية . وفي الكنيس الذي تعرّض للاصلاح في اوروبه الغربية يعتبر حاخامو الاصلاح عدم الموافقة على اليهودية نزعا للنفس من المجتمع ويتم ذلك عن طريق مرسوم

صادر عن الحاخام . اما في اوروبه الشرقية ، فقد كان هناك اصلاح جذري كالاصلاح الذي حدث في اوروبه الغربية ، لكنه اصلاح خلاّق ومبدع تم عن طريق دمج العناصر الجديدة بالقديمة ، بخلاف ما كان عليه اصلاح اوروبه الغربية الذي قطع جذور الماضي . وبالنتيجة ، اصبحت اليهودية بالنسبة لليهود كالمسيحية بالنسبة للأغيار ، اي جزء خاضع للحياة اليهودية الشاملة .

لا تختلف مشاكل اليهودية في هذه الفترة عن مشاكل اي دين آخر . فالمشكلة هي كون الدين قادرا على انقاذ نفسه ، وعلى استمراره ، في بيئة علمانية تزداد علمانية شيئا فشيئا . انه لمن الواضح جدا ان قيمة الدين يمكن تحديدها من خلال تأثيرها على بقية الحياة، وبالنسبة لبقاء اليهودية، يمكنها ان تظل دينا ، فقط اذا بقيت عنصرا له وظيفته ضمن الجهاز الكبير الذي نسميه بالعبرية Hebraism . وتماما كما ان الأنف او الذراع لا يستطيعان الحياة دون الارتباط بالجسم ، كذلك هو وضع الدين اذا كان سيستمر في البقاء ، فاذا ما فصلت الحياة الدينية اليهودية عن مجموع الحياة اليهودية الكبيرة ، تفصلها بذلك عن الحياة . وهذا ما حدث فعلا نتيجة تغييرات الكنيس الاصلاحية وهذا هو السبب لعدم بقاء اجيال اليهود المصلحين (بفتح اللام) يهودا (Judaists) . ان مكان الدين هو داخل الجهاز الاجتماعي وليس فوقه او حوله ، لان عصارة الحياة في اي مكان آخر تذيبه . ولذلك فان الارثوذوكسية بدأت تتجمد واصبحت جافة وهشّة عقابا لها على فصل الدين عن الحياة اليهودية الكبرى التي يتساوى فيها اليهود مع بقية الجنس البشري . كذلك فالاصلاح بدأ بالتميّع والذوبان عقابا له على فصله الدين عن كيانه اليهودي ومصادره الحسية المحددة ، ولتحطيمه لمجراها الطبيعي . اذا كانت الارثوذوكسية صخرة جرداء فالاصلاح هو مستنقع موّلد للغاز ، فكلاهما لا يصلحان لحياة سليمة اذا اعتبرناهما مذهبين دينيين .

ان حركة الهاسكالا لا تمثل طريقا وسطا بينهما بل طريقا ثالثا مختلفا عنهما تماما. لقد بدأت كدمجما بين المادة القديمة والمادة الجديدة ، وبكلمة، انها تمثل الخط الجديد لنمو الحياة اليهودية . اهتمت الهاسكالا بعملية اعادة تكيف القومية اليهودية لظروفها الجديدة ، اذ بفضل هذه العملية تتمكن اليهودية من ان تصل الى مكانها الصحيح في عملية تنسيق الامور المتعلقة بالحياة القومية اليهودية . ان اليهودية بحاجة الى التركيب المجتمعي اليهودي لكي تستمر في البقاء . وما لم يفهم هذا التركيب

المجتمعي من خلال التاريخ والشخصية الروحية اليهودية والتقاليد والعادات اليهودية والنمو اليهودي ، فلن يكون هناك اي مكان لليهودية ، فمكان اليهودية ووظيفتها في الحياة اليهودية تشبهان مكان ووظيفة اي دين آخر في اية حياة قومية اخرى . انها عنصر من عناصر تلك الحياة . انها مجرد عنصر بصرف النظر عن اهمية هذا العنصر، ضمن كل ما تحدده الشخصية العرقية للشعب الذي يحياها بتاريخه وباراداته الجماعية وبهدفه . هذه العناصر الثلاثة ما هي الا عناصر الحياة القومية . ولكي تستمر اليهودية في البقاء عليها ان تلائم نفسها مع بقية العناصر الاجتماعية ضمن الحياة القومية اليهودية ، والا فانها سوف تموت . ان هناك الكثير من الشك حول هدف الحياة اليهودية وما تريده هذه الحياة ، وما دام ذلك قائما فستبقى اليهودية قائمة كمشكلة ، لان مسألة اليهودية لا يمكن حلها لوحدها فهي تتطلب ان تحل ضمن حل مسألة الشعب اليهودي .

الصهيونية والليبرالية (١٩١٩)

لقد قال السيد موريس كوهين (١) في حديثه عن الصهيونية بانه يهاجم الصهيونية لا كوسيلة للخلاص ولكن كتعبير عن « فلسفة قومية » . والظاهر ان هذه الفلسفة هي التي ترعب السيد كوهين . في الواقع ، ان هذه الفلسفة منتشرة كانتشار الحضارة وتتخلل حياة الشعوب ، والشعوب المضطهدة (بفتح الهاء) منها بشكل خاص، وانها تخلق حالة عقلية وشعورية ضرورية للقوميات القائمة والقوميات النامية على حد سواء . وحتى انها موجودة لدى الاميركيين من الطبقة الحاكمة . وهي كغيرها من الفلسفات الاخرى وحتى الليبرالية ترتكز على منطلقات في الطبيعة وفي التجربة والطموح الانساني يمكن استخدامه للوصول الى نتائج مثل تيوتينية تشمبرلين (٢) وسلافية كاتكوف (٣) . ليس هناك سبب في الجمع

---

١ ــ موريس ر. كوهين (١٨٨٠ــ١٩٤٩) : فيلسوف واستاذ اميركي بارز.

٢ ــ هوستن ستيوارت تشمبرلين (١٨٥٥ ــ ١٩٢٧) : انجليزي نفي الى المانيه واصدر «داي جروندلاجن دي نيونزهانتين جاهرهندرتس» في العام ١٨٩٩ الذي اعلن فيه ان الجنس « الآري الشمالي » (Nordic-Aryan) هو الذي يحمل الحضارة الحقيقية ، انه الاب المباشر للنازية .

٣ ــ ميخائيل نيكيفوروفيتش كاتكوف (١٨١٨ ــ ١٨٨٧) كاتب ومحرر

(التتمة على الصفحة التالية)

بين اولئك وبين المؤمنين « بفلسفة قومية » صهيونية عادية كما انه ليس هناك مجال للجمع بين لويد جورج (٤) احد دعاة هذه الفلسفة وبين وليم هوهنزوليرن ، او ما بين انجلتره والمانيه ، او ما بين رجل عادي ورجل مجنون . ان القومية اليهودية هي واحدة بين عدد من القوميات التي لها برنامج معين يهدف الى الولادة من جديد والحرية التي ترتكز على فلسفة قومية عادية مشتركة . اما ان يختار السيد كوهين ان يسيء فهم هذا البرنامج وليس غيره ــ مثل قومية البولنديين او اليونانيين او الايطاليين مما قد يكون فيه سبب افضل للانتقاد ــ فهو تسليم عن غير وعي بالحقائق التي تحويها « الفلسفة القومية » التي يمكن لليبراليين من امثال السيد كوهين ان يستفيدوا منها اذا ما تأملوا فيها مليا .

وبالنسبة للنقاط التي يثيرها السيد كوهين في صورته الكاريكاتورية للصهيونية فان الحقائق تفرض انكارا قاطعا لذلك . ليس صحيحا بأن « الصهيونية ترتكز على فلسفة قومية تعتبر تحديا مباشرا لليبرالية » ، فالفلسفة القومية للصهيونية ما هي الا امتداد لمبادىء الليبرالية ابتداء من الفرد حتى الجماعة . لقد سبقت « ليبرالية الثورة الفرنسية » بحوالي الف سنة ، وقد تغيرت كما قال سبينوزا من فلسفة دينية الى اجتماعية كنتيجة لتلك الثورة، طبعا انها « ضد الاندماج » وان حركة القومية الالمانية (Pan-Germanism)، وحركة القومية السلافية (Pan-Slavism) وغيرهما من الحركات القومية ما هي الا حركات اندماجية ، فهي لا تسمح للاقليات بالتمتع بحق الاقامة في تجمعات لها لغتها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها الخاصة . هذه الحركات تريد ان « تجرمن » Germanize و « تسلفن » Slovanize و « تمجر » Magyarize، وقد اصبح لها اصداء في اميركه . ان الديموقراطية هي ضد الاندماجية، فهي تؤيد انسجام وتنظيم المجموعات

روسي بدأ حياته ليبراليا ولكنه اصبح داعية للسلافية Slavophilism بعد ثورة بولنده في العام ١٨٨٣ . وقد كان في اواخر سني حياته على راس الداعين لتثبيت القومية الروسية العنيفة والحكم القيصري المطلق .

٤ ــ دافيد لويد جورج (١٨٦٣ ــ ١٩٤٥) : سياسي بريطاني ورئيس حكومة الحرب خلال السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الاولى ، اصدر وعد بلفور في عهد حكمه .

المختلفة بشكل تعاوني لايجاد حياةمشتركة ، ولكنها لا تؤيد دمج الفروقات لتزول وتصبح ذاتا واحدة . كذلك فان الصهيونية ضد الاندماجية لانها ديموقراطية ولانها تؤمن « بتقدم الحركة البطيئة المعروفة بالاستنارة » وذلك من اجل تطبيق تعاليمها على الافراد كما على الجماعات . ولو كان السيد كوهين قد تكلم بعد دراسة وتدقيق بدلا من التأثر بالعاطفة ، لكان قد عرف هذه الاشياء .

لقد تعرّض الشعب اليهودي ، كأفراد وكمجموعة ، خلال اكثر من خمسة عشر قرنا ، لصعوبات ، اما لانه كان يعتبر دينا غريبا او لانه اعتبر منتميا الى امة « اجنبية » او ربما للسببين معا . ان التحرر من هذه المصائب كان رهنا بالتنصر Conversion والاندماج ـ والامران لا يقودان الا الى التخلي عن الضمير والغربة عن الاقارب والاصدقاء والمجتمع ـ اي خرق القوانين الاساسية لحرية الفكر وحرية الرأي . واذا ما كان للاستنارة اي معنى فهو انها تأكيد ايجابي على هذين الحقين . وبالنسبة لحياة الشعوب الاوروبية ، فان التأكيد على هذين الحقين كان بمثابة التعبير الحسي عن « التفكير المختلط والاستنارة اللذين دكّا اساس القرون الوسطى » . وان القومية التي هي مجرد اسم ثان لهما كانت نتيجة للثورة الفرنسية وليس كرد فعل ضدها . تلك الروح هي التي حاربت امبريالية نابليون واضطهاد الاسر المالكة في جميع انحاء اوروبه . فقد شكلت الديموقراطية والقومية محركا واحدا لليبرالية ، وكانا كلاهما يعملان ضد المضطهد . ليس تشمبرلين نبي هذه القومية وفيلسوفها ولا هو كاتكوف بل ماتزيني الذي يمكن تلخيص مجموع تعاليمه بتعديل بسيط لبيان الاستقلال الاميركي : ان جميع القوميات قد خلقت متساوية ولها بعض الحقوق التي لا يمكن التخلي عنها ، ومن بين هذه الحقوق حق الحياة والحرية وتحقيق السعادة .

هذه هي الايديولوجية الصهيونية بمجملها . وقد عارضها الصهيونيون بالشكل الذي تبناها فيه رجال الكنيس الاصلاحيون الذين « لا يقبلون مبدئيا ايديولوجية تشمبرلين وكاتكوف ولكن لهم آراء خاصة بهم » ، يدعون لمبدأ « الشعب المختار » المتعالي و « لرسالة اسرائيل » ، ويعارضونها من جهة ثانية ، بالشكل الذي يتبناها فيه دعاة الايديولوجية المعادية للسامية نفسه . وقد قال الصهيونيون لكلا الفئتين : «ان اليهود شعب تاريخي مثل بقية الشعوب ليس اسوأ وليس افضل منها ، ولليهود خصائصهم القومية التي يشهد بها ماضيهم والتي تقدم دليلا لما سيكون

عليه مستقبلهم . ولهم الحق في ان يعبّروا عن هذه الخصائص بكل حرية وذاتية كمجموعة بالشكل الذي يحق لغيرهم ان يفعلوا ذلك ، وبذلك يستطيعون المساهمة بالمجهود التعاوني للحضارة كما تبشر بذلك خصائصهم كمجموعة » . ان كل من قرأ روبين (٥) وزولشان (٦) اللذين وقفا في وجه الهجومات العرفية ، ومجموعة الكتّاب (الذين يعتبر احد هاعام عميدا لهم) والذين وقفوا في وجه الهجومات الدينية والثقافية ، كل من قرأ هؤلاء لا بد وان يعرف كذلك الليبرالية الحقيقية التي تمثل الصهيونية امتدادا لها . بينما قسّمت الكوزموبوليتانية الطبيعية في القرن الثامن عشر المجموعات البشرية الحية الى افراد مجردين ـ اي رجال « طبيعيين » ، نرى ان الاممية الاقتصادية في القرن التاسع عشر قد قدمت التحليل نفسه للافراد المجردين ـ اي رجال « اقتصاديين » : عمال ورأسماليين. لقد فشلت هاتان النظريتان في ان تدركا ان ذاتية الفرد مكتسبة وليست موروثة وفي ان جميع البشر يعتمدون في اسس حياتهم على المجتمع الذي هو امة قبل ان يكون اي شيء آخر . ان قوة هذه الذاتية خلال تاريخ جميع العصور الديموقراطية ضد جذب كافة التنظيمات الاخرى ، كان يجب ان تفتح عيونهم ، ولكن ذلك لم يحدث . ولا يمكن التخلص منها ورفضها اعتمادا على المزاعم السخيفة او الادعاءات المبنية على تميز الاجناس . ان الاجناس والقوميات بصرف النظر عما اذا كانت من اصل « نقي » ام لا ، موجودة كتجمعات لها تراث حقيقي وتشابه في الخلفية والتقاليد والعادات والتطلعات . ان الليبرالية الحقيقية تتطلب لهذه المجتمعات حرية التطور والتعبير نفسها التي تتطلبها للافراد . بل ان هذه الحرية يحتم بالضرورة طلبها للمجتمعات التي هي الوعاء الحافظ والضروري لذاتية الفرد . ان الصهيونية يمكن وصفها بانها تهدف الى حفظ وتقوية جميع قيم هذا الوعاء في ظل ظروف افضل من ظروف حارات اليهود الانعزالية .

ان مصادر الثقافات هي في هذا التنوع وليس في غيره . فمثلا انصهرت لغة الفاتح الروماني في اللغتين الاسبانية والبرتغالية تماما

---

٥ ـ آرثر روبين (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) : عالم زراعي وعالم اجتماعي ، كان زعيما للرواد في بناء المستعمرات اليهودية في فلسطين .

٦ ـ اجناز زولشان (١٨٧٧ ـ ١٩٤٨) : طبيب نمساوي المولد عالم انتوبولوجي ، له كتابات عن الصهيونية .

كانصهارها باللغتين الفرنسية والايطالية ، فكان للجنس البشري الكثير من ادب هذه الشعوب بفضل هذا التشعب الذي كانت اللاتينية مصدره عندما استخدمتها شعوب مختلفة الاصول والتقاليد والعادات. ربما كانت ليبرالية السيد كوهين ترضى ببقاء اللغة اللاتينية وليس غيرها . لقد بذلت كل من الامبريالية الدينية والعلمية المتحذلقة في القرون الوسطى اقصى جهدها لوضع مثل هذا التجميد موضع التنفيذ. وعلى اي حال، لا اظن الليبراليين الحقيقيين يأسفون لما كتبه دانتي بالايطالية وسرفانتس بالاسبانية وكامون بالبرتغالية ولا لما كتبه موليير بالفرنسية والقديس توما باللاتينية . فهم يدركون ان البديل لتعدد الثقافات هو الامبريالية الثقافية، التي يقدم البروسيون في هذه الايام مثلا عليها نظريا وتطبيقيا . هذا وقد كان لهم مقلدوهم الذين طالما قاسى اليهود بسبب رفضهم لهذه الامبرالية منذ اقدم الازمان الى الوقت الحاضر . انها اساءة ان ينسب للصهيونيين اي شيء غير انهم يهدفون الى خدمة الامم من خلال الحرية القومية .

الوحدة اليهودية (١٩٣٣)

ان الوحدة ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها ولكن تحقيقها يجب ان يتناسب وظروف الحياة العصرية . واول شرط من شروط هذه الوحدة هو توسيع فكرة « الانعتاق » . من الضروري ان يدرك اليهود بأن القانون الذي سنّته الامم نتيجة لجهودهم من اجل حق الحياة والحرية وتحقيق السعادة للاقليات الدينية والثقافية ، ينطبق دون شك على اليهود ايضا. لا يمكن لاي فرد ان ينعتق من خلال نفسه وبنفسه ولاجل نفسه ، يجب اولا وآخرا ، ان يتمتع بحرية التداول مع افراد مجموعته وان يمنح الحرية ليعبّر عن نفسه من خلال حياته المشتركة مع هذه المجموعة . ان كلمة يهودي كلمة جماعية وليست مفردة ، انها تدل على علاقة جماعية . اما ان يعاقب اي فرد بسبب هذه العلاقة فهذا شيء مقيت ومناقض لمثل الديموقراطية ووجود المؤسسات الحرة . لذلك ، فان اول شرط من شروط الوحدة اليهودية التقاء اليهود مع بعضهم بعضا كيهود من اجل تحقيق الذات والخدمة والدفاع عن النفس .

ان اساس هذا اللقاء المشترك يجب ان يكون واسعا لاستيعاب البرت

اينشتين وكذلك جيرير ريبي (١) وبني ليونارد (٢) وستيفن وايز (٣) وليون تروتسكي (٤) وهوراس كالن كذلك ، وحتى يجب ان يكون فيها مكان لسيروس آدلر (٥) . يجب ان تفسح مجالا متساويا لجميع الاشخاص الذين يدعون يهودا بصرف النظر عن طبقتهم ومعتقدهم وبلدهم . اما القاسم المشترك لهذا المنبر الجامع فهو الدفاع، انه وحدة العمل جنبا الى جنب ضد الهجمات الزائفة والجبانة التي تقوم بها معاداة السامية في كل مجرى من مجاري الحياة . ووراء الدفاع ، يجب ان يكون هناك برنامج بناء يشترك فيه كثير من اليهود ، هو برنامج الحفاظ على الثقافة والمثل العبرية العليا وتطويرها كمساهمة من اليهود في مادة حضارتنا وهدفها ، وهناك ايضا بناء الوطن اليهودي . ان شكل هذه الوحدة يجب ان يتفق مع ظروف الحياة العصرية، فقد ولت ايام حارات اليهود الانعزالية ، واصبحنا نعيش في عالم المصانع والسيارات والبرق والهاتف والطائرات والمذياع . وفي عالم مثل هذا لا يمكن ايجاد امة لها اكتفاء ذاتي ومنعزلة عن الامم الاخرى ان ثقافيا او سياسيا او اقتصاديا .

لقد اعتمدت شعوب العالم ثقافيا على بعضها بعضا وترابطت ثقافاتها بشكل صريح ومستمر حتى مجيء هتلر . هذا الى جانب العلاقات الاقتصادية والسياسية التي جاءت متأخرة .

قامت الحرب العظمى منذ عقدين نتيجة رغبة الالمان ومحاولتهم تحويل هذه العلاقات المشتركة الى احتكارية امبريالية ، وان انشاء عصبة الامم بمبادرة ودرو ويلسن ، الرئيس الاميركي العظيم، هو ثمرة لهذه الحرب

---

١ ــ حاخام من الحاصيدية مشهور ، وقد ذكر اسمه هنا ليمثل النزعة الدينية للارثوذوكسية المتطرفة .

٢ ــ بنيامين ل. ليونارد (ولد سنة ١٨٩٦) : ملاكم وشخصية رياضية مرموقة في نيويورك .

٣ ــ ستيفن وايز (١٨٧٤ ــ ١٩٤٩) : كان احد زعماء الصهيونيين الاميركيين .

٤ ــ ليون ر. تروتسكي (ليف برونشتين اصلا) : (١٨٧٧ ــ ١٩٤٠) ، احد زعماء الثورة البولشفية في روسيه ومنظم الجيش الاحمر .

٥ ــ سيروس آدلر : (١٨٦٣ ــ ١٩٤٠) : مربّي مشهور وزعيم علماني للحركة اليهودية الاميركية المحافظة . كان آدلر واحدا من اعظم اليهود غير الصهيونيين اهمية في اميركه .

واعتراف صريح وان كان ضعيفا ، بهذا الاعتماد المترابط . وان خلف السيد ويلسن اليوم يعترف بذلك ويؤكده بصراحة . انه يتكلم عن اقامة « نظام بدلا من الفوضى القائمة وذلك عن طريق ايجاد استقرار في الاسواق المالية ، ربرفع القيود عن التجارة العالمية وبعمل دولي لرفع مستوى الاسعار . وبكلمة موجزة يجب على الحكومة ان تضيف الى البرنامج الفردي الداخلي للنهوض الاقتصادي عملا دوليا حكيما ومدروسا » . لقد اصبح الاعتماد المشترك بين افراد الجنس البشري على الصعيد الاقتصادي شيئا عاديا بالنسبة لتفكيرنا .

وكذلك فان الاعتماد المشترك، ثقافيا واجتماعيا وروحيا واقتصاديا، بين افراد القسم اليهودي من الجنس البشري يجب ان يعمل بالمستوى ذاته وان يصبح شيئا عاديا بالنسبة للتفكير اليهودي . ان مسائل الحقوق المدنية والامن الاقتصادي والتطور الثقافي تجعل من الضروري ان يجتمع يهود العالم ، كما يفعل غيرهم من المجتمعات، ويتشاوروا حول هذه المسائل اليهودية وان يصلوا الى اتفاق عام حول المبادىء والاسس وذلك عن طريق النقاش وتبادل الآراء . حتى لو اردنا ان نكون منفصلين عن بعضنا بعضا، فان ظروف الحياة العصرية لا تسمح بذلك . ولهذا السبب يجب على الوحدة اليهودية ان تجمع جميع الجاليات اليهودية في العالم في تنظيم صحيح .

التنظيم الصحيح هو الذي يكون ديموقراطيا وتمثيليا ، يجب ان يكون للناطقين باسم اليهود وللجالية اليهودية مندوبون يتكلمون باسمهم. ويجب ان تكون مجالس اسرائيل التي يتكلمون فيها عامة ومفتوحة للاسئلة والانتقادات ليس من ابناء مناطقهم فحسب ولكن من الرأي العام العالمي المستنير ايضا ، كما هي حالة سائر المجالس الشعبية والكنائس الحرة وجمعيات العلماء . ان يهود العالم في حالة فوضى وعبث ، ومع هذا فان لهم منظمة عالمية سرية محددة الاهداف . يجب علينا انهاء هذه الاوهام ، على اليهود في العالم ان ينشئوا منظمة دولية حرة ومفتوحة ، فمثل هذه المنظمة سوف تعيد للشعب اليهودي وحدته المفقودة وتجعل الحياة اليهودية مركز استقطاب ، واداة لخدمة اليهود للمجتمعات الصديقة وذلك لان الشعب اليهودي جزء عضوي من شعوب العالم الغربي والمشكلة اليهودية هي مشكلة لغير اليهود كما هي لليهود ، وان الجهود لحلها عن طريق الانسانية والعدالة والحرية تتطلب اهتمام الجنس البشري كله ومساعدته. هذا وان مزاولة الديموقراطية المنفتحة وحدها ، تستطيع ان تحقق هذه الدعوة وتأخذ الجواب الصحيح .

مناحيم موردخاي كابلان (١٨٨١ ـ) Menachim Mordecai Kaplan

حاخام اميركي وفيلسوف صهيوني

مولود في ليتوانيه . جيء به الى اميركه في الثامنة من عمره . وتلقى دروسه في كلية مدينة نيويورك وجامعة كولومبيه . حصل على شهادة الحاخامية عام ١٩٠٢ من معهد الدراسات اليهودية اللاهوتية في اميركه . ثم ترأس معهد المعلمين التابع للمعهد الاسبق بدعوة من سولومون شيختر عام ١٩٠٩ . وما لبث ان تعيّن في منصب استاذ الاخلاق والمواعظ الدينية في الكلية الحاخامية التابعة للمعهد المذكور . وقد شغل منذ ذلك الحين مناصب عديدة في المعهد .

كان من الحاخامين النشيطين ومن زعماء اليهود البارزين . وهو صاحب فكرة المركز التابع للكنيس ، اذ قام ١٩١٦ بتنظيم المركز اليهودي في مانهاتن . وما لبث ان انفصل عَن جماعته التي تسايره في آرائه الدينية والتي اخذت تزداد في نزعتها الليبرالية . فاسس عام ١٩٢٢ « جمعية ترقية الدين اليهودي » . وراح يسعى الى تجسيد الافكار التي نادى بها في مركز الكنيس الذي شاءه مثالا لما يجب ان تكون عليه مؤسسة من مؤسسات الدين اليهودي . فعمل على راس المركز بمثابة روحه الموجهة ثم اصبح رئيسه الفخري ولا يزال .

انصرف الى الكتابة والقاء المحاضرات في اواخر الثلاثينات من عمره وكرس نفسه لتطوير فلسفة اليهودية وتنمية اتجاه خاص به . اطلق على اتجاهه تسمية « التجديد » (Reconstructionism) وشرحه في كتابه « اليهودية كمدنية » (١٩٣٤) . وقد اثارت كتب الصلاة التي حذف منها الكثير من النصوص التقليدية جدلا عنيفا في الاوساط اليهودية المتزمتة .

لا تختلف مقدمات تفكيره الصهيوني عن تفكير كالن . غير انه يتورط في الدين اكثر منه. فهو لا يكتفي ، كما فعل كالن ، بتعريف اليهودية على انها واحدة من عدة مدنيات قومية متوازية ، بل يعتبر الدين عنصرا مميزا في التجربة اليهودية ويصر على وصف المدنية اليهودية بالدينية ـ القومية ، معتبرا اياه الوصف الصحيح . فاليهودية في نظره لن يكتب لها البقاء كطريقة في الحياة الا متى استجابت لحاجات الانسان الحقيقية . لذلك نجده يسير في خطى احد هاعام حين يتحدث عن ضرورة وجود وطن قومي للدين اليهودي ، حيث يتكيف ذلك الدين مع متطلبات العصر الحديث ويعيد بناء نفسه بطريقته الخاصة .

لكن كابلان يؤيد الصهيونية على طريقته الخاصة . فهو ينكر مثلا العديد من التطورات الارثوذوكسية في « الوحي » « والشعب المختار » ويؤكد على نوع من اللاهوت المستمد من « انجيل اجتماعي » يهودي الطابع . ولا تقضي هذه المفاهيم على نزعته الصهيونية . لانه

لا يتخلى عن التوكيد على اهمية الوطن القومي اليهودي واهمية الذين يختارون العيش في خارجه . غير انه عاد مؤخرا فتحدث عن « العمل اليهودي الخلاق » بمثابة توتر بين قطبين : الحياة القومية التامة في اسرائيل . من جهة ، والحياة في ثقافتين (الاميركية واليهودية المحلية) ، من جهة ثانية . واعتبر تلك الحياة بانها حياة اليهودي في اميركه . فهو لا ينكر ان القطب الاول يحتل منزلة محورية لكنه يصر على ان القطب الثاني ينعم بقيمة خلاقة بالنسبة للانسانية واليهود في العالم . وتغدو صهيونيته الاميركية هذه بمثابة عملية جمع وتوفيق بين سائر الاتجاهات والنزعات السابقة له .

ففي كتابه « مستقبل اليهودي الاميركي » (١٩٤٨) نجده يشدد على ضرورة وجود اليهودية في الشتات كشرط اساسي لقيام الوطن اليهودي واستمراره . فالرابطة التي تشد يهود العالم الى ارض اسرائيل هي دينية وحضارية . وعليه فمن واجب اليهود خارج اسرائيل ان يكون ولاءهم السياسي وقفا على البلدان التي يقيمون فيها . لكن اليهودية الاميركية لا غنى عنها كقوة تشترك في اقامة الكومنولث اليهودي : « ان دور اليهود في اميركه من جهة علاقتهم بارض اسرائيل مشابه لدور الجبهة الداخلية الاميركية من جهة جبهة المعركة خلال الحرب العالمية الاخيرة » .

من مؤلفاته الاخرى : « معنى الله في الدين اليهودي الحديث » وغيره من كتب الصلوات والمقالات . وهو من القادة الفكريين والروحيين البارزين في اليهودية الاميركية ومن الصهيونيين الذين يؤيدون الازدواجية (اميركه ـ صهيون) ويبررونها دون الوقوع في الخطأ الفاضح على مرأى من مواطنيه الاميركيين وسلطات اميركه .

مستقبل يهود اميركه (١٩٤٨)

لا وطن يهودي بدون يهود في بلاد الشتات

ان يهود الشتات سوف يستمرون في الولاء السياسي الكلي للبلاد التي يقيمون فيها ، فالروابط التي تشد يهود الشتات الى ارض اسرائيل ما هي الا روابط دينية وثقافية . على ان الثقافة والحياة الاقتصادية ـ الاجتماعية متداخلتين تداخلا وثيقا لدرجة انه من الصعب على يهود الشتات ان يخلقوا قيما ثقافية يهودية جديدة لانه ليس هناك اي احتمال لانشاء حياة اقتصادية واجتماعية يهودية ذاتية في الشتات .

نحن بحاجة الى اليهودية الاميركية وسوف نستمر في حاجتنا اليها كقوة لدفعنا للمساهمة في تأسيس الكومونويلث اليهودي . ان دور يهود اميركه بالنسبة لارض اسرائيل يشبه دور الجبهة الاميركية في اميركه بالنسبة الى جبهة المعركة خلال الحرب العالمية الاخيرة . فكما ان اذكى استراتيجية واقوى شجاعة على خط المعركة لم تكونا لتنفعانا في الوصول الى اية نتيجة ايجابية لولا سند الجبهة الداخلية في البلاد، ولولا ان اميركه

استطاعت ان تبرهن انها « حصن الديموقراطية »، كذلك، على يهود اميركه ان يستمروا ولوقت طويل في تقديم السند المعنوي والسياسي والاقتصادي لمشروع ارض اسرائيل الذي يعتبر العامل الحاسم في نضال اسرائيل من اجل البقاء في العالم المعاصر . ماذا يحل بارض اسرائيل اليهودية فيما لو تدهورت معنويات الجبهة الاميركية ، واصبح اليهود الاميركيون فاتري الهمة وغير مندفعين وفاقدي الثقة باهمية نضالهم من اجل الوجود على طريقة الانهزاميين والاندماجيين الجبناء ؟ هل يستطيع العدد القليل من اليهود الموجودين في فلسطين ان يجابهوا الامبريالية البريطانية والعناد العربي وعداء السامية المنتشر في كل مكان ؟ وما استطاع هؤلاء اليهود تحقيقه للآن بمساعدة يهود العالم ليس سوى معجزة ، ولكن ان نتوقع منهم ان يحققوا مثل هذه المعجزات في المستقبل دون عون خارجي هو امر مستحيل . اننا لا نجرؤ على ان نجعل جبهتنا الداخلية تنهار وبذلك نخون اولئك الذين يحاربون في معركتنا ويقفون على خط الجبهة في ارض اسرائيل التي هي اخطر قطاعات هذا الخط .

كذلك فان الاتجاه لعدم الثقة في امكانية حفظ الحياة اليهودية في الولايات المتحدة هو امر منصف لبلدنا ايضا . فنحن لا نؤدي واجباتنا كمواطنين كاملة بتقديم الطاعة لقوانينها او حتى بالمساهمة الوطنية في الدفاع عنها في وقت الحرب . ان علينا دورا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافة لاميركه ، وما لم نبذل اقصى ما عندنا من قوة من اجل المصالح العامة للشعب الاميركي فاننا لا نكون بذلك نؤدي واجبنا نحو بلدنا . ان افضل ما يمكن ان نقدمه موجود في الدين الذي يعتبر عصارة التجربة الروحية اليهودية خلال القرون ، وكيهود مؤمنين واميركيين مخلصين علينا ان ندمج القيم العالمية في الحياة الاميركية وان نستخدم القدسية الخاصة للدين اليهودي من اجل حفظ هذه القيم العالمية . وان فشلنا في ذلك يعني حرمان اليهودية من اهميتها العالمية وتحويل الدين اليهودي الى مجرد نزعة قبلية يهودية لا تمت للحياة العامة بصلة . اما اتجاهات الانعزاليين اليهود او « شوليل هاتيفوزاه » (الذين يقفون ضد الشتات) الذين ينادون بابقاء اليهود الاميركيين على اهبة الاستعداد للرحيل العاجل الى ارض اسرائيل ، فسوف تفقد جيراننا الثقة باليهود وتفقدهم احترام اليهودية .

ان شبابنا الذين لديهم المقدرة التي تحتاجها ارض اسرائيل الان لاقامة اقتصاد منتج للكومونويلث اليهودي الناهض ، اقتصاد يرتكز على

استثمار اشتراكي للامكانات الطبيعية بدلا من استغلال القوي الضعيف ، يجب ان يشجعوا بكافة الوسائل للذهاب الى ارض اسرائيل .

يجب ان نجند للجهد الاستعماري البناء في ارض اسرائيل شبابنا الذين هم من ذلك النوع الذي يمتلك الروح الرائدة الضرورية لبناء الوطن. ان شبابنا وشاباتنا يجب ان يشعروا بان ذهابهم الى ارض اسرائيل وخدمتهم لشعبهم امر شرعي ونبيل كأي عمل تبشيري او ثقافي يقوم به الاميركيون خدمة لمختلف الشعوب في الشرق الاقصى . اما الطلاب الذين يخططون للذهاب الى ارض اسرائيل للقيام بعمل من الاعمال الرسمية في المكاتب وغيرها ، فانهم بذلك لا يقومون باية خدمة خاصة هناك ، انهم بذلك يحرمون الحياة اليهودية الاميركية من امكانية الاستفادة منهم هنا ، ذلك ان يهود اميركه بحاجة ماسة الى كل شخص عنده المقدرة لتحويل قيمنا الدينية والثقافية التقليدية الى قوة حية مبدعة .

نحن اليهود الذين جئنا الى هذه البلاد ، حملنا معنا هبات من التقاليد التاريخية العظيمة . فان يقال لنا بان لا مستقبل لليهودية هنا هو ان يقال لنا بان تلك الهبات كانت عديمة الفائدة واننا كمجموعة لا نصلح سوى ان نكون ثقافيا طفيليين . قد لا نعرف ما يخبئه لنا المستقبل ، ولكننا نعرف ان هناك خمسة ملايين يهودي اليوم في الولايات المتحدة وهذه حقيقة لا يمكن التهرب منها ولا من مسؤولياتها فنحن مثل الاميركيين، بحاجة للانتماء الى مجتمع يكون وجودنا فيه مرغوبا ومرحبا به ، نتمكن فيه من اكتساب القيم الروحية والمعنوية التي تمنح الحياة الانسانية الكرامة والمعنى . لذلك فنحن نتطلع الى الجالية اليهودية لتمنحنا الايمان الذي نعيش به ولاجله . وكل ما يحرمنا من هذا الايمان بامكانية الحياة اليهودية في اميركه لا يدفع الملايين من ابناء شعبنا للتخلي عن يهوديتهم فحسب ولكنه يؤدي الى انحطاطنا خلقيا وهدم معنوياتنا .

ان قضية كيفية جعل الحياة اليهودية في اميركه مصدرا يحقق من خلالها اليهودي ذاته مسألة معقدة ، وانها بحاجة الى تركيز ذهني مخلص للوصول الى حلول مرضية ، ولذلك فمن الطبيعي ان نجد اعذارا لتجنب الخوض في القضية ككل ، وقليل من هذه الاعذار يبدو صادقا بالشكل الذي يبدو فيه اليأس من حياة يهودية في الشتات. واول ما ظهرت الصهيونية على المسرح ، جاءت كتحد لاولئك الذين حاولوا تجنب واجب الانعتاق الذاتي الضروري بجعلهم وقت خلاص شعبنا يمتد الى المستقبل البعيد الذي يحققه المسيح المنتظر . كذلك كان اولئك الذين يئسوا من بقاء

اليهودية في الشتات بقولهم ان اليهودية تستطيع البقاء في ارض اسرائيل فقط ، يتجنبون كذلك واجب جعل بقاء اليهودية في اميركه ممكنا . ان بناء ارض اسرائيل البعيد المدى ليس باقل اهمية من بنائها في الحال ، ولكن ذلك ليس بديلا لان نحيا حياة يهودية هنا . وسيظل اليهود هاربين من الحقيقة ومسيئين لاهدافهم حتى يتحققوا من ان المسألة اليهودية في الشتات والمسألة اليهودية في ارض اسرائيل هما مسألة واحدة ، وما لم نتحمل مسؤولية جعل اليهودية حية في كل مكان يوجد فيه اليهود ، فاننا لن ننجح في اية مهمة يهودية في المستقبل .

صحيح باننا هنا في بلاد الشتات تنقصنا روح التكريس التي يتصف بها شعبنا الذي اعيدت ولادته في ارض اسرائيل ، وتنقصنا كذلك القوة السحرية التي ترافق الكلمة الخلاقة . واننا ايضا بعيدون عن البلاد التي تولد فيها الروح اليهودية من جديد، ولكن بوجود الارادة والذكاء والاخلاص فاننا نتمكن من خلال اطار الحضارة الاميركية الديموقراطية، من اعادة احياء التجربة المثيرة لشعبنا في ارض اسرائيل وبذلك نستطيع في المدى البعيد ان نساهم بطريقتنا الخاصة مساهمة عظيمة ودائمة بالقيم الانسانية كما يفعل اخواننا في ارض اسرائيل بطريقتهم .

سلبية الحياة اليهودية في الشتات

يتخذ المربّون الذين ينادون بالفكرة الدينية ـ الثقافية لليهودية في الوقت الحاضر ، موقفا سلبيا من اي امل لامكان وجود مستقبل لليهود خارج ارض اسرائيل . انهم يستنتجون من كل ما حدث ليهود اوروبه مؤخرا بان السامية ليست مجرد جنون عابر بل هي مرض مزمن يصيب الحضارة الغربية كلها . لذلك فهم يعتقدون بانه من الوهم ان نتوقع من الدول الديموقراطية ان تمنحنا ، نحن اليهود ، الوضع الآمن الضروري للحياة العادية . لذلك يجب ان يرتكز اي نوع من التعليم اليهودي لابنائنا على قبول العذاب والمنفى نصيبا لنا في هذه الحياة ، ليس منه الا مهرب واحد هو الهجرة الى ارض اسرائيل. لذلك يجب ان يكون الهدف الرئيسي للتعليم اليهودي هو تنمية الحنين لدى الطفل للعيش في ارض اسرائيل ، وفي حالة كون هذا غير ممكن ، يجب تنمية الاستسلام البطولي لحياة ملؤها انكار الذات والتضحية وذلك لمجابهة النزعات السادية التي تعامل بها الاغلبية السائدة الاقليات التي تعيش تحت سيطرتها .

ان وجهة النظر السابقة حول مجرى الديموقراطية غير مقبولة ابدا لانها توصلنا الى نتيجة عن التعليم اليهودي سخيفة جدا . فاذا كان المستقبل في البلدان الديموقراطية مظلما حقا كما يحاول ان يصوره المتشائمون منا ، فلن يبقى لديهم الا ان يتبنوا وجهة نظر تدعو الى نوع من الانتحار الروحي او الجسدي للشعب اليهودي . هذا وان الاعتراف بان الدول الديموقراطية ليس باستطاعتها من الناحية الدستورية ان توقف عداء السامية ، والافتراض بان اليهود قادرون على تحقيق الحرية والامن في ارض اسرائيل ينسى ان العالم جميعه واحد ، في خيره وشره . وبالاضافة لذلك ، فقد يكون تسليم انفسنا الى الاجحاف والاضطهاد من قبل رفاقنا المواطنين هو السبيل الوحيد المفتوح امامنا في مثل هذه الحالة ، ولكن ذلك لا يمكن ان يكون الاساس الصحيح لتركيز هدف محاولاتنا التعليمية عليه .

لقد كان صحيحا في الماضي ان الطفل كان يلقّن بان يعتبر نفسه ينتمي الى شعب يعيش في المنفى وان يكون مهيئا ليقاسي وطأة هذه الحياة ، ولكن التأكيد لم يكن على العذاب الذي يلقاه في الوقت الحاضر ولكن على امجاد المستقبل التي تنتظر شعبه وعلى النعمة التي لا يمكن ان توصف في العالم الذي سيأتي والتي تنتظر اولئك الذين يعيشون حسب مشيئة الله كما تعلمها التوراة . مثل هذا المستقبل الذي كان الطفل يتعلم ان ينتظره هو اكثر من تعويض عن كل الآلام التي يعيشها شعبه في هذا العالم . هل يشدد المربي اليهودي اليوم في جعل الطفل يتحقق من المعنى الكامل للمنفى الذي هو الايمان البسيط بمجيء المسيح المنتظر وبنعمة العالم المقبل ؟ اذا هو لم يفعل ذلك فليس عنده شيء يمكن ان يقدمه للطفل سوى معاني البؤس الناجمة عن كونه قد ولد يهوديا . ولن يقوم بمثل هذا سوى المربين المنغلقين الذين يريدون ان يثأروا لانفسهم المقهورة من هؤلاء الصغار ، اذ ليس هناك شخص، لديه حب للاطفال ورغبة صادقة ليشبوا سعداء ، يمكن ان يحول الحياة بالنسبة لهم ، الى كابوس.

ان الاشارة الى الانقطاع الحقيقي للحياة اليهودية نتيجة لاندماجها في حياة السكان العامة، هو امر اخر يدعو الى التساؤل ما اذا كان بالامكان للشعب اليهودي ان يحتفظ بذاتيته في مثل ظروف التحرر والاستنارة . يؤكد بعض المربين على ان هذه نتيجة حتمية للعملية الديموقراطية . ان هؤلاء المربين يعتقدون ايضا اننا نضلل الطفل اليهودي اذا حاولنا اقناعه بامكانية العيش حياة عادية في الشتات . وبالعكس ، فهم يزعمون بانه

يجب التوضيح للطفل انه حتى في افضل الظروف لن يتمكن اليهود من الاحتفاظ بذاتيتهم خارج ارض اسرائيل . انهم يعتقدون بان علينا ان نخلص الطفل من اوهام الاعتقاد القائل بان اليهودية قد منحت فرصة عادلة لتبرهن عن قوتها في التأثير الحسن على حياتهم . لذلك عندما يشب الطفل لا يضع اللوم على الحياة اليهودية نفسها بسبب وجود النواقص وبسبب قلة حيويتها وابداعها . ان مثل هؤلاء المربين يفترضون ان تلقين الطفل شعور عدم الرضى بالحياة اليهودية ، في بيئة غير يهودية ، يساعد على تنمية حنين عاطفي لديه نحو ارض اسرائيل كوطن قومي يهودي .

انني اعتقد ان مثل هذا التعليم الذي يرتكز على فكرة ارض اسرائيل والذي ينادى به هنا في اميركه سوف تكون له نتائج هدامة على سعادة الطفل وشخصيته ، فهي لا تقدم له اي سبب مرض لطلبها منه ان يحيا حياة غير عادية طوال حياته او لانه لا يتمكن من ان يحيا حياة عادية الا عن طريق الهجرة الى ارض اسرائيل او عن طريق التجاهل التام لليهودية . ان الافتراض بانه من المستحيل على اليهودي ان يشعر وكأنه في وطنه ضمن بيئة غير يهودية ـ وهذا يمكن ان يكون في الوقت الذي نتخلص فيه من عداء السامية ـ هو افتراض مبني على اليأس ويجب علينا ان لا نبني نظامنا التعليمي على اليأس .

حاجة الحياة اليهودية الى برنامج ذي مقياسين

ان هناك بديلا ثالثا لوجهتي النظر السابقتين المتعلقتين بمسألة الحياة في ظل دولة ديموقراطية ، فبدلا من ان نحكم على العملية الديموقراطية من خلال ما حققته الى الان ، يجب ان نحكم عليها من خلال ما كان متوقعا منها . لقد كان هدف الديموقراطية هو ان تصبح وسيلة تجعل الانسان قادرا على تقديم افضل ما عنده او لتحقيق الخلاص كما يراه بشرط ان لا يتدخل بخلاص المواطنين الآخرين كما يرونه هم ، فكل ما يمنع المواطنين كافراد وكجماعات ، من تحقيق الخلاص لا يمكن ان يكون له صلة بالعملية الديموقراطية . وكل ما يحرض ضد خلاص اقلية لا تهدف الى الاعتداء او السيطرة سوف يهدد خلاص اغلبية السكان بالخطر كذلك .

اننا كيهود ، لا نستطيع ان نحقق خلاصنا اذا لم يفسح لنا النهج الديموقراطي ان نحتفظ بذاتنا كشعب لا يمكن تقسيمه . ولذلك ، اذا ما جاءت الديموقراطية بشيء يمنعنا من تنمية وتعزيز تقاليدنا الدينية ـ

الثقافية ومن ان نكون صادقين مع ما هو مقدر لنا كشعب ، نكون بذلك قد ووجهنا بتناقض ظاهـري غريب يتوجب علينا حله ليس من اجـل مصلحتنا كيهود فحسب ولكـن من اجل عالـم افضل ولمصلحة الجنس البشري عامة . وعندما نستطيع ان نفهم هذا التناقض الظاهري عندئـذ فقط ، يمكننا ايجاد حل له وسوف يكون ذلك الحل اساسا لنظام التعليم اليهودي في هذا البلد .

نستطيع ان نفهم طبيعة التناقض الذي يعقد وضع الحياة اليهوديـة ومستقبلها في البلدان الديموقراطية بطرحنا السؤال التالي : « ماذا كان على الديموقراطية ان تعمل بالنسبة للمجموعات التاريخيـة والدينية بشكـل عام ؟ » ان الجواب ليس في فصل الكنيسة عن الدولة كما يعتقد معظـم الناس ، فذلك الفصل لم يحل بأي شكل من الاشكال مسألة علاقة الدين بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ذلك ، ان الدين مرتبط ارتباطا وثيقا بجميع هذه المصالح . لا يمكن لاي دين اذا ما نظر اليه بجدية ، ان يتخذ موقفا محايدا من المسائل التي تمت الى سعادة الانسان بصلة ، وكذلك فان السعادة الحقيقية لا يمكن الوصول اليها دون الفوائد التـي يمكن جنيها من الدين الصحيح .

اذن ، هل الفصل الشرعي ما بين الكنيسة والدولة مجرد خرافة ؟ انه ليس كذلك ابدا بل ان مثل هذا الفصل يؤكد المبدأ الديموقراطي القائل بان على الدولة ان لا تحتكر الحياة الخاصة لاي مواطن يعيش على ارضها . يجب عليها ان تترك مكانا في حياة المواطنين للمثل العليا والولاءات التـي تتخطى الدولة . ان على الدولة الديموقراطية ان تؤمن الامن الاجتماعي للمواطن ولكنها يجب ان لا تدّعي بانهـا المصدر الوحيد للامن الروحـي والمعنوي . وحتى لو كانت تساعده في تحقيق هذا الامن ، يجب عليهـا ان تشجع هيئات اخرى ، خاصة التجمعات التاريخية ، لان يكون هذا هو عملها الرئيسي .

ان هذا يعني بانه من الان فصاعدا يجب ان يكون هناك مقياسان للحياة اليهودية العادية : الاول ، لارض اسرائيل حيث يمكن ان يعيش اليهود الحياة اليهودية بشكل كامل كحضارة تامة يمكنها ان تمنح لافرادها العناصر الضرورية لتحقيق ذاتهم وسعادتهم ، والثاني ، للبلدان الديموقراطية كالولايات المتحدة حيث يجب ان يتطلع اليهود منها الى الامن الاقتصادي والاجتماعي في الوطن الاميركي الذي بدوره يأمل في ان يجد اليهود امنهم

الروحي والمعنوي في مكان آخر . ان بامكانهم في الوقت الحاضر ان يجدوا ذلك الامن بشكل رئيسي في شعبهم اليهودي وتقاليده . هذا ومع مرور الزمن وبعد ان تكون الديموقراطية الاميركية قد حققت وعيا ذاتيا وتثبتا اكثر ، ستصبح هي الاخرى مصدر سلام ذاتي بالنسبة لليهود ولبقية السكان .

الهدف التربوي من خلال التقاليد والتركيب الاجتماعي

ان الموقف الذي ناديت به في هذا البحث يمكن تلخيصه بما يلي : اولا : ليس هناك اي شيء غير عادي في التوفيق ما بين الحياة الديموقراطية وحفظ الشخصية الجماعية لليهود مع ان مثل هذا التوفيق في الشتات لا بد وان يؤدي الى حياة يهودية جديدة. ثانيا : اذا علمنا اطفالنا ان يحيوا حياة يهودية في بيئة اميركية لا نكون قد فرضنا عليهم نوعا غير عادي من الحياة .

ولكن السؤال الحقيقي هو ما اذا كان مثل هذا التوفيق ممكنا . ان الشخصية الجماعية لليهود تأتي عادة عن طريق تقاليد نشأت وتطورت في ظل ظروف تختلف عن ظروفنا . اذا كنا نريد من هذه التقاليد ان تساعدنا على ان نحيا كأميركيين ويهود ، يجب ان نجعلها تتكيف والمسائل الاخلاقية والروحية في عصرنا الحاضر . وهذا يتطلب ما يلي :

اولا : من الضروري ان نعرف ان تقاليدنا التي وصلت الينا اليوم هي حصيلة عالم من الفكر يختلف جذريا عن عالمنا اليوم . وسوف نفشل حتما في جهودنا لاحياء هذه التقاليد اذا ما تجاهلنا وجود الفجوة الواسعة التي تفصلنا عن القدماء في النظرة العامة الى الحياة . يجب ان نعتاد على فكرة النمو والتطور في المعاني والتجارب . اذ ان جوهر النمو هو في استمرار التغيير . وقبل ان نكتشف العناصر الدائمة في التقاليد يجب ان نكون واعين للتغييرات التي حدثت في معرفة العالم الطبيعي ، وفي فكرة الله ، وفي القيم الاخلاقية التي تميز عالم الانسان العصري عن عالم الانسان القديم .

ثانيا : لكي نجعل هذه التقاليد مناسبة لاهتماماتنا الروحية والاخلاقية الحاضرة ، من الضروري ان نكتشف الدوافع الاخلاقية والروحية الدائمة والكامنة وراء عناصر في التقاليد مثل قصة المعجزة ، والطقوس البدائية .

ان هذا يتطلب بحثا في الخلفية التاريخية ، ليس في اسرائيل فحسب ، ولكن في جميع جوانب العالم الفكري الذي وجدت اسرائيل ضمنه . وبناء على نتائج مثل هذا البحث ، تكون معرفة العلوم الانسانية ضرورية لكي نتمكن من اكتشاف الدرجة التي تتحقق فيها التقاليد من وجود نزعات اسمى في الطبيعة البشرية .

ثالثا : محاولة ايجاد صلة بين هذه النزعات السامية للطبيعة البشرية، وبين المشاكل الاجتماعية والروحية التي تقلق الجنس البشري هذه الايام مثل المشاكل المتعلقة بمعنى الحياة والموت وبالحقوق والواجبات المترتبة على الفرد وعلى المجتمع، وبالامتيازات المتعلقة بالولاءات المختلفة، وبالاستخدام الصحيح للقوة . هناك ضرورة في ايامنا هذه لتطوير شيء مشابه للتلمود و « المدراش » في العصور القديمة . وفي عملية التطوير هذه ، يجب ان يشكل التلمود والمدراش اكبر جزء من التقاليد التي يجب اعادة تفسيرها وكتابتها .

اخيرا : يجب ان تكون هناك دراسات تتعلق بالاوضاع المختلفة التي هي ليست واردة في التقاليد القديمة . ان التقاليد التي تتوقف عن النمو سوف تموت . ولكن مثل هذه الخطوة يجب عدم اتخاذها داخل التقاليد نفسها . ان الدافع لها يجب ان يأتي من المؤسسة الحيوية التي تقوم بتبني هذه التقاليد والتي بدونها لا يمكن لاية تقاليد ان تعيش .

نحن لا نتوقع ان يقوم بكل هذه الابحاث اولئك المنهمكون بالتعليم الابتدائي ، ويجب ان نعرف بانه ما لم يستمر هذا البحث الى الدرجة التي تصبح معها التقاليد اليهودية صالحة لايامنا هذه ، فلن يكون هناك تعليم يهودي عصري ، ولا تعليم يبعث في الصغار من شعبنا الرغبة في ان يعيش يهوديا .

وبالاضافة الى اعادة الحياة في التقاليد كوسيلة للتوفيق ما بين الحياة اليهودية والحياة الاميركية ، يجب ان نخلق نوعا من التركيب الاجتماعي يتمكن من وضع القيم اليهودية الجديدة في موضع الحركة المستمرة ، فاكثر التعاليم صحة وايحاء سوف تبقى في حالة الموت ما لم تصبح جزءا من وعي الحياة وما ان تصبح فعالة في المجتمع كذلك . ان جهودنا لاعادة تفسير تقاليدنا واعادة تقييمها سوف تظل في فراغ ما دمنا لا نمتلك مجتمعا يهوديا عاملا فيه الجهاز التربوي الذي ينقل نتائج هذه الى حيز العمل . ففي الماضي ، على سبيل المثال ، مع ان التوراة كانت تعتبر

منزلة من الله الى موسى ، كان من الممكن ان تبقى مقصورة على فئة خاصة متنسكة لو لم تكن هناك امة تتبناها كدستور لها . ان التركيب الاجتماعي للشعب اليهودي هو الذي اعطى للتوراة قوتها عبر القرون .

قبل عصر الانعتاق ، كان من المستحيل على اليهود ، قلة كانوا ام كثرة ، ان يحيوا دون اي نوع من التركيب المجتمعي يجعلهم يعون عصبيتهم للامة اليهودية . ولكن عندما سمح لليهود ان يصبحوا جزءا من الجسم السياسي للاغلبية فقدوا الدافع للعيش حياة يهودية . ان مختلف التنظيمات بما فيها المحافل لا تشكل اي نوع من انواع الكيان المجتمعي الذي يكون ضروريا لممارسة التقاليد مثلما ان الجمعيات الخيرية والعلمية لا تشكل الامة . ولكن الاسلوب الذي نريد استخدامه لاعادة تفسير التقاليد اليهودية بشكل صحيح يجب ان يلائم الافكار العصرية ، بحيث يمكن استخدامه في اعادة تنظيم التركيب الاجتماعي للشعب اليهودي بشكل صحيح ، هذا اذا ما اردنا لهذا الشعب ان يحتل مكانا داخل اطار المجتمع العصري. لا يمكن لليهودية ان تعمل في فراغ بل يجب تحريكها نحو مجتمع حي ينتمي اليه جميع الذين يرغبون في ان يكونوا يهودا ويحرم الذين يطردون منه من اسم يهودي : ان ايجاد مثل هذه المجتمعات العاملة القائمة على روح الديموقراطية الدستورية هو الشرط الذي لا يمكن الاستغناء عنه للحياة اليهودية في بلاد الشتات .

مايير بار ايلان (١٨٨٠ ـ ١٩٤٩) Meyer Bar-Ilan

من عائلة برلين سابقا ، عبرن اسمه بعد قيام اسرائيل فصار يعرف ب بار ايلان .

حاخام وزعيم صهيوني من زعماء المزراحي الكبار والشخصيات البارزة في الحركة الصهيونية الدينية . مولود في فولوزهين من عائلة لتوانية الاصل ، وابوه هو نفتالي تزيفي يهودا برلين (١٨١٧ ـ ١٨٩٣) * . انضم الى الحركة الصهيونية في شبابه وشغل عدة مناصب في منظمة المزراحي الصهيونية لبولونيه حتى عام ١٩١٣ . كان سكرتير اللجنة التنفيذية العالمية للمزراحي . رئيس تحرير مجلة هاافري (العبري) الاسبوعية . قضى بعض الوقت في المانيه قبل الحرب العالمية الاولى ثم انتقل الى اميركه ، نيويورك ١٩١٤ للقيام باعمال الدعاية ، حيث قام بتنظيم فرع للمزراحي وما لبث ان اصبح رئيس المزراحي في اميركه مدة عشر سنوات . اعاد اصدار مجلته الاسبوعية « العبري » . ثم جاء الى فلسطين واقام في القدس ١٩٢٦ حتى وفاته . حارب النزعات المعادية للصهيونية لدى المتعصبين للدين ، كما حارب الاتجاه العلماني لدى الكثيرين من الصهيونيين . لعب دورا رئيسيا في الصهيونية العالمية طيلة حياته العملية وكانت له نظرة شاملة لجميع مرافق الحياة اليهودية. اسس جريدة يومية في تل ابيب ١٩٣٧ بعنوان Ha-Tzopheh كناطقة بلسان المزراحي والجناح العمالي فيه (هابوعيل هامزراحي) . نظم الدعم والتاييد لاقامة اكاديميات التلمود في فلسطين ، وكان من البادئين في الدعوة الى تاليف الموسوعة التلمودية ، بعد ان عمل في اصدار طبعة جديدة للتلمود . شغل منصب رئيس تحرير الموسوعة التلمودية منذ ١٩٤٧ حتى وفاته .

مثل الكتلة الدينية في الكنيست الاول وسقط ميتا في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ بينما كان يطالب بعدم تدويل القدس . نشرت مذكراته باليديشية « من فولوزهين الى القدس » عام ١٩٣٣ . وهي بمثابة سيرته الذاتية .

سميت المؤسسات والاماكن التالية باسمه تخليدا لذكراه :

البناية المركزية للمزراحي العالمي في تل ابيب

بيت مايير

غابة برلين

---

* عالم تلمود روسي كان رئيس يشيفا فولوزهين منذ ١٨٥٤ حتى اغلاقها على يد السلطات الروسية . دعم نشاط جمعية احباء صهيون وكان من اوائل الحاخامات الذين عطفوا على الاهداف الصهيونية بصورة فعالة .

وجامعة بار ايلان (التي يرعاها المزراحي) ـ وهي كلية للتعليم المختلط جرى تدشينها عام ١٩٥٥ في رامات غان بالقرب من تل ابيب . تنحصر دروسها في الآداب والعلوم على غرار الكليات الاميركية .وقداسسها ونظمها وخطط لها الاميركيون وتضم هيئة التدريس فيها معلمين درسوا في اميركه . جرى تنظيمها على غرار الجامعات الاميركية على امل تشجيع الطلاب من اميركه وكنده على القدوم الى اسرائيل دون ان يفقدوا اعتراف الجامعات التي يرجعون اليها بالدروس التي اتموها . ومما لا شك فيه ان جعلها على غرار الجامعات الاميركية يضمن لها الحصول على شتى انواع المساعدات المادية والمعنوية* .

كتب بار ايلان في مقالة له بعنوان « اي نوع من الحياة علينا ان نخلق في ارض اسرائيل » (١٩٢٢) يعالج مسالة العلاقة بين الكنيسة والدولة التي اصبحت فيما بعد مدار صراع عنيف بين الدين والعلمانية في اسرائيل . واراد ان يعتبر الشعب والدين اليهودي يختلف كل الاختلاف عما عداه من الشعوب والديانات . فالتوراة والتقاليد الدينية ليست بمثابة دساتير من وضع الانسان ، بل هي قوانين الهية . والدين اليهودي يتناول شؤون الدولة ، كما ان اليهودية لا تعترف بدولة تبتعد عن شؤون الدين ، ولا يمكن فصل الاثنين داخل دائرة الحياة اليهودية الواحدة . لذلك ينظر الى دولة المستقبل بانها تقع في التناقض فيما لو حاولت الفصل بين الدين والدولة .

اي نوع من الحياة علينا ان نخلق في ارض اسرائيل (١٩٢٢)

ان هناك افكارا وقيما متشابهة ظاهريا ولكنها مختلفة جوهريا . فكثيرا ما نرى ان فكرة ما تفقد معناها الاصلي مع مرور الزمن وتتخذ لها معنى جديدا ، وكذلك فانها تتخلى عن شكلها الداخلي وتكتسب شكلا آخر .مثل هذه التغييرات لا تظهر لقصيري النظر في الامور الروحية،الذين يستخدمون الافكار دون تمييز ويفهمونها حسب تسميتها دون تحمل عناء معرفة معناها الحقيقي ، وكذلك فانهم يقيّمون الفكرة المتطورة التي اتخذت لها مفهوما جديدا على اساس محتواها السبق .

ونتيجة لهذه النظرة المغلوطة بدات مشكلة « جديدة » في الظهور بيننا ، انها مسالة « الكنيسة والدولة » . صحيح ان هذه القضية لم تشتعل كثيرا بعد ، ولكن لهبها قد بدأ يصل الى بعض اطراف حياتنا وبدأ عدد من الفرقاء يطالبون بحلها . ان بعضهم يتنبأ بان مسالة الكنيسة والدولة سوف تؤدي الى صراع مزعج في بلادنا ، يشبه ما حدث من نزاعات مشابهة في بلدان اخرى ما بين القيادةالسياسية والاكليروس. انهم يظنون بان غالبية الشعب سوف تؤيد رجال الدين ، ولكن الدولة ستخرج منتصرة

* وهناك « لجنة اميركية لجامعة بار ايلان في اسرائيل » (١٩٥٢) تدعم تطور الجامعة ونموها . وتقوم بجمع الاموال وشراء التجهيزات وتدير برامج تبادل الطلاب والاساتذة .

في النهاية نتيجة لتأييد « الليبراليين ». وهناك ايضا اولئك الذين يؤكدون بان المسألة ستحل وديا ، فقد ظهرت هناك نظرية لا يمكن انكارها تقول « بان الدين هو مسألة خاصة تترك لضمير الفرد » . هذا هو الاسلوب الذي يناقش به شعبنا هذه القضية ، ولكن ما لا يدركونه هو انهم يرتكبون خطأ اساسيا بمعالجتهم لموضوع الدين في الحياة اليهودية كقضية كنيسة ودولة ، انهم بذلك يخلطون بين قضيتين منفصلتين ليس بينهما اي رابط .

ان شعبنا ، ككل ، وديننا على وجه التخصيص يختلفان كليا عن اي شعب آخر ودين آخر . السياسة منفصلة عن الدين لدى شعوب العالم ، يعتمد كل منهما في اسسه على جوانب مختلفة من عالم الروح ، كذلك فان هناك فجوة واسعة بين الاشكال التي يعبّر كل منهما بها عن نفسه . ان الدولة لا تحاول التأثير على المجالات الدينية كما ان الدين لا يحاول الاهتمام بتسيير امور الدولة . حتى ان اكثر المسيحيين او المسلمين تدينا لا يمكنه ان يجد في تعاليم دينه اي دليل لتسيير الحياة السياسية . صحيح ان في هاتين الديانتين اشارات الى ما هو صالح وما هو سيىء في السياسة، والى الحسن والقبيح في علاقات الانسان بالانسان والمواطن بالدولة ولكن ليس في هذين الدينين اية قوانين وتنظيمات للدولة كدولة . ان اكثر الامم تدينا يجب ان تكتب قوانينها التي تسيّر الحياة السياسية والاجتماعية والعائلية فيها . مثل هذه القوانين يضعها بشر عاديون وبشكل طبيعي ، وكل من يشذ عن هذه القوانين الموضوعة ، ولا يتقيد بالتنظيمات التي قبلها الجميع لا يعتبر « آثما » امام الدين . لذلك فان الكنيسة والدولة تظلان منفصلتين وتعاملان كمجالين مختلفين ، ولكل من الاكليروس والقاضي المدني واجباته المختلفة التي تشمل دوائر مختلفة ، يجب ان لا يحاول اي منهما ان يتعدى على صلاحيات الاخر .

اما قضيتنا فانها تختلف عن ذلك ، فتوراتنا وتقاليدنا ليست من صنع الانسان بل انها شريعة الله فاذا ما قلنا « بان هذا القانون حسن وذلك ليس بحسن » نكون بذلك قد نفينا كل شيء من اساسه . لا يمكننا ان نسلّم بقبول جزئي لديننا لان ذلك من شانه ان يهدم قدسية التوراة . ومن لا يقبل بمثل هذه السياسة يعزل نفسه عن جماعة المؤمنين كيهودي او كشخص متدين . فتوراتنا لا تهتم بحياة الدولة وحياة الشعب فحسب ولكنها تقدم القوانين والتنظيمات التي تسيّر مختلف جوانب هذه الحياة . ان هذه القوانين هي جزء اساسي وجوهري من التوراة ومن تشريعنا الديني ، وحتى في تلك الاجزاء من قوانيننا المتعلقة بصلة الانسان بضميره

وبخالقه ، تعاليم عامة وخاصة حول تسيير امور الدولة والحياة الاجتماعية وحول علاقاتنا ببقية الدول ـ مثل كيفية اعلان الحرب عليهم وكيف يمكن العيش بسلام معهم . ولم يحدث ، سواء في الوقت الذي كنا نقيم فيه في وطننا او في زمن المنفى ، ان كان لدينا اي قانون ذي طبيعة « علمانية » كليا ، فكما ان ليس لدينا « كنيسة » غير مهتمة بامور الدولة ، كذلك ليس لدينا دولة غير مهتمة بشؤون « الكنيسة » . لان هاتين المؤسستين ليستا منفصلتين ضمن الحياة اليهودية .

وهكذا نرى انه مع امكان استخدام تعبير واحد ليدل على علاقة الكنيسة بالدولة ، الا ان هناك فرقا شاسعا ما بين الشكل الذي تتخذه هذه العلاقة بين غير اليهود والشكل الذي تتخذه بين اليهود. عندما يصبح لنا دولة ويحاول اي شخص ان يفصل الكنيسة عن الدولة ، فانه لا يكون قد احدث انفصالا بل تناقضا . من يقول : لنترك رجال الدين يهتمون بالقضايا الدينية وان يبقوا بعيدا عن شؤون الدولة، يكون كمن يقول : لنقسم التوراة الى اجزاء، نقبل منها الاجزاء الصغيرة المتعلقة بالقضايا الروحية والاخلاقية، ونتخلص من القسم الباقي المتعلق بالعادات والاعمال اليومية ونستبدله بقوانين جديدة . ليس لمثل هذا الاتجاه في اي وقت يظهر ، اي اساس في الحياة السياسية في البلاد الاوروبية او في اميركه فمصدره هو تاريخنا القديم عندما « كان اسلافنا عبدة اصنام » . . .

هناك مبدأ عام عن كيفية تطور المجتمع : هو ان مختلف اشكال السلوك لم تتكون على اساس تنظيم سابق. وان الشعوب لم تأت الى البلدان المختلفة بخطة موضوعة مسبقا عن كيفية تسيير حياتها في هذه البلدان . لقد كان الناس في البدء يهاجرون الى البلد كافراد او جماعات ، ثم يبدأون في تنظيم انفسهم ضمن الاعمال المختلفة، ونتيجة لحياتهم الاجتماعية والخاصة استطاعوا ان يكونوا لانفسهم عادات وتقاليد تكيفوا من خلالها مع البيئة التي يعيشون فيها . وبعد ذلك ، لم تكن هناك حاجة لسن الشرائع ، وكل ما كان على المشترعين ان يفعلوا هو ان يسجلوا كيف كان الناس يعيشون ومن ثم يضعون المقياس الذي يجب اتباعه لمعاقبة اولئك الذين ينحرفون عن طريق السلوك المقبولة تلك . كان ذلك في الزمن الغابر . ولقد استطاع المؤرخون التشريعيون وخاصة مؤرخي القانون الروماني ان يبرهنوا بان مختلف الشرائع لها جذور تمتد الى الظروف التي نشأت فيها كل امة . وهذا ما يفسر الفروقات العديدة والشاسعة ما بين شرائع الامم المختلفة ،

لان هذه الفروقات قد نجمت عن اخلاقهم المختلفة وطرق معيشتهم المتفاوتة .

اما اذا ما اتبعنا هذا الاسلوب في هذه الايام ، فستكون عودتنا الى وطننا صعبة جدا وسوف نجابه وضعا خطيرا : كيف سنتمكن من الجمع بين القوانين التي ورثناها عن اجدادنا وبين العادات والاراء التي اعتدنا عليها في مختلف بلاد الشتات ؟ بما ان الشرائع لا تتكون بشكل تنظيم سابق ولكنها تنتج بشكل طبيعي وتلقائي عن عملية الحياة فان كل فرد وكل جماعة وكل حزب منا اصبحت له قوانين بحسب ظروف حياته ونظرته الى تلك الحياة فكيف اذن نتمكن من وضع دستورنا ؟ هل سنتبنى الشرائع والعادات التي حملناها معنا من بلاد الشتات حتى ولو كانت متناقضة مع تقاليدنا ، او نتمسك بحرفية الناموس حتى ولو كنا بذلك سنضطر الى الحياة حسب قانون غريب عن الزمن المعاصر والظروف الحاضرة ؟ ومن ناحية اخرى ، علينا ان نطرح السؤال التالي على اولئك الذين يعتقدون بان قوانين التوراة اكاديمية بحتة ليس لها اية فائدة عملية ويؤمنون بان القانون العصري يجب ان يحكمنا : « هل في نيتنا ان نقبل في بلادنا فقط هؤلاء الذين ينتمون الى بلد واحد وذلك لكي نتمكن من ان يكون لنا شعب باستطاعته ان يعيش على نمط واحد من الحياة يحمله معه عند مجيئه ؟ » بما ان املنا ورغبتنا هما ان يهاجر اليهود من كل بلد الى اسرائيل ـ السفرديم الذين يعيشون في البلاد الشرقية اعزاء على قلوبنا كالاشكنازيم الذين يعيشون في اوروبه ، اننا سنرحب باليمنيين مع كل بدائيتهم كما سنرحب بالاميركيين ـ فكيف اذن نتمكن من وضع عاداتنا وتقاليدنا وشرائعنا ، ايكون ذلك حسب روح اليمنيين « المتخلفين » ام حسب روح الاميركيين « المتحضرين » ، هل يلائم ذلك الشرقيين ام الغربيين ؟ سوف يأتي العديدون الى ارض اسرائيل ، خاصة من اوروبه واميركه ، ممن يجهلون التوراة رغم اهتمامهم العام باليهودية . انهم سوف يقولون : « ماذا يهمنا من شرائع التقاليد اليهودية ؟ على كل انسان وعلى كل جماعة العيش حسب العادات والتقاليد المتبعة سابقا ، ومع الوقت سيكون عمل المشترعين جاهزا عندما يكون الوضع قد استقر ونضج ، عندها يختار اولئك المشترعون افضل ما هو متبع ويسنون القوانين بحسبه . والى ان يكون ذلك ، يجب ان نحيا حسب العادات والتقاليد التي احضرناها معنا من بلاد الشتات والتي اصبحت جزءا من كياننا . واذا ما كان هناك عناصر في شرائعنا الموروثة وتقاليد توراتنا تتناقض مع طرق حياتنا ، فان ذلك سيكون من سوء حظ شرائع التوراة » .

ومقابل هذا الرأي يمكن لاي شخص متطرف يقف على الطرف الاخر ان يدعو الى تجاهل التقاليد والعادات العصرية ويؤكد بان علينا ان نعيش حسب شرائع توراتنا وانه من غير المناسب لنا ان لا يستطيع اناس كثيرون فهم شرائعنا او حتى من معرفة معناها. انهاتين الفئتين ستحدثان انشقاقا بيننا، قد يؤدي الى ظهور «اصلاح» و «مصلحين» في بلادنا ، ولكن من نوع جديد اقل قبولا من تلك الموجودة في بلاد الشتات لان مثل هذه الاصلاحات لن تحصر فقط في كتاب الصلاة والخدمة في الكنيس ولكنها ستؤثر على قوانين الحياة ونظامها الاساسي .

اما نحن ، فاننا نتبنى وجهة نظر ثالثة كحل لهذا التناقض ، اننا نؤمن « بان ليس هناك من بديل للتوراة » وبانه لا توجد هناك اية وسيلة لتوحيد جميع مذاهب وفئات الشعب اليهودي في دولة متجانسة سوى اعادة احياء كل جانب من حياتنا على اساس تراثنا من التوراة . لكن هذا لا يعني اننا يجب ان نتجاهل قيم وعادات هذا الجيل او نسخر منها . وحتى لو كانت هذه القيم وتلك العادات مناقضة لشرائع التوراة يجب ان نحاول تغييرها شيئا فشيئا . يجب ان نبدأ عملنا ليس بتشريع القوانين ولكن بتربية شبابنا والتأثير على الكبار منا . علينا ان نعلم شعبنا لكي يقبل بشرائعنا ، وان نمد نفوذنا ، حتى باستعمال اساليب غير مباشرة اذا ما اقتضت الضرورة ذلك ، من خلال المدارس والكتب المدرسية والصحف وكتب الاداب لكي يتغير تفكير شعبنا ونظرته الى الامور شيئا فشيئا الى ان يصبح هذا التفكير من شرائع توراتنا . مثل هذا التغيير سينتج عنه قبول لشرائع توراتنا من اجل قيمها الذاتية وبشكل اختياري واعتراف داخلي بقيمتها الجوهرية وليس عن طريق الضغط الجسدي او المعنوي .

وتلخيصا لما قلنا : ان مسألة طريقة الحياة الصحيحة في وطننا هي مسألة تربية المجتمع والتأثير عليه . وفي ضوء هذه النتيجة يجب ان نبحث سؤالا اساسيا : كيف ستدار مدارسنا ؟ هل سنرضى بتعليم ابنائنا اللغة والادب في هذه المدارس وان لا ننزعج اذا ما كانت هذه المواد تدرس في جو معاد للدين والايمان ؟ او سنطلب ان تدرس اللغة والادب من وجهة النظر الدينية فقط ؟ هل نستطيع ان نقبل الفكرة العامة التي تؤمن بان الكنيسة والدولة يجب ان تكونا منفصلتين ، وان قوانين الحياة اليومية وشرائع التوراة لا تشكل كلا واحدا، ولذلك يحق للشخص ان يدرس ما يريد، فنترك المتدينين يفتحون مدارس خاصة بهم وان يفعل العلمانيون الشيء ذاته شرط ان تكون العبرية هي لغة التدريس . لكن ، بما اننا برهنا انه

بالنسبة لشعبنا ، الكنيسة والدولة هما اكثر من كيانين غير منفصلين ، انهما متداخلان بشكل وثيق ويشكلان كلاً واحدا ، فاننا لا نقبل باستبدال شرائع التوراة بالقانون الروماني . لذلك ، يجب علينا ان نلقن ابناء شعبنا ، صغارا كانوا ام كبارا ، احترام التوراة ومعرفتها بالطريقة نفسها التي يطلب فيها زعماء الحركات الاجتماعية المختلفة من افرادهم معرفة اهداف هذه الحركات . وان افضل وسيلة لتحقيق هذه الغاية هي في ان تصبح جميع المدارس والمؤسسات حكومية لكي يتمكن التلاميذ الذين يرتادونها ـ ويتمكن اباؤهم بواسطتهم ـ من ان يتلقوا تعليمهم بروح الدين . لان التقاليد والدين بالنسبة لنا هما كاللغة والادب بالنسبة لغيرنا. فالاميركيون على حق عندما يقولون بانه اذا شب اطفالهم دون معرفة باللغة الانجليزية يتوقفون عن حب شعبهم ويفقدون الرغبة في الدفاع عن بلادهم ، كذلك نحن ، علينا ايضا ان نهتم بهذا الموضوع لكي لا يشب اطفالنا وهم خالون من الشعور القومي والديني فيقطعوا الصلة التي تربطهم بالحياة اليهودية والقيم اليهودية وينظرون الى ارض اسرائيل كبلد لا يختلف عن بلاد الاغيار .

اننا عندما ندعو الى ان تكون المدارس اليهودية في بلادنا رسمية ، نشير بذلك الى المدارس الابتدائية فقط ، فهذه المدارس هي الاساس التربوي في كل البلدان وهي ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لكل فرد من كل طبقة . اما بالنسبة للمدارس الثانوية ، فالامر يختلف لان هذه ليست ضرورية بالدرجة نفسها لكل فرد وبالنسبة للكثيرين تعتبر رفاها روحيا ، لذلك ، فليس من الممكن وضعها تحت الاشراف . حتى في البلدان التي تمول فيها الحكومة جميع المدارس من اول صف ابتدائي لاعلى صف ، فانه يظل هناك مدارس « خاصة » ذات قيمة في تعليم الطلاب وتطوير حياتهم. نحن لا نريد ان نعرقل الحرية الشخصية ، ولذلك فان كل اقلية سوف تمنح وضعا ذاتيا لتتصرف كما تشاء شرط ان لا تسبب الضرر للمجتمع ككل .

يمكننا ان نرى مسبقا بان موضوع المدارس سوف يكون معقدا وصعبا ، ففي الوقت نفسه الذي وضع فيه اول حجر في اعادة بناء بلادنا ، وضع حجر الاساس في الجامعة العبرية وحتى لو اعترفنا بان تأسيس الجامعة كان لاسباب سياسية كانت مسيطرة رغم معارضة الكثيرين بان الوقت لم يكن قد حان بعد لاقامة مثل هذه المؤسسة ، الا ان هذا العمل يبرهن على ان هناك نزعة داخلية لدى الزعامة الصهيونية نحو المدارس والتعليم . فاذا كانت هذه هي الحالة في وقت مبكر كهذا ، فمن

الافضل ان نستمر في ذلك عندما تكون الدولة اليهودية قد تأسست ويكون شعبنا قد بدأ يحيا حياة جديدة . لذلك ، حتى لو ساد النظام الموحد في المدارس الابتدائية واصبحت هذه المدارس يهودية منظمة ، علينا ان لا نتوقع بان يكون التعليم العالي على « نظام واحد » .

يجب ان يكون واضحا بان الهدف من هذه المقالة ليس اعداد برنامج لمدارسنا . اننا نبحث الموضوع من زاوية تأثيره على الوضع العام للحياة . فاذا ما تبنت مدارسنا روحا قومية ـ تقليدية فان هذا سيؤثر على حياتنا التي يترتب علينا ان نحياها طبقا لهذه الروح . ولكن اذا ما كانت مدارسنا علمانية فان الحياة نفسها ستعكس هذه الروح العلمانية حتى ولو استمرت جماهيرنا ذات روح دينية . هناك اناس « اتقياء » ويمارسون شعائر الدين في بلاد الشتات ، يعملون بالوصايا الصغيرة والكبيرة للتوراة ومع هذا فان لسلوكهم العام صفة الاندماج في ثقافة الاغيار . يجب علينا ان ننتقد مثل هؤلاء الناس وان نظهر اخطاءهم الآن ، لانه في حالة قيام مثل هؤلاء في الوطن نفسه عندما يقوم هذا الوطن الذي هو مركز الروح اليهودية ، فاننا لن نجرؤ عندئذ على ان نعيب عليهم سلوكهم ، حتى اننا قد نرتكب خطأ التصور بان هذه هي الصورة الصحيحة لما يجب ان تكون عليه اليهودية .

اذا ما رغبنا في ان يستمر تراثنا الروحي وان لا نخلق يهودية جديدة يجب ان نجعل من مدارسنا في وطننا اماكن ليست لتدريس اللغات والمهن المختلفة فحسب ، بل يجب ان تصبح هذه المدارس مؤسسات تربوية حقيقية في مجاراة مبادئنا ومثل امتنا العليا . ويجب ان تلعب المعرفة بالشرائع التلمودية وكل ما تتضمنه دورا هاما في هذه الدراسات . اما التلمود وادبه فيجب ان يظلا تراث جميع آل اسرائيل وان يشكلا نظاما وعلما لاولئك المتخصصين في ادب التوراة . انه لشيء طبيعي ان نكون بحاجة الى اخصائيين ليكرسوا حياتهم لدراسة التلمود ، ويجب ان يكون هؤلاء ذوي المقدرة الفائقة ، ولكن روح التلمود ومعرفة عامة لشرائع التلمود وادبه يجب ان تكون جزءا من دراسة كل يهودي متعلم . يتعلم كل تلميذ في المدارس مبادىء الفيزياء والرياضيات ، ومع انه لا يستخدم جميع ما يتعلمه في حياته العملية فانها تبقى ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها . وان موقفنا من معرفة الشرائع التلمودية يجب ان يكون مشابها لذلك : على كل تلميذ مدرسة ان يحفظ مقاطع معينة من التلمود وان يتشرب روحها حتى ولو لم يكن سيجعل من حقل الدراسة هذا مجالا للعمل .

ان هذا المطلب الذي يمكن ان يعتبره البعض متطرفا جدا يتطلب منا

ان لا نرضى بتأسيس مدارس من نوع مدارس الجاليات اليهودية والمدارس العبرية القائمة في الشتات وفي اسرائيل . علينا ان ندرك ان وطننا سوف يكون ويجب ان يكون بلدا مستنيرا وتقدميا وان علينا ان لا نعزل انفسنا عن العالم . فالشعب الصيني الذي يفتخر بان له ثقافة اعرق من اي ثقافة في اوروبه، عندما يريد احد ابنائه ان يصبح «مثقفا» فانه يذهب الى اوروبه او اميركه . لذلك ، اذا اردنا ان نصبح شعبا عصريا ، يجب علينا ايضا ان لا نسمح بان يمسخ تعليمنا لينحصر في تدريس الدراسات الدينية والقومية الخاصة بنا ، لانه في مثل تلك الحالة اذا كنا بحاجة الى اطباء او مهندسين فسوف نستوردهم من بلاد اخرى او نرسل ابناءنا الى الخارج ليدرسوا. كذلك يجب ان لا نوجد تمييزا في مدارسنا اي ان نجعل مدارسنا مكرسة لدراسة التوراة والدراسات اليهودية الاخرى ، ومدارسهم (اي مدارس الذين لا يوافقون على وجهة نظرنا هذه) تدرّس ثقافة عامة . اذا ما فعلنا ذلك فاننا سنخفض من مستوى مدارسنا وسيكتسب تلاميذنا اقل مما يفعل تلاميذ المدارس العلمانية . يجب ان لا نسمح بحدوث ذلك ليس لاسباب اقتصادية فحسب بل لاسباب معنوية ايضا . لقد علمتنا الحياة « ان من يزداد ثروة يزداد كرامة » (١) . فبينما تنشىء المدارس العلمانية طبقة من الاثرياء والمستنيرين يكون تلاميذ مدارسنا مجرد ادباء توراة يخافون الله ، وسوف يسيطر عليهم تأثير العلمانيين وسوف تتكرر الحالة ذاتها التي حدثت في بلاد الشتات : طلاب مدارس الجالية اليهودية (اليشوف) (Yushuv) فقراء ومعنوياتهم منخفضة جدا بينما طلاب الكليات الاخرى ناجحون وتأثيرهم ، المباشر وغير المباشر ، دائما اعظم .

اذا ما كانت لدينا الرغبة القلبية في ان يعرف جميع اطفالنا التوراة وان يتبعوا تعاليمها ، يجب ان نؤسس مدارس تضم كلا من الدراسات اليهودية والعلمانية ، وان لا تتألف الدراسات اليهودية من اللغة والادب فحسب بل يجب ان تضم التراث الديني باجمعه ايضا لكي يتمكن اطفالنا من معرفة ما هو اكثر من التوراة .

هذه الآراء في كيفية تنظيم حياة مجتمعنا الذي بدأ الآن يظهر في الوطن يجب ان تكون المقياس لجميع الذين يعملون في اعادة بناء بلدنا والذين يريدون اعادة احياء الامة العبرية على ارضها وبروح توراتها .

ان على المزراحي الذي كان اول من رفع راية الانبعاث الديني ـ القومي ان يقبل الان وجوب وضع هذه الاراء موضع التطبيق .

---

١ ـ الجامعة ١ : ١٨ .

فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠ ـ ١٩٤٠) Vladimir Jabotinsky

كاتب وخطيب وزعيم صهيوني

مولود في اوديسه لعائلة يهودية من الطبقة الوسطى الميسورة الحال . تربى على العناد والتشبث بالرأي وتعلق بامه حتى صارت رغبتها لا ترد لديه . قضى سنة من سني حداثته في حديقة اطفال المانية بينما كانت العائلة تقيم هناك خلال مرض والده . ودرس في اوديسه حيث لم يوجد اي « حي يهودي تقليدي » ، بل توزع اليهود في سائر انحاء المدينة ولم يشعروا بالتمييز او التفرقة . لذا كان تأثير التقليد الديني اليهودي على نفوسهم ضعيفا ، وقد ولّد بالتالي لديهم موقفا متجردا ومتساهلا حيال اليهودية . فالعائلة تكلمت اللغة الروسية . ولم يحاول جابوتنسكي ان يتحدث باليديشية الا حين بلغ سنه الرابعة والثلاثين. وعلى الرغم من اهتمام والدته بتثقيفه العبراني ، فلم يكن على صلة داخلية باليهودية ـ كما اعترف هو نفسه بذلك . ولم يبد اي اهتمام بدعوة حركة « احباء صهيون » حين اخذ يسمع بها . بل احب الادب الروسي والتهم الافكار الاوروبية التي تسربت الى روسيه في الادب والمسرح والموسيقى والفن وكذلك في السياسة والاجتماع .

بدأ حياته الادبية والصحفية حين عمل كمراسل لصحيفة ليبرالية تصدر في اوديسه وتتمتع بنفوذ واسع . وذلك اثناء اقامته في رومه (١٨٩٨ ـ ١٩٠١) . وفي الطريق الى رومه عرج على برن (سويسره) واستمع الى نحمن سيركين يحاضر عن الصهيونيةالاشتراكية. وخلال النقاش الذي تلا المحاضرة ودار بين الصهيونيين والاشتراكيين وقف جابوتنسكي ليصرح بانه لا يعرف ما هي الاشتراكية ، لكنه ينتمي الى الصهيونية . لكنه في سيرة حياته الذاتية يتذكر سؤاله لوالدته : « هل سيكون لنا نحن اليهود دولة خاصة بنا في يوم من الايام ؟ » . وكان عمره آنذاك لا يتعدى السابعة . وحين وصل الى رومه وتعلم اللغة الايطالية بدأ ينظر الى ايطاليه بمثابة وطنه الروحي ، اكثر مما كانت روسيه . ودخل جامعة رومه ليدرس في كلية الحقوق التابعة لها . فتأثر بافكار استاذه انطونيو لابريولا في الفلسفة والاجتماع : فالحياة لا تخضع لحكم القضاء والقدر ، بل الانسان يصنع المستقبل بنفسه . واخذ عنه النظرة الواحدية التي تعتبر النظرية والتطبيق وحدة لا تتجزأ ، فطبقها بدوره على الصهيونية .

وقد نشر جابوتنسكي مقالاته التي راسل بها الصحيفة من رومه باسم مستعار « آلتالينا » (Altalena)* . ولدى عودته الى روسيه حمل معه الاعتقاد الراسخ

* استعملت عصابة الارغون الاسم نفسه للمركب الذي حاولت ادخال السلاح بواسطته ، حزيران (يونيو) ١٩٤٨ . ووصل المركب خلال فترة توقف اطلاق النار ووقع خلاف حول افراغ الشحنة ادى الى اغراق المركب .

بالمذهب الاقتصادي في الاشتراكية ، لكنه عاد فيما بعد وعارض الاتجاه الحتمي في الماركسية بشدة . وبدأ نشاطه الصهيوني حوالي عام ١٩٠٣ حتى غدا من اعنف المتصلبين الصهيونيين. ومن المفكرين الكبار الذين تتلمذ على افكارهم خلال اقامته في روما ، الفيلسوف بنديتو كروتشه الذي اخذت عنه الفاشستية فيما بعد مذهبه في المطابقة بين الفلسفة العينية والتاريخ واستخدمته لمآربها وغاياتها الخاصة . وتأثر بافكار ماتزيني وغاريبالدي وكافور في القومية الايطالية والكيان القومي الى حد التعصب .

حضر المؤتمر الصهيوني السادس في بال ، عام ١٩٠٣ ممثلا عن الخلية الصهيونية « ارض اسرائيل » . وعكف بعد عودته الى اوديسه على تنظيم وحدات يهودية للدفاع والكفاح في سبيل نيل الحقوق المدنية والاقلية . فاصطدم بالسلطات القيصرية اكثر من مرة . تعرف على كتابات بنسكر وهرتزل وليلينبلوم وطور مفهومه الرومنطيقي الخاص للصهيونية مشددا فيه على النشاط العملي واللجوء الى العنف من اجل تغيير مجرى الاحداث . وسافر للتعرف على كبار الصهيونيين الروس امثال اوسشكين والشاعر الصهيوني بيالك. وتعرف خلال المؤتمر السادس الى وايزمان ، رئيس الجناح المعارض لهرتزل آنذاك. فلم يلق من وايزمان سوى التعنت والنفور . مع انه دافع عن زيارة هرتزل لوزير القيصر، بليفيه ، وضد معارضة الكثيرين من الصهيونيين الروس ، وصوت ضد ارسال لجنة الى شرقي افريقيه لتقصي الامور المتعلقة بمشروع يوغنده . وعمل كل ما بوسعه للابقاء على فلسطين بمثابة الهدف الوحيد للصهيونية . ومن اقواله الشهيرة خلال المؤتمر السابع تعريفه لماهية السياسة : « السياسة هي القوة . نحن لا نملك هذه القوة . يجب على الصهيونية ان تسعى لكي تصبح قوة » . وقد بقي ذلك شعاره الصهيوني والباعث الرئيسي طيلة حياته . فحارب صهيونية حركة « احباء صهيون » وكل الدعوات القائمة على التبرع وعمل الخير ، متمسكا على الدوام بمفهوم هرتزل السياسي في جميع نشاطاته الصهيونية .

وبرزت موهبته الخطابية كاداة فعالة في اكتساب المؤيدين والمناصرين . وراح يعتبر نفسه وريث هرتزل . حتى انه افلح في اسر لب الجماهير اليهودية والاستحواذ على عقلها . وصار بمثابة معبود اليهود في سائر انحاء روسيه . فكرس نفسه للعمل الدائب من اجل ما اسماه « الصهيونية دون اية نعوت » ضد « اعداء صهيون » .

ثم اصطدم بموقف اتحاد العمال اليهود (Bund) الاشتراكي والمناوىء للدعوة الصهيونية بشدة . وبدات معالم ابتعاده عن شؤون الادب والحياة في روسيه تتضح شيئا فشيئا ، حتى بدا غريبا في نظر اليهود الروس . وبذل جهودا كبيرة لتاليف حزب صهيوني مستقل بين يهود روسيه ، كجزء من البرنامج التكتيكي للمسالة الصهيونية . واصر على ان يعمل الصهيونيون كحزب مستقل خلال الكفاح للمطالبة بالحقوق والمصالح اليهودية . ثم ترشح عن اوديسه في انتخابات الدوما القيصرية ، لكن اللجنة المركزية الصهيونية طالبت بانسحابه . فانصاع للاوامر مكرها وغادر اوديسه عام ١٩١٢ للاقامة في سانت بطرسبرغ .

سافر الى تركيه شتاء ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ للاطلاع والاشراف على اجهزة الدعاية الصهيونية بعد قيام حركة تركيه الفتاة . والتقى فيكتور جاكوبسن في القسطنطينية . ومن هناك قام بزيارة قصيرة لفلسطين. ونشر سلسلة من المقالات بعنوان «تركيه الجديدة ومنظورات عملنا»، دعا فيها الى عدم المبالغة في تقدير قوة العرب ورفض المحاولات الرامية للانصياع للاماني السياسية العربية . لان السياسة الخارجية للصهيونية يجب ان تاخذ بعين الاعتبار المصالح

الشاملة للاستعمار اليهودي قبل اي شيء اخر . ثم رفض الشعار الداعي الى « الصمت والعمل » و « الابتعاد عن السياسة » و « التظاهر باننا نذهب الى فلسطين لمجرد حراثة الاراضي فقط » . لان « الاسلوب السياسي في حركتنا لا يمكن فصله اطلاقا عن النشاط العملي » .

ثم عاد الى تركيه في حزيران(يونيو) ١٩٠٩ وشغل منصب المسؤول الصهيوني الرسمي عن شبكة الصحافة الصهيونية باجمعها لمدة عامين . وحاول استمالة بعض اعضاء مجلس المبعوثان التركي من اليهود الى الدعوة الصهيونية . وكانت الدعاية الصهيونية آنذاك تقوم على تضليل رجال تركيه الفتاة محاولة اقناعهم بان الصهيونية لا تسعى لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، بل الى مجرد السماح لهجرة اليهود بحرية والى نيل استقلال ذاتي في الحقل الثقافي البحت . وهكذا افلح جابوتنسكي في كسب تاييد العديد من الشخصيات اليهودية التركية البارزة والحصول على تعاونها .

غادر تركيه وعكف على اعداد خطة شاملة لعبرنة التعليم اليهودي باكمله وفي سائر انحاء العالم . وايد فكرة قيام الجامعة العبرية كجزء لا يتجزأ من مفهومه للنشاط الثقافي الصهيوني . فاصبح عضوا في لجنتها التحضيرية عام ١٩١٣ . ثم اختلف مع وايزمان حول طبيعة الجامعة المذكورة واتهم وايزمان بالسعي لانشاء « معهد للبحوث » بدل « جامعة » او « معهد للتعليم العالي » ، تعنى بتقديم حل لقسم كبير من الشباب اليهودي الذي حيل بينه وبين دخول الجامعات الروسية او الاوروبية الغربية . بينما نجده يقول ان وايزمان كان يريد الجامعة كناية عن « مجموعة من معاهد البحوث ، يعمل فيها العلماء ويسعون للحصول على جائزة نوبل » !

نادى خلال الحرب العالمية الاولى بتجنيد فرقة من الكتائب اليهودية لكي تحارب على الجبهة الفلسطينية . ووصل الى الاسكندرية في كانون الاول(ديسمبر) ١٩١٤ ، من خلال جولته في شمال افريقيه . فالتقى بجوزيف ترمبلدور وعمل معه على انشاء « فرقة البغالة الصهيونية » عام ١٩١٥ . وكان الهدف من انشاء الفرقة اليهودية ومطالبة الانجليز باستخدامها في فلسطين هو الاستيلاء على فلسطين تحت ستار تحريرها من الاتراك ! وفي عام ١٩١٧ وافقت الحكومة البريطانية على انشاء الفرقة اليهودية ، بعد ان سافر جابوتنسكي الى اوروبه لجمع المتطوعين ، وقد خدم لدى عودته في احداها ، ثم سرحه الجنرال اللنبي من الجيش البريطاني عام ١٩١٩ والتقى القاضي لويس براندیس في القدس خلال العام نفسه . وحين هب العرب ثائرين على الصهيونية ومحاولاتها في اعداد جيش سري تحت زعامة جابوتنسكي ، قام هذا الاخير بتنظيم العمليات الارهابية الصهيونية في القدس (١٩٢٠) . وعارض بقاء ترمبلدور ورفاقه في مواقعهم للدفاع عن تل حاي . لكن معارضته الشديدة اتجهت الى زعماء الييشوف آنذاك لعدم خبرتهم بالامور العسكرية وتقصيرهم في مد ترمبلدور بالرجال والعتاد.

حكمت عليه المحكمة العسكرية البريطانية آنذاك بالسجن مدة ١٥ سنة ، لكنه سرعان ما اطلق سراحه . ثم انضم عام ١٩٢١ الى اللجنة التنفيذية الصهيونية ، لكي يستقيل منها بعد عامين (١٩٢٣) متهما اياها بالتقاعس في معارضة السياسة البريطانية والوقوف بوجهها بكل ما يلزم من العنف والقوة .

سافر الى لندن في ايلول ١٩٢١ للعمل على الغاء الحكم العسكري الصادر بحقه ولاقناع

البريطانيين باحياء الفرقة اليهودية ومساعدتها في التسلح والتنظيم وتعاون بصورة وثيقة مع الصندوق التاسيسي لفلسطين . وهو الذي اعد « كتاب الكيرين هايسود » المشتمل على نشاطات الصندوق . وقد عارض المشروع الذي تقدم به السير هربرت صموئيل لانشاء قوة يهودية ـ عربية مشتركة على اساس التطوع ، وتمولها حكومة الانتداب . ورأى في ذلك خطرا على اليهود ، لان المتطوعين من العرب سوف يكونون اضعاف اضعاف اليهود ـ على حد قوله ـ فتكون النتيجة « ايجاد جيش بوغروم » (اي مذابح) . وحين قامت منظمة الهاغانا تزعمها جابوتنسكي وحاول بسط سيطرته عليها ، لكنه سرعان ما اختلف مع الياهو غولوب حول طبيعتها واهدافها . وحين زار فلسطين عام ١٩٢٢ حذرته استخبارات الهاغانا من محاولة لاغتياله قد يقوم بها العرب ووضعته تحت حراسة مشددة لحمايته . وزار اميركه للمرة الاولى (١٩٢١ ـ ١٩٢٢) للاطلاع على النشاط الصهيوني هناك . ثم زارها ١٩٢٦ ، ١٩٣٥ ، ١٩٤٠ . وساهم في جمع الاموال للصندوق التاسيسي وابدى استياء من جماعة براانديس ماك .

انشق عام ١٩٢٥ عن المنظمة الصهيونية العالمية وشكل « الاتحاد العالمي للصهيونيين التحريفيين » . واسس في العام نفسه منظمة « بيطار » للشباب والمعروفة بـ Berit Trumpeldor تخليدا لذكرى صديقه . زار فلسطين عام ١٩٢٦ ولقي استنكارا من جانب العرب واليهود على السواء . فقد اصبح معروفا لدى الجميع كداعية « للصهيونية العدوانية » وكزعيم لجناح يزايد في التطرف داخل الحركة الصهيونية . واجتمع خلال اقامته بالدكتور محمود عزمي محاولا عرض وجهة نظره عليه . فشدد اثناء حديثه انه يمثل جماعة تعارض السياسة الصهيونية الرسمية وقال انه يرفض التصديق ان شعبا عزيز النفس كالعرب ، بماضيه العظيم ، قد لا يوافق اطلاقا على بيع بلاده بالمال او لقاء مجرد احتمال في تشربه بالثقافة الاوروبية المتفوقة . ولم ينكر ان الهجرة اليهودية سوف تحيل عرب فلسطين الى اقلية ، بل راح يذكر محدثه بالمساحات الشاسعة التي تملكها الدول العربية التي نالت استقلالها حديثا . لكن ذلك كله لم يغير من موقف الدكتور عزمي تجاه الصهيونية .

لجا الى دعوة الانفصال الكلي حين ضمت المنظمة الصهيونية بعضا من الصهيونيين المعتدلين الى الوكالة اليهودية الموسعة عام ١٩٢٩ ، وحين رفضت بالتالي تحديد هدف الصهيونية على انه يقضي باقامة الدولة اليهودية (١٩٣١) . وبقي الحال هكذا حتى حصل الانقسام النهائي عام ١٩٣٥ عندما تبنت المنظمة مسالة ادخال « فقرة عن المخالفات » الى مواد القانون الاساسي . وشكل جابوتنسكي « المنظمة الصهيونية الجديدة » . وفي عام ١٩٣٦ اخذ يلح في القيام باجلاء سريع ليهود اوروبه الشرقية الى فلسطين. والاجلاء « لا يعني ان يقوم الآخرون باجلائنا ، بل ان نرغب بذلك نحن انفسنا » . وقد حملت بطاقة العضوية في المنظمة الصهيونية الجديدة الدعوة التالية « العودة الى صهيون لجميع الذين يريدون صهيون ، ونهاية التشتت » . واستند في دعوته تلك الى كتابات هرتزل وماكس نوردو ، فخرج « بمشروع السنوات العشر » (١٩٣٨) الرامي الى نقل مليون ونصف من اليهود مقسمين على السنوات العشر التالية . لكنه ما لبث ان اكتشف بان مئة الف يهودي في السنة الواحدة « عملية بطيئة للغاية بالنسبة لادارة شؤون الدولة العصرية » . وتمادى في تفكيره الخطير زاعما انه على ثقة تامة بان عرب فلسطين حين يجدون انفسهم « بين ليلة

وضحاها » وجها لوجه امام حقيقة الاكثرية اليهودية وواقعها ، سوف يقبلون بالامر الواقع « ويتصالحون معه » .

وجابوتنسكي هو بمثابة الاب الروحي والزعيم الاسمي للعصابة الارهابية « ارغون زفاي ليئومي » التي ورثها عنه مناحيم بيغين وتحولت الى حزب حيروت بعد قيام اسرائيل. ولقد طالب طيلة حياته بانشاء جيش صهيوني مستقل ، وكرر الطلب حين اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية . وهو الاب الشرعي للهجرة اللاشرعية وجميع الحركات السرية والمنظمات العسكرية لدى يهود فلسطين .

زار اميركه للمرة الاخيرة عام ١٩٤٠ محاولا كسب العطف والتاييد من الراي العام الاميركي للافكار التي دعا لها . وتوفي هناك بداء القلب . وقد نقلت بقاياه ١٩٦٤ الى اسرائيل واعيد دفنها على جبل هرتزل في القدس .

ومن آثاره : ترجمات روسية من شعر بيالك ، وروايتا « شمشون » و « الخمسة » ومجموعة شعرية .وقد ترجم الى العبرية كلا من دانتي وادغار الن بو . والف سيرة حياته الذاتية . وله باللغة الانجليزية : « تركيه والحرب » و « الجبهة الحربية اليهودية » .

شهادة مقدمة الى اللجنة الملكية لفلسطين (١٩٣٧)

مجلس اللوردات ، لندن

١١ شباط (فبراير) ١٩٣٧

ان فكرة الصهيونية التي لي شرف تمثيلها ترتكز على ما يمكن ان اسميه الجانب الانساني ولكنني لا اعني بذلك اننا لا نحترم الجوانب الروحية المجردة للقومية اليهودية مثل الرغبة في التعبير الذاتي واعادة بناء الثقافة العبرية او خلق « مجتمع نموذجي يستطيع الشعب اليهودي ان يفتخر به » . كل ذلك ، بالطبع ، بالغ الاهمية ، ولكن اذا ما قورن بالضرورات الواقعية وبوضعنا الحقيقي في العالم اليوم ، يظهر وكانه مجرد ترف. لقد سمعت اللجنة وصفا لحالة اليهود في جميع انحاء العالم وخاصة في اوروبه الشرقية، وانا لن اكرر الآن تلك التفاصيل، ولكن اسمحوا لي ان اورد جملة جاءت في صحيفة « نيويورك تايمز » مؤخرا تصف حالة اليهود في اوروبه الشرقية بانها « نكبة ذات فظاعة تاريخية » . ولكنني اود ان اضيف بانه من السذاجة ان نعزو المسؤولية في تلك النكبة الدائمة الى اشخاص او جماهير او حكومات . فالمسألة اعمق من ذلك بكثير . وانا اخشى ان ما سأقوله لن يعجب ابناء ديني ، وانني آسف لذلك ، ولكن الحقيقة هي الحقيقة ، فنحن نواجه مصيبة عميقة تعتبر نوعا من الهزة الاجتماعية .

ان ثلاثة اجيال من المفكرين اليهود والصهيونيين ، بينهم مفكرون عظام ـ لن ازعجكم بايراد مقتطفات من اقوال هؤلاء المفكرين ـ قدموا فكرا كثيرا لتحليل الموقف اليهودي ووصلوا الى نتيجة مفادها ان سبب ما يقاسيه اليهود هو قضية الشتات والحقيقة المهمة باننا اقلية في كل مكان، فعداء السامية ليس موجها من الناس بل من الاشياء ، انها عقدة بعض الاجانب التي يتعرض لها الجسم الاجتماعي او الجسم الاقتصادي الذي نعاني منه. طبعا هناك صعود وهبوط ، ولكن هناك لحظات وحتى فترات كاملة من التاريخ يتخذ « الخوف من الحياة نفسها » بعدا جديدا لا يمكن لاي شعب ان يتحمله ، وهذا هو ما نواجهه اليوم .

انني لا اقصد ان اقول بان كل الحكومات المعنية قد قامت بما يجب القيام به ، بل آخر من يقول ذلك . انني اعتقد بان على جميع الحكومات ، في الشرق وفي الغرب ، ان تزيد من حمايتها لليهود ، ولكن ما حدث هو ان افضل الحكومات قد استطاعت ان تخفف المصيبة الى درجة لا تذكر ، وانا اعتقد بان جوهر المصيبة هو هزة ارضية كانت ولا تزال قائمة . اود ان اذكر في هذا الصدد ما يلي : بما ان هناك واحدة من هذه الحكومات (الحكومية البولندية) حاولت القيام بما قد يؤدي الى لفت نظر عصبة الامم والبشرية باجمعها بانه واجب على البشرية ان تقدم لليهود منطقة يستطيعون ان يبنوا فيها كيانهم الاجتماعي دون اي ازعاج من انسان ، وانا اعتقد بكل اخلاص بان الحكومة البولندية، واية حكومة اخرى التي آمل ان تحذو حذوها ، يجب ان لا توضع موضع الشبهة بل على العكس يجب ان تشكر ويعترف لها وبفضلها .

لعل اكبر ثغرة ستبقى فيما ساقوله وفيما سمعته اللجنة الى الآن هو استحالة الرجوع الى جذور القضية وتقديم صورة حقيقية لكم عن الحالة الجهنمية التي يعيش فيها اليهود ، وعندي احساس بانني لا اقدر ان افعل ذلك . وكم اود لو يسمح لاحد يمثل هؤلاء اليهود ان يقف امام منصة احد هذين المجلسين ليخبركم بالضبط عن حقيقة ذلك العذاب ويسأل الشعب الانجليزي : « ما هي النصائح التي تقدمونها لنا ؟ اين المخرج ؟ او ان نقف مواجهين الله ونقول بان ليس لنا مخرج ويجب ان نبقى نحن اليهود دائما في الاسفل » . ولسوء حظي انني لا استطيع ان افعل ذلك وساكتفي بان افترض بان اللجنة الملكية قد علمت بهذا الوضع ، لذلك فانا اطلب من اللجنة ان تدرك ما يلي : ان الظاهرة المسماة الصهيونية يمكن ان تضم جميع الاحلام ـ « مجتمعا نموذجيا » وثقافة عبرية وربما طبعة

ثانية من التوراة ـ ولكن كل هذا الحنين للدمى وللحياة المخملية والفضية ليس شيئا اذا ما قورن بذلك الزخم المحسوس من الفاقة والالم الذي يقوّينا ويدفعنا الى الامام .

اننا لسنا كالتجار في سوق حرة ولا نستطيع انتنازل عن اي شيء، وعندما اسمع ، ايها السادة ، التهمة التي توجه لنا بان الصهيوني وخاصة حزبي ، يطلب اكثر مما يجب ، لا استطيع ان افهم سبب ذلك . نعم اننا نريد دولة ، كل امة على الارض ، لها وضع عادي ، بدء من اصغر الامم واضعفها والتي لا يمكن ان تدعي بان لها دورا في تقدم البشرية ، لها دولة خاصة بها ، تلك هي الحالة العادية لاي شعب ، واننا نحن الذين لنا وضع غير عادي يختلف عن وضع غيرنا من الشعوب ، يجب ان نكون اسوأ حظا من غيرنا عندما نطلب ان نتمتع بظروف كالتي يعيشها الالبان او الفريسيون او الانجليز ، يقال باننا نطلب اكثر مما يجب . يمكنني ان افهم الجواب اذا ما كان : « ان ذلك مستحيل » ولكني لا اقبل « ان ذلك اكثر مما يجب » . اريد ان اذكركم (واعذروني لاقتباسي مثلا تعرفونه جميعكم) بالامتعاض والهياج الذي حدث في المؤسسة المشهورة عندما تقدم اوليفر تويست يطلب « اكثر » . لقد قال « اكثر » لانه لم يعرف كيف يعبّر عما كان يجب ان يقول ، ان ما كان يعنيه اوليفر تويست هو : « هل يمكن أن تعطيني الحصة من الطعام العادية الضرورية لولد في سني لكي يعيش » . وانني اؤكد لكم بانكم تواجهون في الشعب اليهودي ومطالبه اليوم اوليفر تويست الذي ، ولسوء الحظ ، ليس لديه اية تنازلات يقدمها . ماذا يمكن ان تكون هذه التنازلات ؟ علينا ان نخلص الملايين ، الملايين الكثيرة . انني لا اعرف ما اذا كانت المسألة هي اعادة اسكان ثلث الشعب اليهودي او نصفه او ربعه . ولكن العدد هو خلاص الملايين ، وان المخرج الوحيد هو في الجلاء عن تلك المناطق من ارض الشتات التي لم تعد صالحة للحياة . على ان تجميع كل هؤلاء اللاجئين يجب ان لا يكون في ارض شتات اخرى لان ذلك سيكون تكرارا لوضع اليهود كأقلية في بلدان لا يقبلهم فيها الكيان السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي . اما اذا تمت عملية النزوح هذه كما يجب ان تتم ، فمن الطبيعي اننا سنأتي الى وقت يصبح فيه اليهود اغلبية في فلسطين .

انني اريد الآن ان اقدم اعترافا غريبا وهو ان مطلبنا بان نشكل اغلبية يهودية ليس الحد الاقصى بل الحد الادنى ، والمرحلة الحتمية التي يجب ان نصلها اذا ما سمح لنا ان نستمر في عملية تخليص شعبنا. وحتى

لو اصبح اليهود اغلبية في فلسطين فلن يصل ذلك الى درجة التشبع وذلك لانه لو كان هناك مليون يهودي الان في فلسطين لاصبح اليهود يشكلون غالبية في البلاد ، ولكن ما زال ثلاثة او اربعة ملايين يهودي في الشرق يطرقون الباب باستمرار من اجل الدخول ، اي من اجل الخلاص .

ان عندي عطفا عميقا على القضية العربية شرط ان لا يبالغ بها . واعتقد بان اعضاء اللجنة استطاعوا ان يقرروا فيما بينهم فيما اذا كان عرب فلسطين سيواجهون صعوبات كافراد نتيجة للاستعمار اليهودي . اننا جميعا نعتقد بان الوضع الاقتصادي للفلسطينيين العرب في ظل الاستعمار اليهودي ونتيجة له قد اصبح مثار حسد البلدان العربية المجاورة حتى ان العرب في تلك البلدان يبدون رغبة واضحة في الهجرة الى فلسطين . ولقد ابلغتكم بانه لن يكون هناك اي طرد للعرب ، وبالعكس، فان فلسطين المؤلفة من ضفتي نهر الاردن يجب ان تستوعب العرب ونسلهم وعدة ملايين من اليهود ، ما لا انكر ، في تلك العملية هو ان عرب فلسطين سوف يصبحون اقلية فيها ، اما ما لا اقره وافهمه فهو ان يكون ذلك شيئا صعبا ، انه ليس صعبا على جنس وعلى امة لها عدة دول قومية الان وعدد اخر من الدول القومية في المستقبل . ان جزءا واحدا وفرعا واحدا من هذا الجنس سوف يضطر للعيش في بلد عربية اخرى . وعلى كل فان هذه هي الحالة مع جميع الشعوب القوية في العالم . انني لا اذكر واحدا من الشعوب الكبيرة التي لها دول وليس هناك فرع منها يعيش في دولة اخرى . ان هذا الشيء عادي وليس فيه اية « مشقة » . وهكذا عندما نسمع المطلب العربي يواجه المطلب اليهودي فانني ادرك بان اية اقلية تود ان تصبح اغلبية وبان عرب فلسطين يفضلون ان تصبح فلسطين الدولة العربية رقم ٥ او رقم ٦ او رقم ٧ ، ولكن عندما يواجه المطلب العربي بالمطلب اليهودي للخلاص ، يكون ذلك كمقابلة الشهية مع المجاعة . لم يحدث ان نظرت اية محكمة في قضية كان الحق فيها الى جانب واحد اما الجانب الاخر فلم يكن له حق باي شكل من الاشكال . ان اية محكمة تنظر في قضايا انسانية ، بما فيها هذه المحكمة ، يجب ان تعترف بان لكل جانب وجهة نظر ، ومن اجل العدالة يجب ان تأخذ المطالب الانسانية للافراد او للجماعات بعين الاعتبار لا سيما مطلب الضرورة والحاجة الحاسم . اعتقد بان ذلك واضح .

اريد ان اؤكد بان هذا الامر كان معروفا لدى المشرعين الذين وضعوا المرسوم المسمى وعد بلفور ومن ثم الانتداب . كانت الفكرة القائمة في

ذهنهم احزان اليهود ومآسيهم . لقد كان لي شرف الاشتراك في مباحثاتنا السياسية مع فرنسه وايطاليه وانجلتره من ١٩١٥ الى ١٩١٧ ، وقد كنت ايضا على علاقة مع اخرين اشرفوا على هـذه المباحثات . واستطيـع ان اؤكد لكم بان الحديث ، الذي اجري مع الوزراء الايطاليين ومع مسيو دي كلاسي في فرنسه ومع كل شخص اخر ، كان يدور حول احزان اليهود ومآسيهم التي كانت على اشدها في ذلك الوقت . لقد حـدث ان كانت الدول الليبرالية الثلاث انجلتره وفرنسه وايطاليـه حلفاء مـع روسيه القيصرية . ولست بحاجة لان اصف ايهـا السادة الان ماذا كان شعور المواطن الانجليزي ، ليبراليا كان ام محافظا ، لدى قراءته نبأ في الجريدة ، وخاصة في ١٩١٥ و ١٩١٦ ، عما كان يحل باليهود في القطاع الروسي اثناء الحرب . لقد كان حديثا عاما ـ بان هناك شعورا بان شيئا يجب ان يعمل من اجل تخفيف المصيبة ، وبان المصيبة كانت تعبيرا حادا عن مرض مزمن لا يزال منتشرا في كل مكان . وانني اعتقد بان الروح التـي كانت وراء اصدار وعد بلفور هي تلك الروح التي تعترف بان شيئا يجب ان يعمل من اجل تخليص الشعب من ذلك الوضع .

سيدي الرئيس ، ايها السادة ، هنا نأتي الى بـداية فصل محزن وسأحاول ان اضعه امامكم بابسط ما يمكن ، وآمل ان يحظى بصبركـم وحلمكم انسان سوف يخبركم الان عن خيبة امل عظيمة . لقد كنت دائما افكر ، قبل ان آتي الى انجلتره بانه اذا ما تسلمت حكومة متحضرة امانـة دولية، وفي مثل هذه الظروف ومثل هذه المضامين، امانة تتعلق بشعب قاسى كثيرا وتأمل طويلا ، وان آماله مقدسة بالنسبة لكل انجليزي ، كنت افكر ان مثل هذه الدولة ستعد خطة « لكيفية تنفيذ ما اوكل اليها » . وبصرف النظر عن اي تفسير لوعد « الوطن » يجب ان تكون هناك خطة لبنائـه ولكيفية « وضع بلد في ظل ظروف ادارية واقتصادية وسياسية من شأنها ان تسهل تأسيس » ما تعنونه بالوطن القومي اليهودي .

ذلك كان اول شرط ـ الخطة ، اما الشرط الثاني فكان يقضي بان يكون واضحا للجميع بان تلك الامانة هي التي قبلوها وان « هذا هو ما سوف نفعله » . ان تلك الخطة يجب ان تبدأ بدراسة جيولوجية لضفتي نهر الاردن لمعرفـة الاجزاء القابلة للزراعة والاجزاء التي يمكن اصلاحها . يجب ان تتضمن الخطة كذلك مخططا للتحسين والاصلاح ، وخططا لقرض يموّله اليهود من اجل سد نفقات التحسينات والتقسيمات ولخلق ارض احتياطية علـى ضفتي النهر تستخدم لتلبية طلبات الراغبـين ، عربا كانوا ام يهـودا ،

للاقامة في تلك الاراضي الزراعية . وبالاضافة لذلك ، يجب ان تتضمن هذه الخطة مخططا لتنمية صناعية تستطيع ان تسد حاجة عدد كبير من المهاجرين ، ومخططا لقوانين التعرفة والاجراءات الجمركية التي يمكن استخدامها لحماية تلك التنمية ، ومخططا من اجل انشاء نظام للضرائب ليساعد المستوطنين والقادمين الجدد كما في اي بلد يعيش في ظروف استعمارية .

واخيرا ، يجب ان تتخذ اجراءات لضمان الامن . ان امة كامتكم عريقة في تجربتها الاستعمارية العملاقة تعرف بكل تأكيد بان الاستعمار لن ينجح دون نزاعات مع السكان مما يتطلب حماية البلاد ، وبما ان اليهودي لم يطلب يوما الحماية من احد ، فان الخطة يجب ان تتضمن السماح لليهود باقامة حرس خاص لهم في فلسطين او في جزء كبير منها . وكذلك يجب ان يختار موظفو السلك المدني بعناية خاصة ، بحيث يتميزون باللطف اولا ، وان تكون لديهم الخبرة بمثل هذا العمل ثانيا ، مما يتطلب اجراء امتحان خاص لاختيار هؤلاء الموظفين المدنيين . هذا ما كان يتوقعه كل شخص ، ولكننا اصبنا بخيبة امل عند سماعنا القول « اننا في حالة ارتباك » ، وفي بعض المناسبات كان ينظر الى هذا الارتباك وكانه الوسيلة الافضل . واحيانا كان ذلك يسمّى منهج التجربة واحيانا منهج الحَمة البديهية . لا ادري ما اذا كان كل هذا يليق بالامبراطورية وليس هنا مجال حكم عليها بل كل ما استطيع ان اقوله هو اننا قاسينا نتيجة لعدم وجود خطة مرسومة ونتيجة للاهمال المتعمد في التخطيط لمهمة جديدة وهامة ومسؤولة . لقد قاسينا كثيرا ، ومع ذلك ، فقد كنا نتلقى في كل مرة نرفع فيه صوتنا بالشكوى الجواب التالي : « الشخص المسؤول الموجود في المكان يعرف اكثر » . اسمحوا لي ان اقول بكل احترام بان الانتداب قد منح لبريطانيه العظمى من قبل خمسين دولة لان الخمسين دولة هذه كانت تؤمن بضمير بريطانيه وبحصيلة تجربتها وخاصة في اشراف هذا الضمير وهذه التجربة المباشر على الرجل المسؤول . ان مراقبة اعمال الهيئات التنفيذية في الدولة هي فكرة انجليزية ، ونحن الاوروبيين تعلمنا ذلك من الانجليز . وهكذا ، فان الحكومة لا يمكنها التغاضي عن واجبها المنتدبة له باختيارها شخصا حتى ولو كان عبقريا وتعيينه مسؤولا عن الامور . كان ذلك دائما جوابهم : « لقد عيّنا رجلا مسؤولا ليقوم بالعمل ، ولننتظر ونرى » ، واحيانا كنا نتلقى جوابا اخر « من المرجح ان تكون شؤون الحكومة سائرة على ما يرام لان كلا من العرب

واليهود يرفعون شكاوى ومظالم » . لم نفهم ذلك ابدا . هل اكون قد اديت واجبي نحو كل من اولادي او من موكلتي اذا ما كنت مكروها من كل منهم ؟ لا اعتقد ذلك .

لقد اصابتنا خيبة امل كبيرة لعدم وجود نظام وخطة ، كذلك اصبنا بخيبة امل لعدم وجود المطلب الثاني وهو : الوضوح . لم يبلّغ العرب ماذا كان يعني اللورد بلفور والاشخاص الاخرين بالوعد الذي سمي بوعد بلفور . لم يبلغوا ابدا . وهنا يا سيدي اريد ان احصر نفسي باعادة الذاكرة الى قصة صغيرة عرفت بها هذه اللجنة في فلسطين ، كمثال على الموقف البعيد عن الحقيقة . اما ما اريد ان اشير اليه فهو انهم بدل ان يكتبوا على قطع العملة وغيرها « ارض اسرائيل » Eretz Israel فانهم يكتفون فقط بكتابة الحرفيين العبريين لـ « ا. ا. » (E. I.) ، لماذا ؟ ما معنى ذلك ؟ اذا كانت البلاد سوف تسمى ارض اسرائيل ، فيجب ان يطبع الاسم بكامله ، اما اذا كان ذلك شيئا غير محتمل الوقوع ، فيجب عدم كتابته كليا ، ولكن هذا « المخرج » يوضح « النظام » كله ، الذي يلمح الى ان وعد بلفور قائم وقد يكون فيه شيء ما ، وقد لا يكون فيه شيء ابدا . لقد كان ذلك هو « النظام » من البداية الى النهاية . واذا سئلت فانني على استعداد لدعم هذه الملامة بعدة حقائق ، ولكنني متأكد بان اللجنة الملكية قد اصبح لديها المعلومات الكافية لتكوّن حكمها في هذا الموضوع .

ان الاهتمام بالامن هو عنصر مهم جدا في تطبيق نظام الانتداب . وانني افترض بان اللجنة كان لديها الوقت الكافي لاستخلاص نتائجها حول ذلك ، ولكنني اشعر ان من واجبي تذكيرها ببعض جوانب هذا الموضوع . لقد كنا مهددين بالمذابح في فلسطين ، وقد ابلغنا الحكومة ذلك منذ سنوات ، ولكنها استمرت في تخفيض عدد الجنود في فلسطين . لقد قلنا للحكومة : « تذكروا بان لنا اطفالا وزوجات ، لذلك نريدكم ان تصبغوا حقنا في الدفاع عن النفس بصبغة الشرعية كما تفعلون في كينيه » . ان كل اوروبي في كينيه كان مضطرا حتى وقت قريب لان يتدرب في فرقة الدفاع عن المستوطنين ، الى متى يظل اليهود في فلسطين يحاولون الدفاع عن النفس في الخفاء ، كما لو كانوا يرتكبون جريمة ضد القانون ؟ انكم تدركون ما تعني المذابح في التاريخ اليهودي ، واننا ندرك ايضا ما تعني المذابح في تاريخ الانتداب في فلسطين . لم يسمح لليهود ان يستعدوا لذلك الواجب المقدس وأجب الدفاع عن النفس كما كان يفعل كل شخص انجليزي، كان علينا ان نعد انفسنا في الخفاء باجهزة غير كافية

وبتدريب ناقص وبطريقة غير محترفة . انا لا افهم كيف يمكن لحكومة ان تقبل بذلك بعد ثلاث تجارب ، كانت احداها في ١٩٢٩ فظيعة جدا . انني آسف لما قد اعتراني من اضطراب وغضب واعتذر للجنة وآمل ان يفهم اعضاؤها السبب لذلك ، ومع هذا فانني لا اعتقد بانني تخطيت حدود المنطق في تقديمي لقضيتي امام هذه اللجنة الملكية .

اذا خفضتم عدد القوات في فلسطين دون حد تأمين السلامة بدعوى ان دافع الضرائب البريطاني لا يريد تقديم امواله وابنائه ، فان ذلك شيء طبيعي ، ولكننا نحن يهود كل الاحزاب ما زلنا نسأل منذ سنين : « لماذا سرّحتم الفرقة اليهودية ؟ لماذا لا تسمحون لليهود بان يتولوا زمام امرهم بانفسهم ؟ لتكن اموالنا ورجالنا تحت تصرف القيادة البريطانية وتحت القانون العسكري البريطاني ؟ » انني لا اطلب « جيشا يهوديا » قبل ايجاد الدولة اليهودية ، ولكننا نريد بقاء الفرقة اليهودية كما كانت خلال الحرب تقدم خدماتها الجليلة . لماذا تشيع في هذه البلاد الفكرة باننا نريد جوني وتومي وبوبي بان يدافعوا عنا ؟ اننا لا نريد ذلك . اذا كان بناء فلسطين يحتاج الى العرق والذهب فان ذلك يقع على عاتقنا نحن ، واذا كان على المدافعين عن فلسطين ان يسفكوا الدماء ، فلتكن دماءنا وليس الدم الانجليزي . ولكن مثل هذا الاقتراح كان يرفض دائما .

لقد سبق وقلت : انني ادرك موقف اللجنة في رفضها التركيز على اسباب الاضطرابات ، وما عليّ الا ان انحني امام ذلك واقبله ، غير اني من ناحية اخرى ، اود ان اسأل هذه اللجنة عن وزارة المستعمرات وعن حكومة الانتداب : هل توجد لديكم خطة وخط عمل ؟ في جنيف ، وعد المستر ايدن مجلس العصبة بان « لجنة ملكية » قد عيّنت للتحقيق في الاضطرابات السائدة ، وانها ستعمل على تقصي الحقائق ، كذلك فقد تم اقناع اللجنة الدائمة للانتداب بان تمتنع عن تقديم اي سؤال حتى تتمكن « لجنة ملكية » ــ ليس هذه اللجنة بالذات ــ من التحقيق في الحوادث الجارية . بالطبع من حق هذه اللجنة الملكية الحاضرة ان ترفض ذلك وانني اقدر دوافعها لذلك ، ولكن يا سيدي اين هذه اللجنة الملكية التي ستحقق لتعرف من هو المذنب ؟ ولانني اؤمن بان طرفا ما هو المذنب ، فانني الفت النظر الى ان كميات كبيرة من الذخائر قد تسربت الى العرب في فلسطين قبل وخلال الحوادث . وانني اؤمن كذلك بان اهمالا في الواجب قد وقع في البحث عن امر الضحايا الذين سقطوا في البدء . هناك امر اريد ان افهمه ولكنني لا استطيع ذلك، وهو عدم قيام اضراب عام في حيفا كما حدث

في يافا . اريد ان افهم ما اذا كانت هناك اتفاقية جنتلمن بان تقوم « ثورة مرخصة » في جزء من فلسطين وان لا تقوم ثورة حيث لا يريدها المسؤولون ان تقوم . اريد ان اعرف لماذا سمح للسيد القاوقجي بمغادرة فلسطين ، ولماذا سمح للعصابات بان تسرّح ، ولماذا لم يتبع ذلك تجريد الاهالي من اسلحتهم . اريد ان اعرف لماذا تحدث كل هذه الاشياء في بلد ولا يكون هناك مذنب او مسؤول .

وحسب نظرية الرجل المسؤول الموجود هناك في ساحة الحوادث ، انني اريد من ذلك الرجل ان يقف امام لجنة ملكية ، امام هيئة قضائية واريده ان يجيب عن غلطاته . واحيانا يكون لرجل متواضع مثلي الحق في ان يقول « اني اتهم » . انهم مذنبون ، مذنبون بتهمة السمسرة والتغاضي واهمال الواجب . واذا لم اكن مخطئا يجب ان يكون هناك شخص يجيب امام اللجنة الدائمة للانتداب التابعة لعصبة الامم التي اعطتكم حق الانتداب . من الذي سيجيب ؟ لقد علمت بان تقريرا عن الحوادث سوف يقدم بطريقة عامة ضمن تقرير حكومة فلسطين الى عصبة الامم، وذلك بدلا من تقرير هذه اللجنة الملكية . وان الفريق المتهم هو الذي سيقدم هذا التقرير . انني اقول لهذه اللجنة الملكية : يجب ان يكون بين اولى توصياتكم عن العلاج (لانه مطلوب منكم ان تقدموا علاجا) العمل على ايجاد المذنبين ومعاقبتهم، وكذلك الاستفسار عن المجلس الاسلامي الاعلى الذي يتألف من مجموعة الاشخاص الذين يرأسهم سماحة المفتي ، والذين اعطتهم الحكومة نوعا من الحصانة الديبلوماسية . لقد اجرت الحكومة مباحثات رسمية معهم . انني اطلب بكل احترام وبكل تواضع ان تقوم لجنة مستقلة عن وزارة المستعمرات وعن الرجل المسؤول في مكان الحوادث بالاستفسار والتحقيق في هذا الاتهام، لانني اعتقد بان هناك جريمة وانا اطلب بكل تواضع معاقبة مرتكب هذه الجريمة .

اما بالنسبة للعلاج ، فان العلاج الرئيسي في رأيي هو التخطيط ومجابهة الحقيقة . يجب ابلاغ العرب واليهود المضامين الحقيقية للانتداب . وانا ارى ان هناك طريقة واحدة لتفسير الانتداب . يجب ان تعد خطة ولنسمها خطة السنوات العشر . وفي رأينا ان مثل هذه الخطة يجب ان تشمل اصلاحات زراعية وضريبية واصلاحات جمركية واصلاح الخدمة المدنية وفتح شرقي الاردن للتسلل اليهودي وتأكيد الامن العام بتأسيس الفرقة اليهودية وجعل حق اليهود في الدفاع عن انفسهم شرعيا .

وفي الوقت نفسه ، انا اؤمن بان الاصلاحات في الجانب اليهودي

ضرورية كذلك لاننا قد ارتكبنا غلطات عديدة في انظمتنا . وفي رأيي ان قمة ذلك تكمن في اصلاح الوكالة اليهودية . لقد سألني اللورد بيل ما اذا كنا نمثل جماعة مميزة عن الوكالة اليهودية . نعم اننا كذلك . ذلك لان الوكالة اليهودية كما هي الان لا تمثل في رأينا كل اليهود الصهيونيين ولا حتى اغلبيتهم . واننا نعتقد بان الوقت قد حان لاعادة بناء هذه المؤسسة بموافقة الدولة المنتدبة على اساس الانتخاب العام لان المسألة الصهيونية قد اصبحت اليوم تهم كل يهودي وليس فقط انصار فريق سياسي معيّن . اننا نعتقد بانه قد حان وقت الاصلاح الذي يمكن اذا ما تم ان يضع حدا لكثير من الاساءات التي لا استطيع ان انكرها . ان احداها سترد الى اللجنة في تقرير « بيتار » «Betar» ـ مؤسسة ترامبلدور البريطانية ـ The British Trempeldor Organization عن مسألة توزيع تصاريح الهجرة والتي تلقت اللجنة وبكل اسف معلومات خاطئة عنها ، من جماعة يهودية اخرى .

الرئيس : هل تريد ان تخبرنا اين تكمن مواضع الخطأ ؟ ما هي النقطة الاساسية ؟

الجواب : نعم ، اذا ما سمحتم لي بعشر دقائق اخرى . هناك رأي باننا عندما نطلب ما اطلبه الان نكون بذلك قد ورطنا الامبراطورية بتعقيدات ومشاكل صعبة . انني اشجب ذلك واؤكد ، وانا لا اقف وحدي في هذا التأكيد ، بانه اذا ما سارت بريطانيه في هذا الطريق وساعدتنا على انقاذ الشعب اليهودي كما وعدت في وعد بلفور ، فان مجرى هذه التجربة العظيمة سيكون عاديا كمجرى اي مشروع اخر من مشاريع التطور الاجتماعي . اننا لا نعتقد بان ذلك سيورط بريطانيه في نزاع مع العالم الاسلامي ، او في نزاع مع الدول المجاورة . لقد بولغ في ذلك كثيراً جدا . ان ذلك ليس صحيحا . واذا ما كان هناك قرار حازم يقدم بوضوح لكل من العرب واليهود، فان الامر سيتم بكل بساطة كما يتم اي مشروع استعماري كبير اخر .

اما بالنسبة لابقاء البلاد هادئة دون اضطرابات فقد سبق وقلت بانه يجب اعادة تأسيس الفرقة اليهودية كجزء من الحامية الدائمة ، ويجب جعل الدفاع عن النفس لليهود امراً شرعيا . لان ذلك امر ضروري . ان دفاع اليهود عن النفس قد اصبح اليوم شرعيا « في الواقع » ، فهو موجود وغير موجود . « يجب ان لا يكون » ولكنه موجود . « يجب ان لا

يكون هذا الدفاع مسلحا » ، ولكن اذا ما تسلّح ، فليكن ذلك ... وهلم جرّا . هذا وانا اعتقد بان الخطوة الحاسمة يجب ان تتخذ في الجهة الضرورية .

لقد سمعتم بالطبع عن التسويات والحلول الوسطية التي قدمت بما في ذلك اقامة المعسكرات Cantonization ، او التقسيم بالتساوي Parity Scheme ، او التقارب الثقافي او التساهل من جهة اليهود او غير ذلك . اريدكم ان تثقوا باخلاصي وباخلاص كل الحركة وباخلاص كل يهودي اتكلم عنه: نتمنى ان يكون الحل الوسطي ممكنا ولكن ذلك مستحيل. اننا لا نستطيع ان نقبل باقامة المعسكرات ، لان كثيرين ، وحتى انتم ، تعرفون بان حتى كل فلسطين اصغر من ان تسد حاجة هذا الهدف الانساني. كيف يمكننا ان نرضى بزاوية او مقاطعة صغيرة من فلسطين؟ اننا لا نستطيع ذلك ولن نستطيعه ابدا . حتى اذا اقسمنا لكم باننا سنرضى ، سنكون كذابين في ذلك . باية نقطة يمكننا ان « نتساهل ؟ » ماذا يستطيع اوليفر تويست ان يقدم من « تنازلات » ؟ انه في وضع لا يؤهله لان يتنازل عن اي شيء ، ان القائمين على امور البيت هم الذين عليهم ان يتنازلوا عن صحن حساء كامل . وليس هناك مهزب من ذلك . اننا لا نؤمن باية تسوية على اساس تلك الخطوط. واقامة المعسكرات او التقسيم المتساوي هي مجرد كذبة لن تنطلي على احد ، وان تكرارها لا يعني سوى تمديد الحالة التي ادت الى اضطرابات ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٦، وسوف تؤدي الى النتائج نفسها في المستقبل .

هناك طريقة واحدة للتسوية ، وهي ان تخبروا العرب بالحقيقة ، فالعربي منطقي وذكي وعادل، ان العربي يستطيع ان يدرك انه ما دام للعرب اربع او خمس دول عربية صرفة . فمن العدل ان تحوّل بريطانيه فلسطين الى دولة يهودية . وعندئذ سيحدث تحول في تفكير العرب ، مما يساعد على ايجاد فرصة للتسوية ، وبذلك يتحقق السلام .

انه لعبء ثقيل عليّ ان انهي حديثي بطرحي سؤالا متشائما مؤلما وهو : ماذا يحدث فيما لو ان بريطانيه لم تتمكن من تحقيق ما يتمناه اليهود ؟ كم اتمنى ان لا اتحدث عن ذلك لاسباب شخصية وقومية يهودية، ولكن تجاهل ذلك شيء مستحيل . كثيرا ما توجه الينا الملاحظة التالية : « لقد جاء وعد بلفور في العام ١٩١٧ ، ومنذ ذلك الحين قد يكون الشعب البريطاني قد توصل الى نتيجة انه لن يتمكن من الايفاء بوعده ذلك » . انا

لا اصدق ذلك واؤكد ان بامكانهم القيام بما وعدوا به . ولكن عندما اجابه او يجابه اي يهودي بمثل : « ماذا ! هل سيظل اليهود يلاحقوننا بالوعد ويقولون ـ لقد وعدتمونا برطل من اللحم ، فهاتوا رطل اللحم الذي وعدتم به ؟ » انني اجيبكم ايها السادة بالنيابة عن معظم الاحزاب الصهيونية المتطرفة : « كلا ! » اذا لم يكن في استطاعة بريطانيه العظمى ان تقوم بذلك (شرط ان لا يكون ذلك عن ارادة ولكن عن عدم قدرة) فاننا نرضى بذلك ، ولكننا سنتوقع من بريطانيه العظمى ان تتصرف في مثل هذه الحالة كمنتدب لم يتمكن من تحمّل مسؤوليته : لذلك عليه التخلي عن الانتداب . . .

السير لوري هاموند : التخلي عن الانتداب لمن ؟

الجواب : ويجب ان تفعلوا ذلك بشكل لا يؤذي سلامة اليهود الذين وضعوا ثقتهم بكم وقدموا الى فلسطين على امل تحقيق مستقبل صهيوني. ان ذلك يعني بان تمر فترة قبل ان تتمكن الدولة المنتدبة واليهود كذلك من البحث عن بديل ، وكلي امل بان لا يأتي مثل ذلك الوقت : وانا مقتنع بان ذلك لن يحدث ابدا. فانا اؤمن بانجلتره كما كنت اؤمن بها قبل عشرين سنة عندما قلت ، معارضا بذلك الراي العام اليهودي : « قدموا الجنود لبريطانيه العظمى ! » وذلك لاني آمنت بها ، وما ازال مؤمنا بها . ولكن اذا لم يكن في قدرة بريطانيه ان تقوم بالفعل باعباء الانتداب ، فاننا سنكون نحن الخاسرين ، ويجب ان نجلس سوية ونفكر بما يمكن القيام به . ولكننا لا نريد ان تستمر بريطانيه في تحمل اعباء الانتداب وتتظاهر بانها «اوفت» بالتزاماتها بينما شعبي لا يزال يقاسي آلام الشتات وما يزال يشكل الاقلية في فلسطين . كلا ! ان ذلك لا يمكن ان يحدث . ان ذلك ليس لعبة كريكت (Cricket) . لذلك ، فانني اقول ايها السادة بان ذلك لا يمكن ان يحدث ويجب ان لا يحدث .

انني اشكر اللجنة على لطفها واصغائها لي ، واعتذر عن ابقائكم ساعة ونصف الساعة تستمعون الي" .

حاييم وايزمن (١٨٧٤ ـ ١٩٥٢) Chaim Weizmann

ولد حاييم وايزمن وهو كيميائي وزعيم صهيوني واول رئيس لدولة اسرائيل في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٤ في موتيل بالقرب من بنسك في روسيه وتوفي في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٢ . درس في المدرسة الثانوية في بنسك وتابع دراسة الكيمياء في الجامعات الالمانية والسويسرية وفي العام ١٩٠٤ عين محاضرا في الكيمياء البيولوجية في مانشستر واصبح في العام ١٩١٦ مديرا للمختبرات الكيماوية التابعة للبحرية البريطانية بعد ان تجنس بالجنسية البريطانية قبل الحرب العالمية الاولى .

ترعرع وايزمن في جو جمعية « محبة صهيون » التي تأسست في روسيه في العام ١٨٨٢ وتأثر بعمق بحركة نشر الثقافة الاوروبية بين اليهود والتي عرفت باسم « هاسكلاه » كما ارتبط منذ نشأته بحركة هرتزل الصهيونية وانضم الى « المجموعة الديموقراطية » بزعامة يوسشكين . انتقد وايزمن نهج هرتزل الدبلوماسي ودعا الى تنمية الديموقراطية داخل المنظمة الصهيونية والى تأكيد المحتوى الثقافي والشعبي للحركة الصهيونية . دعا وايزمن في العام ١٩٠٢ الى انشاء جامعة عبرية ، وفي العام ١٩٠٣ عارض برنامج اوغنده واصبح بالتالي زعيما « للصهيونية التجميعية » اي التي تجمع النشاطات السياسية والاستعمارية والثقافية وقد عبّر عن هذه النظرة بوضوح في العام ١٩٠٧ . انتقل وايزمن الى مرتبة القيادة السياسية للحركة الصهيونية نتيجة لتشتتها اثناء الحرب العالمية الاولى واصبح رئيسا للجنة لندن . وقد كان لشخصيته واسلوبه في الاقناع ومقدرته على ارضاء عدة مصالح مختلفة في وقت واحد تأثيرا كبيرا في كسب تأييد بلفور وسكوت ولويد جورج وبريلزفورد وفي ضمان تعاون القاضي براندیس الامريكي مع الحركة الصهيونية . وهكذا نجح وايزمن في الحصول على وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ . وفي العام ١٩١٨ اصبح وايزمن رئيسا للبعثة الصهيونية التي ارسلت الى فلسطين لتهيىء تنفيذ الوطن القومي اليهودي وفي نفس السنة وضع حجر الاساس للجامعة العبرية في القدس وكان رئيسا لمجلس الامناء فيها عندما افتتحها اللورد بلفور في العام ١٩٢٥ . وفي العام ١٩١٩ مثل الحركة الصهيونية في مؤتمر السلام بالاشتراك مع يوسشكين وسوكولو وقد وافق هذا المؤتمر على مطلبه من اجل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ووافق مجلس عصبة الامم في آب (اغسطس) ١٩٢٢ على جعل بريطانيه دولة منتدبة على فلسطين. في العام ١٩٢٠ عقد وايزمن مؤتمرا صهيونيا في لندن لتعبئة الامكانيات والموارد من اجل عمل صهيوني اكثر فاعلية في فلسطين وقد نجم عن هذا المؤتمر انشاء « الكيرين هايسود » وانتخاب وايزمن رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية وقد ظل رئيسا لها حتى العام ١٩٣٠ ومن العام ١٩٣٥ حتى العام ١٩٤٦ .

وفي العام ١٩٢٩ اصبح وايزمن رئيسا للوكالة اليهودية في فلسطين . استمر وايزمن في ثقته ببريطانيه وفي توجيه مجهودات اليهود لدعم بريطانيه في الحرب العالمية الثانية وحين تحول النشاط الصهيوني بعد الحرب الى العمل الفعلي لاقامة الدولة تنحى وايزمن عن رئاسة المنظمة الصهيونية وعاش في رحوفوت حيث ساهم بانشاء «معهد وايزمن» وفي نفس العام عرض وايزمن وجهة النظر اليهودية على البعثة الاميركية ـ الانجليزية وحث على انشاء دولتين واحدة عربية واخرى يهودية ، وفي العام ١٩٤٧ طالب بعثة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين بالتقسيم وعرض هذا الطلب على الجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك . وفي العام ١٩٤٨ ، وبعد انشاء اسرائيل انتخب اول رئيس للدولة ولكنه لم يساهم فعليا في الحكم بسبب سوء صحته . له عدة اختراعات كيماوية واصدر مذكرات باسم « التجربة والخطأ ».

ان الصهيونية بحاجة الى محتوى حيوي (١٩١٤)

القيت في اجتماع صهيوني عقد في باريس في نيسان (ابريل) ١٩١٤ .

لقد كانت الصهيونية في مراحلها الاولى كما اسسها الرواد عبارة عن حركة تعتمد كليا على عوامل ميكانيكية : هناك بلد اسمه فلسطين وهو بدون شعب ، ومن ناحية اخرى ، هناك الشعب اليهودي وهو بدون بلاد. اذن ، فمن الضروري وضع الجوهرة في الخاتم اي جمع الشعب في الارض . يجب اقناع اصحاب البلاد بان هذا الزواج مفيد ليس فقط بالنسبة للشعب وللبلاد ، ولكن لهم ايضا . لقد نمت الصهيونية على هذا الاساس . اولا : علينا ان نبيع عددا من « الشيكل » (١) لنري الاتراك مدى قوتنا . وخلال ذلك سيبحث الزعماء موضوع الزواج . لقد ظل مؤتمر بعد مؤتمر ينتظر نتيجة هذه المباحثات. الى اين وصلت المفاوضات ؟ هل اعطى الاتراك موافقتهم ؟ وهل قالوا « نعم » ؟ وعندما كان يظهر بان المؤتمر لم يفلح في الحصول على الانباء السارة ، كان يصيب الجميع هول . وعندما لم يأت جواب الاتراك بعد ستة سنوات من الاتصالات « نعم » بل كان « كلا » عم الاسى الذي خلقه ذلك الجواب في صفوف الصهيونيين والذي نتذكره كلنا .

---

١ ـ « الشيكل » هو عملة من ايام التوراة ، اما في العصر الحديث فان الاسم يستعمل للدلالة على التبرع الى المنظمة الصهيونية العالمية والذي يتمكن المتبرع بموجبه ان يدلي بصوته في انتخابات المؤتمر الصهيوني .

قال البعض : الزواج زواج ، واذا ما رفض الاب اعطاءنا العروس فيجب ان نبحث عن اخرى . وخلال ذلك ، بينما نجمع قواتنا ونعزز جيوشنا ونستعد للعودة الى فلسطين ، علينا ان نظهر للعالم بانه يمكننا ان نعيش كأية وحدة سياسية مستقلة . قد تتمكن انجلتره من اعطائنا الفرصة بايجاد بلاد فارغة من السكان تريد اسكانها بشعب ابيض ، ويقع اختيارها على اليهود ، وصيّ على هذا البديل الجديد. وهكذا برز موضوع اوغنده . وعندما لم يتحقق هذا المشروع بدأ البحث من جديد . هذا هو التاريخ الميكانيكي للحركة الصهيونية ، التي لم تدرك بان المنفى الطويل وبان عذاب الفي سنة لا يمكن الخلاص منه في يوم وحتى في سنوات قليلة . اننا لا نستطيع الان ان نأخذ فلسطين حتى ولو اعطيت لنا . وحتى لو حدثت المعجزة الكبرى وحصلنا على الميثاق ، علينا ان ننتظر للمعجزة الاكبر ــ وهي كيفية تمكن اليهود من الاستفادة من الميثاق .

لقد ادرك معظم اليهود بعد ازمة اوغنده بان حركة شعب لا يمكن ان تخلق وتستمر بعمل ميكانيكي . لقد شبّه رجل عظيم الصهيونية ببرميل مصنوع من الواح خشب واطواق ، فان بقي البرميل فارغا جف وانكمش ثم تحطم . لكي تتمكن الصهيونية من ان تؤدي واجبها يجب ان يكون لها مفهوم حيوي . انني لا اريد ان اقلل من مستوى انجازات السنوات السبع الاولى للصهيونية عندما قامت جميع مؤسساتنا : المؤتمر، صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار (٢) ، والصندوق القومي اليهودي (٣) ، وغير ذلك .

---

٢ ــ صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار تأسس رسميا في العام ١٨٩٩ تنفيذا للفكرة قدمها هرتزل بان مصرفا يجب ان يؤسس بواسطة بيع الاسهم بشكل واسع الى جميع انصار الصهيونية، ليكون ذلك مصدر تمويل الجهود الاستعمارية المستقبلية في فلسطين. ولكن بيع الاسهم ومستقبل الصندوق كانا مخيبين للآمال .

٣ ــ لقد تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي تنفيذا لقرار من المؤتمر الصهيوني الخامس في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠١ . كان هدفه هو شراء الاراضي كملكية يهودية دائمة لا يمكن انتزاعها . وقد اثبتت هذه الهيئة منذ تأسيسها انها اداة ناجحة في اعمال الحركة الصهيونية .

ان جميع هذه المؤسسات هي ادوات في يد الحركة ، ولكن اذا ما اقتصرت جميع نشاطات الحركة على جمع الاموال وعلى الاهتمام بهذه الادوات فان الهدف الذي خلقت من اجله هذه الادوات لن يتحقق ابدا . لقد كان هذا الاسلوب نافعا خلال السنوات الاولى للحركة ، ولكن اذا لم نتعلم من التجارب وبقي كل شيء على ما هو فان الحركة سوف تشلّ كلها ثم تتحجر . الاموال وحدها لا يمكن ان تحرك القلب اليهودي ، هل استطاعت ملايين الجمعية الاستعمارية اليهودية (٤) ان تثير الحماسة لاسرائيل ؟ هل كانت مصدر وحي للجماهير ؟ لو كانت لدينا الاموال فقط، فاننا لن نتمكن من اثارة القلب اليهودي . اما عندما استثمرنا اموال الصندوق القومي اليهودي في التربة الفلسطينية ، فذلك هو الذي جعل القلب اليهودي يخفق بسرعة اكثر ، ذلك هو البنك العظيم الذي وضع كل يهودي وسوف يظل يضع ثقته فيه . اعود الى الايام الماضية فأتذكر الحادثة التالية : جاء الى بلدتنا وكيل شركة تأمين ضد الحريق . كان ذلك شيئا جديدا بالنسبة لنا . من عنده اموال ليؤمّن على ممتلكاته ويدفع القسط السنوي ؟ ذهب الوكيل لمقابلة اغنى رجل في المدينة . فسأله الرجل الغني عن مقدار القسط الذي عليه ان يدفعه ، اجاب الوكيل : مئة روبل في السنة . جمع الرجل الغني فقراء البلدة وقال لهم : ادفع لكم مئة روبل سنويا اذا ما حافظتم على بيتي من الحريق . قامت حرائق في بلدتنا عدة مرات ، ولكن بيت الرجل الغني ظل قائما على رأس التلة ، وذلك لان كان لديه حراس احياء وتأمين حي .

اننا لم نضع اموالنا في خزينة دولة عظمى ، ولكننا وضعناها في التربة الحية وفي ايدي الشعب الذي يعيش في فلسطين ، وان اولئك الذين بللوا التربة بعرقهم ودمهم سوف يدافعون عن ممتلكاتها في حال حدوث اي شيء . لان هناك رباط حيوي يجمع ما بين الانسان والتربة . نعيش هناك في بيوت اقمناها بنفسنا ، ونأكل من ثمار البساتين التي زرعناها بايدينا . هذا والشعب يستدل بغريزته الصائبة قيمة الحياة التي تكمن في مثل هذا الاستثمار ، ولا يلتفت لأولئك الذين يندبون خسارة ذهبهم الذي وجد طريقه الى هذا الاستثمار الحي .

ولا يقتضي هذا نشاطا اقتصاديا فقط بل سياسيا ايضا . ان السياسة هي الحياة والحركة لا الوقوف والجمود . فسياسة انتظر

---

٤ ــ انظر هرتزل ، ملاحظة رقم ٤ .

وسوف ترى ، تشبه الايمان بقدوم المسيح المنتظر بشكل جديد ، كنا من قبل قد وضعنا ثقتنا بأمل اسرائيل ، ذلك الامل الذي عاش في كل قلب كايمان ديني ، واعطى اليهودي القوة لتحمّل العذاب في بلاد المنفى . على ان هذا الايمان الجديد لم ينجم عن الامل فقط ، وانما عن اليأس ، لذلك نجد معه شيئا من التعب والعجز . لكننا نستطيع بنشاطنا وعملنا في ارض اسرائيل ان نصبح اقرب من مهمتنا السياسية . ومن لا يؤمن بذلك، فانه لا بد وان يكون اسيرا لافكار اندماجية .

قد يذهب كثير مما نقوم به الآن سدى . وانا لا اريد اخفاء الحقيقة، واعترف بأن هذا العمل قد يتعرض للخطر . ولكن هل توجد طريقة اخرى اكثر امنا ، او هل من الممكن الاعتقاد باننا سنذهب الى فلسطين على ضرب الطبول ونفخ المزامير ومواكبة الهتافات من كل جانب ؟ لو كان ذلك ممكنا، فان اولئك الناس الذين يقطنون في شارع رينيه في باريس سوف يصبحون صهيونيين مثلكم . انه لمن حسن حظ الصهيونيين ان يعتبرهم الناس مجانين ، لاننا لو كنا اناسا عاديين ، لما كنا نفكر بالذهاب الى فلسطين ولكنا بقينا في مكاننا كالناس العاديين . ان كل من لا يؤمن بسلوك الطريق الصعبة ويؤمن بأن الطريق الخطرة يجب عدم السير فيها ، عليه ان يلزم بيته ، فبناء اوطان الامم لا يتم عن طريق الخوف والخجل . ولم يحرر اي شعب نفسه عن طريق الاستثمارات المربحة ولكن بالجهد والتضحية . واننا نحن اليهود لم نقدم كثيرا من التضحيات بعد وهذا هو السبب الذي يجعلنا نمتلك فقط اثنين بالمئة من ارض فلسطين .

ان بارساكي ، احد يهود كييف يريكم كيف تكون التضحية الحقيقة، لقد قتل احد ابنائه وهو عامل على ارض فلسطين في دجانيا . ارسل الوالد الحزين رسالة يعزي فيها العمال في فلسطين مع ابنه الآخر ليحيا هذه الحياة الخطرة وليأخذ مكان اخيه الذي سقط ، وكتب الاب الحزين في الرسالة: هذا هو التتمة. هذا الرجل هو اعظم سياسي يهودي بعد هرتزل.

ذكريات (١٩٢٧)

القيت في مأدبة اقيمت في تزيرنوفيتز في ١٢ كانون الاول (ديسمبر)، ١٩٢٧ .

لقد تركت اقامتي هنا انطباعا عميقا في نفسي . كانت معظم ايام حياتي وغالبية اعمالي بين الجاليات اليهودية المشتتة في الغرب ، التي

ليس بينها الدرجة ذاتها من التماسك والتقارب الذهني الذي بينكم هنا ، لذلك فان هذه الزيارة يمكن ان تعني اشياء اكثر بالنسبة لي مما هي بالنسبة لكم .

ان العيش سنوات طوالا في الغرب لا بد وان يكون له تأثير . الطقس في بريطانيه بارد جدا ، قلت مرة في احدى خطبي بأن الجغرافية هي اعظم عدو تواجهه الصهيونية ، وان التغلب على الجغرافية لمن اشد الصعوبات ، ولكن لاننا نريد ان نخلق كيانا قوميا جديدا من عدة اشكال حياتية وثقافية مختلفة ، فانه يتوجب علينا ان نكون حذرين جدا في وضع هذه الاشكال في انسجام يجعلها كالسمفونية . انني لا اعرف عن الموسيقى الا قليلا فانا انسان ذو جانب واحد من التفكير . اما بالنسبة لهرتزل فقد كانت الامور اسهل، ذلك انه لم يكن يعرف حقيقة العمل يوما بيوم . فكر هرتزل اولا بدولة يهودية ، وعندما لم تنجح الدولة اليهودية استبدلها بميثاق ، وعندما لم يتمكن من ايجاد الميثاق ، ظهرت قضية اوغنده ، لقد كان ذلك يتم عنده بشكل سريع ، وذلك لان هرتزل جاء من الغرب وكان يعمل بأفكار ونظريات غربية ، اما انا ، ولسوء الحظ فانني من ليتوانيه . وانني اعرف الشعب اليهودي جيدا وهم يعرفونني اكثر . وهذا هو السبب الذي يجعلني لا املك الاجنحة التي كانت لهرتزل . اتى هرتزل من عالم غريب لم نعرفه ، فركعنا امام النسر الذي جاء من تلك البلاد . لو كان هرتزل قد تتلمذ في مدرسة دينية يهودية Heder لما تبعه احد من اليهود . لقد سحر اليهود لانه ظهر لهم من قلب الثقافة الاوروبية . اما انا فقد تمكنت من تأدية واجبي فقط من خلال العمل الشاق الاليم . وان وجود اليهود امامي ووقوفي امامهم قد علماني ان اطوي اجنحتي ، هذا اذا كانت لدي اجنحة ، وان ابقى على الارض .

لقد اصبح هرتزل صهيونيا فلسطينيا في اللحظة التي قال فيها المندوبون من كيشينيف « لا » في المؤتمر الذي درست فيه قضية اوغنده . كان التصويت بالمناداة بالاسماء . صوّت المرحوم والدي « بنعم » ، اما انا فقد صوّت بعده « بلا » . ثم نودي على اسماء الشخصين المنتدبين من كيشينيف ، فقال كلاهما : (« لا ») ، عند ذلك شحب لون المسكين هرتزل واصبح منذ ذلك الوقت صهيونيا صادقا ، فقد فهم عمق المأساة وادرك عمق الفكرة ، وقرر بعد ذلك ان يبدأ العمل الجدي في البلاد ولو بشكل بطيء ورمزي وببضع مئات من الجنيهات . انني استطيع ان اتذكر هرتزل يقول بعد التصويت : « لا استطيع ان افهم ذلك ، فالحبل ما يزال

ملتفا حول اعناقهم ومع هذا فانهم يقولون : « لا » . نعم ان الحبل كان (وما يزال) حول اعناقنا . ومع ذلك قلنا « لا » . لاننا ادركنا جيدا بأن الحكومة البريطانية نفسها ستقدم لنا عرضا آخر ـ وبالفعل قدمت لنا ذلك العرض .

هناك ذكرى اخرى : لقد سافرت بعد التصويت باسبوع الى لندن في الدرجة الرابعة (وذلك لعدم وجود درجة خامسة) ، وذهبت الى داوننج ستريت (فقد كنت اعيش في هوايت تشابل) وهناك قابلت بيرسي مدير دائرة المستعمرات الافريقية . ومن خلال فرنسيتي الضعيفة حاولت ان اعرف رأيه حول خطة اوغنده . لقد قال هذا الانجليزي الذي ينحدر من انبل العائلات في هذه البلاد ومن المسيحيين المتدينين : « لو كنت يهوديا لما قدمت قرشا او رجلا في سبيل هذه القضية ، لانه لا يمكنكم استبدال فلسطين بأية بلد اخرى » . وبعد ذلك كتبت لهرتزل عن هذه المقابلة ـ وما تزال لدي نسخة من تلك الرسالة ـ ، كانت معرفةهذه الحقيقة اعظم مأساة بالنسبة لهرتزل ، ولكنها كانت في الوقت نفسهاعظم تجربة له . وهكذا اصبح هرتزل من الداعين لفلسطين . ولم تعد المسألة عملية ميكانيكية ـ اي نقل شعب الى بلاد يزعم انها فارغة ـ ولكنها اصبحت عملية نظامية . وهكذا تعلمت انا بأن الطريق لا تأتي هي اليك . لقد كانت فكرة نوردو عن اوغنده بأن الطريق ستأتي الينا . اما نحن الشباب الذين تجولنا وذهبنا الى ابعد الاماكن في حارات اليهود الانعزالية فقد تمردنا على ذلك . فخلال احدى رحلاتي الى روسيه سجنت سبع مرات على الاقل ، وقد تمكنت خلال ذلك من بيع الف سهم من اسهم صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار لالف عائلة يهودية دفعت الرسوم بتقسيطات قليلة شهريا . نحن الذين كان علينا ان ننفذ اوامر هرتزل كخدامه الامناء ، كان من الواجب علينا ان نثور على سيدنا عندما اصبح الموضوع هرتزل او فلسطين .

لا اعتقد بأنه يمكن انجاز عملنا بالوسائل التكنيكية والميكانيكية المستعارة من التكنولوجيا والثقافة الاوروبية ، ذلك لا يمكن ان يتحقق ، وانني اقول ذلك بكل اخلاص لاصدقائي من المعارضة بعد تجارب العام الماضي الاليمة . قد تستطيع شعوب اخرى ان تحقق النجاح لنفسها عن طريق اظهار قوتها بواسطة الضغط والتظاهرات ، اما في حركتنا هذه فيجب ان لا نحسب حسابا كبيرا لمثل هذه الامور . ولنقلها بصراحة : ليس باستطاعتنا اجبار الحكومةالبريطانية بل نستطيع اقناعها فقط، ونستطيع

اقناعها عن طريق اخلاصنا وتفانينا لقضيتنا. ان المكتسبات التي تحصلون عليها بسهولة لن تحتفظوا بها طويلا ، اما ما تحققونه بصعوبة فسوف تكون له قيمة دائمة . اما اولئك الذين يعتقدون ان بامكاننا تحقيق اي شيء عن طريق الاستعراضات والتظاهرات التي تضم مئات الآلاف من يهود نيويورك يثيرون الضجة ضد بريطانيه فهم متفائلون جدا . انا اعتقد بأن طريقتهم غير صحيحة ، فهي ليست يهودية بجوهرها لانها تعمل بأساليب لا يمكن تطبيقها على حركتنا التي يجب ان تنمو ببطء وبشكل نظامي . قبل ان يأتي الينا هرتزل نحن الفقراء كان قد قرع ابواب الاغنياء ، وعندما وجد ان ابوابهم موصدة جاء الينا فوجدنا مستعدين . اقرأوا ما كتبه عن انطباعاته بعد المؤتمر الاول . لم يكن هرتزل يعتقد ان بامكاننا ان نكون قوادا للحركة الصهيونية ، بل كان يعتقد اننا سنكون اداة تستفيد منها الحركة الصهيونية الغربية . على ان جمع الجوانب المتنازعة في الحركة ادى الى ظهور ما يمكن تسميته « بالصهيونية المختلطة » .

انني اذكر ان نوردو قال قبل اربع سنوات ــ اذكر ذلك وليس في نيتي الجدل ــ ان ٥٠٠ الف يهودي سوف يذهبون الى فلسطين ، و ٢٠٠ الف سيفشلون ، واما ٣٠٠ الف فسوف يبقون في البلاد . لقد كنت اقف دائما ضد هذا الاتجاه . قد يعتبر هذا امرا بطوليا من الميثولوجيا الالمانية والاغريقية ولكنه ليس يهوديا ، ذلك لانه في الدرجة الاولى مستحيل وثانيا ، لان الشعب اليهودي ليس على استعداد لدفع مثل هذا الثمن . لقد عرفت بانه يمكن احيانا ان تظهر امام الانسان بعض من اشعة الشمس وتلمع امامه فجأة ، صدقوني ، بأنني عندما كنت احمل وعد بلفور بيدي شعرت وكأن شعاعا من الشمس ظهر امامي ، وخيّل الي بأنني سمعت وقع اقدام المسيح المنتظر . ولكنني عدت فتذكرت بأن المخلص الحقيقي سوف يأتي بكل هدوء كاللص في الظلام ، ولذلك كان عليّ ان اضبط نفسي والاهم من ذلك كان علي ان اقوم بالمهمة الشاقة التي هي اعادة الجماهير اليهودية التي اصابها مثل هذا الشعاع الى الحقيقة . لم يكن ذلك عملا سهلا وسارا ويمكنني ان ارويه بنشيد حزين . ولو حدث ان اتيتم الى وزارة المستعمرات للتفاوض ، لكنتم تتحدثون بشكل الطف وبتواضع اكثر من الشخص الذي لا يزال يفاوض الى الآن .

لقد اعلنت في المؤتمر الاخير بأنني لن اترأس المنظمة اكثر من سنتين اخريين ، وهكذا فقد اصبح المركز شاغرا الآن . واني آمل بأن الذي سوف يأتي بعدي ان يتمكن ان هو نظر الى عشر سنين الى الوراء ان يرى تقدما

مساويا لما تحقق في السنوات العشر الاخيرة هذه . انني اتمنى ذلك من اعماق قلبي . اتمنى له ان يفعل اشياء اكثر وافضل ولكن على الاقل اتمنى ان يفعل بقدر ما قمت انا به .

لقد حصلنا نحن اليهود على وعد بلفور بشكل غير متوقع ، وبكلام آخر ، لقد كان اليهود اكثر المستفيدين في الحرب . لم نكن نحلم ابدا بوعد بلفور ، ونقولها بصراحة ، لقد حصلنا عليه في ليلة واحدة ، ولكن « ما ورثته عن ابيك يجب ان تجدده لكي تتمكن من الاستمرار في ملكيته ! » (غوته) . لقد كان وعد بلفور في العام ١٩١٧ مبنيا في الهواء ، وكان يتطلب ارساء اساس له خلال سنوات من العمل المضني . فقد كنت اتساءل خلال عشر السنوات الماضية في كل يوم وفي كل ساعة عندما كنت اتصفح الجرائد : متى تأتي الضربة القادمة ؟ لقد كنت اخاف من ان تدعوني الحكومة البريطانية وتقول لي : « اخبرنا ، ما هي هذه المنظمة الصهيونية ؟ اين هم صهيونيوك ؟ » ان اولئك الناس يفكرون بشكل يختلف عنا . كان اليهود الذين يعرفونهم يقفون ضدنا . لذلك كنا نحن الجماعة القليلة من اليهود الغرباء وحيدين على جزيرة صغيرة .

لقد انتهت هذه المرحلة الآن ، واصبح لدينا عنوان واسم واهم من ذلك رصيد معنوي عال . وقد حان الوقت لان نبني ونطلب . حان الوقت الذي يتطلب نشاطا متزايدا من الحكومة البريطانية وذلك لانها اقتنعت بأننا جادون في العمل . ومع ان كثيرا من اعيان اليهود لا يقفون في صفنا، فان الحكومة البريطانية تدرك ان لدينا القوة الكافية لاعادة البناء . ان ذلك كان يتطلب كثيرا من العمل التثقيفي والتوعية . في احد ايام شهر حزيران (يونيو) الماضي جمع ما لا يقل عن خمسين مليون جنيه في مأدبة فطور في لندن . لقد كنت بينهم ولكنني تبرعت بأقل مبلغ . كان احد موظفي وزارة المستعمرات البارزين موجودا وتحدثنا عن تفاصيل الصعوبات في فلسطين وعن الازمة والعجز وعن قلقنا . وبعد الفطور قال لي الموظف ببساطة وصراحة كان يتصف بهما : « ان كل واحد من هؤلاء الرجال يستطيع ان يزيل الازمة ويقضي على البطالة بضربة قلم دون ان تتأثر جيبته بذلك » . لقد تألمت من تلك الملاحظة التي لم تكن لتساعد على تقوية موقفي السياسي . ان مثل هذه الامور تحدث يوميا . ونحن نجابه مثل هذه الصعوبات في لندن وفي باريس دائما . اذا كنتم تعتقدون ، ايها السيدات والسادة ، اننا نستطيع تخفيف الامور بالتفاني والتفاؤل ، واذا كنتم تقولون بأنه يمكن التخلص من العرب الموجودين وانه من السهل جعل

بريطانيه تخضع لمطالبكم ، فانكم تكونون بذلك تلعبون دور آلة الصنج (Contrabass) في الاوركسترا ، التي لا يمكن ان تعطي اي غناء . انا لا اتهم المعارضة بعدم الاخلاص وكذلك لا اعتقد انهم يرغبون في ايذائنا . ولكنني مقتنع بأنهم لا يعرفون هذا العالم فهم يذكرونني ـ واسمحوا لي بالتشبيه ـ بمثل الواعظ (Maggid) (٥) الكلاسيكي الذي كان يروي قصة الشاب (Bocher) (٦) المسكين الذي تجول في العالم الواسع وجاء الى احد الملوك وقال له : «اريد ابنتك زوجة لي» . فأجاب الملك : «خذها ! » ولكن الاميرة التي نتقاتل من اجلها تشبه المرأة الجميلة التي يجب ان يكافح الواحد منا ليصل اليها خلافا لمثل الواعظ والشاب الذي يبقى مجرد مثل مجازي .

قد اكون اطلت في حديثي اكثر من المعتاد ، ولكنني اردت ان اعطيكم لمحة عن هذه الصراعات وعن القلق وعن العالم الذي علينا ان نعمل فيه ، وان اخبركم بأن وصولنا الى هذا المدى الذي وصلناه هو بحق معجزة كبرى . انني اؤمن بأن هناك قوة تحرسنا ـ فليدم الله نعمة هذه اليد القدسية علينا ، فقد تعرضنا للموت الوف المرات ونجونا . خرج العرب من هذه الحرب وبأيديهم ثلاث دول ومملكة تمتد تقريبا من الفرات الى المحيط الهندي ومع ذلك فانهم يطلبون المزيد ـ ولكن ملكهم اليوم يعيش منفيا في قبرص . وهكذا ادركت انا الشاب الليتواني ان من يحمل الكثير لا يستطيع ان يحمل شيئا ـ بناء على هذه الحقيقة كنت اعمل .

لقد ذكرتموني بخطاب القي في وارسو كان يجب ان لا يلقى ، وهناك كذلك خطاب تزيرنوفتز الذي كان اقل تطرفا ، ولكن يجب ان لا تنسوا بأن اعداءنا لن يهتموا الا بخطاب وارسو . استطيع ان افهم موقف المعارضة جيدا فقد كنت انا نفسي معارضا ، ومع ذلك تذكروا ما يلي : نحن نعيش في وسط عالم كبير يمكن لأية كلمة نتفوه بها ان توقعنا في مأزق . ان كل صحيفة عربية اليوم تقتبس من خطاب وارسو وليس من خطاب تزيرنوفتز . هناك ناحية اخرى : عندما قدمت الى باريس في العام ١٩١٨ كنا نواجه جدارا حديديا . كذلك كانت القيادة العسكرية في فلسطين بعيدة عن داونغ ستريت بما يعادل خمسمائة سنة تقريبا . وكان علينا ان نضرب

---

٥ ـ واعظ متنقل يروي القصص .

٦ ـ شاب .

رؤوسنا بهذا الجدار الحديدي . كان علينا اما ان نقنع اللنبي (٧) او ان نحاربه ، ولكن اللنبي اصبح صديقا مخلصا لحركتنا . ان الامور سارت ببطء وكان الثمن باهظا . لانه من الصعب ان يصبح الانسان معلما (Rebbe) من اول يوم . ولكن يجب علينا ان نعمل . واذا كانت توجد اليوم مجموعة لامعة من الناس ابتداء من بلفور وانتهاء باعضاء في البرلمان البريطاني يؤيدون قضيتنا ، فان ذلك جاء نتيجة للعمل البطيء والمنتظم والطويل الشاق في وضع طوب فوق طوب .

انني لست بحاجة لأخبركم قصة عملنا بين اليهود فانتم تعرفونها كما اعرفها انا . لقد اقنعنا كل الناس ما عدا اليهود . ولكننا سنقنعهم في النهاية عن طريق التوعية . وهذا هو السبب الذي يجعلني اتحدث اليكم بقلب كسير عن بطء سير عملنا . الا تعتقدون انني اتمنى ، كما يتمنى اي شخص آخر ، ان ارى دولة يهودية عظيمة في فلسطين تقام في حياتي ؟ لقد وضعت اساسا للعمل من اجل فلسطين تلك ، ولكنني لا استطيع ان اتجاهل حقائق الحياة . ان تفاؤلي ليس سهلا بالشكل الذي تتصورونه ، ولكنه ايمان عميق الجذور بقدر سيحقق نفسه رغم كل الصعوبات . ولذلك ، فاني لا اخاف من صغر حجم فلسطين ، او من ان فلسطين ارض جبلية وليس فيها سهول وان لها نهر الاردن وليس النيل . انها فلسطيننا التي يجب ان نكافح ونعمل من اجلها . هكذا يجب ان تسير الامور وليس بأي شكل آخر . عندما كنت في الثانية عشرة من عمري كتبت رسالة الى مدرّسي (لا يزال المدرّس يحتفظ بالرسالة) اقول فيه بأنه سيأتي يوم تمنحنا فيه بريطانيه ، بريطانية دزرائيلي ومونتفيوري فلسطين . وعندما منحنا وعد بلفور قلت للورد بلفور : « اي رجل عجيب وعظيم انت لتمنح الفرصة ولتعطينا هذه الهدية فتقرن حياتك بعمل عظيم كهذا » .

ليس عندي ما اضيفه ، ولذلك فاني اشكركم مرة اخرى واتمنى ان يكون عملكم سهلا ، فلتحفظكم يد الله ولتكن طريقكم خالية من الصعوبات والمآسي التي كان عليّ ان اواجهها في بعض الاحيان .

---

٧ ــ ادموند اللنبي Allenby (١٨٦١ ــ ١٩٣٦) : جنرال بريطاني استولت قواته على فلسطين التي كانت تحت حكم الاتراك في العام ١٩١٧ ، ظهر فيما بعد بأنه لا يؤمن بالصهيونية .

حول تقرير لجنة فلسطين

المؤتمر الصهيوني العشرين
زوريخ، ٤ آب (اغسطس) ، ١٩٣٧ .

ليس من السهل تقديم تقرير كامل ومنظم عن الوضع السياسي ، وستمر عدة اشهر قبل التمكن من اخذ صورة موضوعية للتغييرات التي تجري في الحوادث او لوضعها في اطارها الصحيح . ان هذه المهمة صعبة خاصة بالنسبة لنا الذين نقف في وسط المعركة . ويجب ان اشير عليكم بالاطلاع على التقرير المطبوع الذي ستضعه اللجنة التنفيذية امامكم، وكذلك على الوثائق المتعلقة بالموضوع التي سيكون للمندوبين فرصة الاطلاع عليها ، اما انا فسأكتفي باعطاء صورة عامة للوضع وسأحاول ان اكون موضوعيا قدر الامكان لكن الانسان لا يستطيع ان يمنع شعوره الشخصي من ان يظهر في تقرير كهذا والا كان الافضل الاستماع الى التقرير من اسطوانة مسجلة .

لقد قيل بأن للانتداب وثيقة معقدة، ولكننا لسنا نحن الذين كتبناها. فالسياسيون البريطانيون ، وليس الوكالة اليهودية ، هم مؤلفوها . وان تجربة عدة سنوات اثبتت بأنها معقدة ، واية مسألة يهودية ليست معقدة ؟ وعلى اي حال ، فقد تم تحقيق منجزات مهمة على اساس هذه الوثيقة ، كما يؤكد ذلك تقرير اللجنة الملكية .

ان اللوم لا يقع على الانتداب الذي اصبح الآن كبش المحرقة ولكنه يقع على اولئك الذين كان عليهم ان ينفذوا الانتداب بكل هدوء وبقوة وكرامة ولكنهم بدلا من ذلك لم يظهروا سوى الاهمال والضعف والشك .

ان اللجنة الملكية نفسها تقول بأنه ربما كان من الاسهل لو ان اعلان الدولة اليهودية حدث في البدء بدل ان ظل يماطل فيه طيلة السنين العشرين هذه. كان من الممكن تحقيق الشيء بخطوة واحدة ، لان العالم لم يكن يجهل القضية في ذلك الوقت ، وحتى بين العرب انفسهم . كان الامير فيصل يعتبر ناطقا باسم العرب ، اما الآن فان المفتي هو الذي يقوم بذلك .

لقد تمكنا من التوصل الى اتفاق مع فيصل الذي اظهر تفهما لاهدافنا . وفي العام ١٩١٩ والعام ١٩٢٠ كان هناك من العرب غير فيصل مما كنا نتمكن من التفاوض معهم . ولكن عندما رأى المتطرفون العرب ضعف هدفنا والعقبات الموضوعة في طريقنا ومبدأ التوازن الذي تتبعه

الادارة والذي كانت فقط تتغاضى فيه عن اعمالنا ، وجعلت كل مهمتها حفظ النظام الذي خففته تدريجيا حتى تخلت عنه تقريبا في العام ١٩٣٦ ، مما جعل العرب المتطرفين يشعرون ان تلك هي فرصتهم : لنضغط اكثر فسوف يستسلم الانجليز .

وبعد ان رفضت اللجنة الملكية الشكاوى الاقتصادية ظهر الجانب السياسي فجأة الى الساحة : يجب عدم تنظيم الهجرة حسب القدرة الاستيعابية لفلسطين ولكن حسب قاعدة نفسانية (بسيكولوجية) . من منكم سمع بأن موظف الهجره يجب ان يكون عالما نفسانيا ؟ ومن هو هذا العالم النفساني الذي سيضع المقاييس لذلك ؟ طبعا انه المفتي . لا يوجد ادنى شك بالنسبة لمقاييسه . لن يسمح لاي يهودي بالدخول عبر ابواب فلسطين . وبالنسبة له هناك باب واحد لفلسطين مكتوب عليه « خروج » وليس « دخول » . ما هو الحد النفساني الذي يمكن ان يرضى به اعداء الوطن القومي ؟

هذا الاقتراح و « المسكنات » الاخرى التي سوف تجدونها في التقرير تهدف الى تهديم الوطن القومي . سنقاوم هذه المقترحات امام اعين العالم اجمع وبكل صراحة وامانة وبكل ما نملك من وسيلة . ان ذلك هو خرق للوعد الذي قدم لنا في ساعة عصيبة ، ساعة ازمة بالنسبة للامبراطورية البريطانية ، وان الضربة اكثر قسوة لانها تقع علينا في ساعة ازمتنا الشديدة .

انا اقول ذلك ، انا الذي كان كل همي خلال العشرين سنة الاخيرة ان اشرح حقيقة الشعب اليهودي للبريطانيين والشعب البريطاني لليهود. وانني اقوله لكم يا من تهكمتم عليّ مرارا وهاجمتموني فقط لانني قبلت ان اقوم بهذه المهمة بنفسي . ولكن الكيل قد طفح ، واننا لا نستطيع ان نبحث مثل هذه المقترحات فليس هناك مقياس نفساني للهجرة . ان ابواب الهجرة تفتح وتغلق حسب مبادىء محددة .

انني اقول للسلطة المنتدبة . يجب ان لا تثيروا غضب الامة اليهودية . يجب ان لا تلعبوا بمشاعر الشعب اليهودي شدا ورخيا . اخبرونا بصراحة ان الوطن القومي قد اغلق لكي نعرف اين نقف . ولكن هذا التلاعب بمصير امة تنزف دماؤها من الف جرح يجب ان لا يقوم به البريطانيون المبنية امبراطوريتهم على المبادىء الاخلاقية ـ تلك الامبراطورية القوية يجب ان لا ترتكب مثل هذه الخطيئة ضد اهل الكتاب . اخبرونا الحقيقة ، فاننا على الاقل نستحق ذلك .

(هنا انهار وايزمان وبكى ثم استأنف حديثه بعد توقف قصير) .

من الاشياء التي لا نفهمها المرسوم الاخير الذي اصدرته حكومة صاحب الجلالة بتحديد هجرتنا بثمانية آلاف للاشهر الثمانية القادمة . لماذا هذا القرار السريع قبل اجتماع لجنة الانتداب وقبل ان يسوّى اي شيء ؟ اننا نعتبر المرسوم تعديا على الانتداب ، وان الرأي العام يشجبه على هذا الاساس .

لقد فرغت الآن من الانتقادات ، واذا ما كنت قد تكلمت عنها بشكل حاد على غير عادتي ، فان سبب ذلك هو ان الذي يتكلم فيّ هو الم شخص استطاع ان يحافظ على هدوئه عشرين عاما . ولكن في هذه اللحظة الجادة من المسؤولية اريد ان ابلغ هذا المؤتمر وكذلك جميع اليهود وهم يعيشون وسط خيبة من الامل والشعور بالاجحاف المرير ، بأن الادارة في فلسطين وانجلتره ليستا شيئا واحدا ، يجب ان نعرف هذا جيدا فلا نقع في اي خطأ من هذا القبيل .

هناك انجلتره اخرى ولنشكر الله على ذلك . وقد سمع صوت انجلتره هذه في مجلسي البرلمان . ان ما قاله اللورد ميلشت اليهودي كنا نتوقع ان يقوله كونه ابن الفرد موند، ونحن نتوقع من ان يقول اكثر من ذلك في المستقبل . كذلك فان ما قاله اللورد صموئيل المعيّن حديثا لم يكن ليفاجئنا ، ولكن كان هناك عدة متكلمين آخرين وزعماء بريطانيين من جميع الاحزاب والطبقات ، مجلس اللوردات ومجلس العموم ، ممن وقفوا معنا كان بينهم رئيس الكنيسة الانجليكانية الذي رفع صوته يقول : « من اجل صهيون لا يمكن ان اصمت » .

هذا ويجب ان تذكروا ، بأن انجلتره ، رغم القلق الذي ينتابنا بسببها ، هي الدولة الوحيدة التي قامت بمحاولة جادة لحل المسألة اليهودية . وان الصعوبات الحالية يجب ان لا تعمينا عن هذه الحقيقة .

واسمحوا لي ، عند هذه المرحلة التاريخية ، ان اقول كلمة للشعب العربي . اننا نعلم بأن المفتي والقاوقجي ليسا هما الامة العربية . ان الذين يحملون القنابل والمسدسات في هذا العالم هم الذين يملكون زمام السلطة السياسية ، ولكن حياتهم تمر في تاريخ الامة كيوم واحد حتى ولو استمرت عدة سنوات .

هناك امة عربية لها ماض مجيد ، لقد مددنا يدنا لتلك الامة ونمدها

الآن ـ ولكن على شرط واحد ، فكما نتمنى لهم ان يتغلبوا على ازمتهم ويعودوا الى ما كانوا عليه عندما كانوا شعبا عربيا متحضرا وقويا ، عليهم ان يدركوا ان لنا الحق في بناء وطننا في ارض اسرائيل واننا نمد يد العون للجميع ولا نؤذي احدا . عندما يعترفون بذلك نكون قد وصلنا الى تفاهم مشترك ، وانني آمل ان يأتي الوقت الذي سيعترف فيه الواحد منا بالآخر .

ان العرب ليذكرون بأننا ، خلال الفترات العظيمة من تاريخهم ، في بغداد او قرطبه ، قد تعاونا واياهم على حفظ كنوز الثقافة الاوروبية . ونحن الآن ، كما كنا دائما ، على استعداد للتفاوض بكل جد واخلاص ، ولكن ذلك يجب ان يتم بواسطتنا نحن الذين تقع على عاتقنا المسؤولية وليس بواسطة وسطاء يعينون انفسهم في اوقات الازمة .

هنا اصل الى القسم الأهم من كلمتي . يحتوي تقرير اللجنة الملكية على اقتراح ثوري اثر كثيرا في جميع اليهود : الاقتراح هو اقامة الدولة اليهودية في بقعة مصغرة ضمن حدود ارض اسرائيل . ان مثل هذا الاقتراح يمكن الحكم عليه من خلال مقياسين اثنين .

ولكنني اود ان اقول قبل ذلك بأنني لا اريد مناقشة الخطة التي يتضمنها التقرير ، لان هذه الخطة بالذات ليست مقبولة . انني اتحدث عن الفكرة ، وعن المبدأ وعن الابعاد التي يحملها الاقتراح ، ولأستعمل كلمات وزير المستعمرات في الرسالة التي قراتها الليلة البارحة اقول : « فبما لو اخذت المضامين البعيدة بعين الاعتبار» . وبما انني لست في صدد الكلام عن خطة اللجنة الملكية ، فلست بحاجة للدخول في تفاصيلها ، فسنبحث هذه التفاصيل مع اللجنة . هذا ، ويجب ان تتذكروا بأن الحكومة البريطانية نفسها لم تعلن قبولها للخطة بل قبلت بالمبدأ فقط .

اقول ان هناك مقياسين نستطيع بواسطتهما تقييم مثل هذا المبدأ . الاول : هل يشكل هذا المبدأ اساس نمو حقيقي للحياة اليهودية بالحجم والنوع ـ هل يشكل اساسا لنمو ثقافتنا الفلسطينية الفتية التي يتحدث عنها التقرير بكل احترام ؟ هل يشكل اساسا لبناء الحياة اليهودية كما نتصورها من اجل تربية رجال ونساء وحقيقيين وصادقين، ولخلق الزراعة اليهودية ، والصناعة اليهودية والادب اليهودي ، الخ ، وباختصار لخلق كل ما يتضمنه المثل الاعلى للصهيونية ؟

ان هذا هو اول محك . وبالنسبة لاستاذنا الكبير ، احد هاعام الذي

لم يعد بيننا ، يمكن ان يكون ذلك هو المحك الوحيد . ولكن الايام تغيرت والتاريخ اليهودي في غالبيته لم يعد ملكنا نتصرف بـه كما نشاء وانـه يواجهنا بقضية مأساة . لذلك يجب ان نهتم بمقياس ثان : هل يساعـد الاقتراح على حل المسألة اليهودية المملوءة بالمخاطر لنا وللعالم ؟

هل يستطيع الاقتراح ان يصمد امام هذين المقياسين ؟ انه من واجب المؤتمر ان يقدم جوابا واضحا ، فهناك من ينتظـر الجواب في وارسو وبوخارست وبرلين . وان على اولئك الذين يعتقدون بانهم يعيشون في ظل نظام ليبرالي ان يفكروا طويلا قبل ان يعطوا الجواب . المهم هنا ليس ان نحسب النسبة المئوية التي اعطيت لنا من ارض اسرائيل . نحن جميعا نعرف كيف نحسب . ولكن واجبنا هو ان نعرف الجواب الذي ستعطيه الحياة لهذين المقياسين . هل من الممكن ان نفعل ذلك ، او ان ذلك غـير ممكن ؟ انني اعتقد بأنه ممكن . ان الاختيار هو بين : اقلية يهودية منتشرة في جميع انحاء فلسطين ودولة يهودية مكثفة في جزء واحد من فلسطين.

والآن اود ان اوجه كلامي لاولئك الذين لم اكن على اتفاق معهم في الامور السياسية . وانني اتكلم هنا لا كمزراحي بل كرجل متدين مع انني لا اطبق جميع الطقوس الدينية . انني افرق ما بين الحقائق الحاليةوالامل بمجيء المسيح المنتظر الذي هو جزء من حياتنا ، مغروس في تقاليـدنا ومقدس بدم شهدائنا عبر آلاف السنين ، انه امل لا يمكن للامة ان تنسـاه دون ان تفقد كونها امة . سيحين الوقت الذي لن يكون فيـه اعـداء او حدود ، وستتوقف فيه الحروب وسينال كل انسان كرامتـه كانسان . عند ذلك ستصبح ارض اسرائيل ملكنا .

لقد قلت للجنة : ان الله قد وعد اليهود باعطائهم ارض اسرائيل . هذا هو ميثاقنا ، ولكننا نعيش في عصرنا ، ولنا آفاق محدودة ونحمـل على كاهلنا مسؤولية ثقيلة تجاه الاجيال القادمة . لقد قلت للجنة الملكية بان آمال ستة ملايين يهـودي تتركز على الهجـرة . فسئلت : « هـل باستطاعتكم ان تحضروا ستة ملايين يهودي الى فلسطين ! » اجبت : « لا ، فانا اعرف قوانين الفيزياء والكيمياء واعرف قوة العناصر المادية. بالنسبة لجيلنا هذا ، اقسّم عدد اليهود على ثلاثة ، ويمكنكم ان تروا في ذلك عمق المأساة اليهودية ــ مليونا شاب يهودي يضعون حياتهم على اكفهم ، وقد خسروا اهم حقوقهم الاولية وهو حق العمل » .

اما الكبار في السن فسيرحلون عن هـذه الدنيا متحملين مصيرهم

بصبر او ناقمين عليه . انهم كالغبار ، غبار اخلاقي واقتصادي في عالم يقسو عليهم . ومرة اخرى فكرت في تقاليدنا . ما هي التقاليد ؟ هي الذاكرة ينظر اليها بمنظار مكبر . اننا نتذكر . لقد سمعنا كلمات اشعياء وارميا منذ آلاف السنين ، وما كلماتي سوى صدى ضعيف لكلمات حكمائنا ومغنينا وانبيائنا . مليونان وربما اقل ـ « هذا العدد الباقي فقط يتمكن من ان يعيش » . يجب ان نرضى بذلك ، اما الباقي فيجب تركه للمستقبل ، لشبابنا . فاذا ما شعروا وتألموا مثلنا نحن ، فانهم سيجدون الطريق مع مرور الوقت .

انني اقول لاصدقائي المحافظين : تأملوا في امركم وبالمهمة التي تجابهكم اليوم . ذلك ان المسؤولية لم تكن خلال الفي العام الماضية بهذا القدر من الاهمية . ليس لدينا لا الحكمة ولا القوة لتحمل المسؤولية . ولكن القدر قد وضعها بايدينا والقدر لا يظهر اسراره . بامكاننا ان نفعل ما نستطيع فقط . واذا ما كان هذا الاقتراح يفتح الطريق ، فانني انا الذي بذلت خلال اربعين عاما كل ما لدي ، وقدمت للحركة كل شيء ، سوف اقول « نعم » ، وانني واثق من انكم ستفعلون الشيء ذاته .

سنطلب اليكم في احدى مراحل مداولاتنا ان تقبلوا قرارا يخوّل اللجنة التنفيذية ان تبحث في خطة تلبي هذين المقياسين . ثم ستعيدها اللجنة التنفيذية لكم ، وانتم الذين سوف تقررون . انني اصلي من اجل ان تمنح القوة المقدسة لنا جميعا لنجد السبيل ، ولان نبقى ونحن نسير في العمل وحدة قومية واحدة ، لان الوحدة هي كل ما نملك .

ابا هيلل سيلفر (١٨٩٣ ـ ١٩٦٣) Abba Hillel Silver

حاخام اميركي وزعيم صهيوني

مولود في ليتوانيه . جاء به اهله الى اميركه في التاسعة من عمره . واعتنق الصهيونية منذ صباه غير عابىء بالجو المناوىء للصهيونية والذي كان سائدا اثناء دراساته الحاخامية في « هيبرو يونيون كوليدج » بمدينة سينسيناتي . فقد سيم حاخاما عام ١٩١٥ ثم اصبح على راس حاخامية الهيكل (The Temple) في مدينة كليفلاند ، ولاية اوهايو .

حارب اللاصهيونية في معاقل اليهودية الاصلاحية آنذاك ولعب دورا حاسما في تحويل تلك القلاع الى مراكز صهيونية . فقد استعان بمنصبه ومواهبه الخطابية وعلومه لكسب اليهود الاميركيين الى جانب الحركة الصهيونية . وانحاز الى القاضي براندیس اثناء الخلاف بين وايزمن وبراندیس ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ . لكنه ما لبث ان عاد الى احضان المنظمة الصهيونية في اميركه . عارض بشدة مشروع بعثة بيل Peal Commission لتقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ وكان وايزمان آنذاك يتظاهر بمناشدة الصهيونيين النظر في المشروع المذكور . واقترن اسمه بالدعوة لسياسة النشاط الصهيوني الفعال على الصعيدين العالمي والاميركي .

تراس بين عامي ١٩٣٨ ـ ١٩٤٨ المنظمات الصهيونية التالية عدة مرات متتالية : المنظمة الصهيونية في اميركه ، مجلس الطوارىء الاميركي الصهيوني ، النداء اليهودي المتحد ، النداء الفلسطيني المتحد ، والمؤتمر المركزي لحاخامات اميركه . وكان رئيس الفرع الاميركي للوكالة اليهودية . طلب اليه وايزمن عام ١٩٤٣ تسلم زمام القيادة السياسية للحركة الصهيونية في اميركه . فقام بدور رئيسي في حمل المؤتمر اليهودي الاميركي عام ١٩٤٣ على منح تاييده لقيام الكومونويلث اليهودي في فلسطين وجعل ذلك الهدف الاوحد لليهود خلال سني الحرب . سعى للحصول على تصريح من مجلس الكونغرس بتاييد الدولة اليهودية ولجا الى مختلف الاساليب السياسية ووسائل العلاقات العامة لكسب التاييد السياسي لدى الحزبين الاميركيين الكبيرين للاغراض الصهيونية . قام بممارسة شتى انواع الضغوط على البيت الابيض خلال رئاسة روزفلت لحمله على اعلان معارضة الحكومة الاميركية للكتاب الابيض (١٩٣٩) . وقدم الى روزفلت ، بالتعاون مع ستيفن وايز ، عددا من المسودات التي تهدف الى الغرض نفسه لكي يصار الى اعلانها باسم حكومة الولايات المتحدة . وافلح في الحصول على تصريح (آذار ١٩٤٤) اعلن فيه ان الحكومة الاميركية لم توافق مطلقا على الكتاب الابيض ١٩٣٩ . لكن روزفلت عاد واوضح ان البيان تحدث عن « وطن قومي يهودي » ولم يات على ذكر « كومونويلث يهودي » . وحاول الخروج من المازق بعد الطلبات التي تقدمت بها الدول العربية بقوله المزدوج : « مع ان الحكومة

الاميركية لم توافق ابدا على الكتاب الابيض البريطاني عام ١٩٣٩ ، فهي لم تعارضه ابدا ».

استقال من منصبه عام ١٩٤٤ وعاد عن الاستقالة بعد عام . وحاول التأثير على لجنة التحقيق الانجلو اميركية عام ١٩٤٦ والوقوف بوجه السياسة التي كان يتّبعها ارنست بيفن آنذاك . كان احد الناطقين الصهيونيين الرئيسيين في الامم المتحدة خلال عرض قضية فلسطين عام ١٩٤٧ . وقد تهدد ارنست بيفن حين ضاق صدر الثاني بالحاح اليهود على دفع وجهة نظرهم وحدها الى المقدمة بتذكيره ان اليهود لا يزال بامكانهم المساومة عن طريق تشجيع المقاومة والارهاب في فلسطين وعن طريق استخدام قوة يهود اميركه ونفوذهم الواسع. واعلن انا اساليب السير موزس مونتيفيوري كانت تناسب عصر الملكة فيكتوريا الذي انقضى ! ففي عام ١٩٤٦ عيّنه المؤتمر الصهيوني في بازل رئيس اللجنة السياسية . وتعاون مع بن جوريون بصورة وثيقة لاقصاء وايزمن عن الزعامة باعتباره صديق البريطانيين بلا منازع.

لكنه ما لبث ان اصطدم مع بن جوريون لتنافس على الزعامة . فقد ادرك سيلفر خطورة زج اليهود الاميركيين في المخططات الصهيونية وراح يصر على التمييز بين الصهيوني واللاصهيوني . واخذ يدعو لدعم القطاع الخاص في الاقتصاد الاسرائيلي ـ مما اوشك ان يتهدد مكانة بن جوريون وينازعه على احتلال مركز مرموق في التاريخ اليهودي الصهيوني . وقد وصف احد الباحثين عقدة بن جوريون تجاه سيلفر بانها كناية عن عقدة حب وكراهية في آن واحد . وتطور الخلاف حول ضرورة الصهيونية خارج اسرائيل . ويبدو ان سيلفر انضم الى الحزب الجمهوري ولم يتردد منذ ١٩٤٣ في استخدام فترات الانتخابات الاميركية كفرص مناسبة للتأثير على سياسة الولايات المتحدة الخارجية وحملها على تاييد الاهداف الصهيونية . فقد استغل اصوات اليهود للمساومة وجعل هدا التكتيك جزءا لا يتجزا من الاستراتيجية الصهيونية الجديدة في اميركه . حتى انه صار صاحب مدرسة في التفكير والعمل السياسي الصهيوني تدعو الى اعتماد العنصر العرقي كاساس للتصويت الجماعي في الحياة السياسية الاميركية . والهدف من كل ذلك هو اتاحة المجال امام اليهود الاميركيين للتأثير على السياسة الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط .

كان من كبار الصهيونيين الاميركيين بلا منازع ومن ابرز الزعماء النشيطين في مصاف بن جوريون . فقد لعب دورا رئيسيا في الدعوة الى توحيد صفوف اليهود الاميركيين . وقامت صهيونيته على اساس المزاعم القومية والتاريخية والدعوة الى فتح ابواب الهجرة على مصراعيها . وتحدث عن حق اليهود في انشاء كومونويلث يهودي في فلسطين بطريقة تضعه الى جانب فلاديمير جابوتنسكي .

مؤلفاته : « تاملات حول المسيح المنتظر في اسرائيل القديمة »
Messianic Speculations in Ancient Israel ،
و «حيث تختلف اليهودية» Where Judaism Differed .

نحو وحدة يهودية اميركية (١٩٤٣)

اصدقائي الاعزاء :

ان الشعب اليهودي معرّض لخطر الخروج من هذه الحرب وهو

اكثر الشعوب تعبا واقلها قابلية للشفاء . لقد انتشرت اخبار مأساة تعبنا العنيفة هنا وفي كل مكان ــ وهي مأساة مرعبة وغير قابلة للخلاص . وان اعادة ذكرها يسبب الألم لانفسنا وجرحها مرة بعد مرة . ولكن ماذا عن الشفاء ؟ ماذا بعد الدم والدموع؟ بصراحة، بعضنا لا يرى ان نعمل شيئا. انهم يطمئنوننا في الوقت الحاضر بأن ميثاق الاطلسي والحريات الاربع والنصر هذه الامور ستعمل على شفاء شعبنا . انا اخشى ان نكون قد بدأنا نضحي بتفكيرنا ومنطقنا في عالم الفراغ الرومانسي الخادع . لقد بدأنا مرة اخرى في الهرب من التاريخ الى الاحلام والخيالات التي يعتبرها بعضنا واقعية وفنا سياسيا .

لقد اوجدت الحرب العالمية الاخيرة جوا مناسبا للديموقراطية ومنحت يهود وسط وشرقي اوروبه ليس فقط حقوق المواطنية ولكن حقوق الاقلية. ولكنكم لا بد تذكرون، امهل نسيتم ؟ لقد جلبت ايضا حركة عداء للسامية، افنائية عنيفة وشاملة لم يشهد مثلها شعبنا من قبل .

هل نسيتم قصة الحرب العالمية الاولى ؟ هل تجرأون على نسيانها ؟ ومع هذا يأمل بعض اليهود من جديد ان يحققوا من خلال نصر آخر للحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، ما فشل نصر الحلفاء ان يعطيهم اياه في الحرب الاولى ، وما فشل قرن كامل من الاستنارة والتحرر والتقدم ان يعطيهم ــ اعني السلام والامن . انهم مرة اخرى يخلطون بين المساواة السياسية الرسمية وبين المناعة ضد الضغوط الاقتصادية والاجتماعية .

ما تزال مسألة تشرد شعبنا التي هي مصدر مأساتنا التاريخية بنفس الحدة التي كانت عليها في السابق ، ومع ذلك فان بعض اليهود يحاولون من جديد ان يغطوها بالتمني وان يخفوا المسألة الحقيقية المؤلمة والمحيّرة والملحّة ، انهم ينادون بايجاد حل تحت ستار كثيف من المناداة بالوحدة اليهودية والتضامن اليهودي .

هناك حقيقة مؤلمة تغيب عن اذهان دارسي عداء السامية . ان قصة التحرر اليهودي في اوروبه بدءا باليوم الذي تلا الثورة الفرنسية وانتهاء باليوم الذي سبق الثورة النازية هي قصة مراكز سياسية تم الاستيلاء عليها في وجه معارضة عنيدة وشرسة تركت اقلياتنا المنعتقة محاطة في كل بلد بمعارضة لا يمكن ان تغلب ولا يمكن مصالحتها لدرجة ان زمام الامور كان يفلت عند اقل تحرش ، وكانت هذه المعارضة تعود الى الهجوم على اليهود وانزال الأذى بهم .

وفي يومنا هذا قامت هذه المعارضة ، التي لم تفشل ابدا ولم يمكن التصالح معها ، تحركها الصراعات السياسية والاقتصادية التي مزقت الشعوب ، قامت بالهجوم على المراكز السياسية والاقتصادية اليهودية في اوروبه ودمرت هذه المراكز تدميرا تاما . ان هناك حبلا اسود ثخينا يربط ما بين عصر فخته (١) بصرخته المعادية للسامية «Hep, Hep» وعصر هتلر بصرخته العنصرية «Jude venecke» . وحوادث دمشق في العام ١٨٤٠ ترتبط برد الفعل الذي انتشر بعد ثورة ١٨٤٨ وحادث مورتارا في ايطاليه (٢) ، والحركة المسيحية الاشتراكية في عصر بسمارك وحادث تسزا ــ ازلار في المجر (٣) واحياء الاتهامات الدموية في بوهيميه ومذابح الثمانينات في روسيه وكتاب التشهير باليهود «La France Juive» (٤) وقضية دريفوس في فرنسه ومذابح ١٩٠٣ وحمامات الدم الاوكرانية بعد الحرب الاخيرة والمذابح البشرية في البيوت في بولنده في هذه الحرب .

هذه ، ايها الاصدقاء ، هي مشكلتنا الدائمة . والعمل من اجل الخلاص من مثل هذا الاضطهاد هو الحاجة الملحة لكل جيل من شعبنا في كل بلاد العالم . ان ما نواجهه اليوم هو تردّ مرعب لوضعنا الذي جعل

---

١ ــ جوهان جوتليب فخته (١٧٦٢ ــ ١٨١٤) : لقد ساعد كتابه (Reden an die deutsche nation) الذي اصدره في العام ١٨٠٧ على ايجاد القومية الالمانية والرومانسية المحافظة . سبق هيجل في نظريته ان التاريخ سينتهي بسيطرة المانيه .

٢ ــ ادغار مورتارا (٦ سنوات من بولونيه في ايطاليه) خطفه حرس البابا في العام ١٨٥٨ وذلك بعد ان اعلنت مربيته بانها قد عمّدته سرا . وقد كان لهذا الحادث مضاعفات دولية قادت الى تشكيل الاتحاد الاسرائيلي العالمي Alliance Israelite Universelle في العام ١٨٦٠ في باريس للدفاع عن حقوق اليهود .

٣ ــ كانت هذه البلدة الهنجارية مسرح اتهامات دموية وجهت فيها زورا تهمة الى اليهود بقتل طفل مسيحي في العام ١٨٨٢ ، وقد تم الافراج عن المتهمين فيما بعد .

٤ ــ كتاب معاد للسامية ظهر في فرنسه في العام ١٨٨٦ ، وقد اصدره ادوارد ادولف دروموند المشهور بتشهير اليهود (١٨٤٤ ــ ١٨٨٦) . كان هذا الكتاب الاول في سلسلة كتب لدروموند في فرنسه وفي جميع انحاء العالم . وقد اصبح « المرجع الكلاسيكي » لاعداء السامية في العالم .

صفحات تاريخنا منذ بدء تشتتنا سوداء قاتمة .

والآن ما هو الحل لهذه الحاجة الدائمة في الحياة اليهودية ؟ هناك حل واحد لتشرد شعبنا هذا التشرد الذي هو ، كما قلت ، مصدر مأساتنا التاريخية . ليس هناك سوى حل واحد . هو الوطن القومي ! وليس الحل في اعطاء فرص جديدة لهجرة اللاجئين الفارين ولا الخطط الاستعمارية الجديدة في مختلف انحاء العالم والتي وضع معظمها موضع الاختبار خلال العقود القليلة الماضية ولا يزال يخطط لمثلها حتى يومنا هذا ، بقليل من النجاح . ان الحل الوحيد هو في جعل وضع الشعب اليهودي السياسي في العالم عاديا وذلك باعطائهم قاعدة قومية في وطنهم القومي والتاريخي .

ولقد بدأ العالم يعترف بصحة هذا الحل ، ففي العام ١٩١٧ اصدرت بريطانيه وعد بلفور. لم يكن الغرض من هذا الوعد ان يخطط لمساعدة الهجرة اليهودية او لفتح مجرى جديد لها . فقبل اصدار الوعد بسنوات قليلة كانت اعداد كبيرة من اليهود تجد فرصا كثيرة للهجرة وخاصة الى نصف الكرة الغربي . لقد كان وعد بلفور عملا قانونيا وسياسيا خطط لاعادة بناء الحياة القومية للشعب اليهودي في وطنه .

هل هذا هو تفسيري الخاص او هو تفسير الصهيونيين فقط؟ لا، ابدا. لقد كان هذا التفسير الذي قبله جميع سياسي العالم كما اراده اولئك الذين كانوا مسؤولين في الدرجة الاولى عن اصدار هذا الوعد : لويد جورج ، والرئيس ويلسن ، وجان سمتس ونستون تشرشل . كان هؤلاء يفكرون بكومونويلث يهودي او كما كان يسميها بعضهم ، الدولة اليهودية التي ستصبح نهاية التطور الطبيعي للوطن القومي اليهودي .

كيف فسر يهود اميركه تلك الوثيقة في تلك الايام ؟ عندما عقد المؤتمر اليهودي الاميركي الاول في فيلادلفيه في العام ١٩١٨ والذي ضم صهيونيين وغير صهيونيين انتخب وفد يمثل يهود اميركه في مؤتمر السلام ، وقد اعطي الوفد التعليمات التالية :

كان عليهم ان يتعاونوا مع ممثلي بقية المنظمات اليهودية وخاصة المنظمة الصهيونية العالمية وذلك من اجل ان يعترف مؤتمر السلام بآمال الشعب اليهودي ومطالبه التاريخية بالنسبة لفلسطين ويعلن انه بناء على وعد الحكومة البريطانية سوف تهيأ الظروف السياسية والادارية والاقتصادية في فلسطين للعمل على تطوير فلسطين لتصبح كومونويلثا

يهوديا تحت رعاية بريطانيه العظمى بالنيابة عن عصبة الامم .

لماذا نشأ بيننا في هذه الايام خوف قاتل من كلمة «كومونويلث يهودي» الذي استخدمه السياسيون البريطانيون والاميركيون والذي ايد استعماله رفاقنا اليهود في كلا المعسكرين منذ ربع قرن مضى ؟ لماذا يصمم اعداء الصهيونية او اللاصهيونيون او المحايدون لحذف هذه الكلمة وفي بعض الاحيان للقضاء على هذا الامل ؟

لماذا يطلبون الينا ، بحجة الوحدة ، ان نتخلى عن فكرة سياسية رئيسية كانت جزءا من وعد بلفور ؟ انني اظن بأن سبب ذلك هو ان بعضهم او اغلبهم لم يقبلوا لا بالوعد ولا بالانتداب ، فهم يتمنون ان ينسوهما او ان ينساهما العالم او يتمنون ان لا يكونا موجودين . بالطبع ليس عندهم اي اعتراض على ذهاب اليهود الى فلسطين اكثر من اعتراضهم على ذهاب اليهود الى نيوزيلنده واستراليه او اي جزء آخر من العالم .

انني اعترف بكل صراحة بانني اصاب بالدهشة عندما ارى اليهود يصفقون لليهودي الذي يوافق على ان لهم حقا في الذهاب الى فلسطين، ولكن عندما يتم هذا الاعتراف بأن لليهود الحق في الذهاب الى فلسطين وبأن ذلك الحق يجب ان لا يكون مقيدا ، يشعرون بانهم يستطيعون ان يطلبوا من الصهيونيين ان يقدموا تنازلا بسيطا من جهتهم ـ تنازلا بسيطا ـ وهو ان يقبلوا بالتخلي عن ذلك الذي صلّوا من اجله وانتظروه هم وآباؤهم قرونا طويلة والذي هو الآن في طور التكوين ـ ايجاد كومونويلث يهودي في فلسطين .

يقولون ان اصرارنا على كومونويلث يهودي هو اصرار على عقيدة ، ويسألون لماذا يجب خلق التفرقة في صفوف اسرائيل الاميركية حول الايديولوجية ؟

انني اسألكم بكل اخلاص ، ايها الاصدقاء ، ان تفكروا معي ـ هل هذه مسألة عقائدية ؟ هل الغريزة الطبيعية العادية لشعب مشرد ليجد وطنا له بعد قرون من التشرد وليحيا حياة عادية وطبيعية ، تعتبر ايديولوجية ؟ هل يعد حب الانجليزي لانجلتره وحب الفرنسي لفرنسه وتمنيهما العودة اذا ما نفيا من بلديهما ، هل يعد هذا مجرد عقائدية ؟

لماذا يمكن اعتبارها « ايديولوجية » ان يريد شعب اسرائيل ارض اسرائيل التي طرد منها قبل قرون مضت وبذلك فقد سلامته وراحته ومتعة الحياة ؟

هل هي مسألة عقائدية تلك التي ابقت امل العودة الى الوطن القومي حيا بين شعبنا طيلة تسعة عشر قرنا ؟ ألم يكن ذلك سببه حقائق وجودنا ومنفانا ومذابحنا ومجازرنا واحتقارنا ، هذه الحقائق القاسية المستمرة على طول ذلك الحبل الطويل الاسود من المصائب الذي لم ينقطع من العام ٧٠ الى العام ١٩٤٣ ؟

نحن لا نصرّ على الامور العقائدية بل نصرّ على انجاز الالتزامات الدولية التي قدمت لشعبنا بكل اخلاص ، او على احترام المواثيق التي عقدت معنا . كما لا نطلب جديدا . ان اولئك الذين يطلبون الينا ان نتخلى عن مطاليبنا المعترف بها دوليا هم الذين تحركهم العقيدة وليس نحن، لانهم بذلك يصرون على اعادة فتح مسألة كان الضمير يقضي بأن تغلق في العام ١٩١٧ .

لذلك ، ايها الاصدقاء ، لسنا هنا مهتمين بالمسائل العقائدية، فاعادة تشكيل الشعب اليهودي كأمة في وطنه ليس غرورا سياسيا طائشا من جهتنا او رفاها ثقافيا غرضه ارضاء كبريائنا القومي . انها صرخة يائسة لشعب وضع في مأزق وهو يحارب من اجل الحياة . انها الضرورة المستعجلة لانهاء الآلام الحاليةوالاخطار والمصائبالقائمة اليوم وكذلكغداً.

من قلب حارات اليهود الموبوءة بالتيفوس في وارسو ومنمعسكرات الموت في الاراضي التي يحتلها النازيونحيث ينتظر العديد من ابناء شعبنا الموت البطيء او السريع ومن مائة معسكر اعتقال تدنس خريطة اوروبه ومن بين صفوف ابنائنا الهائمين على وجهالارض ، تنبعثالصرخة : « كفى، يجب وضع نهاية لهذا ، نهاية اكيدة وحقيقية ! » .

الى متى يدوم هذا الصلب ؟ لقد عوقبنا مرات عديدة بسبب خطايا الآخرين . ومرات عديدة كنا نتلقى الضرب عن حكومات تقع في اخطاء فاحشة . كما كنا كبش المحرقة لكل هزيمة في الحربوللمآسي والمصائب وللصراع الذي كان يحدث بين الطبقات .

الى متى سيدوم ؟ هل كتب علينا ان نعيش الى الابد كشعب مشرد يعتمد على فتات الاحسان ، وان نبقى الى الابد بحاجة الى من يدافع عنا وان نظل الى الابد نعتبر لاجئين بحاجة الى اغاثة ؟ اني اسألكم ايها الرفاق اليهود. الا يجبان يؤسسالكومونويلثاليهوديالحر كتعويضعنآلامشعبنا التي لا توصف وعن بحور الدم التي ارقناها في هذه الحرب وفي جميع الحروبعلى مر العصور، وعنشهداء شعبنا الذين لا يحصون، وعنالبطولة

العظيمة والتضحيات الجبارة لابنائنا الجنود البواسل الذين يحاربون على جميع جبهات القتال في مختلف انحاء العالم ؟

أليست هذه العدالة التاريخية ، الا يحاول العالم اليوم بجهد واسى ان يصل الى نظام عالمي جديد من العدالة ؟ ألا يجب ان يشملنا هذا النظام العالمي من العدالة ؟ ألا نستحق ذلك ؟ انني من دعاة وحدة العمل في اسرائيل ، ولكن وحدة في ماذا ؟ انه لشيء غريب يحيّرني ، اذا ما وافقت مجموعة من الناس ، فتلك وحدة في العمل اما اذا طلبت اليهم ان يوافقوني فذلك في نظرهم مناف للوحدة .

انا من دعاة وحدة العمل في اسرائيل ومن دعاة تحقيق برنامج الحياة اليهودية المتكامل في أغاثة اليهود وانقاذهم واعادة بناء حياتهم وعودة شعبنا الى فلسطين . ولكنني لست من دعاة وحدة العمل على جزء من البرنامج لان مثل هذا الجزء ليس الا خيانة للقسم الباقي من البرنامج وفيه نهاية أليمة لنا . اننا لا نستطيع حقيقة ان نخلّص يهود اوروبه ما لم تكن الهجرة مفتوحة الى فلسطين . ولن تكون هجرتنا مفتوحة الى فلسطين ما لم يتم الاعتراف بحقوقنا السياسية هناك . هذا ولا يمكن الاعتراف بحقوقنا السياسية ما لم يتم الاعتراف بصلتنا التاريخية بتلك البلاد وبتأكيد حقنا في اعادة بناء وطننا القومي. هذه الامور ليست سوى حلقات متصلة في السلسلة . وان هذه السلسلة ستتقطع اذا ما فقدت احدى الحلقات . لا تخدعوا انفسكم ولا تدعوا احدا يخدعكم بأن العرب في فلسطين او ان وزارة المستعمرات البريطانية ـ وموقفاهما متشابهان ـ سيوافقون على الهجرة الى فلسطين على نطاق واسع اذا ما تخلينا عن فكرة الكومونويلث اليهودي . انهم ليسوا بسطاء الى هذه الدرجة ـ فهم يعارضون الكومونويلث اليهودي والهجرة اليهودية ايضا .

اذا ما تخلينا عن مطلبنا القومي والتاريخي في فلسطين واعتمدنا فقط على طلبات الاحسان للاجئين ، فاننا بذلك نخسر قضيتنا ونحطم آمال شعبنا التاريخية . ذلك انه بالنسبة لمجرد الاحسان المجرد وتلبية متطلبات الهجرة الضرورية فان فلسطين قد ادت دورها الكامل تجاه اللاجئين . واستوعبت اكثر من نصف مجموع اللاجئين اليهود في العالم. لذلك اسرع عرب فلسطين ومؤيدوهم في انجلتره وهنا ، الى القول بأن فلسطين قد قامت بما هو متوقع من دولة صغيرة وبأكثر مما قامت به معظم الدول الكبرى . اما نحن فلنا الحق ان نصرّ على رفع القيود عن الهجرة

لان فلسطين هي الوطن اليهودي . انه بسبب الصلات التاريخية للشعب اليهودي مع هذا البلد فقد اتخذت حكومة الانتداب على عاتقها اعادة تشكيلها كوطن قومي وتعهدت بتسهيل الهجرة اليهودية وتوطين اليهود فيها . وبكلام آخر ، كان بناء فلسطين كمكان لهجرة يهودية واسعةالنطاق يعتمد دائما ولا يزال يعتمد على الفكرة القومية . من هنا كان حقنا في الهجرة يبرر حقنا في بناء الكومونويلث اليهودي في فلسطين ، لان هذين الامرين متداخلان ولا يمكن فصل الواحد منهما عن الآخر .

لذلك من الحمق ان نطلب الى الشعب اليهودي ان يتنازل عن مواقعه السياسية التي اكتسبها في فلسطين بعد قرون ، وان يصمت حيال هذه المواقع ويظهر للعالم وكأننا قد تخلينا عنها متأملين ان يؤدي هذا الى فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية على نطاق واسع . انا من دعاة الوحدة والعمل ولكن احب ان اشير بكل تواضع الى ان وحدة العمل في المنظمات الديموقراطية لا تعتمد على الاجماع بقدر ما تعتمد على رضى الاقلية بالتسليم بقرارات الاغلبية .

انه لمن الحماقة ان نتوقع اتفاقا عاما بين خمسة ملايين يهودي في اميركه او بين ممثليهم هنا على جميع المسائل الاساسية التي لها تأثير على الحياة اليهودية . انه لمن الحماقة والبساطة ان نتوقع ذلك ، ولكن هذا ليس سببا لتجنب الغوص في هذه المشاكل الاساسية ، وكذلك فان هذا ليس سببا يمنع الاغلبية من اقرار برنامج يمكن ان تكون الاقلية غير راغبة في تأييده . اذا ما كانت اغلبية يهود اميركه تؤمن ببناء الكومونويلث اليهودي فيجب ان يكون لهم الحق ان يقولوا ذلك من خلال هذا المجتمع وان يرفعوا مطالبهم للعالم . وان شيئا غريبا قد حدث هنا ، فقد طلب الينا ان لا نتخلى عن معتقداتنا ولكن علينا في الوقت نفسه ان لا نعبّر عنها .

اذا كانت الاقلية عاقلة ومسؤولة تتجاوب مع العمل الديموقراطي ـ واعتقد انها كذلك ـ فانها ستقبل بالامر وتصبح معارضة مخلصة. نحن لسنا حكومة وليس لدينا السلطة لتنفيذ قراراتنا ، ولكن قوة معنوية هائلة تكمن في جماعة كهذه تتكون من ممثلي شعبنا المختارين ، اذا ما وصلت بعد فترة من المداولات الى اتفاق مطلق على برنامج معين ، فان قرارها هذا يجب ان يلقى كل تأييد وتقدير .

انني ايها الاصدقاء انهي حديثي بهذه الكلمة . ان جالية اليهود في فلسطين (اليشوف) الابطال يتوسلون الينا ان نؤيدهم ، فقد قرأتم ذلك في الصحف . انهم يقاتلون قتالا يائسا ضد عدو يمتد من القدس الى

القاهرة الى المكاتب الصحفية في نيويورك . انهم يقاتلون قتالا يائسا ضد اعداء يعدّون مؤامرة جديدة لخنق نموهم ولاخماد املهم العظيم في الحرية القومية التي كان لها الفضل في بث الايمان والشجاعة لدى اولئك الرجال والنساء العظماء الذين يبنون الكومونويلث اليهودي . لقد توسلوا الينا ، الى اخوانهم واخواتهم في اميركه لنؤيد نضالهم ولندافع عن حقوقهم ولان نتوسل الى زعماء وسياسيي هذا البلد العظيم الحر المبارك لكي يساعدهم الآن في عملهم هذا الذي دنت ساعة اتخاذ قرار فيه ، بشعور العطف والتفهم نفسه الذي سبق وقدمه رؤساء الولايات المتحدة بدءا من ويلسون ثم الذين جاءوا بعده ، وكما ساعدهم كونجرس الولايات المتحدة . وانني اسألكم ، ايها الاخوة أنخذلهم في طلبهم هذا ؟

هل نتخذ هنا قرارا عن فلسطين دون ذكر اي شيء عن وعد بلفور التاريخي وهدفه الواضح باقامة الكومونويلث اليهودي ؟ هل يكون هدفنا ان نرسل وفدا الى مؤتمر السلام بدون اية تعليمات سوى طلب مساعدة اليهود في الهجرة الى فلسطين وكأن فلسطين بالنسبة لنا مثل سانتو دومينجو ؟

هل نطلب فقط حق اللجوء الى وطننا التاريخي ، ذلك الحق الذي يمكن ان يطلبه اي شعب في اي مكان من العالم ، مع ان مثل هذه الطلبات نادرا ما يعترف بها ؟ هل هذا هو فن السياسة اليهودية ؟ هل هذه هي الرؤيا والشجاعة والايمان اليهودية ؟ او اننا عندما يحين الوقت المناسب سنعلن في هذا الاجتماع الكبير اننا نقف بجانب اولئك الذين قدموا دموعهم ودماءهم وعرقهم لبناء وطن قومي ، وكومونويلث يهودي لهم ولنا وللاجيال المقبلة حيث يستقر شعبنا وتستقر روحه كذلك ؟

هل سنتأثر هنا بما سيقوله هذا او ذاك ، ونخاف ان يساء تفسير اعمالنا ، ام اننا سنتمسك بمعتقداتنا وبأخلاقنا وبايماننا وبتاريخنا ومنجزاتنا ، ومن ثم نتقدم بكل ايمان لنبني ونشفي الآلام ؟

يهود اميركه اثناء الحرب وبعدها (١٩٤٤)

لقد جابه يهود اميركه انفسهم اخيرا ضرورة عمل ما كان يعمله يهود العالم القديم دائما ـ وهو توعية انفسهم على فكرة كونهم يهودا يعيشون في بيئة لا يهودية والتعوّد على مواجهة مشاكلهم كأقلية بشكل واقعي . لقد نجح النازيون في جعل العالم الغربي كله يعي وجود اليهود ، ولكنهم في الوقت

نفسه ودون قصد من جانبهم، نجحوا في جعل اليهود يعون كونهم يهودا . وبينما نجد ان عددا من اليهود تضايقوا من هذه التجربة ولم يكيفوا انفسهم تجاهها فان الغالبية من شعبنا ساعدها وعيها لوضعها الحقيقي ، على الوصول الى العيش حياة يهودية اميركية اكثر كرامة واكثر شمولا وصراحة.

هؤلاء اليهود الاميركيون يواجهون المستقبل بدون ترقبات وهمية ولكن ليس بدون امل ابدا . لقد جعل العالم الجديد اليهود يتمتعون بالشعور بوجودهم ولكن هذا لن يطول. فالحالة الآن ليست كما كانت وليس هناك كبير احتمال بعودتها مرة ثانية ، ذلك ان معاداة العالم القديم للسامية ستبقى وان لم يكن للابد ولكنها ستبقى لفترة طويلة من الناحية العملية. هذا واقع وليس انهزام. وهذه هي الحالة اليوم. لا بد ان تخف حمى معاداة السامية السياسية عند انكسار النازية في هذه الحرب هنا وفي كل مكان شرط ان لا تتلو الهدنة اية هزة اقتصادية او بطالة عامة ـ والجدير بالذكر ان معاداة السامية النازية هي ذلك النوع الذي تنظمه الحكومات وتستخدمه كسلاح للهجوم الاقتصادي والامبريالي . ولكن كثيرا مما نسميه لاسامية معتدلة مقارنة باللاسامية الافنائية القاتلة ، والذي كنا نسميه في الاوقات العادية تحاملا، سيبقى عاملا ثابتا في حياتنا . لقد انهت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة العبودية ولكنها لم تحل مشكلة التمييز العنصري . قد يكون البلد ديموقراطيا بينما يكون شعبه معاديا للسامية ، وتشهد على ذلك حالة بولنده قبل الحرب وجمهورية وايمار الالمانية . فالمساواة السياسية ليست اخوة ، وانه لمن المشكوك فيه ان تكون العواطف الشعبية في البلدان الاوروبية تؤيد تحرير اليهود. ويبدو ان المساواة جاءت نتيجة غير مباشرة للنظريات السياسية الحديثة ومبادىء حقوق الانسان والتي من المفروض ان تطبق باستمرار ولذلك كان يجب ان تشمل اليهود .

ليس هناك احتمال ان تصبح اميركه فاشية ولكن الفاشيين الاميركيين الذين سيبقون معادين للسامية دائما سيتكاثر عددهم حتى يجد زمن كعصرنا توازنه الاقتصادي والسياسي بعد التغييرات الكبيرة التي اصابته نتيجة لثورة التكنولوجيا . ان هذه الفترة الفارغة روحيا والتي ستبقى مشحونة بالاخطار والمآسي للجنس البشري ستدوم الى ما بعد جيلنا الحاضر .

ما اريد ان اقوله هو ان حياتنا كيهود اميركيين قد اصبحت الآن تعيش التجربة التاريخية اليهودية في ارض الشتات . فقد كنا نعتبر

انفسنا لوقت مضى مختلفين عن الآخرين . ولكن اميركه نفسها اصبحت اقل اختلافا واقل ابتعادا واقل عزلة عن العالم القديم ، لم تعد اميركه كما كانت تلك البلاد البعيدة الواقعة على حافة المحيط الشاسع ، بل اصبحت الآن قلب العالم ، واصبحت كذلك مندمجة مع المصير الانساني المشترك سياسيا واقتصاديا وثقافيا . وكذلك فان اليهود والاميركيين بدأوا يشاطرون ولو مرغمين المصير المشترك الذي لا مفر منه لاخوانهم اليهود في بقية انحاء العالم . هناك قاعدة ظلت صحيحة طيلة تجربة شعبنا التاريخية وهي اننا في الاوقات السياسية العادية والاستقرار الاقتصادي والسلام والازدهار لا نتضايق كثيرا . ولكن عندما تسوء الظروف وتصبح غير مستقرة لاي سبب فذلك يشكل تهديدا مفاجئا وخطيرا علينا .

سنبقى مشغولين لفترة بعد الحرب في ازالة آثار الدعاية النازية السامة ، وسنكون مشغولين في تطهير العقل الانساني ، وان مثل هذا العمل لا يستهان به . بعد ذلك سنخطو نحو العمل الضروري لازالة التحامل « العادي » بدون بذل وقت وفكر كثيرين على الموضوع ومن ثم سنركز اهتمامنا على الامور البنّاءة في الحياة اليهودية .

كثيرا ما كان حكماؤنا يوبخونا كي لا نهتم بالريح كثيرا لئلا نفشل في البذار ولا ان نولي الغيوم اهتماما كبيرا لئلا نفشل في الحصاد .

سنتوقف عن محاولة ايجاد حل لعداء السامية وسنلائم انفسنا مع الظروف . وطبعا سنتحالف مع جميع العناصر في شعبنا التي تعمل من اجل حفظ القيم الاساسية للديموقراطية الاميركية . سنكون جزءا من الكل الذي يحيط بنا وسنساهم بمقدار ما يسمح لنا في الحياة العامة ، وسنستمر في مقاومة قوى الظلام والتفكك في بلادنا . واننا لن نتخلى عن الامل في المستقبل الذي سيحقق عمليا ما تم التنبؤ به ، ولكننا سنفكر بذلك بأمل يشبه فكرة المسيح المنتظر بين شعبنا الذي هو مزيج من الامل والشك . سنتصرف كشعب نضج نهائيا ، وهو لا يحاول ان يهرب الى الوهم او الغرور الذاتي .

دافيد بن جوريون (١٨٨٦ ـ) David Ben-Gurion

دافيد بن‌جوريون زعيم صهيوني‌ومؤسس دولة اسرائيل‌وقائدها طيلة خمسة عشر عاما. ولد في بلونسك‌ببولنده في ١٦ تشرين‌الاول(اكتوبر) ١٨٨٦ ودرس في‌مدرسة دينية فيها وانضم الى الحركة الصهيونية منذ صغره وجاء الى فلسطين في العام ١٩٠٦ وفي نفس السنة عمل رئيسا للمؤتمر التأسيسي لحزب « بوعالي صهيون » اي « عمال صهيون » وكان قد انتخب قبل ذلك عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب . درس القانون في جامعة القسطنطينية في‌الفترة ما بين ١٩١٢ ـ ١٩١٤ وعاد الى فلسطين لكن الحكومه التركية ابعدته في العام ١٩١٥ فسافر الى الولايات المتحدة وهناك نشط في تنظيم الحركة الصهيونية العمالية واسس فيها منظمة « هيهالوتز » وساهم كذلك في تنظيم حركة التطوع الى الفيلق اليهودي الذي وضع تحت امرة الجنرال اللنبي وعاد الى فلسطين في العام ١٩١٨ جنديا في هذا الفيلق وكان من بين القادة العماليين الذين اسسوا حزب « احدوت هاعفودا » اي حزب « وحدة العمل » في العام ١٩١٩ والماباي في العام ١٩٣٠ ، كما كان امينا عاما للهستدروت في الفترة ما بين ١٩٢١ ـ ١٩٣٥ ورئيسا للجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية وللوكالة اليهودية في الفترة ما بين ١٩٣٥ ـ ١٩٤٨ . وفي العام ١٩٤٢ تبنّت المنظمة الصهيونية العالمية بمبادرة من بن جوريون « برنامج بلتمور » الذي حدد خط سير الحركة الصهيونية بعد الحرب ورسم توجهها الفعلي لانشاء دولة اسرائيل . لعب بن جوريون دورا بارزا في استصدار قرار التقسيم‌من الامم‌المتحدة‌في‌العام١٩٤٧ . عين بن‌جوريون في نيسان(ابريل)١٩٤٨ رئيسا لحكومة اسرائيل المؤقتة ومسؤولا عن الامن والدفاع فيها ، وفي ١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨ اعلن قيام دولة اسرائيل . وهو لا يزال عضوا في الكنيست الاسرائيلي منذ تأسيسه . شغل بن جوريون منصب‌رئيس‌الوزراء ووزير الدفاع في‌الفترة ما بين ١٩٤٩ ـ ٤ كانون‌الثاني (يناير) ١٩٥٣ حين استقال من جميع مهامه الحكومية ، ولكنه عاد وزيرا للدفاع في العام ١٩٥٥ ثم تسلّم بالاضافة اليها رئاسة الوزارة حتى العام ١٩٦٣ وكان في نفس الوقت القائد الفعلي لحزب الماباي ولكنه انشق عنه في العام ١٩٦٥ وشكل حزبا آخر هو حزب رافي . ولبن جوريون عدة كتب من بينها « اسرائيل : سنوات التحدي » وكتاب « بعث اسرائيل ومصيرها » . لقد ارتبط اسم بن جوريون مع جميع الاحداث التي وقعت في فلسطين منذ العام ١٩٣٥ وحتى ١٩٤٨ والاحداث التي وقعت في اسرائيل بعد ذلك وحتى استقالته في العام ١٩٦٣ .

متطلبات الثورة اليهودية (١٩٤٤)

ارى انه من المتوجب عليّ ان اخبركم في بدء حديثي بانكم لستم وحدكم مدعوون يا زعماء الشباب المجتمعين هنا اليوم ، بل ان كل فتى

وفتاة في ارض اسرائيل مدعو لتأدية اصعب مهمة ليس في تاريخ شعبنا فحسب بل ربما في تاريخ البشرية ككل ! ان المسؤولية التي القيت على عاتق جيلكم هي الولاء غير المشروط للحياة والموت .

ليست الثورة اليهودية الاولى ولا الوحيدة في تاريخ العالم ولكنها الاصعب . لقد قامت في العالم عدة ثورات عظيمة ، يكفي ان نذكر الثورة الانجليزية في القرن السابع عشر والثورتين الاميركية والفرنسية في القرن الثامن عشر والثورة الروسية في عصرنا هذا، وستقوم ثورات اخرى ولكن الثورة اليهودية تختلف مبدئيا عن سائر الثورات لذلك فان عملها سيكون اصعب . لقد كانت الثورات ان في الماضي او في الحاضر عبارة عن انتفاضات ضد نظام ، او كيان سياسي او اجتماعي او اقتصادي ، اما ثورتنا فهي موجهة ليس ضد النظام فحسب ولكن ضد القدر ايضا ، ضد قدر فريد لشعب فريد . لا يوجد في تاريخ اية امة ما يوازي مصير اليهود الفريد من نوعه وحياتنا التي كان لها وضع خاص ليس فقط منذ ان بدأت حياة المنفى بل قبل ذلك عندما كنا نعيش في بلادنا . لقد كانت امتنا امة صغيرة تعيش في بلاد صغيرة . كان هناك كثير من الشعوب الصغيرة والبلدان الصغيرة ولكن امتنا كانت امة صغيرة لها روح عظيمة وشعبنا كان يؤمن بأن عليه ان يؤدي رسالته الرائدة للعالم اجمع ، تلك الرسالة التي بشّر بها جميع انبياء اسرائيل . اعطى هذا الشعب للعالم حقائق ووصايا ازلية اخلاقية عظيمة . وقد ارتفع هذا الشعب الى مستوى الوحي النبوي حول وحدة الخالق مع خلقه وحول كرامة الفرد وقيمته اللامتناهية. (لان كل انسان يخلق على صورة الاله) وحول العدالة الاجتماعية والسلام العالمي والمحبة ـ « احب جارك كما تحب نفسك » (١) ـ لقد كان هذا الشعب هو اول من تنبأ عن « نهاية الحياة الابدية » (٢) والاول الذي قدر له ان يرى رؤيا المجتمع الانساني الجديد .

وهذه الارض الصغيرة فريدة كذلك ، فتركيبها الجيولوجي والطوبوغرافي ووضعها الجغرافي اعطياها اهمية خاصة في التاريخ البشري . فمنذ بدء تطورها كانت امتنا الصغيرة التي تعيش في بلاد صغيرة محاطة بامبراطوريتين عظيمتين : مصر وبلاد آشور (او بابل) ، ولم يكن هذان البلدان قويين فقط ولكنهما كانا يحملان ايضا مشاعل

---

١ ـ اللاويين ١٩ : ١٨ .
٢ ـ مثلا : اشعياء ٢ : ١ـ٤ .

ثقافات عالية كان لها اكبر الفضل في المساهمة في تأسيس الحضارة البشرية ذلكان منهما كان اختراع الرياضيات والهندسة وعلم الفلك والزراعة المنظمة . كذلك فان كلا الامبراطوريتين تقعان في واديين خصبين يرويهما انهر كبيرة : فمصر يرويها النيل وبابل يرويها الفرات ودجلة . كانت هذه الاقاليم أوطانا لدول قوية وكذلك جاءنا منها تاريخ وشعر وعلوم قيّمة ومهمة لا تزال موضع اعجابنا حتى هذا اليوم . ولا شك انكم قد قرأتم بعضا من هذه الكتب في ترجمة تشيرينكوفسكي (٣) لـ «ملحمة جلجاميش»، وان تكن هذه مجرد نموذج مصغر للتراث الادبي الغني الذي خلفته آشور وبابل ومصر كذلك .

لذلك فقد كان شعبنا الصغير في بلاده الفقيرة يعيش تحت تأثير ضغط دائم من قوة الامبراطوريتين العظيمتين المجاورتين ، امام ثقافته التي كانت تبدو عديمة الاهمية لانها كانت تفتقر الى الثروة المادية والامور الملموسة مع انها كانت غنية وعظيمة في افكارها الانسانية والاخلاقية وفي رؤياها للحياة الابدية «End of Days» العالمية . انه حتى اليوم ، وبعد مرور الفين وخمسمائة سنة وبعد كل التقدم والثورات التي تخللت ذلك لم تبدأ البشرية بعد في الاقتراب من تحقيق هذه الرؤيا .

لقد استطاع الشعب اليهودي ان يحفظ قيمه وآماله المتنبأ له بها والتي استطاعت بدورها ان تحفظ هذا الشعب اليهودي . كانت هذه العناصر غير الملموسة هي مصدر القوة المعنوية التي مكنتنا من الصمود في وجه الامبراطوريات القوية على حدودنا ومن حفظ شخصيتنا المميزة. كما كان وضع الشعب اليهودي الفريد هو القوة التي تركت اثرها على تاريخ الانسان والتي تمكن هذا الشعب بواسطتها في ان يستمر كقوة مبدعة في عالم اليوم . لقد تطلب حفظ استقلالنا السياسي والقومي والثقافي والاخلاقي جهودا بطولية ، والجدير بالذكر اننا قد تكبدنا خسائر فادحة خلال كفاحنا الطويل لحفظ ذاتنا وقيمنا .

هذا وقد استسلم كثير من اليهود. بعد قرنين من النفي كان من الممكن ان لا يكون عددنا قليلا الى هذا الحد لولا عاملان : الافناء والتنصر ، اللذان تخللا حياتنا منذ بدء المنفى . ذلك ان كثيرا من اليهود لم يستطيعوا ان

---

٣ ـ شاوول تشيرنيكوفسكي (١٨٧٥ ـ ١٩٤٣) : شاعر عبري مشهور كانت آراؤه تشبه آراء بيرديشيفسكي (ص ١٨١) . ترجم عدة ملاحم من الآداب الكلاسيكية المختلفة الى العبرية .

يتحملوا الاحتقار والاضطهاد والطرد المستمر ، كذلك لم يستطيعوا تحمل الخوف الذي كان يهددهم دائما . كان ينقصهم الكثير من القوة على مقاومة اغراء النظام السياسي والحضاري والديني القائم والذي كان يدعو للاممية ويعد بالسلام والغنى لاي شخص ما عدا اليهود . صحيح ، ان افرادا قد استسلموا وتركوا صفوفنا ـ ولكن الامة ككل لم تستسلم ولم تيأس .

ليس في تاريخ العالم ظاهرة غريبة اكثر من ظاهرة مقاومتنا خلال القرون الماضية . ان البطولة صفة عامة توجد امثلة عنها في اخبار كل امة قديمة كانت ام حديثة . ففي عصرنا هذا اظهر الملايين بطولات فائقة خلال الحرب العالمية الثانية ولكن لا يوجد عبر تاريخ البشرية ما يمكن مقارنته بقوة مقاومة شعبنا وبصلابته التي لم تهتز طيلة القرون. ان كثيرا من الامم بما في ذلك اليهود قد واجهت مصير الاقتلاع والنفي من الوطن ، ولكن الآخرين اختفوا دون اي استثناء عن مسرح التاريخ بعد بضعة عقود من نفيهم . اما اليهود فهم المثل الوحيد على شعب صغير عاش منفيا ومكروها ومع هذا استطاع ان يصمد ولم يستسلم منذ ثورته ضد اضطهاد هادريان حتى ثورات حارات اليهود الانعزالية في وارسو ولوبلين وبياليستوك . ان اهمية التاريخ اليهودي في بلاد المنفى تكمن في مقاومة شعب صغير لاعداء كثيرين واقوياء عبر قرون عديدة ، انها تكمن في رفض هذا الشعب ان يستسلم للقدر الذي انزله به التاريخ .

اذن، ما هو معنى ثورتنا اليهودية المعاصرة، هذه الثورة التي قامت بها طلائع عصر الانبعاث اليهودي في هذه البلاد الصغيرة ضد القدر وذلك طيلة الاجيال الثلاثة الماضية ؟ لقد كان تاريخنا في بلاد المنفى عبارة عن مقاومة القدر ، لكن اذا كان الامر كذلك ، فما هو الجديد في مضمون ثورتنا المعاصرة ؟ ان هناك فارقا اساسيا : لقد عرف الشعب اليهودي في بلاد المنفى شجاعة عدم الاستسلام في وجه جميع المكائد وفي وجه المحاكم التي كانت تنتهي بعقوبات حرقهم او دفن العشرات والالوف منهم احياء كما هو الحال في يومنا الحاضر . ولكن صانعي الثورة اليهودية المعاصرة يؤكدون ما يلي: ان مقاومة القدر لا تكفي ؛ يجب علينا ان نتغلب على هذا القدر حتى يصبح ملك ايدينا ! هذه هي عقيدة الثورة اليهودية ـ ليس فقط عدم الاستسلام للمنفى ولكن انهاء هذا المنفى .

المنفى يعني الاتكال ـ الاتكال السياسي والمادي والروحي والثقافي والفكري ـ وذلك لاننا غرباء واقلية محرومة من الوطن ومقتلعة ومبعثرة

عن الارض وعن العمل والصناعة الاساسية . واجبنا هو ان ننفصل كليا عن هذا الاتكال وان نصبح اسياد قدرنا ، علينا ان نستقل . ان تحملنا واستمرارنا في العيش في بلاد المنفى رغم كل المصائب لا يكفي ، علينا ان نخلق بجهدنا الخاص الظروف الضرورية لحياتنا في المستقبل كشعب حر مستقل .

ان معنى الثورة اليهودية يكمن في كلمة واحدة : الاستقلال ! الاستقلال للشعب اليهودي في وطنه ! فالاتكال لا يكون سياسيا او اقتصاديا فحسب ولكنه اخلاقي وثقافي وفكري ، يؤثر على كل عضو وعلى كل عصب في الجسم وعلى كل عمل ارادي او لا ارادي. والاستقلال يعني اكثر من الحرية السياسية والاقتصادية فهو يشمل ايضا المجالات الروحية والاخلاقية والفكرية ، انه استقلال في القلب وفي العواطف وفي الارادة . ومن هذا المعنى الجوهري للحرية ستنشأ اشكال اخرى من الاستقلال في حياتنا وفي نظامنا الاجتماعي وفي علاقاتنا مع الشعوب وفي تركيبنا الاقتصادي . وبالاضافة لذلك فان استقلالنا سيتحقق عن طريق العمل واستغلال الارض وعن طريق توسيع افق لغتنا وثقافتنا واتمام اساليب حكمنا الذاتي ودفاعنا عن انفسنا وخلق الاطار والظروف المناسبة لاستقلالنا الوطني وابداعنا ، واخيرا عن طريق الحصول على استقلالنا السياسي . هذا هو جوهر الثورة اليهودية .

ان ما يجعل هذه الثورة تختلف عن غيرها هو عدم وجود اية علاقة لها مع اي نظام قائم ، ومأساة اليهود هي اننا لسنا جزءا من اي نظام . ان ثورة موجهة ضد نظام اجتماعي محدد تنجح لانها بتوجيه ضربة الى هذا النظام تستولي على الحكم ومن ثم تستخدم سلطتها من اجل تحقيق تغيير النظام الاقتصادي والاجتماعي القائم . اما ثورتنا اليهودية التي هي ضد القدر المحتم علينا فيجب ان تكون نضالا مستديما ومتواصلا وتجنيدا لجيلنا وللذين سيأتون من بعدنا . هذا وان نجاح هذه الثورة لا يتم عن طريق الاستيلاء على الحكم ولكن فقط عن طريق التجميع البطيء للقوى التي تؤدي الى الاستقلال والتي ذكرت سابقا وعن طريق تحلينا بالصلابة التي لا تلين من اجل تغيير مصيرنا القومي . وان هناك وسيلتين فقط لتحقيق هذه الغاية هما : تجميع المنفيين والاستقلال في الوطن .

والثورة اليهودية لا تعمل في فراغ ، ان كلا من فلسطين ويهود العالم هما جزء من نظام معقد من العلاقات الاجتماعية التي هي وراء حدود

سيطرتنا ولكنها تستمر في التأثير على حياتنا رغم كل جهودنا للسيطرة على مصيرنا وعلى جهدنا لنكون مستقلين . والمسرح الدولي مشحون بالاخطار الداخلية والخارجية التي تهدد ثورتنا اليهودية . وان لبعض هذه القوى تأثيرا مباشرا على المهمات التي تواجه جيل الشباب ولذلك سأحاول التحدث عنها .

ان الثورة اليهودية تحدث في عصر ثوري ، هذه الحقيقة تشكل مصدرا للخطر ، وان الاخطار التي تنجم عنها رغم عدم ظهورها هي اخطار حقيقية وعميقة .

هل يعتمد نجاح ثورتنا على انفسنا ، على امكاناتنا الضئيلة ام على القوى العظيمة الثائرة في العالم ؟ ان اي خطر يهددنا لا يكون من اعداء اهداف ثورة الشعب اليهودي العلنيين مع ان مثل هؤلاء الاعداء غير المهمين نسبيا يجب ان يحسب حسابهم . ان هناك بعض الخطر من عملاء الدول الاجنبية اليهود الذين هم عبارة عن وسطاء للشعوب والثقافات الغريبة ، والذين كانوا يسمون في العصور الغابرة « خونة العهد » ويعرفون في يومنا هذا بال « يفسيكتزيا » (وفي بلادنا يعرفون باسم «الجماعة») (٤) ، ولكن اعتمادهم الكلي على القوى الاجنبية يضعف من فاعليتهم ، وكونهم قد خدموا كعملاء للاجانب دون خجل يضعف من تأثيرهم في شعبنا . **ومصير الثورة اليهودية سيتحدد عن طريق قواها الداخلية .**

وعلى اي حال ، فان هنالك خطرا يهدد دعاة الثورة اليهودية انفسهم وهو ان قدرتهم على **الحكم المستقل** على القوى التي تحدد مستقبلنا قد تضعف وبالتالي يفقدون ثقتهم في قدرتنا على ان نكون العامل الحاسم والمركزي في صياغة المستقبل او على الاقل في صياغة عالمنا الصغير . اننا نواجه خطر احتقار الذات وذلك لاننا قلائل وضعفاء بالنسبة للقوى

---

٤ ـ يفسيكتزيا = منظمة شؤون اليهود ضمن دائرة الشعب لشؤون القوميات بعد الثورة البولشفية في روسيه . وقد انحلت في العام ١٩٣٠ ، ولكن الاشارة هنا هي للسياسة التي كانت تتبعها والتي استمرت فيما بعد وهي : فرض الفكر الشيوعي بالقوة على يهود روسيه وكبت الدين واللغة العبرية والصهيونية كذلك . «الجماعة» هو اسم سابق للحزب الشيوعي في فلسطين .

الكبيرة في العالم اذ نواجه خطر ان نفقد تقديرنا لمنجزاتنا وانتصاراتنا بالنسبة للاعمال العظيمة التي قامت بها تلك الامم التي تحكم القارات والمحيطات . مثل هذه الاخطار قد تغري بعضنا على تعليق آمالنا على «موجة المستقبل» ـ اي ان لا نعتمد على طاقاتنا بل على قوى خارجة عن انفسنا . وبكلمة ، هناك خطر بأن نوجه انفسنا بحسب « موجة مستقبل الآخرين » .

ان موضوع التوجيه Orientation ليس جديدا . اذا فتحنا التوراة نقرأ نقاشا بين ارميا (الاصحاحان ٤٢ـ٤٣) والقائد يوحانان ، ابن قاريح، والقائد يزنيا ، ابن هوشعيا (وقد لا يكون حتى هذا هو اول نقاش في التاريخ اليهودي حول «التوجيه») . لقد طلبوا الى النبي : «ليخبرنا الرب عن الطريق الذي نسير فيه والامر الذي نفعله» . وقد اجاب ارميا : « ان كنتم تسكنون هذه الارض فاني ابنيكم ولا انقضكم واغرسكم ولا اقتلعكم ... لا تخافوا ملك بابل » . ولاولئك الذين قالوا : « لا بل الى ارض مصر نذهب حيث لا نرى حربا ... ولا نجوع للخبز وهناك نسكن » اجاب النبي : « ان كنتم تجعلون وجوهكم للدخول الى مصر وتذهبون لتتغربوا هناك يحدث ان السيف الذي انتم خائفون منه يدرككم هناك في ارض مصر والجوع الذي انتم خائفون منه يلحقكم هناك في مصر فتموتون هناك... وتصيرون حلفا ودهشا ولعنة وعارا ولا ترون بعد هذا الموضع » . كان هذا اول تعبير عن المبدأ اليهودي في الاعتماد على النفس وهو جديد وجريء .

لا يزال الجدل مستمرا . ليس الموضوع هو ما اذا كان يجب ان نتطلع الى قوى الماضي او الى قوى المستقبل، فالحاضر والمستقبل تعبيران نسبيان في التاريخ ، فما كان يعتبر في الماضي موجة المستقبل يمكن ان يعتبر رجعيا اليوم، وما كان يعتبر عديم الفائدة البارحة يمكن ان يصبح قوة عظيمة للغد .

القضية الحقيقية هي الآن كما كانت في الماضي ، انها تكمن في ما اذا كان علينا ان نعتمد على قوة الآخرين او على قوتنا . ان كلا الاتجاهين يجد انصارا بين دعاة الثورة اليهودية . ولاننا شعب صغير وضعيف وقليل عدديا، فان الدول والحركات الكبيرة تسحرنا وتعمينا وتقلل ثقتنا بانفسنا .

لقد كنا دائما دولة صغيرة ولن نصبح كثيري العدد . حتى في زمن اشعياء كان اليهود دولة ضعيفة محاطة بالامم العظيمة التي كانت تفوقنا من ناحية القوة والعدد ، ومن الناحية الثقافية والعلمية ايضا . ان اي مثقف كان يعيش في ايام الانبياء وعلى اطلاع على ثقافات الامم القوية والغنية المحيطة بنا ـ والجدير بالذكر ان الانبياء كانوا من هذا النوع من

المثقفين ـ كان لا بد وان يعتمد على ايمان عميق برسالة اسرائيل وبوضعها الخاص لكي يظل مؤمنا بيهوديته . لقد كان جيراننا يجهلون العبرية وكانوا يتكلمون اللغات المصرية والبابلية ، وبالرغم من هذا فان هوشع وميخا قد كتبا بالعبرية التي كانت لغة محلية تتكلمها جماعة قليلة من الناس وقد اصبحت كتاباتهما خالدة وترجمت الى مئات اللغات وانتشرت في مختلف انحاء العالم اكثر من اي كتاب آخر .

ان جميع الذين اعتمدوا على قوة بابل ومصر واليونان وروما اصبحوا منسيين واختفى كل اثر لهم . اما كتابات وتنبؤات اولئك الذين حافظوا على ايمانهم باسرائيل بالرغم من فقرها وضعفها فقد استمرت ذكراهم الى يومنا هذا وقد تركوا آثارهم على الحضارة كلها . مثل هذا « التوجيه » نحو دولة ضعيفة ولكن مستقلة والايمان برسالتها وبوضعها الخاص جعل الشعب اليهودي يعيش الى اليوم ويصل الى هذه النقطة. وحتى في عصرنا هذا ، اذا ما كنا قد انجزنا اي شيء في وطننا ـ ولقد انجزنا شيئا ـ فان تلك المنجزات اصبحت ممكنة بفضل الايمان الذي في نفوسنا . والعشرون شابا الذين اسسوا اول كيبوتز (٥) على ضفاف الاردن قبل ثلاثين سنة قد فعلوا من اجل الانسانية والتاريخ اليهودي ومن اجل الحركة العمالية اليهودية والاممية اكثر مما فعله جميع الاشتراكيين اليهود والثوريون الذين كانوا يلهثون وراء عربات الثورة في البلدان العظيمة وكانوا يسخرون من رواد اسرائيل وجهودهم « غير المهمة والغريبة » . ومع ذلك فان انجاز رواد الثورة اليهودية المتواضع والمبني على ايمانهم بانفسهم وبرسالتهم اصبح اليوم المرساة الوحيدة والمنارة التي تهدي الباقين من اليهود ، والمثل لمئات الآلاف من شبابهم في كل مكان . وانني على يقين بان ذلك سيصبح نموذجا للحركة العمالية في العالم .

وعلى اي حال ، فاننا سنبقى نواجه خطر التأثيرات الاجنبية ما دمنا ضعافا وقليلي العدد ، فحكمة الرجل الفقير تكون دائما موضع شك . وما لم نؤمن بوجوب استقلالنا ونرى في انجازاتنا الهدف الرئيسي لجهودنا ـ مع انها تشكل حلقة واحدة فقط في سلسلة الثورة العالمية ، ولكن هذه هي

---

٥ ـ هذه الملاحظة هي هجوم واضح ، وان يكن مبطنا ، على الاشتراكيين الذين يقفون على يساره بقيادة منظمة هاشومير هاتزعير التي كانت تضم اولئك الذين يعيشون في المستعمرات التعاونية (الكيبوتز) التي كانت نزعتها السياسية صهيونية مؤيدة لروسيه .

الحلقة التي تشمل مصيرنا ومستقبلنا ـ فان الثورة اليهودية لن تتحقق .

لذلك فان اول ما تتطلبه الثورة اليهودية هو المحافظة على استقلال حركتنا وحريتها الاخلاقية والفكرية الداخلية . نعم ، يجب ان لا نتجاهل او ان نقلل من قيمة ما يحدث في العالم الخارجي ويجب ايضا ان نتفهم القوى العظيمة والحركات الثورية التي تشكل مصير العالم . ولكننا لا نستطيع ان ننسى ولو للحظة بأن الثورة اليهودية تستطيع ان تنجح فقط من خلال اخلاصنا لحاجاتنا ومصيرنا الفريد ، ومن خلال اتكالنا على قوتنا الذاتية وبذلنا جهودا جبارة لزيادة قوتها **وجعلها موجة المستقبل** . يجب ان لا نجرؤ على ان نحيد عن سياسة الاعتماد على النفس هذه وعن الرغبة في ان نجعل من انفسنا موجة المستقبل ـ موجة لمستقبل الشعب اليهودي وارض اسرائيل التي ستولد من جديد لتجذب اليهود اليها وتجعل الشعوب الاخرى يحسبون حسابها في تقديراتهم السياسية والاجتماعية . واذا ما انحرفنا عن هذا المبدأ الاساسي نكون قد حطمنا الثورة اليهودية ومستقبلنا كشعب .

ان الخطر الحقيقي الذي يهدد هو ، كما قلت ، ليس فقط ذلك الذي يأتي من « خونة العهد » ولكن ايضا من بعض محرّكي الثورة الاوائل الذين ليس لديهم اخلاص لا يعرف المساومة ، الذين لا يرتبطون بحاجات الثورة اليهودية ومتطلباتها دون اية صفات ايديولوجية او اخلاقية او سياسية .

اما ثاني عنصر لا يمكن الاستغناء عنه من متطلبات الثورة اليهودية فهو **وحدة دعاتها** . ان هذا الاشتراك في النضال وفي المصير الواحد والعمليات المبدعة هو الذي يوحد الطليعة ـ التي تتكون من الرواد ، من مشيّدي الوطن ، من عمال ارض اسرائيل الذين يعملون لوحي رؤيا الانبعاث اليهودي على اسس انسانية وصهيونية واشتراكية . ان العمل وفلاحة الارض والاعتماد على النفس وتطوير اللغة العبرانية والثقافة العبرانية وحرية الفرد والمسؤولية التعاونية والاشتراكية والتحضير لهجرة اكثر وتكوين امة من جميع اولئك الذين يجيئون من اماكن مختلفة في الشتات ـ ان هذه الاغراض يؤمن بها نظريا وتطبيقيا جميع اولئك المخلصين لثورتنا . هذه القيم تجعل اتحادهم ممكنا وواجبا . هذا والثورة اليهودية على درجة من الصعوبة لا مثيل لها فاذا لم يكن هناك تعاون ووحدة فسوف تفشل اذ بدون هذه القوة الداخلية لا نستطيع ان نأمل في تفجير طاقاتنا المبدعة كلها . ان مثل هذه الوحدة فقط هي التي تساعدنا على الوقوف في

وجه العقبات والنكسات وتجعل ارتفاع الفرد والمجتمع الى مستوى المسؤولية امرا ممكنا .

ان الوحدة هي ما تتطلبه رسالتنا وما يلزم مصيرنا . ولكن الوحدة هي من القيم التي نقدسها على صعيد نظري فقط ونحتقرها على صعيد التطبيق . قد نكون الآن في طور محاولة تثبيت انفسنا في ارض الوطن والعمل من اجل خلق حياة مستقلة فيه ، ولكن عادات التفرقة والفوضى التي ترسخت فينا عبر مئات السنين من النفي والخضوع لا يمكن تصحيحها بسهولة . ان الانشقاقات لا تظهر بين (اليشوف) الجالية اليهودية في فلسطين فحسب ، لانه حتى بين صفوف المزارعين الرواد (Halutzim) الذين اظهروا مقدرة لا توصف في العمل من اجل الوحدة ، حتى هؤلاء بدأوا بالانشقاق ثم تبعهم في ذلك منظمة الهيهالوتز (٦) اولا وحركة الكيبوتز ثانيا والحزب نفسه اخيرا . وفي الوقت الذي يطلق فيه العنان لهذه القوة المخربة ، فان الهستدروت والمنظمة الصهيونية العالمية او اية هيئة تضم اليشوف والشعب اليهودي لن تكون في منأى عن ضررها . فأولئك الذين يريدون الاساءة الى منظمة الهيهالوتز او الى الحزب لن يكون لديهم رادع عن تدمير وحدة حركة الكيبوتز والهستدروت (٧) .

ان الهيهالوتز هي مجرد مختبر للثورة اليهودية الخلاقة، كما انها تساعد ايضا على ايجاد العمل وتحقيق الانبعاث القومي . وتجزئة وشق الهيهالوتز سيؤدي الى تجزئة وشق حركتنا كلها. اذا لم تكن هناك اية امكانية او حاجة لهذه المنظمة التي تمثل اتحادا لجميع عمال ارض اسرائيل فان الهستدروت المتحد يصبح مستحيلا وغير ضروري، فأولئك الذين لا يستطيعون العمل مع بعضهم بعضا في الهيهالوتز لن يكون باستطاعتهم ان يتعاونوا في الهستدروت . اذا لم تقبل كل من طيرت تسفي وعين هارود بعضهما بعضا

---

٦ ـ هيهالوتز : منظمة عالمية غير سياسية هدفها تنمية حركة الرواد الى فلسطين . انشئت في العام ١٩٢٤ على اثر اجتماع عقد في دانزيغ في بولنده .

٧ ـ هستدروت : هو الاتحاد العام للعمال في فلسطين ، وقد انشىء هذا التنظيم في العام ١٩٢٠ ، ولا يزال يعتبر اكبر تنظيم غير حكومي في اسرائيل ، ويسيطر عليه الماباي ، الحزب الديموقراطي ـ الاشتراكي الذي يرأسه بن جوريون ، مع انه يضم اقلية يسارية لها ولاء لحزب مابام وحزب احدوت هاعفودا .

كتعبير صحيح عن الروح الرائدة ، فهل نكون عند ذلك متأكدين من دجانيا او كنيريت او حتى من ياجور ومشمار هاعمق ؟ اذا ما اراد كل نوع من المستعمرات وكل جناح ايديولوجي ان يكون له منظمة خاصة به ، يصبح اتحادهم في الهستدروت العام مجرد خرافة وخداع . لان قيام هيهالوتز لكل كيبوتز وجناح في الشتات هو التمهيد لتشكيل هستدروت منفصل لكل نوع من المستعمرات الزراعية والاجنحة العقائدية في الوطن ، واولئك الذين يعتبرون مثل هذه السياسة سليمة في الشتات لا يستطيعون التهرب من نتائجها في ارض اسرائيل .

تستعمل النزعة الانفصالية التي اظهرت نفسها في بلادنا ، تعبيرا اجوف كشعار لها وهو « من اصل بروليتاري » . هذا المبدأ غريب كليا عن روح الثورة اليهودية وجوهرها . لان ما سيقرر مصير ثورتنا ليس **الاصل** بل **الرسالة** ، وليس « من اين » بل « الى اين » . ان الشعب اليهودي ليس شعبا بروليتاريا وليس للبروليتاريا ابناء عندنا لتأمين نجاح ثورة بروليتارية . ولما كانت رسالة الثورة اليهودية هي **تحويل** الشعب اليهودي الى شعب **عامل** ، لذلك ، فان ثورتنا تتقدم بمطاليبها ليس اليكم يا زعماء الشباب الذين تجتمعون هنا بل الى كل شاب من ابناء شعبنا . **ان ما يحدد طريقنا ليس اصلنا او ماضينا بل رسالتنا ومستقبلنا** . والخط الفاصل ما بين ماضينا وحاضرنا يمر في الهيهالوتز ، اي في الانتقال الى حياة منتجة . انه الورشة التي تتشكل فيها وحدتنا الثورية ، ومن ثم يمكن ان نلمس تأثير تلك الوحدة وآثارها في اعمالنا ، في جهودنا من اجل الهجرة ومن اجل تأمين العمل واعادة اعمار البلاد وزيادة قوانا العاملة في الموانىء والمصانع ومن اجل نشر اللغة العبرية ، وكذلك في الكفاح من اجل ايجاد ظروف عمل محترمة وحقوق قومية وامن ، وفي بناء اقتصاد حديث ومجتمع حديث واخيرا في تحقيق الحرية والمساواة والكرامة والاستقلال . ان تأمين الهجرة اليهودية (بأية وسيلة كانت) وتخليص البلاد واعادة اعمارها والقتال من اجل النصر لن يتحقق سوى عن طريق عملنا المشترك في هيهالوتز واحد وحزب صهيوني ـ اشتراكي واحد وفي جالية يهودية متحدة وفي منظمة صهيونية عالمية غير منقسمة .

لا تتطلب الثورة اليهودية اشتراك عمال اسرائيل المنظم وغير المفكك فحسب ، بل تريد تعاونا مشتركا بين العمال والامة فقد ثبت ان ما حققناه حتى اليوم من بعث القوة في شعبنا وفي الحركة العمالية ، وفي ايجاد

العمل ، والعودة الى التربة والبحر ، كان صعبا وباهظ الثمن وقد نجحنا فيه فقط لان الرواد الثائرين في اسرائيل والشعب اليهودي ككل ساروا في العمل بكل اخلاص يدا بيد . ان هذا التعاون قائم على ارتباط تاريخي ذي اتجاهين هما صلة الشعب اليهودي بعماله الرواد وصلة هؤلاء الرواد بشعبهم . فمن يسبب الأذى لقضية الطبقة العاملة باسم المصالح العامة للشعب هو غير صادق لارادة الشعب وحاجاته. وكل من يتساءل عن سلطة الامة النهائية ككل باسم الاستقلال الطبقي للعمال ينفي بذلك الرسالة التاريخية للعمال اليهود ويقلل من طاقتها الدينامية . ان القوة التاريخية للعامل اليهودي ليست لها جذور في واقعه الحاضر وفي منجزاته ـ هذه قوة سطحية فقط ـ ولكن في المخازن المخبأة لشعبنا المشتت وفي قدراته التي لم تفجر . اننا نستطيع ان نكتسب القوة الضرورية لتنفيذ مهماتنا الثورية فقط عندما نجد طريقة لحشد ثروات شعبنا الكامنة .

هناك نوع آخر من التعاون مطلوب من اولئك المخلصين لثورتنا وهو تعاون العمال اليهود مع عمال الامم الاخرى . مثل هذا التعاون يجب ان يبنى على المساعدة المتبادلة وعلى المساواة بين الرجال الاحرار ، لاننا لن نحقق اهداف ثورتنا بالعبودية والاعتماد على الآخرين او بالغربة والفردية او بعزل انفسنا. هذا والمهمة الشاقة التي نقوم بتأديتها على المسرح اليهودي ما هي الا جزء من حركة عظيمة تشمل الانسانية كلها ـ انها حركة الثورة العالمية التي تقوم اهدافها على تخليص الانسان من كل اشكال العبودية والتمييز والاستغلال بصرف النظر عن كون الضحايا اممًا او شعوبا او اديانا او احد الجنسين الرجال او النساء . ان ثورتنا تختلف عن جميع الثورات الاخرى وذلك لان مصيرنا مختلف ولكن هذه الفروقات يجب ان تساعد على الجمع بيننا وبين الآخرين لا الابتعاد عنهم ، لانه مع ان مهمتنا فريدة ، الا ان هناك نقاط التقاء مع الآخرين ، وعلينا ان نعرف كلا من نقاط الخلاف ونقاط الشبه . وبينما نهتم بذاتيتنا الفكرية والاخلاقية علينا ان نستفيد من مشاركتنا الدولية مع صانعي الثورة العالمية ، اي مع عمال جميع الامم ، ولكن هذه يجب ان تكون مشاركة الند للند ـ مشاركة متساوية ليس في القوة ولكن في الحقوق والكرامة . نحن قليلو العدد ومنجزاتنا هزيلة وامتنا ضعيفة وبلادنا صغيرة . بينما هناك بين الشعوب الاخرى امم عظيمة قوية مخيفة تحكم اجزاء واسعة من العالم . ولكننا مع هذا متساوون معهم في الحقوق والكرامة وذلك لان علينا كذلك واجب نؤديه للثورة العالمية ، وان هذه المشاركة ـ ولن نقبل باي علاقة اخرى غير علاقة

المشاركة ـ ستكون عديمة الفائدة ما لم نكن نتمتع بحقوق وكرامة مساوية لحقوق الآخرين وكرامتهم . وعلينا ان لا نقلل من قيمة الكم ـ ففي الاعداد الكبيرة تكمن القوة ـ ولكن العدد ليس كل شيء . فان مملكة يهودا الصغيرة لم تقدم للانسانية اقل من مصر او بابل او رومه . ولم ينشف مصدر ابداعنا . ومن يدري ، فربما يكون مقدرا لمملكة يهودا التي ستولد من جديد ان تؤدي دورا عظيما وهاما في عالم الغد . لان ما قدمته اسرائيل للعالم عندما كانت تعيش في ارضها لم يقم به اولئك اليهود الذين كانوا يعملون في مصر وبابل ورومه ولكن قام به اولئك الذين بقوا مخلصين لذاتيتنا . واذا ما كان مقدرا لنا ان نساهم مرة اخرى في مضمار الحضارة الانسانية، فان ذلك سيتم فقط عن طريق اولئك الذين يحافظون على ولائهم للثورة اليهودية والروح اليهودية . هذا وان دجانيا واحدة لتساوي اكثر من اي يفسيكيتزيا (الفرع اليهودي في الحركة الشيوعية) ودعاة الاندماجية في العالم .

اما ثالث ـ وربما اهم ـ ما تتطلبه الثورة اليهودية فهو : الهالوتزيوت (٨) . ها نحن نقرب من نهاية الحرب . مدينة بعد مدينة ومقاطعة بعد مقاطعة يتم تحريرها ، ولكن اليهود لا يشاطرون الآخرين هذه الافراح وذلك لان معظم يهود سكان المناطق المحررة حديثا ، قد محوا عن الوجود ، وتم تدمير المصدر الذي تعتمد عليه الثورة اليهودية في قوتها ، فقد تم القضاء على الجماهير اليهودية التي عليها نعتمد في جهودنا للثورة ، ولقد قضي على يهود بولنده وليتوانيه وغاليسيه .

نحن الآن ، اكثر من اي وقت مضى ، بحاجة الى قوة مخلصة ورائدة. ان صحراء بلادنا تنادينا وفناء شعبنا يستصرخنا . ولكي ننقذ من تبقى ـ ونحن جميعا الآن نشكل البقية بما في ذلك جاليتنا هنا في ارض اسرائيل ـ فان عملنا يجب ان يتم ضمن خط محدد . فالمهمات الملقاة امامنا بحاجة الى جهود رائدة لم نعرف شبيها لها . علينا ان نستثمر الاراضي البور (في جبال الجليل وسهول النقب ووادي الاردن وكثبان الرمل على الشاطىء وجبال يهودا) . ويجب ان نعد الطريق للمهاجرين الجدد من اليمن وايران وتركيه ومصر وسوريه والعراق ورومانيه واليونان وفرنسه وبلجيكه ـ

---

٨ ـ حركة الرواد في فلسطين . ان الكلمة ، كما هي مستخدمة هنا ، لها دلالة على الحاجة للعودة الى العمل الجسدي في الارض ولتشجيع الهجرة الجماعية كواجب من واجبات الحركة الصهيونية .

وباختصار ، من كل بلد لا تزال بقية يهودية تعيش فيه ، وكذلك علينا ايضا ان نهتم بالهجرة من انجلتره واميركه ، من شمال افريقيه وجنوبها ، هذا ونحن لا نتخلى عن امل ان يشترك معنا يهود الاتحاد السوفياتي في عملنا هذا . ان اول ما يجب علينا ان نفعله هو قهر البحر والصحراء لانهما سيفسحان المجال لمهاجرينا الجدد وسيكونان المختبر الذي تتم فيه التجارب الاقتصادية والزراعية . نحن بحاجة الى بحريين ـ ملاحين وصيادين وعمال الاحواض وبنائي سفن ـ يجعلون من البحر مصدرا لقوتنا البحرية والسياسية ، ونحن بحاجة لرجال يدركون كنه الصحراء ويفهمون جميع اسرارها وبالتالي يقودوننا الى تحويل الارض البور الى مكان يدر البركة نحيا ونعمل فيه . ما لم نقهر البحر والصحراء ـ بخلقنا بحارة يهود وحتى قبائل بدو من اليهود ـ فاننا لن ننجح في مهمة الهجرة واعادة التعمير التي ستواجهنا بعد الحرب . بلى ، لقد بدانا بداية صغيرة في البحر ولكننا لم نفعل شيئا حتى الآن في الصحراء ، مع اننا يجب ان نذكر ان معظم ارض بلادنا هي صحراء . ان صحراءنا ليست كالصحارى او مثل البراري الجرداء التي لا امل فيها ، فقد كانت صحارى اسرائيل مأهولة بالناس في غابر الازمان وحتى اليوم انها ليست مهجورة كليا . هذا وان بداية نحو اصلاح الصحراء يجب ان يقوم بها ساكنو الصحراء من اليهود ، بدو يعرفون كيف يعيشون في الخيام ويعرفون كيف يعيشون مثل العربي . ولكن في الوقت الذي يجب ان يكون لهم مهارة البدوي، عليهم ان لا يكونوا غرباء عن المعارف الثقافية والعلمية والتكنولوجية الحديثة ، فمثل هذا المزيج سيمكنهم ان يجعلوا البراري تزهر وان يحولوا الصحراء الى مكان للسكن . ان قهر الصحراء يتطلب رجالا ابطالا وروادا مغامرين لا يتراجعون في وجه العقبات والصعوبات .

ستكون مهمة استيعاب المهاجرين اشق مما كانت عليه في السابق وستتطلب منا جهودا اضافية لا مثيل لها. فالمهاجرون الجدد سيأتون الينا من اماكن الفقر والتعاسة ولذلك سيحتاجون الى عناية دائمة ومساعدة كبيرة تقدمها لهم الطليعة من الرواد . هذا وبعد ان قضي على يهود بولنده وليتوانيه وغاليسيه وتشيكوسلوفاكيه من اين لنا بمثل هؤلاء القادة الرواد ؟ **على شباب الوطن ان يتحملوا الآن هذه المهمات الرائدة .**

انه لمن المستحيل ملء الفراغ الفظيع الذي خلفه القضاء على يهود اوروبه ، فمثل هذه الخسارة المخيفة لا تعوض ـ ولذلك فان واجبا اكبر قد القي على عاتق الشباب الاسرائيلي .

وفي رايي ليس هناك واجب اكثر الحاحا ينتظر قيادة الشباب من واجب جمع اليهود واعادة اعمار الارض . ولكن حتى اتخاذ قرار بالالتزام الشخصي للقيام بالعمل لا يكفي ، يجب ان تكونوا انتم نواة تجنيد الشباب اليهودي في جميع انحاء هذه البلاد ، في المدن والمزارع ، بصرف النظر عن اصلهم ومستواهم . لا يكفي ان يستمر الاطفال في اتمام عمل آبائهم في دجانيا ونهلال وعين هارود وكفار يهزكيل وتل سوف وعين جانيم . انهم مدعوون الآن لاعمال جديدة وجريئة ، هناك اعمال كثيرة في البحر والبر تنتظرنا .

ان على قيادة الشباب في الدرجة الاولى ان تنظم شباب المدارس او العمال في نشاطات مختلفة وكذلك اولئك الذين لا يعملون او يدرسون لانه حتى في هذا العنصر الكبير تكمن امكانات للريادة لم تطرق بعد. لقد اختار القدر هذا الجيل من شبابنا لتأدية اصعب الواجبات واشقها . هناك قوة رائدة كامنة في كل رجل وامراة ، وقيادة شبابنا لا تستطيع ان تؤدي رسالة افضل من **جعل شباب بلادنا روادا !** هذه هي اعظم مهمة تواجه الثورة اليهودية واكثرها الحاحا .

ولما انني دعوت ، في بدء حديثي ، الى الولاء المطلق للثورة اليهودية، فانني سأقدم الآن بعض الملاحظات النهائية عن هدف ثورتنا : **الذي هو تجميع المنفيين في دولة يهودية اشتراكية .**

حتى هذا ليس هو هدفنا النهائي ، لانه ليس هناك هدف نهائي في التاريخ . فتجميع المنفيين في دولة اشتراكية يهودية هو في الحقيقة شرط سابق لتأدية شعبنا لرسالته الحقيقية. علينا ان نحطم اولا اغلال الاضطهاد القومي الطبقي ونصبح رجالا احرارا نتمتع باستقلال ذاتي وقومي على تربة ارضنا المخلصة . وبعد ذلك نتمكن من التوجه الى تأدية رسالة الانسان على هذه الارض ـ وهي السيطرة على قوى الطبيعة وتنمية قواه المبدعة العبقرية الى اسمى الدرجات .

لا ادري من منا سيعيش ليشهد ذلك اليوم ، ولكنني اعتقد بأن الامل في ذلك ليس لكم وحدكم يا زعماء الشباب ولكننا نحن جميعا من الجيل الثاني والثالث من اليهود العائدين (Aliyot) المجتمعين هنا ، وكذلك جميع رفاقنا البعيدين والقريبين ، لدينا امل في مشاهدة الثورة اليهودية وقد تحققت في ايامنا . هذا التحقيق لن يعتمد علينا فقط ، ان قوى خارجة عن ارادتنا وظروفا لا يمكن التنبؤ بها الآن ستلعب دورها في جعل الميزان

يميل لهذه الجهة او لتلك . وعلى اي حال ، وبالرغم من ذلك ، فالثورة تعتمد في الدرجة الاولى علينا ، على الشعب اليهودي ، اليشوف في الوطن ، والحركة العمالية ، والشباب الرائد . لنكن مخلصين دون اي تحفظ ، ومؤمنين فكرا وعملا وعاطفة وارادة بمطالب الثورة اليهودية ورسالتها ، ولنحفظ كرامتنا الذاتية ووحدتنا وتماسكنا الدائم مع كل من الشعب اليهودي والحركة العمالية الدولية، ولنحول المقهورين والمسحوقين الى رواد عمل للهجرة واعادة التعمير ، هذا العمل الذي هو من مستوى الازمة الكبيرة التي يعيشها شعبنا ، ومن مستوى رؤيا الخلاص عنده . اذا ما كان هذا هو برنامجنا فان هناك امل بأن كثيرين منا سيعيشون ليروا تحقيق هدف الثورة اليهودية ـ وهو تجميع غالبية شعبنا في وطن نحوله الى دولة يهودية اشتراكية .

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
شارع كولومباني المتفرع من شارع السادات

اسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

تصدر عنه

(١) سلسلة « اليوميات الفلسطينية »

(٢) سلسلة « حقائق وارقام »

(٣) سلسلة « ابحاث فلسطينية »

(٤) سلسلة « دراسات فلسطينية »

(٥) سلسلة « كتب فلسطينية »

(٦) خرائط وصور فلسطينية

(٧) سلسلة « نشرات خاصة »